يونس رمضان

بغية الطالب في معرفة علي بن أبي طالب عليه السلام

روى صاحب الكشاف من الحديث القدسي عن الرب العلي أنه قال: لأدخلن الجنة من أطاع عليًا وإن عصاني، ولأدخلن النار من عصاه وإن أطاعني.

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص ب : ٧١٢٠

بغية الطالب

في معرفة

علي بن أبي طالب عليه السلام

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٥٣ - تلفاكس: ٨٣٣٤٤٧ .

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الاهداء

أُقدِّمُ كتابي هذا إلى روّاد المعرفة وطلاّب الحقيقة الّذين ينشدونها أينما وجدوها دون أن يتأثّروا بمذهبٍ أو لون أو جنس .

أُقدّمه إلى تلك البراعم الصّغيرة الّتي لم تتفتّح أكمامُها بعد، لتُسْقى من غدير صاحب يوم الغدير، فتنفحنا بأريج علوِيّ يعطّرُ الوجود ويسكر الكون.

أُقدّمه إلى من غُـرّر بهم وضُلّلوا، وقلوبهم نقيّة ليملؤوها بحبّ مَنْ حُبّه إيمان وبغضُهُ نفاق.

أُقدّمه إلى الّذين تأثّروا بآراء (داروين) وأفكار (فرويد) ووجودية (باستر) واشتراكيّة (ماركس) من الأمّة الإسلاميّة والعربيّة ليعلموا أنّهم لو درسوا عليّ بن أبي طالب لوجدوه غايتهم المنشودة في إصلاح المجتمع، وتحقيق العدالة الإجتماعيّة، والوصول به إلى مجتمع مثاليّ منشود.

أُقدّمه إلى البائسين والمنكوبين وضحايا الظّلم الاجتماعي ليجدوا عزاءهم الوحيدَ في شخصيّة الشّرقِ الخالدة، وعظيم الإنسانية وأبي الشّهداء علي بن أبي طالب.

أُقدّمه إلى الحكّام والرؤساء والقضاة ليعلموا أنّ أحكم الحاكمين وأقضى القضاة بعد نبيّ هذه الأمّة الإسلامية علي بن أبي طالب.

المقدمة

إنّ الكتابةَ عن العظماء ضروريَّة، لأنّ لنا في حياتهم معيناً لا ينضبُ من الخبرة والعبرة والإيمان والأمل. فهم بمثابة المناراتِ الّتي تهدينا في دياجير الحياة المظلمة. وهم الّذين يبعثون الثّقة في نفوسنا، ويجدّدونها كلّما اعتراها شيء من الضّعف والوهن، وهم الّذين يجعلوننا نتغلّبُ على مشكلات الحياة وأهوالها، مهما كانت هذه المشكلاتُ عنيفةً وصاخبَةً. وهم يلقّنوننا دروساً قيّمةً عن البطولاتِ، والسُّمو بالنّفوس إلى أسمى مراتب المجد والشّرف. وهم الّذين يجعلوننا نتغلّب على القنوط واليأس، ونعبث بالكسل والسأمِ والملل، لنحذو حذوهم، وننهج نهجهُمْ، فهم بمثابة القمم الّتي نتطلّع إليها بشوق ولهفة.

وعلي بن أبي طالب هو أسمى عظماء البشريَّة وأنبلهم، وأقدسهم وأفضلهم، لأنّ عليّاً جمع كلّ الصّفاتِ الحميدة، والمزايا النّبيلة الّتي تحلّى بها عظماء الإنسانية. فمنهم مَنْ عَظُمَ في خُلُقِهِ، ومنهم من تفرَّد بعلمه، ومنهم مَنْ أُشِيرَ إليه بالبنان في حلمه، ومنهم مَنْ تفوَّق في شجاعته، ومنهم من سما بأدبه وسموّ تفكيره وصفاء بصيرته، ومنهم من بزّ الآخرين بزهده، ومنهم من تعالى بعدله، ومنهم من تسامى بطهارة وجدانه وعمق إنسانيته وحرارة إيمانه، ومنهم من اشتهرَ بثورتِهِ على الظّلم والحرمان. ومنهم من تفرَّد بعبادَتِهِ وخشوعه. وعليٌّ جمع كلّ هذه الصّفات في شخصيتِهِ الخالدةِ دون أن تكون به صفة سلبيَّة. فعلِيٌّ هو الإنسان الكامِل وَالرَّجل المثالي الّذي تنشدُهُ الأجيال والعصور. فهل يُعْثَر على عظيمٍ كعلي؟!

ومهما حاوَلَ الكتّاب والمؤرّخون ورجال الفكر أن يأتونا بصورةٍ كاملةٍ عن عظيم الإنسانية ومثلها الأعلى، فهم عاجزون تمام العجز. وكيف لا؟! وهو سرّ الأسرار. وهو النّقطة الّتي تحت الباء. وهو جنبُ الله، ويد الله، وأُذنه السّامِعة، وعينه النّاظِرة، ولسانُه النّاطق. وهو النّعيم الّذي ذكره الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يومئذٍ عن النّعيم﴾[1]. وهو الصّراط المستقيم. وهو الهادي الّذي ذكرَهُ الله سبحانه بقوله: ﴿وإنّما أنتَ منذر ولكلّ قومٍ هادٍ﴾[2]. وهو الشّاهد الّذي ذكره الله عزّ وجَلّ بقوله: ﴿أفمن كانَ على بيّنَةٍ ويتلوه شاهِد﴾[3]. وهو الإمام الّذِي عناه الله بقوله: ﴿وكلّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مبين﴾[4]. وهو الّذي عندَهُ علم الكتاب. وهو كنز أسرار النبوّة. وهو المطّلع على أخبار الأولين. وهو المخبر عن وقائع الآخرين. وهو أوّل المسلمين. وَهُوَ أوّل المؤمنين. وهو حبل الله المتين. وهو سيفُ رسول رب العالَمين. وهو الصّدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم. وهو حجّة الله في السّموات، والأرض. وهو الرّاجفة. وهو الصّاعِقة. وهو الصّيحة بالحقّ. وهوَ السّاعة لمن كذّب بها. وهو الطّور. وهو البحر المسجور. وهو البيت المعمور. وهو خازن السّموات والأرض بأمر ربّ العالمين. وهو الشّاهِدُ لأعمال الخلائق في المشارق والمغارب. وهو أخو رسول الله، ووارثُ علمه، ومعدن حكمته، وصاحب سِرّه. وما أنزَلَ الله حَرْفاً في كتابٍ من كتبه إلّا وقد صار إليه، وزادَهُ علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله[5] ووصيّه ووليّه، وأبو العترة الطّاهرة المطهَّرة من الرّجس. وأنّه خير أمّتِه،

---

(١) سورة التكاثر: آية ٨.
(٢) سورة الرّعد: آية ٨.
(٣) سورة هود: آية ١٧.
(٤) سورة يّس: آية ١٢.
(٥) ألفتُ نظر القرّاء إلى بادرةٍ ملحوظةٍ في كتب الكثير من إخواننا أهل السّنة القديمةِ والحديثةِ عند ذكر النّبيّ صلّى الله عليه وآله. فإنّهم يردفون بقولهم: صلّى الله عليه وسلم، دون أن يتعرّضوا لذكر الآل في الصّلاة، مع العلم أنّهم يعرفون أنّ هذه الصّلاة بدون ذكر الآل تَسَمّى (البتراء) وقد نهى الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم عنها. ففي الصّواعِق المحرقة=

وأفضلهم وأعلمهم وأقضاهم وأحكمهم وأشجعهم وأعدلهم وأزهدهم وأحلمهم وأعبدهم وأصبرهم، وأنّه باب مدينة علمه، وأنّه مع الحقّ، والحقّ معه، وأنّه مع القرآن، والقرآن معه، وأنّ حبّه إيمان، وبغضه نِفاق، وأنّه رباني هذه الأمّة، وأنّه والعترة سفينة نجاة هذه الأمّة، وباب حِطّتها، وأمانها من الغرق، وأنّهم الثّقَل الأصغر، والقرآن هو الثقل الأكبر، وأنّه والنّبي صلّى الله عليه وآله من نورٍ واحد هو نور الله، وأنّ لحمَهُ لحمُهُ، ودمَهُ دمُهُ، وأنّه كنفسه صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ حربَهُ حربُهُ، وسلمَهُ سلمُهُ، وحبَّهُ حبُّهُ، وبغضَهُ بغضُهُ، وأذاه أذاهُ وسبَّهُ سبُّهُ، وطاعتَهُ طاعتُهُ، وأنّه منه بمنزلة هارون من موسى إلاّ النبوّة، وأنّه من ذوي قرباه الّتي وجبت على المسلمين مودتّهم، وأنّه من الّذِينَ لم تقبل صلاة المسلم إلاّ بالصّلاة عليهم، وأنّه ممّن باهَلَ بهم النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وفد نجران، وأنّه حجّتهُ على أمّتِهِ، وأنّه حامِل لوائه في الدُّنيا، وحامِل لواء الحمد يوم القيامة، والذّائد عن حوضِه المنافقين، وأنّه سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وقاتِلَ النّاكثين والقاسطين والمارقين، وأنّه قسيم الجنّة والنّار، وأنّه المؤدّي عنه صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يؤدّي عنه إلاّ من كان منه، وأنّه نجيُّهُ وَصفيّه ووليّه

= ص ٨٧ قال: ويُرْوَى لا تصلّوا عليَّ الصّلاة البتراء. فقالوا: وما الصّلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللهمّ صلّ على محمّد، وتمسكون. بل قولوا: اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد. ونحن نعجبُ من حملة العلم وأئمة الحديث وأرباب التّأليف والتّصنيف من أهل السّنة كيف رووا الأخبار الدّالة على أنّ الدّعاء محجوب حتّى يُصَلّى على محمّد وعلى آل محمّد، وأنّ الصّلاة لا تُقْبَل حتّى يُصَلّى فيها على محمد وآل محمّد، وأنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن الصّلاة عليه بدون ذكر الآلِ عند التّصلية. وهذا تعصُّب ومخالفة للنّبي الّذي لا ينطق عن الهوى. ولقد عبّر الشّافِعي عن عدم قبول صلاة المسلم إلاّ بالصّلاة عليهم بقوله:

يا آل بَيت رسول اللّهِ حبّكُمُ ... فرضٌ من اللّه في القرآن أنزله
كفاكُمُ من عظيم الفخر أنّكُمُ ... من لم يُصَلّ عليكم لا صلاة له

وقال الرّازي في تفسيره جـ ٧ ص ٣٩١ وأهلُ بيتِهِ صلّى الله عليه وآله ساوُوهُ في خمسة أشياء: في الصّلاةِ عليه وعليهم في التشهّد، وفي السّلام، والطّهارة، وفي تحريم الصّدقة، وفي المحبة. وقال النّيسابوري في تفسيره آية القربى: كفى شرَفاً لآل رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم وفخراً خَتمُ التشهُّدِ بذكرهم، والصّلاة عليهم في كلّ صلاة.

ووزيره، وخير من يُترَكُ بعده، وأنّه النّبأ العظيم الّذي هم فيه مختلفون، وأنّه خاتم الأوصياء وأفضلهم، كما أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء وأفضلهم، وأنّه وليُّ كلّ مؤمن، ومن لم يكن وليّه فليس بمؤمن، وأنّه وابن عمه صلى الله عليه وآله وسلم أبوا هذه الأمة، وأنّه أبو سيّدي شباب أهل الجنّة، وأنّ الله سبحانه خاطبَ نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم بلغته، وأنّه أمير البررة، وقاتل الفجرة، وأنّه زوج سيّدةِ نساءِ العالمين، وأنّه صاحب الغدير الّذي أكمل الله بولايته الدّين، وأتمّ النّعمة، ورضي سبحانه برسالة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم(١) .

هذا بعض ما ورد عن علي بن أبي طالب. فهل يستطيعُ كاتبٌ أن يؤدّي حَقَّه؟ أو ينقل لنا صورة كامِلَةً عن هذا العظيم؟! وهل يقاس به أحد؟ فإن عثر كاتبٌ على عظيم كعلي فمن هو؟! ونلحّ عليه أن يحدّثنا عن فضائِله وكراماته وشجاعته وعلمه وحلمه وعفّتِه وزهده وعدله وتقواه وصفاء قلبه ونقاء وجدانه وعبادته وكرمه وقضائه وخلقه لنقارنَهُ بأبي تراب؟ ولكنّ هذا العظيم لم يولد حتّى الآن.

أمّا سبب إظهار هذا الكتاب إلى الوجود فيعود إلى أسباب كثيرة أهمُّها ثلاثة:

أوّلها: التّيمُّن بذكر الإمام، لأنّ ذكره عبادة، وَالتّبرك بنشر فضائِلِهِ التي لا تعدُّ ولا تحصى.

ثانيها: إنَّ القسم الأكبر من النّشءِ الجديد الّذين غزوا المدارس، وأخذوا يعبُّونَ مِنْ مناهِلها شَتّى العلوم لا يعرفون عن عليّ إلاّ النّذر اليسير، وهو مَنْ هو. لذلكَ رَكّزتُ انتباهي إلى هذه النّاحية، وأكثرتُ من الأحاديث والأخبار والرّوايات الواردة في كتب أهل السنة والشيعة على السّواء. وأقللْتُ من التّعليق ليطّلع الطّالب على الحقائق من أقوال الفريقين، ويعرف عظمة الإمام التي لا يفوقها إلاّ عظمة الله ورسوله.

---

(١) إذا كان ثقل عليك أيها القارىء فراجع هذا الكتاب يتّضح لك الأمر ممّا يجلي غياهب الصّدر.

ثالثها: تزويد القرّاء من إخواننا أهل السّنة بمعلوماتٍ قيّمةٍ جُمِعَت من كتب الفريقين عن عليّ ليصحّحوا معلوماتهم المغلوطةِ عنه في أكثر نواحيها ومصادرها، ويعلموا عندئذٍ أنّ المقايسة بينه وبينَ الصّحابة خاطئة جداً. فلا يقاس بآل محمّد ﷺ من هذه الأمّة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدّين وعماد اليقين[1]، ويدركوا أن لا يتمّ إيمان عبدٍ إلاّ بحبّه وولايته. فكثيرٌ منهم لا يعترفون بولايته، ومن لم يعترف بها لا يشمّ رائحة الجنّة، فكيف بنعيمها؟ وَمَتى تحقّقوا ذلك وتدبّروه، فإنّهم ينظرون إلى عليّ والعترة نظرة الشّيعي إليهم. وعندئذٍ يقطعون الطّريق على المغرضينَ من بعض المتعصّبين الّذين يظهرون الشّيعي أمام الجماهير الشعبية بمظهر الكافر الملحد، كما جرى معي في جامع (المولويّة) قرب ساحة باب الفرج في حلب سنة ١٩٦٤ عندما كنتُ مدرّساً في دار المعلمين هناك.

وتفصيل الحادث :

خرجتُ من ثانويّة المأمون أثناء تصحيح أوراق الشّهادة الثّانوية عند غروب الشّمس، وذهبتُ إلى جامع (المولويّة) للصّلاة، وَبعد الانتهاء قالَ شيخ الجامع للمصلّين: أريد أن أوجّه إليكم بعض المواعظ التّهذيبيّة، فجلَس المصلّون وجلسْتُ معهم، فوعظ الشّيخ ونصح. وكان موفّقاً في تلك العظات. فهي تهذيبيّة وتوجيهيّة وخلقيّة، وهي قَيِّمَةٌ جداً. وعند الانتهاء سأل المصلّين عما إذا كان هناكَ سؤالٌ عن طلاقٍ أو حيض أو نفاس أو شيء آخر. فخرج المصلُّون ولم يبقَ سِوَى عشرة أشخاص وأنا معهم. فقال رجل: يا شيخ: رجُلٌ طلّق زوجته تطليقةً واحدة، ويريد أن يعيدَها، فهل هناك داعٍ لحضور الشّيخ؟ قال: لا داعِيَ لحضوره أبداً، لأنّها تطليقة واحدة. ثمّ قالَ شخصٌ آخر: يا شيخ، نحن نصلّي ولكِنْ يَؤُمُّنا رجل تصرُّفاته غير سليمة، فهل تجوز إمامته؟ قال: كلا! فهذا إمّا عنده خللٌ في عقله، أو هو شيعيٌّ يريدُ أن يُفْسِدَ عليكم صلاَتَكم، فلا تجوز إمامته أبداً. عندئذٍ قلتُ له: يا شيخ عَرِّفنا شيئاً عن

---

(١) نهج البلاغة، جـ١ ص ٢٥، مطبعة الاستقامة.

هـذا الشّيعي الّذي يفسـد على المسلمين صلاتهم. قـال: يا بنيَّ، الشيعي لا دين له ولا كتاب ولا إيمـان. يا بُنَيَّ أنـا ذهبتُ إلى الدَّريكيش، فـطلبتُ لحمةً من صافيتا، ولم آكـل من لحم الدَّريكيش. قلتُ لـه: ذبحة المسيحي أفضـلُ من ذبحتهم؟ قـال: نعم، لأنّ المسيحيَّ صـاحبُ كتـاب. أمّـا هم فـلا كتـابَ لهم. قلتُ له: إنّ للشّيعة مذهباً يُسَمَّى مـذهب الإمام جعفـر الصّادق، فعـرّفْنا شيئاً عن هذا المذهب؟ قال: يا بنيَّ الشّيعة فـرق متعدّدة، ولكن كلّهم كفـرة. فمن أراد أن يعرف أسرارهم فليتغلغل بين صفوفهم. فتـركتُ الشّيخَ ومن معـه وخرجتُ. وإذا بآذِن المدرسة الّتي نُصحّحُ فيها أوراق الشّهادة الثّانـوية ورائي، وقال: هذا الشّيخ ما تكلّم طيّباً أبداً. قلتُ له: هذا الشّيـخ لا يعرف شيئـاً عن الشّيعة فهو جاهل. ومن جهل شيئاً عاداه. قال: واللّهِ مـا تكلّم صحيحاً أبـداً. ولكنّ هذا الآذِن قال: ولكنَّ الشّيعة تتعلّق بآل البيت، فمـا هؤلاء وما شـأنهم؟ قلتُ له: يكفي، الشيخ جاهلٌ وَافترقنا.

هـذا الموقف ومـواقف أُخرى غيـرها تلقي الضّـوء على أنَّ هناك شيـوخاً كثيـرين من المتعصّبين الجهلة يظهـرون محبّي علي وآل البيت بمظهـر الكفرة الفجرة. وهذا أخطر شيءٍ بالنّسبة إلى الأمَّةِ الإسـلامية. فبـدلاً من الدَّعـوة في بيوتِ الله إلى توحيد صفوف المسلمين، وجمـع الكلمة والـوقوف صفّـاً واحِداً للقضاء على المؤامرات الاستعمارية التي سَبَّبَتْ لـلإسلام وللمسلمين كـلّ شرّ وأذىً، نجـد بعض المتعصّبينَ والمغرضين يقـومـون بتفـرقـة الصَّـف، وتشتيت شمل المسلمين والإسلام، وبهذا يحقّقون للاستعمار أعظمَ أملٍ ينشدُهُ ضدّنا، ويوفّرونَ عليهِ الملايين من الدُّولارات التي كان عليه أن يبذلَها ليحقّق بعضَ ما حقّقه له المغرضون.

أمّا هذا الشّيعي الّذي يثور عليه المتعصّبون من إخواننا أهل السّنة، فكلُّ ذنبه عندهم أنّه تمسَّك بالعترة الـطّاهرة المـطهَّرة من الـرّجس الّذين هم سفينـة نجاة الأمّة، وباب حطّتِها، وأمانها من الغرق، ومودَّته لذوي قربى الرَّسول التي وجبَتْ عَلى المسلمينَ مـودّتهم، واعتنـاقـه مـذهبهم المسمّى بمـذهب الإمـام الصَّادِق عليه السلام . هذه هي الجريمة الكبرى التي جعلته بنـظر المتعصّبين كافِـراً

فاجراً، وهذا ما جعل الشّيعي الشاعر والفيلسوف يقول:

قد بدَتِ البغضاء منهم لنا كما لهم منّا بدا الحبُّ
وما لنا إلاّ موالاتِنا لآلِ طه عندهم ذنبُ

فهل هناك مسلم منصف يرضى بموقف هؤلاء المتزمّتين؟ والأمَّةُ الإسلامية ـ لا الشّيعة وحدَها ـ مفروضٌ عليها مودّة أهل البيتِ الَّذين هم سفن النَّجاة وباب حطّة والأمان من الغرق.

وهناكَ بادرة ثانية لا يرضى عنها منصف. وهي منع استيراد بعض كتبِ الشّيعة إلى أيدي الجماهير في سورية، كما حدَثَ في أيام الانفصال بإصدار قرارٍ يمنع دخول بعض الكتب القَيّمة الّتي تعبّرعن فضل آل بيت رسول الله ﷺ إلى القطر العربي السُّوري. وتذكر بعض ما حَلَّ بهم من ويلاتٍ وكوارث على أيديٍ أمّة محمّد. بينما نرى الكتب الّتي تطعن بالآل، وتحطّ من كرامتهم غير محظورة، بل مباحة للجميع. مع أنّ المنطق السَّليم والموقف الصَّحيح يقتضِي إمَّا أن يترك المجال مفتوحاً لجميع كتب الفريقين، أو يغلق الباب أمامهم على السَّواء. غير أنّ فتح المجال للجميع أفضل وأنسب وأحسن، لأنّ القارِىءَ من إخواننا أهل السّنة إذا اطّلع على كتب الشّيعة فإنّه يعرف مذهبهم وفقههم وحججهم ضدّ خصومهم. وعندئذٍ يفهمهُمُ الفهم الصّحيح، ويطرد من ذهنه تلك الأوهام والخرافات الّتي زرعها المغرضون وأعداء الإسلام. ويفتح صدره لإخوانِه، وَيتطلّعون لتحقيق أغراض أمَّتِهِم السّامية ديناً ودنيا.

ونحن نرى أنّ الخطر الَّذي يهدّد العالَمَ الإسلامي ليس كتب الشيعة وما تحتويه من فضائِلِ آل بيت رسول الله ﷺ. بل الخطر يتجلّى فيما وصلنا إليه من انهيار خلقي وسلوكٍ شَاذّ، فإذا نظرنا إلى واقعنا الحالي نظرةً صحيحةً صادقَةً، نظرة بعيدةً عن التعصُّب والغرور والعظمة الزَّائفة، فإنَّها تتجلَّى لنا الحقيقة المُرَّة. أين نحن الآن من تعاليم يسوع النّاصري ومحمّد بن عبدالله؟ فهل نطبّق تعاليمهم الّتي ترفع الإنسان إلى مستوى الإنسانيّة الصَّحيحة النَّابضة بالحقّ، الدّافقة بالصّدق والخير والأخلاص؟

وهناك أخطار تهدّدنا وتغمرنا بشرورها. هذه الأخطار هي انتشار كتب (فرويد) الجنسيّة، والكتب الخلاعيّة الرّخيصة، والكتب الإلحادية الّتي تغزو مكتباتنا، وتبثّ السّموم في أفكار شبابنا، وتجعلهم يتبنّون هذه الآراء، علاوةً على أخطار الأفلام الخلاعية، وأثرها السَّيّء في نفوس النّشءِ الجديد. هذه هي الأخطار الّتي تهدّدنا بالعواقبِ الوخيمةِ، لا كتب الشّيعة الّتي تحمل الحقيقة والخير والنّور لكلّ قلب ينتعِش بمودة أهل القربى الّذِين فُرِضَتْ علينا مودّتهم، والّذين هم سفنُ النّجاة، وثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقيّته في أُمّتِهِ.

لذلك أُهِيبُ بالمسؤولين ورجال التّربية والمعلمين ورجال الدّين وكلّ مخلِصٍ لأُمّتِهِ ووطنِهِ أن يتراصُّوا ويتعاونوا لإنقاذ هذه الأمّةِ من هذه الأخطار الّتي لا يعرف مدى ضررها الشّديد علينا وعلى أبنائنا إلاّ الله عزّ وجلّ.

وهناكَ موقفٌ آخر ألفُتُ انتباهَ القارىء إليه، وأطلُبُ منه أن يكون منصِفاً قدر المستطاع ليكون رأيه قريباً من الحقيقة والواقع.

هذا الموقف هو أنّ الأمّة الإسلامية ملزمَةٌ بمودّةِ آلِ البيت الّذين أذهبَ الله عنهم الرّجس، وأنهم هم سفن النّجاة، وأعلام الهداية، وأمان هذه الأمّة من الضّلال لمن تمسّك بهم، وأنّهم هم الثَّقَلُ الأصغر، والقرآن هو الثَّقَلُ الأكبر. هذا ما أجمع عليه علماء هذه الأمّة الإسلامية، فانظر أيّها القارىء بتجرّدٍ ونزاهة إلى موقف هذه الأمّة الإسلامية!

فئةٌ منها نهجَتْ نهجَ آل البيت، وتمسّكَتْ بهم، واعتنقت مذهبَهُمْ، وأعلنَتْ فضائلهم رغم الإرهاب والضّغط والتعذيب. وفئة أُخرى اعتنقَتْ مذاهِبَ أظهرتها للوجود سياسة الحكّام، وفرضوها على الأقطار فَرْضاً، وَسَهِروا على انتشارها، وقاوموا مذهبَ آلِ البيتِ حرصاً على كراسي الحكم، وتمّ لهم ما تَمّ. وانتشرت المذاهب الأربعة، وانقرضت المذاهب الأخرى الّتي لم تساير الظروف، كمذهب سفيان الثّوري، ومذهب ابن عيينة، وَمذهب الحسن البصري، ومذهب الأوزاعي، ومذهب محمّد بن جرير، ومذهب عمر بن عبدالعزيز، ومذهب الأعمش، ومذهب الشّعْبي، ومذهب إسْحاق، ومذهب

اللَّيث، ومذهب ابن ثور، ومذهب الظَّاهري. والخلاصة تجاوزت هذه المذاهب الخمسين. وكلّها انقرضت، ما عدا المذاهب الأربعة، فلماذا؟

السَّبب يعود إلى أنَّ السّلطة خلقَتْ منهم أبطالاً بعد أن سايروا الحكّام. فهذا الشّافِعي يقول: إنَّ مشيي من جوف المدينة إلى جوف مكّة حافياً راجلاً أهوَنُ عليَّ من المشي إلى باب مالِك بن أنَس، وذلك من شدّة الازدحام وقوّة النّفوذ. هذا مالك الّذي كان يَسْحَبُ ويُجَرُّ ويُضْرب خمسينَ سوطاً، ويهان في عهد بعض الولاة؛ وفي عهد بعض الولاة أصبح الوالي يتهيَّبُ أن يكلّمه. وهذا يدلّ على أغراضِ السّياسة مع رجال الأمّة، حَتّى أنّ المنصور أمرَهُ أن يضع كتاباً يحمل عليه النّاس بالقهر، فوضع الموطأ. وأصبحت له مكانته. وانتشر مذهبه في الأندلس بسبب السُّلطة هناكَ، وعدم تعيين قاضٍ إلاّ على مذهب مالك[1]. قال ابن حزم: مذهبان انتشرا في مبدأِ أمرهما بالرئاسَةِ وَالسُّلطان: مذهب أبي حنيفة لمّا وُلّيَ أبو يوسف القضاء، ومذهب مالك في الأندلس[2].

أمّا مذهب الشّافِعِي فقد قويت شوكته في عهد الدَّولة الأيوبيَّة، لأنّهم شافعيون. والمذهب الحنبلي لم ينل قوّةً وأنصاراً إلاّ في نجد على يد محمّد بن عبدالوهّاب مؤسّس المذهب الوهّابي الّذي قضى على مذهب ابن حنبل وشهرته، بسبب شهرة الوهّابي الّذي دعمه ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم الجوزية.

---

(١) يدّعي مالِك بأنّه مكث في بطن أمّه ثلاث سنوات. فهل هذا صحيح؟ وقد اشتهرَ مالِك بكثرةِ قول (لا أدري). سئِلَ عن ٤٨ مسألة. فقال في ٣٢ منها: لا أدري. وسئِل في العراق عن ٤٠ مسألة فأجاب عن ٥ فقط. وقيل: لمالك: إذا قلتَ أنتَ لا أدري، فمن يدري؟ فقال: ويحك! أعرفتني؟ ومن أنا؟ وأيّ شيءٍ منزلتي حتّى أدري ما لا تدرون! ومالِك من تلامذة الإمام الصّادق مدّة من الزّمن، فالصّادِق من أكبر شيوخ مالك بن أنَس.

(٢) مرآة الزّمان: القسم الأوّل جـ ٨ ص ٤٤.

وهكـذا نـرى أنّ السّياسـة الخـانقـة على آل البيت هي التي أوجــدت المذاهب الأربعة، وحققت ما تصبو إليه بسبب القوة والأنصار. ولكنَّ المشكلةَ الكبرى الّتي ظهرت بينَ صفوفِ المسلمين هي مشكلة التعصُّب الأعمى. فكلُّ من اعتنق منهم مـذهباً من هـذه المذاهـب الأربعـة المفروضـة عليهم أخذ يتعصَّبُ لمذهبه بعنف، حتّى قالَ قائل الحنفيَّة: «لو كانَ لي الأمـر لأخذتُ الجـزية من الشّـافعية»(١). ويقـول أبو حـامـد الطّوسي: «لـو كـان لي أمـرٌ لـوضعت على الحنابلة الجزية»(٢). وهذا أبو حاتم الحنبلي يقـول: «من لم يكن حنبليّاً فليس بمسلم». فهو يكفّر جميـع المسلمين؛ بعكسِ أبو بكـر المقري الـواعظ، فهو يكفّـر الحنابلة أجمـع(٣). والحنابلة أحلّوا مـالَ ودم كلّ من كـان على دين ابن تيميـة، علاوةً على الـدّماء الّتي أُريقت بين المـذاهب الأربعة نتيجَـةَ التّعصّب المـذهبي. فهذا التعصُّب كـان أعظمَ مشكلةٍ حلَّتْ بـالمجتمع الإسـلامي ممّـا أدّى إلى اختـلاف الآراء وتشتّت الأهواء والانحـطاط الكبير. ولكنَّ المخلصين من المسلمين تنبّهوا لهذا الخـطر. فأخـذوا يدعـون إلى وحدة الكلمـة. ولكنّ هذه الدَّعوة لم تزل صرخة في واد حتّى اللّحظة الحالية.

هذه لمحة خاطفة عن سبب ظهور المذاهب الأربعة الّتي اعتنقتها فئة من المسلمين، فعادوا الفئة التي اعتنقت مذهب آل البيت. وأعْلَنَ المتزمّتون منهم أنّ هذه الفئة كافرة. فمن يا ترى أولى وأجدر بالإتباع؟ المذاهب الّتي أوجدَتْها السّياسة، والّتي تتناقض مع بعضهـا؟ أم المذهب الّـذي أوجده أهـل العصمة؟ وإذا كان أصحاب المذاهب الأربعة لا يعترفون بالعصمة، فعلى الأقل، عليهم أن يعترفوا بهذا المذهب كمذاهبهم السّالفة الذكر. وهذا ما دعاهم إليه العلاّمة شرف الدّين الموسوي. وبهـذا تتوحّـد الكلمة وينـطلق المسلمون صفّـاً واحِداً لإعادة أمجاد الماضي وسيادة الأجداد.

---

(١) مرآة الزّمان: القسم الأوّل جـ ٨ ص ٤٤ .
(٢) مرآة الجنان، جـ ٣ ص ٢٠٧ .
(٣) شذرات الذّهب، جـ ٣ ص ٢٥٣ .

وقد سمَّيتُ هذا الكتاب (بغية الطّالب في معرفة علي بن أبي طالب). لأنّ الخلافَ بين الأمّة الإسلامية ليس في نبيّ هذه الأمّة، ولكن في وصيّه ووليّه علي، لذلك يجد الطّالب فيه بغيته المنشودة. وقد قسّمته إلى أحد عشر فَصْلاً كما يلي:

الفصل الأوَّل: ولادة علي وإيمان أبيه.

الفصل الثّاني: الجو الرَّهيب الذي تمَّت فيه المؤامرة ضدَّ علي وأهل بيته.

الفصل الثالث: خلافته واستخلافه.

الفصل الرّابع: الأدلّة على إمامته.

الفصل الخامس: الابتلاء والغدر. يَتْبَعَهُما: حديث حذيفة بن اليماني.

الفصل السّادس: شجاعته وحروبه في عهد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعده.

الفصل السّابع: علمه.

الفصل الثّامِن: قضاؤه.

الفصل التّاسِع: إخباره بالأمور الغيبيَّة.

الفصل العاشر: فضائِله وكراماته.

الفصل الحادي عشر: زهده وعدله.

طرطوس: **يونس رمضان**

الفصل الأوَّل
ولادته وإيمان أبيه

يظنّ الكثير من النّاس أنّ ولادة علي بن أبي طالب أمرٌ عادي لا يستحقّ الذكر، كبقية ولادات الأطفال. ولكنّ الأمر على عكس ذلك. فولادةُ عليّ في بيتِ الله الّذي هو قبلة المسلمين في جميع بقاع العالَم من المزايا الكبرى التي امتاز بها هذا المولود. ولم يشاركه في هذه الميزة مولود قبله أو بعده، لأنّه هو الوحيد الّذي وُلِدَ في بيت الله. هذه الولادة مكرمة جليلة خصّه الله بها دون غيره من الأنبياء والمرسلين والنّاس أجمعين.

فإذا اعتراك أيّها القارىء شكٌّ في ذلك، فهذه هي الأدلّة من كتب الفريقين. ففي مستدرَكِ الصَّحيحينِ جـ ٣ ص ٤٨٣ قال: تواترتِ الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدَتْ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في جوف الكعبة.

وفي نور الأبصار للشّبلنجي ص ٧٦ ط ٥ عام ١٩٥١ قال: وُلِدَ رضي الله عنه بمكّة داخل البيت الحرام ـ على قول ـ يوم الجمعة ١٣ رجب الحرام سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة. وقيل: بخمسٍ وعشرين. وقبل المبعث باثنتي عشرة سنة. وقيل: بعشر سنين. ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه قاله ابن الصَّباغ:

ويقول الشاعر السَّريجي الأوالي في قصيدةٍ طويلة منها:

من كان في حرم الرَّحمن مولده وحاطه الله من بأسٍ وعدوان

يريد ولادة علي عليه السلام في الكعبة المعظَّمة، وقد انشقَّ جدار البيت لأُمّهِ فاطمة بنت أسد، فدخلته، ثم التأمت الفتحة، فلم تزل في البيت العتيق حتى ولدت مشرّف البيت بذلك الهبوط الميمون، وأكلَتْ من ثمار الجنّة، ولم يتعلّق صدف الكعبة عن درّة الدّري إلاّ ضاء الكون بنور محيّاه الأبلج. وهذه حقيقة أصفق علي إثباتها الفريقان[1].

وحكى الحافظ الكنجي الشَّافِعِي في «الكفاية» عن طريق ابن النّجار عن الحكيم النيسابوري أنّه قال: وُلِد أمير المؤمنين علي بمكّة في بيت الله الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل. ولم يولد قبله ولا بعده مولودٌ في بيتِ الله الحرام سواه، إكراماً له بذلك، وإجلالاً لمحلّه في التّعظِيم[2].

وروى الوزير السَّعيد الأربلي في (كشف الغمّة) ص ١٩ عن كتاب (بشائر المصطفى) مرفوعاً إلى يزيد بن قنعب. قال: كنتُ جالِساً مع العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، وفريق من بني عبدالعزّى بإزار بيت الله الحرام، إذ أقبلَتْ فاطمة بنت أسد أُم أمير المؤمنين عليه السلام. وكانت حامِلاً به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطّلق، فقالت: يا ربِّ إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسلٍ وكتب. وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل، وأنّه بني البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الّذي في بطني، إلاّ ما يَسَّرْتَ عَلَيَّ ولادتي. قال يزيد بن قُنْعُب: فرأيت[3] البيتَ قد انشَقَّ[4] عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، وعاد إلى حاله[5] فَرُمْنا أن

---

(١) الغدير: للشيخ الأميني، جـ ٦ ص ٢١.
(٢) الغدير: للشيخ الأميني، جـ ٦ ص ٢٢.
(٣) وفي نسخة (فرأينا).
(٤) وفي نسخة (انفتح).
(٥) وفي نسخة (والتزق الحائط).

ينفتح لنا قفل البيت فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلكَ أمرٌ من أمر الله تعالى[1]، ثم خرجَتْ في اليوم الرّابع، وعلى يدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثمَّ قالت: إنّي فُضّلتُ على من تقدّمني من النّساء، لأنّ آسية بنت مزاحم عبدَتِ الله سِرّاً في موضع لا يَحبُّ الله أن يُعْبَد فيه إلّا اضطراراً، وأنّ مريم بنت عمران هزّت النّخلة اليابسة بيدها حتّى أكلت منها رطباً جنيّاً، وإنّي دخلتُ بيتَ الله الحرام فأكلتُ من ثمار الجنّة وأوراقها، فلمّا أردتُ أن أخرج هتف بي هاتف وقال: يا فاطمة، سمّيه عليّاً فهو عليّ، والله العليُّ الأعلى يقول: شققتُ إسمه من إسمي، وأدّبته بأدبي، وأوقفته على غامِض علمي. وهو الذي يكسر الأصنامَ في بيتي. وهو الّذِي يؤذّن فوقَ ظهر بيتي، ويقدّسني ويمجّدني. فطوبَى لمن أحبَّه وأطاعه. وويلٌ لمن أبغَضَهُ وعصاه. قالت: فولدتُ عليّاً، ولرسول اللّهِ ثلاثون سنةً، وأحَبَّهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبّاً شديداً. وقال لها: اجعلي مهدَهُ بقرب فراشي. وكانَ صلى الله عليه وآله وسلم يلي أكثر تربيته. وكان يُطهّر عليّاً في وقت غسله، ويوجرُهُ اللّبن عند شربه، ويحرّك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظتِهِ، ويحمله على صدره ورقبته، ويقول: هذا أخي ووليي وناصري وصفيي وذخري وكهفي وصهري وزوج كريمتي وأميني على وصيّتي وخليفتي. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحمله دائماً ويطوف به جبال مكّة وشعابها وأوديتها وفجاجها[2].

وهذا أحمد بن عبدالرَّحيم الدّهلوي في كتابه (إزالة الخفاء) يقول: تواترتِ الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّاً في جوف الكعبة، فإنّه ولد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عامِ الفيل بثلاثين سنة في الكعبة، ولم يولد فيها أحد سواه قبله ولا بعده[3].

وقال شهاب الدّين الألوسي في شرح القصيدة العينيّة لعبد الباقي أفندي

---

(١) وفي نسخة (عزّ وجلّ).

(٢) وروى هذا الحديث صاحب (إرشاد القلوب) للدّيلمي، جـ٢ ص ٥ ـ ٦، وكتاب (كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين) للحلّي، ص ٥.

(٣) الغدير: للأميني، جـ٦ ص ٢٢.

العمري عند قول النّاظم:

أنت العليّ الذي فوق العلا رفعا   ببطن مكّة عند البيتِ إذ وُضِعا

وكون الإمام كرّم الله وجهه وُلِدَ في البيت أمرٌ مشهور في الدُّنيا. وذُكِرَ في كُتب الفريقين السّنة والشيعة. قال عبد الباقي العمري:

وأنتَ أنتَ الذي حُطّت له قدمٌ   في موضعٍ يده الرَّحمٰن قد وَضَعا

وقيل: أحَبَّ عليه الصّلاة والسّلام (يعني عليّاً) أن يكافىء الكعبة حيث وُلِدَ في بطنِها، بوضع الصّنم عن ظهرها. وإلى هذا المعنى أشار العلاّمة السيّد رضا الهندي بقوله:

لمّا دعاكَ الله قِدُماً لأنْ   تولدَ في البيتِ فلبَّيْتَهُ

شكرتَهُ بين قريش بأن   طهَّرتَ من أصنامِهِمْ بيتَهُ

ذكر الولادة في البيتِ واعتبرَها من الفضائل «مروج الذهب» جـ ١ ص ٢ للمسعودي. وتذكرةِ «خواص الأمة» ص ٧ لابن الجوزي. والفصول المهمَّة ص ١٤ لابن الصَّباغ المالكي، والسّيرة النَّبوية جـ ١ ص ١٥٠. للحلبي، وشرح الشفا جـ ١ ص ١٥١ للشيخ علي القاري الحنفي، ومطالب السُّؤل ص ١١ لأبي سالِم الشّافِعي، ومحاضرة الأوائِل ص ١٢٠ للشّيخ علاء الدّين السّكتواري، ومفتاح النَّجا في مناقب آل العبا للميرزا محمّد البدخشي، وكفاية الطالب ص ٣٧ شيخ حبيب الله الشّنقيطي، وكتاب (الحسين) جـ١ ص١٦ للسَّيِّد علي جلال الدِّين وغيرهم يذكرهم الحبر العلم الحجّة الشّيخ عبد الحسين أحمد الأميني.

وممَّن ذكر ولادة الإمام خمسون مؤلّفاً من مؤلّفي الشّيعة، عدا الشّعراء الّذين ذكروا ذلك في قصائدهم. فراجع ذلك في الجزء السّادس من كتاب الغدير من ص ٢١ حَتّى ٣٨. ففيه الكفاية للمستزيد.

ونحن نذكر منهم على سبيل المثال الشّاعِر الحجَّاج ميزرا إسماعيل الشّيرازي من قصيدة موشّحة في المولد المقدَّس. منها:

هذه فاطمةُ بنتُ أسَدْ   أقبلَتْ تحملُ لاهوتَ الأبَدْ

فــاسجــدوا ذُلّاً لــه فيـمن سجَــدْ فــله الأمــلاكُ هــزَّتْ سُــجُــدا
إذا تــجــلّى نــوره فــي آدَمِ
هــل درَت أُمّ الــعــلا مــا وضـعَـتْ أم درت ثــدي الهُـدَى مـا أرضَعَتْ
أم درت كـفّ الـنُّـهى مـا رفـعَـتْ أم درى ربّ الــحــجـا مـا وَلَـدا
جَــلَّ مــعــنــاه فــلمّــا يــعــلم
ســيّــدٌ فــاق عُــلاً كــلّ الأنــامْ كــان إذ لا كــائِـنٌ وهــو إمــامْ
شــرَّف الله بــه الــبيــت الــحــرامْ حــيـن أضـحـى لـعـلاه مـولِـدا
فــوطــا تــربــتَــه بــالــشَـدَمِ
إن يــكـن يــجـعــل لله الــبنــون وتــعــالَى الله عــمّــا تــصِــفــون
فــوليــد البيتِ أحــرى أن يكــون لــولــيّ الــبــيــت حــقّــاً وَلَــدا
لا عُــزَيْــرٌ لا ولا ابــنُ مــريــم
سبق الكــون جميعاً في الــوجــودْ وطــوى عــالَـمَ غيــبٍ وشُــهــودْ
كــلّ ما في الكــون من يمنـاه جــود إذ هــو الــكــائـن لِــلّه يــدا
ويــدُ الــلّهِ مــدِرُّ الأنْــعَــمِ

ومنهم الشّاعر علي الشّقي اللّكهنوي الهندي. نذكر هنا من موشّحته في الميلاد الشّريف منها:

أم أشــار البيـتُ بـالكفّ ادخُـلي واطـمئِـنّـي بــالإلّــه الــمــفــضــلْ
فــهــنــا يــولــد ذو الــعليـا عــلي مَنْ بــه يحظى حــطيمي والمقــامْ
ويــنــال الــركــن أعــلى الــرُّتــبِ
دخــلَتْ فــاطِــمُ فــارتــدَّ الــجــدارْ مثلمــا كــان ولــم يكـشف ستــارْ
إذ تجلّى النّــور وأنجــاب السّــرار عـن سنــا بــدرٍ بــه يجلو الــظّلامْ
والــورى يــنــجــو بــه مــن عــطب
عــرف الله ولا أرضٌ ولا رفــعــت ســبــع طــبــاق ظَــلَلا
فــلذا خــرَّ ســجــوداً وتــلا كــلّ مـا جـاء إلى الرُّســل الكــرامْ
قــبــلَهُ مــن صُــحُــفٍ أو كُــتُــب

وقال العلّامة الكبير الشيخ حسين نجف من قصيدةٍ علويَّةٍ:

جَــعَــلَ الله بــيــتــه لــعــليّ مــولِــداً يــا لــه عُــلاً لا يضــاهَى

لم يشاركه في الولادة فيه سيّد الرُّسْل لا ولا أنبياها
عَلِمَ اللّهُ شوقه لعليّ علمَهُ بالّذي به من هواها
إذ تمنَّتْ لقاءَهُ وتمَنَّى فأراها حبيبَهُ وأراها

وهذا إيليا أبو ماضي ينوّه في قصيدته المقفّاة بـ (لستُ أدري) بميلاد أمير المؤمنين قائِلاً:

وإذا نبّهني عاطفة الحبّ الدّفينْ وتظنّنْتُ وظنّ الألمعي غير اليقينْ
إنّه ميلاد مولانا أمير المؤمنين فَدَعِ الجاهِلَ والقولَ بأنّي ـ لستُ أدري
لم يكن في كعبة الرّحمن مولودٌ سواه إذ تعالى في البرايا عن مثيلٍ في علاه
وتولّى ذكره في محكم الذكر الإلّه أيقول الغرُّ فيه بعد هذا ـ لست أدري
أقبلَتْ فاطمة حاملة خيرَ جنينْ جاء مخلوقاً بنور القدس لا الماء المهينْ
وتردّى منظر اللاّهوت بين العالمينْ كيف قد أودِعَ في جنبٍ وصدرَ ـ لست أدري
أقبلَتْ تدعوه قد جاء بها داء المخاض نحو جذع النخل من ألطاف ذي اللّطف المفاضْ
فدعت خالقها الباري بأحشاءٍ مراضْ كيف ضجَّتْ كيف عجَّتْ كيف ناحت ـ لست أدري
لَسْتُ أدري غير أنّ الباب قد ردّ الجوابْ بابتسامٍ في جدارِ البيتِ أضحى من بابْ
دخلَتْ فانجاب فيه البشر عن محض اللّباب إنما أدري بهذا غير هذا ـ لستُ أدري
كيف أدري؟ وهو سرٌّ فيه قد حار العقولْ حادث في اليوم لكن لم يزل أصل الأصولْ
مظهرٌ للّهِ لكِنْ لا اتّحاد لا حلولْ غاية الإدراك أن أدري بأنّي ـ لستُ أدري
وُلِدَ الطّهر عليٌّ من تسامى في علاه فاهتدى فيه فريقٌ وفريقٌ فيه تاهْ
ضلّ أقوام فظنّوا أنّه حقاً إلّه أم جنون العشق؟ هذا لا يجازي ـ لست أدري

لذلك فولادة الإمام في بيتِ الله فضيلَةٌ فضَّله الله بها على سائر خلقه. يؤيّد ذلك ما رواه صاحب كتاب (المناقب) مسنداً إلى صعصعة بن صوحان أنّه دخل على أمير لمؤمنين عليه السلام لمّا ضُرِبَ فقال: يا أمير المؤمنين أنتَ أفضَلُ أم آدم أبو البشر؟ قال علي عليه السلام: تزكية المرء نفسه قبيح. لكن قال الله تعالى لآدم: ﴿يا آدم اسكُنْ أنتَ وزوجك الجنّة وكُلَا منها رغداً حيثُ شئتُما ولا تقربا هذه الشجَرَةَ فتكونا من الظّالمين﴾(١). وأنا أكثر الأشياء أباحها لي وما

(١) سورة البقرة: آية ٣٥.

قارَبْتُها. ثم قال: أنتَ أفْضَل يا أمير المؤمنين أم نوح؟ فقال علي ﷺ: إنّ نوحاً دَعا علَى قومه، وأنا ما دعوتُ على ظالمي حَقّي. وابن نوح كان كافِراً، وابنايَ سيدا شباب أهلِ الجنّة. قال: أنتَ أفضل أم موسى؟ قال ﷺ: إنّ الله أرسل موسى إلى فرعون فقال: ﴿ولهم عليَّ ذَنْبٌ فأخاف أن يقتلون﴾[1] حتّى قال الله تعالى: ﴿لا تَخَفْ إنّي لا يخافُ لدي المرسلون﴾[2]. وقال: ﴿ربِّ إني قتلتُ منهم نفساً فأخاف أن يقتلون﴾[3] وَأنا ما خفتُ حين أرسلني رسول الله ﷺ بتبليغ سورة براءة أن أقرأها على قريش في الموسم، مع أنّي كنتُ قتلتُ كثيراً من صناديدهم، فذهبتُ بها إليهم، وقرأتها عليهم وما خفتهُم. ثمَّ قالَ: أنت أفضلُ أم عيسى بن مريم؟ قال: عيسى بن مريم كانت أُمّه في بيت المقدس، فلمّا جاء وقت ولادتها سمعَتْ قائِلاً يقول: أُخرجي هذا بيت العبادة لا بيت الولادة. وأنا أُمّي فاطمة بنت أسد لَمّا قَرُبَ وضع حملها كانت في الحرم. فانشَقَّ حائط الكعبة، وسمعت قائِلاً يقول: ادخلي. فدخلت في وسط البيت، وأنا ولدتُ به. وليس لأحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي[4].

وكما أنّ بعضَ الرّهبان بَشّر بولادة نبيّ هذه الأمّة، كذلكَ بشّر بعضهم بولادة وصيّه ووليّه.

فعن جابر بن عبدالله قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن ميلاد علي بن أبي طالب، فقال: لقد سألتني عن خير مولودٍ وُلِدَ في شبيه المسيح عليه السّلام. إنّ الله تبارك وتعالى خلق عليّاً من نوري، وخلقني من نوره، وكِلانا من نور واحد. ثمَّ إنّ الله عزَّ وجلَّ نقلنا من صلب آدم عليه السَّلام في أصلابٍ طاهرة إلى أرحامٍ زكية. فما نُقِلْتُ من صلبٍ إلاّ ونُقِلَ عليٌّ معي. فلم نزل كذلكَ حتّى استودَعني خير رَحِم وهي آمنة، واستودَعَ عليّاً خير رحمٍ، وهي

---

(١) سورة الشعراء: آية ١٤.
(٢) سورة النمل: آية ١٠.
(٣) سورة القصص: آية ٣٣.
(٤) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي الجزائري، جـ ١ باب ١ ص ٢٨ - ٢٩.

فاطمة بنت أسد. وكان في زمانِنا رَجُلٌ زاهِد عابدٌ يقال له المبرم بن دُعَيْب بن الشّقبان قد عبد الله تعالى مائتين وسبعين سنَةً، لن يسأل الله حاجة. فبعثَ الله أبا طالب فلمّا أبصرَهُ المبرم قام إليه وقبَّلَ رأسه، وأجلسه بين يديه. ثمّ قال له: مَنْ أنت؟ فقال: رجلٌ من تهامة. فقال: من أيّ تهامة؟ فقالَ: من بني هاشم. فوثب العابد، فقبَّلَ رأسَهُ، ثم قال: يا هذا إنّ العليّ الأعلى ألهمني إلهاماً. قال أبو طالب: وما هو؟ قال: ولدٌ يولَدُ من ظهرك، وهو وَليٌّ الله عزّ وجَلَّ. فلمّا كانت اللَّيلة التي وُلِدَ فيها علي أشرقَتِ الأرض، فخرج أبو طالب وهو يقول: أيّها النّاس وُلِدَ في الكعبة وليٌّ الله. فلمّا أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يا ربِّ هذا الغَسقِ الدُّجِيّ ... والقمر المنبلج المضيّ
بيِّنْ لنا من أمرِكَ الخفِيّ ... ماذا ترى في اسم ذا الصَّبِيّ

قال: فسمع صوتُ هاتف يقول:

يا أهلَ بيتِ المصطفى النَّبي ... خُصِّصْتُمَ بالولد الزَّكِيّ
إنّ اسمه من شامخ العليّ ... عليّ اشتُقَّ من العليّ

أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في «كفاية الطّالب» ص ٢٦٠ وقال: تفرَّدَ به مسلم بن خالد الزّنجي، وهو شيخ الشَّافِعِي. وتفرَّد به عن الزّنجي عبدالعزيز بن عبد الصَّمد، وهو معروف عندنا[1].

أمّا أصل عليّ وحقيقته ومعدنه فمن نور ذات الباري عزّ وجَلّ، لأنَّ أوَّل مُبْدِعٍ أبدعه الله هو محمّد، وإليه الإشارة بقول القائِل: «الصَّلاَة وَالسَّلام عليكَ يا أوَّل خلق الله» كما تصادِفنا كثيراً في كتب السّيرة. فمحمّد هو الواحد الّذِي صدر عن الأحد. وهو النّور الأوَّل الذي أشارَ إليه بقوله ﷺ: «أوَّل ما خلق الله نوري، ثم فتق منه نور علي، فَلَمْ نزَلْ نتردَّد في النّور حتّى وصلنا إلى حجاب العظمة في ثمانين ألف سنة، ثمَّ خلق الخلائق من نورنا. فنحن

(١) الغدير: للشيخ الأميني، جـ٧ ص ٤٤٧.

صنائع الله. والخلق مصنوعون لأجلنا. فمحمّد وعلي خُلِقا من جلال ذي الجلال. فهما صفة الله وكلمة الله وأمر الله، وجميع الملائكة خلقوا من شعاع نور محمد وعليّ».

وإذا كَبُرَ عليك أيها القارىء هذا الأمر فهذا دليل على أنّك لم تَسْمُ إلى الحقيقة الّتي هي ضالّة المؤمن. فمتى عرفتها زال عنك الكثير ممّا كنتَ تستكبره على عليّ، مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: «بأنّ حبّه حبّه، وبغضَهُ بغضُهُ، وأذاهُ أذاهُ، وحربَه حربُهُ، وسلمَهُ سلمُهُ، وطاعتَهُ طاعتُهُ»، وعندئذٍ تعرِفُ الخطأ الكبير الذي وقع به الكثير في شأن عليّ، حيثُ أخذَ بعضُهُم ينظرون إلى عليّ نظرتهم إلى الآخرين. فما عليٌّ بنظرهم إلاّ مثل أبي بكر وعمر وعثمان. وهذا هو الخطأ الكبير والجهل الفاضح في معرفتهم لعليّ، لأنّ عليّاً نور من نور الله، فمن قاسَهُ بغيرِهِ فقد وضع من رفعه الله، ورفع من وضعه الله. فعليٌّ بعد نبيّه لا يقاس بأحدٍ من النّاس، فالأصل واحد والنور واحد. وهذه بعض الأدلّة من كتب الفريقين:

ففي المناقب للخوارزمي المكي الحنفي يقول: وأخبرني شهردار هذا إجازة، أخبرني عبدوس بن عبدالله بن عبدوس الهمداني كتابة، حدَّثني أبو الحسن علي بن عبدالله، حدَّثني أبو علي محمّد بن أحمد العطشي، حدثني أبو سعيد العدوي، حدَّثني الحسن بن علي، حدَّثني أحمد بن المقدَّم العجلي، حدَّثني أبو الأشعث، حدَّثني الفضيل بن عياض، عن ثور بن يزيد، عن خالِد بن معدان، عن زادان عن سلمان قال: سمِعْتُ حبيبي المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «كنتُ أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عزَّ وجَلَّ مطبقاً يسبِّح الله ذلك النّور ويقدّسه، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام. فلمّا خلق اللهُ آدمَ ركّب ذلك النّور في صلبه. فلم يزل في شيءٍ واحد حتّى افترقا في صلب عبدالمطلب، فجزءٌ أنا وجزء علي بن أبي طالب»[1].

---

(١) كتاب (المناقب) للخوارزمي، ص ٨٨ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدرية.

وأخبرَني شهردار هذا إجازة، أخبرني أبو الفتح عبدوس بن عبدالله بن عبدوس الهمداني كتابةً، حدَّثني الشّريف أبو طالب الجعفراني. حدَّثني ابن مردويه الحافظ. حدَّثني إسحٰق بن محمّد بن علي بن خالد. حدّثني أحمد بن زكريّا. حدَّثني ابن طهمان. حدَّثني محمّد بن خالد الهاشمي. حدَّثني الحسن بن إسماعيل بن حمّاد عن أبيه، عن زياد بن المنذر، عن محمّد بن علي بن الحسين عن أبيه، عن جدّه. قالَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كنتُ أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ من قَبْلِ أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله تعالى آدَمَ سلك ذلك النّور في صلبه، فلم يزل الله تعالى ينقله من صلبٍ إلى صلب حتى أقرَّهُ في صلب عبدالمطّلب، فقسمه قسمين: قسماً في صلب عبد الله، وَقسماً في صلب أبي طالب. فعلي منّي وأنا منه. لحمه لحمي ودمه دمي. فمن أحبَّه فبحبّي أحبَّهُ، ومن أبغضَهُ فببغضي أبْغَضَهُ»[1].

وفي المفيد عن علي بن الحسن البصري، عن أحمد بن إبراهيم، عن محمَّد بن علي الأحمر، عن نصر بن علي، عن عبدالوهّاب بن عبدالحميد عن حميد، عن أنَسَ بن مالك قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «كنتُ أنا وعلي على يمين العرش نسبّح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام. فلمَّا خلق آدم جعلنا في صلبه. ثم نقلَنا من صلب إلى صلب في أصلاب الطّاهرين، وأرحام المطهَّرات حتّى انتهينا إلى صلب عبدالمطّلب. فَقَسَمنا قسمين، فجعل في عبد الله نِصْفاً، وفي أبي طالب نِصْفاً، وجعل النبوَّة والرّسالة فيَّ، وجعل الوصيَّة والقضيَّة في عليّ. ثمَّ اختارَ لنا اسمين اشتقّهما من أسمائه. فالله محمود وأنا محمّد. والله العليُّ وهذا عليّ. فأنا للنبوّة والرّسالة، وعلي للوصيَّة والقضيّة»[2].

وعن ابن الوليد عن محمّد بن خالِد الهاشمي، عن الحسن بن حماد

---

(١) المناقب: للخوارزمي أيضاً، ص ٨٨.

(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٨.

البصري عن أبيه، عن أبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كنتُ أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام، فلمّا خلق الله آدم سلك ذلك النّور في صلبه، فلم يزل الله عزّ وجَلّ ينقله من صلب إلى صلب حتّى أقرّه في صلب عبدالمطلّب، ثم أخرجه من صلب عبدالمطّلب، فقسّمَهُ قسمين، فصيّر قسمي في صلب عبدالله، وقسم عليّ في صلب أبي طالب، فعليٌّ مني وأنا من عليّ. لحمه من لحمي، ودمُهُ من دمي. فمن أحبَّهُ فبحبّي أحبُّهُ، ومن أبغَضَهُ فبِبُغْضِي أبغضُهُ»[1].

وأخرج أبو الحسن علي بن محمّد المعروف بابن المغازلي الواسطي الشّافعي في كتابه «المناقِب» بسنَدِهِ عن سلمان الفارسي قال: سمعتُ حبيبي محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «كنتُ أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ يسبّح الله ذلك النّور ويقدّسه، قبل أن يخلق الله آدمَ بأربعة عشر ألف عام. فلمّا خلق آدم أودع ذلك النّور في صلبه. فلم نزل أنا وعلي شيئاً واحِداً حتّى افترقنا في صلب عبدالمطّلب. ففيَّ النبوّة، وفي علي الإمامة»[2].

وبالإسناد إلى دارم، عن الرّضا، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ خُلِقَ النّاس من شجرٍ شَتّى، وخُلِقت أنا وأنتَ من شجرة واحدةٍ، أنا أصلها وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، وشيعتنا ورقها. فمن تعلّق بغصنٍ من أغصانها أدخلَهُ الله الجنّة»[3].

وأخرج الحمويني في كتابه (فرائد السّمطين) بسندِهِ عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر الباقر عن أبيه، عن جدّه الحسين، عن علي بن أبي طالب، سلام الله عليه، عن النّبي صلّى لله عليه وعليهم، قال: «كنتُ أنا وأنتَ يا عليّ نوراً بين يدي الله تبارك وتعالى من قبل أن يخلقَ الله آدمَ بأربعة عشر ألف

---

(١) أيضاً بحار الأنوار، جـ ٩ ص ٨.

(٢) ينابيع المودة: للقندوزي، جـ ١ ص ١٠. وأخرجه أيضاً الديلمي في كتابه (الفردوس) عن سلمان.

(٣) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٦.

عام. فلمّا خلق آدمَ سلكَ ذلك النّور في صلبه، فلم يَزَلْ ينقله من صلبٍ إلى صلب حتّى أقرَّهُ الله في صلب عبدالمطلب، ثمَّ قسّمَهُ قسمين، فأخرج قسماً في صلب أبي عبدالله، وقسماً في صلب عمّي أبي طالب. فعليّ منّي وأنا منه، لحمه لحمي، ودمه دمي»[1].

ومن ذلك ما رواه محمد بن سنان، عن ابن عباس، قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له النّبي مرحباً بمن خلقه الله قبل أبيه آدم بأربعين ألف سنة. قال: فقلنا: يا رسول الله، أكان الابن قبل الأب؟ فقال: نعم. إنّ الله خلقني وعليّاً من نور واحد قبل خلق آدم بهذه المدة. ثمّ قسمه نصفين، ثم خلق الأشياء من نوري ونور علي، ثمَّ جعلنا عن يمين العرش، فسبَّحْنا فسبَّحَتِ الملائكة، وهلَّلنا فهلَّلوا، وكبَّرنا فكبَّروا، فكلُّ من سَبّح الله وكبَّره فإنَّ ذلك من تعليمي وتعليم علي»[2].

لذلكَ لا يجوز لأيّ كاتب أن يقارن بين عليّ وغيره من النّاس مهما عظموا وسموا. وإلى هذا أشار الإمام علي عليه السلام بقوله: لا يقاسُ بآل محمّد صلّى الله عليه وآله من هذه الأمّة أحد. ولا يُسَوَّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساسُ الدّين وعماد اليقين. إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي. ولهم خصائِص حق الولاية، وفيهم الوصيَّة والوراثة[3].

ومن ذلكَ ما رواه أبو سعيد الخدري قال: خطب أمير المؤمنين عليه السَّلام، فقال: أيها النّاس نحن أبواب الحكمة، ومفاتيح الرَّحمة، وَسادة الأُمّة، وأُمناء الكتاب، وفصل الخطاب، بنا يثيبُ الله، وبنا يعاقب، ومن أحبَّنا أهلَ البيت عظم إحسانه، ورجح ميزانه وقبل عمله، وغفر ذلله. ومن أبغضَنا لا ينفع إسلامه، وإنّا أهلُ بيتٍ خصَّنا الله بالرّحمة والحكمة والنبوَّة والعصمة.

---

(١) ينابيع المودة: للقندوزي، جـ١ ص ١٠، وأخرج هذا الحديث بلفظه موفق الخوارزمي.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٤٦.

(٣) نهج البلاغة، جـ١ ص ٢٥، مطبعة الاستقامة.

ومنّـا خاتم الأنبيـاء. ألاّ وإنّا رايـة الحق التي من تلاهـا سبق، ومن تأخّـر عنها مرق. ألاّ وإنّنا خيرة الله اصطفانا على خلقه، وأئمتنا على وحيه. فنحن الهداة المهديُّون. ولقد علمت الكتاب. ولقد عهد إليَّ رسول الله صلّى الله عليه وآلـه ما كان وما يكون. وأنا أخو رسول الله، وخازن علمه، أنا الصّـديق الأكبر، ولا يقولها غيري إلاّ مفترٍ كذّاب، وأنا الفاروق الأكبر[1].

ومن ذلـك ما روي عن ابن عبّـاس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ اللّه نصّب عليّاً علماً بينه وبين خلقه. فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكـره كان كـافِراً، ومن جهله كان ضالاًّ، ومن سـاواه بغيره كـان مشرِكـاً. ومن جاء بـولايته كـان فائـزاً ودخل الجنَّة آمِناً، ومن جاء بعداوته دخلَ النَّار صاغراً[2].

فكيفَ يساويه أحـد من النّاس؟ وهـو النّور القـديم المبتدع قبـل الأكوان والأزمـان، المسبّح لله ولا فمٌ هنـاك ولا لسان. أليس كـان في عالم النّـور قبل الأزمان والدّهـور؟ أليس كان في عـالَمِ الأرواح قبل خلق الأجسـام. هذا هـو علي بن أبي طالب. فإذا وُلِدَ في بيت الله الحرام، فهو من نور الله. وهل ينكر هذه الولادة وهذا النّور إلاّ كلّ شقيٍّ؟

ولقد أبدع الشّاعِر المفلق عبد الباقي أفندي العمري في قوله:

يـا أبـا الأوصيـاءِ أنـتَ لِـطَهَ ... صـهـره وابـن عـمّـهِ وأخـوهُ
إنّ لِـلّهِ فـي مـعـانِـيـكَ سـرّاً ... أكـثـر الـعـالـمـيـن مـا عـرفـوهُ
أنت ثـاني الآبـاء في منتهى الـدّو ... رِ وآبـاؤه تُـعَـدُّ بـنـوهُ
خـلق الله آدمـاً مـن تـرابٍ ... فـهـو ابـنٌ لـه وأنـتَ أبـوهُ

أمّا أمّه فهي فـاطمة بنت أسـد بن هاشم بن عبـد مناف، تجتمـعُ مع أبي طالب في هاشم جدّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم. أسلمت وهاجرت مع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم. وهي أوّل هاشميّة ولدت هاشمِيّاً. وكان الرّسول الأعظم يعتبرهـا بمثابـة أمه. لـذلك

(١) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٦٠.
(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٦١.

عند موتها كفَّنها بقميصه. وأمر صلى الله عليه وآله وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطّاب وغلاماً أسود، فحفروا قبرها بالبقيع. فلمَّا بلغوا لحدها حفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده، وأخرج ترابه. فلما فرغ اضطجَعَ فيه وقال: اللهمَّ اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد، ولَقّنْها حجَّتها، ووسّعْ عليها مدخلها بحقّ نبيّكَ محمّد والأنبياء الَّذِينَ من قبلي فإنَّك أرحم الرَّاحمين. فقيل: يا رسولَ الله رأيناك صنعتَ شيئاً لم تكن صنعتَهُ بأحدٍ قبلها. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ألبستها قميصي لتلبَس من ثياب الجنَّة، واضطجعْتُ في قبرها ليخفّف عنها من ضغطةِ القبر، لأنّها كانت أحسنَ خلقِ الله تعالى صنعاً إليَّ بعد أبي طالب»[1].

أمّا أبوه فأبو طالب ـ واسمه عبد مناف ـ ابن عبد المطّلب ـ وَاسمه شيبة الحمد ـ ابن هاشم ـ واسمه عمرو ـ ابن عبد مناف بن قصَي، فأبو طالب كان من المجاهدين في الطليعة، ومن رسل الإنسانية وهداتها. ولكنّ الأهواء أثَّرت على الأقلام المأجورة، فألْقَتْ على الحقيقة ستاراً كثيفاً، وغيَّرت مجرى التَّاريخ، وَوُضِعَتِ الأحاديث، واختلقَتْها، وإذا هي سلعة رائجة السُّوق، وكثر الوضّاعون[2].

فأبو طالب لو لم يكن أباً لعليّ لما ناله من البلاء شَيْءٌ. فعليٌّ هو سبَبُ البلاء لوالده. ولقد نشأ أبو طالب في بيت عبد المطّلب. هذا البيت الّذِي نشأ على ملَّة إبراهيم، فهو امتدادٌ له. فعبد المطَّلب هو السَّخِي الجواد، والرَّجل المهيب الّذِي كان يطعم الوحش والطّيور، وهو مجابُ الدَّعوة، وقد حرَّم الخمر على نفسه، ونكاح المحارم، وحرَّم الزّنَى، وقطَعَ يد السَّارق، ونهى عن الموؤدة، ونهى عن الاستقسام بالأزلام، وسَنّ الوفاء بالنَّذر. فلمّا جاء الإسلام أقرَّ هذه السُّنَن. وعبد المطّلب لم يسجد لصنم. وهو أوَّل من تحنَّث بغار

---

(١) راجع كتاب (المناقب): للخوارزمي الحنفي، ص ١٣ ط ١٩٦٥ تجد بحثاً ضافياً عنها رحمها الله. وتذكرة سبط ابن الجوزي، ص ١٢ و١٣ ط ٢، المطبعة العلمية في النّجف.

(٢) راجع كتاب (أبو طالب) مؤمن قريش: للخنيزي، ففيه أبحاث هامّة.

حراء. ولمّا أُصيبت قريش بالجفاف والجدب وَانقطاع الغيث توسَّلت قريش إلى عبد المطَّلب أن يدعو ربَّه لإرسال الغيث، فَقِبلَ الله دعاءه، وجادت السَّماء عليهم بالمطر الغزير. وكان يعرف أنّ ولده محمّداً سيصبح نبيَّ هذا الأمَّة. وظهرت لديه عدّة دلالات، وقد نوَّه عن ذلك. فعبد المطلب، وهو الزّعيم المهاب والمعظّم في قريش، والمطاع بين العرب. يُفْرَش له حول الكعبة، فتحف حوله رؤساء قريش دون أن يستطيع واحدٌ منهم أن يطأ طرفاً من فراش عبد المطّلب ـ بَلْهَ الجلوس وإياه عليه ـ فيجيء الطفل اليتيم محمّد فيتخطّى النّاس ويجلسُ بجانب جده، فيمنعه النّاس، فيقول لهم: دعوه إنّ له شأناً، وأحياناً يقول: «رُدّوا ابني إلى مجلسي!! فإنّه تحدّثه نفسه بملكٍ عظيم، وسيكون له شأن».

والأدلّة متوفّرة منها: إنّ سيف بن ذي يزن الحميري لما استرجَعَ مُلْكَ أبيه أخذت الوفود ترد عليه لتهنئته، وجاء وفدٌ من قريش بزعامة عبد المطّلب، واستمرّ عبد المطّلب في ضيافته شهراً، فأدنى منه عبد المطّلب ليلقي إليه بسرّ خطير، فقالَ: «إذا وُلِدَ بتهامة، غلامٌ بين كتفيه شامة. كانت له الإمامة. ولكنَّ به الزّعامة إلى يوم القيامة، إسمه محمّد. يموتُ أبوه وأمّه. ويكفلُهُ جدّه وعمّه!! والبيتِ ذي الحجب والعلامات على النّقب إنّك لجدُّهُ يا عبد المطّلب!! غير كذب. فخرَّ عبد المطلب ساجداً لربّه. ثم قال له: «مات أبوه وأمّه، وَكفلته أنا وعمّه»[1].

وفي رواية أُخرى طلب عبد المطلب من ابنه عبدالله أن يرحلَ معه إلى اليمن، وتوقّع خيراً قريباً بعد سماعه نبوءة كاهن حمير، وخلاصتها: نزل عبد المطّلب عند بعض عظماء حمير. فدخل عليها رجلٌ غريب، وأخذ يتفرَّس في وجه سيّد قريش، ويطيل التَّأمُّل فيه، ولمس شعرَهُ وملامح محيّاه. فصاحَ السَّيّد عبد المطلب منه، فقال صاحبه: هذا كاهِن من اليمن. قرأ كُتُبَ الأوائِلَ وله عِلمٌ. فقال له صاحبِ الدَّار: ماذا ترى؟ فقال: أرى ملكاً. فقال سَيّدَ

---

(١) كتاب (أبو طالب مؤمن قريش): للخنيزي.

الدّار: إنّه سيّد قومه. فقال: وأرى نبوءة إنّها في سيّد قريش، أو في أحد بنيه. فقال صاحبُ الدَّار: فأيُّهم يا رجل؟ فقال: في صاحب الغُرّة، أو في المصهر إلى زهرة. وكانت لعبد المطّلب في رأسه شيبة. لعلّ الكاهِن عناها بقوله: وكانَ عبدالله له زوجة اسمها آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة[1].

وللدَّلالَةِ على اهتمام عبد المطّلب بنبيِّ المستقبل قوله لولده أبي طالب عندما شارف على الموت:

أوصيكَ ـ يا عبد منافٍ ـ بعدي بموحَدٍ ـ بعد أبيه ـ فردِ

ثم أردف قائِلًا: وَصَّيْتُ من كنيَّتُهُ بطالب ـ عبد مناف ـ وهو ذو تجارب

فأجابه أبو طالب:

لا توصِني بلازمٍ وواجب إنّي سمعتُ أعجب العجائبِ
من كلِّ حبرٍ عالِمٍ وكاتب بان ـ بحمد الله ـ قول الرّاهبِ

ثمّ أوصى أبا طالب، وشدَّد عليه، وقال له: «واعلم فإن استطعتَ أن تتبّعه فافعَلْ، وانصره بلسانِكَ ويدكَ ومالِكَ، فإنَّه واللَّهِ يسودكم، ويملك ما لا يملك أحدٌ من آبائي. هل قبلْتَ؟ فأجابَهُ قد قَبِلْتُ، والله على ذلكَ شاهِد!!

في هذا البيتِ الطَّاهِر نشأ أبو طالب، وتربَّى على يد الزَّعِيم المهاب أبيه عبد المطّلب، وورث عنه صفاتِه الفذّة، فأصبح أهلًا لتربية نبيّ هذه الأمَّة، فنشأ الرَّسول تحت رعايته، وأصبح أبو طالب زعيم قريشٍ من جهة، وكفيل نبيّ هذه الأمَّة وراعيه وحاميه من جهة ثانية.

وكان أبو طالب يعرف أنّ ابن أخيه محمّداً سيصبح نبيّ هذه الأمَّةِ قبل أن يبعث وقد شاهد منه الكثير من الدَّلائِل منها:

أوّلًا ـ تفجير الماء: وذلك أنّ النبيَّ ﷺ كان مع عمّه أبي طالب، فعطش العم، فأخبر ابن أخيه بعطشه. فركض صخرة برجله، وقال شيئاً: فإذا

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب: لعبدالله بن عبد المقصود، جـ١ ص ٣٤ ـ ٣٥، مطبعة مكتبة مصر.

الماء يتدفّق، ولم يرَ مثله أبو طالب ـ كما حدَّث ـ فشرِبَ حتّى أطفأ لهبة الظّمأ، وعاد فركضها لتعود سيرتها الأولى[1].

ثانياً ـ مع العائف: وذلك أنّ رجلاً من لِهْب كان عائِفاً، فإذا قدم مكّة أتته رجال قريش بغلمانهم لينظر لهم ويعتاف (أي يتشاءم أو يتفاءل). وكان أبو طالب وابن أخيه معهم. فنظر العائف للرّسول، فَشُغِلَ بالنّظر إلى الرَّسول وقال: عَلَيَّ بالغلام. فخاف أبو طالب منه. فَغيّبه عن العائف، وهذا العائف يصيحُ: ويلكم ردّوا عليَّ الغلام الّذي رأيتُ آنِفاً. فوالله ليكونَنَّ له شأنٌ. وحقّاً إنّ أبا طالب كان يعرف أن لابن أخيه شأناً.

ثالثاً ـ إنّه المبارك: كان أبو طالب كثير العيال ومُقِلاًّ. وكان يأخذ القعب فيشربه واحد بمفرده، ولكنّه يبدأ بابن أخيه، ومنه يمرّ به إلى الآخرين فينتهي القعب. فيقول أبو طالب: إنّه لمبارك.

رابعاً ـ بحيرا الرّاهب: وذلك لمّا مرّ على الرّاهب بحيرا في بصرى مِن أرض الشّام. فأطلّ من صومعته، ولفت نظرُه غمامة تظلّ واحداً من هذا الركب. ولفت نظره مرة ثانيةً أنّ الشّجرة تظلّله، وعاد بذاكرته إلى كتابه المقدّس. فنزل من صومعته وعمل طعاماً للركب. وطلب من جميع الحاضرين من قريش أن يحضروا للطّعام. فانبرى له بعض المتعجّبين، لأنه لم يصنع ما صنعه اليوم. وأخذ يتفرّس في الغلام. وعاد الرّاهَب يسأل أبا طالب ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال الرّاهب: كلاّ! لأنّ أباه يجب أن يكون مَيتاً. قال: إنّه ابن أخي، ومات أبوه، وأمّه حامِلٌ. فقال له: صدقتَ، فارجع بابن أخيك إلى بلده، فيخشى عليه من اليهود، وإنّ له لشأناً عظيماً.

لقد كان أبو طالب مؤمِناً بابن أخيه منذ عهد أبيه عبد المطّلب، وَشاهَد منه الدلائل التي جعلته يخشى على ابن أخيه من النّاس، ولكنّه كتم إيمانه وإسلامه ليستطيع أن يؤدي رسالته تجاه ابن أخيه. وهل يعتقِد منصِف أنّ قائِل

---

(١) أبو طالب مؤمن قريش: للخنيزي وسبط ابن الجوزي في تذكرته. يروي هذا الحديث عن ابن سعد في الطّبقات.

هذه الأبيات كافر؟ عندما طلبت قريش من أبي طالب أن يسلّمهم محمّداً:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتّى أو سدّ في التّراب دفينا
فاصدَعْ بأمرِكَ ما عليكَ غضاضَةٌ وابشر بذاك وقُرَّ منك عيونا
ودعوتني وعلمتُ أنّك ناصحي ولقد صدقتَ وكنتَ ـ ثَمَّ ـ أمينا
ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمّدٍ من خير أديان البريَّةِ دِينا[1]

واستمع أيّها القارىء إلى من يسمّيه المغرضون والمتعصّبون كافراً، كيفَ يشهِد الله على نفسه أنّه على دين ابن أخيه وهو المهتدي:

يا شاهد الله! عَلَيَّ فاشهد إنّي على دين النّبي أحمد
من ضلّ في الدّين فإنّي مهتدي

ويقول أيضاً:

لقد أكرم الله النّبي محمّداً فأكرمُ خلقِ اللّهِ في النّاس أحمدُ
وشقّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمّد[2]

وَهَلْ رَجُلٌ هبَّ عليه نسيم الإنصاف يجرؤ على القول بأنّ قائِلَ هذا

---

(١) رواها الثعلبي في تفسيره وقال: لقد اتفق على صحة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل، وعبدالله بن عبّاس، والقسم بن محضرة، وعطاء بن دينار. راجع خزانة الأدب: للبغدادي ٢٦١/١، وتاريخ ابن كثير، جـ٣ ص ٤٢، وشرح ابن أبي الحديد، جـ٣ ص ٣٢٦، وتاريخ أبي الفداء، جـ١ ص ١٢٠، وفتح الباري، جـ٧ ص ١٥٣ وص ١٥٥، والإصابة، جـ٤ ص ١١٦، والمواهب اللدنية، جـ١ ص ٦١٠، والسيرة الحلبية، جـ١ ص ٣٠٥، وديوان أبي طالب، ص ١٢، وطلبة الطالب، ص ٥، وبلوغ الأرب، جـ١ ص ٣٢٥، والسّيرة النبويّة: لزيني دحلان، هامش السّيرة الحلبية، جـ١ ص ٩١ و٢١١، وتذكرة سبط ابن الجوزي، ص ٩ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ، منشورات المطبعة العلمية في النّجف.

(٢) أخرجه البخاري في تاريخه الصَّغِير، وأبو نعيم في دلائل النُّبوَّة، جـ١ ص ٢٧٥، وذكره له ابن أبي الحديد في شرحه، جـ٣ ص ٣١٥، وابن كثير في تاريخه، جـ١ ص ٢٦٦، وابن حجر في الإصابة، جـ٤ ص ١١٥، والقسطلاني في المواهب اللّدنية، جـ١ ص ٥١٨، نقلاً عن تاريخ البخاري، والدّيار بكري في تاريخ الخميس، جـ١ ص ٢٥٤، راجع الغدير: للأميني، جـ٧ ص ٣٣٥ .

البيت كافِر؟!!

أنت الــرّســول رســول الله نعلمــه عليــكَ نــزّل من ذي العــزة الكتبُ

ولمّا أتى يوم الإنذار وهو دعوة عشيرته والأقربين، دعاهم جميعاً، فوقف منه أبو لهب الموقف المعادي. فقال له عمّه أبو طالب الملقّب ببيضة البلد: قم يا سيّدي وتكلّم بما تحبّ، وبلّغ رسالة ربّك، فأنت الصادق الصدّيق. ولمّا اتّبعه علي قال أبو طالب لولده: أما إنّه لا يدعوكَ إلاّ إلى خير فالزَمْه، لأكبر دليل على إيمانه. ولكنّه استعمل التَّقيّة نصرة لرسوله، لأنّ في كتمان إيمانه نصراً لتحقيق النُّبوة، فلنلقِ نظرةً على شعره الذي يحثُّ به ولديه أن ينصرا ابن عمّهما قائلاً:

إنّ عليّاً وجعفراً ثقتي عند مُلِمّ الزّمان والنُّوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي - من بينهم - وأبي
واللّهِ لا أخذلُ النّبيّ ولا يخذله - من بَنِيَّ - ذو حَسَب

ومَرَّةً يهتف بأخيه الحمزة - أبي يعلى - ويدعوه لإظهار دين الله، فقالَ:

فصبراً - أبا يعلى - على دين أحمدٍ وكن مظهراً لِلدّين - وُفّقْتُ - صابراً
وَحُطْ من أتى بالحقّ من عند ربّه بصدقٍ وعزمٍ لا تكنْ - حمزُ - كافِراً
فقد سرَّني إذ قلتُ إنّكَ مؤمِنٌ فكن لرسولِ اللّهِ - في اللّهِ - ناصِراً
وبادِ قريشاً بالذي قد أتيتَهُ جهاراً وقل ما كان أحمدُ ساحِراً

فالرَّجل الذي يوصي أخاه الحمزة بنصرة الرَّسول بكلّ صدقٍ وإخلاص، وينهاهُ عن الكفر، هل يكون كافِراً؟ هذا لا يكون أبداً! ولكن لو لم يكن أبو طالب والدَ علي لما ناله من البلاء شيء. فعليٌّ هو سبب البلاء لأبيه.

لقد تأثّر رجل بأقوال بني أُميَّة الزَّائفة، وَلُبّسَ عليه الحق بالباطل المفترى. فقال لعلي: يا أمير المؤمنين!! إنّك بالمكان الّذي أنزلك الله عزّ

وجَلّ به وأبوكَ يُعَذَّب بـالنّار؟ فيجيبُـهُ ابن بيضة البلد: مَـهْ فضّ الله فاك! والذي بعث محمّداً ﷺ بالحق! لو شُفّع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم. أأبي يُعَذَّب بالنّار؟ وابنه قسيم الجنّة والنّار؟[1]. ثم قال: إنّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفىء أنوار الخلائق إلّا خمسة أنوار: نور محمّد، ونوري، ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين، ومن ولدتُه من الأئمة، لأنّ نوره من نورنا الذي خلقه الله تعالى من قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام[2].

ومرّةً أخرى يقول: واللّهِ!! ما عبد أبي ولا جدّي عبد المطّلب، ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قط!! فماذا كانوا يعبدون؟ كـانوا يصلُّون إلى البيت على دين إبراهيم.

هذه شهادة ابن بيضة البلد الّذي لا يميل عن الحق، وهو معه، لقول الرَّسول ﷺ: «علي مع الحقّ، والحقّ مع علي يدور معه حيثما دار».

وهذا رثاء أمير المؤمنين في أبيه، يدعو له ويرجو له رضوان الحقّ عزّ وجلّ قائِلًا:

أبـا طـالبٍ عصمـةَ المستجيـرِ ... وغيثَ المحـولِ ونـورَ الـظُّلَمْ
لقـد هَـدَّ فقـدك أهـلَ الحفـاظِ ... فـصلّى عـليـكَ وليُّ الـنِّعَـمْ
ولـقّـاكَ ربُّـكَ رضـوانَـه ... فقـد كنتَ للطّهـر من خيـرِ عَمْ[3]

وهذا جعفر بن محمّد سأله سائِلٌ، فقال له: إنّ النّاس يزعمون أنَّ أبا طالب في ضحضاح من نار! فقال الإمام الصّادِق: كذبوا!! ما بهذا نـزل جبرئيل، إنَّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرُّوا الإيمان وأظهـروا

---

(١) روى صاحب كتاب (مشارق أنوار اليقين): البرسي قائلًا: روي عن ابن عبّاس أن جبرئيل يجلسُ يوم القيامة على باب الجنّة فلا يدخلها إلّا من كان معه براءة من علي. لذلك فالورقة مضمونة لأبي طالب من ولده قبل أن يطلبه لو ثبت أنه غير مؤمن وحاشاه.

(٢) كشف الغمة: للأربلي، جـ٢ ص ٤١ ـ ٤٢.

(٣) تذكرة سبط ابن الجوزي، ص ١٢ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ.

الشّرك، فأتاهُمُ اللّه أجرهم مرّتين، وأنّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرتين.

وما خرج من الدُّنيا حتّى أتته البشارة من الله تعالى بالجنّة. ثم قال: كيفَ يصفونه بهذا؟ وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمَّد! اخرجْ مِنْ مكَّة، فما لكَ بها ناصِر بعد أبي طالب!!

وقد رُوِيَ عن علي بن محمّد الباقر عليه السَّلام أنّه سُئِلَ عمّا يقوله النّاس: إنّ أبا طالب في ضحضاحٍ من نار، فقال: لـو وضع إيمـان أبي طالب في كفّة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفّة الأخرى لرجح إيمانه. ثمَّ قال: ألم تعلموا أنَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان يأمـر أن يحجّ عن عبدالله وأبيه وأبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيَّتِهِ بالحجِّ عنهم.

أمّا حديث (الضَّحضاح) من النّار، فإنّما يرويه النّاس كلّهم عن رجل واحد هو المغيرة بن شعبة، وبغضُـهُ لبني هاشِم ـ وعلى الخصـوص لعلي عليه السلام ـ مشهور ومعلوم. وقصَّته وفسقه غير خاف.

وَمَنْ يجرؤ أن يصفه بالكفر، وأبياته الشعريّة تضجّ بالإيمان فهو يقول:

ألا أبـلغـا عَـنّـي عـلى ذات بـيـنـهـا ... لـؤيّـاً وخُصّـا مـن لؤيّ بـني كـعـب

إلى قوله:

ألـم تعلمـوا أنّـا وجـدْنـا محـمّـداً ... نبيّـاً كمـوسى خطَّ في أوّل الكتب(١)

فلو عرضنا هذه القصائد الّتي نظمها أبو طالب في نبيّ هذه الأمّة على رَجُلٍ نابه، ولم يعرف قائِلها. وطلبنا رأيه في قائِل هذه القصائد. وهل هو مسلِمٌ أم عابد صنم؟ لاستغربَ مِنّا كيف يخطر في ذهنِنا أنّه عابد صنم؟ فهو مِن أشدّ النّاس إيماناً بابن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم!!

---

(١) المراجع لهذه القصيدة سيـرة ابن هشام، جـ١ ص٣٧٣، وشـرح ابن أبي الحديـد، جـ٣ ص٣٦٣، وبلوغ الأرب، جـ١ ص٣٢٥، وخـزانـة الأدب: للبغـدادي، جـ١ ص٢٦١، والروض الأنف، جـ١ ص٢٢٠، وتاريخ ابن كثير، جـ٣ ص٨٧، وأنس المطالب، ص٦ و١٢، وطلبة الطّالب ص١٠.

ولكنّ المشكلة تتجلّى للباحث بأنه والد علي. لذلكَ فمن سَبَّ عليّاً وولديه الحسن والحسين وزوجته فاطمة على المنابر ألف شهر، والجماهير تؤمّنُ، فمن الغريب أن يقولوا بأنّ أبا طالب مؤمن!!

وإذا أردتَ أيّها القارىء مزيداً من الأدلّة على إيمان أبي طالب فقد روي عن الحسن العسكري مرفوعاً عن آبائه الأطهار أنّ الله تباركَ وتعالى أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّي قد أيّدتك بشيعتين: شيعة تنصرُكَ سِرّاً، وشيعة تنصرك علانيةً. فأمّا التي تنصرك سِرّاً فسيّدهم وأفضلهم عمّك أبو طالب. وأمّا التي تنصرك علانية فسيّدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب. ثمَّ قال: وإنّ أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه.

وهذا أبو ذرّ يقول: واللّهِ الّذي لا إلّه إلاّ هو!! ماتَ أبو طالب رضي الله عنه حتى أسلم.

وهذه بعض القصائد التي تدلّ على عظمة إيمانه بنبي هذه الأمة الإسلامية صلى الله عليه وآله وسلم:

أعوذ بربّ البيتِ من كلّ طاعِنٍ ... علينا بسوء أو يلوح بباطِلِ
ومن فاجرٍ يغتابنا بمغيبةٍ ... ومن ملحقٍ في الدّين ما لم نحاوِلِ

إلى قوله في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامَى عصمة للأرامِلِ
يلوذ به الهلاّكُ من آل هاشِمٍ ... فهم عنده في نعمةٍ وفواضِلِ
وميزان صدقٍ لا يخيس شعيرة ... ووزّان صدقٍ وزنه غير عائِلِ
ألم تعلموا أنّ ابننا لا مكذَّبٌ ... لدينا ولا يعبا بقول الأباطِلِ
لعمري لقد كلفتُ وجداً بأحمَدٍ ... وأحببتُهُ حبّ الحبيب المواصِلِ
وجُدتُ بنفسي دونه فحميتُهُ ... ودافعتُ عنه بالذُّرا والكواهِلِ
فلا زال للدُّنيا جمالاً لأهلِها ... وشيناً لمن عادى وزين للحافِلِ
وأيّده ربّ العبادِ بنصرهِ ... وأظهر ديناً حقّه غير باطِلِ[1]

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي، جـ ١٤ ص ٧٩ ط ١٩٦٢ م.

ومن شعره المنشود:

أنتَ النّبي محمَّدُ ... قرمٌ أعزُّ مسوَّدُ

إلى قوله:

ولقد عهدتُك صادِقاً ... في القول لا تتزيَّدُ
ما زلتَ تنطق بالصَّواب ... وأنتَ طفلٌ أمرد(1)

ومن شعره أيضاً:

أو تؤمنوا بكتابٍ منزلٍ عجب ... على نبيّ كموسى أو كذي النُّونِ
يأتي بأمرٍ جليّ غير ذي عوجٍ ... كما تبيَّنَ في آياتِ ياسينِ(2)

ومن شعره الذي يدلّ على قوة إيمانِهِ، وشدّة نضاله للحفاظ على نبيّ هذه الأمَّةِ.

قوله:

يُرَجُّون مِنّا خطّةً دونَ نيلِها ... ضِرابٌ وطعن بالوشيج المقوَّمِ
يُرَجُّون أن نسخي بقتلِ محمَّدٍ ... ولم تختضِبُ سمر العوالي مِنَ الدَّمِ
كذبتم وبيتِ اللّهِ حتّى تغلِقوا ... جماجم تُلْقى بالحطيم وزمزمِ
وتُقْطَع أرحامٌ وتنسى حليلَةٌ ... حليلاً ويُغْشَى محرم بعد محرَمِ
على ما مَضَى من مقتكم وعقوقكم ... وغشيانِكم في أمركم كلَّ مأثَمِ
وظلم نبيّ جاء يدعو إلى الهدى ... وأمْرٍ أتى من عند ذي العرشِ قَيِّمِ
فلا تحسبونا مُسْلِميه فمثلُهُ ... إذا كان في قومٍ فليس بمسلم(3)

وروي أنّ رجلاً من رجالِ الشّيعة، وهو أبان بن محمود كتب إلى علي بن موسى الرّضا عليه السلام ، جعِلْتُ فداك. إنّي قد شككتُ في إسلام أبي طالب، فكتبَ إليه: ﴿ومن يشاقق الرّسولَ من بعدما تبيَّنَ له الهدى ويتبّع

---

(1) شرح النهج: لابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي، جـ ١٤ ص ٧٧ ط ١٩٦٢ م.
(2) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ١٤ ص ٧٧ ط ١٩٦٢ م.
(3) شرح النهج : لالن أبي الحديد ، جـ ١٤ ص ٧١ .

غير سبيل المؤمنين﴾[1] الآية . وبعدها إنَّك إن لم تقر بإيمـان أبي طالب كـان مصيرُكَ إلى النَّار[2].

وروي أنّ أبا بكر جاء بأبي قحـافة إلى النّبيّ ﷺ عـام الفتح ، يقـوده وهو شيخ كبير أعمى . فقال رسول الله : ألا تركتَ الشيخ حتّى نأتيـه ! فقال : أردت يا رسولَ الله أن يأجُرَهُ الله !! أما والذي بعثك بالحق لأنَا كنتُ أشدّ فرحاً بـإسلامَ عَمّـك أبي طـالب منّي بـإسـلام أبي ، ألتَمِسُ بـذلـكَ قـرَّةَ عينِـكَ . فقال : صـــدقت[3] .

قالوا : وقد نقل النَّـاسُ كافّـةً عن رسول الله ﷺ أنّـه قالَ : نُقِلْنـا من الأصـلاب الطَّاهـرة إلى الأرحام الـزّكيّة ، فـوجب بهـذا أن يكـونَ آبـاؤه كلُّهم منزَّهين عن الشِّرك ، لأنّهم لو كانوا عبدة أصنامٍ لما كانوا طاهرين[4] .

قـالوا : وروي بـأسانِيـدَ كثيرة ، بعضُهـا عن العبّاس بن عبـد المطّلب. وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة ، أنّ أبا طالب مـا ماتَ حتّى قـال : لا إلٰه إلّا الله ، محمَّد رسول الله . والخبر مشهور .

وبالرَّغم من كلّ هذه الأشعار والرّويـات والأخبار ، فعنـد المغرضين من أبناء العالم الإسلامي ، والّذين يكرهون عليّاً وأباهُ وأبنـاءه فهم يرون أبـا طالب وعبد الله وآمنة جمرات من جمـرات جهنمٌ. ولكنّ الدَّافع الأساسي لهذه الأقوال الباطلة هو التعصّبُ والتّحامل على أبوي نبيّ هذه الأُمّة الإسـلاميّة، وعمّـه أبي طالب الشّاعر الكبير ، شاعر الثّورة المحمديّة الكبرى .

---

(١) سورة النساء: آية ١١٤.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ، جـ ١٤ ص ٦٨ .
(٣) شرح النهج له، جـ ١٤ ص ٦٩.
(٤) شرح النهج له، جـ ١٤ ص ٦٧.

فوالله لو وُجِدَتْ قصيدة واحدة في شعر أي إنسان لا يمتُّ إلى الأُسرة النّبوية بصلةٍ ، لأتّفق الكلّ على إسلامه . لكنّ جميع هذه القصائد التي تضجّ بالإيمان والإخلاص والحب لا تدلّ على إسلام أبي طالب ، لأنّهم هكذا يريدون . وفي هذا الإفتراء على شاعر الثّورة النّبوية العجب العجاب .

وإذا أردتَ أيها القارىء أن تطّلِعَ على الحجّة الدّافعة ضدّ هؤلاءِ المغرضين فاستمع إلى ما يقوله شاعرنا الكبير:

رَوَيْتُمُ أنّ نبيّ الهدى قال اصطفى الله بني هاشِمْ
وَبَيَّن الأخيار واختارَني من خيرِ بيتٍ جاء في العالَمْ
وبعد ذا دنتم بتكفيرهم لتظهروا سبّ أبي القاسِمْ
وذاكَ في إدخال آبائه في لعنة الكافِر والظّالِمْ

قال العلاّمة ابن شهرآشوب المازندراني في كتابه «متشابهات القرآن» عند قوله تعالى : ﴿ولينصرَنَّ الله من ينصره﴾ في سورة الحج : إنّ أشعارَ أبي طالب الدّالة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكاشِف فيها من يكاشف النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويصحّح نبوته. ثمَّ ذكر جملةً ضافيةً، ومّما ذكر له قوله في وصيّته :

أُوصِي بنصر نبيّ الخير أربعةً إبني عليّاً وشيخَ القوم عباسا
وحمزة الأسد الحامي حقيقته وجعفراً أن تذودوا دونه النّاسا
كونوا فداءً لكم أُمّي بِما ولدت في نصرِ أحمدَ دون النّاس أتْراسا

وهناكَ عدّة أخبار تثبتُ أنّ أبا طالب آمن بالدَّعوة المحمديَّة منذ اللّحظة الأولى لانطلاقها، وأنّه كان هو المناضِل القوي لحمايتها.

أخْرَجَ فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي بن محمّد الدِّينوري في كتابه «نهاية الطّلب وغاية السُّؤل في مناقِب آل الرّسول» بإسنادِهِ عن طاووس عن ابن عبّاس في حديثٍ طويل: إنّ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم قالَ للعبَّاس رَضِيَ الله عنه:

إنّ الله قد أمرني بإظهار أمري، وقد أنبأني واستنبأني فما عندك؟ فقال له العبّاس: يابن أخي تعلم أنّ قريشاً أشدّ النّاس حسداً لولد أبيك. وإن كانت هذه الخصلة كانت الطّامة الطمّاء والدّاهية العظيمة، ورمينا عن قوسٍ واحد، وانتسقونا نسقاً. صِلْنا ولكِنْ قَرِب إلى عَمّك أبي طالب، فإنّه كانَ أكبر أعمامِكَ. إن لا ينصرك لا يخذلك ولا يسلّمك. فأتياهُ فلمّا رآهما أبو طالب قال: إنّ لكما لظنّةً وخبراً. ما جاء بكما في هذا الوقت، فعرَّفه العبّاس ما قال له النبيّ ﷺ، وما أجابه العبّاس. فنظر إليه أبو طالب وقال له: أخرج ابن أبي! فإنّكَ الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، وَالأعلى أباً. والله لا يسلقك لسان إلّا سلقته ألسنٌ حداد، واجتذبته سيوف حداد. واللّهِ لتُذّلنَّ لك العرب ذُلَّ البهم لحاضنها. ولقد كان أبي يقرأ الكتابَ جميعاً. ولقد قال: إنَّ من صلبي لنَبيّاً، لوددتُ أنّي أدركتُ ذلك الزّمان فآمنتُ به، فمن أدركَهُ من ولدي فليؤمن به.

قال الأميني: أترى أن أبا طالب يروي ذلك عن أبيهِ مطمئناً به؟ فينشّط رسول الله ﷺ هذا التّنشيط لأوّل يومِهِ، ويأمره بإشهار أمرِهِ، وَالإشادة بذكر اللّهِ، وهو مُخْبَتٌ بأنه هو ذلك النّبي الموعود بلسان أبيه، والكتب السّالفة، ويتكهّن بخضوع العرب له. أتراهُ ـ سلام اللّهِ عليه ـ يأتي بهذه كلّها ثمَّ لا يؤمن به؟ إن هذا إلّا اختلاق[1].

وإليكَ أيّها القارىء ما ذكره الشّيرازي في حضّ أبي طالب ولدَهُ عليّاً على اتباع محمّد واعتناق دينه. ففي اتّباعه الفوز والفلاح.

أخرج أبو بكر الشّيرازي في تفسيره: إنّ النبيَّ ﷺ لَمَّا نزل عليه الوحي أتى المسجدَ الحرام، وقامَ يصلّي فيه. فاجتازَ بهِ عليّ عليه السّلام، وكان ابن تسع سنين. فناداهُ يا علي! إليَّ أَقْبِلْ. فأقبَلَ إليه مُلَبّياً. فقال له النّبي: «إنّني رسول الله إليك خاصّةً، وَإلى الخلق عامّةً. فقِفْ عن يميني، وصلِّ معي». فقال: يا رسولَ اللّهِ!! حتّى أمضي وأستأذن أبا طالب والدي.

---

(١) الغدير: للأميني، جـ ٧ ص ٣٤٨.

فقال له: اذهَبْ، فإنّه سيأذنُ لكَ، فانطلق إليه يستأذنه في اتّباعه. فقال: يا ولدي! تعلم أنّ محمداً أمين الله منذ كان. أمْضِ إليه واتبعه تُرْشَد وتفلح. فأتى عليّ عليه السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم يصلّي في المسجد. فقامَ عن يمينِهِ يصلّي معه. فاجتاز أبو طالب بهما، وهما يصلّيان. فقال: يا محمَّد ما تصنع؟ قال: «أعبُدُ إلَه السَّمواتِ والأرض. ومعي أخي علي يعبد ما أعبد. وأنا أدعوكَ إلى عبادة الواحد القهّار». فضحِكَ أبو طالب حتّى بَدَتْ نواجذُهُ وأنشأ يقول:

واللّهِ لن يصلوا إليـك بجمعهم حتّى أُوَسَّد في التُّراب دفينا

إلى آخر الأبيات. هذه شواهِد وأدلّة من كتب أهل السُّنّة تثبت إيمان أبي طالب. وأهل البيت مجمعون على إيمان أبي طالب، وإجماعهم حجّة. ومن أراد المزيد والتّوسع في الدَّلالة على إيمان أبي طالب فليراجِعْ كتاب (الغدير) للشّيخ أحمد الأميني. فهو يذكر أربعين حديثاً في إيمان أبي طالب من ص ٣٨٥ - ٤٠١ من الجزء السَّابع فليراجَعْ. وكتاب العلاّمة البرزنجي الشّافعي، وتلخيصه الموسوم بأسنى المطالب لمفتي الشافعية السّيّد أحمد زيني دحلان.

ونختم بحثنا هذا بحديث وردَهُ منصِفٌ من أهل السُّنة لمس الحقيقة فأعلنها مدويَّة في سمع الزّمن غير هيَّاب ولا وجل من الّذين ناصبوا العداء لعلي وأبيه وأُسرته المطهَّرة. هذا المنصف هو سبط ابن الجوزي. فقد ذكر في (تذكرته) عن أبي سعيد مرفوعاً بالإسناد إلى الواقدي. قال: قال علي عليه السلام : لمّا تُوُفِي أبو طالب أخبرتُ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، فبكى بكاءً شديداً، ثم قال: اذهَبْ فغسِلْه وكفّنه وَوَارِهِ غفر الله له ورحمه. فقال له العباس: يا رسول الله إنَّك لترجو له. فقال: إي والله لأرجو له. وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغفرُ له أيّاماً لا يخرج من بيته. وقال الواقدي: قال ابن عباس: عارض رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلَّم جنازة أبي طالب وقال: «وَصِلَتْكَ رَحِمٌ، وجزاكَ الله يا عمّ خيراً»[1].

(١) التذكرة ص ١٠ ط ٢ عام ١٩٦٩ م، منشورات المطبعة العلمية بالنجف.

وأسمَعْه يقول: أقول لكون أبي طالب من أهل الجنة ما لا ينبغي التأمل، وأن شواهده أكثر من أن تذكر. منها: اهتمامه بكفالة النبي المختار، ونصرته له، واهتمامه بدفع أذى الأشرار والكفّار عنه، وجزع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه عند موته، وتسمية عامِهِ بعام الحزن لموته، وموت خديجة، وترحّمه واستغفاره له، خصوصاً في طول أيامه، ولا يُرْتابُ في استجابة دعائه صلى الله عليه وآله وسلم لا سيما مع الإصرار، كما في رثاءِ أمير المؤمنين له ، خصوصاً قوله عليه السلام : «ولقاك ربك رضوانه» والرضوان أعلى من الغفران . وقوله عليه السلام : أبي يدخل في النار ، وأنا قسيم الجنّة والنّار ؟ إلى غير ذلك من الشّواهد والمؤيدات .

ويقول سبط ابن الجوزي أيضاً: ولم يؤرّخ أحد من أعداء ولدهِ بأنّ أباكَ من الكفّار. فهذا معاوية أعدى أعداء منازعيه. وهذا عمرو بن العاص. وهذا عبدالله بن الزُّبير. وهذا مروان وغيرهم مع قدحِهِمْ فيه عليه السلام وإسنادهم ورميهم إليه ما هو بريء منه، وما عابوه وما شنّعوا عليه بذلك. وهو عليه السلام يذكّرهم بكفر الآباء والأمّهات ورذالة النّسب. وما قابلوه بالمثل. بل هذا أقوى شاهدٍ على إسلامه، وعلى شدّة تعصُّبِ من أسند الكفر إليه من العامّة. فانظر أيّها المنصف إلى سوء سريرة أشباه الخفافيش في عداوتهم لشمسِ الإسلام ونورِهِ، وأنّ أبا طالب توفّيَ قبل البعثة. فلو فرضنا أنّه لم يؤمن بالرّسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يجري عليه لفظ الكفر ولا حكمه، فإنّ الإلزام بالإسلام والتّكليف من فروع البعثة. . . إلى آخر حديثه(١).

والخلاصة أنّ إيمان أبي طالب شاعر الدّعوة المحمّدية لا يرتابُ به منصِفٌ يقرأ أشعاره وأخباره. أمّا الّذي يتسرّب التعصُّب إلى قلبه فيصمه بالكفر، وبأنّه جمرة من جمرات جهنّم، فإنّه يضمر الشّر للإمام وَيناصبه أكثر ممّا ناصبَهُ معاوية وابنِ العاص وابن الزُّبير ومروان وَغيرهم، بشهادة منصفٍ سِنّي. ونحن نقول بأنّ الإيمان لم يتسرّب إلى قلب من وصمَه بالكفر، لأنّ

(١) التذكرة، ص ١٠ ط ٢ عام ١٩٦٩ م، منشورات المطبعة العلمية بالنّجف.

حبُّ عليّ إيمان. وإن كنّا نحبُّه فعلينا أن نتَّخذ كلامه ثقةً، وهو القائل: والّذي بعث محمّـداً بالحق لـو شفع أبي في كـلّ مذنبٍ على وجـه الأرض لشفّعه الله فيهم. ولكن لا جريمة لك يا أبا طالب سوى أنَّكَ والدُ علي. لذلكَ لا خلاص لك من هذه المشكلة مهما ردَّدْتَ وغرَّرتَ بإسلامك وإيمانك.

الفصل الثّاني

الجو الرهيب الذي تمت فيه المؤامرة ضد علي وأهل بيته

لو أمعَنّا النّظر في كتب التّاريخ الإسلاميّة لوجدنا أن الحقدَ لم يتجسَّم في النّفوس ضدّ رجُلٍ مثلما تجسَّم ضدّ علي بن أبي طالب، وذلكَ لأنّه قتل صناديدَ العرب ورؤساءها ليثبّت دعائم الدّين الإسلامي. وكان آباء من قتلهُمْ وأبناؤهم وإخوانهم وعشائرهم لم يزالوا موجودين. وبعضهم دخل الإسلام كرهاً وخوفاً من السَّيف. ومنهم من دخل عن عقيدة. ولكن لم تخفّف هذه العقيدة ما في نفسه وطباعه من الغيظ. فإذا كان نبيّ هذه الأمّة لم يستطع النَّظر إلى قاتِل عمّه (حمزة)، فقال: غيّب وجهكَ عَنّي. وهو أكمل الخلق، فكيف بغيره؟ سنّة الله في خلقه، ولن تجد لسِنَّةِ الله تبديلاً. وتلا ذلك دولة بني أميَّة، وبقيت أكثر من ثمانين، وهي تظهر بغضه والبراءة منه، ولعنه والاجتهاد في كتمان فضائله، ومنع أحدٍ أن يُسَمّى باسمه.

كان علي بن عبدالله بن العبَّاس يكنى أبا الحسن، فدخل على عبد الملك، فسأله عن إسمه وكنيته. فبعد أن تسمَّى له، قال له: غَيّرْ إسْمَك وكنيتك، فلا صبر لي على إسْمَك وكنيتك، ومنعوا أحداً أن يحدّث عنه. فإذا اضطرَّ متحدّث أن يتحدَّث عنه كان يقول: حدّثني رجل من أصحاب النَّبي صلّى الله عليه وآله. وأحياناً يقول: حدَّثني أبو زينب، أو قال رجلٌ من قريش. وفعل رجل من قريش، ولا يذكر إسمه ولا يتفوَّه به عليه السلام. فتقرَّب

إليهم الناس ببغضه، وروايةِ الأحاديث في ذمّه، وإخفاء فضائِلِهِ. واستمرَّ ذلك حَتَّى الوقت الحالي، لما أسَّسه علماء السُّوء في كتبهم، فكثير من النّاس لا يستطيع أن يسمع له منقبَةً أو فضيلة، حتّى أنكروا نهجَ البلاغةِ، ونسبوه للرَّضِي، والحافظ الذّهبي نسب كلامه إلى الركّة، مع أنّه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

ولقد حاول جميع المختلفين نقض فضائِلِهِ، ووجَّهوا الحيل والتأويلات نحوها من خارجي مارقٍ وناصبيّ حنق، وثابت مستبهم، وناشىءٍ معاند، ومنافق مكذِّبٍ، وعثماني حسود، يعترض فيها ويطعن، ومعتزليّ قد نقضَ في الكلام، وأبصر علم الاختلاف، وعرف الشّبه ومواضع الطّعن، وضروب التأويل، قد التمس الحِيَل في إبطال مناقِبِه وتأوّل مشهور فضائله. فمرّةً يتأوّلها بما لا يحتمل، ومرَّةً يقصد أن يضع من قدرها بقياسٍ منتقض، ولا يزداد مع ذلك إلّا قوَّة ورفعة، ووضوحاً واستنارة[1].

ثمَّ ما لبثوا أن اختلقوا الأخبار الملفَّقة في حقّه، وكيفَ لا تختلَقُ؟ ومعاوية هو العدوّ الألد لعلي. لقد كتب إلى عمّار، أن برئتِ الذّمة ممّن روى شيئاً من فضائل أبي تراب وأهل بيته. فقامَتِ الخطباء على كلّ منبر يلعنون عليّاً، ويتبرؤون منه، ويقعون فيه وَفي أهل بيتهِ، حتّى أنّ عدد المنابر التي يُلْعَن عليها عليٌّ لتربو على السبعين ألف منبر[2]، والعامَّة للخطباء مستجيبون. فنشأ لحمهم ودمهم وعروقهم على كُرْهِ علي، والبراءة منه، وسبِّه في كلّ صلاة. وكانت الكوفةُ أشدَّ النّاس بلاءً. فاستُعْمِلَ عليهم وعلى البصرة زياد بن سُمَيَّة، فقتَلَ الشّيعة تحت كلّ حجر ومدر. وأخافهم وقطع الأيدي والأرجُلُ، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النّخل، وشرَّدهم فلم يبقَ بينهم معروف[3].

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ١٣ ط ١٩٦١ م، دار إحياء الكتب العربية، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.
(٢) راجع تاريخ الخلفاء للسُّيوطي.
(٣) راجع كتاب سُلَيْم بن قيس الهلالي، ص ١٨٠، المطبعة الحيدرية في النّجف.

ثمَّ يعود معاوية ليكتُبَ إلى عمّالـه في جميع الآفـاق أن لا يجيزوا لأحـدٍ من شيعـة علي وأهل بيتـه شهادة، ثمّ يخصّص لمن يـروي في فضائـل عثمان وشيعتـه عطاءً وفيـراً ومنزلـةً عاليـة. فكثُرتِ الفضـائل والمنـاقِب لعثمان بكثـرة الحلي والهدايا والصّلات، واستمرّوا حيناً، ثمّ كتَبَ إلى عمّالِهِ أنّ الحديث قد كَثُرَ وفشا في كلّ مصر، وفي كلّ وجه وناحية. لذلك فادْعُوا النّاس إلى الرّوايـة في فضـائل الصَّحـابـة والخلفـاء الأوّلين. ولا تتـركـوا خبـراً يـرويـه أحـداً من المسلمين في أبي تراب إلاّ واتوني بمناقضٍ له في الصّحابة مفتعلاً، فإنّ هـذا أحبُّ إليَّ وأقـرُّ لعيني، وأدحَضُ لحجّـة أبي تـراب وشيعَتِـهِ، وأشـدّ إليهم من مناقِبِ عثمان وفضله. وأخذ النّاس يـروُونَ في مناقب الصّحـابة ممّـا لا حقيقة له، ثمَّ أشادوا بـذلكَ على المنـابر، وفي مكـاتب الصّبيان حتّى رووه وتعلّمـوه كما يتعلّمون القرآن، فلبثوا على ذلك ما شاء الله[1].

وأخـذ الخيال يحلّقُ فينشيء الأخبـار، ويُكْثِرُ، والسّلطة الحـاكمة تـروّجُ هذه الأخبار بغرض الرّبح المادّي.

ثم يعـود معاويـة ليحقّق المؤامرة كـامِلَةً ضد علي. فيكتب إلى عمـاله: انظروا إلى من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فـامحوه من الـدّيوان وأسقطوا عطاءه ورزقه. ثم كتب إليهم كتاباً آخر قـائلاً: «من اتهمتمـوه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به، وأهدموا دارَه. فاشتـدَّ البلاء. فكـانَ الرَّجـل من شيعة عليّ: إذا أراد أن يحدّثَ من يثق به يأخذ عليـه الأيمان الغليـظة ليكتَمَنَّ سره. فظهرت في هذا العهد الأحاديث الموضوعة. واستمـرَّ القضاة والعلمـاء والولاة على ذلك، وخاصّـة القُرَّاء المراؤون، فكانـوا يفتعلون الأحاديثَ ليصيبـوا من الأمـوال والضّيـاع، فتصِلُ إلى أيـدي الـدّيـانين الَّـذين لا يستحلون الكـذِبَ فينقلونها ويروونها وهم يظنّون أنّها حقّ»[2]. ولو علموا أنّهـا باطِـل لم يرووهـا وَلم يتديَّنوا بها، فصار الحقّ في ذلك الزّمانِ باطِـلاً، والباطِـل حقّاً، والصّـدق

(١) راجع كتاب سليم بن قيس، ص ١٨١.
(٢) راجع كتاب سليم بن قيس بذلك.

كَـذِبـاً، والكـذب صِـدْقـاً. وقـد قـال رسـول الله صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم: «لتشملَنَّكُمْ فتنـة يربـو فيها الـوليد، وينشـأ فيها الكبيـر، يجـري النّـاس عليهـا ويتخذونها سنَّةً، فإذا غُيِّر منها شيءٌ قالوا: أتى الناس منكراً غيِّرت السّنة»[1].

واستمرَّ معاوية على هذا الحـال يشتري الضّمـائرِ، ويبيـع الذّمم والغـايةُ منها محاربة علي. فهو لا يتورَّع أن يذيـع بين أهل الشّـام ـ ممّن لا يفرّق بين النّاقة والجمل ـ بأنّ عليّاً لا يصلّي، وأنّ عليّاً هو الّذي أهرق دم عثمان. وليس هناك دِينٌ أو خلق قويم، أو إنسانية رفيعة تقف أمام هـذا الـرجـل، لتحدَّ من طغيانِ شهوتِهِ، بل أُطلِقَتْ لشهوته العنان. فأخـذت تتفنَّن في المنكر، وتفـاخر بالباطل، وليسَ من يغضب[2].

---

(١) راجع كتاب سليم، ص ١٨١ ـ ١٨٢.

(٢) من يستكبر على معاويـة ذلك، وهـو عند رجـال الدين الصَّحيـح الأبرار الصـادقين شرٌّ أهل زمانه. ذكر الأميني في كتابه (الغدير)، الجزء العاشر، ص ١٣٨، ثمانين روايـة تثبت سوء منبت معاوية، وكرهه لآل محمّد، واعترافه بـأنّه شـر أهل زمـانه، وبـأنّ مأواه اللّعين بن اللّعين، الفاجر بن الفاجر، المنافق بن المنافِق، الطّليق بن الطّليق، الوثن بن الوثن، الجلف المنافق، الأغلف القلب، القلِيل العقل، الجبان الرذل، فـاسق مهتوك ستره، ابن آكلة الأكباد، الكـذّاب العسوف. لم يـزل عدوّ الله ولـرسولـه وسنّة القـرآن والمسلمين. لم يكن في إسلامه بـأبَرّ وأتقى ولا أرشـد ولا أصوبَ منـه في أيام شـركه وعبادته للأصنام.

فعن علي بن الأقمر، عن عبدالله بن عمر، قال: خـرج رسولُ اللّهِ من فَـج، فَنَظَر إلى أبي سفيان وهو راكب، ومعاوية وأخوه أحدهمـا قائـد، والآخر سـائِق، فلمّا نـظر إليهم رسول الله قال: «اللّهم العن القائد والسّـائق والرّاكِب». قلنـا: أنتَ سمعتَ رسول الله ﷺ يقول ذلك؟ قال: نعم، وإلاّ فَصُمَّتْ أُذنايَ، كما عميت عينايَ. كتاب (صِفّين لنصر بن مزاحم)، طبع مصر، ص ٢٤٧.

وفي تـاريخ الـطبري، جـ ١١ ص ٣٥٧، قـال: قد رأى رسـول الله ﷺ أبا سفيـان مقبـلاً على حمار، ومعـاوية يقـودُ به، ويـزيد ابنـه يسوق بـه. قال: «لعن الله القـائـد والـراكب والسّائق». وإلى هـذا الحديث أشـار الإمام السّبط فيمـا يخاطِبُ بـه معاويـة بقوله: أنشِدُكَ الله يا معاوية: أتـذكر يـوم جاء أبـوك على جمل أحمـر، وأنتَ تسوقـه، وأخوك عتبة هذا يقوده، فـرآكم رسول الله ﷺ فقـال: «اللّهُمّ العن الرّاكب والقـائد والسّـائق». وإليه أشـار محمّد بن أبيِ بكـر في كتابٍ كتبـه إلى معاويـةَ بقولـه: «وأنتَ=

دعا إليه سَمُرَة بن جندب فبذَلَ معاوية له مائة ألف درهم ليـرويَ أنَّ هذه الآية نزلِتْ في علي بن أبي طالب: ﴿ومن النّاس من يعجبـك قولُـهُ في الحياة الـدُّنيا ويشهـد الله على مـا في قلبـه وهـو ألـدّ الخصـام. وإذا تـولَّى سعى في الأرض ليفسـدَ فيها ويهلك الحرث والنّسل والله لا يحب الفساد﴾[1] .وأنّ الآية الثّانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعـالى: ﴿ومن النّاس مَنْ يشـري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾[2] فلم يقبل. فبذل له مـائتي ألف درهـم، فلم يقبل. فبـذل لـه ثلاثمـائة ألف فلم يقبَلْ، فبذل لـه أربعمائـة ألف فقبِلَ، وروى ذلـك[3].
وهكـذا بمال الله يحـارَبُ أولياء الله، وبمـال الإسلام يجهـز عليـه بـه، وبمـال المسلمين تُشَوَّه قداسة مبدئهم الرَّفيع.

= اللّعين ابن اللّعين». وفي كتـاب (صفين)، طبع مصـر، ص ٢٤٤، ذكر عن البـراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهمّ العن التّابع والمتبوع. اللهمّ عَلَيْكَ بالأقيعِس». فقال ابن البراء لأبيه: من الأقيعس؟ قال: معاوية.
وفي تاريخ الطبري، الجزء ١١ ص ٣٥٧ ما يلي: إن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يـطلع من هذا الفجّ رجل من أُمتي يحشَرُ على غير ملتي». فطلع معاوية.
وأخـرج نصـر بن مـزاحم في كتـاب (صفّين) وابن عـدي، والعقيلي، والخـطيب، والمناوي من طريق أبي سعيد الخدري، وعبدالله بن مسعود مرفوعاً: إذا رأيتم معاويـة على منبري فاقتلوه.
وذكـر أبو المنـذر في المثالب: كـان معـاويـة لأربعـة: لعمـارة بن الـوليـد بن المغيـرة المخـزومي، ولمسافـر بن عمر، ولأبي سفيـان، ولرجـل آخـر قـال: وكـانت هنـد من المعتلمات. وكان أحبَّ الرّجال إليها السُّودان. وكـانت إذا ولدت أسـود قتلتْهُ. وقصـة يزيد وعمتـه مشهورة خـلاصتها: إنّـه تعشّقَها، وكـانت بكراً فـاستحى منها. فـأراد أن يمتحنها، فأتى بها إلى بستان، وأمر أن يغزوَ حصان على فرس، وعمَّتـه تنظر إليهمـا. فلمّا تَمَّتْ عمليّة النّزو أمر عمَّته بالقيام من مكانها. فرأى إراقة المني في مكانها. فعلِمَ بإرادتها. فلمّا جامعها لم يجدْها بكراً، فقال لها: أين بكارَتُكِ؟ فقالت له: إن أباك لم يترك بكراً، فظهر أنّ معاوية كان مخالطاً لها، وهذا العجب العجاب.

(١) سورة البقرة: آية ٢٠٤ و ٢٠٥.
(٢) سورة البقرة: آية ٢٠٧.
(٣) شـرح النّهج: لابن أبي الحـديد المعتـزلي الشافعي، الجـزء الرّابـع، ص ٧٣، طبعة ١٩٥٩ م.

وبهذا الشكل عقد معاوية الصَّفقات الزّائفة مع عددٍ كبير منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص[1]، والزّاني المغيرة بن شعبة، وعروة بن الزُّبير فاختلقوا الأخبار القبيحَة الّتي تحمل بين حروفها الطّعن على علي، والبراءة منه، حتّى أنّ الزّهري حدَّثه عروة بن الزُّبير أنّه قالَ: حدَّثتني عائِشَةُ قالت: كُنتُ عند رسول الله إذ أقبل العبَّاس وعلي. فقال: يا عائشة إنَّ هذَيْنِ يموتان على غير ملّتِي ـ أو قال: ديني[2].

وحديثُ ثانٍ عنه: أنّ النَّبي صلّى الله عليه وآله قال لعائشةِ: «إنْ سرَّكِ أن تنظري إلى رجلين من أهل النّار، فانظري إلى هذين قد طلعا»، فنظرَتْ، فإذا العبَّاس وعلي بن أبي طالب[3].

أمّا عمرو بن العاص، فروي عنه الحديث الّذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما مسنداً متّصِلاً بعمرو بن العاص. قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «إنَّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنّما وليي الله وصالح المؤمنين»[4].

---

(١) أبوه هو الأبتر بنص الذكر الحكيم: ﴿إنّ شانِئَكَ هو الأبتر﴾، راجع الطبقات: لابن سعد، جـ ١ ص ١١٥، والمعارف: لابن قتيبة، ص ١٢٤، وتاريخ ابن عساكر، جـ ٧ ص ١٣٠. وقصته مع النّجاشي لطرد المهاجرين، وقتل جعفر بن أبي طالب معروفة. وأمّه (النّابغة) فقد ذكر الزّمخشري في كتابه (ربيع الأبرار) قال: كانت النّابغة أم عمرو بن العاص بغيّاً، ثم أعتقها عبدالله بن جدعان التّيمي بمكّة بعد أن اشتراها، فوقَعَ عليها أبو لهب بن عبد المطّلب، وأمّية بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل السَّهمي في طهرٍ واحد فولدت عمراً، فادَّعاه كلُّهُمْ فحكّمتُ أمه فيه. فقالت: هو من العاص. لأنّه كان ينفق عليها كثيراً. قالوا: كان أشبه بأبي سفيان. وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب في عمرو بن العاص: (أبوكَ أبو سفيان لا شَكَّ قد بدَتْ ـ لنا فيك منه ـ بينات الشّمائل).

(٢) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ ٤ ص ٣٥٨، من المجلد الأوّل.

(٣) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ ٤ ص ٣٥٨، من المجلدالأوّل.

(٤) شرح النّهج، جـ ٤ ص ٦٤ ط ١٩٥٩ م، دار إحيار الكتب العربيّة.

وقال أبو جعفر الإسكافي[1] في روايته عن الأعمش، قال: لمّا قَدِمَ أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء إلى مسجد الكوفة، فلمّا رأى كثرة من استقبله من النّاس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلعته مراراً، وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أني أكذِب على الله وعلى رسوله، وأحرق نفسي بالنّار؟ والله لقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنّ لكلّ نبيّ حرماً، وإنّ حرمي بالمدينة، ما بينَ عَيْر إلى ثور، فمن أحدثَ فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين. وأشهدُ بالله أنّ علياً أحدَثَ فيها». فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمَهُ وولّاهُ إمارة المدينة[2] .

مضى هذا العصر المظلم ليعقبه عصرٌ أشدُّ ظلمة، وأحلك رفعةً، جاء عصر أخذوا فيه لعنَ عليّ «سنّةً». فإن سها الخطيب أو إمام الجماعة عن لعن عليّ مرّةً واحدة، أخذَتْهُ الجلبة الصّاعدة إليه من كلّ مكان تطالبه، هاتِفةً: السُّنّة السُّنّة!! فيعرف حينذاك أيَّ خطإٍ ارتكب، وأيّةَ سنّةٍ ترك[3] .

وصادف أنّ خطيباً من خطبائهم بمصر نسي اللّعنة في الخطبة. فلمّا ذكرها قضاها في الطّريق. فبُنِيَ في ذلك الموضع مسجد، وسمّوه مسجد الذّكر وهم يتبرّكون به[1].

فمعاوية قد حفر في كلّ قلبِ أمويّ هذه الكلمة الّتي تتصدّع لهولها الجبال، وتنفطر السّموات. فكانوا يختمون خطبة الجمعة بقولهم: «اللّهُم إنّ أبا تراب ألحد في دينِكَ، وصدّ عن سبيلك، فالعَنْه لعناً وبيلاً، وعذّبه عذاباً أليماً». واستمرّ هذا اللّعن حتّى خلافة عمر بن عبد العزيز[5] .

---

(١) هو أبو جعفر محمّد بن عبدالله الإسكافي، من متكلمي المعتزلة وأحد أئمّتهم، وإليه تنسب الطائفة الإسكافية وهو بغدادي أصله من سمرقند. وكان عجيب الشأن في العلم والذّكاء.

(٢) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ ٤ ص ٦٧، نفس المطبعة.

(٣) مؤمن آل قريش: للخنيزي .

(٤) كتاب المنتخب: للطريحي، تأليف فخرالدين الطريحي، ط ١، المطبعة العلمية في النّجف.

(٥) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ٢ ص ٥٦ ـ ٥٧.

لقد بلغ معاوية ما أمّل، إذ أبقى شَتْمَ عليّ ولعنه بدعةً، رُبّي عليها الصّغير، وهرم فيها الكبير. روى الواقدي أنّ معاوية لمّا عاد من العراق إلى الشّام بعد بيعة الحسن عليه السّلام، واجتماع النّاس إليه، خطب فقال: أيّها النّاس: إنّ رسول الله ﷺ قال لي: «إنّك ستلي الخلافة من بعدي، فاختر الأرض المقدّسة، فإنّ فيها الأبدال، وقد اخترتكم، فالعنوا أبا تراب»، فلعنوه، فلمّا كان من الغد كتب كتاباً، ثم جمعهم فقرأه عليهم وفيه: «هذا كتابٌ كتبه أمير المؤمنين معاوية، صاحب وحي الله الذي بعث محمّداً نبيّاً. وكان أمّيّاً لا يقرأ ولا يكتب. فاصطفى له من أهله وزيراً كاتباً أميناً. فكان الوحي ينزل على محمّد، وأنا أكتبه. وهو لا يعلم ما أكتُبُ. فلم يكن بيني وبين الله أحدٌ من خلقه». فقال له الحاضرون كلّهم: صدقتَ يا أمير المؤمنين[1].

وروى الزّبير بن بكّار في (الموفقيّات)وهو من المنحرفين عن عليّ، ولا يعتقد اعتقاد الشّيعة. قال المطرّف بن المغيرة بن شعبة: دخلتُ مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدّث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلةٍ، فأمسك عَنِ العشاء، ورأيته مغتمّاً فانتظرته ساعةً، وظننتُ أنّه لأمرٍ حدَثَ فينا، فقلتُ: ما لي أراكَ مغتمّاً منذ اللّيلة؟ فقال: يا بنيَّ، جئتُ من عند أكفر النّاس وأخبثهم. فقلتُ: وما ذاك؟ قال: قلتُ له وقد خلوتُ به: إنّكَ قد بلغْتَ سنّاً يا أمير المؤمنين. فلو أظهرتَ عدلاً، وبسطت خيراً فإنّك قد كبرتَ، ولو نظرتَ إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلتَ أرحامهم. فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. وإنّ ذلك مِمّا يبقى لك ذكره وثوابه. فقال: هيهات هيهات! أيّ ذكرٍ أرجو بقاءه! مَلَكَ أخو تيم فعدَلَ، وفعل ما فعل. فما عدا أن هلكَ حتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائِل: أبو بكر. ثمّ ملك أخو عدي، فاجتهدَ وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حَتّى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: عمر. وإنّ ابن أبي كبشة لَيُصاحَ به كلّ يوم خمس

(١) شرح النهج، جـ ٤ ص ٧٢، نفس المطبعة.

مرّات: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله»، فأيّ عمل يبقى؟ وأيّ ذكرٍ يدوم بعد هذا؟ لا أباً لك إلا واللّهِ إلاّ دَفْناً دفنا[1].

ولمعاوية نظائر وأمثال في مواقِفِهِ البغيضة. فهذا خالدِ بن عبداللّهِ القسري يصعد المنبر في العراق في ملك هشام، فيلعنَ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين. ويقول مرَّةً أخرى بعد أن انتهى من شتِمِهِ لعلي، حيث خطب النّاس في يوم جمعة، فلم يكتفِ بالقربى من الله بشتمِ علي دون النّيل من الرَّسول الأعظم، فقال: «والله إن كان رسول الله ليستعمِلَهُ ـ يعني عليّاً ـ وأنّه ليعلم ما هو! ولكنّه كان ختنه»[2].

وقد نعسِ سعيد بن المسيّب ففتح عينيه، ثم قال: ويحكم! ما قال هذا الخبيث؟ رأيتُ القبر انصدَعَ ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «كذبْتَ يا عدوَّ الله».

وروى القتّاد: قال: حدَّثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن السُّدِي قال: بينما أنا بالمدينة عند أحجار الزَّيت، إذ أقبل راكِبٌ على بعير، فوقفَ فَسَبَّ عليّاً عليه السلام. فحفّ به النّاس ينظرون إليه. فبينما هو كذلكَ إذ أقبل سعد بن أبي وقاص، فقال: اللهمّ إن كان سبَّ عبداً لكَ صالِحاً، فَأَرِ المسلمين خزيه، فما لبث أن نفر به بعيره، فسقط فاندقَّتْ عنقه[3].

ولقد توسَّط ابن عبّاس عند معاوية لرفع الشّتم عن علي عليه السلام. فهل نَجحَتِ الوساطة؟ روى العبّاس بن بكّار الضّبي، قال: حدَّثني أبو بكر الهُذَلي، عن الزُّهري، قال: قال ابن عبَّاس لمعاوية: ألا تكفّ عن شتمِ هذا الرَّجل؟ قال: ما كنتُ لأفعل حتّى يربو عليه الصَّغير، ويهرم فيه الكبير. فلمّا وَلِيَ عمر بن عبد العزيز كفّ عن شتمه. فقال النّاس: تَرَكَ السُّنة[4].

---

(١) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ ٥ ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ط ١٩٥٩ م، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) فلقد مَسَّ الرّسول حيث جعله عاطفياً يدور مع الهوى، مجانباً للحق والصّدق.

(٣) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ١٣ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٤) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ١٣ ص ٢٢٢ ط ١٩٦١ م.

ولم تقتصر الوساطة على ابن عبَّاس وحده. روَى أبو عثمان أنّ قوماً من بني أُميَّة قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين: إنَّكَ قد بلغْتَ ما أمّلْتَ. فلو كففتَ عن لعن هذا الرَّجل! فقال: لا واللّهِ حتى يربو عليه الصَّغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكِرٌ فَضْلاً[1].

وكان بنو أُميَّة وأعوانهم لا يقتصِرون على اللعن من قبل أنفسهم فقط، بل يرغمون محبي علي عليه السلام على لعنه والبراءة منه. أَمَرَ المغيرةُ بن شعبة - وهو يومئذٍ أمير الكوفة من قبل معاوية - حجر بن عدي أن يقوم في النّاس، فيلعن عليّاً عليه السلام، فأبى ذلك، فتوعَّده، فقام وقال: أيّها النّاس: إنّ أميركم أمرني أن ألعن عليّاً فالعنوه. فقال أهل الكوفة: لعنه الله! وأعاد الضّمير إلى المغيرة بالنّية والقصد[2]. وهكذا فَعَلَ المغيرة بصعصعة بن صوحان، فنهج نهج حجر عليهما السّلام.

وكانوا يكافئون من يساعدهم للقضاء على محبّي علي. وكان بعضهم يعتبر شتم علي عليه السلام منقبة، ومحاربته منقبة، وأشياء وأشياء.

روى ابن الكلبي عن أبيه، عن عبد الرَّحمن بن السَّائب. قال: قالَ الحجَّاج يوماً لعبدالله بن هانىء، وهو رجل من بني أود، حيّ من قحطان، وكان شريفاً في قومه. قد شهد مع الحجّاج مشاهِدَه كلّها. وكان من أنصاره وشيعتِهِ: واللّهِ ما كافأتُكَ بعد! ثمَّ أرسل إلى أسماء بن جارحة سيّد بني فزارة، أن زوّج عبدالله بن هانىء بابنتِكَ، فقال: لا والله ولا كرامة. فدعا بالسّياط، فلمَّا رأى الشّر قال: نعم أُزوّجه. ثمَّ بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانيّة. زوّج من عبدالله بن أود. فقال: وَمَنْ أود! لا واللّهِ لا أُزوّجه. ولا كرامة! فقال: عليٌّ بالسَّيف! فقال: دعني حتّى أشاور أهلي. فشاورهم، فقالوا: زوّجْهُ ولا تعرّض نفسك لهذا الفاسق، فزوَّجه. فقال الحجاج لعبدالله:

---

(١) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ ٤ ص ٥٧.
(٢) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ ٤ ص ٥٨، طبع ١٩٥٩ م.

قد زوَّجْتك بنت سيّد فزارة وبنت سيّد همدان، وعظيم كهلان وما أُوْد هناك!
فقال: لا تقل أصلح الله الأمير ذاك! فإنّ لنا مناقِب ليست لأحدٍ من العرب.
قال: وما هي؟ قال: ما سُبَّ أمير المؤمنين عبد الملك في نادٍ لنا قط، قال:
منقبَةٌ والله! قال: وشهد منّا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً، ما
شَهِدَ منّا مع أبي تراب إلاّ رجل واحد. وكانَ واللّهِ ما علمته امرأ سوء. قالَ:
منقبَةٌ واللّهِ. قال: ومنّا نسوة نذرن إن قُتِلَ الحسين بن علي أن تنحر كلّ واحدةٍ
عشر قلائص، ففعلنَ. قال: منقبة والله. قال: وما منّا رجلٌ عُرِضَ عليه شتم
أبي تراب إلاّ فعل، وزاد ابنيه حسناً وَحُسَيناً وأمهما فاطمة. قال: منقبة واللّهِ.
قال: وما أحدٌ من العَرب له من الصَّباحة والملاحة ما لنا. فضحِكَ الحجّاج
وقال: أمّا هذه يا أبا هانيء فدَعْها. وكان عبدالله دميماً شديد الأومَةِ مجدوراً
في رأسه عجر، مائِل الشّدق أحول قبيح الوجه، شديد الحول[1].

وبالرَّغم من الإرهاب والضّغط الشَّديد من قبل السّلطة الحاكمة على
النّاس فإنّ الكثيرين عبّروا بأشعارهم عن هذه الجرائِمِ وَالشَّتائِمِ. فهذا ابن
سنان الخفاجي يقول في علي:

أعلى المنابر تعلنون بسبّه ... وبسيفه نُصِبَتْ لكم أعوادها

وإذا تصفَّحنا كتب التّاريخ وجدنا من أعمال معاويةَ وولده يزيد وأعوانهم
وبني مروان في شيعة علي وأهل بيته ما تقشعِرّ له الأبدان. فهذا معاوية الّذي
تنازل له الإمام الحسن السّبط، وعقد معه صلحاً حقناً لدماء شعبه، وعهد إليه
ألاَّ يسبَّ أباه على منابر المسلمين، وما لبث أن خان وغدر وسبَّ عليّاً، وجعل
هذا السَّب سنّةً متّبعة في الحواضر الإسلامية كلّها.

وعهد إليه أن لا يتعرَّضَ لشيعة أبيه بسوء، وقد قتلهم تقتيلاً، واستقرأهم
في البلاد تحت كلّ حجر ومدر. وعهد إليه أن لا يعود إلى أحدٍ بعده
بالخلافة. ولكنه نكس وغدر. قال أبو إسحٰق السَّبيعي: إنَّ معاوية قال في

---

(١) شرح النّهج: لابن أبي الحديد.

خطبته بالنُّخيلة: ألَا إنّ كلّ شيءٍ أعطيته الحسن بن علي تحت قدميَّ هاتينِ لا أفي به. قال أبو إسحٰق: وكان واللّهِ غداراً[1]. ودَسَّ إليه السّم النَّقيع، فلقي ربَّه شهيداً. ولمَّا بلغ معاويةً نبأ وفاتِهِ أظهر فرحاً وسروراً، حتّى سجد وسجَدَ من كان معه. وإذا كان سجد لموتِ الحسن السِّبط فلقد سجد لموت أبيه أمير المؤمنين ﷺ قبله. وكذلك استخلاف يزيد وقتله الحسين بن علي ﷺ أمر مشهورٌ، وأمور أُخرى يندى لها جبينُ الإسلام خجلاً ممّا فعل المسلمون بابن بنتِ نبيّهم وأعوانِهِ ومحبّيه.

وهذا سَمُرَةُ بن جندب واضع الأحاديث المفتعلة في علي عليه السَّلام كانَ مِمَّن أسرفوا في قتل شيعة عليّ على علم من معاوية، بل بأمرٍ منه. أخرج الطَّبري عن طريق محمّد بن سليم: قال: سألت أنَسَ بن سيرين هل كان سمرة قتلَ أحداً؟ قال: وهل يُحْصَى من قتل ابن جندب؟ استخلفَهُ زياد على البصرة، وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من النَّاس. فقال له معاوية: هل تخاف أن تكون قتلتَ أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلتُ إليهم مثلَهم ما خشيتُ[2].

وأخرج الطَّبري عن طريق عمر بن شبّة، قال: مات زياد وعلى البصرة سمُرة بن جندب خليفةً له. فأقرَّ سمرة على البصرة ثمانية عشر شهراً. قال عمر: ويبلغني عن جعفر الضّبّي قال: أقرَّ معاوية سمرةَ بعد زياد ستة أشهر، ثم عزلَهُ. فقال سمرة: لَعَنَ الله معاوية واللّهِ لو أطعتُ الله كما أطعتُ معاويةَ ما عذَّبَني أبداً.

وَجَدَّ زياد في طلب أصحاب حجر، وهم يهربون منه. ويأخذ مَنْ قَدِرَ عليه منهم. فجاء قيس بن عبَّاد الشَّيباني إلى زياد، فقال له: إنّ امرأً يقال له: «صيفي بن فسيل» من رؤوس أصحاب حجر، وهو أشَدُّ النّاس إليه، فبعثَ إليه

---

(١) شرح النّهج: لابن أبي الحديد أيضاً.

(٢) الغدير: للأميني، جـ ١١ ص ٢٩ ط ١ عام ١٣٧٢ هـ.

فأتي به. فقال له زياد: يا عدوّ اللّه! ما تقول في أبي تراب؟ فقال: ما أعرف أبا تراب. قال: ما أعْرفَكَ به؟ أما تعرفُ علي بن أبي طالب؟ قال: بلى. قالَ: فذلك أبو تراب. قال: كلَّا، ذاك أبو الحسن والحسين. فقال له صاحبُ الشّرطةِ: أيقول لك الأمير: هُوَ أبو تراب. وتقول: أنتَ لا؟ قال: فإن كذب الأمير أردت أن أُكذِبَ؟ وأشهد له بالباطِل كما شَهِدَ؟ قال له زياد: وهذا أيضاً من ذنبك. عليٌّ بالعصا، فأُتِيَ بها. فقال: ما قولُكَ في عليّ؟ قال: أحسنُ قولٍ أنا قائله في عبدٍ من عبيد الله أقولُه في أمير المؤمنين. قال: اضربوا عاتقه بالعصا حتّى يُلْصَق بالأرض. فَضُرِب حتّى لصق بالأرض، ثم قال: أقلِعوا عنه. إيه ما قولك في عليّ؟ قال: واللّهِ لو شرَّحتني بالمواسي والمدى ما قلتُ إلّا ما سمعتَهُ عنّي. قال: لتلعنَنَّه أو لأضربَنّ عنقك. قال: إذَنْ واللّهِ تضربها قبل ذلك، فأُسْعَدَ وتشقى. قال: ادفعوا في رقبته. ثمَّ قال: أوقروه حديداً واطرحوه في السّجن. ثمَّ قُتِلَ مع مَنْ قُتِلَ من حجر وأصحابه[1] .

وهل الامتناع عن لعن من حُبُّه إيمان وبغضه نفاق يسوغ الضّرب والحبس والقتل؟

وهذا نموذج من آلاف النَّماذج أُقدّمه ليلقي الضّوء على هذا الجو الرَّهيب الذي لاقى به محبّو الإمام وأولاده ما لاقوه من الأذَى وَالتَّعذيب والسَّحل والقتل، ولا ذنبَ لهم سوى حبّهم لعلي وآل بيته.

قال ابن عساكر: كان سعد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي طالب. فلمّا قدم زياد الكوفة والِياً عليها أخافَهُ وطلبَهُ زياد فأتى الحسن بن علي، فوثب زياد على أخيه وولدِهِ وامرأتِهِ، وأخذ ماله، وهدم داره. فكتب الحسن إلى زياد: من الحسن بن علي إلى زياد. أمّا بعد: فإنّك عمدتَ إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم. فَهَدَمْتَ دارَه وأَخذْتَ ماله وعياله فحبستهم. فإذا أتاكَ كتابي هذا فابْنِ له دارَهُ، واردد عليه عياله ومالَهُ. فإني قد أجرْته فسفّعني فيه. فكتَبَ إليه زياد:

---

(١) الغدير: للشيخ الأميني، جـ ١١ ص ٤٥ ـ ٤٦ ط ١ عام ١٣٧٢ هـ.

من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة، أمّا بعد: فقد أتاني كتابُكَ تبدأ فيه بنفسِكَ قبلي. وأنتَ طالبُ حاجة، وأنا سلطان، وأنْتَ سوقة. كتبتَ إليَّ في فاسِقٍ لا يؤبه به، وشرٌّ من ذلك تولّيه أباك وإيّاك. وقد علمت أنّك أدنيته إقامةً منكَ على سوء الرّأي. ورضى منكَ بذلك. وأيم الله لا تستبقيني به، ولو كان بين جلدِكَ ولحمِكَ، وإن نلتُ بعضَكَ فغير رفيقٍ بكَ ولا مُرْعٍ عليك. فإنّ أحَبَّ لحمٍ إليَّ أن آكل منه اللّحم الّذي أنتَ منه، فسلّمْهُ بجريرته إلى من هو أولى به مِنْكَ. فإن عفوتُ عنه لم أكن شفعتك فيه. وإن قتلته لم أقتله إلاّ لحبّه أباك الفاسق. والسّلام(1).

وهذه بعض أسماء الّذين قتلهم معاوية وهم: عمّار بن ياسر، وزيد بن صوحان، وصعصعة بن صوحان، وحنيف بن ثابت، وأويس القرني، ومالك الأشتر، ومحمّد بن أبي بكر، وهاشم المرقال، وعبد الرّحمن بن حسّان وغيرهم. أمّا زياد بن سُمَيَّة فقد تسلّط على قتلِ الحسين بن علي في نيّف وسبعين رجلاً. منهم تسعة من بني عقيل، وثلاثة من بني جعفر، وتسعة من بني علي عليه السلام، وأربعة من بني الحسن عليه السلام، وستة من بني الحسين عليه السلام، والباقي من أصحابه مثل حبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة، ونافع بن هلال، وأحزابهم. وكذلك موقف عبيدالله بن زياد، وقتله الشّيعة، وصلبهم على جذوع النّخل.

ولمّا استولى مروان بن الحكم قتل عبدالله بن معاوية بن جعفر بالهراة، ولمّا استولى عبد الملك بن مروان سلّط الحجّاج على الحجازيّين والعراقيّين، فقتل سعيد بن جبير، ويحيى ابن أم الطّويل، وميثَمِ التّمار، وكميل بن زياد، وقنبر عبد علي بن أبي طالب، وأشياخهم حتّى محا آثار أهل البيت عليهم السّلام، وقتل زيد بن علي بن الحسين عليه السلام على يد نصر بن خزيمة الأسدي. وصلبَهُ يوسف بن عمر في كناسة الكوفة عرياناً. فكسا من بطنه جلدة

(1) تاريخ ابن عساكر، جـ ٥ ص ٤١٨، وشرح النّهج لابن أبي الحديد، جـ ٦ ص ٧٢ من المجلد الرابع، والغدير: للأميني، جـ ١١ ص ٧١.

سترَتْ عورته، وبقي مصلوباً أربع سنوات، وكان لا يقدر أحد أن يندب عليه، وألقـوا امرأة زيـد بن علي ﷺ على المـزبلة بعـدمـا دقَّت بـالضَّـرب، حتّى ماتت. ثمَّ تبعه الـوليد بن زيـد، وأنفذ إلى يحيَى بن مسلم بن جـون في عشرة آلاف فارس. وليس مع يحيى يومئذٍ إلاّ مـائة وخمسـون رَجُلاً فقُتِلوا أجمعين. وبقي يحيىَ يقـاتِل حتّى قُتِـلَ يوم الجمعـة، ثمَّ صُلِبَ وأُحـرِق وذُرِيَ. وهكـذا فعـل بـأشيـاعهم والتـابعين لهم. راجـع كتـاب (المنتخب) للطّريحي الـطبعـة الأولى، المطبعة العلمية في النَّجف ص ٤ و ٥، وكتاب تظلّم الزَّهـراء ص ٧٨ ط ١٣١٢ هـ ففيه ما يذهل العقول.

أمّا الأئمة الإثنا عشر فكلّهم خـرجوا من الـدُّنيا على الشَّهـادة، قُتِلَ عليٌّ فتكـاً. وسمّ الحسنُ سِرّاً، وقتـل الحسين جهراً، وسمّ الـوليد زين العـابـدين. وسمّ إبراهيم بن الوليد الباقِر. وسمَّ أبو جعفر المنصورُ الصَّـادِق. وسمَّ الرَّشيـد الكـاظم. وسمّ المأمُـون الرِّضـا. وسمَّ المعتصِمُ محمَّد الجـوَّاد. وسمَّ المعتز علي بن محمّد الهادي. وسمَّ المعتمد الحسن بن علي. وأمّا القائِم فروي أنّـه هرب خوفاً من المتوكّل، لأنّه أراد قتله.

وكان أوَّل من استفتح بالظّلم من أخّر عليّاً عن الخلافة، وغصب فـاطمة ميراث أبيها، وقتـل الحسن في بطن أمّـهِ، ووجا عنقَ سلمـان، وكسر أضـلاعَ عبدالله بن مسعود، وقتل سعد بن عبادة، ومالِك بن نويرة، وداس بطن عمّار بن يـاسِر، ونفى أبـا ذَرّ إلى الـرَّبـذَةِ، وأشخص عمّـار بن قيس، وغـرَّب الأشتـر النّخعي، وأخـرج عدي بن حـاتم الـطّائي، وسيَّـر عمـر بن زرارة إلى الشّـام، ونفى كميل بن زياد إلى العِـراق، أو خاض في دم محمّـد بن أبي بكر، ونكّبَ كعباً من الجبل، ونفى جارية بن قـدامة، وعـذَّب عثمان بن حنيف، وعمِـلَ ما عَمِلَ بحباب بن زهير، وشريح بن هانىء ونحو هؤلاء ممّن مضى قتيلاً أو عاش في بلدِهِ ذليلاً(١).

---

(١) تظلُّم الزهراء: للقزويني، ص ٢٧٨ ط ١٣١٢ هـ.

هذه لمحةٌ خاطفةٌ عن سب الإمام وقتل أهل بيته ومحبّيه. وسنذكر بعضاً من هذا في فصل الأمـور الغيبيَّة، حيث أعلن أميـرُ المؤمنين عليّ عليه السَّـلام لبعض محبّيه ما يحـلّ بهم من الأذى، وكيفَ يقتلون؟ ومن الّذي يقتلهُمْ؟ وفي أيّ مكان؟ وذلك تحت العناوين التَّالية في ذلك الفَصل: **الحجاج ومقتل قنبر، رأس عمـرو بن الحمق الخزاعي المنقـول، الحجّاج ومقتـل كميل بن زيـاد، زيـاد ومقتل جـويريـة بن مسهر العبـدي، زياد ومقتـل رشيد الهجـري. مقتل زرعـة مولى علي وصلبـه. الأشعث وأنف قنبر. قـطع الأيدي وسمـل العيـون وابن الحمقاء.** فلتراجع في ذلك الفصل.

أمّا سببُ رفع السَّب عن الإمام علي ﷺ في عهد عمر بن عبد العـزيز فيعود إلى ما يلي:

يقـول عمر بن عبـد العزيـز: كنتُ غـلامـاً أقـرأ القـرآن على بعض ولـد عُتْبَة بن مسعود، فمرَّ بي يوماً وأنا ألعبُ مـع الصّبيان. ونحن نلعنُ علِيّـاً، فَكَرِهَ ذلكَ، ودخل المسجدَ. فتركتُ الصّبيان وجئتُ لأدرس عليه وردي. فلمّا رآني قامَ فصلَّى، وأطال في الصَّلاة شبهَ المعرضِ عنّي، حَتّى أحسَسْتُ منه بذلكَ. فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي. فقلت له: ما بال الشّيخ؟ فقـال لي: يا بنيَّ أنتَ اللاّعِنُ عليّاً منذ اليوم! قلتُ: نعم. قـال: فمتى علمتَ أنّ الله سخط على أهل بدر بعـد أن رضيَ عنهم؟ فقلتُ: يا أبتِ، وهـل كان عليٌّ من أهـل بدر؟ فقال: ويحَكَ! وهل كانت بدر كلّها إلاّ لَهُ؟ فقلتُ: لا أعـود. فقالَ: اللَّهَ إنّـك لا تعـود! قلتُ: نعم. فلم ألعنـه بعـدهـا. ثم كنتُ أحضـرُ تحت منبـر المدينة، وأبي يخطب يومَ الجمعة. وهو حينئذٍ أمير المدينة. فكنت أسمع أبي يمـرّ في خـطبـه تهـدر شقـاشقـه حتّى يـأتي إلى لعن علي ﷺ فيجمجِمُ، ويعـرض له من الفهـاهة والحصـر ما الله عـالِمٌ بـه. فكنتُ أعجبُ من ذلـك. فقلت لـه يومـاً: يا أبتِ أنت أفصـحُ النّـاس وأخـطبُهم. فمـا لي أراك أفصـحَ خـطيبٍ يوم حفلك، حتّى إذا مـررتَ بلعن هذا الـرَّجـل، صـرْتَ ألكَنَ عييّـاً! فقال: يا بنيَّ، إنّ من ترى تحتَ منبرنا من أهل الشّامِ وغيرهم، لـو علموا من فضل هذا الرَّجل ما يعلمُهُ أبوكَ لم يتبعنا منهم أحـد. فوقرت كلمته في صدري

مع ما كان قاله لي معلّمي أيّام صِغَري. فأعطيتُ اللّه عهداً، لئِن كان لي في هذا الأمر نصيبٌ لأغيّرنَّهُ. فلمّا مَنَّ الله عليَّ بالخلافة أسقطتُ ذلك، وجعلتُ مكانهُ: ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون﴾(١) . وكتبتُ به إلى الآفاق فصار سنّةً. وقال كثير بن عبد الرّحمن يمدحه في قصيدةٍ منها:

وليتَ فلم تشتِمْ عليّاً ولم تخِفْ ... بريئاً ولم تقبل إساءةَ مُجْرِمِ

وقال الرَّضِي أبو الحسن رحمه الله تعالى:

يا بنَ عبدِ العزيز لو بكتِ العينُ ... فتىً من أُمَيَّةٍ لبكيتُكْ
غيرَ أنّي أقولُ إنّكَ قد طِبْتَ ... وإن لم يطبْ ولم يَزْكُ بيتُكْ
أنتَ نزَّهتنا عن السَّب والقذ ... فِ فلو أمكن الجزاءُ جزيتُكْ
ولو أنّي رأيتُ قبرَكَ لاستحييتُ ... من أن أرى وما حييتُكْ
وقليلٌ لو أن بذلتُ دماء البُدْنِ ... صِرْفاً على الذّرا وسقيتُكْ
ديرَ سمعانَ فيك مأوى أبي حَفْصٍ ... بودّي لو أنّني آوَيْتُكْ
ديرَ سمعانَ لا أغبَّكَ غيثٌ ... خيرُ ميتٍ من آل مروان بيتُكْ
أنتَ بالذكر بينَ عيني وقلبي ... إن تدانيْتُ منْكَ أو إن نأيتُكْ
وإذا حرّك الحشا خاطِرٌ منكَ ... توهَمْتُ أنّني قد رأيتُكْ
وعجيبٌ أنّي قليتُ بني مروان ... طرّاً وأنّني ما قلَيْتُكْ
قرب العدلُ منكَ لمّا نأى الجَوْ ... رُ بهم فاجتويتُهُمْ واجتبيتُكْ
فلو أنّي ملكتُ دفعاً لما نابَكَ ... من طارق الرَّدى لفديتُكْ(٢)

ولم يقتصِرْ عمل عمر بن عبد العزيز على رفع المسبّة فقط، بل ردّ المظالم إلى بيت المال، وعرف حق فاطمة عليها السلام في مزرعة (فدك)، فجمع العشارين وسألهم ما مقدار ربع فدك منذ سُلِبَتْ إلى يوم توليته؟ فجمعوه له، فوزّعه بينَ أحفاد الزَّهراء.

---

(١) سورة النحل: آية ٩٠.

(٢) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ ٤ ص ٥٨ حتى ٦٠ ط ١٩٥٩ م، دار إحيار الكتب العربيّة.

وإذا أردتَ أيّها القارىء المزيدَ فاستمعْ إلى سليمان بن ربوة يحدّثنا بما يلي: قال: اجتمعتُ أنا وعشرة من المشائخ في جامع دمشق، فيهم أبو بكر بن أحمد بن سعيد الطّائي. فقرأنا فضائِلَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فوثبَ علينا قريب من مائة يضربوننا، ويسحبوننا إلى الوالي. فقالَ لهم أبو بكر الطّائي: يا سادة، اسمعوا لنا. إنّما قرأنا اليوم فضائل عليه. وغداً نقرأ فضائل أمير المؤمنين معاوية رَضِيَ الله عنه. وقد حضَرَتْني أبيات. فإن رأيتم أن تسمعوها؟ فقالوا له: هات. فأنشأ بديهاً:

حبُّ عليّ كلّه ضربُ يرجفُ من خيفته القلبُ
ومذهبي حبُّ إمام الهدى يزيدُ والدّين هو النّصبُ
مَنْ غَيْرَ هذا قال فهو امرؤ ليس له عقلٌ ولا لُبُّ
والنّاس من يغدو لأهوائِهم يسلَمْ وإلاّ فالقضا نهبُ

قالوا: فخلّوا عنّا[1].

وإذا تصفّحتَ كتاب (الكامِل) للمبرّد فإنّك تقرأ كثيراً من هذا النّوع ومن ذلك أنّ خالد بن عبدالله القسري لمّا كان أمير العراق في خلافةِ هشام كان يلعن عليّاً على المنبر، فيقول: فعل الله على علي بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم ابن عمّ رسول الله وزوج ابنته فاطمة، وأبي الحسن والحسين!! ثمّ يقبل على النّاس فيقول: هل كنّيْتَ؟[2]. هذا هو خالد الّذي كان يسمّي بئر زمزم أم الجعلان[3].

قل لي بربّك أيّ مسلمٍ شريف أو وضيع لعن غيره في ثمانية عشر ألف منبر، ولم ينبس ابن أنثى ببنتٍ شفة عن الدّفاع عنه[4].

---

(١) تمام المتون للصفدي، ص ١٨٨.
(٢) الكامل: للمبرِّد، جـ ٢ ص ٦، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥١ م.
(٣) ما الفوارق بين السنّة والشّيعة: لمحمود أحمد مهدي، ط ١ عام ١٩٦٣ م.
(٤) الغدير: للأميني، جـ ٩ ص ٣٩١ - ٣٩٢.

قـل لي بربّـكَ أيّ مسلمٍ سائـد أو سوقـة غير سيّـد العترة سنَّ سبُّـه في الجمعة والجماعة في الحواضر الإسلاميـة جمعاء، وتختم بلعنِـهِ أنديـة الوعظ والخطابة. ومن نهى عن ذلكَ يُنْفَى من عقر داره؟

قال الجنيد بن عبد الرَّحمٰن بن عمـر[1]:اتيتُ من حوران إلى دمشق لآخُذَ عطائي، فصلَّيت الجمعة، ثمَّ خرجتُ من باب الدَّرج، فإذا عليه شيخ يقال له أبـو شيبة القـاص، يقصُّ على النّاس. فـرَغَّب فرغبنـا، وخـوَّفَ فبكينـا. فلمّـا انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب. فلعنوا أبا تـراب عليه السلام، فـالتفتُّ إلى من عن يمين. فقلتُ لـه: فمن أبـو تـراب؟ فقـال: علي بن أبي طـالب ابن عمّ رسولِ الله، وزوج ابنتـه، وأوَّل النّاس إسـلامـاً، وأبـو الحسن والحسين، إلى آخر ما في تاريخ ابن عساكر الـجـزء الثَّالث ص ٤٠. وفيـه أنّ الجنيـد استنكر الأمـر، ولطم وجـه الرَّجـل، فشكا إلى هشـام بن عبد الملك. فنفى الجنيد إلى السّند. فلم يزل بها إلى أن مات[2].

قل لي بربّكَ أي عزيز تحت ظلّ النبوّة غير عزيزنا المفدَّى اضطهدَهُ نيـر المذلّة، وأصبح لكلّ أحد، جرَّعتـه يد الإحَنِ كـاسات المحن، حتّى سئـم من حياته، وصبَر، وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، يرى تراثه نهباً.

قل لي بربّك أيّ صحابي غير علي عليه السلام لا يستقيم الأمر لأمَّةِ محمّد إلا بسبّـه؟ يقال لمـروان: ما لكم تسبُّـونه على المنـابر؟ فيقـول بملءِ فيـه: إنّه لا يستقيمُ لنا الأمر إلّا بذلك[3].

قـل لي بربّـك أيّ إنسان ثقـل اسمه على النّـاس غير علي صلواتُ اللّهِ عليـه؟ هذه عـائشة لم تُسَمّـهِ، ولا تقْدر على أن تـذكره بخيـر، ولا تـطيبُ لـه

---

(١) في كتـاب (الإمـام الصـادق والمـذاهب الأربعـة): لأسـد حيـدر، جـ ٥ ط ١، قـال جنادة بن عمرو بن الجنيد إلى آخر الحديث.

(٢) الغدير: للشيخ الأميني النجفي، جـ ٩ ص ٣٩١ ـ ٣٩٢ ط ٢ عام ١٩٧٢ هـ.

(٣) الصَّواعق المحرقة: لابن حجر، ص ٣٣.

نفساً. وكان معاوية أو عبد الملك أوهما معاً يأمران ابن عبّاس أن يغيّر اسم ولده علي وكنيته.

قل لي بربّك أي رَجُلٍ أسلم وجهه لله وهو محسن غير أوّل المسلمين يُرَى لاعنوه وشاتموه ومعاندوه وقاتلوه وخاذلوه متأولين مجتهدين لا يستمعون مقتاً ولا أخذاً ولا هواناً ولا عتاباً؟

قل لي بربّك أي ابن أنثى من أبناء الإسلام عدا وليد الكعبة ابن فاطمة استخفّت شيعته ومحبّوه وأهله وذووه في المجتمع السَّبُ واللّعن والقتل والسّبي والإزراء والضّرب والنّكال والسّوءة والحبس في ظلمِ المطامير، وقعر السُّجون، وضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَت[1].

وقد اتّخذه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم له نفساً كما جاء في الذّكر الحكيم، وطهّره الله بآية التّطهير، وقرَنَ بين ولايته وولاية رسوله، وبين ولاية علي في نصّ الكتاب الكريم، وأنزله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه منزلة هارون من موسى، ولم يستثنِ سوى النبوّة، واتّخذه صلى الله عليه وآله وسلم أخاً لنفسه يوم المؤاخاة المتبيّنة على أساس المشاكلة في الملكات والنّفسيّات. فكيف تتمّ هذه كلّها، وفي الأمّة من هو أولى منه؟

ولستُ أدري كيف كانَ علي أمير المؤمنين أحبَّ الخلق إلى اللّهِ وَرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي الأمّةِ من هو خير منه، وقد صحَّ عنه قوله في حديث الطّير المشوي: اللهمَّ آتني بأحبِّ خلقِكَ إليك ليأكل معي، فأتاهُ علي عليه السلام. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة: إنّ علياً أحبّ الرّجال إليَّ، وأكرمهم عليَّ، فاعرفي له حقّه، واكرمي مثواه ـ أحبّ النّاسِ إليَّ من الرّجال علي ـ علي أحبُّهم إليَّ وأحبُّهم إلى الله.

وكان معاوية يحضّ أصدقاءه وأنصارَهُ على سبّ علي، فإذا تخلّف

---

(1) الغدير: للأميني، جـ ٩ ص ٣٩٣.

أحدهم عن السَّبّ، يسأله عن السَّبب. روى مسلم والتِّرمذي أنّ معاوية قال لسعد بن أبي وقاص: ما منَعَك أن تسب أبا تراب؟ فقالَ سعد؛ أمّا ما ذكرت، فلثلاثٍ قالهُنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسبَّه. ولأن تكون واحدة منهن أحبّ إليَّ من حمر النّعم. سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: وقد خلّفه في بعض مغازيه فقال علي: خلّفتني مع النّساء والصّبيان. فقال له رسول الله: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي». وسمعته يقول صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر: «لأعطيَنَّ الرَّاية غداً رَجُلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله». فتطاوَلنا إليها. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ادعوا لي عليّاً». فأُتِيَ به أرمداً فبصق في عينه فبرىءَ، ودفع إليه الرَّاية. ففتح الله على يديه. ولمّا نزَلَتْ هذِهِ الآية: ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساؤكم وأنفسنا وأنفسكم﴾[1] فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: «اللّهمَّ هؤلاء أهلي»[2].

وإذا سُئِلَ المتجرىء على مسبَّة علي عليه السلام، هل تسبّ الله؟ يستغرب ويستنكر، وتعتريه رجفة كأنّه ارتكب أعظم المآثِم. وما عرف الجاهِل المغفّل أنّ مسبَّة علي مرتبطة بمسبّة النّبي والله. فمن سَبّه فكأنّما سبّهما، ومن سبّهما فمأواه جهنّم وبئس المصير.

حُكِيَ عن عبدالله بن عبّاس، وكان سعيد بن جبير يقودُهُ بعد أن كفّ بصره. فمرَّ على ضفّة زمزم، فإذا بقومٍ من أهل الشّام يسبّون عليّاً، فَسَمِعهم عبدالله بن عبّاس. فقال لسعيد: ردَّني إليهم. فردَّهُ، فوقف عليهم وقال: أيّكم السَّابُّ لِلّه تعالى؟ فقالوا: سبحانَ الله. ما فينا أحدٌ سبَّ الله. فقال: أيكم السَّاب لرسوله: قالوا: سبحان الله: ما فينا أحدٌ سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: فأيُكُمْ السَّاب لعلي بن أبي طالب؟ فقالوا: أمّا هذا فقد كان منه شيء، فقال: أشهدُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما سمَعَتْهُ أُذنايَ ووعاه قلبي. سمعتُهُ يقول

---

(١) سورة آل عمران: آية ٦١.

(٢) صحيح مسلم، جـ٣ ص ٣٢٤، أسد الغابة، جـ ٤ ص ٢٦، ينابيع المودة، جـ ١ ص ٥١، الإصابة، جـ ٢ ص ٥٠٣.

لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «يا عليُّ مَنْ سَبَّكَ فقد سبَّني، ومن سَبَّني فقد سبَّ الله، ومن سَبَّ الله أكبَّهُ الله على منخريه في النّار، وولّى عنهم. وقال: يا بنيَّ ماذا رأيتَهم صنعُوا؟ قالَ: فقلتُ له: يا أبتي:

نظروا إليك بأعين محمَّرةٍ ... نظرَ التُّيوسِ إلى شفار الجازر

فقال: زدني فداك أبوك! فقلتُ:

خزي العيون نواكس أبصارهم ... نظر الذَّليلِ إلى العزيزِ القاهِر

فقال: زدني فداك أبوك. فقلتُ: ليس عندي مزيد. فقال: عندي المزيد:

أحياؤهم عارٌ على أمواتهم ... والميّتون مسبَّةٌ للغابر[1]

وعلى هذا المنوال كان موقف أم سلمة، وتوبيخها للمسلمين ضدّ السَّب، فقد روى عثمان بن أبي شيبة، عن عبدالله بن موسى، عن فطر بن خليفة، عن أبي عبدالله الجدلي. قال: دخلت أم سلمة رحمها الله، فقالت لي: أيُسَبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكم وأنتم أحياء؟ قلتُ: وأنَّى يكون هذا؟ قالَتْ: أَلَيْسَ يُسَبُّ علي عليه السلام ومن يحبّه؟.

ويروي الخوارزمي في مناقبه هذا الحديث مرفوعاً بالأسانيد إلى أم سلمة، فقالت: أيُسَبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكم؟ فقلتُ: معاذ الله، أو سبحان الله، أو كلمة نحوها. فقالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مَنْ سبَّ عليّاً فقد سبَّني، ومن سبَّني فقد سبّ الله من فوق عرشه وكفر.

وإذا كان هذا جرى في العهد الأموي، ففي العهد العبَّاسي كانَتِ الكارثة أشدَّ وأعنف وأدهى وأمَرَّ.

---

(١) الفصول المهمّة، ص ١١١ ط ٣ عام ١٩٦٢ م، ونور الأبصار للشبلنجي، ص ١١٠ ط ٥ عام ١٩٥١ م، والخوارزمي في مناقبه، ص ٩١ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النّجف.

روى عبدالله البزّاز النّيسابوري عن حميد بن قحطبة الطّائي الطُّوسي بأنّه حدَّثه ما يلي: وهذه خلاصة ما حَدَّث.

طلبه الرَّشيد ثلاثَ مرَّاتٍ باللَّيل وهو يظنّ أنّه مقتول. وأخيراً أمر خادِمه أن يناوِلَه سيفاً، فتناولَهُ وقال له هارون الرَّشيد: أطِعْ ما يأمُرُكَ به هذا الغلام. ثمَّ جاء به إلى بيتٍ بابه مغلق، ففتحَهُ، فإذا فيه بئر في وسطه. وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة. ففتح بابَ بيتٍ منها، فإذا فيه عشرون من كهولٍ وشبابٍ وشيوخٍ. وكلّهم من ولد علي وفاطمة. فأمره بضرب أعناقِهم، ففعل. ثم رمى بأجسادهم في تلكَ البئر. ثمَّ فتح باب البيت الآخر ففعلتُ كالمرة الأولى. ثم فتح باب البيت الثَّالِث، فقطعت رأس تسعة عشر نفساً، وبقي شيخ منهم. فقالَ لي: تبَّاً لكَ يا ميشوم!! أيّ عذرٍ لك يوم القيامة إذا قدمتَ على جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قتلتَ من أولاده ستين نفساً قد ولدهم علي وفاطمة. فارتعشَتْ يدي وارتعدَتْ فرائصي. فنَظَر إليّ الخادِم مغضِباً وزبرني. فقتلتُ الشَّيخ وَرُمِيَ به في تلك البئر. وهكذا عمل المنصور مثل هذه الفعلة في ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

وهذه لمحة بسيطة عمّا كان يفعله المنصور معهم. لمَّا بنى الأبنية في بغداد جعل يطلب العلويَّة طلباً شديداً، ويجعل من ظفرَ بهم في الأسطوانات المجوّفة المبنيَّةِ من الجص والآجر. فظفرَ ذات يوم بغلامٍ متَّهم حسن الوجه من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السَّلام، فسلَّمه إلى البنَّاء الّذي كان يبني له، وأمرَهُ بأن يضعه في أسطوانة ويبني عليه. ووكَّل عليه من ثقاتِهِ من يراعي ذلك. فوضعه البنَّاء في جوف أسطوانة، فرَقَّ قلبه له. فترك في الأسطوانة فرجة يدخل منها الرّيح، وقال للغلام: لا بأسَ عليكَ. فسأخرِجُكَ في جوف اللَّيل. فلما جنّ اللّيل جاء فأخْرَجَ العلوي من جوف الأسطوانة، وقال: اتَّقِ الله في دمي ودم الفعلة الَّذين معي. وغيِّبَ شخصك، لأنّي خفتُ إن تركتُكَ في جوفِ الأسطوانة أن يكون جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصمي يوم

---

(١) عيون أخبار الرّضا: للصَّدوق، جـ١ ص ١٠٩ ـ ١١٠.

القيامة، وَأَمرَهُ بالهرب، وعدم الرجوع إلى أمّه. فقال له العلوي: بلّغ أمّي أنّي هربتُ لئلّا تستمرَّ في الجزع والبكاء بعد أن عرَّفه مكان أمّه وأعطاه العلامة[1].

وذكر أبو المظفَّر سبط ابن الجوزي في تذكرته: جيءَ بعددٍ من أولاد الحسن إلى الكوفة بأسوأ حال، بعد أن قدم بعددٍ منهم أبو جعفر المنصور الكوفة على أسوأ حال.

قال الواقدي: وكانوا عشرين من أولاد الحسن عليه السلام، فحبسَهُمْ بها. وقيل: حبسهم بالهاشميَّة مقابل الكوفة في سردابٍ تحت الأرض لا يعرفون ليلاً ولا نهاراً. وهذا السّرداب عند قنطرة الكوفة، موضِعه معروف يُزار. ولم يكن عندهم بئر للماء. فكانوا يبولون ويتغوَّطون في مواضِعهم، فاشتَدَّت عليهم الرَّائحة. فكان الورم يبدو في أقدامهم. وكانوا إذا ماتَ عندهم ميّت لم يدفن، بل يبلى وهم ينظرون إليه. وقيل: بل ردم عليهم الجص فماتوا. وقال الطَّبري: إنّهم ماتوا عطاشاً، لأنّهم ما كانوا يسقون ماء[2].

وإذا تصفَّحنا كتبَ التَّاريخ نجد فيها ما تقشعِرُّ منه الأبدان، ممَّا حَدَثَ بآل علي من الدَّولة العباسيَّة وبمحبّي علي وأهل بيته. فهذا الخطيبُ البغدادي يحدّثنا أنّ نصر الجهضمي ـ المتوفى سنة ٢٥٠ ـ حدَّث عن النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه: أخذ بيد حسن وحسين. فقال: «من أحبَّني وأحبَّ هذين وأباهما وأمَّهما كانَ معي في درجتي يوم القيامة». فلمَّا حدَّث بهذا الحديث أمر المتوكّل بضربه ألف سوط. فكلَّمُه جعفر بن عبد الواحد، وَجعل يقول للمتوكّل: هذا رجلٌ من أهل السّنة، ولم يزل به حتى تركه[3].

قال الخطيب البغدادي: إنّما أمر المتوكّل بضربه لأنّه ظنّه رافضياً. فلمّا علم أنّه من أهل السّنة تركه. وقتل المتوكل يعقوب بن السّكيت الأديب.

---

(١) عيون أخبار الرّضا: للصَّدوق، جـ١ ص ١١١ ـ ١١٢.
(٢) تذكرة سبط ابن الجوزي، ص ٢٣٠ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ، المطبعة العلمية في النّجف.
(٣) تاريخ بغداد، جـ٢ ص ٣٢٩ ط ١٩٣١ م.

وسببُ قتلِهِ أنّه كان معلّماً للمعين والمؤيّد ابني المتوكّل إذ أقبل. فقال له: يا يعقوب: أهما أَحَبُّ إليك؟ أم الحسن والحسين؟ فقال: واللّهِ إنّ قنبر غلام علي خيرٌ منهما ومن أبيهما. فقال المتوكّل: سُلّوا لسانَهُ من قفاه. فسَلُّوه، فمات رحمه الله (١).

فأيُّ رجلٍ يجرؤ على ذكرِ فضائل علي وأهل بيته، والعيون له بالمرصاد والقتل والتعذيب والتّنكيل جزاؤه. فرحمك الله يابن عبد العزيز، حيثُ دمعت عيناه لمّا قال له هذا الخائف. إنّه مولى علي بن أبي طالب.

ذكر ابن عساكِر في تاريخه(٢) قال: وفد زريق القرشي على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين، إني رجلٌ من أهل المدينة، وقد حفظتُ القرآن والفرائض، وليس لي ديوان. فقال له عمر: من أيّ النّاس أنت؟ قال زريق: أنا رجل من موالي بني هاشم. فقال عمر: مولى من (أنتَ)؟ قال: رجلٌ من المسلمين. قال عمر: أسألك من أنتَ وتكتمني؟ فقال زريق: أنا مولى علي بن أبي طالب. وكان بنو أميَّة لا يذكُرُ عليٌّ بين أيديهم. فبكى عمر حتّى وقعَتْ دموعه على الأرض وقال: أنا مولى علي. حدَّثني سعيد بن المسيَّب عن سعد أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم قال لعلي: «أنتَ مني بمنزلة هارون من موسى».

وكيف لا نرحم عمر بن عبد العزيز عندما نقرأ هذه الأرجوزة للعلاَّمَةِ أحمد الخفيض الشافعي منها:

وقد حكى الشّيخ السَّيوطي أنَّهْ	قد كان فيما جعلوه سُنَّهْ
سبعون ألف منبر وعشرَهْ	من فوقِهِنَّ يلعنون حيدرَهْ
وهذه في جنبها العظائم	تصغر بل توجّه اللَّوائِمْ
فهل ترى مَنْ سَنَّها يعادَى؟	أم لا؟ وهل يُسْتَرُ أو يُهَادى
أو عالِمٌ يقول عنه نسكتُ	أجبْ فإنّي للجواب منصِتُ

(١) المنتخب: للطريحي، ط ١ ص ٧.
(٢) تاريخ ابن عساكر، جـ ٥ ص ٣٢٠.

وليتَ شعري هل يقال اجتهدا		كقولهم في بغيه أم ألحدا
أليسَ ذا يؤذيه أم لا؟ فاسمعَنْ		إنّ الذي يؤذيه يؤذي مَنْ وَمَنْ
بل جاء في حديث أمّ سلمَهْ		هل فيكم الله يسبُّ مَنْ لَهْ
عاون أخا الجواب في الجواب		وعاد من عادى أبا تراب[1]

هذا هو موقف القوم حتى أنّهم لم يقتصروا على قتل محبّي علي من المسلمين، بل تجاوزوا ذلكَ إلى الفئات الأخرى إذا أظهروا حُبّ عليّ وأهل بيته.

رُوِيَ عن زين العابدين أنّه قال: لمّا أُتِي برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد كان يتّخذ مجالس لِلشّرب، ويأتي برأس الحسين عليه السلام ويضعه بين يديه، ويشرب عليه، فحضر ذات يوم في مجلسه رسول ملك الرّوم. وكان من أشراف الرّوم وعظمائهم. فقال: يا ملك العرب، هذا رأسُ مَنْ؟ فقال له يزيد: ما لَكَ ولهذا الرأس؟ فقال: إنْ رجعتُ إلى ملكنا يسألني عن كلّ شيءٍ رأيته. فأحبَبْتُ أن أخبرَهُ بقصّة هذا الرّأس وصاحبه حتّى يشاركك في الفرح والسُّرور. فقال له يزيد: هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب. فقال الرُّومي: ومَنْ أمّه؟ فقال: فاطمة بنت رسول الله. فقال النّصراني: أفّ لك ولدينك!! لي دين أحسَنُ من دينكم. إنّ أبي من حوافر داوود عليه السلام. فبيني وبينَهُ آباء كثيرة، والنّصارى يعظّمونني ويأخذون من تراب قدمي تبرُّكاً بأني من حوافِر داوود عليه السلام. وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله! وما بينه وبين نبيكم إلاّ أم واحدة. فأيُّ دين دينكم؟ ثم قال ليزيد: هل سمعتَ حديث كنيسة الحافر؟ فقال له: قل حتّى أسمع. فقال: بين عمان والصّين بحرٌ مسيرة سنة ليس فيها عمران إلاّ بلدة واحدة في وسط الماء، طولها ثمانون فرسخاً في ثمانين. ما على وجه الأرض بلدة أكبر منها. ومنها يحمل الكافور والياقوت. أشجارُها العود والعنبر. وهي في أيدي النّصارى، لا مُلْكَ لأحدٍ مِنَ الملوك فيها سواهم. وفي تلك البلدة كنائس كثيرة أعظمها

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: لأسد حيدر، جـ ٥ ص ٢٠٦ .

كنيسة الحافِر. في محرابها حقّة من ذهب معَلَّقة فيها حافِر. يقولون: إنّ هذا حافِر حمار كان يركبه عيسى عليه السلام . وقد زيّنوا حول الحقّة بالدّيباج يقصدُها في كلّ عام عالَمٌ من النّصارى، ويطوفون حولها، ويقبّلونها، ويرفعون حوائِجهم لله تعالى عندها. هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمارٍ يزعمونَ أنّه حافر حمارٍ كان يركبه عيسى نبيّهم عليه السلام . وأنتم تقتلون ابن بنتِ نبيّكم؟ فلا بارَكَ الله فيكم ولا في دينكم. فقال يزيد: اقتلوا هذا النّصراني لئلاَ يفضحني في بلاده. فلمّا أحسَّ النّصراني بذلك قال له: أتريدُ أن تقتلنِي؟ قال: نعم. قال: اعلَمْ أنّي رأيت البارحة نبيّكم في المنام يقول: يا نصراني أنتَ من أهل الجنّة. فتعجَّبَ من كلامه. «أنا أشهدُ أن لا إلَـه إلاّ الله وأنّ محمّداً رسـولُ الله». ثمّ وثبَ إلى رأس الحسين فضمَّه إلى صدره، وجعل يقبّله ويبكي حتّى قُتِلَ[1].

هذا هو موقف القوم. فشتّان شتّان بينهم وبين أهل الحقيقة الّذين عرفوا الحقيقة فاعتنقوها، لأنّ حبَّ علي هو المحك بلا شَكّ. فمن تخالجه الشّكوك فيه فَلْيسأل أمّه عن أبيه. فالقاعدة الأساسيَّة لمعرفة المؤمن من الكافِر هو حبُّ عليّ وبغضه. فتنبَّهْ أيّها الغافِل وتدارَك نفسَكَ قبل فوات الأوان، ولا تنخدع بما كان عليه الجمهور في معظمه، من كُرْهٍ لعلي وأهل بيته. واعلم بأنّ حبَّ اللّهِ مرتبط بحب نبيّه. وحبُّ الله ورسوله مرتبطان بحبّ العترة الطّاهرة ورئيسها علي. فمن أَحَبَّ الله ولم يحبّ رسوله لم يستفد من إيمانه شيئاً. وكذلك من أحبَّ الله تعالى وأحبّ رسوله ولم يحب العترة، لم يستفد من هذا الحب شيئاً حتى يحبّ العترة. فحبُّ العترة مرتبط بحبّ الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم. ففي الصّحاح عن طريق أَنَس بن مالك: «فوالّذي نفسي بيده لا يؤمنُ أحدكم حتّى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والنّاس أجمعين. وأخرجَ النّصيبِي في فوائده عن طريق أبي ليلى الأنصاري: لا يؤمن عبدٌ لِلّهِ حتّى أكون أحبَّ إليه من نفسه. وتكون عترتي أحبَّ إليه من عترته، ويكون

---

(١) تظلم الزهراء: للقزويني، ص ١٦٤ ـ ١٦٥، طبعة ١٣١٢ هـ.

أهلي أحبَّ إليه من أهله»[1].

فحبُّ العترة شرط من شروط الإيمان. وهي أساس الفوز والنّجاح. أُنظرْ إلى ما يقوله نبيّ هذه الأمّة الإسلامية ﷺ لعلي: «يا عليّ من أحبَّكَ فقد أحبَّني، ومن أحبَّني فقد أحبَّ الله، ومن أبغَضَكَ فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله». فجعل حبّ علي وبغضَهُ هو الأساس الصَّحيح لحب الله وحبّ رسوله وبغضهما. فحبُّ علي هو حبّ الله ورسوله، وبغضه بغضٌ لله ورسوله. وبهذا كان حبُّ عليّ إيماناً وبغضه نفاقاً. روي عن النّبي الأعظم ﷺ قال: «لا يؤمن رجل حتّى يحبَّ أهل بيتي بحبّي». فقال عمر بن الخطّاب: وما علامة حبّ أهلِ بيتك؟ قال: حبُّ هذا، وضرب بيده على علي.

هذا هو علي الذي يردّد الحكّام قائلين: لا يستقيم الأمر لأمّةِ محمّد إلّا بسبّهِ. قيل لمروان: ما لكم تسبُّونه على المنابر؟ فيقول بملءِ فيه: «إنّه لا يستقيمُ لنا الأمر إلّا بذلك»[2].

وهذا عمر بن عبد العزيز يسأل والده قائِلاً: يا أبتي أنت أفصَحُ خطيبٍ يوم حفلِكَ، حتّى إذا مررتَ بلعن هذا الرَّجل أصبحتَ ألكَنَ عِيِّاً!؟ فقال: يا بنيَّ إنّ من ترى تحت منبرنا من أهلِ الشّام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرَّجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد.

هذا هو علي الّذي اتخذوا لعنه سنّةً حتّى إذا سها إمام الجماعة عن سَبّهِ مرة واحدة أخذته الجلبة الصّاعدة إليه من كلّ مكانٍ تطالبه، هاتفةً!! السّنّة السّنّة! فيعرف حينذاك أيّ خطأٍ ارتكب وأيّة سنّةٍ ترك.

هذا موقفهم من علي الّذي هو مولى كلّ مؤمن ومؤمنة. جاءَ عمرَ

---

(١) أخرجه النصيبي أيضاً في الجزء الثاني من أحاديث، والحافظ البيهقي في شعب الإيمان، وأبو الشيخ في الثواب، والديلمي في مسنده، وذكره آخرون في تأليفهم، راجع المحاضرة التي ألقاها الأميني النجفي تحت عنوان (سيرتنا وسنتنا سيرة نبيّنا وسيرته).

(٢) الصواعق المحرقة: لابن حجر، ص ٣٣.

أعرابيان يختصمانِ. فقال لعلي: اقض بينهما يا أبا الحسن، فقضى عليّ بينَهما. فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟! فوثبَ إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال: ويحكَ ما تدري من هذا؟ هذا مولايَ ومولى كلّ مؤمن. ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن(١).

أين هذا الإيمان عند هذا القوم، ومن نهج نهجهم؟ إنَّهم لم يستفيدوا من هذه الشريعة السّمحاء والنّعمة الإلّهية إلا البعد من الله، والهلاك وبئس المصير. فالموسويُّون والمسيحيون أفضل منهم. وَلَقَدْ صدق الشاعر القائل:

إنّ اليهود بحبّها لنبيّها ... أمِنَتْ معرَّة دهرِها الخوَّانِ
وذوو الصّليب بحب عيسى أصبحوا ... يمشون زهواً في قرى نجران
والمؤمنون بحب آل محمّد ... يرمون في الآفاقِ بالنيران(٢)

هذه بعض المواقف التي وقفها أعداء الدّين الإسلامي من بناة هذا الدّين العظيم، وخاصة الإمام علي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وقعة الخندق: برز الإيمان كله إلى الشرك كلّه. وما تجسم الحقد في النفوس مثلما تجسم ضد الإمام. ولما استتب الأمر لمعاوية أخذ يستغل الدين الإسلامي لتحقيق أغراضه الدنيئة باسم الدّين. وأوحى لعلماء السّوء بواسطة الدراهم وغيرها بإصدار الأحاديث الكاذبة لتحقيق رغباتهم الشّيطانية. فذمّوا المحمود، وحمدوا المذموم باسم الدّين وكانت الضحايا خلال الحكم الأموي والعباسي ذرية علي ومحبيه وأتباعه. فقطعوا رؤوسهم، واستلوا ألسنتهم، وألجموا محبّي الوصيّ، ودفن بعضهم أحياءً في الأسطوانات التي تقام عليها الأبنية الفخمة. علاوة على السَّب على المنابر ألف شهر. وهكذا تمّت المؤامرة ضد علي وذريته ومحبيه، وستستمر حتّى ظهور قائم آلِ بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وعندها يقتص المظلوم من الظالم وتنكشف الحقائق لكلّ مخدوع. ويتحقق العدل الإلّهي. وتشرق شمس الحق والدّين. وإنّ غداً لناظره قريب.

---

(١) أخرجه الدّارقطني، وابن السّمان، والمحب الطبري وآخرون غيرهم.
(٢) النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: لابن عقيل العلوي، ص ٩٢ ط ٢ عام ١٩٤٨ م.

الفصل الثالث

خلافته واستخلافه

إنّ خلافة علي بن أبي طالب واضحة وبيّنَةً لمن تجرَّدَ عن الهوى، وتمعَّنَ في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله، وأقوال الصَّحابة. لا يماري بذلك مؤمن، ولا يتردّد بها منصف. فهوَ خليفة المسلمين بعد النَّبي الكريم. وهو أفضل الصّحابة وأعلمُهُمْ وأقضاهم وأعدلهم وأزهدهم وأحلمهم وأعبدهم وأكرمهم وأعفّهم وأشجعهم. فهو لا يجارى ولا يبارى. وهو الإنسان الكامل بعد نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

وقبل أن نناقشَ الخلافة علينَا أن نستمع إلى هذا العثماني المرواني أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ كيف يقف من الخلافة، ونناقِشُها بأسلوبٍ علمي يتحرَّى به الصّدق، ويكشفُ عَنِ الحقيقة. فهو يقول:

هذا كتابٌ من اعتزل الشك والظنّ والدَّعوى والأهواء، وَأخذ باليقين والثقة من طاعة اللّهِ وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإجماع الأمَّةِ بعد نبيّها صلى الله عليه وآله وسلم، ممّا تضمَّنَهُ الكتاب والسّنة، وترك القول بالآراء. فإنّها تخطىء وتصيب، لأنّ الأمّة أجمعتْ أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم شاور أصحابه في الأسرى ببدر، واتّفق رأيهم في قبول الغداء منهم. فأنزل الله تعالى: ﴿ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى﴾[1]

---

(١) سورة الأنفال: آية ١٧.

الآيـة. فقـد بـانَ لـكَ أنّ الـرّأي يخـطىء ويصيب، ولا يعـطي اليقين. وإنّمـا الحجّة لِلّه ورسوله، وما أجمعَتْ عليه الأمّة من كتاب الله وسنّة نبيها. وَنحن لم ندرِكْ النبيَّ ولا أحداً من أصحـابه الّـذين اختلفت الأمّة في أحقّهِمْ فتعلم أيّهم أولى، ونكون معهم كما قـال تعالى: ﴿وكـونوا مـع الصّادقين﴾[1] ونعلم أيّهم على البـاطِـل فنتجنّبهم، وكمـا قـال الله تعـالى: ﴿والله أخـرجكم من بـطون أمّهاتِكم لا تعلمون شيئاً﴾[2] حتّى أدركنا العلم فـطلبنا معـرفة الـدّين وأهله، وأهـل الصّـدق والحق، فـوجـدنـا النّـاس مختلفين يبـرأ بعضهم من بعض، ويجمعهم في حال اختلافهم فريقان:

أحدهما قـالوا: إنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم مـات ولم يستخلف أحداً. وجعـل ذلكَ إلى المسلمين يختارونه. فاختاروا أبا بكر.

والآخرون قالـوا: إنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم استخلف عليّاً فجعلَهُ إمـاماً للمسلمين بعده. وادّعى كلّ فـريق منهم الحق. فلمّا رأينـا ذلك، وقفنـا الفريقين لنبحَثَ ونعلم المحقُّ من المبطِل.

فسألناهم جميعاً، هل للنّاس بدّ من والٍ يقيم أعيـادهم ويجبي زكاتهم، ويفرّقها على مستحقّيهـا، ويقضي بينَهم، ويأخـذ لضعيفهم من قويّهم، ويقيم حدودهم؟ فقالوا: لا بدَّ من ذلك. فقلنا: هل لأحدٍ أن يختار أحداً فيولّيه بغيـر نـظرٍ في كتاب الله وسنّـة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقـالـوا: لا يجـوز ذلـكَ إلاّ بـالنّـظَر. فسألناهم جميعاً عن الإسلام الذي أمر الله به، فقالوا: إنّه الشّهـادتان والإقـرار بمـا جاء من عنـد الله، والصّلاة والصّـوم والحج بشـرط الاستطاعـة، والعمـل بالقرآنِ يحلّ حلاله ويحرّم حرامه. فقبلنا ذلك منهم. ثمَّ سألناهم جميعـاً. هل لِلّهِ خيرة من خلقه اصطفاهم واختـارهم؟ فقالـوا: نعم. فقلنا: مـا برهـانكم؟ فقـالوا: قـوله تعـالىٰ: ﴿وربّك يخلق مـا يشـاء ويختـار مـا كـان لهم الخيـرة من

---

(١) سورة التّوبة: آية ١٢٠.

(٢) سورة النحل: آية ٧٨.

أمـرهم﴾(١). فسألناهم من الخيرة؟ فقالوا: هم المتّقـون. قلنا: مـا برهـانكم؟ قالوا: قوله تعالى: ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقـاكم﴾(٢). فقلنا: هل لله خيـرة من المتّقين؟ قالوا: نعم. المجاهدون بأموالهم، بـدليل قـوله تعـالى: ﴿فضّل الله المجاهدين بـأموالهم وأنفسهم على القـاعدين درجـة﴾(٣). فقلنا: هـل لله خيرة من المجـاهدين؟ قـالوا جميعاً: نعم. السّابقـون من المهاجـرين إلى الجهاد، بدليل قـوله تعـالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبـل الفتح وقـاتل﴾(٤) الآيـة. فقبلنا ذلك منهم، لإجماعهم عليه. وعِلْمنا أنّ خيرة الله من خلقه المجاهـدون السّـابقون إلى الجهـاد. ثم قلنا: هـل لله منهم خيرة؟ قـالوا: نعم. قلنـا: من هم؟ قالوا: أكثرهم عناءً في الجهاد، وطعناً وضرباً وقتلاً في سبيل الله، بـدليل قـوله تعـالى: ﴿مَنْ يعمل مثقـال ذرّة خيراً يـره﴾(٥). ﴿وما تقـدّمـوا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾(٦). فقبلنا ذلـك منهم وعلمناه. وعـرفنا أنّ خيـرة الخيرة أكثـرهم في الجهـاد عنـاءً، وأبـذلهم لنفسـه في طـاعـة الله، وأقتلهم لعـدوّه. فسألناهم عن هذين الرجلين: علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي بكر، أيّهمـا كان أكثر عناءً في الحـرب وأحسنَ بلاءً في سبيـل الله؟ فأجمـع الفريقـان على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كانَ أكثـر طعناً وضـرباً، وأشـدّ قتالاً، وأذبَّ عن دين الله وَرسوله صلى الله عليه وآله وسلم. فثبتَ بما ذكرناهُ من إجماع الفـريقينِ ودلالة الكتـاب والسّنة أنّ عليّاً عليه السلام أفضل.

وسألناهم ثـانياً عن خيـرته من المتّقين. فقـالوا: هم الخـاشعون بـدليلِ قـوله تعـالىٰ: ﴿وأُزلفَتِ الجنـة للمتقين غيـر بعيـد﴾ - إلى قـولـه -: ﴿من خشي الـرّحمٰن بـالغيب﴾(٧). وقـولـه تعـالى: ﴿أُعـدَّت للمتَّقين الـذين يخشـون

---

(١) سورة القصص: آية ٦٨.
(٢) سورة الحجرات: آية ١٣.
(٣) سورة النساء: آية ٩٤.
(٤) سورة الحديد: آية ١٠.
(٥) سورة الزلزلة: آية ٧.
(٦) سورة المزمّل: آية ٢٠.
(٧) سورة قٓ: آية ٣٣.

ربهم﴾[1]. ثمّ سألناهم مَنِ الخاشِعون؟ قالوا: هم العلماء لقوله تعالى: ﴿إنّما يخشى اللَّهَ من عباده العلماء﴾[2]. ثمّ سألناهم جميعاً من أعلم النّاس؟ قالوا: أعلمهم بالقول وأهداهم إلى الحقّ وأحقُّهم أن يكون متبوعاً، ولا يكون تابعاً، بدليل قوله تعالى: ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾[3]. فجعل الحكومة إلى أهل العدلِ. فقبلنا ذلك منهم. ثم سألناهم عن أعلم النّاس بالعدلِ من هو؟ قالوا: أهداهم إلى الحقّ وحقُّهم أن يكون متبوعاً، ولا يكون تابعاً، بدليل قوله تعالى: ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ﴾[4] الآية. فدلَّ كتاب الله وسنّة نبيّه عليه السّلام والإجماع أنّ أفضلَ الأمَّةِ بعد نبيّها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السَّلام، لأنّه إذا كانَ أكثرهم جهاداً كان أتقاهم. وإذا كان أتقاهم كان أخشاهم، وإذا كانَ أخشاهم كان أعلمهم. وإذا كان أعلمهم كان أدلّ على العدل، وإذا كانَ أدَلَّ على العدل كان أهدى الأمَّة إلى الحق. وإذا كان أهدى كان أولى أن يكون متبوعاً، وأن يكون حاكِماً لا تابعاً ولا محكوماً عليه.

وأجمَعَتِ الأمَّة بعد نبيّها أنّه خلَّف كتاب الله تعالى ذكره، وأمرهم بالرُّجوع إليه إذا نابهم أمر، وإلى سنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فيتدبرونها ويستنبطون منهما ما يزول به الاشتباه، فإذا قرأ قارئهم: ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار﴾[5]. فيقال له: أثبتها، ثم يقرأ: ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. وفي قراءة ابن مسعود: «إنّ خيركم عند الله أتقاكم»، ثم يقرأ: ﴿وأزلِفَتِ الجنّة للمتّقين غير بعيد هذا ما توعدون لكلّ أوّابٍ حفيظ. من خشِيَ الرّحمٰن بالغيب﴾[6]. فدلَّتْ هذه الآية على أنّ المتقين هم الخاشعون. ثمّ يقرأ: ﴿حتى إذا بلغَ﴾

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٤٩.
(٢) سورة فاطر: آية ٢٨.
(٣) سورة المائدة: آية ٩٨.
(٤) سورة يونس: آية ٣٥.
(٥) سورة القصص: آية ٦٨.
(٦) سورة قٓ: آية ٣١ و ٣٢ و ٣٣.

إلى قوله تعالى: ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماءُ﴾[1]. فيقال له: اقرأ حتّى ننظر هل العلماء أفضل من غيرهم أم لا؟ حتّى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون﴾[2] علم أنّ العلماء أفضلُ من غيرهم، ثمَّ يقال: إقرأ فإذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿يرفع الله الّذين آمنوا منكم والّذين أوتوا العلم درجات﴾[3]. قيل: قد دلّت هذه الآية على أنّ الله تعالى قد اختار العلماء، وفضّلهم ورفعهم درجات، وقد أجمعت الأمّة على أنّ العلماء من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم الّذين يؤخذ عنهم العلم كانوا أربعة: علي بن أبي طالب عليه السلام، وعبدالله بن العبّاس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم. وقالت طائفة: عمر بن الخطّاب. فسألنا الأمّةَ من أولى النّاس بالتقدّم إذا حضرت الصّلاة؟ فقالوا: إنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يؤمّ بالقوم أقرؤهم». ثمَّ أجمعوا أنّ الأربعة أقرأ لكتاب الله تعالى من عمر، فسقط عمر ثمَّ سألنا الأمّة أيّ هؤلاء الأربعة أقرأ لكتابِ اللّهِ وأفقه لدينه؟ فاختلفوا. فوقفناهم حتّى نعلم. ثم سألناهم أيّهم أولى بالإمامة؟ فأجمعوا على أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الأئمة من قريش» فسقط ابن مسعود وزيد بن ثابت. وبقي علي بن أبي طالب وابن عبّاس. فسألنا أيُّهما أولى بالإمامة؟ فأجمعوا على أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا كانا عالمين فقيهين قرشيين فأكبرهما سنّاً وأقدمهما هجرة». فسقط عبدالله بن العبّاس، وبقي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. فيكون أحق بالإمامة، لما أجمعَتْ عليه الأمّة، ولدلالة الكتاب والسّنة عليه[4].

هذا ما كتبه عثماني مروانيٌّ ليس من حزب علي عليه السلام. ولكنّه تحرّى الحقيقة فظهرت واضحةً له في كتاب الله وسنّة نبيّه والإجماع.

---

(١) سورة فاطر: آية ٢٨.

(٢) سورة الزّمر: آية ٩.

(٣) سورة المجادلة: آية ١١.

(٤) كشف الغمّة: للأربلي، جـ١ ص ٣٦ ـ ٣٩.

وقبل أن ننتقِلَ إلى الأحـاديث النَّبويـة الصَّحيحة الّتي تثبت خـلافة علي عليه السلام لنستمـع إلى أُستاذ ابن أبي الحـديـد أبي جعفـر يحيى بن محمَّـد نقيب البصرة. وكان منصِفاً وافِر العقل. فسأله تلميذه المعتـزلي عن قول علي عليه السلام: كـانت أثـرةَ شحَّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفـوس آخرين؟ فمن يعني ذلك؟ ومن القوم الَّذين عناهم الأسـدي بقولـه: «كيف دفعكم قومكم عن هـذا المقام وأنتم أحقّ به؟» هل المراد به يوم السَّقيفـة أو يوم الشُّـورى؟ فقال: يـوم السَّقيفـة. فقلتُ: إنّ نفسي لا تسـامِحني أن أنسبَ إلى الصَّحـابـة عصيـان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفع النّص. فقـال: وأنا لا تسـامحني أيضاً نفسي أن أنسبَ الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى إهمال أمر الإمامة، وأن يترك النّاس فوضى سُدًى مهملين. وقـد كان لا يغيب عن المـدينة إلّا ويؤمّـر عليها أميـراً، وهو حيّ ليس بـالبعيد عنها، فكيف لا يؤمّر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث!!

ثمَّ قال: ليس يشكّ أحدٌ من النّاس أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم كانَ عاقِلاً كامِل العقل. أمّا المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم. وأمّا اليهود والنّصـارى والفلاسفـة فيـزعمون أنّـه حكيم تام الحكمـة، سديـد الرَّأي، أقـامَ ملّةً، وشرع شـريعَةً، فاستجدَّ ملكاً عظيماً بعقله وتدبيره. وهذا الـرَّجل العـاقِل الكـامِل يعـرف طباع العرب وغرائزهم وطلبهم للثّارات والزّحول، ولو بعد الأزمان المتطاولة. ويقتل الرّجل من القبيلة رجلاً آخر من بيتٍ آخر، فلا يزال أهل ذلكَ المقتول وأقـاربه يتطلّبون القاتِل ليقتلوه حَتَّى يدركوا ثـأرهم منه. فـإن لم يظفـروا به قتلوا بعض أقاربه وأهله. فـإن لم يظفـروا بأحـدهم قتلوا واحداً أو جمـاعة من تلك القبيلة به، وإن لم يكونوا رهطه الأدنين. والإسـلام لم يحل طبـائعهم، ولا غيَّر هـذه السَّجية المذكورة في أخلاقهم، والغـرائز بحـالها. فكيف يتـوهّم لبيبٌ أنّ هذا العـاقل الكـامل وتـر العرب، وعلى الخصـوص قريشـاً، وساعـده على سفـكِ الدّماء وإرهاق الأنفس وتقلّد الضغائن ابن عمه وصهره، وهو يعلم أنّه سيمـوت كما يموت النّاس، ويتركه بعده وعنده ابنته، وله منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهـره حنوّاً عليهمـا، ومحبّةً لهمـا. ويعدل عنـه في الأمر بعـده، ولا ينصّ عليـهِ وَيستخلفه فيحقن دمـه ودم بنيه وأهله بـاستخـلافـه! ألا يعلم هـذا

العاقِل الكامِل أنّه إذا تركه وتركَ بنيه وأهلَهُ سوقةً ورعيّةً، فقد عرّض دماءهُم للإراقة بعده. بل يكون هو عليه السّلام هو الّذي قتلَهُ، وأشاط[1] بدمائهم، لأنهم لا يعتصمون بعده بأميرٍ يحمِيهِمْ، وإنّما يكونون مضغةً للآكِل، وفريسة للمفترس، يتخطَّفُهم النّاس، وتبلغ فيهم الأغراض! فأمّا إذا جعل السُّلطان فيهم، والأمر إليهم، فإنّه يكون قد عصِمَهُمْ وحقن دماءهم بالرئاسةِ الّتي يصولون بها، ويرتدع النّاس عنهم لأجلها. ومثل هذا معلوم بالتّجربة. ألا ترى أنّ ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل النّاس ووترهم، وأبقى في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه، ثم أهمل أمر ولده وذرّيته من بعده، وفسح للنّاس أن يقيموا مَلِكاً من عُرْضِهم، وواحداً منهم، وجعل بنيه سوقة كبعض العامّة، لكان بنوه بعده قليلاً بقاؤهم، سريعاً هلاكهم، وَلَوَثَبَ عليهم النّاس ذوو الأحقاد والتّراث من كلّ جهة، يقتلونهم ويشرّدونهم كلّ مشرّد. ولو أنّه عيَّنَ ولداً من أولاده للملك وقام خواصّه وخدمه وخَوَلَهُ بأمره بعده، لحقنت دماء أهل بيته، ولم تطل يد أحد من النّاس إليهم لناموس الملك وأُبَّهة السّلطنة، وقوّة الرّئاسة وحرمة الإمارة!

أَفَتُرىٰ ذهبَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى؟ أم أَحَبَّ أنْ يستأصل أهله وذريته من بعده؟! وأين موضع الشّفقةِ على فاطمة العزيزة عنده؟ الحبيبة على قلبه!!

أتقول: إنّه أحبَّ أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة، تتكفَّفُ النّاس، وأن يجعل عليّاً، المكرّم عنده، الّذي كانت حاله معه معلومة، كأبي هريرة الدّوسي وأنس بن مالك الأنصاري، يحكّمُ الأمراء في دمه وعرضه ونفسه وولده. فلا يستطيع الامتناع، وعلى رأسه مائة ألف سيفٍ مسلول، تتلظّى أكباد أصحابها عليه، ويودّون أن يشربوا دمه بأفواهِهِم، ويأكلوا لحمه بأسنانِهم. قد

---

(١) أشاط بدمائهم: أهدرها أو عمل على هلاكها.

قتـل أبناءهم وإخـوانهم وآبـاءهم وأعمـامهم، والعهـدُ لم يـطل، والقـروح لم تتقرَّف[1]، والجروح لم تندمِل!![2].

هذا هو التّحليل الدَّقيق الّذِي أتانـا به هـذا الأستاذ، وكـلُّ عاقِـلٍ يلمسُ صحَّة تحليله، ويجده ينطبق على الحقيقة والواقع في كلّ مكان وزمان.

الأدلَّة على استخلاف الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً بعده .

لو تصفَّحنا تاريخ ولادة علي عليه السلام لوجدنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخلفه وهـو طفلٌ صغيـر في مهده. فهـذه أمّه فـاطمة بنت أسـد تقول: فـولدتُ عليّـاً ولـرسول الله ثـلاثون سنـة. وأحبَّه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبّاً شـديداً، وقـال لهـا: اجعلي مهدَهُ بقرب فراشي. وكان صلى الله عليه وآله وسلم يلي أكثرَ تربيته. وكان يطهّر عليّـاً في وقت غسله، ويوجره اللَّبن عنـد شربـه، ويحرّكُ مهـده عند نـومه، ويناغيه في يقـظتِـهِ، ويحمله على صـدره ورقبتـه. ويقـول: «هـذا أخي ووليّي ونـاصـري وصفيّي وذخـري وكهني وصهـري وزوج كـريمـتي وأمينـي على وصـيَّتـي وخليفتي»[3].

ومن الأدلَّة الّتي تثبتُ أنّ أمير المؤمنين عليّـاً عليه السلام وصيُّه وخليفتـه وإمام أمّتِهِ من بعده حديث (الإنذار).

روى أبو جعفر الإسكافي المعتزلي الشَّـافِعِي في (نقض كتاب العثمـانيَّة للحافظ) أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كلّفـه (أي كلَّف عليّاً) ـ في مبـدأ الدَّعـوة قبل ظهـور كلمة الإسلام وانتشاره بمكّة ـ أن يصنَعَ له طعاماً، وأن يدعـو له بني عبـد المطّلب. فصنع له الطّعام ودعاهم له، فخـرجوا ذلـك اليوم، ولم ينـذرهـم صلى الله عليه وآله وسلم لكلمة

---

(١) تقرُّف الجرح: طلعت فوقه قشرة أي شارف البرء.

(٢) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ ٩ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

(٣) راجع كتاب (علي وليـد الكعبة): للشيـخ محمّـد علي االغروي الاوردوبادي. وكتاب (كشف الغمّة): للأربلي، ص ١٩، نقـلاً عن كتاب (بشـائر المصـطفى) مرفـوعاً إلى يزيد بن قعنب .

قـالها عمّـه أبو لهب. فكلّفـه اليوم الثّـاني أن يصنع مثـل ذلـك الـطّعـام، وأن يـدعوهم ثـانيةً، فصنَعَـهُ ودعاهم. فـأكلوا، ثم كلّمهم صلى الله عليه وآله وسلم، فـدعـاهم إلى الـدّين، ودعاه (أي دعـا عليّـاً عليه السلام) معهم، لأنّـه من بني عبـد المـطّلب ثمَّ ضمن لِمَنْ يؤازرُهُ منهم وينصـره على قولـه أن يجعله أخاهُ في الـدّين، ووصيّه بعد موته، وخليفته من بعده، فأمسكوا كلُّهم، وأجابه هو وحـدَهُ (أي علي عليه السَّلام) وقال: أنا أنصرُكَ على ما جئتَ به وأؤازرُكَ وأبايعك. فقال لهم: ـ لمّا رأى منهم الخذلان ومنه النّصر. وشاهَدَ منهم المعصيَةَ، ومنـه الطّاعـة، وعاين منهم الإبـاء، ومنه الإجـابة ـ هَـذَا أخي ووصيّي وخليفتي من بعـدي. فقـامـوا يسخرون ويضحكون ويقولون لأبي طالب: أطع ابنَكَ، فقد أمَّره عليكَ[1].

هذا الحديث يثبتُ لعلي عليه السلام الوصاية والخلافة من بعده بـلا شَكّ ولا ريب، ولا مجالَ فيه للتّأويل إلاّ لمن يجحَدُ الحقيقة.

وهذا ابن جرير الطبري في تاريخه الكبير الجزء الثّاني ص ٢١٦ ـ ٢١٧ ط مصر سنة ٣٠٠ هـ الطّبعة الأولى يحدّثنا عن آية (الإنذار): فقد أخرج بسندِهِ عن عبدالله بن عبّاس، عن علي بن أبي طالب قال: لمّـا نزلَتْ هـذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وأنذر عشيرتَكَ الأقربين﴾[2]الآية، دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي: « يا عليّ إنّ الله أمرني أنْ أنذر عشيـرتي الأقربين ، فضِقْتُ بـذلك ذرعاً، وعرفتُ أنّي متى أبـادئُهم بهذا الأمـر أرى منهم ما أكـره، فصمَّمْتُ عليه حتّى جاءني جبرئيل فقال: يا محمّد إنَّكَ إن لا تفعل ما تُؤْمَرُ به يعذّبْكَ ربُّـكَ، فاصنَعْ لنا صاعاً من طعام، واجعَلْ عليه رجلَ شاةٍ، واملأ لنا عسّاً من لبن، ثم اجمَـعْ لي بني عبد المـطّلب حتّى أكلّمهم وأبلّغهم مـا أُمِـرْتُ بـه، ففعلْتُ مـا أمرني به، ثمّ دعوتهم له، وهم يومئذٍ أربعون رَجُلاً أو ينقصونَهُ، فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعبّاس وأبو لهب. فلمّا اجتمعوا إليه دعـاني بالـطعام الّـذي صنعته لهم. فجئتُ به، فلما وضعتهُ تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذيَةً من اللّحم،

---

(١) علي والوصيّة: لنجم الدين العسكري، ص ٤ ـ ٥.

(٢) سورة الشعراء: آية ٢١٤.

فشقَّها بأسنانِهِ، ثم ألقاها في نواحي الصّحْفَةِ، ثُمَّ قال: خذوا باسم الله. فأكل القوم حتّى ما لهم بشيءٍ حاجة. وما أرى إلّا موضع أيديهم. وأيم الله الّذي نفس علي بيده: إنّ الرّجلَ الواحدَ منهم ليأكل ما قدَّمتُ لجميعهم. ثمَّ قال: اسقِ القوم. فجئتهُم بذلك العس، فشربوا منه حتّى رووا منه جميعاً. وأيم الله إن كان الرّجل الواحد منهم يشرب مثله. فلمَّا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكلّمهم بدره أبو لهب إلى الكلام، فقال: لقِدْماً سحركم صاحبكم، فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال: الغد يا علي، إنّ هذا الرَّجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرَّق القوم قبل أن أكلّمهم، فَعُدَّ لنا من الطّعام بمثل ما صنعتَ، ثم اجمَعْهُم إليَّ. فقال: ففعلتُ. ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطّعام فقرّبته لهم. ففعل كما فعل بالأمس. فأكلوا حتّى مالهم بشيءٍ حاجة. ثم قال: اسقِهِمْ، فجئتُهُمْ بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً. ثمَّ تكلّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا بني عبد المطّلب: إني والله ما أعلم شاباً في العرب جَاء قِومه بأفضل ممّا جئتكم به. إنّي قد جئتكم بخير الدُّنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلتُ: ـ وإني لأحدثهم سنّا، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً ـ أنا يا نبي الله أكون وزيركَ عليه. فأخذ يرقبني. ثم قال: إنّ هذا أخي وَوصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرَكَ أن تسمع لابنك وتطيع»[1].

وحديث (الإنذار) لم يذكرهُ أحد من الرّواة بكماله وتمامِهِ. فالطَّبري حَذَفَ بعد خليفتي (من بعدي). وأخرج هذا الحديث الشّيخ علاء الدّين الشّافِعِي المعروف بالخازن في تفسيره المشهور في جـ٣ ص ٣١، بنفس المعنى، وإن كان اختصرَه بلطف. ولكن حذف كلمة (بعدي) بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم (وخليفتي فيكم).

---

(١) راجع كتاب (علي والوصيّة): لنجم الدّين العسكري ففيه الكفاية والمطلب.

وفي السّيـرة الحلبيَّـة جـ ١ ص ٣١١ لعلي بن بـرهـان الـدّين الحلبي الشَّافِعِي، أخرج الحـديث بمعنى يقارب المعنى السَّـابق. فقال لعلي بعـد أن أجـابـه عليٌّ بـالمؤازرة فقـال: اجلس، فـأنتَ أخي ووزيـري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي.

وأخرجه كذلك الحافظ محمّد بن يـوسف القرشي الكنجي الشّـافعي في (كفاية الطالب) بنفس المعنى من حيث الأكل والشّرب. ثم أنذرهم رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا بني عبـد المطّلب أنـا النّذيـر لكم من الله، والبشير لمـا يحبّه أحدكم. جئتكم بخير الـدّنيا والآخـرة فأسلمـوا وأطيعوا تهتـدوا. ومن يؤاخيني ويؤازرني ويكـون وليّي ووصيّي بعـدي وخليفتي في أهلي، ويقضي دَيْنـي». فأمسك القومُ. فأعادَ ذلك ثلاثاً، كـلّ ذلك يسكت القـوم، ويقول علي: أنـا. فقال: أنتَ. فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطِـعِ ابنَكَ، فقـد أَمَّرَ علينـا وعليك.

وأخـرج الحديث المـلاّ علي المتّقِي الحنفي في (كنز العمّـال) الجزء ٦ ص ٣٩٢، وكذلكَ ابن أبي الحـديد المعتـزلي الشّافعي في شـرحه على نهـج البلاغة، وابن الأثير الشَّافِعي في الكـامِل جـ٢ ص ٢٢٢، وإبـراهيم بن محمّد الحمـويني الشّـافعي في كتـابـه (فـرائـد السّمـطين) جـ ١ بـاب ١٦، ومنهم علاء الدّين المعروف بالخازِن الشافِعي في تفسير الخازن جـ٣ ص ٣٧١ طبع مصر. ومنهم أبو الفـداء صاحب حمـاه في تاريخـه جـ ١ ص ١١٩، والثّعالبي في تفسيـره المسمّى بـ (الكشف والبيـان)، ومنهم جـلال الـدّين السُّيـوطي الشّـافِعِي في تفسيره المشهـور بـ (الدّر المنثـور) جـ ٥ ص ١٩٧ طبـع مصـر. ومنهم أبو عبد الرَّحمن أحمد النّسائي الشّافِعِي في كتـابه المعـروف بخصائص النّسائي ص ١٣. ومنهم النّيسابوري في مستدرك الصَّحِيحَين جـ ٣ ص ١٣٣. ومنهم أحمد بن حنبل في مسنده، وآخرون غيرهم، ولكن فيما ذكرناه كفاية.

ومن الأدلّـة التي تثبتُ أنّ أميـر المؤمنين عليّاً عليه السلام هـو الخليفـةُ بعـدَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم حديث (المنزلة).

فقد أخرجه الخطيب الموفّق بن أحمد الخوارزمي الحنفي في المناقب ص ٢٩ ط ١٩٦٥ ـ المطبعة الحيدرية ـ النّجف. وهذا لفظه بحذف السّند. (قال: حدثني) أمير المؤمنين الرَّشيد عن أبيه عن جده عن عبدالله بن عباس (قال): سمعتُ عمر بن الخطّاب، وعنده جماعة، فتذاكروا السّابقين إلى الإسلام. فقال عمر: أمّا علي فسمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ فيه: ثلاث خصال وَدِدْتُ لو أنّ لي واحدة منهنّ كان أحبَّ إليَّ ممّا طلعَتْ عليه الشّمس. كنتُ أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصَّحابة، إذ ضرب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بيده على منكب علي، فقال: يا عليّ أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأوَّل المسلمين إسلاماً، وأنتَ مِنّي بمنزلة هارونَ من موسى. وأخرج هذا الحديث ابن عساكر في تاريخه الكبير في ورقة ١٤ مختصراً عن عمر بن الخطّاب. وكذلك أخرجه علي المتّقِي الحنفي في (كنز العمّال) جـ ٦ ص ٣٩٥ وفيه زيادة عمّا تقدَّم بقوله: (بعد ذكر أنت منّي بمنزلة هارون من موسى)، وكذب عليٌّ من زعم أنّه يحبّني ويبغضُكَ. وأخرجَهُ الإسكافي في كتابه (نقض عثمانية الجاحظ) ص ٢١ ط مصر، وفيه زيادات نافعة.

وقد روى حديث المنزلة جمعٌ كثير من الصَّحابة عن النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد عدّ بعْضاً منهم الجاحظ بن عساكر: منهم عمر بن الخطّاب، وعلي، وابن عبّاس، وعبدالله بن جعفر، ومعاوية، وجابر بن عبدالله، وجابر بن سمرة، وأبو سعيد، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن أبي أوفى، وثبيط بن شريط، وحبشي بن جنادة، ومالك بن الحويرث، وأنَس بن مالك، وأبو الفضل، وأمّ سلمة، وأسماء بنت عميس، وفاطمة بنت حمزة. وأخرجه ابن كثير في البداية والنّهاية عن سعد بن أبي وقّاص. وذكر الكنجي الشّافِعِي في (كفاية الطّالب) ص ١٥١ رواة حديث (المنزلة) منهم أبو هريرة علاوةً عن المتقدّمي الذّكر.

فحديث (المنزلة) من الأحاديثِ الصَّحيحة عند علماء السّنة وَعلماء الإمامية. فقد أخرجه البخاري في صحيحه جـ ١٤ ص ٣٨٦ ط الهند سنة ١٢٧٢ هـ. وأخرجه في موردٍ آخر من صحيحه أيضاً جـ ١٧ ص ٤٧٥ وخرَّجه

مسلم في صحيحه جـ ٢ ص ٣٦٣ وص ٣٢٤ ط مصر سنة ١٣٢٢ هـ، وخرَّجَهُ الحاكِم النيسابوري الشّافِعِي في المستدرَك للصَّحيحين جـ ٣ ص ١٠٩ وص ١٣٢ أيضاً بأسانيد عديدة. وخرَّجه التِّرمذي في جامعه المعروف بصحيح التِّرمذي جـ ٢ ص ٤٦٠ ط الهند سنة ١٣١٠ هـ. وخرَّجه ابن ماجة القَزويني في سننه جـ ١ ص ٢٨ ط مصر سنة ١٣١٣ هـ. وخرَّجه النّسائي في خصائِصه ص ٧ و ٨ وص ٢٣ و ٣٢. وخرَّجه الذَّهبي في تلخيص المستدرك للصَّحيحين جـ ٣ ص ١٣٤ في ذيل المستدرك للحاكم ط حيدرآباد سنة ١٣٤١ هـ. وخرَّجه البغوي في مصابيح السّنَّة جـ ٢ ص ٢٠١ ط مصر سنة ١٣١٨ هـ. وخرَّجه أبو داود الطَّيالسي في مسنَدِهِ جـ ١ ص ٢٩ ط حيدرآباد سنة ١٣٢١ هـ. وخرَّجه أحمد بن حنبل في مَسْنَدِهِ ط مصر سنة ١٣١٣ هـ جـ ١ ص ١٧٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ٣٣١. وفي جـ ٣ ص ٣٢ و ٣٣٨ و ٣٦٩. وفي جـ ٦ ص ٣٦٩. وفي موارد أُخرى. وَخرَّجه ابن الأثير الجزري الشّافعي في تاريخه الكبير جـ ٢ ص ١٠٦ ط مصر سنة ١٣٣٣ هـ. وخرَّجه علي المتّقِي الحنفي في (كنز العمّال) جـ ٦ ص ١٥٣ وموارد أُخرى. وخرَّجه المحبُّ الطَّبري في (ذخائر العقبى) ص ٥٨ و ٦٣ وفي (الرِّياض النّضرة) جـ ٢ ص ١٥٧. وخرَّجه الخوارزمي الحنفي في (المناقب) ص ٣٢. وخرَّجه ابن حجر الهيثمي في (الصَّواعق المحرقة) ص ٣٠ و ٧٤. وخرَّجه ابن خلّكان في (وفيات الأعيان) جـ ٢ ص ١٠٤. وخرَّجه ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) جـ ٢ ص ٥٠٧. وخرَّجه الشبلنجي الشّافعي في (نور الأبصار) ص ٦٨. وخرَّجه جلال الدّين السُّيوطي الشافعي في تاريخ الخلفاء جـ ١ ص ٦٥. وخرَّجه ابن عبد ربّه في (العقد الفريد) جـ ٢ ص ١٩٤ طبع بولاق سنة ١٣٠٢ هـ. وخرَّجه ابن عبد البر القرطبي في (الاستيعاب) طبع حيدرآباد سنة ١٣١٨ هـ. وخرَّجه الكنجي الشّافِعِي في (كفاية الطّالب) ص ١٤٨ و ١٥١ إلى ١٥٤ في حديثٍ مفصل[١].

---

(١) مقام الإمام أمير المؤمنين: لنجم الدّين العسكري، ص ٣٣ ـ ٣٦.

وبالرَّغم من العداء المرير والكره الشَّديد الَّذي ظهر من معاوية ضدّ علي ﷺ ، فقد روى حديث (المنزلة). قال ابن حجر في صواعقه: أَخْرَجَ أحمد أنّ رجُلاً سأل معاوية عن مسألةٍ، فقال: سَلْ عنها عليّاً فهو أعلم. قال: جوابُكَ فيها أحبُّ إليَّ من جواب علي. قال: بئس ما قلتَ! لقد كرهتَ رَجُلاً كان رسول الله يغرّه بالعلم غرّاً. ولقد قال له: «أنتَ منّي بمنزلةِ هارونَ من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي».

وذكر ابن عبد ربّه في (العقد الفريد) جـ ٣ ص ٢٨٥ وما بعد طبع عام سنة ١٩١٣ م ، احتجاج المأمون على أربعين فقيهاً من فقهاء المسلمين في فضل علي. فانبرى له أعلمهم، وهو إسحٰق بن حمّاد. وجرت المناقشة حتّى توصّلوا إلى حديث المنزلة فقال المأمون:

يا إسحٰق أتروي حديث المنزلة: (أنتَ منّي بمنزلة هارون من موسى)؟ قلتُ: نعم يا أمير المؤمنين قد سمعتُه وسمعْتُ من صحّحه وجحده. قال: فهل يمكنُ أن يكون الرَّسول ﷺ مزح بهذا القول؟ قلتُ: أعوذ بالله! قال: فقال قولاً لا معنى له فلا يوقف عليه ؟ قلتُ : أعوذ باللّهِ ! قال : أفما تعلم أنّ هارونَ كان أخا موسى لأبيه وأُمّهِ؟ قلتُ: بلى. قال: فعليٌّ أخو رسولِ اللّهِ لأبيه وأمّهِ؟ قلتُ: لا. قال: أو ليس هارون كان نبيّاً وعلي غير نبي؟ قلتُ: بلى. قال: فهذان الحالان معدومان في علي. وقد كانا في هارون. فما معنى قوله: «أنتَ منّي بمنزلة هارون من موسى؟» قلتُ له: إنّما أراد أن يطيّبَ بذلكَ نفس علي لمّا قال المنافقون: إنّه خلّفَهُ استثقالاً له. قال: فأرادَ أن يطيّبَ نفسه بقولٍ لا معنى له؟ قال: فأطرقْتُ. قال: يا إسْحٰق له معنى في كتاب اللّهِ بَيّنٌ. قلتُ: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله سبحانه عن موسى أنّه قال لأخيه هارون: ﴿اخلفني في قومي وأصلِحْ ولا تتّبع سبيل المفسدين﴾[1] . قلتُ: يا أمير المؤمنين إنّ موسى خَلَّفَ هارون في قومِهِ وهو حيٌّ، ومضى إلى ربّه، وأنّ رسولَ اللّهِ ﷺ خَلَّفَ عليّاً كذلِكَ حين خرج إلى غزاته. قال: كلّا! ليس كما قلتَ: أخبرني عن موسى حين خلّف هارون، هل

(١) سورة الأعراف: آية ١٤٢.

كان مَعَهُ حين ذهبَ إلى ربّه أحدٌ من أصحابه أوْ أحدٌ من بني إسرائيل؟ قلتُ: لا. قال: أو ليس استخلَفَهُ على جماعتهم؟ قلتُ: نعم. قال: فأخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين خرج إلى غزاته هل خلَّف إلاَّ الضُّعفاء والنِّساء والصِّبيان، فأنّى يكون مثل ذلك؟ وله عندي تأويلٌ آخر من كتابِ الله يدلّ على استخلافِهِ إيَّاه! لا يقدر أحدٌ أن يحتجَّ فيه! ولا أعلَم أحداً احتجَّ به. وأرجو أن يكون توفيقاً من الله! قلتُ: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله عزّ وجَلَّ حين حكى عن موسى قوله: ﴿واجعَلْ لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشْدُدْ به أزري وأشركْهُ في أمري كي نسبّحك كثيراً ونذكُرَكَ كثيراً إنَّكَ كنتَ بنا بصيراً﴾(1). فأنتَ منّي يا علي بمنزلة هارون من موسى وزيري من أهلي، وأخي شدَّدَ الله به أزري، وأشركه في أمري كي نُسَبِّحَ الله كثيراً ونذكره كثيراً. فهل يقدر أحدٌ أن يدخل في هذا شيئاً غير هذا؟ ولم يكن ليبطل قول النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن يكون لا معنى له؟.

وحديث (المنزلة) وردَ في مناسباتٍ عديدة علاوةً عن مناسبَةِ تبوك. فإذا أراد الباحث أن يطَّلع عليها فليراجع كتابَ (المراجعات) لِشَرَفِ الدّين الموسوي. ففيه ما يروي الغليل ويشفي العليل، إذا تخلّى عن الهوى المتغلغل في اللاّشعور.

وفي المأثور من دعاء النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهمَّ إنّ أخي موسى سألَكَ فقال: ﴿ربِّ اشرَحْ لِي صدري ويسّر لي أمري، وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعَلْ لي وزيراً من أهلي هارون أخي أُشْدُدْ به أزري وأشركه في أمري﴾(2). فأوحيتَ إليه: سنشدُّ عَضُدَكَ بأخيك، ونجعل لكُما سلطاناً. اللهمَّ وإنّي عبدُكَ ورسولُكَ محمّد، فاشرَحْ لي صدري، ويسّر لي أمري، واجْعَل لي وزيراً من أهلي أخي...» الحديث(3).

---

(1) سورة طه: آية ٢٩ ـ ٣٥.

(2) سورة طه: آية ٢٥ حتّى ٣٢.

(3) أخرجه الإمام أبو إسحٰق الثعلبي عن أبي ذر الغفّاري في تفسير قوله تعالى: ﴿إنّما=

وخلاصة البحث أنّ منزلة علي عليه السلام من النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة هارونَ من موسى باستثناء النبوَّة، ومنازِلُ هارون من موسى هي: الشّركة في النبوَّة، وأخوة النَّسب، والتقدّم عنده في الفضل والمحبَّة والاختصاص على جميع قومه، والخلافة له في حال غيبته على أمَّتِهِ، وأنّه لو بقي بعده لخلّفه فيهم. ولذلك يجبُ أن يكون أميرُ المؤمنين مفترضَ الطّاعة على الأمَّةِ في حياةِ النَّبي كهارون في حياة موسى. ونحن نقول: لو فرض علينا الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم صيامَ أسبوع في محرَّم لكان ذلك شرعاً له. فَلِمَ هنا لم نعتبره شرعاً؟

وإنَّ في الآية: ﴿واخلِفْني في قومه﴾ لأكبر دليل على صحَّة خلافته. والإجماع متّفق على أنّ هارون كان خليفة لموسى، ونائباً عنه، ومطيعاً لأمره ونهيه. فإذا ثبت كون هارون عليه السلام خليفةً لموسى عليه السلام على أُمَّتِهِ في حياته، ومفترض الطَّاعةِ عليهم، وأنّ هذه المنزلة من جملة منازِلِهِ منه. ووجدنا النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم استثنى ما لم يرده من المنازِل بعدَهُ بقوله: «إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي» ـ دلَّ هذا الاستثناء على أنَّ ما لم يستثنِهِ حاصِلٌ لأمير المؤمنين عليه السلام بعده. وإذا كان من جملةِ المنازِل الخلافة في الحياة ـ وثبتَتْ بعده ـ فقد وضح وجه النّص بالإمامة.

وحديث (المنزلة) أُلّفَ فيه كتبٌ خاصّة. فقد أَلَّفَ السَّيد مير حامد حسين الهندي مجلَّداً ضخماً في هذا الحديث الّذي يثبت هو وغيره من الأحاديث وصاية الإمام عليه السلام وخلافته من بعده.

وهناك أحاديث متعدّدة تُثْبِتُ استخلاف علي عليه السلام على الأمّة الإسلاميةِ منها:

الحديث الأوّل: فرائد السّمطين جـ ٢ باب ٨: أخرج بسنَدِهِ عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس، قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً ذات يوم إذ أقْبَل الحسن عليه السلام. فلمّا رآه بكى. ثم قال: إلَيَّ إليَّ يا بُنَيَّ، فمازال يدنيه حتّى أجلسَهُ على فخذه الأيمن، ثم أقبل الحسين عليه السلام فلما رآهُ بكى،

= وليُّكم الله ورسوله والّذين آمنوا﴾ في سورة المائدة من تفسيره الكبير. ونقل نحوه المتتبِّع البلخي في مسند الإمام أحمد. راجع كتاب (المراجعات)، ص ١٧٢ للموسوي.

ثم قال: إليّ إليّ يا بُنيّ، فما زال يدنيه حتّى أجلسَهُ على فخذه الإيسر. ثمَّ أقبلَتْ فاطمة عليها السلام، فلمَّا رآها بكى. ثم قال: إليّ إليّ يا بنيّة! فأجْلَسها بين يديه. ثمّ أقبل علي عليه السلام، فلمَّا رآه بكى. ثمَّ قال: إليَّ إليَّ يا أخي، فما زال يدنيه حتّى أجلَسَهُ إلى جنبه الأيمن. فقال له أصحابه: يا رسولَ اللّهِ ما ترى واحِداً من هؤلاء إلاّ بكيتَ. أوَمَا فيهم من تُسَرُّ برؤيته؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «والّذي بعثني بالنبوَّة واصطفاني على جميع البريَّة! إنّي وإيّاهم لأكرم الخلق على الله عَزَّ وَجَلَّ. وما على وجه الأرض نسمة أحبّ إليَّ منهم. أمَّا علي بن أبي طالب فإنّه أخي وشقيقي، وصاحب الأمر بعدي، وصاحب لوائي في الدُّنيا والآخرة، وصاحب حوضي وشفاعتي. وهو مولى كلّ مسلم، وإمام كلّ مؤمِن. وقائد كلّ تقي. وهو وصيّي، وخليفتي على أهلي وأُمّتي في حياتي وبعد موتي، ومحبُّه محبّي، ومبغضه مُبْغِضي، وبولايته صارت أُمّتي مرحومة، وبعداوته صَارَتْ المخالفة له ملعونة. وإني بكيتُ (لمَّا رأيته) لأنّي ذكرتُ غدر الأمَّةِ به بعدي، حتّى أنّه يُزَال عن مقعدِي، وقد جعله الله له بعدي، ثمَّ لا يزال الأمر به حتَّى يُضْرَبَ على قرنه ضربَةٌ تخضبُ منها لحيته في أفضل الشهور شهر رمضان الَّذِي أُنْزِلَ فيه القرآن. وأمّا ابنتي فاطمة فإنَّها سيّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخرين. وهي بعضةٌ منّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي الّتي بين جنبي، وَهي الحوراء الأنسيّة، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جَلّ جلاله. زَهَر نُورها لملائكة السَّماء، كما يزهر نور الكواكِب لأهل الأرض. ويقول الله عزّ وجَلّ لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أُمتي فاطمة سيّدة إمائي قائمةً بين يدي ترعد (ترتعد خ ل) فرائصها من خيفتي، وقد أقبلَتْ إليَّ بقلبها على عبادتي. أشْهِدُكُمْ أنّي قد آمنتُ شيعتها من النّار. وإنّي لمّا رأيتها ذكرتُ (ما يصنَعُ بها بعدي، وَكأنّي بها وقد دَخَلَ عليها الذّل في بيتها، وانتهكت حرمتها، وغُصِبَتْ حقها، ومُنِعَتْ إرثها، وكُسِرَ جنبها، وسقط جنينها)[1]. وهي تنادي: يا محمَّداه، فلا تُجاب، وتستغيث فلا تغاث. فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكيةً. فتتذكَّر انقطاع الوحي من بيتها

(١) الجمل الموضعة بين ( ) قوسين من كتاب الفضائل لشاذان القمي.

مرّةً، وتتذكر فراقي أُخرى، وتستوحش إذا جَنّها اللّيل لفقد صوتي الـذي كانت تستمع إليه إذا تهجّدت بالقرآن، ثم ترى نفسهـا ذليلةً، بعد أن كـانت في أيام أبيهـا عزيـزة. وعند ذلـك يؤنِسها الله تعـالى فيناديهـا بما نـادى بـه مـريم بنت عمـران . فيقول لفـاطمة: ﴿إن الله اصـطفاكِ وطهَّـركِ واصـطفـاكِ على نسـاء العالمين﴾ يا فاطمة : ﴿اقنُتِي لربّكِ واسجدي واركعي مع الـرَّاكعي﴾[1] . ثمَّ يشتدُّ بها الوجع فتمرض، فيبعث الله عزّ وجَلّ إليها مـريم بنت عمران تمـرّضها وتؤنِسُها في عِلّتها، فتقول عند ذلـك: يا ربّ إنّي سئمتُ من الحيـاة، وتبرَّمتُ بـأهْلِ الـدُّنيا، فـألحقنِي بـأبي. فيلحقهـا الله عـزّ وجَـلَّ بي، فتكـون أوَّل من يلحقني من أهل بيتي. فتقدم عليَّ محزونةً مكروبةً مغمومةً [معصـوبة مقتـولة، فـأقُولُ عنـد ذلكَ: اللهمّ العن ظـالمِها، وعـاقِبْ من غصبها حَقّهـا، وأذُلَّ من ذلّها، وخلّد في النّار من ضربها على جنبها حتّى ألقَتْ ولدها. فتقول الملائكة عند ذلكَ: آمين][2].

وأمّا الحسن فإنّـه منّي وولدي وقـرَّة عيني، وضياء قلبي، وثمـرة فؤادي. وهو سيّد شباب أهل الجنّة، وحجّة الله على الأمّة. أمرُهُ أمـري، وقولـه قولي، مَنْ تبعه فإنّه منّي، ومن عصاه فإنّه ليس منّي. وإنّي إذا نظرتُ إليه تـذكّرتُ مـا يجري عليه من الذّل بعدي، ولا يزال الأمرُ به حتّى يُقْتَل بالسّم ظلماً وعدواناً، فعند ذلكَ تبكي عليه الملائكـة والسّبع الشّـداد لموتـه، ويبكيه كـلّ شيءٍ حتّى الطّير في جـوّ السّماء، والحيتـان في جوف المـاء. فمن بكاهُ لم تعم عينُـه يومَ تعمى العيون. ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب. ومَنْ زارَهُ في بقعتِهِ ثبتَتْ قدمه على الصّراط يوم تزلّ فيه الأقدام.

وأمّا الحسين فإنّه منّي. وهو ابني وولـدي وخير الخلق بعـد أخيه، وهـو إمـام المسلمين، وخليفـة ربّ العـالمين، وغيّـاث الـمستغيثين، وكـهفَ المستجيرين، ورحمة الله على خلقـه أجمعين. وهو سيّـد شباب أهـلِ الجنّة،

---

(1) سورة آل عمران: آية ٤٢ - ٤٣.

(2) الجمل الموضوعة بين قوسين [ ] من كتاب الفضائل لشاذان القمي.

وباب نجاة الأمّة، أمره أمري، وطاعته طاعتي. مَنْ تَبِعَهُ فإنّه منّي ومن عصاهُ فليس منّي. وإني لمّا رأيته تذكَرْتُ ما يُصْنَع به بعدي، كأنّي به وقد استجار بحرمي وقبري، فلا يجار، فأضمّه في منامه إلى صدري، وآمرُهُ بأن يرتحل عن دار هجرتي، وأبشّره بالشّهادة فيرتحل عنها إلى أرض مقتلِهِ، وموضع مصرعه، أرض كرب وقتل وفناء، تنصره عصابة من المسلمين. أولئك سادة شهداء أُمّتي يوم القيامة، كأنّي أنظر إليه، وقد رمى بسهمٍ، فخرّ عن فرسه صريعاً. ثم يذبح كما يذبح الكبش مظلوماً. ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبكى من حوله، وارتفعت أصواتهم بالضّجيج. ثم قامَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: اللهمَّ إنّي أشكو إليكَ ما يلقى أهل بيتي بعدي، ثم دخل منزله»[1].

الحديث الثاني: مناقب الخوارزمي ص ٢٤٠. أخرج بسنده عن أبي جعفر محمّد بن علي عن أبيه، عن جدّه، قال: قال علي عليه السلام: قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لمّا أسرى بي إلى السّماء، ثمَّ من السّماء إلى سدرة المنتهى، وقفْتُ بين يدي ربّي عزّ وجلّ. فقال لي: يا محمّد، قلتُ: لبّيْكَ وسعديكَ. قال: قد بلوتَ خلقي، فأيُّهم رأيتَ أطوع لك؟ قال: قلت: يا ربِّ عليّاً. قال: صدقتَ يا محمّد. فهل اتخذت لنفسكَ خليفةً يؤدّي عنك، يعلّم عبادي من كتاب الله ما لا يعلمون؟ قال: قلتُ: يا ربِّ اخْتَرْ لِي، فإنّ خيرتَكَ خيرتي. قال: اخترتُ لك عليّاً، فاتّخِذْهُ لنفسك خليفةً ووصيّاً، ونحلته علمي وحلمي، وهو أمير المؤمنين حقّاً لم ينلها أحدٌ قبلها، وليست لأحد بعده. يا محمّد: علي راية الهدى، وإمام من أطاعني، ونور أوليائي. وهو الكلمة الّتي ألزمتُها المتّقين. من أحبَّهُ فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني. فبشّرهُ يا محمّد بذلك. فقال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: قلتُ: ربّي بَشَّرْتُه به. فقال: أنا عبدالله وفي قبضته. إن يعاقبني فبذنوبي لم يظلمني شيئاً وإن تَمَّمَ عَليَّ وعدي فإنّه

---

(١) أخرج السيد هاشم البحراني الحديث في غاية المرام، ص٤٨، عن ابن بابويه القميّ، ولفظه ولفظ الحمويني متقاربان. راجع علي والشيعة لنجم الدين العسكري، وراجع علي والوصية للعسكري، والفضائل لشاذان القمي، ص٨ و٩ و١٠ و١١، منشورات مكتبة العرفان.

مولاي. قال: أجل. قال: قلت: يـا ربّ آجْلُ قلبـه، واجعل ربيعـه الإيمان. قال: قد فعلتُ ذلكَ به يا محمّد. غير أنّي مختصُّه بشيءٍ من البـلاء ثم أخصَّ بـه أحداً من أوليـائي. قال: قلتُ: يـا ربّ أخي وصاحبي، قـال: قد سبق في علمي أنّـه مبتلىً، ولولا عليٌّ لم يعـرف حزبي ولا أوليـائي ولا أولياء رسلي». في حلية الأولياء ١/١٩ نحوه مع اختلاف يسير[1].

الحـديث الثـالث: أخـرج الصـدوق محمّـد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابـويه القمّي في كتـابه (إكمـال الدّين وإتمـام النّعمة) بـالإسناد إلى عبد الرّحمن بن سمرة من حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء فيه: «يا بن سمرة إذا اختلفت الأهواء وتفرَّقَتْ الآراء، فعليك بعلي بن أبي طالب، فإنّه إمام أُمّتِي وخليفتي عليهم من بعدي».

الحديث الرّابع: أخرج الصدوق في (الإكمال) أيضـاً بسنده إلى الإمـام الرّضا عن آبـائه مـرفوعـاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قـال: «من أحبَّ أن يتمسَّكَ بديني، ويركب سفينـة النَّجاة بعـدي فليقتدِ بعلي بن أبي طـالب، فإنّـه وصيّيّ وخليفتي على أُمَّتِي في حياتي وبعد مماتي.

الحديث الخامس: أخْـرَجَ الصدوق في (الإكمـال) بالإسنـاد إلى الإمام الحسن العسكري عن أبيه عن آبائه مـرفوعـاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حـديثٍ قـالَ فيـه: «يـا بـن مسعـود: علي بن أبي طـالب إمـامكم بعـدي، وخليفتي عليكم».

الحديث السَّادس: أخرج الصدوق في (أماليه) عن ابن عبَّاس قالَ: قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يـا عليّ أنت خليفتي على أُمَّتي وأنتَ منّي كـشيث من آدم».

الحـديث السَّابـع: أخرج الصـدوق في (أماليـه) عن جـابـر بن عبـدالله الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «علي بن أبي طالب أقدمهم سِلمـاً،

---

(١) المناقب: للخوارزمي، ص ٢١٥ ط ١٩٦٥م، المطبعة الحيدرية بالنَّجف.

وأكثرهم علماً. . . إلى أن قالَ: وهو الإمام والخليفة بعدي».

الحديث الثامن: أخرج الصدوق في (أماليه) أيضاً بسنده إلى أمير المؤمنين، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاتَ يومٍ فقال: «أيُّها النَّاس إنَّه قد أقبلَ شهر الله. . . ثمَّ ساق الحديث في فضل شهر رمضان. قال علي: فقلتُ، يا رسولَ اللَّه: ما أفضَلُ الأعمال في هذا الشّهر؟ قال: الوَرَعُ عن محارم الله. ثم بكى. فقلتُ: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: يا علي، أبكي لما يستحلُّ منكَ في هذا الشّهر، إلى أن قال: يا عليّ، أنت وصيّيّ وأبو ولدي وخليفتي على أُمَّتي في حياتي وبعد موتي. أمرك أمري، وَنَهْيُكَ نهييّ». الحديث.

الحديث التاسع: أخرج الصدوق في (أماليه) أيضاً عن ابن عباس أيضاً من حديثٍ قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ أنت إمام أُمّتي، وخليفتي عليها بعدي». الحديث.

الحديث العاشر: أخرج الصدوق في كتاب (النّصوص على الأئمة) أيضاً بسندِهِ إلى عمران بن حصين. قال: سمعتُ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي: «وأنت الإمام والخليفة بعدي».

الحديث الحادي عشر: من كتاب (المناقب) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، أنّه سمع نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنّ أخي ووزيري وخير مَنْ أخلّفه من بعدي علي بن أبي طالب»[1].

الحديث الثّاني عشر: روى الشَّيخ الطّوسي قدَّس الله روحه، بإسنادِهِ إلى ابن عبّاس قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أعطاني الله تباركَ وتعالى خمساً، وأعطى عليّاً خمساً. أعطاني جوامع الكَلِم، وأعطى عليّاً جوامع العلم. وجعلني نبيّاً، وجعله وصيّاً. وأعطاني الكوثر، وأعطاه السَّلسبيل، وأعطاني الوحيَ، وأعطاهُ الإلهام. وأُسْرِيَ به إليه، وفتح له أبواب

---

(١) كشف الغمّة، جـ ١ ص ١٥٣.

السَّماء والحجب حتّى نظر إليَّ ونـظرتُ إليه. قـال: ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فـقــلْتُ له: ما يبكيك فداكَ أبي وأمي؟! فقال: يابن عبّـاس إنّ أوّل ما كلّمني به أن قال: يـا محمّد أُنْـظُر تَحْتَكَ، فنـظرتُ إلى الحجب قد انخـرقَتْ، وإلى أبـواب السَّمـاء قـد فُتِحَتْ، ونـظرْتُ إلى علي عليه السلام وهـو رافـعٌ رأســه إليَّ، فكلّمني وكلّمتـه، وكلَّمني ربّي عزّ وجَـلّ. فقلتُ: يـا رسـولَ الله بِمَ كلّمَـكَ؟ قال: قال لي: يا محمّد إنّي جعلتُ عليّاً وصيَّكَ ووزيرَكَ وخليفتَكَ من بَعْـدِكَ، فعلمـه فيهَا ، هو يسمع كلامَكَ، فأعلمته وأنا بين يدي ربّي عزّ وجَـلّ. فقال لي: قد قبلْتُ وأطعْتُ. فأمر اللّهُ الملائكة أن تسلّم عليه، ففعلت. فرَدَّ عليهم السَّلام. ورأيتُ الملائكةَ يتباشرون به، وما مررتُ بملائكةٍ من مـلائكَةِ السَّمـاء إلاّ هنّؤوني وقالوا: يا محمّد، والّذي بعثَكَ بالحقّ نبيّاً لقـد دخل السُّـرور على جميع الملائكة باستخلافِ الله عزَّ وجـلّ لك ابن عَمِـكَ، ورأيت حملة العرش قـد نكَّسوا رؤوسهم إلى الأرض. فقلتُ: يـا جبـرئيـل لِمَ نَكَّس حملةُ العـرش رؤوسهم إلى الأرض؟ فقال: يا محمّـد ما من ملك من المـلائكةِ إلاّ وقـد نظر إلى وجـه علي بن أبي طـالب استبشـاراً بـه مـا خـلا حملة العــرش، فـإنّهم استأذنوا الله عزّ وجلّ في هـذهِ السَّاعـة، فأذِنَ لهم أن ينـظروا إلى علي بن أبي طالب. فنظروا إليه، فلمّا هبطت جعلْتُ أخبرُهُ بذلكَ وهو يخبرني بـه، فعلمتُ أنّي لم أطأ موطئاً إلاّ وقد كِشِفَ لعليّ عنه حتّى نَظَرَ إليه».

الحديث الثالث عشر: في التّاريخ الكبير لابن عساكر، أخرج بسنَدِهِ عن ابن عبّـاس قـال: ستكـون فتنـةٌ. فـإن أدركهـا أحـد منكُم فعليـه بخصلتين: كتـاب الله وعلي بن أبي طالب. فـإنّي سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقـول: «وهـو آخـذٌ بيد علي: هـذا أوَّل من آمنَ بي، وأوّل من يصافحني يـوم القيامـة. وَهُوَ فـاروق هذه الأمّـة يفرّقُ بين الحقّ والبـاطِل. وهـو يعسوب المؤمنين، والمـالُ يعسـوب الكافـرين. وهو الصـديق الأكبر. وهـو بـأبي الّـذي أوتيَ منـه. وَهُـوَ خليفتي من بعدي».

الحـديث الرّابـع عشر: أخْـرَجَ العلاّمـة إبـراهيم بن محمّـد الحمـويني الشّافعي في فرائد السّمْطين (جـ ١ البـاب ٥) مرفـوعاً بـالأسانيـد إلى علي بن

موسى الرّضا، عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من أحبّ أن يتمسّك بديني ويركب سفينة النّجاة بعدي، فليقتدِ بعلي بن أبي طالب، وليعاد عدوّه، وليوالِ وليّه، فإنّه وصيّي وخليفتي على أُمّتي في حياتي وبعد وفاتي. وهو إمام كلّ مسلم، وأمير كلّ مؤمن بعدي. قوله قولي، وأمره أمري، ونهيُهُ نهيي، وتابعُهُ تابعي، وناصرُهُ ناصري، وخاذله خاذلي. (ثم قال عليه السلام): مَنْ فارق عليّاً بعدي لم يرني ولم أرَهُ يوم القيامة. ومن خالف عليّاً حرّم الله عليه الجنّة، وجعل مأواه النّار. ومن خذل عليّاً خذله الله يوم يُعْرَض عليه، ومن نصر عليّاً نصره الله يوم يلقاه، ولقّنه حجّته عند المسألة. (ثم قال عليه السلام): والحسن والحسين إماما أُمّتي بعد أبيهما، وسيّدا شباب أهل الجنّة، أمُّهما سيّدة نساء العالمين، وأبوهما سيّد الوصيّين، ومن ولد الحسين تسعة أئمة تاسعهم القائم من ولدي. طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي. إلى اللّهِ أشكو المنكرين لفضلهم، والمُضَيّعين لحرمتهم بعدي. وكفى باللّهِ وليّاً وناصِراً لعترتي وأئمة أُمّتي، ومنتقماً من الجاحدين حقّهم، ﴿وسيعلم الّذين ظلموا أيَّ منقلَبٍ ينقلبون﴾ .

أخرَجَ هذا الحديث العلاّمة الحجّة السيّد هاشم البحراني في (غاية المرام) ص ٣٥ من فرائد السّمطين مسنداً، ولفظه يساوي ما أخرجناه من الكتاب المذكور[١].

الحديث الخامس عشر: (في فرائد السّمْطين) للحمويني الشّافِعِي أخرج بسندِهِ قال: حدَّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل قال: نَبأنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي، قال: نبّأنا محمّد بن إسماعيل عن علي بن عثمان، عن محمّد بن الغراب، عن ثابت بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّ علي بن أبي طالب إمام أُمّتي، وخليفتي عليها بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. والّذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً، إنّ الثّابتين على القول بإمامَتِهِ

(١) راجع (علي والوصيّة): لمؤلّفه العسكري، ص ٢٣ ـ ٢٤.

في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر. فقام إليه جابر بن عبدالله الأنصاري فقال: يا رسولَ الله، وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: إي وربّي ليمحص الله الّذين آمنوا ويمحص الكافرون. يا جابر إنّ هذا الأمر من أمر الله، وسرٌّ من سرّ الله، علّته مطوية من عبادِهِ. فإيّاك والشّك، فإنّ الشّكّ في أمر الله كفر».

وأخرج هذا الحديث القندوزي في ينابيعه ص ٤٤٨ عن ابن عبّاس مع تغييرٍ في ألفاظِهِ وإسقاطِ كثيرٍ منها[1].

الحديث السادس عشر: من المناقب للخوارزمي يقول: وأخبرني شهردار إجازة أخبرني عبدوس بن عبدالله هذا كتابةً، حدّثني أبو منصور، حدّثني علي بن القاسم، حدَّثني إبراهيم، حدّثني الحكيم بن سليمان الحلبي، أخبرَنا أبو محمّد، حدَّثنا علي بن هاشم عن مطير بن ميمون، أنّه سَمِعَ أنَس بن مالِك يقول: حدَّثني سلمان الفارسي أنّه سَمِعَ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنّ أخي ووزيري وخير من أخلّفه بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام». مناقب الخوارزمي ص ٦٢ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدرية ـ النّجف.

هذا غيضٌ من فيض وهذه الأحاديث التي تدلّ على استخلاف علي على النّاس تحتاج إلى مجلّدٍ ضخم لتحويلها بكامِلها.

ومن الأدلّة التي تثبتُ أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام وصيُّه وخليفتُهُ على خلقه أحاديث الوصيَّة. وهي كثيرة نقتصِرُ على بعضٍ منها:

الحديث الأوّل: أخرج العلاّمة سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيعه) ص ٢٥١ بسنَدِهِ عن عمر بن الخطّاب. قال: (قال) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ لمّا عقد المؤاخاة بين أصحابه ـ قال: «هذا علي أخي في الدّنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي، ووصيّي في أُمّتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، ما له مني ما لي منه. نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، مَنْ أحبَّهُ فقد أحبَّني، ومن أبغضَهُ فقد أبغضَني».

---

(١) راجع (علي والوصيّة): لنجم الدّين العسكري، ص ٢٩.

الحـديث الثّاني: (الـرِياض النّضِـرة جـ ٢ ص ١٧٨ للمحبّ الـطّبـري) قال: (ذكر اختصـاصه عليه السلام بـالولايـة والإرث) ثم قال: عن بـريدة قـال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لكلّ نبيّ وصيّ ووارث، وأنّ عليّاً وصيّي ووارثي». (وفيه أيضاً) عن أَنَس قال: قلنا لسلمان: سل النّبي صلى الله عليه وآله وسلم مَنْ وصيُّه؟ فقال سلمان: يا رسولَ اللَّه مَنْ وصيُّكَ؟ (قال): «يا سلمـان: مَنْ كـان وصيّ موسى؟ قـال: يوشع بن نون. (قال): فإنّ وصيّي ووارثي يقضي دَيْني وينجز موعدي علي بن أبي طالب».

الحديث الثالث: أخرج القندوزي الحنفي في (ينابيع المـودَّة) ص ١٢٣ من المناقِبِ بسنده عن علي بن الحسين، عن أبيـه، عن جـده أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، (قـال) قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله قـد فـرض عليكم طـاعتي، ونهـاكم عن معصيتي، وفـرض عليكم طـاعـة علي بعـدي، ونهاكم عن معصيته. وهـو وصيتي ووارثي. وهو منّي، وأنـا منه. حبُّـه إيمان، وبغضـه كفر. محبـةُ محبّي، ومبغضُهُ مبغضِي. وهـو مـولى من أنـا مـولاه، وأنا مولى كلّ مسلمٍ ومسلمة. وأنا وهو أبوا هذه الأمة».

وفي (ينـابيعـه) أيضـاً ص ١٢٣ من المنـاقب بسنـدِهِ عن الأعمش، عن جعفر الصّادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام: (قال) قالَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «يـا عـلـي أنـت أخي ووارثي ووصيّي. محبُّك محبّي، وَمبغضك مبغضي. يا علي أنا وأنت والأئمة من ولدِكَ سادات الدّنيا وملوك الآخرة. من عـرفنا فقـد عرف الله. ومن أنكرَنا فقد أنكر الله عزّ وجَلّ».

وأخـرَجَ أيضاً في (ينـابيعه) ص ٢٦٨ نقـلاً عن مودّة القُـرْبَى بسنـدِهِ عن علي رفعه إلى النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إنّ الله جعل لكلّ نبيّ وصيّاً: جعل شيث وصيّ آدم عليه السَّلام، ويـوشَع وصـيّ مـوسى عليه السَّـلام، وشمعون وصيّ عيسى عليـه السّلام، وعليّـاً وصيّيّ، ووصيي خيـر الأوصيـاء في البـداء، وأنـا الدّاعي وهو المضيء».

الحديث الرَّابع: أخرج السيّد البحراني في (غاية المرام) ص ٦٣٤ عدة

أحاديث عن «البساط» من كتب السّنة والإمامية. ونحن ننقل من أحاديثه حديثاً مصدره كتب السّنة. وحديثاً مصدره كتب الإمامية. فمن حديث السّنة (قال): حدَّث معمَّر عن الزّهري، عن قتادة، عن أنس. قال: كنّا جلوساً في المسجد عند النّبي ﷺ، وقد أهدى إليه بساط، فقال: أدعُ علي بن أبي طالب. فدعوتهُ ثم أمرني أن أدعوَ أبا بكر وعمر وجمعاً من الصّحابة فدعوتهم كما أمرني نبيّ الله، وأمرني أن أبسط البساط فبسطته، ثمَّ أقبل على علي وأمره بالجلوس على البساط وأمر أبا بكر وعمر وعثمان بالجلوس مع أمير المؤمنين. وجلست مع مَنْ جلس. فلمّا استقرَّ بنا المجلس أقبل النّبي ﷺ على علي وقال: «يا أبا الحسن قل: يا ريح الصّبا احمليني. والله خليفتي عليكَ. وهو حَسْبُنا ونعم الوكيل». قالَ أَنَسُ: فنادى أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب عليه السلام): كما أمره النّبي ﷺ، فوالّذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً، ما كان إلاّ هنيهة حتّى صرنا في الهواء. ثم نادى يا ريح الصّبا ضعيني. فإذا نحن في الأرض. فأقْبَلَ علينا وقال: يا معاشِرَ النّاس: أتدرون أين أنتم؟ وبمن قد حللتم؟ فقلنَا: لا. (فقال أمير المؤمنين علي): أنتم عند أصحاب الكهف وَالرَّقِيم الذين كانوا من آياتنا عجباً. فمن أَحَبَّ أن يسلّم على القوم فليقُمْ. فأوّل مَنْ قام أبو بكر فسَلَّم على القوم، فلم يردُّوا عليه الجواب. ثمَّ قام عمر، فسلَّمَ عليهم فلم يردّوا عليه الجواب. فلم يزل القوم يقومُ واحدٌ بعد واحِد، ويسلّمون فلم يردّوا عليهم الجواب، إلى أن قام أمير المؤمنين. فنادى: السَّلام عليكم أيّها الفتية فتية أهلِ الكهفِ والرَّقِيمِ الذين كانوا من آياتنا عجباً. فقالوا: وعليكَ السَّلام ورحمة الله وبركاته. أيّها الإمام وأخو سيّد الأنام محمّد ﷺ. فلمّا سمع القوم كلامهم لأمير المؤمنين، قالوا: يا أبا الحسن بحقّ ابن عمّكَ محمّد ﷺ إسأل القوم ما بالهم سلّمنا عليهم فلم يردّوا علينا السَّلام؟ (فقال): أيّها الفتية ما بالكم لم تردّوا على أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا أبا الحسن، قد أُمِرْنا أَلاّ نسلِمَ إلاّ على نبيّ أو وصي نبي. وأنتَ خيرُ الوصِيّين وابن عمّ خير النبيّين. وأنت أبو الأئمة المهدّيين، وزوج فاطمة سيّدة نِساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وقائد الغرّ المحجّلين إلى جنات

النَّعيم. فلمّا استتَّم القوم كلامهم أمرنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بـالجلوس على البساط. ثمَّ نـادى: يا ريـح الـصبـا احمليني. فـإذا نحن في الهواء ما شـاءَ الله. (ثمَّ قال): يـا ريح ضعيني، فـإذا نحن في الأرض. فركـز الأرض برجله، فإذا نحنُ بعين ماء. (فقال): معاشِر النّـاس: توضّؤوا للصَّـلاة فإنّكم تدركون الصَّلاة مع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم. (قال): فتوضأنا، ثمَّ أمرنـا بالجلوس على البسـاط، فجلسنا. (ثمَّ قـال): يـا ريـح الصَّبـا احمليني، فـإذا نحن في الهواء. (ثم قال): يا ريح الصَّبا ضعيني. فإذا نحن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد صلّى ركعة واحدة. فصلّينا معه ما بقي من الصَّـلاة وما فـاتَ بعده، وسلَّما على النّبي، فأقبـل بوجهـه علينا وقـال: يا أَنَس أتحـدّثني أم أحدّثـكَ؟ فَقُلْتُ: الحديثُ منكَ أحسن. فحدَّثني كأنَّهُ (كان) معنا[1].

وهذه رواية من كتب الإمامية في قضيَّـة البساط لا تـزيدُ على الأحـاديث المـرويَّة من كتب أهـل السّنة في المعنى، وإن زادت في اللّفظ، ففي (غـايـة المـرام) ص ٦٣٧ نقـلاً عن ابن شهرآشـوب في المنـاقِب، عن سـالِم بن أبي جعـدة (قال): حضرْتُ مجلس أَنَس بن مالِك بالبصرة، وَهُوَ يحدّث. فقـامَ إليه رَجُـلٌ من القوم وقال: يـا صاحبَ رسـولِ اللّه ما هٰـذِهِ الشّيمة الّتي أراهـا بكَ؟ فـإنَّه حدَّثني أبي عن رسولِ الله أنه قال: «البرص والجذام لا يبلي الله بهما مؤمِناً». (قال): فعند ذلكَ أطرق أنس بن مـالك (بـرأسه) إلى الأرض، وعينـاه تزرفـان بالدُّموع. ثمَّ رفع رأسه وقال: دعـوة العبد الصَّـالِح علي بن أبي طـالب نفذَتْ فِيَّ. (قال): فعند ذلك قامَ النّاس من حواليه وقصدوه وقالوا: يا أَنَسَ حَدّثنـا ما كانَ السَّبب؟ (قال لهم): ألهوا عن هذا. قالوا له: لا بُدَّ لكَ أن تخبرنا بذلك.

---

(١) رواة حديث (البساط) في كتب السنّـة والإمامية هم أمير المؤمنين عليه السلام، وابن عبَّـاس، وجابـر بن عبدالله، وأنس بن مـالك، ومن أهـل البيت الإمـام الصَّـادق عليـه السلام. وأمّا العشـرة الذين أمـر أَنَس بإحضـارهم فهم حسب أحاديث الفـريقين: أمير المؤمنين علي، وسلمان، وطلحة، والزّبير، وسعد، وسعيد، وعبدالرّحمن بن عـوف، وأبو بكر، وعمر، وعثمان. راجع كتاب (علي والـوصيّة) للعسكـري ففيه الكفـاية لمن أراد المزيد.

(فقال): اقعدوا على مواضعكم، واسمعوا منّي حديثاً كان هوالسَّبَب عن علي عليه السلام . اعلموا أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أُهْدِيَ له بساط شعر من قرية كذا وكذا من المشرق يقال لها خندف (هندف خ ل). فأرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي بكر وعمر وطلحة والزُّبير وسعد وسعيد وعبد الرّحمن بن عوف الزّهري، فأتيته بهم وعنده ابن عمّه علي بن أبي طالب عليه السلام . فقال لي: يا أنَسَ اجلس حتّى تخبرني بما يكون منهم. (ثمَّ قال علي): قل: يا ريح احملينا. فقالَ الإمام علي عليه السلام : يا ريح احملينا. فإذا نحن في الهواء. فقال: سيروا على بركة الله. (قال): فسِرْنا ما شاء الله. (ثمّ قال): يا ريح ضعينا، فوضعتنا. (فقالَ): أتدرون أين أنتم؟ قلنا: الله ورسوله وعلي أعلم. قال: هؤلاءِ أصحاب الكهف والرَّقيم الّذين كانوا من آياتنا عجباً. قوموا يا أصحاب رسولِ الله حتّى تسلّموا عليهم. فعند ذلك قامَ أبو بكر وعمر فقالا: السَّلام عليكم يا أصحاب الكهف والرّقيم. (قال): فلم يجبهما أحد. (قال): فقام طلحة والزُّبير فقالا: السّلام عليكم يا أصحاب الكهف والرَّقيم. فلم يجبهما أحد. (قال أنَسَ) : فقمتُ أنا وعبد الرّحمن بن عوف، فقلتُ: أنا أنَس خادم رسول الله: السّلام عليكم يا أصحاب الكهف والرقيم. فلم يجاوبني أحد. (قال): فعند ذلكَ قام الإمام (علي بن أبي طالب) وقال: السّلام عليكم يا أصحاب الكهف والرَّقيم الذين كانوا من آياتِنا عجباً. فقالوا: وعليكَ السَّلام ورحمة الله وبركاته يا وصيّ رسول الله. فقال: يا أصحاب (الكهف): لم لا رددتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقالوا: يا خليفة رسول الله إنّا فتية آمنوا بربّهم وزادهم الله هُدىً. وليس معنا إذْنٌ أن نردَّ السَّلام إلاَّ على نبيّ أو وصيّ نبي. وأنتَ وصيّ خاتم النّبيين، وأنتَ سيّد الوصيّين. (ثم قال): أسَمِعْتم يا أصحابَ رسول الله؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين. (قال): فخذوا مواضعكم وقوموا في مجالِسكم. (قال): فقعدنا في مجالِسنا. ثم قال عليه السلام يا ريح احملينا. فحلمتنا وسرنا ما شاء الله (إلى) أن غربَتِ الشّمس. (ثم قال): يا ريح ضعينا، فإذا نحن في أرضٍ كالزَّعفران ليس فيها حشيشٌ ولا أنيس، نباتُها الشّيحُ، وليس بها ماء. فقلنا له: يا أمير المؤمنين وقت الصَّلاة،

وليس بها لنا ماء نتوضأ به. ثم قام وجاء إلى موضعٍ من تلك الأرض، فرفسَ برجله، فانبعَثَتْ عين ماء عذب. فقال: دونكم وما طلبتُمْ، ولولا طلبتكُم لجاءنا جبرئيل بماءٍ من الجَنّة. (قال): فتوضأنا وصلّينا، ووقَفَ يُصَلّي إلى أن انتَصَفَ اللّيل. (ثم قال): خذوا مواضِعكم. ستدركون الصّلاة مع رسول الله أو بعضها. (ثم قال): يا ريح احملينا، فإذا نحن في الهواء، ثمَّ سرنا ما شاءَ الله، فإذا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد صلّى من صلاة الغداةِ ركعةً واحدة. فقضينا ما كان سبقنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم التفتَ إلينا فقال لي: يا أَنَس، تحدّثني أم أحدّثُكَ؟ قلتُ: بل مِنْ فيكَ أحلى يا رسولَ الله. (قال): فابتدأ بالحديث من أوّله إلى آخره كأنه معنا. قال: يا أَنَس، تشهد لابن عمّي بها إذا استشهدَكَ؟ فقلتُ: نعم يا رسول الله. (قال): فلمّا وُلّيَ أبو بكر الخلافة أتى إليّ علي ـ وكنتُ حاضِراً عند أبي بكر، والنّاس حوله ـ فقال: يا أَنَس ألَسْتَ تشهد بفضيلة البساط، ويوم عين الماء، ويوم الجبّ؟ فقلْتُ: قد نسيتُ يا عليّ لكبري. فعندها قال لي: يا أنس إذا كنتَ كتمتَها مداهنةً بعد وصيّة رسول الله بكَ، رماك الله ببياضٍ في وجهك، ولظى في جوفِكَ، وعمًى في عينك؟ فما قمتُ من مقامي حتّى برصتُ وعميت. وأنا لا أقدر على الصّيامِ في شهر رمضان ولا غيره. لأنّ الزّاد لا يبقى في جوفي. ولم يزل على ذلك حتّى مات بالبصرة.

الحديث الخامس: أيضاً الخطيب الموفّق بن أحمد الخوارزمي في كتابه مقتل الحسين عليه السلام: جـ١ ص ٣٨ بسنده. قال: (أخبرني) سيّد الحفّاظ هذا (شهردار)، أخبرني أبو الفتح كتابةً. (أخبرني) أبو طاهِر. (أخبرني) أبو الفرج، (حدَّثني) الحسن بن علي، (حدَّثني) صهيب بن عبَّاد، (حدَّثني) أبي عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام. (قال) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أتاني جبرائيل وقد نشر جناحيه، فإذا فيهما مكتوبٌ على أحدهما، لا إلـه إلاّ الله، محمد النّبي، وعلى الآخر، لا إله إلاّ الله علي الوصي»[1].

(١) وكذلك برواية الخوارزمي في مناقبه، ص ٩٠ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية

الحديث السَّادس: أخرج الكنجي الشَّافِعِي في (كفاية الطَّالب) ص ١٣١، قال: (أخبرَنا) أسعد بن المسلم بن مكّي بن علان القسي، (أخبرنا) الحافظ علي بن الحسن بن عساكِر، (أخبرَنا) أبو غالب بن البنّا، (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن الحكم الأسدي المعروف بأخي حمَّاد. (حدَّثنا) على بن محمّد الخليل بن هارون البصري، (حدَّثنا) محمد بن الخليل الجهني، (حدَّثنا) هيثم عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس، (قال): كنتُ جالِساً مع فتية من بني هاشم عن النَّبي ﷺ، إذِ انقَضَّ كوكَبٌ، فقال رسول الله ﷺ: «من انقَضَّ هذا النَّجم في منزله. فهو الوصيّ من بعدي». فقام فتيَةٌ من بني هاشِم فنظروا فإذا النَّجم قد انقَضَّ في منزل علي بن أبي طالب. فقالوا: يا رسولَ الله قد غويْتَ في حبِّ علي. فأنزَلَ الله تعالىٰ: ﴿**والنَّجم إذا هوى ما ضلَّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى. إن هو إلَّا وحيٌ يوحَى**﴾[٢].

وفي التَّاريخ الكبير لابن عساكِر (الورقة ١٠١). أخرج بسنده عن أبي غالب بن البنَّا، عن ابن عبّاس، نفس الحديث.

ولقد ذكر الوصيَّة الإمام في النهج قائِلاً: «لا يقاس بآل محمّد ﷺ من هذه الأمَّةِ أحد. ولا يُسَوَّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساسُ الدّين، وعماد اليقين. إليهم يفيءُ الغالي، وبهم يُلْحَق التّالي، ولهم خصائصُ حقّ الولاية، وفيهم الوصيَّة والوراثة، الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله، وَنُقِلَ إلى منتقله».

وفي خطبةٍ له يعجب فيها من مخالفيه، قائِلاً: «فيا عجبي! وما لي لا أعجبُ من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصُّون أثر نبيّ، ولا يقتدون بعمل وصي...» إلى آخره. فأيّ وصيّ هذا الذي يعنيه؟ أليس هو بذاته؟

وخطب الإمام الحسن السّبط سيّد شباب أهل الجنّة، حينَ قُتِلَ أمير

---

(٢) سورة النجم: آية ١، ٢، ٣.

المؤمنين، خطبتَه الغرَّاء، فقال فيها: وأنا ابن النّبي، وأنا ابن الوصي.

والـوصيُّ ـ كما ذكـر صاحب تـاج العروس في مـادَّة الوصي ـ لقب علي عليه السلام.

الحديث السَّابع: (أخرج) شيخ الإسلام القنـدوزي الحنفي في (ينابيـع المـودة) ص ٨٠ وقـالَ: في المنـاقِب عن الحسن بن إبـراهيم بن عبـدالله بن الحسن المثنَّى بن الحسن بن علي بن أبي طـالب عن آبـائـه أنّ أميـر المؤمنين عليه السلام كتب إلى أهل مصر ـ كمـا بعث محمّد بن أبي بكـر إليهم ـ كتاباً، فقال فيه: «وإياكم دعوة ابن هند الكذّاب. واعلموا أنّـه لا سواء إمـام الهدى وإمـام الهوى. ووصي النّبيّ وعدوّ النّبيّ»(١).

الحديث الثَّامِن في أنّـه سيّد الأوصيـاء وخاتمهم: (في أرجـح المطالب ص ٦٨٠) قال: أخرَجَ ابن مردويه في (المناقِب) بسندِهِ عن ابن عميـر أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قـال على المنبر: أنـا عبد الله وأخـو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورثْتُ نبيّ الـرَّحمة، ونكحتُ سيّـدة (نساء) أهـل الجنّة. وأنـا سيّـد الـوصِيّين وآخـر الأوصياء، لا يدّعي ذلكَ غيري إلاّ أصابه سـوء. فقال رَجُـلٌ من عبس: من لا يحسن أن يقول هذا؟ أنا عبد الله وأخو رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم. فلم يبرح من مكانه حتّى تخبَّطَهُ الشَّيطان. فجُرَّ برجله إلى بـاب المسجد. (قـال): فسألنـا قومَـه، هل يعرفون به عرضاً قبل هذا؟ قالوا: اللهمَّ لا.

الحديث التَّاسع في أنّه خاتم الأوصياء: (أخـرج) المناوي عبـد الرَّؤوف ابن تاج العارفين في كتابه (كنوز الحقائق في حـديث خير الخـلائق) المطبـوع بمصـر سنة ١٣٢١ هـ بهـامش الجامـع الصَّغيـر للسُّيـوطي الشَّـافعي في جـ ١ ص ٧١، حديثاً أخرجه الـدَّيلمي في كتابـه (فردوس الأخبـار) في حرف الألف بسندِهِ عن أبي ذر عليه الرَّحمة. (قال): قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو يخـاطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ـ «أنا خاتم الأنبياء وَأنتَ يا علي خاتم الأوصياء».

---

(١) راجع كتاب (علي والوصيَّة): لنجم الدّين العسكري. ففيه المزيد للمريد.

الحديث العاشر في أنّ للنبيّ ﷺ النبوّة ولعليّ عليه السلام الوصيّة أخرج الشّيخ القندوزي في (ينابيعه) ص ٢٥٦ في المودّة الثّامنة من المودّة القربىٰ عن علي عليه السلام . (قال) : قال رسول ﷺ : يا علي خلقني اللّه وخلقك من نوره فلمّا خلق آدم عليه السّلام أودع ذلِكَ النّور في صلبه، فلم نزل أنا وأنتَ شيئاً واحِداً، ثم افترقنا في صلب عبد المطّلَب، ففيّ النّبوة والرّسالة، وفيكَ الوصية والإمامة.

الحديث الحادي عشر في أنّه وصيٌّ رسوله: ففي ينابيع المودّة ص ١٢٢ من (المناقب) أخرج بسنده عن سماك بن حرب، عن سعيد بن جبير. (قال): قلتُ لابن عبّاس رضي الله عنه: أسألُكَ عن اختلافِ النّاس في علي عليه السلام ، قال: يابن جبير تسألني عن رَجُلٍ كانَ له ثلاثة آلاف منقبة (بل ثلاثة آلاف وثلاث مناقب) في ليلةٍ واحدة. وهي ليلة القربة في قليب بدر، سلَّم عليه ثلاثة آلافٍ مِنَ الملائكةِ. (بل ثلاثة آلافٍ وثلاثة من الملائكة وجبرئيل وميكائِيل وإسرافيل معهم) من عند ربّهم. وتسألني عن وصي رسول الله ﷺ وصاحب حوضِهِ، وصاحب لوائه في المحشر. (بل في الدّنيا والمحشر) والّذي نفس عبدالله بن العبّاس بيده، لو كانت بحار الدّنيا مداداً وأشجارها أقلاماً، وأهلها كتّاباً فكتبوا مناقِبَ علي بن أبي طالب وفضائِلِهِ ما أحصوها.

وفي (كفاية الطّالب) للكنجي ص ١٢٤ بسندِهِ عن عيسى بن عبدالله عن أبيه، عن جدّه. (قال): قال رجلٌ لابن عبّاس: سبحان اللّهِ ما أكثر مناقب علي بن أبي طالب وفضائلِهِ. إنّي لأحسبُها ثلاثة آلافِ (فقال) ابن عباس رضي الله عنه: أوَ لاَ تقول: إنّها إلى ثلاثين ألف أقرب؟ خرَّج هذا الأثر جماعة من الحفّاظ في كتبهم (ومنهم الخوارزمي في المناقب) ص ١٩. فإنّه خرَّج حديث ابن عبّاس وحديث الأمير عليه السّلام.

الحديث الثّاني عشر في أنّه وصيّه ووارثه: أخرج محبّ الدّين الطبري الشّافِعِي في (ذخائر العقبى) ص ١٧، وفي (الرّياض النّضرة) جـ ٢ ص ١٧٨ بمعناه. وهذا لفظ الطّبري في الذّخائِر. (قال): روى أنس أنّ النبي ﷺ

قال: «وصيّ ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب عليه السلام». أخرجه أحمد في (المناقب). وخرَّجه ابن السَّرَّاج. (وأخرج) قبل هذا الحديث بريدة. (قال): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لكلّ نبيّ وصي ووارث. وإنّ علياً وصيّي ووارثي». أخرجَهُ الحافظ أبو القاسم البغويّ في معجم الصَّحابة. وفي (كنز العمَّال) جـ ٦ ص ١٥٤ عن أبي سعيد وعن سلمان رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ وصيّي وموضح سرّي وخير من أترك بعدي، وينجز عدتي، ويقضي دَيْني علي بن أبي طالب. (أخرجَهُ الطَّبراني في المعجم الكبير)، ومن المسلَّم به عند أرباب الحديث، أنّ جميع ما أخرجه الطَّبراني في معجمه الكبير أحاديث صحيحة لا ريب فيها.

الحديث الثالث عشر في أنّ عليّاً وصيّه ووارثه أيضاً: أخرج العلاَّمة السيد محمّد صالح الترمنوذي الحنفي في كتابه (الكوكب الدّري) ص ١٠٥ نقلاً عن فردوس الأخبار للدَّيلمي عن بريدة (قال): قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لكلّ نبي وصيّ ووارث، وأنّ عليّاً وصيّي ووارثي».

ومن أراد المزيد في أنّ عليّاً خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيُّه ووارثه ووليّه: فليراجع كتاب (علي والوصيَّة) لنجم الدّين الشَّريف العسكري. فقد ذكر مائة وواحداً وسبعين حديثاً في ذلك من كتب السّنَّة، واستدركه بأحد عشر حديثاً آخر. ففي هذا الكتاب ما يشفِي العليل ويروي الغليل في هذا الموضوع.

أمّا ما جاءَ من ذكر الوصيَّة في الشّعر، فلا يمكن أن يحصَى في هذا الموضوع. وإنّما نذكر بعضاً منها. قال عبدالله بن العبَّاس بن عبد المطَّلب:

وصيّ رسولِ اللّهِ من دون أهله وفارسه إن قيلَ: هل من منازِلِ(١)

---

(١) يذكر نصر بن مزاحم في كتابه (وقعة صفّين) هذا البيت للفضل بن عبّاس من قصيدة مطلعها:

«ألا يابنَ هندٍ إنّني غيرُ غافِلٍ وأنّك ما تسعى له غير نائِلِ»

راجع وقعة صفين: لنصر، جـ ٦ ص ٤١٦ ط ١٣٨٢ هـ.

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطّلب من أبياتٍ يحرّض فيها أهل العراق على حرب معاوية بصفّين:

هــذا وصيّ رســول الله قــائــدكــم وصهــره وكتــاب الله قــد نـشــرا[1]

وقال عبدالله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطّلب:

ومنّــا علـيٌّ ذاك صــاحــب خيــبــرٍ وصــاحب بـدرٍ يــوم سـالَتْ كتــائِبُــهْ
وصيّ النّبي المصــطفى وابن عـمــه فـمن ذا يــدانيــه ومن ذا يـقــاربُــهْ

وقال أبو الهيثم مالك بن التّيهان: وكان بدريّاً، من أبياتٍ أنشأها يوم الجمل:

إنّ الــوصــيّ إمــامُـنــا ولــيُّـنــا بــرح الخفــاء وبــاحَتِ الأســرار

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشّهادتين، وهو بدري، من أبياتٍ أنشأها يوم الجمل أيضاً:

يــا وصيَّ النَّبي قد أجْلَتِ الحــرب الأعــادي وســارَتِ الأظــعــانُ

وقال رضي الله عنه:

أعــائِش خـلّي عـن عـليّ وعـيــبــه بـمــا ليسَ فيــه إنّمــا أنْتِ والــدُهْ
وصــيّ رســول اللّهِ مــن دون أهــلِهِ وأنت على مــا كــان من ذاك شــاهِــدُهْ
وحسبُــكِ فيــه بعض مــا تـعلمـينَــهُ ويكفيــكِ لـو لم تعلمي غيــر واحِــدَهْ

وقال عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي يوم الجمل. وهو من أبطال الصحابَةِ وقد استُشْهِدَ في صفّين هو وأخوه عبد الرّحمن.

يـا قوم للخـطّة العـظمى الّتي حـدثَتْ حــرب الـوصيّ ومـا للحـربِ من آسي

ومن شعر أمير المؤمنين في صفين:

مـا كــان يـرضى أحمـد لـو أخبـرا أن يــقــرنــوا وصيَّــه والأبــتــرا

---

(1) وفي وقعة صفين: لنصر بن مزاحم، جـ ٦ ص ٣٨٥، نفس المطبعة والعام يذكر البيت كما يلي:

«وفيكــم وصيّ رســول الله قــائــدكــم وأهــله وكــتــاب الله قــد نــشــرا»

وقال جرير بن عبدالله البجلي الصّحابي من أبياتٍ لـه في محمّد بن الحنفية:

سـمـيُّ الـنَّبـي وشبـه الـوصـي ورايـتُـهُ لـونـهـا الـعـنـدَمُ

وقال عبد الرَّحمن بن جعيل، إذ بايع النّاس عليّاً بعد عثمان:

لعمـري لـقـد بـايعتُمُ ذا حـفيـظةٍ على الـدِّين معـروف العفـافِ مـوفَّقـا
عليّـاً وصي المصـطفى وابن عـمِـهِ وأوَّل من صلَّى أخـا الـدّيـن والتُّقى

وقال رَجُلٌ من الأزد يوم الجمل:

هـذا عـليّ وهـو الـوصـيّ آخـاه يـوم الـنَّجْـوَة الـنّبـي
وقـال هـذا بـعـديَ الـولـيُّ وعـاه واعٍ ونـسـيَ الـشّـقِـيُّ

وخرج يوم الجمل شابٌّ من بني ضبة معلَّم من عسكر عـائشة، وهو يقول:

نـحن بـنـو ضبَّـةَ أعـداء عـلي ذاك الـذي يعرف قِـدْماً بـالـوصي
وفـارس الخيـل عـلى عهـد الـنَّبي مـا أنـا مـن فضـل عـليّ بـالعـمي
لـكِنّـني أنـعى ابـن عـفـان الـتّـقي إنّ الـولـيّ طـالـبٌ ثـأر الـولـي

وقال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل، وكان مع علي:

أيّـة حـربٍ أضـرمت نيـرانـهـا وكسـرت يـوم الـوغى مُـرَّانُهـا
قـل لـلوصيِّ أقبلت قـحـطانهـا فـادعُ بهـا تكفيكهـا همـدانُهـا
هـمْ بنوهـا وهـم إخوانهـا

وقال زياد بن لبيد الأنصاري يوم الجمل. وكان من أصحاب علي:

كيف ترى الأنصار في يـوم الكلبْ إنّـا أُنـاسٌ لا نبـالي من عـطبْ
ولا نبـالي في الـوصيّ من غضَبْ وإنّـمـا الأنـصـار جـدٌّ لا لَـعِبْ
هـذا عـليٌّ وابن عـبـد المـطَّلبْ ننصرُهُ اليـومَ على من قـد كـذبْ
مـن يكسبُ البغي فبئس ما اكتَسَبْ

وقال حجر بن عدي الكندي في ذلك اليوم:

يـا ربَّـنـا سـلّم لـنـا عَـلِيًّـا سلّم لـنـا الـمبـارك الـمضِيَّـا

المؤمن الموحّد التّقيا لا خَطَلِ الرأي ولا غويّا
بل هادِياً موفّقا مهدِيّا واحفِظْهُ ربيّ واحفَظِ البنيّا
فيه فقد كان له ولِيّا ثمّ ارتضاهُ بعده وَصِيّا

وفي نسخةٍ في كتاب (وقعة صفّين) لنصر بن مزاحم جـ ٦ ص ٣٨١ تختلِفُ هذه الأبيات اختلافاً واضِحاً. وهذه هي الأبيات:

يا ربّنا سلّم لنا عَلِيّا سلّم لنا المهذب النّقِيّا
المؤمن المسترشد المرضيا واجعله هادي أُمّةٍ مهديّا
لا خَطِلَ الرأي ولا غبيّا واحفظه ربّي حفظك البنيا
فإنّه كانَ له وليّا ثم ارتضاه بعده وَصِيّا

وقال عمر بن أحجية يوم الجمل في خطبة الحسن بعد خطبة ابن الزُّبير:

حسنَ الخير يا شبيه أبيه قمتَ فينا مقام خير خطيب
قمتَ بالخطبة الّتي صنَعَ الله بها عن أبيك أهل العيوب
لستَ كابن الزُّبير لجلجَ في القولِ وطاطا عنانَ فَسْلٍ مريب
وأبَى الله أن يقومَ بما قامَ به ابن الوصيّ وابن النّجيب
إنّ شخصاً بين النّبي ـ لك الخير ـ وبين الوصي غير مشوب

وقالَ زجر بن قيس الجعفي يوم الجمل أيضاً:

أضربكُمْ حتّى تقرّوا لعلي خير قريشٍ كلّها بعد النّبي
من زانه الله وسمّاه الوصي

وقال الأشعث بن قيس الكندي:

أتانا الرّسول رسول الإمام فَسُرَّ بمقدِمه المسلمونا
رسول الوصيّ وصيّ النّبي له السّبق والفضل في المؤمنينا

وقال النّعمان بن العجلان الزُّرقي الأنصاري في صِفّين:

كيف التفرّق والوصيّ إمامنا لا كيف إلّا حيرةً وتخاذُلَا

فذروا معاوية الغويَّ وتابعوا دين الوصي لتحمدوه آجِلا

وقال عبد الرَّحمن بن ذؤيب الأسلمي من أبياتٍ يهدّد فيها معاوية بجنود العراق:

يقودهم الوصيّ إليكَ حتّى يردك عن ضلالٍ وارتياب[1]

ويقول عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب:

إنّ وليَّ الأمرِ بعدَ محمَّدٍ عليٌّ وفي كلّ المواطنِ صاحِبُهْ
وصيّ رسول الله حقّاً وصنوه وأوّل من صلّى ومن لان جَانِبُهْ

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشّهادتين:

وصيّ رسول الله من دون أهله وفارسه مذ كان في سالف الزّمِنْ
وأوّل من صلّى من النّاسِ كلِّهِمْ سوى خيرة النّسوان والله ذو مِنَنْ

وقال زفر بن حذيفة الأسدي:

فحوطوا عليّاً وانصروه فإنّه وصيّ وفي الإسلام أوَّلُ أوّلِ

وقال أبو الأسود الدّؤلي:

أُحِبُّ محمّداً حبّاً شديداً وعباساً وحمزة والوصِيَّا[2]

وقال كثير عزّة:

وصي النبيّ المصطفى وابن عمّهِ وفكاك أعناقٍ وقاضِيَ مغرم[3]

وقال أبو تمّام الطّائي من قصيدته الرّائية:

ومن قبله أحلفتُمُ لوصيّه بداهيةٍ دهياءَ ليس لها قدر
فجئتم بها بكراً عواناً ولم يكن لها قبلها مثلاً عوان ولا بكر
أخوه إذا عُدّ الفخار وصهره فلا مثله أخٌ ولا مثل صِهْرُ
وشَدَّ به أزر النّبي محمّدٍ كما شدَّ من موسى بها دون الأزرُ

---

(١) في (وقعة صفين): لنصر، «يردّك عن عوائِك وارتياب». فالعواء مشتق من اسم معاوية، فإنّ المعاوية الكلبة تعاوي الكلاب.

(٢) راجع الكامل: للمبرد، جـ٢ ص ١٣٠، مطبعة الاستقامةِ بالقاهرة ١٩٥١ م.

(٣) نفس المرجع والصفحة.

وقال دعبل بن علي الخزاعي في رثاء سيّد الشُّهداء:

رأس ابن بنتِ محمَّدٍ ووصيه ... يا للرّجال على قناةٍ يرفَعُ

وقال أبو الطيب المتنبي ـ إذا عوتِبَ على تركه مديح أهل البيت كما في ديوانه:

وتركتُ مدحي للوصيّ تعمُّداً ... إذا كان نوراً مستطيلاً شامِلا
وإذا استطال الشيء قام بنفسه ... وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

وقال المتنبىء يمدَحُ أبا القاسم طاهِر بن الحسين بن طاهِر العلويّ:

هو ابن رسولِ اللّهِ وابن وصِيّه ... وشبههما شبّهت بعد التَّجارب

وقال حسَّان بن ثابت يمدَحُ عليّاً بلسان الأنصار كافَّةً:

حفظْتَ رسولَ اللّهِ فينا وعهده ... إليْكَ ومن أولى به منْكَ وَمَنْ وَمَنْ
ألَسْتَ أخاهُ في الهدى ووصيَّه ... وأعلَمُ منهم بالكتابِ وبالسُّنَنْ

وقال الفضل بن عبَّاس من أبياتٍ له:

ألا إنَّ خير النّاس بعد نبيّهم ... وصيّ النّبي المصطفى عند ذي الذّكر
وأوّل من صَلَّى وصنو نبيَّه ... وأوَّل من أردى الغواة لدى بدرِ

كلّ هذه الأبيات ذكرها ابن أبي الحديد في شرح النَّهج. وذكرها شرف الدّين الموسوي في المراجعات. وإذا رجعنا إلى ديوان ابن الفارض عثرنا في قصيدته التَّائية على هذا البيت الذي ينوّه بأنّ الإمام كان يوضّح الغامِض بالتَّأويل بواسطةِ الوصيةِ التي هي سبَبُ علمه الشّهير. فقال:

وأوضَحَ بالتَّأويل ما كان مشكلاً ... عليٌّ بعلمٍ نالَهُ بالوصيَّة

وهذا جرير بن عبدالله يكتبُ قصيدَةً إلى شرحبيل مطلعُها:

شرَحْبيل يابن السّمط لا تتبع الهوى ... فمالَكَ في الدُّنيا من الدّين من بَدَلْ
وقل لابن حربٍ مالكَ اليومَ حرمة ... تروم بها ما رُمْتَ، فاقطع له الأمَلْ
وصيّ رسولِ اللّهِ من دون أهلِهِ ... وفارسه الأَوْلَى به يُضْرَبُ المثَلْ[1]

---

(١) من كتاب (وقعة صِفّين): لنصر بن مزاحم، جـ ١ ص ٤٩.

وهذا علي بن أبي طالب يقول:

يـا عجبـاً لقـد سمعتُ منكـراً   كِـذْبـاً على اللّهِ يشيب الشَّعْـرا
يستـرقُ السَّمـع ويغشي البصـرا   مـا كـان يـرضى أحمدٌ لـو خيّـرا
أن يـقـرنـوا وصيَّـه والأبـتـرا   شاني الرَّسـولِ واللَّعين الأخزرا(١)

وقال الأشعث بن قيس الكندي:

أتـانـا الـرَّسـول رسـول الـوصي   عـليّ الـمـهـذَّب من هـاشِـم
رسـول الـوصيّ وصيّ الـرَّسـولِ   وخـيـر الـبـريَّـة مـن قـائِـم
وزيـر الـنَّـبـي وذو صـهـره   وخـيـر البـريَّـة في العـالَـمِ(٢)

وقال جرير البجلي من قصيدَةٍ مطلعها:

أتـى كـتـابُ عـليّ فـلم   نـردَّ الكتـابَ بـأرضِ العَجَمْ

... إلى قوله:

عـليّـاً عنـيتُ وصـيَّ النَّـبي   نـجـالِـد عـنـه غـداةَ الأمـم
لـه الفضـل والسَّبق والمكـرمات   وبـيـت الـنـبـوَّة لا يـهـتَـضَـمْ

وقال بديع الزَّمان الهمداني في أمير المؤمنين عليه السلام:

يقـولـون لي: لا تحبّ الـوصي   فـقلتُ: الثَّـرى بـفـم الـكـاذب
أُحـبُّ الـنـبـيّ وآل الـنَّـبـي   وأخـتَـصُّ آل أبـي طـالـبِ
وأعـطي الـصَّحابة حقّ الـولاء   وأجـري عـلى السَّنَنِ الـواجبِ
وإن كـان رفـضـاً ولاء الـوصـيّ   فـلا تـرض بـالـرَّفض من جـانبي
وإن كـان نصبـاً ولاء الـجمـيـع   فـإنّـي كـمـا زعـمـوا نـاصبـي
ولـو كـنـتـمُ مـن ولاء الـوصـيّ   على العجـز كنتُ على الـغـارب
يـرى الله سـرّي إذا لـم تَـرْ   وه فكم تحكمـون على غـائب(٣)

---

(١) كتاب (صفّين): لنصر بن مزاحم، جـ ١ ص ٤٩ ط ٢ عام ١٣٨٢ هـ.
(٢) نفس المصدر، جـ ١ ص ٢٤، نفس الطبعة.
(٣) مناقب الخوارزمي، ص ٣٨ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النَّجف.

هذه لمحة بسيطة عن الخلافة والوصيَّة عَرَضْناها للقرّاء، ليطَّلِعوا عليها، وليدركوا أنّ الحقدَ لم يتجسَّمْ في النّفوس ضدّ رجلٍ مثل تجسُّمِهِ ضدَّ علي، وليعرفوا أنّ عليّاً صاحب الحق السَّليب. ولكنَّه صبر على الظّلم، وطبَّق الوصيَّة الّتي أوصاها لولده الحسن عليهما السَّلام بقوله: «يا بنيَّ لا يكبُرَنّ عليكَ ظلمُ من ظَلَمَكَ، لأنّه يَسْعى في مضرَّتِهِ ونفعِكَ. وليس جزاء من سرَّكَ أن تَسُوءَهُ».

هـذا القول أكبـر عزاءٍ للمـظلوم، وأعنَفُ طعنةٍ في صميم الـظّالِم. وعلي بن أبي طالب هو عزاءُ المظلومين.

الفصل الرابع

ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)

رَحِمَ اللّهِ الكميت القائل:

ويومَ الدَّوح يوم غدير خمّ — أبانَ له الولايةَ لو أُطيعا
ولم أرَ مثل ذاكَ اليوم يوماً — ولم أرَ مثْلَهُ حَقّاً أُضيعا
ولكنّ الرِّجال تبايَعُوها — فلم أرَ مثلها خطراً مبيعا
فلم أبْلُغ بها لعناً ولكِنْ — أساء بذاك أوَّلهم صنيعا
فصار بذاكَ أقربَهُمْ لعدلٍ — إلى جورٍ وأحفظُهُمْ وضيعا
أضاعوا أمر قائِدِهِم فضلّوا — وأقومَهُمْ لدى الحدثانِ ريعا

عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لمَّا أُسْرِيَ بي في ليلةِ المعراج، فاجتمع عَلَيَّ الأنبياء في السَّماء، فأوحى الله تعالى: سَلْهُمْ يا محمَّد، بماذا بُعِثْتُمْ؟ قالوا: بُعِثْنا على شهادة أن لا إلّه إلاّ الله وحده، وعلى الإقرار بنبوَّتِكَ، والولاية لعلي بن أبي طالب»[1].

يا لها مِنْ حقيقةٍ ما أقساها على قلوب الكثير من أبناءِ العالَمِ الإسلامي. حقيقةٌ مهما تجاهلها المرء فهو مسؤولٌ. لقول الله سبحانه:

(١) رواه الحافظ أبو نعيم. راجع (ينابيع المودَّة): للقندوزي، جـ٢ ص ٦٢، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت .

﴿وقفوهم إنّهم مسؤولون﴾[1] . هـذه الحقيقة هي ولاية علي كرّم الله وجهه. فولايته شرط أساسِيٌّ من شروط الإسلام. ومن شروط الدُّخول في الجنّة. لذلك فكلّ مسلم لا يعترف له بالولاية لم يستفِدْ من إسلامه شيئاً. وما أكثر هؤلاء بين الصُّفوف. هؤلاء لن يستنشقوا أريج الجنَّة، ولن يظفروا بنعيمها. هذا ما أعلنَهُ أبو المؤيَّد الخوارزمي في كتابه (المناقِب) يروي عن علي، عن رسول الله ﷺ قال: «يا عليّ لو أنّ عبداً عبد الله عزّ وجَلَّ مثلما قامَ نوحٌ في قومه، وكانَ له مثلَ أُحُد ذهباً، فأنفقَهُ في سبيلِ اللّهِ، ومُـدَّ في عمره حتّى حَجَّ ألْفَ عامٍ على قدميه، ثمَّ قُتِلَ بين الصَّفا والمروةِ مظلوماً، ثمَّ لم يوالِكَ يا عليُّ لم يشمَّ رائحة الجنة ولم يدخلها».

إنّها لن تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب الّتي في الصُّدور. وأكبرُ دليلٍ على ولاية علي، وعلى أنّه إمام العالمين بعد رسولِ ربِّ العالمين، حديث الغدير. وما أدراكَ ما حديث الغدير؟ فهو حديثُ الدَّعوة الإلّهيـة، حديث الولاية الكبرى، حديث إكمال الدّين، وإتمام النّعمـة، ورِضَى اللَّه على ما نزل به الكتابُ المبين.

وهذه واقعة الغدير، كما كتبها العلاّمة الحَبْر العلَم المجاهِـد الشَّيخ عبد الحسين أحمد الأميني النَّجفي في كتابه (الغدير) الجزء الأوّل ص ٩ ما يلي:

أجْمَـعَ رسـول الله ﷺ الخـروج إلى الحـجّ في سنـة عشـر من مهاجرتِهِ، وأذَّن في النّاس بذلك. فقدم المدينة خلق كثير يأتمُّون بـه في حجَّتِهِ تلكَ الّتي يقال لها حجَّة الوداع، وحجّة الإسـلام، وحجّة البـلاغ، وحجّة الكمال، وحجَّة التّمام. ولم يحجَّ غيرها منذ هاجر إلى أن توفّاهُ الله، فخرج ﷺ من المدينَةِ مغتسِلاً متدهّناً مترجّلاً متجرّداً في ثوبين صحاريّين إزار ورداء، وذلكَ يوم السَّبت لخمس ليالٍ أو ستّ بقين من ذي القعدة، وأخرج معه نساءه كلَّهنّ في الهوادج، وسار معه أهل بيتِهِ، وعامّة المهاجرين

---

(١) سورة الصافات: آية ٢٤.

والأنصار، ومن شاء الله من قبائِلِ العرب، وأفناء النّاس[1].

وعند خروجه ﷺ أصابَ النّاس بالمدينة جُدَري أو حصبة منعَتْ كثيراً من النّاس من الحجّ معه ﷺ . ومع ذلكَ كانَ معَهُ جموع لا يعلمها إلّا الله تعالى. وقد يقال: خرج معه تسعون ألفاً، وقيل: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. ويقال: أكثر من ذلك. وهذه عدَّة من خرج معه. وأمّا الّذين حجّوا معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكة، والّذين أتوا من اليمن مع علي أمير المؤمنين، وأبي موسى[2].

أصْبَحَ ﷺ يوم الأحد بيلملم، ثم راحَ فتعَشّى بشرف السيَّالة، وصلّى هناك المغرب والعشاء. ثمَّ صلّى الصّبح بعرق الظُّبية، ثمَّ نزلَ الرَّوحاء، ثم سار من الرَّوحاء فصلّى العصر بالمنصرف، وصلّى المغرب وَالعشاء بالمتعَشّى، وتعشّى به، وصلّى الصّبح بالأثابة. وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج. واحتجَمَ بلحي جمل، وهو عقبة الجحفة. ونزل (السُّقياءِ) يوم الأربعاء. وأصبح بالإيواء، وصلّى هناكَ، ثم راحَ مع الأبواء، ونزلَ يوم الجمعة الجحفة، ومنها إلى قديد، وسبَتَ فيه. وكان يوم الأحد بعسفان. ثم سار فلمّا كان بالغميم اعترض المشاة، فَصُفّوا صفوفاً، فشكوا إليه المشي. فقال: استعينوا بالنّسلان (مشيٌ سريعٌ دونَ العدوِّ) فوجدوا لذلك راحةً. وكان يوم الاثنين بمرّ الظّهران، فلم يبْرَحْ حتّى أمسى، وغربت له الشّمس بسَرَف، فلم يُصَلِّ المغرب حتَّى دخل مكة. ولمّا انتهى إلى الثّنيتين باتَ بينهما فدخل مكة نهار الثلاثاء[3].

---

(١) الطبقات: لابن سعد، جـ ٣ ص ٢٢٥، إمتاع المقريزي، ص ٥١٠، إرشاد السّاري، جـ ٦ ص ٤٢٩.

(٢) السيرة الحلبية، جـ ٣ ص ٢٨٣، سيرة أحمد زيني دحلان، جـ ٣ ص ٣، وتاريخ الخلفاء: لابن الجوزي، ج ٤، وتذكرة خواص الأمة، ص ١٨، ودائرة المعارف لفريد وجدي، جـ ٣ ص ٤٢.

(٣) الإمتاع للمقريزي، ص ٥١٣ ـ ٥١٧.

فلمّا قضى مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة، ومعه مَنْ كانَ الجموع المذكورات، ووصل إلى غدير خُمّ من الجحفة التي تتشعَّب فيها طُرُقُ المدنيّين والمصريّين والعراقيّين. وذلك يوم الخميس[1] الثّامن عشر من ذي الحجّة نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: ﴿يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنْزِلَ إليكَ من ربّكَ﴾[2] الآيَة. وأمره أن يقيم عليّاً علماً للنّاس وَيبلّغهم ما نزل فيه من الولاية، وفرض الطّاعة على كلّ أحد. وكانَ أوائل القوم قريباً من الجحفة. فأمر رسولُ الله أن يردّ من تقدَّم منهم ويحبس من تأخَّر عنهم في ذلك المكان. ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهُنَّ أحد حتّى إذا أخذ القوم منازلهم، فَقُمَّ ما تحتهُنَّ حتّى إذا نودي بالصَّلاةِ صلاة الظّهر، عمد إليهنَّ فصلّى بالنّاسِ تحتهُنَّ. وكان يوماً هاجِراً، يضع الرّجل بعض ردائه على رأسه، وبعضه تحت قدميه من شدَّة الرَّمضاء. وظُلّلَ لرسول الله بثوبٍ على شجرة سمرة من الشمس، فلمّا انصرف صلّى الله عليه وآله وسلّم من صلاته قام خطيباً وسط[3] القوم على أقتاب الإبل[4]، وأسمع الجميع، رافِعاً عقيرته فقال:

«الحمد لله نستعينهُ، ونؤمن به، ونتوكّل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئآت أعمالِنا اَلّذي لا هاديَ لِمَنْ أضلَّ، ولا مُضِلَّ لمن هَدَى. وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله. أمّا بعد: أيّها النّاس قد نبَّأني اللّطيف الخبير أنّه لم يعمّر نبيٌ إلاّ مثل نصف عمر اَلّذي قبله. وإنّي أوشَكُ أن أدعَى فأجيب. وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون. فماذا أنتم قائِلون؟». قالوا: نشهَدُ أنَّكَ قد بلّغْتَ ونصَحْتَ وجَهِدْتَ فجزاكَ الله خيراً. قال: «ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبدُهُ ورسوله، وأنَّ جنّته حقّ، ونارَهُ حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنَّ الساعة آتيَةٌ لا رَيْبَ فيها،

(١) هو المنصوص عليه في لفظ البراء بن عازب، وبعض آخر من رواة حديث الغدير.
(٢) جاء في لفظ الحافظ الهيثمي في مجمع الزّوائِد، ص ١٥٦ وغيره.
(٣) جاء في لفظ الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، جـ٩ ص ١٥٦ وغيره.
(٤) ثمار القلوب، ص ٥١١، ومصادر أُخرى كما مرّت معنا.

وأنّ اللَّه يبعثُ من في القبور؟». قالوا: بلى. نشهد بذلك. قال: «اللهمَّ اشهدْ». ثم قال: «أيُّها النّاس ألا تسمعون؟». قالوا: نعم، قالَ: «فإنّي فرط على الحوض. وأنتم واردون عليّ الحوض، وأنَّ عرضه ما بين صنعاء وبصرى[1]. فيه أقداح عدد النجوم من فضّة. فانظروا كيف تخلّفوني في الثّقلين». فنادى مُنادٍ: وما الثقلان يا رسولَ الله؟ قال: «الثّقل الأكبر كتاب الله طرفٌ بيد الله عزّ وجَلَّ، وطَرَفٌ بأيديكم، فتمسَّكوا به لا تضلّوا، والآخر الأصغر عترتي. وأنّ اللّطيف الخبير نبأني أنَّهما لن يتفرّقا حتَّى يردا عليَّ الحوض. فسألتُ لهما ربّي. فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا». ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطِهما، وعرفه القوم أجمعون. فقال: «أيّها النّاس من أولى النّاس بالمؤمنين من أنفسهم؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، يقولها: ثلاث مرّات». وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة أربع مرّات. ثم قال: «اللهمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحِبَّ من أحَبَّهُ، وأبغض من أبغضَهُ، وانصر مَنْ نصرَهُ، واخذُل من خذلَهُ، وأدر الحق معه حيثُ دار. ألاَ فليبلّغ الشّاهد الغائب». ثم لم يفترقوا حتّى نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممْتُ عليكم نعمتي﴾ الآية. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الله أكبر على إكمال الدّين، وإتمام النّعمة، وَرَضِيَ الرَّب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي».
ثمَّ طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين صلوات اللّهِ عليه. وممَّنْ هنّاه في تقدّم الصّحابة الشيخان: أبو بكر وعمر. كلٌّ يقول: بخٍ بخٍ لك يابن أبي طالب، أصبحْتَ وأمسَيْتَ مولاي ومولى كلّ مؤمنٍ ومؤمنة. وقال ابن عبَّاس: وجبَتْ واللّهِ في أعناق القوم. فقالَ حسَّان: ائذَنْ لي يا رسولَ اللّهِ أن أقولَ في عليّ أبياتاً تسمعهُنَّ. فقال: «قل على بركة الله». فقام حسَّانُ فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية. ثمَّ قال:

---

(١) صنعاء: عاصمة اليمن اليوم. وبصرى: قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.

ينـاديهُـمُ يـوم الـغـديـر نبيُّـهُـمْ   بخُمّ فـأَسْمِـعْ بـالـرَّسـول مـنـاديـا
فَـخَصَّ بـهـا دون الـبـريَّـة كـلهـا   عليَّـاً سُمِي يـوم الغـديـر مـواخيـا
يـقـول: فمـن مـولاكم ووَلِـيّكُـم؟   فقـالـوا: ولم يبـدوا هنـاك التَّعـاميا
إلَـهـك مـولانـا وأنـت ولـيُّـنـا   ولم تـرقنـا في الـولايـة عـاصِيـا
فـقـال لـه: قُـمْ يـا عـليُّ فـإنَّـني   رضيتُـكَ من بعـدي إمـامـاً وهـادِيـا
هـنـاكَ تـلا: الـلهـمَّ والِ ولِـيَّـه   وكـن للذي عـادى عـليّـاً مـعـاديـا

هذا مجمل القول في واقعة الغدير . وحديث الغدير لم يزل غضّاً طريّاً لا يبليه الهوان ما دام الذّكر الحكيم يرتّل : **﴿يا أيُّها الرَّسول بلِّغ ما أُنْزِلَ إليكَ من رَبِّك وإن لم تفعل فما بلَّغتَ رسالته والله يعصمك من النَّاس﴾**[1] .

إنَّه موقف عـظيم . فبعدَ جهـادٍ دام ثلاثـة وعشرين عـاماً ، وبعـد نضالٍ كبير بذله النبيُّ الكريم ، فهذا الجهاد وهذا النضّال لا يجديان شيئاً إذا لم يبلّغ ما أُنْزِلَ إليه في علي ، ولم يؤدّ رسِالَتَهُ ! فما هو هذا النّبأ العظيم ؟ وما هو هذا الحدث الإسلامي الجليل ؟ وما هو هذا الوحي الإلّهي الخطير ؟ إنَّهُ ولاية أمير المؤمنين من قِبَـلِ ربّ العالمين على النَّـاس أجمعين . والنبيُّ الكـريم يلمس الكـراهية والبغضـاء والحقد الَّـذي يلهب الصّـدور ضـدّ علي . فَضَمِنَ الله لـه العصمـة من النَّاس ، فبلَّغ مـا بلَّغ ، وأقامَ عليّـاً علمـاً للنّـاس . فنـزلَتْ الآيـة الكـريمـة ، **﴿اليـومُ أكملْتُ لكم دينكم وأتممْتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكمُ الإسلام ديناً﴾** . فقد أكمل الله الدِّين بولاية علي بن أبي طالب .

والإمـامية جميعهم أصفقـوا على نزول هـذه الآيـة الكـريمـة حـول نصّ الغـدير بعـد إصهار النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم بـولاية مـولانـا أميـر المؤمنين عليه السلام ، وصـافَقَ الإماميَّة على ذلـك كـثيـرون علمـاء التَّفسِير وأئمـة الحديث وحفـظة الآثار من أهـل السِّنـة . فهـذا السُّيـوطي في (الـدّر المنثـور) جـ ٢ ص/٢٥٩/ يقـول : أخرج ابن مردوية وابن عساكر بسندٍ ضعيف عن أبي سعيـد الخدري ، قـال :

---

(١) سورة المائدة: آية ٧٠.

لمّا نصب رسول الله ﷺ عليّاً يوم غدير خُمّ ، فنادى له بالولاية هبط جبرائيل عليه بهذه الآية : ﴿اليومُ أكملتُ لكم دينكم﴾ . وذكر البدخشي في (مفتاح النّجا) مرفوعاً بالأسانيد إلى ابن عبّاس ما مرّ سابقاً . وذكر الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتابه «ما نزل من القرآن في علي» . وبعد أن ذكر حديث الغدير قال : ثم لم يتفرّقوا حتّى نزلت هذه الآية : ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم﴾ الآية . فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر على إكمال الدّين ، وإتمام النّعمة ، ورِضى الربّ برسالتي ، والولاية لعلي عليه السلام من بعدي . . . إلى آخر الحديث .

وكذلكَ روى آية الإكمال الخطيب البغدادي في تاريخه جـ ٢ ص/ ٢٩٠ وأبو سعيد السِّجستاني في كتاب (الولاية) ، وأبو الحسن بن المغازلي الشّافِعي ، والحافظ أبو القاسم الحسكاني ، وابن عساكر الشّافِعِي الدِّمشقي ، والخوارزمي في (المناقِب) كما يلي :

وأخبرني سيّد الحفّاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه بن شهردار الدَّيْلمي فيما كتب إليَّ من همدان ، أخبرني أبو الفتح عبدوس بن عبد الله بن عبدوس الهمداني كتابةً ، حدَّثني عبد الله بن إسحاق البصري ، حدَّثني الحسن بن عليل الغنوي ، حدَّثني محمّد بن عبد الرَّحمٰن الزّراع ، حدَّثني قيس بن حفص ، حدَّثني علي بن الحسين ، حدَّثنا أبو الحسن العبدي ، عن أبي هريرة العبدي ، عن أبي سعيد الخدري أنّه قال : إنّ النّبي ﷺ يوم دعا النّاس إلى غدير خُمّ أمر ما كان تحت الشجرة من الشّوك فَقُمَّ ، وذلك يوم الخميس ، ثُمَّ دعا النّاس إلى علي عليه السلام فأخذ بضبعه فرفعها حتّى نظر النّاس إلى بياض إبطيه . ثمَّ لم يتفرّقا حتّى نزلِتْ هذه الآية ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم ، وَأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دِيناً﴾ . فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر على إكمال الدِّين وإتمام النعمة ، وَرِضَى الرَّب برسالتي ثم قال : اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعادِ من عاداه ، وانصر مَنْ نصره ، وأخذل من خذله . فقال حسّان بن ثابت : يا رسول الله أتأذن لي أن أقولَ أبياتاً ؟ فقال:

قل ببركة الله تعالى . فقال حسّان بن ثـابت : يا معشـر مشيخة قـريش اسمعوا شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم قال :

يُنَـادِيهُمُ يــومَ الغـديـر نـبيُّـهُم ... بخمٍّ واسْمِع بـالـرَّسـول مناديـا
بـأنّـي مـولاكُمْ نَـعَـمْ ووليّـكُـمُ ... فقـالـوا ولم يبـدوا هنـاك التّعـامِيا
إلـهـك مـولانـا وأنـت ولّيـنَـا ... ولا تجدِنْ فِي الخلق للأمر عاصِيـا
فقـال لــه : قم يـا عـليُّ فـإنَّني ... رضيتُـكَ من بعـدي إمـامـاً وهـادِيـا
فـمن كـنتُ مــولاه فـهـذا وليّــهُ ... فكـونوا لـه أنصـارَ صـدقٍ مـواليَـا
هـنــاكَ دعــا الـلّهُـمَّ والِ وليُّــهُ ... وكن للّذِي عادى علياً معـاديـا(١)

وكذلك روى آية الإكمال أبو الفتح النَّطنزي الحنفي البغدادي في كتـابه «الخصـائص العلويَّة» وأبـو حامـد سعـد الـدين الصَّـالحـاني ، وابن الجـوزي الحنفي البغـدادي ذكرهـا في (تذكـرتـه) ص/١٨/ ، والحمـويني الحنفي في (فرائد السِّمـطين) في الباب الثَّاني عشر ، والسَّيـوطي في الدّر المنثـور جـ ٢ ص /٢٥٩/ وآخرون غيرهم . ومن أراد الإطـلاع على حديث الغـدير ورواتـه وَمَنْ ألّفَ فيه ونظم به شِعْراً فليطالع كتـاب (الغديـر) للشيخ أحمـد الإميني . وقد أصدر منه حتّى الآن أحد عشر جزءاً، فهو خير مرجع لأحاديث الغدير .

ومن الآيات النَّازِلة بعد نصّ الغدير قوله تعـالى : **﴿سأل سـائِلٌ بعـذابٍ واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج﴾** .

وقد أذعنت به الشِّيعـة ، وجاء مثبتـاً في كتب التّفسير والحـديث لمن لا يستهان بهم من علماء أهل السّنة . فهـذا أبو إسحـاق الثعلبي النيسابـوري قال في تفسيره : «الكشف والبيان» : إنّ سفيانَ ابن عُيينَةَ سُئِلَ عن قوله عزَّ وجـلَّ : **﴿سـأل سائـلٌ بعذابٍ واقـع﴾** . فيمن نزلت ؟ فقـال للسَّائِـل(٢) ؛ سألتني عن

---

(١) (المناقب) للخوارزمي، طبعة ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النَّجف.
(٢) في رواية فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره والكراجكي في كنـز الفوائـد أن السَّائـل هو الحسين بن محمّد الخارقي.

مسألةٍ ما سألني أحدٌ قبلَكَ . حدَّثني أبي عن جعفر بن محمّد عن آبائه صلوات الله عليهم قال : لمَّا كان رسول الله بغدير خُمّ نـادى النّاس فـاجتمعوا ، فـأخذ بيـد علي فقال : مَنْ كنتُ مـولاهُ فعليّ مولاه . فشـاع ذلك وطـار في البـلاد . فبلغ ذلك الحرث بن النّعمان الفهري . فـأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نـاقةٍ لـه حتّى أتى الأبطح فنزلَ عن ناقته فأناخهَـا فقال : يـا محمّد ، أمـرتَنا عن الله أن نشهـد أن لا إله إلاّ الله ، وأنّـك رسول الله فقبلنـاه . وأمرتنـا أن نصلِّيَ خمسـاً فقبلنَاهُ منكَ ، وأمرتنا بالزّكـاة فقبلنا ، وأمـرتنا أن نصـوم شهراً فقبلنـا ، وأمرتنـا بالحجّ فقبلنا ، ثمَّ لم ترض بهـذا حتّى رفعتَ بضبعي ابن عمك ففضّلتَـه علينا وقلت : من كنتُ مـولاه فعلي مولاه . فهـذا شيءٌ منك أم من الله عَـزَّ وجلَّ ؟ فقال : والذي لا إلَه إلاَّ هو إنَّ هذا من الله ، فولّى الحـرث بن النّعمان يـريد راحلته وهو يقول : اللّهُمَّ إن كان ما يقول محمّـد حَقّاً فـأمِطْر علينـا حجارة من السَّماء أو ائتِنا بعذاب أليم . فما وصل إليها حَتّى رماه الله تعالى بحجـر فسقط على هامته ، وخرج من دبره وقتلَهُ ، وأنزلَ الله عزّ وجلّ : ﴿سأل سائل بعذابٍ واقع﴾ الآيات .

ذكـر ذلك الحـافظ أبو عبيـد الهروي في تفسيـره غريب القـرآن ، ولكنَّ السّـائِـل جـابـر بن النّضـر بن الحـارث بن كلدة العبـدي بـدلاً من الحـرث بن النّعمان. ويوجـد اختلاف في اللَّفظ مـع اتفاق في المعنى . وكـذلك أبـو بكر النّقاش الحسكاني في كتـاب «دعاة الهـداة إلى أداء حق الموالاة» . وأبـو بكر القـرطبي في تفسيـره في سـورة المعـارج . وسبط ابن الجـوزي في تـذكـرتـه ص/٣٥/ ط ٢ عام ١٣٦٩ المطبعة العلمية ـ النّجف ، وابن الجوزي الحنفي رواه في (تـذكرتـه) ص /١٩/ . وكذلـك الشّيـخ إبـراهيم بن عبـد الله اليمني الوهابي الشّافعي في كتابه «الاكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء». وكذلك شيخ الإسـلام الحمويني في «فـرائد السّمـطين» في الباب الثـالث عشر . وكـذلـك السّيّـد جمـال الدِّين الشيـرازي في كتابـه «الأربعين في مناقب أميـر المؤمنين» والشّيخ زين الدِّين المنافي الشّافعي في كتابه «فيض القدير في شـرح الجامـع

الصَّغير» . وعدد آخرون ذكرهم الشّيخ الأميني في (غديره) بلغ عددهم ثلاثين مؤلّفاً ومفسّراً ومحدّثاً .

وهكذا تتجلّى لنا عظمة يوم الغدير حيث اتُّخِذَ عيداً في الإسلام يحتفل به وبليلته بالعبادة والخشوع ، وإدرار وجوه البّر ، وصلة الضّعفاء ، واتخاذ الزيِّنة والملابس القشيبة ، ولا يقتصرُ هذا العيد على الشِّيعة فحسب ، بل اشترك معهم في التّقيد به غيرهم من فرق المسلمين . فقد عدّه البيروني في الآثار الباقية في القرون الخالية ص /٣٣٤/ ممّا استعمله أهل الإسلام من الأعياد . وفي مطالب السُّؤول لابن طلحة الشّافعي ص /٥٣/ يوم غدير خُمَّ ذكرَهُ (أمير المؤمنين) في شعره ، وصار ذلك اليومُ عيداً وموسِماً لكونه كان وقتاً خصَّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه المنزلة العلّيّة ، وشرَّفه بها دون النّاس كلّهم . وقال في (ص ٥٦): وكلّ معنى أمكن إثباته ممّا دلّ عليه لفظ المولى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد جعله لعلي ، وهي مرتبة سامية ، ومنزلة سامية ، ودرجة علّية ، ومكانة رفيعة ، خصَّصه بها دون غيره . فلهذا صار ذلك اليوم يوم عيد وموسم سرور لأوليائه . آه .

وقد نوَّه به رسول الله فيما رواه فرات بن إبراهيم الكوفي في القرن الثّالث عن محمّد بن ظهير عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الإمام الصّادِق عن أبيه ، عن آبائه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خُمّ أفضل أعياد أُمّتي . وهو اليوم الّذي أمرني الله بنصب أخي علي بن أبي طالب علماً لأُمّتي يهتدون به من بعدي . وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدِّين ، وأتمَّ على أُمّتي فيه النِّعمة ، ورَضيَ لهم الإسلام ديناً .

واقتفى أثر النّبي الأعظم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نفسه ، فاتَّخذه عيداً . وعرفه أئمة العترة الطاهرة صلوات الله عليهم فسمَّوه عيداً ، وأمروا بذلك عامّة المسلمين ، ونشروا فضل اليوم ومثوبة من عمل البّر فيه . ففي الكافي لثقة الإسلام الكُليَنْي جـ ١ ص/٣٠٣/ عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : جُعِلتُ فداكَ للمسلمين عيدٌ غير العيدين ؟ قال : نعم يا حَسَن

أعظمهما وأشرفهما . قلتُ : وأيّ يوم هو ؟ قال : يوم نُصب أمير المؤمنين عليه السلام علماً للنّاس : قلتُ ـ جُعِلتُ فداكَ ـ وما ينبغي لنا أن نصنع به ؟ قال : تصوم يا حسن ، وتكثر الصَّلاة على محمَّد وآله ، وتبرأ إلى الله ممَّن ظلمهم . فإنَّ الأنبياء صلوات الله عليهم كانت تأمر الأوصياء اليوم الَّذي كان يقامُ فيه الوصيّ أن يتّخِذ عيداً ، قال : قلتُ : فما لمن صامه ؟ قال : صيام ستين شهراً .

وفي (الخصال) لشيخنا الصَّدوق بإسناده عن المفضل بن عمرو قال : قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام : كم للمسلمين من عيد ؟ فقال : أربعة أعياد . قال : قلت : قد عرفتُ العيدين والجمعة . فقال لي : أعظمها وأشرفها يوم الثامن عشر من ذي الحجّة . وهو اليوم الَّذي أقام فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام ونصَّبه للنّاس علماً . قال : قلت : ما يجب علينا في ذلك اليوم ؟ قال : يجب عليكم صيامه شكراً لله وحمداً له ، مع أنّه أهلٌ أن يشكر كلّ ساعة . كذلكَ أُمرتِ الأنبياء أوصياءها أن يصوموا اليوم الَّذي يُقام فيه الوصي ، ويتخذونه عيداً . الحديث .

وقد صنّف علماء السّنة في يوم الغدير كتباً متعدّدة . فمِمَّنْ صنَّف فيه أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن سعيد الهمداني الحافظ المعروف بابن عقدة ، وهو ثقة عند أرباب المذاهب الأربعة ، وجعل ذلك كتاباً مجرداً سماه (حديث الولاية) . وذكر الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، وأسماه الرّواة من الصّحابة . وقد صنَّف أبو سعيد مسعود بن ناصر السّجستاني في كتاب «دراية حديث الولاية » وهو سبعة عشر جزءً ، وهو من أوثق رجال المذاهب الأربعة ، وقد كَشَفَ عن يوم الغذير ، ونصّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على علي بالخلافة بعده . ورواهُ عن مائةٍ وعشرين نفساً من الصّحابة ، منهم ستّ نساء ، وعدَّد أسانيد هذا الكتاب ، على ما قال صاحب الطَّرائق ، ألف وثلاثمائة وخمسة وثلاثون سنداً . وقد روى حديث يوم الغدير محمَّد بن جرير الطَّبري من خمس وسبعين طريقاً ، وأفرد له كتاباً سمَّاه «كتاب الولاية» .

وكذلك صنّف في حديث يوم الغدير (الحسكاني) كتاباً سمّاهُ كتاب (دعاة الهداة إلى أداء حق الموالاة). وذكر محمد بن الحسن الطّوسي في كتاب (الاقتصاد) وغيره أنّه قد روى خبر يوم الغدير من مائة وخمسة وعشرين طريقاً . ورواه أحمد بن حنبل في مسنده من خمسة عشر طريقاً[1] .

أمّا رواة حديث الغدير من الصّحابة ـ كما ذكر الأميني في كتابه (الغدير) ـ فهم مائة وعشر رواة . ومن التّابعين أربعة وثمانون راوياً . والخلاصة حديث الغدير ، حديث الولاية ، وإكمال الدِّين ، أشهرُ من نارٍ على علم . ولكنّ المغرضين لا يجدون لذلك أيّ أهمية ، ويحاولون إقناع أنفسهم بأنّهم لم يرتكبوا جريمةً تذكر ، ولم يضيّعوا بهذا حقّاً .ورحم الله الكميت القائِل :

ويوم الدّوح دوح غدير خُمٍّ أبان له الولاية لو أُطيعا
ولم أر مثل ذاكَ اليوم يوماً ولم أر مثلُهُ حقّاً أُضِيعا
ولكنُ الرِّجال تبايعوها فلم أر مثلها خطراً مبيعا
فلم أبلَغْ بها لعناً ولكِنْ أساء بذاك أوّلهم صَنيعا
فصار بذاك أقربهم لعدلٍ إلى جور وأحفظهم مضيعا
أضاعوا أمر قائده فضلُّوا وأقوامهم لدى الحدثانِ ريعا

وتُقدّر القصيدة بـ /٥٣٨/ بيتاً . قال الشّيخ أبو الفتوح في تفسيره جـ ٢ ص/١٩٣/ : رُوي عن الكميت قال : رأيتُ أمير المؤمنين عليه السلام في المنام فقال : أنشدْني قصيدتُكَ العينيَّة . فأنشدته حتى انتهيتُ إلى قولي فيها : ويوم الدَّوح ـ فقال عليه السلام : صدقتَ . ثمَّ أنشد :

ولم أر مثلُ ذاكَ اليوم يوماً ولم أر مثله حَقّاً أُضِيعا

ومن روايات الفقيه الشّافعي ابن المغازلي في كتاب المناقب بإسناده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنى : وإنّي

(١) ذكر الشيخ الأميني في (غديره)، جـ ١، ستة وعشرين مؤلفاً في حديث الغدير فليراجع هناك.

لأدناهم إليه في حجة الوداع حين قال : لا ألفيّنكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّي في الكتيبة التي تضاربكم، ثمَّ التفتَ إلى خلفه فقال : أو عليٌّ أو علي ثلاثاً . فرأينا أن جبرائيل عليه السلام غمزه ، وأنزل الله على أثر ذلك ﴿ فإمّا نذهبَنّ بك فإنا منهم منتقمون﴾ بعلي بن أبي طالب ﴿أو نُرينَّك الَّذي وعدناهم عليهم مقتدرون﴾ . ثمَّ نزلت ﴿قُلْ ربِّ إمَّا ترَينّي ما يوعدون . ربّ فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ ثمَّ نزلت : ﴿فاستمسِكْ بالذي أوحيَ إليك﴾ في أمر علي .﴿إنَّكَ على صِراطٍ مستقيم﴾ وإنّ عليّاً لعلم الساعة ﴿وإنه لذكرٌ لك ولقومك ولسوف تُسألون﴾ عن علي بن أبي طالب(١) .

وجملة القول إنّ ولاية علي بن أبي طالب مفروضة على كلّ مسلم . لأنّ ولاية الرّسول مقرونة بولاية ابن عمه علي . فمن اعترف بولاية الرّسول ولم يعترف بولاية علي فقد خالف الرّسول الأعظم ، وخالف كتابه الكريم الَّذي هدد نبيّ الرّحمة إن لم يعلن هذه الولاية للنّاس . فأعلن وصرَّح قائلًا: «من كُنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه» . فعليٌّ وليُّ السلمين ، شاؤوا أم أبوا . وعلاوةً على الولاية فهو والعترة أمانٌ من الضَّلال بعد كتاب الله . فمن تمسك بالقرآن ، وانْحَرفَ عن العترة لم يسلم من الضّلال . وكيف لا يكون ذلك ؟ ونداءُ الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم يرنُّ في الآذان : «يا أيّها النّاس إنّي تركْتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلُّوا ، كتاب الله عزّ وجَلّ ، وعترتي أهل بيتي»(٢) .

يا أيُّها الناس إنّ الفضل والشّرف والمنزلة والولاية لرسول الله وذريته ، فلا تذهبن بكم الأباطيل(٣) . وهل هذا النّداء سوى صرخةٍ في واد . وحتّى الآن ، فهل يتجّرأ المسلم السّني أن يعلنها مدوِّية في آذان المسلمين كما

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٢١٩ .

(٢) أخرجه الترمذي وَالنسائي بسند.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في حديث طويل كخطبة كما نص عليه ابن حجر في آخر المقصد الرابع من مقاصد آية المودة في القربى من صواعقه.

يعلنها المسلم الشّيعي قائِلاً : أشهَدُ أنّ عليّاً وليّ الله .

وقـال صلى الله عليه وآله وسلم : إنّي تـركتُ فيكم مـا إن تمسّكتم بـه لن تضلّوا بعـدي : كتاب الله عزّ وجلّ حبلٌ ممـدود من السّماء إلى الأرض ، وعتـرتي أهل بيتي ، ولن يفتـرقا حتّى يـردا عليّ الحوض ، فـانظروا كيف تخلّفـوني فيهما[1] . إذن يحقّ للمُسلم أن ينظر كيف حلّ بـالعترة ، فعليٌّ اغْتُصِبَ حقّـهُ ، وفاطمة مُنِعَت من إرثها ، والحسن مات مسوماً، والحسين ذبح من قفاهُ ومُثِلَ به .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنّي تاركٌ فيكم خليفتين : كتـاب الله حبل ممـدود ما بين السّمـاء والأرض ، وعتـرتي أهـل بيتي ، وأنّهما لن يفتـرقـا حتّى يَـرِدا عليَّ الحوض[2] . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنّي تـارك فيكم الثّقلينِ : كتاب الله وأهـل بيتي ، وإنّهما لم يفترقـا حتّى يـردا عليَّ الحـوض[3] . وقـال صلى الله عليه وآله وسلم : إنّي أوشِـكُ أن أُدْعَى فـأجيب ، وإنّي تارك فيكم الثّقلين : كتـاب الله عـزَّ وجـلَّ ، وعتـرتي . كتـاب الله حبـلٌ ممـدود من السمـاء إلى الأرض ، وعتـرتي أهـل بيتي ، وأن اللّطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما[4] . زاد الطّبراني : فـلا تقدمـوها فتهلكـوا ولا تقصّروا عنهمـا فتهلكوا ، ولا تعلّموهـم فإنّهم أعلم منكم . وكذلك في خطبة يوم الغـدير ممّـا هو مشهور ومعـروف . فما معنى الحضّ على التّمسـك بالقـرآن والعترة اللّتين همـا أمان من الضّـلال ؟ وهما لن يفتـرقـا حتّى يـردا عليَّ الحـوض . والعتـرة

---

(١) أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم مرفوعاً.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث زيد بن ثـابت بطريقين صحيحين، وأخـرجه الـطبراني أيضاً في الكبير من حديث زيد بن ثابت.

(٣) أخـرجه الحـاكم في ص ١٤٨ من الجزء الخـامس من صحيحه المستـدرك. ثم قال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين. وأورده الذهبي في تلخيصـه معترفـاً بصحته على شرط الشيخين.

(٤) أخرجه الإمـام أحمد من حـديث أبي سعيد الخـدري من طريقين: أحـدهما في آخـر ص ١٧، والثاني في آخر ص ٢٦ من الجزء الثالث من مسنده، وأخرجه غير واحد من أهل المسانيد.

أعدال الكتاب . وهل مسلمٌ يرتضي بكتاب الله بدلاً؟ فكيف يبتغي عن أعداله حِولاً ؟ هذا هو الانحراف نحو الضّلال ، فساءت العاقبة والمآل .

أخرج الحاكم[1] بالإسناد إلى حنش الكناني قال : سمعتُ أبا ذرّ يقول : وهو آخِذٌ بباب الكعبة. من عرفني فأنا من عرفني ،ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ سمعْتُ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه ، من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق .

وأخرج الطّبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا، ومن تخلّفَ عنها غرق. وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له[2] .

وأخرج الحاكم[3] بسنده إلى ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : النجوم أمانٌ لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمانٌ لأمّتي من الاختلاف (يعني في الدِّين) . فإذا خالفتهم قبيلةٌ من العرب اختلفت فصارت حزب إبليس .

إذَنْ ما معنى هذه الأحاديث الثلاثة ؟ وما وجه الشّبة بسفينة نوح وبباب حطة ؟ إذا لم نلجأ إلى أئمتهم في الدِّين أُصوله وفروعه ، وفرائضه وسننه لننجو من عذاب النّار . فإذا لم نلجأ إليهم بذلك ، فهل هناك عاصمٌ من أمر الله ؟ كلا ! ليس أمامنا إلاّ الغرق .ولو نظرنا إلى الواقع لهالنا ما نرى ! فالكثير من الأُمة الإسلامية لم يأخذوا بهديهم في شيءٍ من فروع الدِّين وعقائده ، ولا في شيءٍ من أُصول الفقه وقواعده .ولا في شيءٍ من علوم السّنّة والكتاب، ولا في

---

(١) في ص ١٥١ من الجزء الثالث من صحيحه المستدرك.

(٢) وهذا هو الحديث الثامن عشر من الأربعين للنبهاني، ص ٢١٦ منه.

(٣) في ص ١٤٩ من جـ٣ من المستدرك ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

شيءٍ من علم الأخلاق والسُّلوك والآداب . لذلك إذا عبثوا بالولاية ولم يقيموا لها وزناً ، فليست إلَّا على هذا المنوال . لأنّ صاحب هذه الولاية هو الذي جاهد العرب عامَّةً ، وقريش خاصّةً في سبيل الله ، وقهرها في إعلاء كلمة الله ، ونصر الله ورسوله حتّى جاء الحق وزهق الباطل . فكلّ دمٍ أريقَ في عهد النبوَّة أُلْصِقَ به حقّاً أو باطِلاً ، ثمّ تربُّصوا به الدَّوائر ، وأضروا له ولذرّيته كلّ سوء ، فحدَثَ ما طبقّت فجائعه وفظائعه الأرض والسَّماء .

فهذه ابنة سيّد البشر تعلنها في خطبةٍ لها عليها السلام : وما الَّذي نقموا من أبي الحسن ؟ نقموا والله نكير سيفه ، وشدَّة وطئته ، ونكال وقعته ، وتنمّر في ذات الله[1] .

وكيف يعترفون له بالولاية والخوف قد ملأ قلوبهم من عدله وَأَمْرِهِ بالمعروف ونهيه عن المنكر، ومساواته بين أفراد البريَّة، والحسد ملأ جوانبهم على علمه وعمله وقرابته من المشرّع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وجهادِهِ وحسن بلائه، وعظم تضحيته في سبيل هذه الشّريعة الإسلامية ممّا جعل المتنافسين على الزَّعامة وكبار القوم يتناسون كل خصومة، ويجتمعون على نقض عهده مهما كانت النّتيجة، ومهما ساءت العاقبة؟

وكيف يعترفون له بالولاية؟ وقريش خاصَّة والعرب عامّة ما كانوا ليصبروا على حصر الخلافة في بني هاشم، وخاصّةً والعرب عامّة ما كانوا ليصبروا على حصر الخلافة في بني هاشم، وخاصّةً إذا تقلّدها علي، وهم لم يخضعوا للنبوَّة الهاشميَّة إلّا بعد أن تهشّموا وتلاشَتْ قوَّتهم. فكيف يرضون في اجتماع النبوَّة والخلافة في بني هاشم، وقد أعلنها عمر لابن عبّاس بكلّ صراحة قائلاً:

---

(١) راجع فلسفة الميثاق والولاية: لعبد الحسين شرف الدين، ص ١٨، مطبعة العرفان صيدا ١٩٥٢ م.

إنّ قريشاً كرِهَتْ أن تجتمع فيكم النبوّة والخلافة فتجحفون على النّاس[1].

لذلكَ فإعلان الغدير الصّادر عن أمرٍ من الله ـ بعد أن ضَمِن العصمةَ لنبيّه من أذى النّاس ـ لم ينقذ عليّاً من التآمر عليه وعلى أهل بيته. بل زاد القلوب حقداً وحسداً ضد الإمام. ولكنّهم أجّلوا المؤامرة حتّى يموتَ من أعلن يوم الغدير، وأطلع الله نبيّه ﷺ على ما يضمرون وما يبيّتون. فأمر عليّاً أن يتذرّع بالصّبر والأناة عند استئثارهم بحقّه، وأن يتلقّى المحنة بكظم الغيظ والاحتساب، احتياطاً على الإسلام وإيثاراً للصّالح العام، وضَنّاً بربح المسلمين. فوقف الإمام بينَ كارثتينِ: كارثة حَقّه السّليب الّذِي يستصرخه ويستفزه، وَالفتن الطّاغية من جهةٍ أخرى تنذِرُهُ بانتقاض الجزيرة، وانقلاب العرب، واجتياح الإسلام، وتهدّده بالمنافقين من أهل المدينة، وبالطّلقاء من أهل مكّة الّذين يضمرون العداوة والبغضاء، وبالرُّومان والأكاسرة وغيرهما من ملوك الأرض الذين كانوا للمسلمين بالمرصاد، وقد فُقِدَ راعي هذه الأمة، فحانت الفرصة للانقضاض على الإسلام وَالمسلمين. فوقف أمير المؤمنين بين هذينِ الخطرين، فضحّى بحقّه قرباناً لدين الإسلام، وإيثاراً للصّالح. لذلكَ قعد في بيته (فلم يبايع حَتّى أخرجوه كرهاً) احتفاظاً بحقّه واحتجاجاً على المستأثرين به وعلى أوليائهم، فكانَتْ تضحية الإمام أكبر تضحيةٍ وأعظم سخاء في سبيل الله. لذلِكَ محض أمير المؤمنين كلّاً من الخلفاء الثلاثة نصحه، واجتهد لهم في المشورةِ ولم يقاوِم لأجلِ منصبٍ زائلٍ، فوادَعَ وسالَمَ.

ومن الغريب أنّ نصوص الإمامة وعهدُ الوصيّة قد ملأت صحاحَهم ومسانِدهم، وهم يعلنون بكلّ جرأة وصفاقة أنّ النّبي ما عهد إلى أحد، وما أوصى بشيءٍ. فلماذا يعلنونها قبل أن يطهّروا صحاحهم منها؟ فلو تدبّروا بسننهم لوجدوها دامغة ضدّهم أمام الأجيال والعصور.

---

(١) راجع فلسفة الميثاق والولاية: لعبد الحسين شرف الدّين، ص ٢٠، مطبعة العرفان صيدا ١٩٥٢ م.

الأحاديث الواردة في ولاية الإمام علي عليه السَّلام

الحديث الأوَّل:

تفسير قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنّهم مسؤولون﴾[1]. يعني عَنْ ولاية علي ﷺ. هذا ما قالَهُ الكنجي. وتابَعَهُ أبو العلاء الهمداني، وذلكَ ما ذكرَهُ الخوارزمي يقول: وروى أبو الأحوص عن أبي إسحٰق في قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنّهم مسؤولون﴾. قال: يعني ولاية علي بن أبي طالب ﷺ. إنّه لا يجوز أحد الصّراط إلّا وبيده براءة بولاية علي بن أبي طالب ﷺ ص ١٩٥ ط ١٩٦٥ ـ المطبعة الحيدرية ـ النّجف.

وذكر سبط ابن الجوزي في (تذكرته) عن هذه الآية: ﴿وقفوهم إنّهم مسؤولون﴾. قال مجاهد: عن حبّ علي ﷺ ص ٢١ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ ـ المطبعة العلمية في النّجف. وقال الألوسي في تفسيره ٢٣ ص ٧٤ في قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنّهم مسؤولون﴾ بعد عدّ الأقوال فيها. وأولى هذه الأقوال أنّ السُّؤال عن العقائد والأعمال ورأس ذلكَ لا إلٰه إلّا اللّه، ومن أجلّهِ ولاية علي كرّم الله وجهه.

وذكر الأستاذ نجم الدّين العسكري في كتابه (علي والشّيعة) تعليقاً على تفسير هذه الآية؛ ظهر بعد التّحقيق أنّ ما أخرجه الطبري في تفسيرِهِ هو نفس الحديث الّذي أخرجه الكنجي في (كفاية الطّالب) والذي أخرجه الخوارزمي في (المناقب) ولكن أسقط منه أوّل الحديث وآخره وبقي جملة واحدة منها هي: «أنت يا علي وشيعتُكَ». وصاحب الفردوس يقول: يسألون عن الإقرار بولاية علي[2].

الحديث الثّاني:

ينابيع المودَّة ص ٥٥ أخرج بسنده عن مناقب ابن المغازلي الشّافِعِي

---

(١) سورة الصافات: آية ٢٤.

(٢) ينابيع المودّة: للقندوزي، جـ ٢ ص ٦٢.

(مخطوط) وقد نقل منه السَّيد هاشم في (غاية المرام) وغيرِه من مؤلَّفاته، وقد أخرَجَ فيه بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما (أنَّه) قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنَّ في علي خصالاً لو كانت واحدَةً منها في رجل اكتفى بها فضلاً وشرفاً»، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه». وقوله: «عليٌّ منّي كنفسي، طاعته طاعتي، ومعصيتُه معصيتي». وقوله: «حربُ عليّ حرب الله، وسلم عليّ سلم الله». وقوله: «وليّ عليّ ولي اللَّه، وعدوّ علي عدوّ الله». وقوله: «عليٌّ حجّة الله على عباده». وقوله: «حبُّ علي إيمان وبغضه كفر». وقوله: «حزبُ عليّ حزبُ الله، وحزب أعدائه حزب الشّيطان». وقوله: «عليٌّ مع الحقّ والحقّ معه لا يفترقان». وقوله: «علي قسيم الجنّة والنّار». وقوله: «من فارق عليّاً فقد فارقني، وَمن فارقني فقد فارَقَ الله». وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «شيعة علي هم الفائزون».

هذه ثلاثة عشر حديثاً أخرجهم القندوزي الشّافعي.

الحديث الثّالث:

كفاية الطّالب ص ٢٣ أخرج بسنده عن عمّار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أُوصِي من آمن وصدّقني بولاية علي بن أبي طالب، من تولّاه فقد تولّاني، ومن تولّاني فقد تولّى الله عزّ وجلّ.

هذا وقد وردَتْ أحاديث كثيرة بمعناها، (منها) ما في الرّياض النّضرة جـ ٢ ص ١٦٥ ـ ١٦٦ فراجِعْهما تجدْ أحاديث عديدة تثبت المطلوب.

الحديث الرَّابع:

مرَّ معنا في أحاديث الاستخلاف نقتطفُ منها بغيتَنا (وهذا مِنْ الحديث الأوَّل): وهو مولى كلّ مسلم، وإمام كلّ مؤمن، وقائد كلّ تقيّ، وهو وصيّي، وخليفتي على أهلي وأُمّتي في حياتي وبعد موتي، ومحبُّه محبّي، ومبغِضُه مبغضِي، وبولايته صارت أُمَّتي مرحومة، وبعداوته صارت المخالفة له ملعونة. الحديث.

الحديث الخامس:

في مناقب الخوارزمي في الفصل ص ١٤ أخرج بسندِهِ عن يعقوب بن إسحٰق بن إسرائيل قال: نازع عمر بن الخطاب رجلاً في مسألة، فقالَ له عمر: بيني وبينَك هذا الجالس، وأومأ بيده إلى علي عليه السلام . فقال الرَّجل: مَنْ هذا الهنّ؟ فنهض عمر في مجلسه فأخذ بأذنيه حتّى أشالَهُ من الأرض، وقال له: ويلك! أتدري مَنْ صَغَّرْتَ؟ هذا علي بن أبي طالب مولايَ ومولى كلّ مسلم(١).

الحديث السَّادس:

(ذخائر العقبَى) قال: قال بريدة: قال لي النّبي صلى الله عليه وآله وسلم : «لا تَقَعْ في علي فإنّه منّي وأنا منه، وهو وليّكم بعدي».

الحديث السَّابع:

(الرّياض النّضرة): ٢/١٦٥ ـ ١٦٦ قال: (ذكر اختصاصه) بأنَّ من آذاه فقد آذى النّبي، ومن أبغضَهُ فقد أبغضه، ومن سَبَّهُ فقد سَبَّه، ومن أحبَّهُ فقد أحبَّه، ومن تولاَّه فقد تولاه، ومن عاداهُ فقد عاداه، ومن أطاعه فقد أطاعه، ومن عصاه فقد عصاه.

الحديث الثَّامن:

(فرائد السّمطين) جـ٢ باب ٨: أخرج بسنده عن زيد بن تبيع قال: سمعتُ أبا بكر بن أبي قحافة يقول: رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم خيَّمَ خيمَةً وهو يَتَّكِيء على قوس عربيَّة، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: معاشر النّاس، أنا سلمٌ لمن سالَمَ أهل الخيمة، وحربٌ لمن حاربهم، ووليٌّ لمن والاهم، لا يحبّهم إلاّ سعيد الجد، طيّب المولد. ولا يبغضهم إلاّ شقيّ الجدّ، رديء المولد. فقال الرَّجل: يا زيد أنت سمعتَ منه؟

---

(١) المناقب، ص ٩٨ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النَّجف.

فقال: إي وربِّ الكعبة. وقد أخرج الحديث عبيدالله الحنفي في كتابه (أرجح المطالب) ص ٣٠٩. وقال: أخرجه المحبّ الطّبري الشّافعِي في الرّياض النّضِرة. وأخرجه الخوارزمي في (مناقبه) ص ٢١١ ط ١٩٦٥ ـ المطبعة الحيدرية ـ النّجف.

الحديث التّاسع:

ذكره محبّ الدّين الطّبري الشّافعي في (ذخائر العقبى) ص ١٨. قال: وعن عمر، وقد جاء أعرابيّان يختصمان. فقال عمر لعلي: اقضِ بينهما يا أبا الحسن. فقضى عليّ بينهما. فقال أحدُهما: هذا يقضي بيننا؟ فوثب عمر وأخذ بتلبيبه وقال: ويحَكَ! ما تدري من هذا؟ هذا مولاي ومولى كلّ مؤمن. ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن. أخرجه ابن السّمّان في كتاب (الموافقة). هذا وقد أخرج الموفّق بن أحمد الحنفي الحديث في (المناقب)[1]، وحديث الولاية أخرجه التّرمذي في صحيحه جـ ٢ ص ٤٦٠ طبع الهند سنة ١٣١٠ هـ.

الحديث العاشر:

ذكره ابن كثير الحنبلي في كتابه (البداية والنهاية) جـ ٨ ص ٣٤٩. قال: روى جماعة من الصّحابة حديث الغدير فعدَّد أسماءهم. قال: ومن جملتهم عمر بن الخطّاب. وهذا لفظه: عن البراء قال: خرجْنا مع رسولِ الله ﷺ حتّى نزلنا غدير خمٍ بعث منادٍ ينادي، فلمّا اجتمعنا (قال): «ألسْتُ أولى بكم من أنفسكم؟». قلنا: بلى يا رسول الله. (قال): «ألسْتُ أولى بكم من آبائكم؟». قلنا: بلى يا رسولَ الله. (قال): «ألسْتُ ألسْتُ ألسْتُ؟». قلنا: بلى يا رسولَ الله. (قال): «من كنتُ مولاه فعليّ مولاه. اللهمَّ والِ من والاه، وعادِ مَنْ عاداه». (قال): فقال عمر بن الخطّاب: هنيئاً لك يابن أبي طالب، أصبحتَ اليومَ وليَّ كلّ مؤمن. (قال): وكذا رواه ابن ماجة القزويني في سننه،

---

(١) ص ٩٨ ط ١٩٦٥ م، نفس المطبعة، النّجف.

من حديث حمّاد بن سلمة عن علي بن زيد وأبي هارون العبدي عن عدي بن ثابت عن البراء به. وكذلك الخوارزمي في (مناقبه) ص ٩٤ ط ١٩٦٥ ـ المطبعة الحيدرية ـ النّجف.

الحديث الحادي عشر:

(كنز العمّال) لعلي المتّقي الحنفي جـ ٦ ص ١٥٤. قال: نقلاً عن المعجم الكبير للطّبراني والتّاريخ الكبير لابن عساكر عن أبي عبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر عن أبيه عن جدّهِ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أُوصِي من آمن بي وصدّقني بولاية علي بن أبي طالب. فمن تولّاهُ تولّاني، ومن تولّاني فقد تولّى الله، ومن أحبَّهُ فقد أحبَّني، ومن أحبَّني فقد أحبَّ الله. ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغَضَ الله عزّ وجلّ»[1].

الحديث الثّاني عشر:

(الصّواعق المحرقة) لابن حجر الهيثمي الشّافِعي ص ١٠٩. قال: أخرج ابن عبد البرّ في (الاستيعاب) عن ابن المسيّب قال: قال عمر: تحبَّبوا إلى الأشراف وتودَّدُوا، اتّقوا على أعراضكم من السّفلة، واعلموا أنّه لا يتمّ شرف إلّا بولاية علي.

الحديث الثّالث عشر:

(ينابيع المودّة) ص ٢٥٣ عن السّيد علي الهمداني الشّافِعي في مودَّةِ القربَى أخرج بسندِهِ عن أبي عمر قال: كنّا نُصَلّي مع النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم فالتَفَتَ فقال: «أيُّها النّاس هذا وليّكم بعدي في الدّنيا والآخرة فاحفظوه ـ يعني عليّاً ـ».

الحديث الرَّابع عشر:

(البداية والنهاية جـ ٧ ص ٣٤٤ لابن كثير). فقد أخرج بسندِهِ عن

---

(١) علي والوصيّة: للعسكري، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ـ ٣٠١.

عمران بن حصين أنّه قال: شكوا عليّاً عند النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأقْبَلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم، وقد تغيَّر وجهه من الغضب، فقال: «دعوا عليّاً، دعوا عليّاً، دعوا عليّاً. إنّ عليّاً مني وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي». ورواه أبو عبدالله أحمد في (المسند) غير مرَّةٍ ورواه في كتاب (فضائل علي)، ورواهُ أكثر المحدثين[1].

الحديث الخامس عشر:

أخرج علي المتّقي الحنفي في (كنز العمّال جـ ٦ ص ١١٧) حديثاً عن ابن عبَّاس وفيه زيادات مهمّة نقلاً عن المعجم الكبير للطّبراني، قال؛ قالَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سرَّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدنٍ غرسها ربّي، فليوالِ عليّاً من بعدي، وليوالِ وَلِيَّهُ، وليقتدِ بأهل بيتي من بعدي، فإنّهم عترتي خُلِقوا من طينتي، ورُزِقوا فهمي وعلمي، فويلٌ للمكذّبين بفضلهم من أُمّتي، القاطعينَ فيهم صِلتي، لا أنالَهُمُ اللّهُ شفاعتي». ذكره صاحب الحلية أيضاً ص ١٧٠[2]. وذكره الخوارزمي في المناقب ص ٣٤ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدريّة ـ النّجف.

الحديث السّادس عشر:

من كتاب (ابن خالويه) عن عبد الله بن مسعود، قال: خرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم من بيت زينب بنت جحش، حتّى أتى بيت (أم سلمة) فجاءَ داقٌّ فدقّ الباب، فقال: يا أُمّ سلمة قومي فافتحي لَهُ. قالت: وَمَنْ هذا يا رسول الله؟ الذي بلغ خطره أن أفتح له الباب، وأتلقّاه بمعاصمي وقد نزلَتْ فيَّ بالأمس آيات من كتاب الله. فقال: يا أم سلمة، إنّ طاعة الرَّسول طاعة الله، وإنّ معصية الرَّسول معصيةُ اللّهِ عزّ وجلّ، وإنّ بالباب لرجُلاً ليس بنزق[3] ولا خرق، وما

---

(١) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ ٩ ص ١٧٠ ـ ١٧١ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٦٠ م ذكره بهذا المعنى وبتفصيل أوسع.

(٢) شرح النّهج بنفس الجزء والصفحة ١٧٠. وعلي والوصية.

(٣) الخفيف الطّائش.

كـان ليدخـل منزلاً حتّى لا يسمـع حسّاً، وهـو يحبُّ الله ورسولـه، ويحبّـه الله وَرسوله. قالت: ففتحتُ البابَ، فأخذ بعضادتي الباب، ثم جئت حتّى دخلت الخدر، فلمّا أن لم يسمـع وطء دخل ثم سلَّم على رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: يَا أمّ سلمة، وأنا من وراء الخدْر، أتعرفين هذا؟ قلتُ: نعم، هذا علي بن أبي طالب. قال: «هو أخي، سجّيته سجيَّتي، ولحمـه لحمي، ودمه من دمي. يـا أم سلمة هذا قاضي عداتي من بعـدي، فاسمعي واشهـدي يا أم سلمـة. هذا وليّ من بعدي، فاسمعي وَاشهدي يا أم سلمة لو أنَّ رَجُـلاً عبد الله ألف سنـة بين الركن والمقام، ولقِيَ الله مبغِضاً لهذا أكبَّهُ الله عزّ وجَلّ على وجهه في نـار جهنّم»(١).

الحديث السّابع عشر:

(أخرج) الشيخ سليمـان الحنفي في (ينابيـع المودّة) ص ٢٥٨ من مـودّة القـربى ـ المودّة العـاشرة ـ بسنـده عن علي عليه السلام رفعـه إلى النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّـه قال: «من أحبَّ أن يركب سفينـة النّجاة، ويتمسّـك بالعـروة الوثقى، ويعتصم بحبـل الله المتين فليوال عليّـاً بعدي، وليعـاد عدوّه، وليـأتمَّ بالأئمـة الهداة من ولـده، فإنّهم خلفـائي وأوصيـائي، وحجـج الله على خلقـه بعـدي، وسـادات أمّتي، وقادات الأتقياء إلى الجنّـة، حزبهم حـزبي وحزبي حـزب الله، وحزب أعدائهم حزب الشّيطان»(٢).

الحديث الثامن عشر:

أخرج القندوزي في (ينـابيعه) أيضـاً ص ١٢٣ من المناقِب، بسنـدِهِ عن علي بن الحسين، عن أبيـه عن جدّه أميـر المؤمنين علي بن أبي طـالـب عليه السلام قـال: قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله قد فـرض عليكم طاعتي، ونهـاكم عن معصيتي، وفرض عليكم طاعة عليّ بعدي، ونهاكم عن معصيته، وهـو وصيّي

---

(١) كشف الغمّة، ص ٩١ ـ ٩٢ من الجزء الأول.

(٢) علي والوصيّة: للعسكري، ص ٢٧٣ .

ووارثي، وهو منّي وأنا منه، حبُّه إيمان وبغضه كفر، محبُّه محبّي، ومبغضه مبغضي، وهو مولى من أنا مولاه، وأنا مولى كلّ مسلم ومسلمة، وأنا وهو أبوا هذه الأمة». وفي (المناقب) للخوارزمي الحنفي ص ٢٢١ بسنده عن الأصبغ، قال: سُئِلَ سلمان الفارسي عن علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة، فقال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «عليكم بعلي بن أبي طالب، فإنّه مولاكم فأحبّوه، وكبيركم فاتّبعوه، وعالِمكم فأكرموه، وقائدكم إلى الجنّة فعزّزوه، وإذا دعاكم فأجيبوه، وإذا أمركم فأطيعوه، وأحبّوه كحبّي، وأكرموه بكرامتي. ما قلتُ لكم في عليّ إلاّ ما أمرني به ربّي جلّت عظمته»[1].

الحديث التّاسع عشر:

(أخرج) الحافظ أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري في كتاب الولاية في طريق حديث الغدير بسندِهِ عن زيد بن أرقم. قال: لمّا نزل النّبي صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خُمّ في رجوعه من حجّة الوداع، وكان في وقتِ الضُّحَى وحرّ شديد، أمر بالدَّوْحات فَقُمَّتْ (كُنّسَتْ)، ونادى الصّلاة جامعة، الصّلاة جامعة، فاجتمعْنا، فخطب خطبةً بالغةً، ثم قال: «إنّ الله تعالى أنزل إليَّ: ﴿بَلّغ ما أُنزِلَ إليكَ من رَبّك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من النّاس﴾. وقد أمرني جبرئيل عن ربّي أن أقول في هذا المشهد، وأعلم كلّ أبيض وأسود: إنّ علي بن أبي طالب أخي ووصيّ وخليفتي والإمام بعدي. فسألتُ جبرئيل أن يستعفي لي ربّي، لعلمي بقلّة المتّقين وكثرة المؤذينَ لي واللاّئمين، لكثرة ملازمتي لعلي، وشدّة إقبالي عليه حتّى يسمُّوني أذناً، فقال تعالى: ﴿ومنهم الّذين يؤذون النبيَّ ويقولون: هو أُذُنٌ قل هو أُذُنُ خيرٌ لكم﴾[1] ولو شئت أن أسمّيهم وأدلّ عليهم لفعلتُ، ولكِنّي بسترهم قد تكرَّمت، فلم يرضَ الله إلاّ بتبليغي فيه فاعلموا.

معاشِرَ النّاس، ذلكَ فإنّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً، وَفرض طاعته

---

(١) علي والوصيّة: للعسكري، ص ٢٧٤.

(٢) سورة التّوبة: آية ٦١.

على كـلّ أحد، مـاضٍ حكمه، جـائز قـوله، ملعـون من خالفـه، مرحـومٌ من صـدَّقه، اسمعـوا وأطيعوا، فـإنّ الله مولاكم، وعليّ إمـامكم، ثم الإمـامـة في ولدي من صلبه إلى يوم القيامـة. لا حلال إلّا مـا أحلّه الله ورسولـه، ولا حرام إلّا ما حرّم الله ورسوله وهم. فمـا من علمٍ إلّا وقد أحصـاه الله فيَّ ونقلته إليـه فلا تضلّوا عنه ولا تستنكفوا منه، فهـو الّذي يهـدي إلى الحقّ ويعمل بـه. لن يتـوب الله على أحدٍ أنكـره، ولن يغفر لـه، حتمـاً على الله إن يفعـل ذلـك أن يعذّبه عذاباً نكـراً أبَدَ الآبـدين. فهو أفضـل النّاس بعـدي ما نـزل الرّزق وبقي الخلق، ملعونٌ من خالفه، قولي عن جبـرئيل عن الله، فلتنـظر نفسٌ ما قـدَّمَتْ لغدٍ.

إفهموا محكم القرآن، ولا تتّبعوا متشابهـه، ولن يفسّر ذلـك لكم إلّا من أنـا آخِـذ بيـده وشـائِـل بعضـدِهِ ومعلمكم. إنّ مَنْ كنتُ مـولاه فعليٌّ مـولاه، وموالاته من الله عزّ وجَلَّ أنزلها عليَّ. ألا وقـد أدَّيْتُ. ألا وقد بلّغتُ. ألا وقـد أسمعتُ. ألا وقد أوضحتُ، لا تحلّ أمرة المؤمنين بعدي لأحدٍ غيره. ثمّ رفعه إلى السَّماء حتّى صارتْ رجله مع ركبة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

معـاشر النّـاس: هذا أخي ووصيّيّ وواعي علمي وخليفتي على من آمَنَ بي، وعلى تفسير كتاب رَبّـي. (وفي روايـة): «اللهمَّ وال من والاَهُ، وعاد من عاداه، والعَنْ من أنكرَهُ، واغضب على من جحد حقّه. اللهمَّ إنَّكَ أنزلْتَ عنـد تبيين ذلـك في علي: ﴿اليومَ أكملت لكم دينكم﴾ بـإمامتـهِ، فمن لم يـأتمَّ بـه وبمن كانَ من ولدي من صلبه إلى يوم القيـامة، فأولئِـكَ حبطت أعمـالهم وفي النّـار هم فيها خـالدون». إن إبليس أخـرَجَ آدمَ عليه السلام من الجنّـة ـ مـع كـونـه صفوا الله ـ بالحسـد، فلا تحسـدوا فتحبط أعمالكم وتـذلّ أقدامكم. في عليّ نزلت سورة ﴿والعصر إنّ الإنسان لفي خسر﴾(١).

«معاشر النّـاس، آمنوا بـالله ورسولـه والنّور الّـذي أُنزِلَ معـه مِنْ قبل أن

---

(١) في الدر المنثور، جـ٦ ص ٢٩٢ من طريق ابن مردويه عن ابن عباس إن قوله تعالى: ﴿إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ نزل في علي وسلمان.

نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارهم، أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السَّبْت. النّور من الله فيَّ ثمّ في علي، ثمَّ في النّسل منه إلى القائم المهدي. معاشر النّاس، سيكون من بعدي أئمَّة ﴿يدعون إلى النَّار ويوم القيامة لا يُنْصَرون﴾ وأنّ الله وأنا بريئآن منهم، إنّهم وأنصارهم وأتباعهم في الدَّرَك الأسفل من النّار، وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً». فعندها يفرغ: ﴿لكم أيّها الثَّقلان ويرسل عليكما شواظ من نارٍ ونحاسٌ فلا تنتصران». الحديث (ضياء العالمين). وذكره العلامة الحجة الأميني في كتاب (الغدير) جـ ١ ص ٢١٤ ـ ٢١٥ ـ ٢١٦ ط ٢[1].

الحديث العشرون:

من بحار الأنوار للمجلسي جـ ٩ ص ٤٢٧ روى ابن إدريس عن أبيه عن ابن هاشم، عن محمّد بن سنان، عن أبي الجارود، عن ابن جبير، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ولاية الله، وحبّه عبادة الله، واتباعه فريضة الله، وأولياؤه أولياء الله، وأعداؤه أعداء الله، وحربه حرب الله، وسلمه سلمُ الله».

الحديث الواحد والعشرون:

من بحار الأنوار أيضاً جـ ٩ ص ٤٠١. روى الحفّار عن عبدالله بن محمّد بن عثمان، عن محمّد بن علي بن معمَّر، عن أحمد بن المعافا، عن علي بن موسى الرّضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللّوح، عن القلم، عن الله تعالى قال: «ولاية علي حصني، من دخله أمن ناري».

الحديث الثّاني والعشرون:

من كتاب (المناقب) لأبي المؤيّد الخوارزمي، عن علي، عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا عليّ لو أنّ عبداً عبد الله عزّ وجَلَّ مثل ما قام نوح في قومه،

---

(١) علي والوصيّة: لنجم الدّين العسكري، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ـ ٣٠١.

وكان له مثل أُحُدٍ ذهباً، فأنفقه في سبيل الله، ومدّ في عمره حتّى حجّ ألفَ عامٍ على قدميه، ثم قُتِلَ بين الصّفا والمروة مظلوماً، ثمَّ لم يوالِكَ يا عليُّ لم يشمَّ رائحة الجنّة ولم يدخلها(١).

الحديث الثالث والعشرون:

ومن مناقب الخوارزمي عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ الله لما خلق السّموات والأرض دعا هُنَّ فأجبنَهُ، فعرض عليهنّ نبوّتي، وولاية علي بن أبي طالب فقبلنَهُنَّ، ثم خلق الله الخلق، وفوَّضَ إلينا أمر الدين. فالسّعيد من سعد بنا، والشّقِيّ من شَقِي بنا. نحن المحلّون لحلاله، والمحرّمون لحرامه»(٢).

الحديث الرّابع والعشرون:

وعن ابن هارون العبدي قال: كنتُ أرى رأي الخوارج لا رأي لي غيره، حتّى جلسْتُ إلى أبي سعيد الخدري فسمعتُهُ يقول: أُمِرَ النّاس بخمسةٍ، فعملوا بأربعة وتركوا واحدةً. فقال له رجلٌ: يا أبا سعيد، ما هذه الأربعة التي عملوا بها؟ قال: الصّلاة والزّكاة والحج والصوم. قال: فما الواحدة الّتي تركوها؟ قال: ولاية علي بن أبي طالب. قال: وإنّها مُفْتَرضَةٌ معهُنَّ؟ قال: نعم. قال: فقد كفر النّاس؟ قال: فما ذنبي؟(٣).

الحديث الخامس والعشرون:

ومن (أمالي الطُّوسي) عن ابن عبّاس قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أعطاني الله تبارَكَ وتعالى خمساً، وأعطى عليّاً خمساً...» إلى قوله: فقلتُ: يا رسول الله أوصني. فقالَ: «عليكَ بموالاة علي بن أبي طالب.

(١) كشف الغمّة: للأربلي، جـ١ ص١٠٢، والمناقب، ص٢٨ ط ١٩٦٥م، المطبعة الحيدرية، النّجف.
(٢) كشف الغمّة أيضاً، ص٢٩٢، والمناقب، ص٨٠، المطبعة الحيدرية، النّجف.
(٣) كشف الغمّة، جـ١ ص٣١٩.

والّـذي بعثني بالحق نبيّاً إنّ الله لا يقبل من عبـد حسنَةً حتّى يسـألـه عن حبّ علي بن أبي طالب، وهو تعالى أعلم. فإنْ جاءه بولايته قبل عمله على مـا كان فيه. وإن لم يأتِهِ بولايته لم يسأله عن شيءٍ، وأمرَ بـهِ إلى النّار. يـابن عبّاس، والّـذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ النّار لأشـدُّ بغضاً على مبغض علي منهـا على من زعم أنّ لِلّهِ ولداً.

يابن عبَّاس لـو أنّ الملائكـة المقرَّبين والأنبيـاء المرسلين اجتمعـوا على بغضِهِ ولن يفعلوا، لعذّبهم الله بالنّار». قلتُ: يا رسول الله وهـل يبغضه أحـد؟ فقال: «يابن عبَّاس، نعم، يبغضه قـومٌ يذكـرون أنّهم من أمّتي، لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً.

يابن عبَّاس: إنَّ من علامَةِ بغضهم له، تفضيل مَنْ هو دونه عليه. والّذي بعثني بـالحقّ نبيّاً مـا خلق الله نبيّاً أكـرم عليه منّي. ولا وصِيّـاً أكـرم عليـه من وصيّي علي». قـال ابنُ عبَّاس: فلم أزل لـه كمـا أمرني رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ووصَّاني بمودَّته، وأنّه لأكبر عملي عندي.

قال ابن عبَّاس: ثم مضى من الزّمان ما مضى وحضرَتْ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم الـوفـاة، وحضـرتـه، فقلتُ لـه: فـداك أبي وأُمّي يـا رسـولَ الله قـد دنـا أجَلُكَ فما تأمـرني؟ فقالَ: «يـابن عبّاس، خَـالِفْ من خالف عليّـاً، ولا تكوننّ لهم ظهيراً ولا ولِيّاً!» قلتُ: يا رسول الله، فلم لا تـأمر النّـاس بترك مخـالفته؟ قال: فبكى حتّى أُغمِيَ عليه. ثمَّ قال: «يابن عبّاس، سبق الكتاب فيهم وعلم رَبّي. والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً لا يخرج أحدٌ ممَّن خالفه من الدّنيا وأنكر حقّه، حتّى يغيّـر الله ما بـه من نعمة. يـابن عبَّاس إذا أردتَ أن تلقى الله وهـو عنـك راضٍ فـاسلك طريقـة علي بن أبي طالب، ومِـلْ معـه حيث مـال، وارْضَ بـه إماماً، وعـادِ من عاداه، ووالِ من والاه. يـابن عبّاس احـذر أن يدخلكَ شـكٌّ فيه. فإنَّ الشَّكَ في علي كفرٌ باللهِ»(١).

---

(١) كشف الغمّة: للأربلي، جـ٢ ص ٦ و ٧.

الحديث السّادس والعشرون:

عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السّلام ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم عليه السلام فرحوا واستشبروا. وإذا ذكر عندهم آل محمّد اشمأزّتْ قلوبهم. والّذي نفس محمّد بيده، لو أنّ عبداً جاءيوم القيامة بعمل سبعين نبيّاً ما قبل الله ذلك منه حتّى يلقاه بولايتي وبولاية أهل بيتي»[1].

الحديث السابع والعشرون: حديث آية الولاية في علي.

عن أنس بن مالك أنّ سائِلاً أتى إلى المسجد وهو يقول: من يقرض الملي الوفي؟ وعلي راكع يشير بيده خلفه للسّائِل أي اخلع الخاتم من يدي. قال رسول الله : «يا عُمَر، وجبَتْ؟» قال: وجبت له الجنّة واللّه. وما خلعَهُ من يده حتّى خلعه الله من كلّ ذنبٍ ومن كلّ خطيئةٍ. قال: «فما خرجَ أحدٌ من المسجد حتّى نزل جبرئيل بقوله عزّ وجل: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون﴾[2]» .

وأهل العلم يستدلّون بهذه الآية أنّ الفِعْلَ القليلَ لا يبطل الصّلاة، وأنّ صدقة التطوّع تُسَمّى زكاة. وهذه أسماء جميع ممّن أخرج الحديث وهم: الواقدي في ذخائر العقبى ١٠٢ . والحافظ الصّنعاني في تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٧ ، وابن أبي شيبة الكوفي في تفسيره. وأبو جعفر الإسكافي المعتزلي في رسالته التي ردّ بها على الجاحظ. والحافظ عبد بن حميد الكشّي في تفسيره كما في (الدرّ المنثور). وأبو سعيد الأشج الكوفي في تفسيره. والنّسائي صاحب السُّنن في صحيحه. وَالطّبري في تفسيرِه جـ ٦ ص ١٨٦ بعدَّةِ طُرق. والرّازي كما في تفسير ابن كثير، والدّر المنثور، وأسباب النّزول للسيوطي. وأبو القاسم الطّبراني في معجمه الأوسط. والحافظ أبو بكر

---

(١) نفس المصدر، جـ ٢ ص ١٠ ، ومشارق أنوار اليقين: للشيخ رجب البرسي، ص ٥٩.

(٢) سورة المائدة: آية ٥٥.

الجصّاص الرّازي في أحكام القرآن جـ٢ ص ٥٤٢. وأبو الحسن علي بن عيسى الرّمّاني في تفسيره. والنيسابوري في معرفة (أصول الحديث) ص ١٠٢. والثّعلبي النّيسابوري في تفسيره ج ٢ ص ٥٢. وأبو الحسن الواحدي النيسابوري في أسباب النّزول ص ١٤٨. وابن المغازلي الشّافعِي في (المناقب) من خمس طرق. وشيخ المعتزلة عبد السّلام بن محمّد القزويني في تفسيره الكبير. والبغوي الشّافعِي في تفسيره (معالِم التّنزيل) هامش الخازن ٢ ص ٥٥. والزّمخشري الحنفي في الكشّاف جـ١ ص ٤٢٢. والخوارزمي في (المناقب) ص ١٨٦ ـ ١٨٧ بطريقتين ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدرية ـ النّجف. وابن عساكِر في تاريخ الشّام بعدّة طرق. وابن الجوزي الحنبلي في (الرّياض) جـ٢ ص ٢٢٣. وذخائر العقبى ص ١٠٢. ومن أراد المزيد فليراجع الغدير جـ٣ من ص ١٥٦ ـ ١٦٢ فهو يذكر ٦٦ رَجُلاً أخرجوا الحديث، ففيه الغاية المنشودة للباحث.

الحديث الثامن والعشرون:

أخرج أبو المؤيّد موفّق بن أحمد الخوارزمي بسنده عن أبي سليمان راعي رسول رسول الله. قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ليلة أُسْرِي بي إلى السّماء قال لي الجليل جل جلاله: ﴿آمن الرّسول بما أنزِل إليه من ربّه﴾». فقلتُ: والمؤمنون. قال: «صدقتَ». قالَ: «يا محمّد إني اطّلعتَ إلى أهل الأرض اطّلاعَةً فاخترتُكَ منهم، فشققتُ لك إسماً من أسمائي. فلا أذكَرُ في موضع إلاّ ذُكِرْتَ معي. فأنا المحمود وأنت محمّد. ثمَّ اطّلعتُ الثّانية فاخترتُ منهم عليّاً فسمَّيته بإسمي. يا محمّد خلقْتُكَ وخلقْتُ عليّاً وفاطمة وَالحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين من نوري، وعرضتُ ولايتكم على أهل السّموات والأرض. فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين. يا محمّد لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني حتّى ينقطع أو يصير كالشّنّ البالي، ثمَّ جاءني جاحداً لولايتكم ما غفرتُ له. يا محمّد تحبّ أن تراهم؟ قلتُ: نعم يا رَبّ. قال لي: أنظر إلى يمين العرش. فنظرتُ فإذا علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين، ومحمّد بن جعفر،

وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمّد بن علي، وعلي بن محمّد، والحسن بن علي، ومحمّد المهدي بن الحسن كأنّه كوكب دريّ بينهم. وقال: يا محمّد، هؤلاء حججي على عبادي. وهم أوصياؤك، والمهدي منهم الثّائر على من قاتِل عترتِكَ. وعزّتي وجلالي إنّه المنتقم من أعدائي والممدّ لأوليائي أيضاً». أخرجه الحمويني(١).

الحديث التاسع والعشرون:

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «لمّا أُسْرِي بي في ليلة المعراج، فاجتمع عليّ الأنبياء في السَّماء، فأوحَى الله تعالى إليَّ: سلهم يا محمّد بماذا بُعِثْتم؟ فقالوا: بُعِثنا على شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده، وعلى الإقرار بنبوَّتِكَ، والولاية لعلي بن أبي طالب». رواه الحافظ أبو نعيم(٢). وفي (المناقب) للخوارزمي بهذا المعنى مرفوعاً إلى عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الله أتاني ملك فقال يا محمّد سل من أرْسَلنا مِنْ قبلك من رسلنا على ماذا بُعِثوا؟ قال: قلتُ: على ما بُعِثوا؟ قال: على ولايتِكَ وولاية علي بن أبي طالب». ص ٢٢١ ط ١٩٦٥ - المطبعة الحيدريَّة - النَّجف.

الحديث الثلاثون:

روي عن عبدالله بن مسعود قال: دخلتُ على رسول اللّهِ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله، أرني الحقّ لأصل إليه، قال: «يا عبدالله ألج المخدع (البيت الصَّغير)». فولجتُ المخدع وعلي بن أبي طالب عليه السلام يصلّي ويقول في ركوعه وسجوده: «اللهمّ بحقّ محمّد عبدك اغفر للخاطئين من شيعتي». فخرجت حتّى أخبر رسول الله ﷺ، فسمعته يقول: «اللهمّ بحق علي بن أبي طالب عبدك إلاّ ما غفرت للخاطئين من أُمَّتي». قال: فأخذني من ذلك

---

(١) ينابيع المودّة: للشيخ القندوزي، جـ٣ ص ١٦١، الطبعة الثانية.

(٢) ينابيع المودّة: للشيخ القندوزي، جـ٣ ص ١٦١، الطبعة الثانية.

الهلع العظيم، فأوجزَ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في صلاته وقال: «يابن مسعود، أكفرٌ بعد إيمان؟». فقلتُ: حاشا وكلاّ يا رسولَ الله. ولكن رأيت عليّاً يسأل الله بك، ورأيتُكَ تسأل الله به. ولا أعلمُ أيكما أفضل عند الله تعالى؟ فقال: «اجلس يابن مسعود»، فجلسْتُ بين يديه. فقال: «اعلم إنّ الله خلقني وعليّاً من نور عظمته، قبل أن يخلق الله الخلق بألفي عام، إذ لا تسبيح ولا تقديس ولا تهليل. ففتق نوري، فخلق منه السّموات والأرض. وأنا والله أجلُّ من السّموات والأرض. وفتق نور علي بن أبي طالب، فخلق منه العرش والكرسي. وعليّ واللّهِ أجلُّ من العرش والكرسي. وفتق نور الحسن عليه السلام فخلق منه اللّوح والقلم. والحسن والله أجلّ من اللّوح والقلم. وفتق نور الحسين عليه السلام. وخلق منه الجنان والحور العين. وَالحسين عليه السلام واللّهِ أجلُّ من الجنان والحورالعين. ثمَّ أظلمَتِ المشارق والمغارب، فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشفَ عنهم تلك الظّلمة. فتكلّم الله جلّ جلاله بكلمة فخلق منها روحاً، ثمَّ تكلّم بكلمة فخلق من تلك الكلمة الأخرى نوراً، فأضاف النّور إلى تلك الرّوح، وأقامها أمام العرش، فأزهرت المشارق والمغارب. فهي فاطمة الزّهراء عليها السلام. فلذلك سميت بالزّهراء. يابن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله جلّ جلاله لي ولعلي: ادخلا الجنّة من شئتما وادخلا النّار من شئتما. وذلك قوله تعالى: ﴿أَلقِيا في جهنّم كلّ كفّارٍ عنيد﴾(١). فالكافِر من جحد نبوّتي، والعنيد من جحد ولاية علي بن أبي طالب»(٢).

الحديث الواحد والثلاثون:

روى صاحب كتاب (القدسيّات) ـ وهو من أعظم محقّقِي الجمهور ـ عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لعلي: «يا عليّ إنّ الله تعالى قال لي: يا محمّد بعثتُ عليّاً مع الأنبياء باطناً ومعك ظاهِراً». ثم قال صاحب ذلك الكتاب، وصرَّح بهذا

---

(١) سورة قَ: آية ٢٤.

(٢) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي الجزائري، جـ ١ باب ١ ص ١٧ ـ ١٨.

المعنى في قوله: «أنتَ منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي ليعلموا أنّ باب النبوّة قد خُتِمَ وباب الولاية قد فتح».

وإشارة بعث علي عليه السلام مع الأنبياء باطِناً إلى سرّ الولاية الّتي ظهرت بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ليكون علماء أمّته الّذين هم الأولياء وَأعين النّاس في سواديّة دائرة الولاية، وبياضها إلى الحق.

أقول: هذا الذي رواه من بعثه عليه السلام باطِناً قد روى مضمونه في أخبار أهل البيت عليهم السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام. وهو إشارة إلى سرّ إلّهي في الغاية القصوى من التحقيق. وهو أنّه قد روي عنه عليه السلام أنّه قال في جواب من سأله عن فضله وفضل من تقدَّمهُ من الأنبياء، مع أنهم جازوا غاية الإعجاز. أمّا إبراهيم فقد نجّاهُ الله سبحانه من نار النمرود، وجعلها عليه برداً وسلاماً. ونوح عليه السلام قد نجّاه الله من الغرق. وموسى عليه السلام نجّاه من فرعون، وأتاهُ التّوراة وعلّمه إياها. وعيسى عليه السلام أتاه النبوّة في المهد، وأنطقه بالحكمة والنبوَّة. وسليمان عليه السلام الّذي سخّر له الرّياح والجن والإنس وجميع المخلوقات. فقال عليه السلام: «والله قد كنتُ مع إبراهيم في النّار، وأنا الّذي جعلتها برداً وسلاماً. وكنتُ مع موسى فعلّمته التّوراة، وأنطقت عيسىَ في المهد، وعلّمته الإنجيل. وكنتُ مع يوسف في الجبّ، فأنجيته من كيد إخوته. وكنتُ مع سليمان على البساط وسخّرت له الرّياح»(١).

الحديث الثّاني والثلاثون:

قال إبراهيم في كتاب (صفّين): وحدَّثنا يحيى بن سليمان، قال: حدَّثنا ابن فضيل، قال: حدَّثنا الحسن بن الحكم النّخعي عن رباح بن الحارث النّخعي، قال: كنتُ جالِساً عند علي عليه السلام، إذ قَدِمَ عليه قوم متلثِمون. فقالوا: السّلام عليك يا مولانا. فقال لهم: أَوَ لستم قوماً عرباً! قالوا: بلى. ولكنّا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خمّ: «من كنتُ مولاه فعلِيٌّ

(١) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي، جـ ١ باب ١ ص ٣٠ ـ ٣١.

مـولاه. اللهمَّ والِ من والاهُ، وعادِ من عـاداه، وانصُرْ من نصـره، واخـذل من خـذله. قـال: فلقد رأيتُ عليّـاً عليه السلام ضَحِكَ حتّى بـدت نواجـذه، ثمَّ قـال: اشهدوا»(١).

الحديث الثالث والثلاثون:

من كتاب (الرَّوضَـة) التي فيها مـا تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين، مـرفوعـاً بالأسانيـد إلى جعفر بن محمّـد قال: أوحى الله تعـالى إلى نبيّه: ﴿فـاستمسِكْ بـالـذي أُوحي إليـكَ إنّـكَ على صـراط مستقيم﴾(٢). قـال: ولايــة علي هي الصّراط المستقيم.

الحديث الرّابع والثلاثون:

من كتاب (الرَّوضة) أيضاً يرفعه إلى عمّار بن ياسر، قال: كنتُ عند أمير المؤمنين عليه السلام وقد خرج من الكـوفة، وعبـر من الضَّيعَةِ التي يقـال لها النخلة على فرسخين من الكوفـة. فخرج منهـا خمسون رجـلًا يهوديّـاً. فقالـوا: أنْتَ علي بن أبي طالب؟ قال: نعم، فقالوا: لنا صخرة مذكورة في كتبنا عليها اسم ستّةٍ من الأنبياء، ولنا مدّة نطلبها فلم نجدها. فإن كنتَ إماماً ووصيّاً فـأظهِر لنـا الصّخرة. قال: اتبعوني. قال عمّار بن ياسر: فسرنـا وراءه إلى أن استبطن بنـا البرّ، وإذا بجبل من الرّمل عظيم على طول البـر، فوقف عليه السلام ثم قـال: بحق اسم الله الأعظم الّذي قاله سليمان. أيَّتها الـرّيح انسفي الـرَّمل عن الصَّخـرة. فما كان إلّا ساعةً حتّى نسفتِ الـرَّمل عن الصَّخـرة، وظهرتْ بـإذن الله تعالى. فقال عليه السلام : هذه صخرتكم. فقالـوا: إنّ عليها اسم ستّـةٍ من الأنبياء كمـا هو عندنا، ومـا نرى عليهـا شيئاً. قـال: هو على وجههـا الذي هـو على الأرض. فـأقلبوهـا تجدوهـا تحتها. قـالَ: فاعصـوصبَ عليهـا ألفَ رجـل حضـروا في

---

(١) شـرح النّهـج: لابن أبي الحـديـد، جـ٣ ص ٢٠٨ ط ١٩٥٩ م، دار إحيـاء الكتـاب العربية.

(٢) سورة الزخرف: آية ٤٣.

المكـان، فلم يقدروا على تحـريكها. فقـال ﷺ : إليكم عنها. ثمَّ مـدّ يده إليها وهو راكِبٌ، فأقلبها. فـوجدوا فيهـا أسماء الأنبيـاء السّتة وهم: آدم ونـوح وإبـراهيم وموسى وعيسَى ومحمّـد ﷺ . فعنـد ذلـكَ قـال النّفـر الّـذين من اليهـود: مـدّ يـدك. فنحنُ نشهـد أن لا إلّـه إلّا الله، وأنّ محمّـداً رسـول الله، وأنـك خليفته وليّ الله ووصيُّه من بعدهِ. من عـرفَكَ سعـد ونجا، ومن تخلّف عنكَ ضلّ وغوى، وإلى الجحيم هَوَى.

الحديث الخامس والثلاثون:

من كتاب (الإمامة والسّياسة) للإمام الفقيه ابن قتيبَةَ الدِّينوري جـ ١ ط ٣ عـام ١٩٦٣ ص ١٠٩. قال: وذكـروا أنّ رَجُلاً من همـذان يقال لـه برد، قَـدِمَ على معـاوية، فسمـع عَمْراً يقـع في علي. فقال لـه: يا عَمْـرو، إنّ أشيـاخنـا سمعـوا رسول الله ﷺ يقـول: «من كنتُ مولاه فعلِيٌ مـولاه. فحقٌّ ذلـكَ أم باطل؟». فقال عمرو: حقّ، وأنا أزيدُكَ أنّه ليس أحدٌ من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب علي. ففزع الفتى... إلى آخر الحديث.

الحديث السّادس والثّلاثون:

أخرج الخطيب الموفق محمّد بن أحمد الخوارزمي الحنفي في المناقب ص ١٢٤ قـال: وروي أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب ﷺ أرسـل إلى معاوية رسله، وهم الطّرماح وجـرير بن عبـدالله البجلي وغيرهمـا ـ قبل مسيـره إلى صفّين ـ وكتبَ إليـه مرّةً بعـد أُخرى يحتـجّ عليه ببيعـة أهل الحـرمين لـه، وسوابقه في الإسلام، لئلّا يكون بين أهل العراق وأهل الشّام محاربة، ومعاوية يعتلُّ بدم عثمان، ويستغوي بذلكَ جهّال الشّام وأجلاف العرب. ويستميل إليه طلبة الدُّنيا الدَّنيئة بالأموال والولايات. وكان يشـاور في أثناء ذلـك أهل مـودَّته وَعشيرته في قتال علي ﷺ . فقال له أخوه عتبـة: هذا أمـر عظيم لا يتمّ إلاّ بعمرو بن العاص، فـإنّه قـريع زمـانه في الـدَّهاء والمكـر، يَخْدَعُ ولا يُخْـدَعُ، وقلوب أهل الشّام مـائلة إليه. فقـال له معـاوية: صـدقـتَ واللّهِ. وَلكنّه يحبّ

عليّاً. فأخاف أن لا يجيبني، قال: أخدعه بالأموال والولايات فكتب إليه معاوية:

من معاوية بن أبي سفيان خليفة عثمان بن عفان ـ إمام المسلمين ذي النُّورينِ، ختن المصطفى على ابنته، وصاحب جيش العسرة، وبئر دومة، المعدوم الناصر، الكثير الخاذل، المحصور في منزله، المقتول عطشاً وظلماً في محرابه، المعذَّب بأسياف الفسقة ـ إلى عمرو بن العاص، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثقته، وأمر عسكره بذات السَّلاسل المعظم رأيه، المفخّم تدبيرُهُ. (أمَّا بعد): فلن يخفى عليك احتراق قلوب المؤمنين، وما أُصِيبوا به من الفجيعة بدم عثمان، وما ارتكب به جارهُ حسداً وبغياً بامتناعه من نصرته، وخذلانه إياه، واشِياً به العامَّة عليه حتّى قتلوه في محرابه. فيا لها من مصيبةٍ عمَّتْ جميع المسلمين، وفرضَتْ عليهم طلبَ دمِهِ من قتلتِهِ. وأنا أدعوكَ إلى الحظّ الأجزل من الثَّواب، والنَّصيب الأوفر من حسن المآب بقتال من آوى قتله عثمان.

(فكتبَ إليه عمرو): من عمرو بن العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى معاوية بن أبي سفيان: (أمّا بعد): فقد وصل إليَّ كتابُكَ فقرأته وفهمته. فأمّا ما دعوتني إليه من خلع ربقة الإسلام من عنقي، والتهوّر في الضّلالة معكَ، وإعانتي إيَّاك على الباطل، واختراط السَّيف في وجه علي عليه السلام، وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّه ووارثه وقاضي دينه، ومنجز وعده، وزوج ابنته سيّدة نساء أهل الجنّة، وأبو السّبطين الحسن والحسين سيِّدَيْ شباب أهل الجنة. فهذا أمرٌ قد قَبَّح الله فاعله فلن يكون. وأمَّا ما قلتَ: إنّك خليفة عثمان فقد صَدَقْتَ. نلكن تبيّن اليوم عزلك عن خلافته، وقد بويع لغيره. فزالَتْ خلافتك. وأمّا ما عظَّمتني به ونسبتني إليه من صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأني صاحب جيشه، فلا أغترُّ بالتّزكية، ولا أميلُ بها عن الملّة. وأمّا ما نسبتُ أبا الحسن أخا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّه إلى البغي والحسد على عثمان. وسمّيت الصّحابةَ فسقةً، وزعمت أنّه أشلاهم على قتله. فهذا كَذِبٌ وغواية. ويحك يا معاوية! أمَا علمتَ أنّ أبا الحسن بذل نفسه بين يدي رسول الله، وباتَ على

فراشه، وهو صاحب السَّبق إلى الإسلام والهجرة. وقد قالَ فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هــو مـنّــي وأنــا منه. وهـو منّي بمنـزلـة هـارون من مـوسى إلاَّ أنّـه لا نبيّ بعـدي». (وقال) فيـه يوم غـدير خمّ: «ألا مَنْ كنتُ مـولاه فعلي مولاه. اللهمَّ والِ من والاه، وعـادِ من عاداه، وَانصـر من نصره، واخـذل من خذلـه». وهو الّذي (قال فيه) يوم خيبر: «لأعطيَنّ الرَّاية رَجـلاً يحبّ الله ورسولـه ويحبّه الله ورسوله». (وقالَ فيه) يومَ الطّيـر: «آتني بأحبِّ خلقِـكَ إليك وإليَّ» فلمَّـا دخل عليـه قالَ: «إلَيَّ إليّ (أي ادنُ منّي)». (وقـد قال فيـه) يوم بني النّضـر: «عليٌّ قاتِلُ الفجرة، وإمام البررة، منصورٌ من نصره، مخزول من خـزله». (وقـد قالَ فيه): «عليٌّ إمامكم بعدي». وأكّد القول عليٌّ وعليكَ وعلى جميع المسلمين. (وقال فيه): «إنّي مخلّف فيكم الثّقلين: كتاب الله وعترتي». (وقال فيه): «أنـا مدينة العلم وعليّ بابها. وقد علمتَ يا معاوية ما أنزل الله تعـالى في كتابـه من الآيات المتلوَّات في فضائِلِهِ التي لا يشاركه فيها أحد»، كقوله تعالى: ﴿يوفون بـالنذر﴾[1] ،وقوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعـون﴾[2] . وقولـه تعالى: ﴿رجـال صدقـوا ما عاهدوا الله عليه﴾[3]. وقوله تعالىٰ: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلَّا المـودّة في القـربى﴾[4]. وقد قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أمـا ترضى أن تكـون منّي بمنزلـة هـارون من موسى. سِلْمُـكَ سلمي، وحربـك حربي. وتكـون أخي ووليّ في الـدّنيـا والآخـرة. يـا أبـا الحسن من أَحَبَّـكَ فقـد أحبَّني، ومن أبغضـك فقـد أبغضني، ومن أحبَّـكَ أدخله الله الجنَّـة، ومن أبغضـك أدخله الله النّـار». (ثم كتبَ): «وكتابُكَ هذا جوابه ليس ممّا ينخدع به من له عقل ودين والسَّلام».

ثم كتب إليـه معاويـة يعرض عليـه الأموال والـولايات، وطـول الكلام.

---

(١) سورة الدهر: آية ٧.
(٢) سورة المائدة: آية ٥٨.
(٣) سورة هود: آية ١٧.
(٤) سورة الأحزاب: آية ٢٣.

ولكنّه انخدع بولاية مصر، فقدَّم الدّنيا على الآخرة، والعاجل على الآجل. والفضل ما شهدت به الأعداء. ولعمرو بن العاص قصيدة تتكوَّن من ٤٧ بيتاً تُسَمَّى بالجلجليّة ذكرها صاحب كتاب الغدير في الجزء الثاني من ص ١١٤ ـ ١١٨. ومنها هذه الأبيات:

وفي يوم خمّ رقى منبراً ... وبلَّغ والصّحب لم ترحلِ
فأمنحه إمرة المؤمنين ... من الله مستخلف المنحل
وفي كفّه كفّه معلِناً ... ينادي بأمر العزيز العلي
وقال: فمن كنتُ مولىً له ... عليٌّ له اليومَ نعم الولي

ومنها:

وإن يكن بينكما نسبةٌ ... فأين الحسام من المنجلِ
وأين الثريّا وأين الثرى ... وأين معاوية من علي

ومنها:

نصرناكَ من جهلنا يابن هندٍ ... على النّبأ الأعظم الأفْضَلِ
وحيث رفعناكَ فوق الرُّؤوسِ ... نزلنا إلى أسفلِ الأسْفَلِ
وكم قد سمعنا من المصطفى ... وصايا مخصَّصَةً في علي
وإنّا وما كانَ من فِعلنا ... لفي النّار في الدّرك الأسفلِ
فما عذرنا يوم كَشْفِ الغطاءِ ... لكَ الويلُ منه غداً ثمَّ لي

الحديث السّابع والثلاثون: حديث المناشدة:

قال أبو الطفيل عامر بن واثلة(١): كنت على الباب يوم الشُّورى مع علي عليه السلام في البيت، وسمعته يقول لهم: «لأحتجَّنّ عليكم بما لا يستطيع عربيّكم ولا عجميّكم تغيير ذلك».

أنشدكم الله ـ أيّها النّفر جميعاً ـ أفيكم أحد وحَّدَ الله قبلي؟ قالوا: لا.

---

(١) وفي بعض الكتب واثلة.

(قال): فأنشـدكُمُ الله، هل فيكم أحـدٌ له أخٌ مثـل جعفر الـطّيّار في الجنّـة مع المـلائكة؟ قـالوا: اللهمَّ، لا. (قـال): فأنشـدَكُمُ الله: هل فيكم أحـد لـه عمّ كعمّي حمزة ـ أسد الله وأسد رسولـه سيّد الشّهـداء ـ غيري؟ قـالوا: اللهمّ لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحدٌ له زوجة مثل زوجتي فـاطمة بنت محمّـد سيّدة نساء أهل الجنّة غيـري؟ قالـوا: اللهمّ، لا. (قال): فـأنشدكم الله: هـل فيكم أحد له سبـطان مثل سبـطي الحسن والحسين سيّدي شبـاب أهل الجنّـة غيـري؟ قـالـوا: اللهمّ، لا. (قـال): فـأنشـدكم الله: هـل فيكم أحـدٌ نـاجَى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدَّم بين يدي نجواه صـدقَةً قبلي غيـري؟ قالـوا: اللهـمَّ، لا. (قـال): فأنشـدُكم الله: هل فيكم أحـد قال لـه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنتُ مـولاه فعليٌّ مولاه. اللهمّ والِ من والاه، وعـاد مَنْ عاداه، وانصـر من نصره، وليبلّغ الشّـاهد الغـائب غيري؟ قـالوا: اللهمّ، لا. قـال: فأنشـدكم الله: هـل فيكم أحد. قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهمَّ آتني بأحبِّ خلقكَ إليـكَ وإلَيَّ، وأشدِّهم لك حبّاً، ولي حبّاً يأكل معي من هذا الطّير». فآتاه وَأكلَ معه غيري؟ قالوا: اللّهُمَّ، لا. (قـال): فأنشـدكم الله: هل فيكم أحـد؟ قال لـه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لأعـطيَنّ الـرّايـة غـداً رجُـلاً يحب الله ورسـولـه، ويحبـه الله ورسـولـه لا يـرجـع حتى يفتـح الله على يديـه ـ إذ رجـع غيـري منهـزمـاً ـ غيـري؟». قـالـوا: اللّهُمَّ، لا. قـال: فأنشـدكم الله: هل رجـع فيكم أحد قـال فيه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوفـد بني وليعـة: «لتؤمنَنَّ أو لأبعثَنَّ إليكم رجـلاً نفسـه كنفسي، وطـاعتـه كـطاعتي، ومعصيتُـهُ كمعصيتي، يقتلكم بالسَّيف غيري؟». قالوا: اللهمَّ لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد قال فيه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كذب من زعم أنّـه يحبّني ويبغض هذا، غيري؟». قالوا: اللهمَّ، لا. (قال): فأنشدكُمُ اللَّه: هل فيكم أحد سلَّم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف ملك من المـلائكة منهم: جبـرئيل وميكـائيل وإسرافيل، حيث جئتُ بـالماء إلى رسـول الله من القليب، غيري؟ قـالوا: لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحدٌ قال له جبرئيل: هذه هي المواساة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّه مني وأنا منه». وقال جبرئيل: وأنـا منكما، غيـري؟ قالوا: اللّهُمَّ، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد نودي من السَّمـاءِ: لا

سيف إلاَّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ ، غيري؟ قالوا : اللَّهُمَّ، لا. (قال) : فأنشدكم الله: هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله ﷺ : تقاتِلُ النَّاكِثين والقاسطين والمارقين على لسان النّبي، غيري؟ قالوا: اللهمَّ، لا. (قال): فأنشدِكم الله، هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله ﷺ : إني قاتلتُ على تنزيل القرآن، وتقاتِلُ على تأويل القرآن، غيري؟ قالوا: اللهمَّ، لا. (قال): فأنشدُكم الله: هل فيكم أحدٌ رُدَّت عليه الشمس حتّى صلّى العصر في وقتها غيري؟ قالوا: اللهمّ، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحدٌ أمره رسول الله ﷺ أن يأخذ براءة من أبي بكر، فقال أبو بكر: يا رسول الله: أنزَلَ فيَّ شيء؟ فقال: إنّه لا يؤدّي عنّي إلاّ علي، غيري؟ قالوا: اللهمّ، لا. (قال): فأنشِدُكم الله: هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله ﷺ : لا يحبّك إلاّ مؤمن، ولا يبغضُكَ إلاّ كافر، غيري؟ قالوا: اللهمّ، لا. (قال): فأنشدكُم الله: أتعلمون أنّه تعالى أمر بسدّ أبوابكم، وفتح بابي، فقلتم في ذلك. فقال رسول الله ﷺ : «ما أنا سددت أبوابكم، ولا فتحتُ بابه. بل الله سدّ أبوابكم وفتح بابه». قالوا: اللهمَّ، نعم. (قال): فأنشدكم الله: أتعلمون أنّه ﷺ ناجاني يوم الطّائف دون النّاس، فأطال ذلك، فقلتم: ناجاهُ دوننا. فقال: ما أنا أنتجيه، بل الله انتجاه. فقالوا: اللهمّ، نَعَمْ. قال: فأنشدكم الله: أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: «الحق مع علي، وعلي مع الحقّ يدور الحقّ مع علي كيفما دار؟». قالوا: اللهمَّ، نعم. (قال): فأنشدكم الله: أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «إني تارك فيكم الثَّقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن تضلّوا ما إن تمسَّكتم بها، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»؟ قالوا: اللهمّ، نعم. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ حين هرب من المشركين: من يفديني بنفسه؟ ففداه بنفسه واضطجع في مضجعه، غيري؟ قالوا: اللهمّ، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبد ودّ العامري ـ حيثُ دعاكم إلى البراز ـ غيري؟ قالوا: اللهمّ، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التّطهير حيث قال: ﴿إنّما يريد الله ليذهبَ عنكم الرِّجس أهل

البيت ويطهركم تطهيراً﴾، غيري؟ قالوا: اللهمّ، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنت سيّد المؤمنين - سيّد العرب - غيري؟ قالوا: اللهمّ، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما سألتُ الله شيئاً إلاّ سألتُ لك مثله، غيري؟ قالوا: اللهمّ، لا.

وهذا الحديث يُسَمّى: «حديث المناشدة» انطلق به الإمام علي عليه السلام في مجلس الشُورى، حينما أحسَّ بنفاق المؤتمر المشوَّه ضده، ويرويه بألفاظه هذه، أو باختلاف بسيط في بعض فقراته - الحمويني في فرائد السّمطين - جـ ١ باب ٥٨. والخوارزمي في (المناقب) من ص ٢٢١ - ٢٢٤، والقندوزي في ينابيع المودَّة ص ١١٤. وابن حجر الهيثمي في (الصَّواعق) ص ٧٥ كما أخرجه الحافِظَ الكبِير ابن عقدة.

والحافظ العقيلي. ولقد خرَّج جميع فقراته - واحدة واحدة - عن كتب العامَّة، الشّيخ نجم الدّين العسكري في كتابه (علي والوصيّة).

الحديث الثامن والثلاثون:

وبالإسناد يرفعه إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أنّه قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ دخل علينا أعرابي، فوقفَ علينا وسلَّمَ، فرددْنا عليه السَّلامَ. فقال: أيّكم البدر التّمام ومصباح الظلام محمد رسول الله الملك العلَّام؟ أهو هذا صبيح الوجه؟ قلنا: نعم. قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أخا العرب اجلس». فقال: يا محمّد آمنْتُ بكَ قبل أن أراكَ. وصدّقتُ بك قبل أن ألقاك. غير أنّه بلغني عنْكَ أمرٌ. قال: «وأيّ شيءٍ بلغكم عني؟». قال: دعوتنا إلى شهادة أن لا إلَه إلاّ الله، وأنّك محمّد رسول الله. فأجبناك، ثمَّ دعوتنا إلى الصَّلاة والزَّكاة والصّوم والحج، فأجبناك. ثمّ لم تَرْضَ عنّا حتّى دعوتنا إلى موالاة ابن عمّك علي بن أبي طالب ومحبّتِهِ. أأنتَ فرضته؟ أم الله فرضه على أهل السَّموات والأرض. فلمَّا سمع الأعرابي قال: سمعاً لله وطاعةً لما أمرتنا به يا رسول الله، فإنّه الحق من عند ربّنا. قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أخا العرب:

أُعْطِيتُ في عليّ خمس خصالٍ: الـواحدة منهنّ خيـرٌ من الدّنيا وما فيهـا. ألاَ أنبئكَ بها يـا أخا العـرب؟». قال: بلى يـا رسولَ الله. قـال: كنتُ جالِسـاً يوم بدر، وقد انفضَّتْ عنّا الغزاة، فهبط جبرئيل عليه السلام وقـال: الله عزّ وجَـلَّ يقرؤك السّـلام ويقول لـك: يـا محمّـد آليْتُ على نفسي، وأقسمتُ على أنّي لا ألهمُ حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام إلاَّ من أحببتُـهُ. فمن أحببتُهُ أنـا ألهمتُـه حبّ علي عليه السلام. ومن أبغضتُهُ ألهمتُهُ بُغْضَ علي. يـا أخا العـرب، ألا أنبئُكَ بـالثّانيـة؟ قال: بلى يا رسولَ الله. قال: كنتُ جالساً بعدما فرغتُ من جهاز عمّي حمزة، إذ هبط عليَّ جبـرئيل وقـال: يا محمّـد، الله يقرؤك السّـلام ويقـول لـك: قـد فـرضتُ الصَّلاة ووضعتهـا عن المعتـلّ والمجنـون والصّبي، وَفـرضتُ الصَّـوم ووضعته عن المسافِر، وفرضتُ الحجَّ، ووضعته عن المقلّ. وفرضت الـزَّكاة، ووضعتُها عن المعدم. وفرضتُ حب علي بن أبي طالب، ففرضْتُ محبّته على أهل السَّموات والأرض، فلم أُعْطِ أحداً رخصةً. يا أعرابي ألاَ أنبئُـكَ بالثّـالثة؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: ما خلق الله شيئاً إلاّ جعل له سيّداً. فالنّسـر سيّد الطّيور، والثـور سيّد البهـائم، والأسد سيّـد الوحـوش، والجمعة سيّـد الأيّام، ورمضان سيّد الشهور، وإسرافيل سيّد المـلائكة، وآدم سيّـد البشر، وأنـا سيّد الأنبياء، وعلي سيّد الأوصياء. يا أخا العرب، ألا أنبئُكَ عن الرَّابعة؟ قال: بلى يـا رسـولَ الله. قـال: حبّ علي بن أبي طـالب شجـرَةٌ، أصلهـا في الجنّــة، وأغصـانهـا في الـدُّنيـا. فمن تعلَّق من أمّتي بغصنٍ من أغصـانهـا أوقعتـهُ في الجنَّـة. وبغض علي بن أبي طـالب شجـرَةَ أصلهـا في النّـار، وأغصـانهـا في الـدُّنيا، فمن تعـلق بغصنٍ من أغصـانها أدخلتـه النّار. يـا أعـرابي ألا أنبئـك بالخامسـة؟ قلتُ: بلى، يا رسـول الله. قال: «إذا كـانَ يوم القيـامة ينصبُ لي منبر من يمين العرش، ثمَّ ينصب لإبراهيم عليه السلام منبر محازي منبري عن يمين العرش، ثمّ يؤتى بكرسٍ عالٍ مشرفٍ زاهِرٍ يُعْرَفُ بكـرسي الكرامـة. فينصَبُ لعلي بين منبري ومنبر إبراهيم، فما رأتْ عيناي أحسن من حبيبٍ بين خليلين. يا أعرابي حبّ عليّ بن أبي طـالب حقّ، فإنّ الله تعـالى يحبُّ من يحبُّه، وهـو معي يوم القيامة، وأنا وإيّاه في قسمٍ واحد. فعند ذلك قـال: سمعاً وطـاعةً لله

ولرسوله ولابن عمك علي بن أبي طالب»[1].

الحديث التاسع والثلاثون :

عن جعفر بن محمّد الأحمسي، عن مخول، عن أبي مريم، قال: سمعتُ أبان بن تغلب يسأل جعفراً عليه السلام عن قول الله تعالى: **﴿إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا﴾**[2] قال: استقاموا بولاية علي بن أبي طالب.

الحديث الأربعون :

ذكره الخوارزمي في (مناقبه) مرفوعاً إلى عمران بن حصين، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سريَّةً، وَاستعملَ عليهم علي بن أبي طالب عليه السلام . فمضى علي عليه السلام في السريَّة، فأصابَ جارية، فأنكروا ذلك عليه. فتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا لقينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرناه بما صنَعَ علي عليه السلام . قال عمر: فكان المسلمون إذا قدموا من سفرٍ بدؤوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظروا إليه، وسلّموا عليه، ثم ينصرفون إلى رحالِهم. فلمّا قدمت السريَّة سلموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام أحد الأربعة، فقال: يا رسولَ الله، ألم ترَ عليّاً صنع كذا وكذا. فأعرض عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم قام الثّاني، فقال مثلَ ذلكَ، فأعرض عَنْهُ. ثم قامَ الثّالثِ فقال مثل ذلك، فأعرض عنه. ثمّ قام الرّابع فقال: يا رسول الله، ألم ترَ عليّاً صنع كذا وكذا؟ فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والغضب في وجهه، فقال: «ما تريدون من علي؟ إنّ عليّاً منّي وأنا منه. وهو وليُّ كلّ مؤمن ومؤمنة»[3].

الحديث الواحد والأربعون :

روى صاحب كتاب الفضائل خبراً عن جابر الجعفي عن أبي جعفر

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٤٣٧.
(٢) سورة الأحقاف: آية ١٣.
(٣) المناقب: للخوارزمي، ص ٩٢ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النّجف.

محمّد بن علي الباقر عليه السلام . عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّ جبرئيل عليه السلام ترك علي وقال: يا محمّد إنّ الله تعالى يأمركَ أن تقوم بتفضيل علي بن أبي طالب خطيباً على المنبر ليبلّغوا من بعدهم ذلك عنك، ويأمر جميع الملائكة أن يسمعوا ما تذكره. والله يوحي إليك يا محمّد أنّ من خالَفَكَ في أمرك فله النّار، ومن أطاعك فله الجنّة». فأمر النّبي صلى الله عليه وآله وسلم منادِياً نادى بالصَّلاة جامعة. فاجتمع النّاس، وخرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ورقي المنبر، وكان أوّل ما تكلّم به: أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم. بسم الله الرّحمن الرَّحيم. ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : «أيّها النّاس أنا البشير، أنا النَّذير، أنا النّبي الأميّ. وأنا مبلّغكم عن الله عزَّ وجلّ في رجل لحمه لحمي، ودمه دمي. وهو عيبة علمي. وهو الّذي انتجبَهُ الله تعالى من هذه الأمّة، واصطفاه وهذّبه وتولاّه. وخلقني وإياه من نورٍ واحد، وفضّلني بالرّسالة، وفضّله بالإمامة والتبليغ عنّي، وجعلني مدينة العلم، وجعله الباب خازن العلم والمفتش عنه الأحكام، وخصّه بالوصيَّة، وأبان أمره، وخوَّفَ من عداوته، وأزلف لمن والاه، وغفر لشيعته، وأمر النّاسَ جميعاً بطاعته، وأنّه عزّ وجلَّ يقول: من عادَاهُ عاداني، ومن والاه والاني، ومن آذاه آذاني، ومن ناصبَهُ ناصبَني، ومن خالفَهُ خالفَني ومن أبغضه أبغضني، ومن أحبّه أحبَّني، ومن أراده أرادني، ومن كادَهُ كادني، ومن نصرَهُ نصرني. أيّها النّاس اسمعوا لما آمركم به، وأطيعوه. فأنا أخوّفكم عقاب الله تعالى يوم تجدُ كلّ نفسٍ ما عملت من خير محضراً، ومَا عَمِلَتْ من سوء لو أنّ بينها وبينَهُ أمداً بعيداً. ويحذّركم الله نفسه». ثمَّ أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقال: معاشر النّاس، هذا مولى المؤمنين، وحجّة الله على الخلق أجمعين. اللهمَّ إنّي قد بلَّغْتُ، وها هم عبادُكَ. وأنت القادر على صلاحهم. فأصلحهم برحمَتِكَ يا أرحم الرّاحمين، وأستغفِرُ الله لي ولكم. ثم نزل عن المنبر، فأتاهُ جبرئيل عليه السلام ، فقال: يا محمّد إنّ الله تعالى يقرؤك السَّلام ويقول لَكَ: جزاكَ الله تعالى عن تبليغِكَ خيراً، فقد بلَّغْتَ رسالاتِ رَبّك، ونصحتَ لأمّتِكَ، وأرضيتَ المؤمنين، وأرغمتَ الكافرين. يا محمّد ابن عمّكَ مبتلىً به. يا محمّد قل في

كـلّ أوقاتِـكَ: الحمـد لله ربّ العـالمين: ﴿وسيعلم الّـذين ظلمـوا أيّ منقـلَبٍ ينـقلبــون﴾[1].

الخـلاصة: إنّ ولايـة علي بن أبي طـالب ملزِمَـةٌ على أهـلِ السَّمـوات والأرض. فمن كان متردّداً بهـا قبل يـوم الغديـر ففي هذا اليـوم أصبح ملزَمـاً. فمن شَكّ بها أو أنكـرها ـ وكثيـرٌ ما هُمْ ـ فقـد تقرَّر مصيـره، وأصبح من أهـل الشَّمال الذين وصفهُمُ الله عزّ وجَلَّ في كتابه بقـوله: ﴿وأمّـا الكافـرون لا مولى لهم﴾ فالله مولى كـلّ مؤمن ومؤمنة. والـرَّسول مـولى كلّ مؤمن ومؤمنـة. وَعلي مولى كلّ مؤمن ومؤمنة. فمن أنكر ولايـة الله أو الرَّسـول أو علي كانَ من أهـل الجحيم، وانحـرف عن الصّراط المستقيم الّتِي هي ولايـة علي. فتمسَّكْ أيّهـا الطّالِب بهذه الولاية فإنَّ بها نجاتَكَ، وإياكَ. وإيَّاكَ أن يعتريك الشَّك بها نـظراً لمـا تقرؤه من آراءِ المنحـرفين عن هـذه الـولايـة. فـالله عـزّ وجَـلَّ هـدَّد نبيَّـه المرسَل ـ بعد جهادٍ دام ثلاثاً وعشـرين سنة ـ بعـدم التبليغ إذا لـم يبلّغ حـديث الولاية، فبلَّغ فأكمل الله الدّين، وأتمَّ النّعمة بولاية علي بن أبي طالب.

---

(١) سورة الشعراء: آية ٢٢٧.

الفصل الخامس

الابتلاء والغدر

لقد ثبت لدى الباحثين المدقّقين الّذين تحلّوا بالإنصاف، وتجرّدوا عن التعصّب الأعمى أنَّ عَليّاً عليه السلام هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أُمّته، وأنّه وصيّه ووليّه، وأبو العترة الطّاهرة المطّهرة من الرِّجْس، وأنّه خير أمته وأفضلهم وأعلمهم وأقضاهم وأحكمهم وأشجعهم وأعدلهم وأزهدهم، وأنّه باب مدينة علمه ووارثه، وأنّه مع الحقّ والحقّ معه، وأنّه مع القرآن، والقرآن معه، وأنّ حبّه إيمان، وبغضه نفاق، وأنّه ربّاني هذه الأُمّة، وأنّه والعترة سفينة نجاة هذه الأمّة، وباب حطّتها، وأمانها من الغرق، وأنّهم الثّقل الأصغر، والقرآن هو الثّقل الأكبر، وأنّه عليه السلام خُلِقَ والنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من نورٍ واحد، وأنّ لحمه لحمه، ودمه دمُهُ وأنّه كنفسه صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ حربَهُ حربُهُ وسلمَهُ سلمُهُ، وحبَّه حبُّهُ، وبغضَهُ بغضُهُ، وطاعتَهُ طاعَتُهُ، وأنّه أوّل المسلمين إسلاماً، وأوّل المؤمنين إيماناً، وأنّه منه بمنزلة هارون من موسى، وأنّه من ذوي قرباه الّتي وجبَتْ على المسلمين مودَّتهم، وأنّه من الّذين لم تقبل صلاة المسلم إلاّ بالصّلاة عليهم، وأنّه ممّن باهل بهم النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وفد نجران، وأنّه حجّته على أُمّته، وأنّه حامِل لوائه في الدُّنيا، وحامِل لواءِ الحمد يوم القيامةِ، والذّائد عن حوضه المنافقين، وأنّه سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين، وأنّه قسيم الجنة والنّار، وأنّه

المؤدّي عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يؤدي عنه إلاّ من كان مِنه، وأنّه نجيّه ووصيّـهُ وصفيّهُ ووليّه ووزيره، وخير من يترك بعده، وأنّه النّبأ العظيم الّذي هم فيه مختلِفـون، وأنّـه الإمام الّـذي ذكره الله عـزّ وجلّ في كتـابه العـزيـز بقـولـه: ﴿وكـلّ شيءٍ أحصينـاه في إمام مبين﴾ ، وأنّـه هـو الّـذي عنـده علم الكتـاب، وأنّـه خـاتَم الأوصياء وأفضلهم، كما أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء وأفضلهم، وأنّه وليّ كلّ مؤمن، ومن لم يكن وليّه فليس بمؤمن، وأنّه وابن عمّه صلى الله عليه وآله وسلم أبوا هـذه الأمة، وأنّه أب سيّدي شبـاب أهل الجنّـة، وأنّ الله سبحانَـهُ خاطبَ نبيَّـه صلى الله عليه وآله وسلم بلغته عليه السلام ، وأنّه جنب الله، وأنّه هو الهادي الّذي ذكره الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿إنّمـا أنت منذِر ولكلّ قومٍ هاد﴾ وأنّـه هو الشّـاهِد الّـذي ذكره الله عـزّ وجَلّ بقـوله: ﴿أفمن كان على بيّنَةٍ ويتلوه شاهِد﴾، وأنّـه هو الصّـراط المستقيم، وأنّه هـو النّعيم الّذي ذكره الله عزّ وجَلّ بقولِهِ: ﴿ثمَّ لتسألُنّ يومئذٍ عن النّعيم﴾ وأنّه أمير البررة، وقاتل الفجرة، وأنّه فاروق هذه الأمّة، وأنّـه أخوه صلى الله عليه وآله وسلم ، وزوج ابنتـه فاطمة سيّـدة نساء العـالمين، وأنّه الصّـدّيق الأكبر، وقـاتِل عمـرو بن عبد ودّ، وداحي بـاب خيبر، وأنّـه صاحب الغـدير الّـذي أكمل الله بـولايته الـدّين وأتمّ النّعمة ورضي برسالةِ سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم .

هـذا هـو خليفـة المسلمين. فهـل لـه نـظيـر أو مثيـل بعـد رسـول ربّ العالمين؟ وبالرَّغم من كلّ هذا وذاكَ، فقد عبثوا بتلك الأحاديث، وضربوا بهـا عرض الحائِط، واعتبروا بيعةَ السقيفة هي المنطلق الصَّحيـح للمسلمين. ومن يشذّ عن هذا فالسّيفُ يقوّمه، والنّيران تـرغمه. نبيٌّ فـارق الحياة، فتـركوه ولم يراعوا حرمة الفقيد، ولم يواروه التّراب. واهتمّوا بـالمنصب البرّاق، كـأنّهم لم يعرفوا نبيَّهم، وكأنّهم لا صلة لهم به.

يـا لَهُ من خـطبٍ ما أعـظمه، وكـارثـةٍ مـا أمَّـرهـا. نبيّ المسلمين وأوّل رسلِ اللّهِ وخاتمهم وأفضلهم لم تـراعَ حرمتـه عند وفـاتـه، ولم تقبـل وصيَّتـه وأحاديثه الصّـادرة عن الله، لا لشيءٍ إلاّ لأجل منصَبٍ زائـل، وكرسي خـادِع، فاستلم أبو بكر منصب الإمام علي أمير المؤمنين،وأصبح خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

وخليفةَ الله . سَمِّهِ ما شئتَ منهما . فهذا أبو قحافة يعطيك رأيه في ذلكَ ، وهو أنّه لما وُلّي ابنه أبو بكر الخلافة كان أبوه بـالطّائفِ، فكتَبَ لـوالده كتـاباً، **عنوانه**: من خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبيه أبي قحافة. أمّا **بعـد**: فإنّ النّـاس قد تراضوا بي، فإني اليوم خليفة الله. فلو قَدِمْتَ علينا كـان أحسنَ بك. فلمّـا قـرأ أبو قحـافة الكتـاب، قال للرّسـول: ما منعكم من علي؟ قـال: هو حـدث السّن، وقد أكثر القتل في قريش وغيرها، وأبو بكر أسَنُّ منه. قال أبـو قحافـة: إن كان الأمر في ذلكَ بالسّن فأنا أحقّ من أبي بكر. لقد ظلموا علياً حقّه، وقد بايع له النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمرَنا ببيعته، ثم كتب:

من أبي قحافة إلى أبي بكر، أمّا بعدُ: فقد أتاني كتابُكَ، فوجدته كتـابَ أحمق ينقض بعضـه بعضـاً. مـرَّةً تقـول: خليفـة رسـول الله. ومـرّةً تقـول؛ خليفة الله. ومرَّةً تقول: تراضى بي النّـاس. وهو أمـر مُلْتَبس، فلا تـدخُلَنَّ في أمر يصعبُ عليكَ الخروج منه غـداً، وتكون عقبـاك منه إلى النّـدامة، ومـلامة النّفس اللّوامة لدى الحساب يوم القيامة. فإنّ للأمـور مداخِـل ومخارِجَ، وأنتَ تعرف من هو أولى منكَ، فراقِب الله كأنّكَ تراه ولا تدعَنَّ صاحبها. فإنَّ تركهـا اليومَ أحقّ عليكَ وأسلم لك(١).

أمّـا عليّ المرزوء بفقـد أخيه وابن عمّـه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وَالمغتصب حقه في وقتٍ لا مجال للتّفكيـر فيه، ومحمّـد بن عبدالله سيّـد البشر، وأفضـل الثّقلين، ملقىً على أعـواد الموت، ينتـظر من أُمَّتِهِ أن يشيّعـوه ما يليق بـالنبـوَّة وبمـا يشرّفهم. فتنكّـروا له، ولـم يبق بجانبه سـوى من واساه وفـداه بنفسِهِ في حياته، وسوى أهل بيتـه والزهّـاد من أصحابـه. والملائكـة معهم يصلُّون حَتَّى واروه في ضريحه. هذا هو موقف القوم من نبيهم. فلنستمع إلى علي المرزوء بفقد نبيّه، والمرزوء باغتصاب حقّه كيفَ يصوّر لنا الموقف قائِلاً:

«ولقـد علم المستحفـظون من أصحـاب محمـد صلى الله عليه وآله وسلم ، أني لم أردَّ

(١) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي الجزائري، جـ١ الباب الأوّل ص ٦١.

على الله ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيته بنفسي في المواطِن الّتي تنكص فيها أبطال، وتتأخّر فيها الأقدام، نجدةً أكرمني الله بها.

ولقد قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنّ رأسه لَعَلَى صدري، ولقد سالت نفسه في كَفّي، فأمررتها على وجهي. ولقد وُلّيتُ غسله صلى الله عليه وآله وسلم ، والملائكة أعواني، فضجَّتِ الدّار والأفنية، ملأ يهبط وملأ يعرُج، وما فارقت سمعي هيمنة منهم، يصلّون عليه حتّى واريناهُ في ضريحه. فمن ذا أحقّ به منّي حيّاً وميتاً؟ فأنفذوا على بصائركم، ولتصدق نياتكم في جهاد عدوّكم. فوالذي لا إلّه إلّا هو إنّي لعلى جادَّةِ الحق، وإنَّهُمْ لعلى مَزِلَّةِ الباطِلِ، أقول ما تسمعون، وأستغفِرُ الله لي ولكم»[1].

وممّا قاله وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتجهيزه: بأبي أنتَ وأمي (يا رسول الله)، لقد انقطع بموتِكَ ما لم ينقطع بموتِ غيرِكَ من النّبوّة والأبناء وأخبار السَّماء. خصصت حتّى صرتَ مسلّياً عمن سِواك، وعممْتَ حتّى صار النّاس فيك سواء.

ولولا أنَّك أمرتَ بالصَّبر، ونهيتَ عن الجزع، لأنفذنا عليكَ ماء الشُّؤون، ولكان الدَّاء مماطلاً، والكمد محالفاً، وقلّا لك ولكنّه ما لا يُمْلك ردُّه ولا يستطاع دفعه. بأبي أنت وأمي، اذكُرْنا عند رَبّك، واجعلنا من بالك[2].

إنّ يوم السَّقيفة يوم الانحراف عن المخطَّط المرسوم للأمَّةِ الإسلامية. إنّه لأعظم انقلابٍ شاهده العالم الإسلامي حتّى اليوم. وكلُّ انقلابٍ بعده فهو ذيول وامتداد له، فاستلام الأمر واغتصابُ الولاية والاستئثار بالحكم بعد ظهور صاحب الشَّريعة الإسلامية صلى الله عليه وآله وسلم بدأ في يوم السَّقيفة. وما تولّي ابن آكلةِ الأكباد الملك، وَاستخلافه يزيد إلّا نتيجة يوم السَّقِيفة. لأنّه إذا اغتصب الحقَّ

---

(١) نهج البلاغة، جـ٢ ص ١٩٧ من الخطبة ذات الرقم ١٩٢، شرح محمد عبده.
(٢) نهج البلاغة، جـ٢ ص ١٩٧ من الخطبة ذات الرَّقم ١٩٢، شرح محمّد عبده.

من أهله مؤمِن، فقد أفسح المجـال للكافِـر أن يغتصِبَهُ قـدوةً بالأوَّل، وهـذا ما حدث بالفعل.

استمِعْ إلى خلاصَـةِ ما يقـوله الـدكتور طـه حُسَين في الجزء الثَّـاني من كتابه (الفتنة الكبرى عثمان). وهذا موجز ما يقوله في هذه الفتنة.

ولمّـا توفّي النَّبيُّ طلب منـه العبَّاس أن يبـايعه. ولكنَّ عليـاً أبى مخـافـة الفتنـة. وكذلـك أبو سفيـان الّذي أدخله العبّـاس على النَّبي، فأسلم كـرهاً لا طوعاً. واعترف بأن لا إلّه إلاّ الله. ولكن حينما طلب إليه أن يشهد أنّ محمّـداً رسول الله قال: «أمّا هذه فإنّ في نفسِي منها شيئاً». والخلاصة أسلمُ خوفـاً من القتل. قال لعلي: أُمْدُدْ يدكَ أبايعك. ولو قبل عليٌّ منهمـا لأثار بين المسلمين فتنةً لم يكونوا في حاجة إليها. فكان علي موفّقاً وناصحاً للإسلام كلّ النّصـح، حينَ امتنع على هذين الشَّيْخينِ، ولم ينازعها أبا بكر. وإنّما بايعه، وصبّر نفسه على مـا كـانت تكـره. وكـان عمـر أبي بكـر جـاوز السّتّين، وعليٌّ لم يتجـاوز الثَّلاثين. لذلكَ رأى أنّ حَقَّه هذا سَيُرَدُّ إليه بعد وفاة هذا الشّيخ. ولمّا استلمهـا عمر بايعه عليّ كراهية الفتنةِ، وإيثـاراً للعافيـة ونصحاً للمسلمين، وصبّـر نفسه على مكروهها، ونصح لعمر كما نصح للأوّل. وكذلك بايع عليٌّ عثمان، وهو مغلوبٌ على أمـره. وبعد مقتـل عثمان لم يقبـل الخـلافـة، ولم ينصب نفسـه للبيعَـةِ إلاّ حين استكرِهَ على ذلـك استكراهـاً. ولمَّا قبـل البيعة لم يكـره أحداً على البيعة من أصحاب النَّبي إلاّ طلحة والزُّبير. والدّكتور طه يقول: بأنّهما لم يستكرها، .ولكنّهما أقبلا على البيعة راضين. فلمّا رأيا عليّاً لم يبلغهما أمانيهمـا انعكس الأمرُ، وقاما ضده[1].

إنّ يـوم السَّقِيفة يـوم فتنـة ومحنـة وابتـلاء سلم منهـا الأقلّون وهلك بهـا الأكثرون. فلو قاوم الإمـام وأعلن سيفَهُ لحـاربوه وقضي على الـدّين الإسلامي بسبب منصبٍ زائل وَكرسيّ بـراق. فتنازل الإمـام عليه السلام عن حقّه حـرصاً على

(١) الفتنة الكبرى عثمان وعلي وبنوه للدكتور طه حسين.

الإسلام والمسلمين، وترك القوم يفعلون ما يشاؤونَ، والتزم بيته، ولكنّهم ما تركوه، فأبى أن يبايع أبا بكر، فهدّدوه.

فهذا ابن قتيبة في كتابه (الإمامة والسّياسة) يقول: وإنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي كرَّم الله وجهه، فبعثَ إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والّذي نفس عمر بيده: لتخرُجُنَّ أو لأحرقّنها على من فيها. فقيل له: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة! فقال: وإنْ[1]. فخرجوا فبايعوا إلاّ عليّاً، فإنّه زعم أنّه قال: حلفْتُ أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتِقي حتّى أجمع القرآن. فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها، فقالت: لا عهدَ لي بقومٍ حضروا أسوأ محضرٍ منكم. تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم. لم تستأمرونا، ولم تردُّوا لنا حقَّنا. فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنكَ بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفد وهو مولىً له: اذهب فادْعُ لي عليّاً. قال: فذهبَ إلى علي فقال له: ما حاجتُكَ؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال علي: لسريعٌ ما كذبتم على رسول الله. فرجع فأبلغ الرّسالة. قال: فبكى أبو بكر طويلاً. فقال عمر الثّانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنكَ بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفد: عُدْ إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفد، فأدّى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: سبحانَ الله! لقد

---

(1) قضية الحرق مذكورة بكثرة في كتب أهل السّنّة مثل تاريخ الطبري، جـ ٣ ص ١٩٨، والعقد الفريد، جـ ٢ ص ٢٥٧، وتاريخ أبي الفداء، جـ ١ ص ١٦٥، وتاريخ ابن شحنة في حوادث ١١، وشرح ابن أبي الحديد، جـ ٢ ص ٢١ ط ١٩٥٩ م، دار إحياء الكتب العربية، والقصيدة العمرية لحافظ إبراهيم القائل بها وقولةٍ قالها للمرتضى عمر:

حرقت دارك لا أبقي عليك بها ... أكرم بقائلها أكرم بملقيها
من كان غير أبي حفصٍ بقائِلها ... إن لم تبايع وبنتُ المصطفى فيها
أمام فارس عدنان وحاميها

عبد الفتّاح عبد المقصود في كتابه علي بن أبي طالب، ج ١.

ادّعى ما ليس له. فرجع قنفذ، فأبلغ الرّسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، ثم قام عمر، فمشى معه جماعة حتّى أتوا بابَ فاطمة، فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادَتْ بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة. فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادَت قلوبهم تتصدَّع، وأكبادهم تتفطّر. وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا عليّاً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعَلْ فَمَهْ؟ قالوا: إذن والله الّذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك. قال: إذاً تقتلونَ عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكِت لا يتكلّم. فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيءٍ ما كانت فاطمة إلى جنبه. فلحق علي بقبر رسول الله ﷺ يصيح ويبكي وينادي: يابنَ أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني. فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة، فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، واستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلَتْ وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها، فلم تردّ عليهما السّلام. فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، واللّهِ إنْ قرابة رسول الله أحبُّ إليَّ من قرابتي، وإنَّكَ لأحبُّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددْتُ يوم مات أبوكِ أنّي ميّت ولا أبقى بعده. أفتراني أعرفُكِ وأعرفُ فضلكِ وشرفَكِ وأمنعَكِ حقَّك وميراثَكِ من رسول الله؟! إلاّ أنّي سمعتُ أباكِ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا نورّثُ، ما تركناه فهو صدقَةٌ». فقالت: أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عَنْ رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم. فقالَتْ: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: «رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي. فمن أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحَبَّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني. ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟». قالا: نعم. سمعناه من رسول الله ﷺ. قالت: فإنّي أُشْهِدُ اللّهَ وملائكتَهُ أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني. ولئِنْ لَقيت النبيَّ لأشكونّكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطكِ يا فاطمة. ثمَّ انتحبَ أبو بكر يبكي، حتّى كادت نفسُه أن تزهقَ وهي تقول: واللّهِ لأدعوَنَّ الله عليك في كلّ صلاةٍ

أُصلّيها. ثم خرج باكِياً. فاجتمع إليه النّاس، فقال لهم: يبيتُ كلّ رجلٍ منكم معانِقاً حليلته، مسروراً بأهله، وَتركتموني وما أنا فيه. لا حـاجَةَ لي في بيعتكم. أقيلوني بيعَتِي. قـالوا: يـا خليفة رسـولِ اللّهِ إنّ هـذا الأمـر لا يستقيم. وأنتَ أعلمُنا بذلك. إنَّه إن كان هذا لم يقم لله دين. فقالَ: واللّهِ لولا ذلكَ وما أخافه من رخـاوة هذه العـروة ما بِتُّ ليلةً ولي في عنق مسلمٍ بيعـة، بعـدمـا سمعتُ ورأيتُ من فـاطمة. قـال: فلم يبايـع عليٌّ كرّم الله وجهـه حتّى مـاتت فـاطمـة رضي الله عنهما[1].

لقد ظلّ الإمام مدَّةً وهـو ثابتٌ على حقّـهِ، متمسّكٌ بـه، لا يُسَلّم. ولمّا قال له عمر: قد كـان رسولُ اللّهِ مِنّـا ومنكم. فالتفتَ إليـه غاضِبـاً علي وقال: نحن أولى برسولِ اللّهِ حيَّاً وميّتاً. يا عمر، إنّا آله، وموضع سِرّهِ. ولجأ أمْـرِهِ، وعيبة علمه، ومـوئل حكمـه، وكهوف كتبـه، وجبال دينـه. . . إلى أن قال: لا يقاس بآل محمّـد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمّـة أحد، ولا يسـوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساسُ الدّين، وعماد اليقين.

وإذا تمعَّنّا في خطبته المعروفة بالشّقْشِقيَّـةِ وجدنـا أنّه مـا زال غير راضٍ عمَّن سلبَهُ تراثه طيلة حكم الخلفاء الثّلاثة، ولكنّه صبر وتحمّل حرصـاً للدّين، وحفـظاً على هذه الأمّـة الإسلاميَّـة من التفرقـة والانقسـام والارتـداد. اسمَعْـهُ يقول:

أمَا واللّهِ لقد تقمَّصهـا فلان وأنّـه ليعلم أنّ محلّي منها محـلُّ القطب من الرُّحى. ينحدر عنّي السَّيل، ولا يرقى إليّ الطّير فسدلْتُ دونها ثـوباً، وطـويتُ عنهـا كشحاً. وطفقتُ أرتـأي بينَ أن أصول بيـدٍ جَـذَّاء، أو أصبـر على طخيـة عميـاء يهرم فيهـا الكبير، وَيشيب فيهـا الصَّغِير، ويكـدَحُ فيها مؤمن حتّى يلقى ربَّـه. فـرأيتُ أنّ الصّبـر على هـاتـا أحجى. فصبـرتُ وفي العين قـذى، وفي الحلق شجا. أرى تراثي نهبـاً، حتّى مضى الأوّل لسبيله، فأدلَى بهـا إلى فلان

---

(١) الإمامة والسّياسة: لابن قتيبة، الجزء الأول ص ١٢ و١٣ و ١٤ ط ٣ عام ١٩٦٣ م.

بعده. (ثمَّ تمثل بقول الأعشى):

شتَّان ما يومي إلى كُورِها ويومُ حيَّان أخي جابر

فيا عجباً!! بينا هو يستقيلها في حياتِهِ إذ عقدها لآخرَ بعد وفاتِهِ، لشَدَّ ما تشطَّر أضرعيها، فصيَّرها في حَوْزَةٍ خشناء يغلظ كَلامُهَا، ويخشن مسُّها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها. فصاحبها كراكب الصَّعبة إن أشنَقَ لها خرم، وإن أسَلْسَ لها تقحَّمَ. فمني النَّاس لَعُمْرُ اللّهِ بخبطٍ وشِماس وتلوُّنٍ واعتراض، فصبرتُ على طول المدَّة، وشدَّة المحنة، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعَةٍ زعم أنّي أحدُهُمْ. فيا لله وللشورى متى اعترض الرَّيْبَ فيَّ مع الأوّل منهم حتّى صرتِ أقرَنُ إلى هذه النَّظائِر؟ لكنّني أسففتُ إذ أسفوا وطرتُ إذا طاروا. فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره مع هَنٍ وهَنٍ إلى أن قام ثالِثُ القوم نافِجا حضنيه بين نثيله ومعتلِفِهِ، وقام معه بنو أبيه يخضمونَ مالَ الله خضمَةَ الإبل نبتة الرَّبيع... إلى آخرِ الخطبة[1].

واستمع إلى هذا القسم من الإمام الذي ما فارقَ الحقّ وما فارقهُ قط. اسمعه يقول: فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقيّ مستأثراً عليَّ منذ قبض الله نبيَّهُ ﷺ حتّى يوم النّاس هذا[2].

وإذا أردتَ المزيد من كلامه عليه السلام، فاسمع إليه يقول: فلمَّا مضى ﷺ تنازع المسلمون الأمرَ من بعده. فواللّهِ ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أنَّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته، ولا أنّهم نحُّوه عنّي من بعده! فما راعني إلّا انثيال النّاس على فلان يبايعونه، فأمسكتُ يدي حتى رأيتُ راجعة النّاس قد رجعَتْ عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمّد ﷺ فخشيتُ إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هَدْماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوتِ ولايتكم الّتي إنّما هي متاع أيّامٍ قلائِل يزول منها ما كان كما يزول السَّراب أو كما يتقشّع السَّحاب. فنهضْتُ في تلك الأحداث

(١) شرح النّهج: لمحمد عبده، جـ١ ص ٣٥ من الخطبة رقم ٣.
(٢) شرح النهج أيضاً، جـ١ ص ٣٧ من الخطبة رقم ٥.

حتّى زاح الباطِلَ وزهق، واطمأنّ الدّين وتنهنه[1].

وأيّ تعبيرٍ أبلغُ من هـذا التّعبيـر الّـذي يفيض بـالأسى ويفضـح القــوم بـأفعالهم الـرَّديئـة. اسمَعْـهُ يقـول: اللهمَّ إني أستَعْـدِيـكَ على قـريشٍ (ومن أعانَهم). فإنّهم قد قطعوا رحمي، وأكفاؤا إفائي، وأجمعوا على منـازعتي حقّاً كنتُ أولى بـه من غيري. وقـالوا: ألاَ إنّ في الحقّ أن تـأخـذوه وفي الحق أن تُمْنَعَهُ، فاصْبِر مغمومـاً أو مُتْ متأسّفـاً. فنظرتُ فـإذا ليس لي رافِد، ولا ذابٌّ، ولا مسـاعِدٌ إلاّ أهـل بيتي، فضننْتُ بهم عن المنيَّـةِ، فـأغضيتُ على القـذى، وجـرعتُ ريقي على الشَّجَى، وصبرتُ من كَـظم الغيظ على أمَّـر من العلقم، وآلَمَ للقلب من حزّ الشّفار[2].

وبنفس اللّهجة يعبّر عن الظّلم المريـر، وقطعِ الـرَّحم الّتي أمرهم الله أن يوصلوها. اسمعه يقول: فدع عنْكَ قـريشاً وتَـركَّاضَهُمْ في الضـلالِ وتجوالهم في الشّقاق، وجماحهم في التّيـه، فإنّهم قـد أجمعوا على حـربي كإجمـاعهم على حرب رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قبلي، فجزَتْ قريشاً عنّي الجوازي. فقد قطعـوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمّي[3].

وإذا كنتَ منزعِجاً من كلام الإمام عليه السلام، ومن إظهـارِهِ للملك ما حَـلّ بـه ونزل على أيـدي القوم، فـإنّ معاويـة بإشـارة عمرو بن العـاص كتبَ كِتابـاً للإمام عليه السلام يستفزه ليطعن في الشَّيْخين. فمن بعض ما كتب له معاوية:

لقـد حسدتَ أبـا بكرٍ والتـويْتَ عليه، ورمتَ إفسـاد أمـرِهِ، وقعـدْتَ في بيتِكَ، واستغويت عصابةً من النّاس حتّى تأخَّرُوا عن بيعتِهِ، ثمّ كـرهتَ خلافـة عمر وحسدتَهُ، واستطَلْتَ مُـدَّته، وسُـرِرْتَ بقتلِهِ، وأظهرت الشَّمـاتة بمصـابه، حتّى أنّك حاولتَ قَتْلَ ولده، لأنّه قَتَلَ قاتِلَ أبيـه، ثمّ لم تَكُنْ أشدَّ منـكَ حسداً

---

(١) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، جـ٣ ص ١٣٠ ـ ١٣١.
(٢) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، جـ٢ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
(٣) نفس المصدر: شرح محمد عبده، جـ٣ ص ٦٨.

لابن عمّكَ عثمان إلى آخر الكتاب[1].

فأجابه الإمام بكتابٍ مطوّلٍ منـه: «وزعمْتَ أنّي لكلّ الخلفـاءِ حسدْتُ، وعلى كلّهم بغيتُ! فـإن يكن ذلك كـذلك فليس الجنـايةُ عليـكَ فيكون العـذرُ إليكَ.

وتلـكَ شكـاةٌ ظاهِـرٌ عنـكَ عَارُهـا

وقلتَ: إنّي أُقادُ كما يُقاد الجمل المحشوش حتّى أبايع. ولعُمرُ اللّهِ لقد أردتَ أن تذمّ فمدحْتَ، وأن تفضح فافتضحْتَ! وما على المسلمِ من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينـه ولا مرتـاباً بيقينـهِ. وهذه حجّتي إلى غيركَ قصدُها، ولكنّي أطلقْتُ لكَ منها بقدر ما سَنَح من ذكـرها. . . . إلى آخر الخطبة[2].

وسأله عليه السلام بعض أصحابه قائِلاً: كيف دفعكم قـومكم عن هذا المقـام وأنتم أحَقُّ به؟ فقال: منها: «أمّا الاستبـداد علينا بهـذا المقام ـ ونحن الأعلون نسباً، والأشدُّون برسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم نوطاً ـ فإنّها كانت أثرةً شحَّتْ عليهـا نفوس قوم، وسخَتْ عنها نفوس آخرين، والحَكَمُ الله، والمعودُ إليه يوم القيامة. ودعْ عنـكَ نهباً صِيـحَ في حجـراتـه، وهلُمَّ الخـطب في ابن أبي سفيـان، فلقـد أضحكني الدّهر بعد إبكائه. . . إلى آخر الخطبة[3].

وكم نصحَ وبَيَّن لو وجد آذاناً صاغِيَةً وقلوباً واعية. اسمعْـهُ يقول: فـأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ والأعلام قـائمة! والآيـات واضِحَةً! والمنـار منصوبَـة! فـأين يتـاهُ بكم، بـل كيف تعمهـون؟ وبينكُمْ عتـرة نبيّكم، وهم أزمّـة الحقّ، وأعـلام الدّين، وألْسِنَـةُ الصِّـدق، فأنـزلوهم بـأحسنِ منازِلِ القـرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش.

---

(١) شـرح النهـج: لابن أبي الحـديـد، جـ ١٥ ص ١٨٦ ط ١٩٦٢ م، دار إحيـاء الكتب العربيّة.

(٢) شرح نهج البلاغة: لمحمد عبده، جـ٣ ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) نهج البلاغة: شرح محمّد عبده، جـ٣ ص ٣٧ ـ ٣٨.

أيّها النّاس: خذوها من خاتم النبيّين ﷺ : «إنّه يموت مَنْ ماتَ مِنّا وليس بميّت، ويبلى مَنْ بُلِيَ منّا وليس ببالٍ». فلا تقولوا بما لا تعرفون. فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون، وأعذروا من لا حُجَّةَ لكم عليه، وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثَّقَل الأكبر، وأترك فيكم الثّقلَ الأصغر، وركَزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي. فلا تستعملوا الرَّأي فيما لا يُدْرِكُ قعره البصر، ولا تتغلغَل إليه الفكر(١).

وكثيراً ما كان بعض النّاس مِمَّنْ لُبِّسَ عليهم الأمر، يستغربونَ من علي كيف قَعَدَ عن حَقّه، وسلّم بالأمر الواقع، فأخذتهم الظّنون كلّ مأخذ، فسألوا عليّاً، فاستمع إلى إجابته كما ذكرها صاحب كتاب (كشف الغمّة في معرفة الأئمة) للأربلي حيث يقول:

ونقلْتُ من أمالي الطُّوسي أنّ عبد الرَّحمن بن أبي ليلى قامَ إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: يا أمير المؤمنين إنجي سائِلُكَ لآخُذَ عَنْكَ، ولقد انتظرنا أن تقول من أمرِكَ شيئاً، فلم تقله. ألا تحدّثنا عن أمْرِكَ هذا كان بعهدٍ من رسولِ الله ﷺ أو شيءٍ رأيتَهُ أنت؟ فإنّا قَد أكثرنا فيكَ الأقاويل، وأوْثَقُه عندنا ما نقلناه عنكَ وسمعناه مِنْ فِيكَ. إنّا كنّا نقول: لو رجعت بعد رسول الله ﷺ لم ينازعكُمْ فيها أحد. واللّهِ ما أدري إذا سئلتُ ما أقول، أزعم أن القومِ كانوا أولى بما كانوا فيه منْكَ. فإن قلتَ ذلكَ فعلامَ نصّبك رسولَ اللّهِ ﷺ بعد حجّة الوداع؟ فقال: «أيّها النّاس: من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، وإنْ تَكُ أولى منهم بما كانوا فيه فعلامَ نتولاهم؟».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا عبدالله، إنّ الله تعالى قبض نبيَّهُ ﷺ وأنا يومَ قبضِهِ أولى بالنّاسِ منّي بقميصي هذا. وقد كان مِنْ نبيِّ الله عهْدٌ لو خزمتموني(٢) بأنني لأقررت سمعاً لِلّهِ وطاعَةً، وأنّ أوّل ما انتقصنا بعدَهُ إبطال

---

(١) نهج البلاغة: شرح محمّد عبده، جـ٢ ص ٧٩ ـ ٨٠.
(٢) خزم أنف فلان أي أذلّه وسخّره ، واللّفظ كناية.

حَقّنا في الخمس. فلمّا رقّ أمرنا طمعَتْ ريعانٌ[1] من قريشٍ فينا. وقد كان بي على النّاس حَقٌّ لو ردُّوه إليَّ عفواً قبلتُهُ، وقمتُ فيه إلى أجلٍ معلوم. وكنتُ كرجلٍ له على النّاس حقّ إلى أجل، فإن عجّلوا له ماله أخذهم وحمَدهُمْ عليه، وَإن أخّروه أخذَهُ غير محمودين. وكنتُ كرجلٍ يأخذ السُّهولة، وهو عند النّاسِ محزن[2]، وإنّما يُعْرَفَ الهدى بقلّة من يأخذه من النّاس، وإذا سكَتُّ فاعفوني، فإنّه لو جاء أمر تحتاجون فيه إلى الجواب أجبتكُمْ. فكفّوا عنّي ما كففتُ عنكم. فقال عبد الرَّحمن: يا أمير المؤمنين فأنتَ لعمري كما قال الأوّل:

لعمري لقد أيقظْتَ من كان نائِماًوأسمعْتَ من كانت له أذنانِ[3]

وهناك كثيرٌ من الأسئِلَةِ وردَتْ للإمام حول قعوده عن المطالبة بحقّه، فأوضح لهم عن السَّبب، وهذه بعض الأدلَّةِ، منها:

ما رواه الصَّدوق بإسناده عن ابن مسعود، قال: اجتمع النّاسُ في مسجد الكوفة فقالوا: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الثلاثة كما نازع طلحة والزّبير وعائشة ومعاوية؟ فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام ، فأمر أن ينادي الصَّلاة جامعةً. فلمَّا اجتمعوا صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه. ثم قالَ: معاشِرَ النّاس إنّه بلغني عنكم كذا وكذا. قالوا: صَدَقَ أمير المؤمنين، قد قلنا ذلك. قال: فإنّ لي بستّةٍ من الأنبياء أُسوةً فيما فعلَتُ. قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿لقد كانَ لكم في رسول الله أُسوةً حسنة﴾[4] . قالوا: ومن هم يا أمير المؤمنين ؟ قال: أَوَّلَهُمْ إبراهيم عليه السلام إذ قال لقومه : ﴿واعتزلكم وما تدّعون من دونِ اللَّهِ﴾[5]، فإن قلتم: إنّ إبراهيم اعتزل قومه لغير مكروهٍ أصابَهُ منهم فقد كفرتم، وإن

---

(١) ريعان كلّ شيء أوّله.
(٢) أي أخذ الحزونة وهي الأرض الغليظة.
(٣) كشف الغمّة: للأربلي، جـ ٢ ص ٣ ـ ٤.
(٤) سورة الأحزاب: آية ٢١.
(٥) سورة مريم: آية ٤٨.

قلتم: اعتزلَهُم لمكروهٍ رآهُ منهم، فالوصيّ أعذر. ولي بابن خالَتِهِ (لوط) أُسوةٌ، إذ قال لقومه: ﴿لو أنّ لي بكم قوّةً أو آوي إلى ركنٍ شديد﴾(١). فإن قلتم: إنّ لوطاً كانت له بهم قوّة فقد كفرتم، وإن قلتم: لم يكن له بهم قوّة فالوصيّ أعذر. ولي بيوسف عليه السلام أسْوَةٌ إذ قال: ﴿ربِّ السّجنَ أحبُّ إليَّ ممّا يدعونني إليه﴾(٢). فإن قلتم: إنّه أراد بذلكَ لئلاّ يسخط ربّه عليه، فاختار السّجن فالوصيُّ أعذر. ولي بموسى عليه السلام أسوةٌ إذ قال: ﴿ففررتُ منكم لَمَّا خفتكُمْ﴾(٣). فإن قلتم: إنّ موسى عليه السلام فرَّ من قومه بلا خوفٍ كانَ له منهم فقد كفرتم، وإن قلتم: إنّ موسى خافَ فالوصيّ أعذر. ولي بأخيه هارون عليه السلام أُسوةٌ حَسَنَةٌ إذ قال لأخيه: : ﴿يابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾(٤). فإن قلتم: لم يستضعفوه ولم يشرفوا على قتله فقد كفرتم. وإن قلتم: استضعفوه وأشْرَفوا على قتله، فلذلِكَ سكت عنهم، فالوصيُّ أعذر. ولي بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم أسوةٌ حسنة حين فَرَّ من قومه، ولحق بالغار من خوفهم، وأنا مَنّي على فراشه. فإن قلتم: فرَّ من قومِهِ لغير خَوْفٍ منهم، فقد كفرتم، وإن قلتم: خافَهُمْ وأنَامَني على فراشه، ولحق هو بالغار من خوفهم، فالوصيّ أعذر(٥).

ومنها ما رواه ابن قيس، قال: يابن أبي طالب، ما منَعَكَ حينَ بويع أخو بني تيم، وأخو عدي، وأخو بني أميَّة أن تقاتِلَ وتضربَ بسيفك؟ فإنَّك لم تخطبنا خطبةً ما قدمتَ العراق إلاّ قلتَ فيها: والله إنّي أولى النّاس بالنّاس، وما زلتُ مظلوماً منذ قُبِضَ رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فما مَنَعَك أن تضرب بسيفك دون من ظَلمك؟؟ قال: قد قلت؛ فاسمع الجواب. لم يمنعني من ذلك الجبن ولا كراهة المغازي، ولا أن أكون لا أعلم بأنّ ما عند الله خيرٌ لي من الدُّنيا بما

(١) سورة هود: آية ٨٠.
(٢) سورة يوسف: آية ٣٣.
(٣) سورة الشعراء: آية ٢١.
(٤) سورة الأعراف: آية ١٤٩.
(٥) الأنوار النعمانية: لنعمة الله، جـ ١ الباب الأوّل ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

فيها. ولكن منعني من ذلكَ أمـر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعهـده إليّ، أخبرَني بمـا أحدث الأمة بعـده. فلمْ أكُنْ بما صنعـوا حين عاينتـه بأعلم بـه مني، ولا أشدّ يقينـاً به مني قبـل ذلك، بـل أنا بقـول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشـدّ يقيناً بمـا عاينْتُ وشاهَدْتُ. فقلتُ لرسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم: فما تَعْهَدُ إليّ إذا كان ذلك؟ قال: فإني وجدْتَ أعواناً فانبـذ إليهم وجاهـدهم، وإنْ لم تجد أعـواناً فكُفَّ يـدكَ واحقُنْ دمَـكَ حتّى تجـد على إقـامـة كتـاب الله وسنّتِي أعـوانـاً. وأخبـرَني أنّ الأمّـة ستخذُلُني وتتبّع غيري. وأخبرني أنّي منهُ بمنزلة هارون من مـوسى. وأنّ الأمّة سيصيـرونَ بعده بمنـزلة هـارون ومَنْ تبعه، وبمنـزلة العجـل ومن تبعه. فقـال موسى: يا هارون ما مَنَعَكَ إذ رأيتَهم ضلُّوا ألاّ تتَّبَعَنِي؟ أفعصيتَ أمري؟ قـال: يابن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، وقال: يابنَ أمّ لا تـأخذ بلحيتي ولا برأسي. إنّي خشيتُ أن تقُولَ فرّقتَ بين بني إسرائيل ولم ترقُبْ قـولي(١). وإنّمـا يعني أنّ مـوسى أمـر هـارون حين استخلفَهُمْ عليهم إن ضلّوا ثم وجـد أعواناً أن يجاهِدَهُمْ، وإن لم يجد أعوانـاً أن يكفّ يده ويحقن دمـه، ولا يفرّقَ بينهم، وإنّي خشيتُ أن يقول ذلكَ أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فَرَّقْتَ بين الأمّـةِ، ولم ترقَبْ قولي، وقد عهدتُ إليكَ إن لم تجد أعواناً فكُفَّ يدك، واحقنُ دمَكَ ودمَ أهل بيتكَ وَشيعَتِكَ. . . . إلى آخر الحديث(٢).

أمّا الرّمّاني فقد سأل الرّضا عليه السلام قائلاً: يابنَ رَسُـولِ اللّهِ، أخبرني عن علي بن أبي طالب لِمَ لَمْ يُجاهِد أعداءَهُ خمساً وعشرين سنَةً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ جاهدَ في أيام ولاَيتِهِ؟ فقـال: لأنّه اقتـدى بـرسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تـركه جهاد المشركين بمكّةَ ثلاثَ عشرة سنة بعد النبوّة، وبالمدينة تسعة عشرَ شَهْراً. وذلك لقلّة أعوانه عليهم. فلمّا لم تبطل نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع تركه الجهـاد لم تبطل ولاية علي عليه السلام بتركه الجهـاد خمساً وَعشـرين سنَةً، إذ كـانت العِلّة المـانعة لهمـا من الجهاد واحـدة. وَسُئِلَ أبـو عبـداللّهِ عليه السلام: مـا بـال أمير

(١) سورة طه: آية ٩٤.
(٢) الأنوار النعمانية: للجزائري، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

المؤمنين عليه السلام لم يقاتلهم؟ قال: للّذِي سَبَقَ في علم الله أن يكـون؟ وما كـان له أن يقاتِلَهم وليس معه إلاّ ثلاثة رهطٍ من المؤمنين(١).

والخـلاصة: كـانت قـريشُ تتـرقَّب الفـرص لتخـرج هـذا الحقّ من آل هـاشم، وقتلهم الحسد لآلِ علي وآل الـرَّسول، وأبَتْ قـريشُ أن تجمع لـدار هاشم شرفين: شرف النبوّة وشرف الخدمة. ولكنَّ عليّاً حِـرْصاً منـه على وحدة الصَّفِ، وعـدم تفرّق المسلمين لم يقـاوم أو يؤلّب، وانطوى على نفسـه، ولم يوافق الكثيرين الّذين أخذوا يلحّون عليه كثيـراً ليقوم بمـطالبة حَقّـهِ، فلم يلِبِّ النّداء حرصاً على وحدة الإسلام.

وهل كَتَب غيرَ الحقيقةِ عبد الفتّاح في كتابه (علي بن أبي طالب)؟ وهذا موجز ما يقول:

ما أشَدَّ ما نال عليّاً من عسف قريش. إنَّها لتَرَى فيـه هاشِمـاً، وترى فيـه عبد المطّلب، وترى محمّداً قبل أن يقهرها على اعتناق دينِ اللّهِ، وتجسـد هذا الحسد في علي. حسدوه لعلمـهِ وفضله وشجاعتِـهِ وفصاحَتِـهِ، ولخذلانِـهِ بعد اعتزاله الأمر، لأنّهم أبوا أن تمرَّ عليه العاصفة، فيتجنَّبها لتمرَّ بسـلام، وهم لا يرضون له بالسَّلَام(٢).

وإذا أردتَ أيّها القارىء أن تطَّلِعَ بتوسُّع عمّا فعله القوم مع الإمام عندمـا رُزِىءَ بفقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتمعَّنْ فيما نقلناه عن العـلاَّمة الشّيـخ الأميني من كتابه (الغدير) الجزء السابـع مدعـوماً بـالمصادر الكثيـرة من كتبِ السّنة. فهـو يقول:

بعـدما تشـازرتِ الأمَّةُ وتـلاكمت وتكالمَتْ، وقـام الشَّيخان يعـرِضُ كلّ منهما البيعة لصاحبه، قبل أخذ الرَّأي عن أيِّ أحد، كأنَّ الأمر دُبّر بليل. فيقول هذا لصاحبه: ابسط يدك فلأبايعَكَ. ويقول آخـر: بَلْ أنتَ. وكـلٌّ منهما يـريد

---

(١) الأنوار النعمانية: للجزائري جـ ١ الباب الأوّل ص ١٠٣ .
(٢) كتاب الإمام علي بن أبي طالب لعبد الفتاح عبد المقصود، جـ ١ ط ٢ عام ١٩٤٧ م.

أن يفتح يد صاحبه ويبايعَهُ. ومعهما أبو عبيدة بن الجرَّاح حفّار القبور بالمدينة، يدعو الناس إليهما[1]. والوصي الأقدس والعترة الطّاهرة وبنو هاشم ألهاهم النبيّ الأعظم وهو مُسَجَّى بين يديهم، وقد أغلق دونه البابَ أهله[2]. وخلّى أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين أهله، فولوا جثمانه[3]. ومكث ثلاثة أيّام لا يُدْفَنُ[4]، أو من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء أو ليلته[5] فدفنَهُ أهله ولم يله إلاّ أقاربه[6]. دفنوه في اللّيل أو في آخره[7]. ولم يعلم به القوم إلاّ بعد سماع صريف المساحي وهم في بيوتهم من جوف اللّيل[8]. ولم يشهد الشّيخان دفنه[9].

بعدما رأى الرَّجل عمر بن الخطاب محتجراً يهرول بين يدي أبي بكر وقد نبر حتّى أزبد شدقاه[10]، بعدما قرعت سمعه عقيرة صحابيّ بدريّ عظيم - الحباب بن المنذر - وقد انتضى سيفَهُ على أبي بكر ويقول: والله لا يردّ عليَّ

---

(١) تاريخ الطبري، جـ٣، الطبعة المصرية الأولى ص ١٩٩.
(٢) سيرة ابن هشام، جـ ٤ ص ٣٣٦، الرّياض النّضِرة، جـ ١ ص ١٤٣.
(٣) طبقات ابن سعد، ص ٨٢١ ط ليدن جـ ٢ من القسم الثاني ص ٧٦.
(٤) تاريخ ابن كثير، جـ ٥ ص ٢٧١، تاريخ أبي الفداء، جـ ١ ص ١٥٢.
(٥) طبقات ابن سعد، ط ليدن جـ ٢ ص ٥٨ و ٧٩، وسيرة ابن هشام، جـ ٤ ص ٣٤٣ - ٣٤٤، مسند أحمد، جـ ٤ ص ٢٧٤، سنن ابن ماجه، جـ ١ ص ٤٩٩، سيرة ابن سيّد النّاس، جـ ٢ ص ٣٤٠، تاريخ أبي الفداء، جـ ١ ص ١٥٢، تاريخ ابن كثير، جـ ٥ ص ١٧١.
(٦) طبقات ابن سعد، ص ٨٢٤ ط ليدن جـ ٢ من القسم الثّاني ص ٧٨.
(٧) سنن ابن ماجة، جـ ١ ص ٤٩٩، مسند أحمد، جـ ٦ ص ٢٧٤.
(٨) الطبقات: لابن سعد، ص ٨٢٤ ط ليدن جـ ٢ من القسم الثّاني ص ٧٨، مسند أحمد، جـ ٦ ص ٢٧٤، سيرة ابن هشام، جـ ٤ ص ٣٤٤، تاريخ ابن كثير، جـ ٥ ص ٢٧٠.
(٩) أخرجه ابن أبي شيبة كما في كنز العمّال، جـ ٣ ص ١٤٠.
(١٠) طبقات ابن سعد، ص ٧٨٧ ط ليدن جـ ٢ من القسم الثّاني ص ٥٣، شرح ابن أبي الحديد، جـ ١ ص ١٣٣.

أحد ما أقول إلاّ حطّمت أنفه بالسَّيف. أنا جُذَيْلها المحكّك، وَعُذَيْتها المرجَّب. أنا أبو شبل في عرينة الأسد يعزى إلى الأسد، فيقال له: إذن يقتلك الله. فيقول: بل إيَّاك يقتل، أو أراكَ تقتل، فأُخِذَ ووُطِيء في بطنه، ودُسَّ في فيه التّراب(١).

بعدما شاهد ثالِثاً يخالف البيعة لأبي بكر وينادي: أما والله أرميكُمْ بكلّ سهمٍ في كنانتي من نبل، وأخضب منكم سناني ورمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم مع من معي من أهل وعشيرتي(٢).

بعدما رأى رابعاً يتذمَّر على البيعة، ويشبّ نار الحرب بقوله: إنـي لأرى عجاجةً لا يطفئها إلاّ دم. بعدما نظر إلى مثل سعد بن عبادة أمير الخزرجِ، وقد وقع في ورطة الهون يُنْزَى عليه، وينادي عليه بغضب: اقتلوا سعداً قتله الله! إنّه منافق. أو صاحب فتنةٍ، وقد قام الرَّجل على رأسه وهو يقول: لقد همَمْتُ أن أطأَكَ حتى تندر عضوك. أو تندر عيونك(٣).

بعدما شاهد قيس بن سعد قد أخذ بلحيته عمر قائِلاً: والله لو حصَصْتَ

---

(١) صحيح البخاري، جـ ١ ص ٤٥، مسند أحمد، جـ ١ ص ٥٦، البيان والتّبيين، جـ ٣ ص ١٨١، سيرة ابن هشام، جـ ٤ ص ٣٣٩، العقد الفريد، جـ ٢ ص ٢٤٨، الإمامة والسياسة، جـ ١ ص ٩، تاريخ الطبري، جـ ٣ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠، تاريخ ابن الأثير، جـ ٢ ص ١٣٦، ١٣٧، الرّياض النضرة، جـ ١ ص ١٦٢، ١٦٤، تاريخ ابن الأثير، جـ ٥ ص ٢٤٦، وجـ ٧ ص ١٤٢، والصّفوة، جـ ١ ص ٩٧، تيسير الوصول، جـ ٢ ص ٤٥، شرح ابن أبي الحديد، جـ ١ ص ١٢٨ وجـ ٢ ص ٤، السّيرة الحلبية، جـ ٣ ص ٣٨٧، أبو بكر الصّديق: للأستاذ محمد رضا المصري، ص ٢٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد، جـ ١ ص ١٣٨، الإمامة والسّياسة، جـ ١ ص ١١، تاريخ الطبري، جـ ٣ ص ٢١٠، تاريخ ابن الأثير، جـ ٢ ص ١٣٧، السّيرة الحلبية، جـ ٣ ص ٣٨٧.

(٣) مسند أحمد، ص ٥٦، العقد الفريد، جـ ٢ ص ٢٤٩، تاريخ الطّبري، جـ ٣ ص ٢١٠، سيرة ابن هشام، جـ ٤ ص ٣٣٩، الرّياض النّضرة، جـ ١ ص ١٦٢ و١٦٤، السيرة الحلبية، جـ ٣ ص ٣٨٧.

منه شعرةً مـا رجعتَ وفي فيكَ واضحـة. أو لو خفضتَ من شعـرةً مـا رجعتَ وفيكَ جارحة(١).

بعدما عاين الزُّبير وقد اخترط سيفه ويقول: لا أغمده حَتَّى يبـايَعَ عليٌّ. فيقـول عمـر: عليكم الكلبَ، فيؤخـذ سيفـه من يـده ويضـرب بـه الحجـر، وَيُكْسَرُ(٢).

بعدما بصر مقداداً ذلِكَ الرّجل العظيم وهو يدافع في صدره، أو نَظَرَ إلى الحباب بن المنذر وهو يُحَطِّم أنفه، وتضرَبُ يده. أو إلى اللّائذين بدار النبوَّة، مأمن الأمة، وبيت شرفِها، بيت فاطمة وعلي ـ سـلام الله عليهما ـ وقـد لحقهم الإرهـاب والتّرعيـد(٣)، وبعث إليهم أبو بكـر عُمَرَ بن الخـطّاب وقال لهم: إن أبـوا فقاتِلْهُمْ. فـأقبل عمـر بقبسٍ من نار على أن يضـرم عليـه الـدَّار، فلقيتـهُ فاطمة، فقالت: يابن الخطّاب أجئتَ لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمّة(٤).

بعدما رأى هجـوم رجال الحـزب السّياسي دار أهـل الوحي وكشف بيت فاطمة(٥) وقد علت عقيرة قائِدهم بعدما عاد بالحـطب: والله لتحرقَنّ عليكم أو لتخرجُنَّ إلى البيعة. أو لتخـرجنّ إلى البيعة أو لأحـرقنّها على من فيهـا. فيقال للرَّجل: إنّ فيها فاطمة. فيقول: وإن(٦).

---

(١) تاريخ الطبري، جـ٣ ص ٢١٠، السّيرة الحلبية، جـ٣ ص ٣٨٧.
(٢) الإمامة والسياسة، جـ١ ص ١١، تاريخ الطبري، جـ٣ ص ١٩٩، الرّياض النضـرة، جـ١ ص ١٦٧، شرح ابن أبي الحديد، جـ١ ص ٥٨ و١٣٢، جـ٢ ص ٥ و١٩.
(٣) تاريخ الطبري، جـ٣ ص ٢١٠، شرح ابن أبي الحديد، جـ١ ص ٥٨.
(٤) العقد الفريـد، ص ٢٥٠، تاريخ أبي الفداء، جـ١ ص ١٥٦، أعـلام النساء، جـ٣ ص ١٢٠٧.
(٥) الأحوال: لأبي عبيد، ص ١٣١، الإمامة والسياسة: لابن قتيبة، جـ١ ص ١٨، تاريخ الـطبـري، جـ٤ ص ٥٢، مـروج الـذّهب، جـ١ ص ٤٦٤، العقـد الفـريـد، جـ٢ ص ٢٥٤، تاريخ اليعقوبي، جـ٢ ص ١٠٥.
(٦) تاريخ الـطبري، جـ٣ ص ١٩٨، الإمـامة والسيـاسة، جـ١ ص ١٣، شـرح ابن أبي الحديد، جـ١ ص ١٣٤، جـ٢ ص ١٩، أعلام النساء، جـ٣ ص ١٢٠٥.

بعد قول ابن شحنة: إنّ عمر جاء إلى بيت علي ليحرقه على مَنْ فيه، فلقيته فاطمة فقال: ادخلوا فيما دخلت فيه الأمّة(١).

بعدما سمع أنّة وحنّة من حزينة كئيبة ـ بضعة المصطفى ـ وقد خرجت عن خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها: يا أبتِ رسولَ اللّهِ! ماذا لقينا بعدكَ من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة(٢).

بعدما رآها وهي تصرخ وتولوِل ومعها نسوة من الهاشميات تنادي: يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسولِ الله. واللّهِ لا أكلّم عمر حتى ألقى الله (٣).

بعدما شاهد هيكل القداسة والعظمة ـ أمير المؤمنين ـ يقاد إلى البيعَة كما يقاد الجمل المخشوش(٤) ويدفَعُ ويساق سوقاً عنيفاً، واجتمع الناس ينظرونَ، ويقال له: بايع. فيقول: إن أنا لم أفعَلْ فمه؟ فيقال: إذن والله الذي لا إلّه إلّا هو نضرب عنقَكَ، فيقول: إذن تقتلون عبدالله وأخا رسوله(٥).

بعدما رأى صنو المصطفى عليّاً لاذ بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يصيح ويبكي، ويقول: يابن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني(٦)

بعد نداء أبي عبيدة الجرّاح لعلي عليه السلام يوم سيق إلى البيعة: يابن عَمّ

---

(١) راجع تاريخ ابن شحنة هامش الكامل، جـ ٧ ص ١٦٤.
(٢) الإمامة والسياسة، جـ ١ ص ١٣، أعلام النّساء، جـ ٣ ص ١٢٠٦، الإمام علي: لعبد الفتّاح عبد المقصود، جـ ١ ص ١٢٥.
(٣) شرح ابن أبي الحديد، جـ ١ ص ١٣٤، جـ ٢ ص ١٩.
(٤) العقد الفريد، جـ ٢ ص ٢٨٥، صبح الأعشى، جـ ١ ص ٢٢٨، شرح ابن أبي الحديد، جـ ٣ ص ٤٠٧.
(٥) الإمامة والسياسة، جـ ١ ص ١٣، شرح ابن أبي الحديد، جـ ٢ ص ٨ و ١٩، أعلام النساء، جـ ٣ ص ١٢٠٦.
(٦) الإمامة والسّياسة، جـ ١ ص ١٤.

إنَّكَ حديث السِّن، وهؤلاء مشيخة قومِكَ ليس لكَ مثل تجربتهِمْ ومعرفتهم بالأمور. ولا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منك، وأشدّ احتمالاً، فسلّمْ لأبي بكر هذا الأمر، فإنّك إن تعش ويطل بك بقاءُ، فأنتَ لهذا الأمر خليق وحقيق في فضلِكَ ودينك وعلمِكَ وفهمِكَ، وَ سابقتِكَ ونسبِكَ وصهرك[1].

بعد رفع الأنصار عقيرتهم في ذلك اليوم العصبصب بقولهم: لا نبايع إلاّ عليّاً. وبعد صياح بذُرِيِّهِم: منّا أمير ومنكم أمير، وقول عمر له: إذا كانَ ذلكَ فمُتْ إن استطعْتَ[2].

بعد قول أبي بكر للأنصار: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفان كشق الأبلمة ـ يعني الخوضة[3].

حُدَّتْ لها الأوس كفّاً كي تناولها فمدَّتْ الخزرج الأيدي تباريها
وظنّ كلّ فريق أنّ صاحبه أولى بها وأتى الشّحناء آتيها[1]

بعد قول أمّ مسطح بن أثاثَةَ واقفَةً عند قبر النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي تنادي يا رسول الله!

---

(١) الإمامة والسّياسة، جـ ١ ص ١٣، شرح ابن أبي الحديد، ص ٥.
(٢) صحيح البخاري في مناقب أبي بكر وفي باب رجم الحبلى، جـ ١٠ ص ٤٥، طبقات ابن سعد، جـ ٢ ص ٥٥، وجـ ٣ ص ١٢٩، البيان والتبيين: للجاحظ، جـ ٣ ص ١٨١، سيرة ابن هشام، جـ ٤ ص ٣٣٩، التمهيد للباقلاني، ص ١٩٧، تاريخ الطبري، جـ ٣ ص ٢٠٦ و ٢٠٩، مستدرك الحاكم، جـ ٣ ص ٦٧، الرّياض النّضِرة، جـ ٢ ص ١٦٢ و١٦٣ و ١٦٤، وتاريخ ابن كثير، جـ ٥ ص ١٤٦، وتيسير الوصول، جـ ٢ ص ٤١ و ٤٥.
(٣) صحيح البخاري في مناقب أبي بكر، البيان والتّبيين، جـ ١ ص ١٨١، عيون الأخبار لابن قتيبة، جـ ٢ ص ٣٤، طبقات ابن سعد، جـ ٢ ص ٥٥، جـ ٣ ص ١٢٩، العقد الفريد، جـ ٢ ص ١٥٨، تيسير الوصول، جـ ٢ ص ٤٥٢، والسّيرة الحلبيّة، جـ ٣ ص ٣٨٦، نهاية ابن الأثير، جـ ١ ص ١٣ فيه كشف الأبلمة. تاج العروس، جـ ٨ ص ٢٠٥.
(١) قصيدة لحافظ إبراهيم.

قـد كـان بـعـدك أنبـاء وهـبنـشَـةَ لـو كنتَ شـاهـدهـا لم تكثـر الخطَب
إنـا فقـدنــاكَ فَقْـدَ الأرضِ وابلهـا واختَـلَّ قومُـكَ فاشهـدهم ولا تغب(١)

هذه كلّها كانت تهدّد السَّواد، وتروّع عامّة النّاس، وما كان لأحدٍ في إصلاحِ القوم مطمع، ولا لأيٍّ من الأمة بعدما شاهد الحال يوم ذاك حسبان حرمة، ولا كرامة. لنفسه يقوم بها تجاه ذلك التيّار المتدفّق. وكانت هناكَ أمّةٌ تراها سكارى ـ وما هي بسكارى ـ من حراجة الموقف تسارّها هواجسها بالتربُّص إلى حين، حتّى تضع الغائلة أوزارها، ويتّضح مآلُ أمرٍ دُبّر بليل، ويتبيّن الرّشد من الغيّ، وهواجس تجعل جمـاعةً كـالنُّزيعـة تجهش وتحنّ وتقرع سنّ الأسف، وكم حَنُونٍ لا يجديه حنينه!

وما عساني أقول؟ بعدما رآها أبو بكر وعمر بن الخطّاب فلتَـةَ كفلتة الجـاهليَّة وقى الله شـرَّها(٢)، بعـدمـا حكم بقتـل من عـاد إلى مثـل تلك البيعة (٣).

بعد قوله يوم السقيفة: من بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعَةَ ولا بيعة للذي بايعه تغرَّة أن يقتلا(٤).

بعد قوله لابن عبَّاس: لقد كان عليٌّ فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر. بعد قـوله لابن عبَّـاس: إنَّا واللَّهِ مـا فعلناه عن عـداوة، ولكن استصغرناه، وحسبنا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها.

بعد قول ابن عبَّاس له في جوابه: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعثُهُ، فينطح

(١) طبقـات ابن سعـد، ص ٨٥٣، شـرح ابن أبي الحـديـد، جـ٢ ص ١٧ وجـ١ ص ١٣٢. وقد يُعْزَى البيتان مع أبياتٍ أخرى إلى الصّديّقة فاطمة عليها السلام.
(٢) التّمهيـد: للباقـلاني، ص ١٩٦، شرح ابن أبي الحـديد، جـ٢ ص ١٩، والغـديـر، جـ٥ ص ٣٧٠.
(٣) التّمهيد، ص ١٩٦، شـرح ابن أبي الحـديـد، جـ١ ص ١٢٣ و ١٢٤، والصـواعق لابن حجر، ص ٢١.
(٤) شرح ابن أبي الحديد، جـ١ ص ١٣٤، جـ٢ ص ٢٠، والغدير، جـ١ ص ٣٨٩.

كبشها فلم يستصغره، أفتستصغره أنتَ وصاحبُكَ؟

بعد قول عمر لابن عبّاس: يابن عبّاس، ما أظنّ صاحبك إلاّ مظلوماً. وقول ابن عبّاس له: والله ما استصغرَهُ الله حين أمرَهُ أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر.

بعد قول أبي السّبطين أمير المؤمنين: أنا عبدالله وأخو رسولِ الله، أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي. فيقول عمر: لستَ متروكاً حتّى تبايع. فيقول عليّ: أحلب يا عمر حلباً لك شطره.

بعد قوله: الله الله يا معشر المهاجرين! ألاّ تخرجوا سلطان محمّد في العرب من دارِهِ، وقعر بيته إلى دوركم، وتدفعون أهله عن مقامه في النّاس وحقّهِ، فواللّهِ يا معشر المهاجرين فنحن أحقّ النّاس به، لأنّا أهل البيتِ، ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم، ما كانَ فينا القارىء لكتاب الله، العالِم بسنن الله، المتطلّع لأمر الرّعية! الدّافع عنهم الأمور السّيّئة، القاسم بينهم بالسّويّة. واللّهِ إنّه لفينا، فلا تتّبعوا الهوى فتُضلّوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحقّ بعداً[1].

بعد قوله عليه السلام: «ـ لمّا مضى المصطفى لسبيله ـ تنازع المسلمون الأمر بعده، فواللّهِ ما كان يُلْقى في روعي، ولا يخطر على بالي أنّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمّد عن أهل بيته، ولا أنّهم منحّوه عنّي من بعده، فما راعني إلاّ انثيال النّاس على أبي بكر، وإجفالهم إليه ليبايعوه، فأمسكتُ يدي، ورأيت أنّي أحقّ بمقام محمّد في النّاس ممّن تولّى الأمر من بعده»[2].

بعدما خرج عليّ كرّم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على دابّةٍ ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النّصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله! قد مضت بيعتنا لهذا الرّجل، ولو أنّ زوجَكِ وابن عمّكِ سبق إلينا

---

(١) الإمامة والسّياسة، جـ ١ ص ١٢، شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٢ ص ٥.
(٢) الإمامة والسياسة، جـ ١ ص ١٢.

قبل أبي بكر ما عدلنا عنه. فيقول عليّ كرّم الله وجهه: أفكنْتُ أَدَعُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع سلطانه؟! فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له. ولقد صنعوا ما الله حسبُهم وطالبهم [1].

بعد قوله عليه السلام : أمّا واللّه لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى... إلى آخر الخطبة.

ثم ما عساني أن أقول بعدما يعربد شاعر النّيل ـ حافظ إبراهيم ـ اليوم، ويؤجّج النّيران الخامدة، ويجدّد تلكم الجنايات المنسيَّة ـ لاها الله لا تنسى إلى الأبد ـ ويعدّها ثناءً على السَّلف، ويرفع عقيرته بعد مضي قرون على تلكم المعرَّات، وَيتبهَّج ويتبجَّج بقوله في القصيدة العمريَّة تحت عنوان عمر وعلي:

وقولةٍ لعليّ قالها عُمَرٌ	أكرِم بسامِعها أعظِمْ بملقيها
حرَّقتُ دارَكَ لا أبقي عليكَ بها	إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوهُ بها	أمامَ فارس عدنانٍ وحاميها

ماذا أقول بعدما تحتفِلُ الأمّة المصريَّة في حفلةٍ جامعَةٍ في أوائِل سنة ١٩١٨ بإنشادِ هذه القصيدة العمريَّة التي تتضمَّن ما ذُكِرَ من الأبيات وتنشرها الجرائد في أرجاء العالم؟

هذا موقف القوم من الإمام عليه السلام . لقد عبثوا بالأحاديث النَّبويّة وأعرضوا عنها وانحرفوا عن العترة، وعن باب حُطّة وسفينة النّجاة، وتقدّموا عليهم ليحقّقوا أغراضهم الدّنيويّة الزائلةِ. وكلّ ما حدَثَ في علي والعترة عليهم السَّلام كان معروفاً عند النّبي صلى الله عليه وآله وسلم . ولقد صرَّح كثيراً، وعبّر في أحاديثه عمّا ينزل بعلي وأهلِ بيته من ظلم القوم، وكثيراً ما بكى وتألّم.

روى يونس بن جناب، عن أنَس بن مالك، قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلي بن أبي طالب معنا، فمررْنا بحديقة، فقال علي: يا

(١) الإمامة والسّياسة، جـ١ ص١٢، شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ١ ص١٣١، وجـ٢ ص٥.

رسولَ الله، ألا ترى ما أحْسَنَ هذه الحديقة! فقالَ: إنّ حديقتَكَ في الجنّة أحسنُ منها، حتّى مررنا بسبع حدائق، يقول علي ما قال: ويجيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما أجابه. ثمّ إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف، فوقفنا، فوضَعَ رأسه على رأس عليّ وبكى. فقال عليٌّ: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «ضغائن في صدور قومٍ لا يبدونها لَكَ حتّى يفقدوني». فقال: يا رسول الله، أفلا أضعُ سيفي على عاتقي فأُبِيْدَ خضراءَهُمْ؟! قال: «بل تصبر»، قال: فإن صبرتُ، قالَ: «تلاقي جهداً». قال: أفي سلامَةٍ من ديني؟ قال: «نعم»، قال: فإذاً لا أبالي[1].

وكثيراً ما كان النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ينوّه عن حدوث فتنةٍ بعده ويلحٌّ عندها على اتباع علي عليه السلام، لأنّه رايةُ الهدى، ومنارُ الإيمان وإمامُ الأولياء.

وذكر الخوارزمي في مناقِبه مرفوعاً بالأسانيد إلى أبي ليلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستكون من بعدي فتنَةٌ، فإذا كان ذلِكَ فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنّه الفارق بين الحق والباطِل». ويروي حديثاً آخر مرفوعاً إلى مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ فَارَقَ عليّاً فارقني، ومن فارقني فارَقَ الله عزّ وجَلّ»[2].

واستمع أيّها القارىء الّذي أرهف أذنيه لسماعِ الحقيقَةِ من علي في بعض خطبه:

روى عثمان بن سعيد عن عبدالله بن الغنوي، أنّ عليّاً عليه السلام خطبَ

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٤ ص ١٠٧ ـ ١٠٨ ط ١٩٥٩ م، دار إحياء الكتب العربية، ونور الأبصار للشبلنجي، ص ٧٩ ط ٥، وذكره الخوارزمي في مناقبه بسنده عن علي مع اختلافٍ في بعض العبارات، ص ٢٦ ط ١٩٥٩ م، المطبعة الحيدرية، النّجف. وكذلك كتاب سليم بن قيس، ص ٦٤ ـ ٦٥، المطبعة الحيدرية، النّجف.

(٢) ص ٥٧ منه ط ١٩٦٥ م، نفس المطبعة.

بالرَّحبة فقال: أيّها النّاس، إنّكم قد أبيتم إلاّ أن أقولها! وربّ السَّماءِ والأرض، إنّ من عهد النّبي الأمّيّ إليّ: «إنّ الأمّة ستغدرُ بِكَ بعدي»(١).

ووعده النّبيُّ ﷺ بالسّهر الطّويل وبالجفوة الشّديدة لأهل بيته من أجله. روى أبو جعفر الإسكافي أنّ النّبيّ ﷺ دخل علَى فاطمة عليها السَّلام، فوجد عليّاً نائماً، فذهبت تنبّهُهُ، فقال: دَعِيهِ، فرُبَّ سهرٍ له بعدي طويل، وربَّ جفوةٍ لأهلِ بيتي من أجله شديدةٍ. فبكَتْ، فقال: «لا تبكي، فإنّكما معي، وفي موقف الكرامة عندي»(٢).

قال أبو بكر: وحدَّثنا علي بن جرير الطّائي، قال: حدَّثَنا ابن فضل، عن الأجلح، عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد، قال: سمعتَ عليّاً يقول: أمّا وربّ الأرض والسَّماء، ثلاثاً، إنّه لَعَهْدُ النّبي الأمّيّ إليَّ: «لتغدرَنَّ بكَ الأمَّة من بعدي»(٣).

وإذا أردتَ المزيد فاستمع إلى هذه الأحاديث الّتي تدفعُ كلَّ من انحرف، وتبيِّنَ أنّ عليّاً هو الهادي إلى الصّراط المستقيم لو اتُّبِعَ.

أخرَجَ أحمد في مسنده جـ ١ ص ١٠٩، عن زيد بن يشيع، عن علي عن النّبي ﷺ في حديث: «وإن تؤمروا عليّاً رضي الله عنه ـ ولا أراكم فاعلين ـ تجدوه هادِياً مهدّياً يأخذ بكم الطّريق المستقيم».

وروى الخطيب البغدادي في تاريخه جـ ١ ص ٤٧ بإسناده عن حذيفة في حديث: «حُرِّفَ صدره وزيد عليه» عن النَّبي ﷺ: «ولّيتموها (الخلافة) عليّاً وجدتموه هادياً مهدّياً يسلك بكم الطّريق المستقيم ـ وفي رواية أبي داوود ـ إن تستخلِفوا عليّاً ولن تفعلوا ذلكَ يسلك بكم الطَّريق

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٤ ص ١٠٧ ط ١٩٥٩ م، دار إحياء الكتب العربية.
(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٤ ص ١٠٧، نفس الطبعة.
(٣) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٦ ص ٤٥ ط ١٩٦٠ م.

وتجدوُهُ هادِياً مهدّياً». وفي حديث أبي نعيم في الحلية جـ١ ص ٦٤، عن حذيفة قال: قالوا: يا رسولَ اللّهِ: ألا تستخلف عليّاً؟ قال: «إن تولّوا عليّاً تجدوه هادِياً مهديّاً يسلك بكم الطّريق المستقيم». وفي لفظ آخر: «وإن تؤمّروا عليّاً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادِيّاً مهديّاً يأخذ بكم الطريق المستقيم». وفي كنز العمّال جـ٦ ص ٦٠، عن فضائِلِ الصّحابة لأبي نعيم، وفي حليته جـ١ ص ٦٤، «إن تستخلِفوا عليّاً وما أراكم فاعلين، تجدون هادياً مهدِيّا يحملكم على المحجّة البيضاء». وأخرجه الحافظ الكنجي الشّافعِي في الكفاية ص٦٧، بهذا اللّفظ وبلفظ أبي نعيم الأوّل. وفي الكنز جـ٦ ص ١٦٠ عن الطبراني، وفي المستدرك للحاكم: «إن ولّيتموها علِيّاً فهادٍ مهديٌّ يقيمكم على صراطٍ مستقيم». وروى الخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٦٤ ط ١٩٦٥ مسنداً عن عبدالله بن مسعود، قال: كنتُ مع رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وقد أصحر فتنفّس الصّعداء، فقلت: يا رسول الله، ما لك تتنفّس؟ قال: «يابن مسعود، نُعِيتُ إلى نفسي»، فقلتُ: يا رسولَ الله استخلِفْ، قالَ: «مَنْ؟» قلت: أبا بكر، فسكتَ، ثمَّ تنفّس. فقلْتُ: ما لي أراك تتنفَسٌ؟ قالَ: «نُعِيتُ إلى نفسي»، فقلْتُ: استخلِفْ يا رسولَ الله، قال: «مَنْ؟» قلتُ: عمر بن الخطّابِ. فسكتَ، ثمَّ تنفّس. قال: قلتُ: ما شأنُكَ يا رسول الله؟ قال: «نُعِيتُ إلى نفسي»، فقلتُ: يا رسولَ الله استخلِفْ. قالَ: «مَنْ؟» قلتُ: علي بن أبي طالب. قال: «أوه ولن تفعلوا إذن أبداً، واللّهِ لَئِنْ فعلتموه ليدخلنّكم الجنّة، ولئن خالفتموه ليحبطن أعمالكم». ورواهُ ابن كثير في البداية جـ٧ ص ٣٦٠ عن الحاكم عن... عن عبدالله بن مسعود.

لقد آمن القوم بمحمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يؤمنوا بعلي عليه السلام، ومن آمن بالله وبالنّبي ولم يؤمن بعلي، لم يستفد من إيمانه شيئاً. ومن أحبّ الله ورسوله ولم يحبّ عليّاً، لم يستفِد من حبّه شيئاً. ومن والى الله ورسوله، ولم يوالِ عليّاً لم يستفد من هذه الولاية شيئاً. فتبصّرْ أيّها القارىء المنصِف بما تقدّم لترى خطورة هذا الموقف على الأكثريّة من هذا العالَم

الإسلامي.

لذلك ابتُلِيَ القوم بعلي، لأنّهم سيدخلون النّارَ بسببه، وابتُلِيَ هُوَ بِهِمْ حيث حرموه حقّه، ونصبوا له العداء، واستمروا على ذلك، ونهجوا هذا النّهج مع ذرّيته وأهل بيته، ومع محبّيه وشيعتِهِ، وتوارثوا ذلك صاغِراً عن كابر حَتّى اللّحظة الحالية. فاستمِعْ إلى هذا الابتلاء:

في كفاية الطّالب للكنجي الشّافعي مرفوعاً بالأسانيد إلى أبي بردة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله عهد إليَّ عهداً في علي بن أبي طالب». فقلتُ: بيِّنْهُ لي. قال: «اسمَعْ»، فقلْتُ: سمعتُ، فقال: «إنّ عليّاً راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام الأولياء، ونور من أطاعني، وهو الكلمة الّتي ألزمتها المتّقِينَ. مَنْ أحبّه أحبّني، ومن أبغضَهُ أبغضني، فَبَشِّرْهُ بذلكَ». فجاء علي، فبشّرته، فقال: يا رسولَ الله، أنا عبدالله وفي قبضتِهِ، فإن يعذّبني فبذنوبي. وإن يتمّ لي الّذي بشّرني به، فالله أولى بي. قال: فقلتُ: «اللهمَّ أجْلُ قلبه، واجعله ربيعه الإيمان. فقال الله عزّ وجَلّ: قد فعلتُ به ذلك. ثم إنّه رفع إليَّ أنّه سيخصُّه من البلاء بشيءٍ لم يخصّ به أحداً من أصحابي. فقلتُ: يا ربّ أخي وصاحبي! فقالَ: إنّ هذا شيءٌ قد سَبَقَ أنّه مبتلى ومبتلى به». أخرجه الحافظ في حليته، وذكره صاحب كشف الغمّة في جـ ١ ص ١٠٨[١].

وفي البحار، روى محمّد بن أحمد بن شاذان، عن قاضي القضاة الحسين بن مروان، عن أحمد بن محمّد، عن علي بن محمّد، عن أبيه، عن جدِهِ علي بن موسى، عن أبيه، عن جدّه جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستكون بعدي فتنة مظلمة، النّاجي فيها من تمسّكَ بعروة الله الوثقى. فقيل: يا رسولَ الله، ومنْ العروة الوثقى؟ قال: «ولايَةُ سيّد الوصيّين؟» قِيلَ: يا

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٩ ص ١٦٧ ط ١٩٦٠ م. ذكر نفس الحديث مع اختلافٍ طفيف في اللفظ فراجعه هناك.

رسولَ اللّهِ، ومن سيّد الـوصيّين؟ قالَ: «أميـر المؤمنين». قيل: ومن أميـر المؤمنين؟ قـال: «مـولى المسلمين وإمـامهُم بعـدي». قيــل: ومَنْ مـولى المسلمين؟ قال: «أخي علي بن أبي طالب»[1].

مناقِب الخوارزمي ص ٢١٥ أخـرج بسندِهِ عن أبي جعفـر محمّد بن علي، عن أبيه، عن جدِهِ، قال: قال علي عليه السلام: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لمّا أُسْرِيَ بي إلى السّماء، ثمَّ من السّماء إلى سدرة المنتهى، وقفتُ بينَ يدي ربّي عزّ وجَلَّ، فقال لي: يا محمّد، قُلْتُ: لبّيكَ وسعديْكَ. قال: قد بلوت خلقي، فأيُّهم رأيت أطوعَ لكَ؟ قال: قلتُ: يا ربّي علِيّاً، قال: صدقتَ يا محمّد، فهل اتخذتَ لنفسِكَ خليفةً يؤدّي عنكَ، يعلّم عبادي من كتاب الله ما لا يعلمون. قالَ: قلتُ: يا ربّ اختر لي. فإنّ خيرتَكَ خيـرتي. قال: اخترتُ لك عليّاً فاتخِذْهُ لِنَفْسِكَ خليفةً ووصِيّاً، ونحلته علمي وحلمي، وهو أمير المؤمنين حقّاً لم ينَلْهَا أحدٌ قبله، وليسَتْ لأحدٍ بعده. يا محمّد، عليّ راية الهدى، وإمامُ من أطاعَني، ونور أوليائي، وهو الكلمـةُ الّتي ألزَمْتُهـا الـمتّقِين. من أحَبَّه فقد أحبَّني، ومن أبغَضَهُ فقد أبغضني فبشّره يا محمّد بذلك». فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «قلتُ: ربّي بشّرتُه به، فقال: أنا عبدُ اللّهِ وفي قبضَتِهِ، إن يعاقبْني فبذنوبي لم يظلمني شيئاً، وإن تمَّمَ عَلَيَّ وعدي، فإنّه مولايَ». قال: أجل (فقلتُ: أجَلْ، واجعـل ربيعه الإيمـان خ ل). قال: قلتُ: يا ربّ، فاجعل قلبه ربيع الإيمان. قال: قد فعلتُ ذلك به يا محمّد، غير أنّي مختصٌّ له (مختصّه بشيءٍ من البلاء خ ل) بشيءٍ من البـلاء لم أخصَّ به أحداً من أوليائي. قال: «قلتُ: يا ربّ، أخي وصاحبي». قال: «قد سبق في علمي أنّه مُبْتَلَى. ولولا عليّ لم يُعْرفَ حزبي ولا أوليائي ولا أولياءُ رسلي»[2].

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٢٥٠.

(٢) في حليـة الأوليـاء، جـ ١ ص ١٩ نحــوه مـع اختــلافٍ يسير. راجـع كتـاب (علي والشيعـة): للعسكري، ص ٩٦ ـ ٩٧، والمنـاقب: للخوارزمي، ص ٢١٥، المـطبعة الحيدرية، النّجف ط ١٩٦٥ م.

فأيُّ صراحةٍ أصرَحُ من هذه الأحاديث؟ مع لفت النَّظَرِ إلى الجملة التّالية وهي: «وهو أميرُ المؤمنين حقّاً لم ينلْها أحدٌ قبله، وَليست لأحدٍ بعدَهُ». فكل من ادّعى إمرةَ المؤمنين غير علي عليه السلام فقد ادَّعى ما ليس له. ولكنّ السَّقيفة أباحَتِ المحظور، وفتحتِ المجال للطّامِعِين، فاستولوا على مقاليد الأمور، وارتكبوا المآثِمَ وقول الزّور.

فإمْرَةُ المؤمنين هي الأمانة الّتي ذكرها الله عزّ وجَلَّ بكتابه العزيز بقوله: **﴿إنّا عرضنا الأمانة على السّموات والأرض فأبينَ أن يحملنها فأشْفَقْنَ منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً﴾**[1] .

وللدَّلالة على أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم سَمَّى عليّاً عليه السلام بإمْرة المؤمنين في حياته، ما ذكَرَهُ المفيد في (إرشاده) قائِلاً: أخبرني أبو الجيش المظفّر بن محمّد البلخي، قال: أخبرني أبو بكر محمّد بن أحمد بن أبي الثّلج، قال: أخبرني الحسين بن أيُّوب، عن محمّد بن غالب، عن علي بن الحسين، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي إسحٰق السّبيعي، عن بشير الغفّاري، عن أنس بن مالِك، قال: كنتُ خادمَ رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم . فلمّا كانت ليلة أم حبيبة بنت أبي سفيان، أتيتُ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بوضوء، فقال: «يا أنَسَ يدخل عليكَ السّاعة من هذا الباب أمير المؤمنين، وخير الوصيّين، أقدّم النّاس سِلْماً، وأكثرهم علماً، وأرجحهم حلماً». فقلتُ: اللهمّ اجعله من قومي. قال: فلم ألبث أن دخل علي بن أبي طالب عليه السلام من الباب، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوضّأ. فردَّ رسول الله على وجه أمير المؤمنين عليه السلام حتّى امتلأت عيناهُ منه. فقال علي: يا رسول الله! أَحَدَثَ فيَّ حَدَثٌ؟ فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : «ما حَدَثَ فيك إلاّ خير. أنتَ منّي وأنا منكَ، تؤدّي عنّي، وتفي بذمّتي، وتغسّلِني وتواريني في لحدي، وتسمع النّاس عنّي، وتبيّن لهم من بعدي». فقال علي: يا رسول الله، أو ما بلَّغتَ؟ قال: «بلى،

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٧٢.

ولكن تبيّن لهم ما يختلفون فيه من بعدي»[1].

أخبرني أبو الجيش المظفّر مرفوعاً بالأسانيد إلى عباية الأسدي عن ابن عبّاس، أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأمّ سلمة رضي الله عنها: «اسمعي واشهدي، هذا علي أمير المؤمنين وسيّد الوصِيِّين»[2].

وروى التّميمي بإسناده عن الرّضا، عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السّلام قال: قال لي بريدة: أمرَنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نسلّم على أبيك بإمرة المؤمنين[3].

وروى الفحّام عن المنصوري عن عمّ أبيه، عن أبي الحسن الثالث، عن آبائه، عن علي عليهم السّلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لمّا أُسري بي إلى السّماء، كنتُ من ربّي كقاب قوسينِ أو أدنى، ثمّ قال: اقرأ عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فما سمَّيْتُ به أحداً قبله، ولا أُسمّي بهذا أحداً بعده»[4].

وروى أحمد بن مردويه في كتاب (المناقب)، عن عبد الله بن محمّد بن يزيد، عن محمّد بن أبي يعلى، عن إسْحق بن إبراهيم، عن زكريّا بن يحيىٰ، عن مندل بن علي، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال؛ كان رسول الله في صحن الدّار، فإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي، فدخل علي عليه السلام فقال: كيف أصبح رسول الله؟ فقال: بخير. قال له دحية: إنّي لأحبُّكَ، وإنَّ لك مدحةً أزفُّها إليكَ، أنتَ أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجَّلين، أنتَ سيّد ولد آدم، ما خلا النّبيّين والمرسلين. لواء الحمد بيدك يوم القيامة، تُزَفُّ أنتَ وشيعَتُكَ مع محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وحزبه إلى الجنان زفّاً زفّاً. قد أفلحَ من تولّاك، وخسِرَ من تخلّاك. محبُّو محمّد محبّوك، ومبغضو محمّد

(١) إرشاد المفيد، ص ٢٠، وحلية الأولياء.
(٢) ينابيع المودّة، ص ٨١، وإرشاد المفيد، ص ٢٠.
(٣) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٢٤٦.
(٤) بحار الأنوار أيضاً، جـ ٩ ص ٢٤٦.

مبغضوك، لن تنالهم شفاعة محمّد ﷺ . ادنُ منّي يا صفوة الله. فأخذ رأس النَّبي ﷺ فوضعه في حجره، فقال: ما هذه الهمهمة؟ فأخبره الحديث. قال: لم يكن دحية الكلبي. كان جبرئيل سمّاك باسمٍ سمّاكَ الله به، وهو الّذي ألقى محبّتَكَ في صدور المؤمنين، ورهبتك في صدور الكافرين[1].

ومن كتاب عبدالله بن أحمد بن يعقوب الأنباري، عن علي بن العباس، عن علي بن منذر الطَّريفي، عن سكّين الرجّال، عن فضيل الرَّسَّان، عن أبي داوود الهمداني، عن أبي برزة قال: اسمَعْ، قلتُ: اللهمّ قد سمعتُ، قال: أخبر عليّاً أنّه أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين، وأولى النّاس بالنّاسِ، والكلمة الّتي ألزمتها المتّقين[2].

وروى محمد بن جرير الطّبري، عن الحسين بن عبدالله البزّاز، عن أبي الحسن علي بن محمّد بن لؤلؤ البزّاز، عن أحمد بن عبدالله بن زياد، عن عيسى بن إسحٰق، عن إبراهيم بن هراشة، عن عمرو بن شمَر، عن جابر الجعفي، قال: قال أبو جعفر محمّد بن علي: لو علم النّاس متى سُمّيَ علي أمير المؤمنين؟ قال: كان ربُّكَ عزّ وجلّ حيث أخذ من بني آدمَ من ظهورهم زريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألستَ بربّكم، ومحمّد رسولي وعلي أمير المؤمنين[3].

ومن مصنّفات بعضِ علماءِ المخالفين رُوِي عن أحمد بن محمّد الطَّبري عن محمد بن الحسن وعلي بن العبّاس وعلي بن أحمد بن الحكم وجعفر بن محمّد بن مالك وعلي بن أحمد بن الحسين والحسين بن السَّكن جميعاً عن عبّاد بن يعقوب، عن السّري بن عبدالله، عن علي بن حزور، قال: دخلتُ أنا والعلا بن هلال عن أبي إسحٰق السّبيعي، حيث قدم من خراسان،

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٢٤٦.
(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٢٥٠.
(٣) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٢٥٠.

حدَّثني أخوك أبو داوود عن بريدة بن خصيب الأسلمي، قال: كنتُ عند رسول اللّهِ، فدخل علينا أبو بكر، فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا بكر، قم فسلّمْ على علي بإمرة المؤمنين. فقال أبو بكر: أمنَ اللّهِ أم من رسوله؟ فقال صلّى الله عليه وآله: مِنَ الله ومن رسوله؟ ثمّ جاء عمر، فقال له رسول الله ﷺ «سلّمْ على علي بإمرة المؤمنين». فقال عمر، من الله أم من رسوله؟ نقال ﷺ: «من الله ومن رسوله». ثمّ جاء سلمان رضي الله عنه فسلَّمَ. فقال له رسول الله: «سلّم على عليّ بإمرة المؤمنين». فسلَّمَ. ثم جاء عمّار، فسلَّمَ، ثم جلس. ثمّ قال له رسول الله ﷺ: «قم يا عمّار، فسلّم على علي بإمرة المؤمنين»، فسلَّم، ثم دنا فجلس، فأقبل رسول الله يوجّهه فقال: إنّي قد أخذتُ ميثاقكم على ذلك، كما أخذ الله ميثاق بني آدم، فقال لهم: ألستُ بربّكم؟ قالوا: بلى. وسألتموني أنتم، أمِنَ الله أو من رسوله؟ فقلتُ: بلى. أما واللّهِ لئن نقضتموه لتكفرُنَّ، فخرجوا من عند رسول الله، ورجل من القوم يضرب بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: «كلّا وربِّ الكعبة! فقلتُ: من ذلك الرّجل؟ قال: «لا تتحمَّلْهُ، وجابر من خلفي يغمزني أن أسأله، فألححْتُ عليه، فقال الأعرابي يعني عمر بن الخطاب»[1].

وخبر بريدة بن خصيب الأسلمي، وهو مشهور، معروف بين العلماء بأسانيدَ يطول شرحُها قال: إنّ رسولَ الله ﷺ أمرني وأنا سابع سبعةٍ فيهم أبو بكر وعمر وطلحة والزُّبير. فقال: سَلِّمُوا على علي بإمرة المؤمنين، فسلّمنا عليه بذلك، ورسول الله ﷺ حيٌّ بين أظهرنا.

وسيمرٌّ معك أيّها القارىء حديث بريدة عندما تقرأ خبر حذيفة بن اليماني الذي سيأتي قريباً في آخر هذا البحث كختامٍ لهذا الموضوع.

فإمرة علي من الله ورسوله، وإمرة الآخرين من أنفُسِهِمْ ومن أعوانِهِمْ، ففرضوها على النّاس فحقَّقُوا ما أمّلوا. وأحياناً كانوا يعترفون بأنّ هذا الحق

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٢٥٤.

لعلي عليه السلام دون غيره من النّاس، ولكنّهم خافوه، فاغصبوه حقّه.

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز في كتاب (السّقيفة): وأخبَرَنـا أبو زيـد عمر بن شبة، قال: حدّثنا محمد بن حاتم، عن رجاله، عن ابن عبّاس، قال: مَـرَّ عمر بعلي، وأنـا معه بفنـاء داره، فسلّم عليه، فقـالَ له عليّ: أين تـريـد؟ قال: البقيع. قال: أفلا تصـل صاحبـك، ويقوم معـك؟ قال: بلى. فقـال لي عليٌّ: قم معـه. فمشيتُ إلى جانبـه، فشبَـكَ أصـابعـه في أصـابعي، ومشينـا قليلاً، حتّى إذا خلَّفنا البقيع قال لي: يابن عبَّاس، أمّـا واللّهِ إنَّ صاحبَـكَ هذا لأولى النّاس بالأمر بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، إلاَّ أنّا خفنـاه على اثنين، قال ابن عبَّـاس: فجاء بكـلامٍ لم أجد بـدّاً من مسألتـه عنه. فقلتُ: مـا همـا يـا أميـر المؤمنين؟ قال: خفناهُ على حداثة سنّهِ وحبّه بني عبد المطّلب.

وكيف لا يعـرف أنّه أولى النّـاس بالأمـر بعـد رسـولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهـو الّذِي منعَهُ صلى الله عليه وآله وسلم أن يصرّحَ باسم علي عندما طلبَ دواةً وكتاباً ليكتبَ كتـاباً لن يضلّوا بعده.

أمّا حديث الكتاب والدَّواة فقد ذكره أبو بكر أحمـد بن عبدالعـزيز قـال: وحـدَّثنا الحسن بن الـرَّبيع، عن عبـدالرزّاق، عن معمَّـر، عن الـزَّهـري، عن علي بن عبـدالله بن العبّاس، عن أبيـه، قال: لمّـا حضـرتْ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم الـوفاة، وفي البيت رجـالٌ فيهم عمـر بن الخـطاب، قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ائتوني بدواة وصحيفة، أكتبُ لكم كتاباً لا تضلُّون بعدي». فقال عمر كلمةً[1] معنـاها أنَّ الـوجع قـد غلبَ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمَّ قـال: عندنـا القـرآن حسبُنا كتاب الله. فاختلفَ مَنْ في البيتِ وَاختصموا، فمن قائلٍ يقـول: القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن قائلٍ يقول: القـول ما قـال عمر. فلمَّـا أكثروا اللَّغط واللَّغو والاختلاف، غضبَ رسول الله. فقال: «قوموا، إنّه لا ينبغي لنبيّ

---

(١) في صحيح البخاري، جـ ٦ ص ٩ ط ١٣١٤ هـ: «مـا شـأنـه ـ أي النّبيّ ـ أهجـر؟». راجع (فجر الإسلام) لأحمد أمين (يوم الإسلام)، ص ٤١ ط ١٩٥٨ م.

أن يُخْتَلَفَ عنده هكذا». فقاموا، فمات رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك اليوم. فكان ابن عباس يقول: إنّ الرَّزِيَّة كلّ الرَّزِية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - يعني الاختلاف واللَّغط.

قلتُ: هذا الحديث قد خرَّجَهُ الشَّيخان محمّد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجَّاج القشيري في صحيحيهما. واتّفق المحدّثون كافّةً على روايته[1].

هذا هو الحديث مع اختلافِ الرُّواة في لفظة عمر، فالبعْضُ صَرَّحَ بها، والبعض أخفاها كما تقدَّم معنا. أمّا منع عمر للنّبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذكر عليّ بهذا الحديث فقد روى صاحب كتاب (كشف الغمة) حديثاً نقلاً عن ابن أبي الحديد في تفسيره النَّهج، قالَ: نقلْتُ من كتاب تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهِر بسنَدِهِ عن ابن عبَّاس، قالَ: دخلتُ على عمر في أوَّل خلافتِهِ، وقد أُلْقِيَ له صاعٌ من تمر على خصفَةٍ[2] فدعاني إلى الأكل، فأكلْتُ تمرةً واحدةً، وأقبل يأكل حتى أتى عليه، ثم شرِبَ من جُرّ[3] كان عنده، واستلقى على مرفقة له، وطفِقَ يحمد الله، يكرّر ذلكَ. ثمَّ قال: من أين جئتَ يا عبدالله؟ قلتُ: من المسجد. قال: كيف خلَّفت ابنَ عمّك؟ فظننتُهُ يعني عبدالله بن

---

(١) وأي: منصفٍ يقارن ويناقش الأحداث إلاّ ويندهش لما يقوله الشّاعر الإمامي: «أوصى النبيُّ فقال قائِلهم قد ظلَّ يهجر سيّد البشر، وأرى أبا بَكْرٍ أصاب ولم يهجر وقد أوصى إلى عمر» اهـ. ابن أبي الحديد في شرحه للنّهج، جـ٦ ص ٥١ ط ١٩٦٠ م. ويقول الشّيخ محمّد رضا المظفّر في كتاب (السقيفة)، ص ٦٦ وما بعدها ط ١٩٥٣ م قال: ما بال عمر بن الخطّاب لم يعتقد بهجر أبي بكر حين أوصى له بالخلافة من بعده، مع أن أبا بكر كان مريضاً حين الوصيّة حتّى أغمي عليه من شدّةِ الوجع، وأثناء تحريرالاستخلاف الذي كان يتولاه عثمان بن عفّان، فأتمَّ عثمان النّصّ على عمر دون أن يعلم أبو بكر خشية أن يدركه الموت قبل الوصيّة. وحين استفاق أمضى ما كتب عثمان.

(٢) الحلبة تعمل من الخوص للتمر.

(٣) آنية من خزف.

جعفـر، قلتُ: خلَّفْتُهُ يمتـحُ(1) بـالغَـرْب على نخيـلاتٍ من فـلان، وهـو يقـرأ القرآن. قال: يـا عبدَ الله، عليـكَ دماء البُـدْنِ إن كتمتنيها! هـل بقي في نفسِهِ شيء من أمـر الخلافـة؟ قلتُ: نعم، قـال: أيـزعمُ أنّ رسـولَ الله نصَّ عليـه؟ قلتُ: نعم، وأزيدُكَ، سألتُ أبي عمّا يدَّعيه، فقال: صـدق. فقال عمـر: لقد كان من رسول الله ﷺ في أمـره ذَرْواً(2) من قول ٍ لا يثبتُ حجَّـةً، ولا يقطع عذراً. ولقد كان يربَعُ في أمرِهِ وقتاً ما. ولقد أراد في مرضِـهِ أن يصرّحَ بـاسمه فمنعتُ من ذلـكَ إشفاقـاً وحيطةً على الإسـلام،لا وربِّ هذه البنِيّـة لا تجتمـع عليـه قـريش أبـداً، ولـو وَلِيَهـا لانتفضَتْ عليـه العــرب من أقـطارِهـــا. فعَلِمَ رسـولُ اللّهِ ﷺ أنّي علمتُ ما في نفسـه، فأمْسَـكَ، وأبى الله إلاّ إمضاءَ مـا حتم(3).

وحديث القرطاس والدَّواةِ ذكره عدَدٌ من المؤرِّخين، فهذا ابن الأثيـر في كتابه (الكـامِل في التـاريخ) جـ ٢ ص ٢١٧ يقـول: اشتَدَّ بـرسول ِ اللّهِ مـرضه ووجَعُهُ فقال: «ائتوني بدواةٍ وبيضـاء أكتبُ لكم كتابـاً لا تضلّون بعدي أبـداً»، فتنـازعوا ـ ولا ينبغي عنـد نبيّ تنازع ـ فقـالـوا: إنّ رسـول الله يهجـر. فجعلوا يعيدون عليه. فقال: «دعوني، فمـا أنا فيـه خيرٌ ممّـا تدعـونني إليه». فـأوصى بثلاثٍ: «أن يخرج المشركون من جزيرة العرب، وأن يجازي الـوفد بنحـوٍ ممّا كان يجيزهُمْ»، وسكتَ عن الثّالثة عمداً، وقال: «نسيتها».

وذكر ابن سعدٍ في (الطبقات الكبرى) جـ ٤ ص ٦٠ ـ ٦١: أنّ الرَّسـول عندما حضرته الوفاة، وكان معه في البيت رجـالٌ فيهم عمر بن الخـطّاب قال: «هَلُمَّ أكتب لكم كتـاباً لن تضلُّوا بعـده». فقال عمـر: إنّ رسـول الله قـد غلبـه

---

(1) الدلو.

(2) طرف.

(3) شـرح النّهـج، جـ ١٢ ص ٢٠ و ٢١ ط ١٩٦١ م، وبحـار الأنـوار، جـ ٩ ص ٢٩٧. وقال: ذكر هذا الحديث أحمد بن أبي طاهـر صاحب كتـاب (تاريـخ بغداد) في كتـابه مسنداً.

الوجع، وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا. فلمّا كثر اللّغط والاختلاف، قالَ النَّبي: «قوموا عنّي».

وهذا ابن خلدون في كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر) جـ ٢ ص ٢٦٧ يقول: ثم قال النّبي: «ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلُّوا بعده». فتنازعوا. وقال بعضهم: أهجر؟ ثم ذهبوا يعيدون عليه: فقال: «دعوني، فما أنا فيه خير ممّا تدعونني إليه».

وإذا ارتاع قلبُكَ لما أحدثه الخليفة الثّاني عمر بن الخطّاب، فهناكَ وثيقة خطيَّة تكشفُ لكَ عن المخطّط السّري الّذي وضع نتيجة بيعة يوم الغدير، ليحولوا بين علي وبين المنصب الذي اختاره الله له ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

عن حذيفة اليماني عن أسماء بنت عميس الخثعميّة:

اجتمع ـ بعد خطبة النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجّة الوداع ـ أربعة عشر رَجُلاً: تسعة من قريش هم أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، ومعاوية وعمرو بن العاص، وخمسة من غيرهم هم: أبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة، وأوس بن الحدثان، وأبو هريرة، وأبو طلحة الأنصاري. ووافقهم ـ بعد أن اطّلع على مؤامرتهم ـ سالم مولى حذيفة. وساروا حتّى دخلوا المدينة، وكتبوا صحيفَةً بينهم تشتمِلُ على إزالة الأمر عن علي عليه السلام ، وإعطائه إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسالِم. وشهِدَ بذلك أربعة وثلاثون رَجُلاً ـ وهم أصحاب العقبة ـ وعشرون آخرون.

قال حذيفة: حدَّثتني أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر أنّ القوم اجتمعوا في منزل أبي بكر، فتآمروا في ذلك ـ وأسماء تسمَعُهم وتسمع جميع ما يدبّرونه ـ حتى اجتمع رأيهم على ذلك، فأمروا سعد بن العاص الأموي فكتبَ لهم الصَّحيفة باتّفاق منهم، وكانت نسخة الصَّحيفة:

بسم الله الرّحمن الرَّحيم

هذا ما اتّفق عليه الملأ من أصحاب محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مِنَ

المهاجرين والأنصار الذين مدحهم الله في كتابه على لسان نبيّه، اتّفقوا جميعاً، بعد أن اجتهدوا في رأيهم، وتشاوروا في أمورهم، وكتبوا هذه الصَّحيفة، نظراً منهم إلى الإسلام وأهله على غابر الأيّام وباقي الدُّهور، ليقتدي بهم من يأتي من المسلمين بعدهم.

أمّا بعد: فإنّ الله ـ بمنّه وكرمه ـ بعث محمداً رسولاً إلى النّاس كافّة بدينه الذي ارتضاه لعباده، فأدّى من ذلك وبلَّغ ما أمره الله به، وأوجب علينا القيام بجمعه، حتّى إذا أكمل الدّين وفرض الفرائض، وأحكم السُّنن، واختار الله له ما عنده فقبضَهُ مكرَّماً محبوراً من غير أن يستخلِفَ أحداً بعده. وجَعَلَ الاختيار إلى المسلمين يختارون لأنفسهم من وثقوا برأيه ونصحِهِ. وإنّ للمسلمين في رسول الله أسوةً حسنَةً. قالَ الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسولِ الله أُسوة حسنَة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخِر﴾(1).

وإنّ رسولَ اللّهِ لم يستخلِف أحداً لئلّا يجري ذلكَ في أهل بيتٍ واحد، فيكون إرثاً دون سائر المسلمين. ولئلّا يكون دولةً بين الأغنياء منهم، ولئلّا يقول المستخلف: إنّ هذا الأمر باقٍ في عقبه من والدٍ إلى ولدٍ إلى يوم القيامَةِ.

والّذي يجب على المسلمين ـ عِنْدَ مضيّ خليفةٍ من الخلفاء ـ أن يجتمع ذوو الرَّأي والصَّلاح، فيتشاورُوا في أمورهم، فمن رأوه مستحقّاً لها ولُّوهُ أمورهم، وجعلوه القَيّم عليها، فإنّه لا يخفى على أهل كلّ زمانٍ من يصلح منهم للخلافة، فإن ادَّعى مُدَّعٍ من النّاس جميعاً أنّ رسول الله استخلَفَ رجلاً بعينه، نصبه للنّاس ونصَّ عليه باسمه ونسبِهِ، فقد أبطل في قوله، وأتى بخلاف ما يعرفه أصحاب رسول الله إرث، وإنّ رسول الله يورث، فقد أحال في قوله، لأنّ رسولَ اللّهِ قال: «نحن معاشِرَ الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة». وإن ادَّعى مُدَّعٍ أنّ الخلافة لا تصلح إلّا لِرَجُلٍ واحد من بين النّاس

---

(1) سورة الأحزاب: آية ٢١.

وأنّهـا مقصورة فيـه، ولا تبتغي لغيره، لأنَّهـا تتلو النُّبوة فقـد كـذب، لأنّ النَّبيَّ قال: «أصحابي كالنّجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم». وإن ادَّعى مُدَّعٍ أنّـه مستحق الخلافة والإمامة لقربه من رسولِ الله، ثمَّ هي مقصورةٌ عليه وعلى عقبه يـرثها الولدُ منهم عن والدِهِ، ثمَّ هي كذلـك في كلّ عصـرٍ وزمان لا تصلح لغيـرهم، ولا ينبغي أن يكون لأحدٍ سواهم إلى أن يرثَ اللّهُ الأرضَ ومَنْ عليها، فليس له ولا لـولده ـ وإن دنـا من النّبي نسبه ـ لأنّ الله يقـول ـ وقولـه القاضي على كـلّ أحد ـ ﴿إنّ أكرمكم عنـدَ اللّهِ أتقاكُمْ﴾. وقـال رسولُ اللّهِ: «إنّ ذمَّـة المسلمين واحدة يسعَى بها أدناهم، وكلُّهم يَدٌ على مَنْ سواهم».

فمن آمن بكتـاب اللّهِ وأقرَّ بسنَّـةِ رسـول الله فقـد استقـامَ وأنـابَ وأخـذ بالصَّواب. ومن كره ذلكَ من فعالهم فقد خالف الحقّ وَالكتاب، وفارق جماعة المسلمين فاقتلوه، فإنّ في قتله صلاحاً للأمّة. وقـد قال رسـولُ الله: «من جاء إلى أمّتي ـ وهم جميع ـ ففرَّقهم فاقتلوه واقتلوا الفرد كائِناً من كـان من النَّاس. فإنّ الاجتماع رحمـة، والفرقـة عذابٌ، ولا تجتمـع أمّتي على الضَّلالِ أبـداً، وإنّ المسلمين يد واحدة على من سواهم، وأنّه لا يخرج من جماعة المسلمين إلّا مفارقٌ ومعانِـدٌ لهم ومظاهِـرٌ عليهم أعداءهم، فقـد أباح الله ورسـوله دمَـهُ، وأحلَّ قتله».

وكتبَ سعيـد بن العاص بـاتّفاقٍ ممَّن أثبتَ اسمـه، وشهادَتُـهُ آخـر هـذه الصَّحيفـة في المحـرَّم سنـة عشـرٍ من الهجـرة. والحمـد لله ربّ العـالمين، وصلَّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم.

ثمَّ دُفِعَتِ الصَّحيفة إلى أبي عبيدة الجرَّاح وتوجَّهَ بها إلى مكَّة، فلم تزل الصَّحِيفـة في الكعبة مـدفونَـةً إلى أن وُلِيَ عمر بن الخـطّاب فاستخـرجَهـا من موضِعِها.

هذه هي الصَّحيفة الّتي وَضَعها القوم كردّ فعلٍ ضدَّ بيعة الغدير الّتي أتمَّ بها الله نعمته على المسلمين، وأكمل بها دينَهُمْ. هـذه البيعَةُ الّتي كـانت بأمـرٍ من الله ورسـوله لعلي. وهـذه الصَّحِيفة كـانَتْ بأمـرٍ منهم ومن أنفسِهم. وفِعْلاً

نفّذوا ما أرادوا، وأحالوا بين عليّ وبينَ منصبه المختار له من قِبَلِ الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

وهناكَ وثيقةٌ أخطر بكثير من الصَّحيفة، وثيقة لا يتجرَّعُها إلّا من دَرَسَ التّاريخ الإسلامي دراسةً دقيقةً، وهضم ما كتبَهُ المؤرّخون في الدّعوة الإسلاميَّة، واستخرج الغثّ من الثَّمين. أمّا مَنْ لُبّسَ عليه، ونظر للأمور نظرة سطحيَّةً، ووقف عند هذا الحدّ فإنّه يعتريه الشّك، ويقول: هذا تدجيلٌ على عمر بن الخطَّاب. ولكنِ من رمى النّبي صلى الله عليه وآله وسلم بالهجر، ومنعه من كتابة الكتاب لئلاّ يضلّوا، ومن مَزَّقَ الكتاب الذي كتبه أبو بكر لفاطمة بفدك[1]، بعدما حَرَمها من إرثها بحديثه الموضوع، ومن قرّر إحراق دار علي وفيها فاطمة والحسن والحسين، ومن تخلَّف عن جيش أُسامَةَ، ومن أمره الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم بقتلِ ذي الخويصرة، وهو رأس المارقين، فيمتنع عن قتلِهِ احتراماً لصلاته، ثم يستلّ اليوم سيفه لقتل من يصلّي من أهل الإيمان تحتَ الشَّجَرةِ، شجرة الرّضوان، ومن أنشأ الشّورى بين رجالها السّتة الّذين أنشأ بينَهُمْ من التّنافس والفتن ما قد فَرَّق جماعة المسلمين، من قامَ بذلكَ وأشياء كثيرة غيرها، لا يستكبر عليه هذه الوثيقة الخطرة الّتي ذكرها البلاذري ـ وهو من الجمهور في تاريخه ـ قال: لَمَّا قُتِلَ الحسين بن علي عليه السلام ، كَتَبَ عبدالله بن عمر إلى

---

(١) «فَدَك» قرية في الحجاز، وهي أرض يهوديَّة كان يسكنها طائفة من اليهود حتّى السّنة السابعة، حيث قذف الله بالرُّعب في قلوب أهلها فصالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النّصف من فَدَك، وقيل: إنّه صالحهم عليها كلّها، فصارَتْ ملكاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصَّةً، لأنّها لم يُوجَفْ عليها بخيلٍ ولا ركاب، ثمَّ قدَّمها لابنتِهِ الزَّهراء عليها السلام ، وكانَت بيدها في عهد أبيها وبعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم . وكانت وضعَتْ عليها وكيلاً عنها، فانتزعها منها الخليفة الأوَّل، وطرد وكيلها. فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكرٍ وقالت: لِمَ تمنَعُني ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله تعالى؟ فطلب أبو بكرٍ منها شهوداً، فشهِدَتْ أمّ أيمن، وشهد عليٌّ عليه السلام . فأعطاهَا كتاباً، فدخل عمر، فلمّا عرف بذلك، أخذ الكتابَ من فاطمة، فتفل فيه، ومزّقه. فخرجت فاطمة تبكي... إلى آخر الحديث. راجع الاحتجاج: للطبرسي، جـ١ ص ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ وغيره من الكتب الكثيرة.

يزيد بن معاوية، أمّا بعد: فلقد عظمت الرَّزيَّة وجلَّتِ المصيبة، وحدث في الإسلام حدَثٌ عظيم، ولا يوم كيوم الحسين! فكتب إليه يزيد، يا أحمق! إنّا جئنا إلى بيوت منجدَّةٍ، وفرشٍ ممهّدة، ووسائد منضّدةٍ، فقاتَلْنا عنها، فإن يكُنِ الحقّ لنا فعن حَقّنا دافعنا، وإن يكن لغيرنا، فأبوكَ أوّل من سَنَّ هذا، وابتزّه، واستأثر بالحقّ على أهلهِ. فبعَثَ إلى عبدالله بن عمر عهداً كتبه أبوه إلى معاوية:

هذا عهدٌ من عمر بن الخطّاب إلى معاوية بن أبي سفيان، اعلَمْ يا معاوية أنّ محمّداً قد جاء بالإفك والسّحر، ومَنَعَنا من اللاّتِ والعِزَّى، وحوَّل وجوهنا إلى الكعبة الّتي يزعم أنّها القبلة الإسلاميَّة، فكأن هَذَا من غاية غلوِّهِ وعلوِّهِ ومهارته في السّحر الَّذِي بهرَ بِهِ على موسى وعيسى وكافَّة بني إسرائيل. ونحن على الَّذِي كنَّا قبلَ ذلكَ، وما تركنا اللاّت والعزَّى والهبل. ولمّا توفّي محمّد تواطأنا مَعَ أربعين رجلاً من أهل نحلتنا، وشهدنا أنّه قال: «الأئمة من قريش» وعزلنا عليّاً عن الخلافة الّتي فوَّضها إليه، وجعلها مخصوصةً له. ثمَّ كتَّفناه وأخرجناهُ من بيته، وجئنا به إلى أبي بكر، وأمَرْنا النَّاس ببيعته، وكنَّا نظاهِر بسنَّة محمّد، لئلاَّ يهرب الناسِ عنَّا، ولكنَّا في باطن الأمر على الَّذي كنَّا قبل ذلك. انتقَمْنا من أولاده وذراريه على حسب طاقتنا وقدرتنا. وأمَّا أنتَ يا معاوية، فأوصيكَ ألاَّ تسمَحَ فيها، واقتُلْ من أولاده وأحفادِهِ ما تصلُ إليه يَدُكَ وَقدرَتُكَ. ولو لم تقدر على استئصالِ طائفَتِهِ خوفاً من تنفّر النّاس وتباعدهم عنكَ، وخروجهم عليك، فكن في باطن الأمر على دفعهم وَإزالتهم عن مقامهم، وانحطاطٍ من مراتبهم، ولا تخرج محبّة اللاّت والعزَّى من قلبكَ، فإنّها طريقنا وطريق آبائِنا، وإنّا على آثارهم مقتدون[1].

وقد أورد الوصيّة صاحب كتاب (تظلّم الزَّهراء) بشكل مُطوَّل، حيث عرض بها كثيراً من المخازي والمظالِمِ نعرضها حرفِيّاً ليطَّلِعَ القارِىء على

---

(١) الأنوار النعمانية: لنعة الله الموسوي الجزائري، جـ١ الباب الأوّل ص ٥٤.

التّآمر ليس على عليّ فقط، بل حتّى لصاحب الشّريعة الغَرّاء كما يبدو من قراءة هذه الوصيّة.

روى الفاضِل في المجلّد الثّامِن من البحار مخرجاً من كتاب (دلائِل الإمامة) بإسنادِهِ عن سعيد بن المسيّب، قال: لمّا قُتِلَ الحسين بن علي عليه السلام وورد نعيه إلى المدينَةِ، ووردت الأخبار بجزّ رأسه وحمْلِهِ إلى يزيد بن معاوية، وقتل ثمانية عشر من أهل بيته، وثلاثة وخمسين رَجُلاً من شيعته، وقتل ابنه علي بين يديه، وهو طفل، بنشّابَةٍ وسبي ذراريه، أقيمَتِ المآتِم عند أزواج النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في منزل أم سلمة رضي الله عنها، وفي دور المهاجرين والأنصار. قال: فخرج عبدالله بن عمر بن الخطّاب صارِخاً من داره، لاطِماً وجهه، شاقّاً جيبه يقول: يا معشر بني هاشم وقريش والمهاجرين والأنصار!! يستَحَلُّ هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهله وذريّته وأنتم أحياء تُرْزَقون، لا قرار دون يزيد. فخرج من المدينة تحت ليله، لا يَرِدُ مدينةً إلاّ خرج فيها، واستفزَّ أهلها على يزيد، وأخباره يكتب بها إلى يزيد. فلم يمرَّ بملأٍ من النّاس إلاّ لعنه وسمع كلامه، وقالوا: هذا عبدالله بن عمر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ينكر فعلَ يزيد بأهلِ بيتِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويستفزّ النّاس على يزيد، وانّ من لم يجبه لا دينَ له ولا إسلام. واضطرب الشّام بمن فيه، وورد دمشق، وأتى باب اللّعين يزيد في خُلْقٍ من النّاس يتلونه. فدخل آذن يزيد إليه، فأخبَرَهُ بورودِهِ، ويده على أمّ رأسِهِ، والنّاس يهرعون إليه قدّامه ووراءه. فقال يزيد: فورة من فورات أبي محمّد، وعن قليل يفيق منها. فأذن له وحدَهُ، فدخل صارِخاً يقول: لا أدخُلُ يا أمير المؤمنين وقد فعلْتَ بأهلِ بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ما لو تمكّنَتِ التُّرك والرومُ ما استحلُّوا ما استحللتَ، ولا فعلوا ما فعلتَ. قم عن هذا البساط حتّى يختار المسلمون من هو أحقُّ به منك. فرحّب به يزيد وتطاوَلَ له وضمّه إليه وقال له: أبا محمّد، اسكُنْ من فورتِكَ، واعقل، وَانظُرْ بعينِكَ، واسمع بأذنِكَ! ما تقول في عمر بن الخطّاب؟ أكانَ هادِياً مهديّاً خليفة رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وناصره ومصاهره بأختِكَ حفصة، والّذي قال لرسول الله: اللّات والعزّى يعبدان علانيَةً، ويعبد الله سرّاً؟ فقال عبدالله: هو كما وضعتَ.

فأيّ شيءٍ تقولُ فيه؟ قال: أبوك قلّد أبي أمر الشّام، أم أبي قلّد أباك خلافة رسول الله ﷺ؟ فقال: أبي قلّد أباك الشام. قال: يا أبا محمَّد أفترضى به وبعده إلى أبي؟ أو ما ترضاه؟ قال: بل أرضى. قال: أفترضَى بأبيك؟ قال: نعم. قال: فضربَ يزيد بيدِهِ على يد عبدالله بن عمر، وقال له: قم يا أبا محمّد حتّى تقرأهُ، فقامَ معه حتّى ورد خزانَةً من خزائِنِهِ، فدخلها، ودعا بصندوق ففتحَه، واستخرجَ منه تابوتاً مقفلاً مختوماً، فاستخرَجَ منه طوماراً لطيفاً في خرقة حرير سوداء، فأخذ الطّومارَ بيده ونشرَهُ، ثم قال: يا أبا محمَّد هذا خطّ أبيك؟ إي واللّهِ! فأخذه من يَدِهِ فقبَّلَهُ، فقال له: اقرأ! فقرأ ابن عمر، فإذا فيه:

بسم الله الرّحمن الرَّحيم

إنّ الّذي أكرهَنا بالسَّيف على الإقرار فأقرَرْنا والصّدورُ وَغِرَةٌ، والأنفسُ واجفةُ النيّات، والبصائر شائكة ممّا كانت عليه من جحدنا ما دعانا إليه وأطعناهُ فيه دفعاً لسيوفه عَنّا، وتكاثُرِهِ بالحيّ علينا من اليمن، وتعاضُدِ من سَمِعَ به ممَّنْ ترك دينه وما كان عليه آباؤه في قريش. فبهُبَل أقسمُ والأوثانِ واللات والعزّى ما جحدها عمر مذ عبدها، ولا عبد للكعبة ربّاً، ولا صدَّق لمحمّد قولاً، ولا ألقى السَّلام إلاّ للحيلةِ عليه، وإيقاع البطش به، فإنّه قد أتانا بسحرٍ عظيم، وزاد في سحرِهِ على سحر بني إسرائيل مع موسى وَفرعون وهارون وداود وسليمان وابن الأمة عيسى. ولقد أتانا بكلّ ما أتوا به من السّحْرِ، وزاد عليهم ما لو أنّهم شهدوه لأقرّوا له بأنّه سيّد السَّحَرة. فخذ يابن أبي سفيان سنّةَ قومِكَ واتّباع ملَّتِكَ والوفاء بما كانَ عليه سلفُكَ من جحد هَـذِهِ البيّنة الّتي يقولون: إنّ لها ربّاً أمرهم بإتيانِها والسَّعي حولها وجعلها لهم قبلَةً، فأقرّوا بالصَّلاةِ والحجّ الذي جعلوه ركناً، وزعموا أنّه لله اختلفوا. فكان ممّا أعان محمّداً منهم هذا الفارسي الطّمطماني روزبة، وقالوا: ﴿إنّه أوحى إليه أنَّ أوَّلَ بيتٍ وُضِعَ للنّاس للّذي ببكّةَ مباركاً وهدىً للعالمين﴾[1]، وقولهم﴿وقد نرى

(١) سورة آل عمران: آية ٩٦.

تقلُّب وجهك في السَّماء فلنولنيَّكَ قبلةً تـرضاهـا فَوَلِ وجهَـكَ شطر المسجـد الحرام وحيثما كنتم فولّـوا وجوهكم شطره﴾[1]. وجعلوا صـلاتهم للحجارة، فما الَّذِي أنكرَهُ علينا لولا سحره من عبادتنا للأصنام والأوثان واللاّتِ والعزَّى، وهي من الحجارة والخشب والنّحاس والفضّة والذّهب، لا واللاّتِ والعزّى مـا وجَدْنا سبباً للخروج عمّـا عندنـا، وإن سحروا وموَّهوا. فـانظر بعينٍ مبصـرة، واسمع بأذنٍ واعية، وتأمَّلْ بقلبك وعقلك ما هم فيه، واشكُـرِ اللاّتَ والعـزّى، واستخلاف السيّد الرُّشيد عتيق بن عبـد العزَّى على أمّـة محمّد، وتحكّمـه في أمـوالهم ودمائهم وشـريعتهم وأنفسهم وحلالهم وحـرامهم، وجنايـات الحقوق التي زعمـوا أنّهم يجبئونهـا لربّهم، ليقيمـوا بهـا أنصـارهم وأعـوانهم. فعـاش سديداً رشيداً يخضع جهـراً، ويشتدُّ سِـرّاً، ولا يجد حيلةً غيـر معاشـرةِ القوم، ولقـد وثبتُ على شهاب بني هـاشم الثّاقب، وقـرنها الـزّاهرَ وعلمهـا النّاصِـر، وعُدَّتها وعددها المسلَّمى بحيدرة المصاهِر لمحمّد على المرأة الَّتِي جعلوها سيّدةَ نساءِ العالمين يسمُّونها «فـاطمة» حَتَّى أتيتُ دار علي وفـاطمة وابنيهمـا الحسن والحسين، وابنتيهمـا زينب وأم كلثـوم، والأمــة المـدعــوَّة بـ (فضَّـة)، ومعي خـالد بن الـوليد وقنفـذ مولى أبي بكـر وصحبٌ من خواصّنـا، فقـرعتُ البـابَ عليهم قرعاً شديداً. فأجابتني الأمة ، فقلتُ لها: قولي لعليّ: دع الأباطيلَ ولا تلج نفسَكَ إلى طمع الخـلافةِ فليس الأمـرُ لَكَ. الأمـر لمن اختاره المسلمـون واجتمعوا عليه. وربِّ اللاّتِ وَالعزَّى والرَّأي لأبي بكرٍ لفشل عن الوصـول إلى ما وصل إليه من خلافة ابن أبي كبشة[2]، لكنّي أبديتُ لها صفحتي، وأظهرتُ لها بصري، وقلت للحيَّيْنِ نـزار وقحطان بعـد أن قلت لهم: ليس الخلافـة إلاّ في قريش، فأطيعوهم ما أطاعوا الله. وإنّمـا قلتُ ذلك: لِمَـا سبق من ابن أبي

---

(١) سورة البقرة: آية ١٥٠.

(٢) كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ابن أبي كبشة حيث شبّهـوه بابن أبي كبشـة رجلٌ من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثـان. أو هي كنيةوهب بن عبـد مناف جـدّه صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أمّه لأنّه كان نَزَعَ إليه في الشّبه، أو كنية زوج حليمة السّعدية.

طالب من وثوبه واستِئْثارِهِ بالدّماء الّتي سفكها في غزوات محمّد وقضاء ديونه، وهي ثمانون ألف درهم، وإنجاز عِدَاتِـهِ، وجمع القرآن فقضاها على تليده وطارفه. وقول المهاجرين والأنصار لمّا قلتُ: إنّ الإمامةَ في قريش. قالوا: هو الأصلع البطين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي أخذ رسول الله ﷺ البيعة له على أهل مِلّته، وسلّمنا له بإمرة المؤمنين في أربعة مواطِن، فإن كنتم نسيتموها معشرَ قريش فما نَسِيناها أو ليستِ البيعةُ والإمامةُ والخلافةُ والوصيّةُ حقّاً مفروضاً وأمراً صحيحاً لا تبرُّعاً ولا ادعاءً، فكذّبناهم، وأقمتُ أربعين رجلاً شهدوا على محمّد أنَّ الإمامةَ بالاختيار، فعند ذلك قال الأنصار: نحن أحقُّ من قريش، لأنّا آويناهُ ونصرناهُ وهاجَر النّاس إلينا. فإذا كان دُفِعَ مَنْ كان الأمر له، فَلَيْسَ هذا الأمر لكم دوننا. وقال قومٌ: مِنّا أميرٌ ومنكم أمير. قلنا لهم: قد شَهِدَ أربعون رَجُلاً أنَّ الأئمَّة من قريش، فَقَبِلَ قوم، وأنكر آخرون، وَتنازعوا، فقلتُ: والجمع يسمعون. ألاّ تختارون أكبرنا سنّاً وأكثَرَنا ليناً. قالوا: فمن تقولون؟ قلتُ: أبو بكر الَّذِي قدَّمَهُ رسولُ الله في الصَّلاة، وجلس معه في العريش يوم بدر يشاوِرُهُ ويأخذ برأيه، وكانَ صاحبه في الغار، وزوج ابنتِهِ عائشة الّتي سمّاها أم المؤمنين، فأقبل بنو هاشم يتميَّزون غيظاً، وعاضدهم الزُّبير، وسيفُهُ مشهور، وقال: لا أبايع إلاّ وأنا لا أملك رقبة قائمة سيفي هذا. فقلتُ: يا زبير: صرَّخَتُكَ سكنٌ من بني هاشم أمّك صفيّة بنت عبد المطلب. فقال: ذلكَ واللّهِ الشَّرفُ البازخ العالي والفخر الفاخِر، يابنَ حنتمة ويابن صهاك أُسْكُتْ لا أمّ لك. فقال قولاً: فوثب أربعون رَجُلاً ممن حضر سقيفة بني ساعدة على الزُّبير. فوالله ما قدرنا على أخذ سيفه من يده حتّى وسدّْناه الأرضَ، ولم نرَ له علينا ناصِراً، فوثبتُ إلى أبي بكر فصافحته وعاقدته البيعة، وتلاني عثمان بن عفّان وسائر من حضر، غير الزُّبير، وقلنا له: بايع أو نقتلك! ثم كففتُ عنه النّاس فقلتُ له: أمهلوه، فما غضب إلاّ نخوةً لبني هاشم. فأخذتُ أبا بكر بيده، فأقمتُهُ وهو يرعد، قد اختلط عقله، فأزعجته إلى منبر محمّد ازعاجاً، فقال لي: يا أبا حفص، أخافُ وثبةَ عليّ. فقلتُ: إنّ عليّاً عنك مشغول، وأعانَني على ذلك أبو عبيدة بن الجرَّاح كان يمدّ بيده إلى المنبر، وأنا أزعجُهُ من ورائه كالتيس على شفار الجازر

مبهوتاً. فقام عليه مدهوشاً. فقلتُ له: اخـطُبْ، فأُغْلِقَ عليـه وتشبَّث، فدهش وتلجلج، فغمض، فعضضتُ على كفّي غيظاً. فقلتُ: قُلْ ما سَنحَ لـكَ. فلم يـأتِ خيراً ولا معـروفاً. فـأردتُ أن أحطّه عَنِ المنبـر وأقـومَ مقـامَـهُ. فكـرهتُ تكـذيبَ النّاس لي بمـا قلتُ فيـه، وقـد سـألني الجمهـور منهم كيف قلتُ من فضلِهِ مـا قلتُ؟ ما الَّـذِي سمعتُـهُ من رسـولِ اللّهِ ﷺ في أبي بكـر؟ فقلتُ لهم: قد سمعتُ من فضلِهِ على لسان رسـولِ الله ﷺ ما لـوددتُ أنّي أكون شعـرة في صدره، ولي حكـايـة. فقلتُ: قـل: وإلاَّ فـانـزِلْ، فتبيَّنهـا واللّهِ في وجهي، وعُلِمَ أنَّه لو نـزل لرقيتُ وقلتُ مـا لا يهتدي إلى قـوله. فقـالَ بصوتٍ ضعيفٍ عليل: وُليتُكمْ ولستُ بخيـركم وعليٌّ فيكم. واعلمـوا أنّ لي شيـطانـاً يعتـريني، ومـا أراد بـه سـواي. فـإذا ذللتُ فقـوّمـوني، لا أقـع في شعــوركم وأبشاركم، وأستغفِرُ الله لي ولكم، ونزل. فأخذتُ بيده، وأعين النّاس تـرمقه، وغمزتُ يده غمزاً، ثم أجلستُهُ، وقدَّمْتُ النّاس إلى بيعتِـهِ وصحبتِهِ، لا رهبـةً، وكلّ من ينكر بيعتـه ويقول: مـا فعل علي بن أبي طـالب؟ فأقـولُ: خلعها من عنقه، وجعلها طاعة المسلمين قلَّة خلافٍ عليهم في اختيارهم، فصـار جليس بيتـه. فبايعـوا وهم كارهـون. فلمّا فشَت بيعتـه عَلِمْنا أنّ عليّـاً يحمـل فـاطمـة والحسن والحسين إلى دور المهاجرين والأنصار يذكّـرهم بيعته علينـا في أربعة مـواطن، ويستفزّهم فيعـدونه النُّصـرة ليلاً، ويقعـدون عنه نهـاراً. فـأتيتُ داره مستثيراً لإخراجه منها، فقامتِ الأمَةُ فضّـة، وقد قلتُ لهـا: قولي لِعَلِيّ يخـرج إلى بيعة أبي بكر، فقد اجتمَعَ عليه المسلمون، فقالت: إنّ أميرَ المؤمنين عليّاً مشغـول. فقلتُ: خلّي عنكِ هـذا وقولي: يخـرج وإلاَّ دخلْنا عليـهِ وأخرجْنـاهُ كـرهـاً. فخـرجت فـاطمـة فـوقفت من وراءِ البـاب، فقـالت: أيّهـا الضّـالـون المكذّبون! ماذا تقولون؟ وأيّ شيءٍ تريدون؟ فقلتُ: يا فاطمة! فقالت فاطمة: ما تشاء يا عمر؟ فقلتُ: ما بالُ ابنِ عمّـكِ قد أوردَكِ للجـواب وجلس مِنْ وراءِ الحجاب؟ فقالت لي: طغيانك يـا شقي أخرجني وألـزمَكَ الحجَّة وَكلّ ضـالّ غـوي. فقلتُ: دعي عنكِ الأبـاطيـل وأسـاطيـر السماءِ وقـولي لعلي: يخـرج. فقـالت: لا حبّاً ولا كـرامةً، أبحـزب الشّيطان تخـوّفني يا عمـر؟ وكـان حـزبُ

الشيطانِ ضعيفاً. فقلتُ: إن لم يخرج جئتُ بالحطب الجزل وضربتها ناراً على أهلِ هذا البيت، وأحرق مَنْ فيه، أو يقاد عليٌّ إلى البيعة. فضربت وأخذتُ سوط قنفذ، وقلت لخالد بن الوليد: أنتَ ورجالنا هلمُّوا في جمع الحطب. فقلتُ: إنّي مضرمُها. فقالت: يا عدوَّ الله وعدوّ رسوله وعدوّ أمير المؤمنين! فضربت فاطمة يدها من الباب تمنعني من فتحه فرمتُهُ فتصعَّبَ عليَّ. فضربتُ كفَّيها بالسَّوط فآلَمَها. فسمعتُ لها زفيراً وبكاءً، فكدت أن أَلينَ وأنقلِبَ عن الباب. فذكرتُ أحقادَ عليّ وولوغه في دماء صناديدِ العرب وكيد محمّد وسحرِهِ، فركلتُ البابَ وقد ألصَقَتْ أحشاءها بالباب تترّسه، وقد صرخَتْ صرخةً حسبتُها قد جعلَتْ أعلى المدينة أسفَلها. وقالت: يا أبتاه! يا رسولَ الله! هكذا كان يفعل بحبيبتكَ وابنتك!؟ آه يا فضّة إليكِ فخذيني. واللَّهِ قتل ما في أحشائي من حمل، وسمعتُها تمخض، وهي مستندَةً إلى الجدار، فدفعتُ البابَ ودخلتُ. وأقبلَتْ إليَّ بوجهٍ أغشى بصري. فصفقتُ صفقةً على خدَّيها مِنْ ظاهِر الخمار فانقطع قرطها وتناثر إلى الأرض، وخَرَجَ عَليٌّ، فلمّا أحْسَسْتُ به أسرعتُ إلى خارج الدَّار، وقلتُ لخالد وقنفذ ومن معهما: نجوتُ مِنْ أمرٍ عظيم (وفي رواية أخرى): قد جنيتُ جنايةً عظيمةً لا آمنُ على نفسي. وهذا علي قد برز من البيت، وما لي ولكم جميعاً به طاقة. فخرج عليٌّ وقد ضربَتْ يديها على ناصيتها لتكشفَ عنها، وتستغيث بالله ما نزلَ بها. فأسْبَلَ عليٌّ عليها ملاءَتَها وقال لها: يا بنتَ رسولِ اللَّهِ، إنّ الله بعثَ أباكِ رحمَةً للعالمين. وأيم الله لئن كشفْتِ عن ناصيتِكِ سائلة إلى رَبّكِ لِيهلك هذا الخلق لأجابَكِ حتّى لا يبقى على الأرض منهم بشر إلاَّ أنّكِ وأباكِ أعظمُ عند اللَّهِ من نوح الّذي غرق من أجله بالطّوفان جميع من على وجه الأرض وتحت السَّماء إلاّ من كان في السَّفينة، وأهلكَ قومَ هودٍ بتكذيبهم، وأهلك عاداً بريح صرصر. وأنتِ وأبوك أعظمُ قدراً من هود. وعذَّب ثمود وهي اثنا عشر ألفاً بعقر النَّاقَةِ والفصيل. فكوني يا سيّدة النّساء رحمةً على هذا الخلق المنكوس، ولا تكوني عذاباً، واشتدّ بها المخَاض ودخلت البيت، فأسقطت سقطاً سمّاه عليّ محسناً، وجمعتُ جمعاً كثيراً، لا مكاثرة لعلي، ولكن ليشتدّ

بهم قلبي، وجئت وهو محاصر فاستخرجته من دارِهِ مكرهاً مغصوباً، وسقته إلى البيعة سوقاً، وإنّي لأعلم علماً يقيناً لا شكَّ فيه لو اجتهدتُ أنا وجميع من على الأرض جميعاً على قهره ما قهرناه، ولكن لهناتٍ كانت في نفسها أعلمُها ولا أقولها. فلمَّا انتهيتُ إلى سقيفة بني ساعدة قام أبو بكر ومن بحضرته يستهزئون بعلي. فقال علي: يا عمر أتحبُّ أن أعجّل لكَ ما أخَّرته سوءاً عنْكَ؟ فقلتُ: لا، يا أمير المؤمنين. فسمعني والله خالد بن الوليد، فأسرَّ إلى أبي بكر. فقال له أبو بكر: ما لي ولعمر ثلاثاً؟ والنّاس يسمعون. ولمّا دخل السَّقيفة جثا أبو بكر إليه، فقلتُ له: قد بايعتَ يا أبا الحسن وانصرفَ. فأشهدُ ما بايعه ولا مدَّ يدَهُ إليه، وكرهتُ أن أطالبه بالبيعة ليعجّل لي ما أخَّره عنّي. ووُدَّ أبو بكر أنّه لم يرَ عليّاً في ذلك المكان جزَعاً وخوفاً منه. ورجع عليٌّ من السَّقيفةِ وسألنا عنه، فقالوا: مضى إلى قبر محمد، فجلسَ إليه، فقمتُ أنا وأبو بكر إليه، وجئنا نسعى. وأبو بكر يقول: ويلَكَ يا عمر! ما صنعت بفاطمة هذا واللّهِ الخسرانُ المبين. فقلتُ: إنَّ أعظمَ ما عليك أنّه ما بايعنا، ولا أثقُ بتثاقل المسلمين عنه. فقال: فما تصنع؟ فقلت: تظهر أنّه قد بايعك عند قبر محمّد فأتيناه، وقد جعل القبر مسنداً كفّه على تربته، وحوله سلمان وأبو ذرّ والمقداد وعمّار وحذيفة اليماني. فجلسنا بإزائه، وأوعزتُ إلى أبي بكر أن يضع يده على مثل ما وضع عليٌّ يده، ويقرّبها من يده، ففعل ذلكَ، وأخذتُ بيد أبي بكر لأمْسَحَها على يده وأقول: قد بايَعَ. فقبَضَ عليٌّ يده. فقمتُ وأبو بكر مُوَلّ وَأنا أقول: جزى الله عليّاً خيراً، فإنّه لم يمنعْكَ البيعة لمّا حضرتَ قبرَ رسولِ اللّهِ. فوثبَ من دون الجماعة أبو ذر جندب بن جنادة الغفّاري ويقول: واللّهِ يا عدوَّ اللّهِ ما بايع عليٌّ عتيقاً. ولم يزل كلّما لَقِيَنا قومٌ وأقبلْنا على قوم نخبرهم ببيعَتِهِ، وأبو ذر يكذّبنا. والله ما بايَعَنا في خلافة أبي بكر ولا في خلافتي، ولا يبايع لمن بعدي، ولا بايعنا من أصحابه إثنا عشر رَجُلاً، لا لأبي بكر ولا لي. فمن فعل يا معاوية فعلي؟ واستثار أحقادَهُ السَّالفة غيري؟ وأمّا أنتَ وأبوك أبو سفيان وأخوك عتبة فأعرفُ ما كان منكم في تكذيب محمّد وكيده وإدارة الدّوائر بمكّة، وطلبته في جبل حرَّى

لقتلِهِ وتـآلف الأحـزاب وجمعهم عليــه، وركـوب أبيــك الجمـل، وقـد قـاد الأحـزابَ، وقول محمّـد: لعن الله الرّاكب والقـائـد والسّـائق. ولم أنْسَ أمَّـك هنداً، وقد بذلت لوحشيّ ما بذلَتْ حتّى تكمّنُ نفسـه لحمزة الّـذي دعوه أسـد الرّحمن في أرضه، وطعنه بالحربة ففلق فؤاده وشقّ عنه، وأخـذ كبده، فحمله إلى أمّكَ فزعم محمّد بسحره أنّه أدخَلْتُهُ فـاهها لتـأكله فصارَ جلمـوداً، فَلَفَظَتْـهُ من فيهـا، فسمَّاهـا محمّد وأصحـابه آكلة الأكبـاد، وقولهـا في شعِرهـا لأعداء محمّد ومقاتليه:

«نحنُ بنات طارق شعـر ، نمشي على النّمـارق، كالـدّرِ في المخـالق، والمسك في المفارق، إن تقبلوا نعانِق، أو تدبروا نفارقِ ، فراق غير وامق» .

ونسـوتها في الثّيـاب الصّفر المـرسيّة، مبـديـات وجـوههنّ ومعـاصمهنّ وَرؤوسَهُنَّ يحرّضن على قتال محمّـد، إنّكم لم تسلموا طـوعاً، وإنّمـا أسلمْتُمُ كرْهاً يـومَ فتحِ مكّـة، فجعلكم طلقاء، وجعَـلَ زيداً وعقيـلاً أخا علي بن أبي طالب والعبّاس عمّهم مثلهم. وكـانَ من أبيك في نفسـه مَقَالٌ، والله يـابن أبي كبشـة لأملأنّهـا عليكَ خيـلاً ورجـلاً وأحـولُ بينـك وبين هـذه الأعـداءِ! فقـال محمّد: يؤذن للنّاس أنّه علم ما في نفسه أو يكفي الله شـرَّكَ يا أبـا سفيان وهـو يـرى النّاس أن لا يعلوهـا أحدٌ غيـري ومن يليه من أهـل بيتـه، فبـطل سحـره وخابَ سعيه. وعلاها أبو بكر، وعلوتُها بعده، وأرجو أن تكونوا معاشِرَ بني أميَّة عيـدانَ أطنابهـا. فمن ذلكَ قـد ولَّيْتُكَ وقلّدتُـكَ إباحة ملكها وعـرَّفْتُـكَ فيهـا، وخالفتَ قوله فيكم. وما أبالي من تأليف شعره ونثره أنّه قال: يُـوحَى إليَّ منزلاً من ربّي في قوله: «والشّجرة الملعونة في القرآن» فزعم أنّها أنتم يـا بني أميّة، فبيَّنَ عداوتَه حيثُ ملكَ كما لم يزل هـاشم وبنوه أعـداء بني عبد شمس، وأنـا مع تذكيري يا معاوِيَةُ وشرحي لكَ ما قد شرحته ناصحٌ لـك، ومشفِقٌ عليكَ من ضيق عـطفِـكَ، وخـرج صـدرك، وقلّة حلمِـكَ أن تعجّـل فيمـا وصيتُـكَ بـه، ومكّنتك منه شريعة محمّد وأُمّته أن تبدي لهم مطالبة بطعن أو شمـاتَةٌ بمـوت، ورداً عليه فيما أتى به، أو استصغاراً لما أتى به فتكون مِنَ الهـالكين، فتخفض ما رفعتَ، وتهدم ما بنيت. واحذر كلّ الحذر حيث دَخَلْتَ على محمّد مسجده

ومنبره، فصدّق محمّداً في كلّ ما أتى به وأورده ظاهِراً، وأظهر التحرُّز والواقعة في رعيَّتِكَ، وأوسعهم حلماً، وأعمَّهُمْ بروائح العطايا، وعليكَ بإقامة الحدود فيهم، ولا تُرِهم أنَّكَ تدع لِلَّهِ حقّاً، ولا تنقُصْ فَرْضاً ولا تغيّر لمحمّد سنَّةً فتفسد علينا الأمَّة، بل خذهم من مأمَنِهِمْ، واقتلهُمْ بأيديهم، وأبِدْهم بسيوفِهم، وتطاوَلْهم وتناجزهُمْ، ولِنْ لَهُمْ، ولا تبخس عليهم، وافسَحْ لهم في مجلسِكَ، وشرّفهم في مقعدك، وتوصَّلْ إلى قتلِهِمْ برئيسهم، وأظهر البشرَ والبشاشةَ، بل أكظم غيظَكَ واعفُ عنهم يحبُّوكَ ويطيعوكَ. فما آمَنْ علينا وعليكَ ثورةُ عليّ وشبلَيْهِ الحسن والحسين، فإن أمكنَكَ في عدّةٍ من الأمَّةِ فبادر ولا تقنَعْ بصغائرِ الأمور، واقصد بعظمها واحفظنّ وصيَّتي إليكَ، وعهدي وأخفه ولا تبدِهِ، وامتثل أمري ونهيي، وانهض بطاعتي، وإيَّاكَ والخلاف عَلَيَّ، واسلُكْ طريق أسلافِكَ، بثارِكَ، واقْتَفِ آثارهم، فقد أخرجتُ إليك بسرّي وجهري، وشفَعْتُ هذا بقولي:

معاوِيَ إنَّ القوم جلَّتْ أمورهم ... بدعوةِ مَنْ عَمَّ البريَّة بالوتْر
صبوتُ إلى دينٍ لهم فأرابني ... فأبعِدْ بدينٍ قد قصمتُ به ظهري
وإن أنْسِ لا أنْسَى الوليد وشيبَةً ... وعتبة والعاصَ الصَّريع لدى بدر
وتحت شغافِ القلب لَدْغٌ لفقدهِمْ ... أبو حكم الضئيل من الفقر[1]
أولئِكَ فاطلبْ يا معاويَ ثارهُمْ ... بنصل سيوف الهند والأسل السُّمْرِ
وَصِلْ برجال الشَّامِ في معشرٍ بهم ... هم الأسْدُ والباقون في أكم الوعر
توصَّلْ إلى التَّخليط في الملَّة الَّتي ... أتانا به الماضي المموَّه بالسّحْرِ
وطالِبْ بأحقادٍ لكَ مظهِراً ... لعلّة دينٍ عمَّ كلَّ بني النّضرِ
فلسْتَ تنالُ الثَّأر إلَّا بدينهم ... فقتّلْ بسيف الحقّ جيدَ بني عمر[2]
لهذا فقد وَلَّيْتكَ الشّام راجياً ... وأنتَ جديرٌ أن تؤول إلى صَخْرِ

---

(١) هكذا وُجِدَ في الأصل.
(٢) لعلّ المراد بنو عمران، وهم بنو أبي طالب.

قال: فلمّا قرأ عبدالله بن عمر هذا العهد قامَ إلى يزيد فقبّل رأسه وقال: الحمد لله يا أمير المؤمنين على قتلِكَ الشّاري بن الشّاري. واللّهِ ما أَخْرَجَ أبي إليَّ ما أخرجَ إلى أبيكَ. واللّهِ لا رآني أحدٌ من رهط محمّد بحيث يحبُّ ويرضى. فأحْسَنَ جائزتَهُ، وبرَّه وردَّهُ مكرَّماً. فخرج عبدالله بن عمر من عنده ضاحِكاً، فقال له النّاسُ: ما قالَ لك؟ قال قولاً صادِقاً لودِدْتُ أنّي كنتُ مشاركَهُ فيه وسارَ راجعاً إلى المدينة. وكان جوابه لمن يلقاهُ هذا الجواب.

ويروى أنّه أخرج يزيد لعنه الله إلى عبدالله بن عمر كتاباً فيه عهد عثمان بن عَفّان. فيه أغلظُ من هذا وأدهى وأعظم من العهد الّذِي كتبه عمر لمعاوية. فلمّا قرأ عبدالله العهد الآخر قامَ فقبَّلَ رأس يزيد لعنهما الله. وقال: الحمد للّهِ على قتلِكَ الشّاري بن الشّاري. واعلَمْ أنَّ والدي عمر أخرَجَ إليَّ من سرِّه بمثل هذا الّذي أخرجه إلى أبيك معاوية. ولا أرى أحداً من رهطِ محمّد وأهله وشيعته بعد يومي هذا غير منطوٍ لهم على خيرٍ أبداً. فقال يزيد: فيه شرح الخفايا يابن عمر. والحمد لله ربِّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله[1].

ونختم هذا الفَصْلَ بحديث حذيفة بن اليماني، لأنّه يدعم هَذا الفصل، ويؤيّد انحرافَ بعضِ الصَّحابة، وتآمرهم على علي عليه السلام، ويدعم فَضْلَ الولاية، وتآمرهم على بيعة يوم الغدير. وقد نقلناهُ من كتاب (الأنوار النّعمانية) للسيّد نعمة الله الجزائري، وقد نقله عن العلاّمة الزّكي محمّد باقر بن البهي محمّد تقي المجلسي. وقد استخرجَهُ من كتاب (إرشاد القلوب) تأليف الشّيخ الحسن بن أبي الحسن الدّيلمي، ممّا رواه مرفوعاً. قالَ: لما استُخْلِفَ عثمان بن عفّان آوى إليه عمّه الحكم بن العاص. وولَدَهُ مروان، والحارث بن الحكم. ووجَّه عمّاله في أمصار يمن. وكان فيمن وجَّه

(١) كتاب تظلّم الزّهراء من إهراق دماء أهل العباء: للقزويني من ص ٢٦٢ حتى ٢٦٨، ط ١٣١٢ هـ.

عمر بن سفيان بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة إلى «مشكان»، والحارث بن الحكم إلى «المدائن» فأقامَ بها مُدَّةً يتعسَّفُ أهلَها، ويسيءُ معاملتهم. فوفَدَ منهم إلى عثمان وَفْدٌ شكوه إليه، وأعلموه بسوء ما يعاملهم به، وأغلظوا عليه في القول. فولّى حُذَيْفَة بن اليماني عليهم. وذلكَ في آخر أيَّامه، فلم ينصرِفْ حذيفةُ بن اليماني عن المدائن إلى أن قُتِلَ عثمان، واسْتُخْلِفَ علي بن أبي طالب صلوات اللّهِ وسلامه عليه. فأقامَ حذيفَةَ عليها، وكتبَ إليه:

بسم الله الرّحمن الرَّحيم

من عبدالله علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى حذيفة بن اليماني، سلامٌ عليكَ.

أمَّا بعدُ: فإنّي قد ولَّيْتُكَ ما كنتَ تليه لمن كان قبلي من حرفِ المدائِن، وقد جعلتُ إليك أعمال الخراج والرّسْتاقِ وجباية أهل الذّمة، فاجمع إليكَ ثقاتَكَ، ومن أحببتَ ممَّنْ ترضى دينه وأمانتَهُ، واستَعِنْ بهم عَلى أعمالِكَ، فإنَّ ذلكَ أعزُّ لكَ ولوليّكَ، وأكْبَتُ لعدوّك. وإنّي آمُركَ بتقوى اللّهِ وطاعتِهِ في السّر والعلانِيَةِ، وأحذّرك عقابه في المغيبِ وفي المشهد، وأتقدّم إليك بالإحسان إلى المحسن، والشّدة على المعانِد، وآمُركَ بالرّفق في أمورك، واللّين والعدل على رعيَّتِكَ، فإنّكَ مسؤولٌ عن ذلك، وإنصاف المظلوم، والعفو عن النَّاس، وحسن السّيرة ما استطعْتَ. فالله يجزي المحسنين. وآمُرُكَ أن تجبي خراج الأرضين على الحقّ والنّصفة، ولا تتجاوز ما تقدَّمْتُ به إليكَ، ولا تدع منه شيئاً، ولا تبتدِعْ فيه أمراً، ثمّ أقسمه بين أهلِهِ بالسَّويَّة والعدل، واخفض جناحَكَ لرعيَّتِكَ، وواسِ بينهم في مجلسك. وليكُنِ القريب والبعيدُ عندَكَ في الحق سواء. واحكُمْ بين النّاس بالحقّ، وأقِمْ فيهم بالقسطِ، ولا تتّبع الهوى، ولا تخف في الله لومة لائم. فإنّ الله مع الّذين اتّقوا والّذين هم محسنون. وقد وجَّهْتُ إليكَ كتاباً لتقرأه على أهل مملكَتِكَ، ليعلموا رأينا فيهم وفي جميع المسلمين، فأحضرهم

واقرأهُ عليهم، وخُذِ البيعَةَ لنا على الصَّغِير والكبير منهم إن شاء الله تعالى.

قال: فلمّا وصل عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى حذيفة جمع النَّاس فصَلَّى بهم، ثمَّ أمرهم بالكتاب، فقرأ عليهم، وهو:

بسم الله الرّحمن الرَّحيم

من عبداللّهِ علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى من بَلَغَهُ كتابي هذا من المسلمين، سلامٌ عليكم، فإنّي أحمدُ إليكم اللَّهَ الّذي لا إلَهَ إلاّ الله، وأسأله أن يصلّي على محمّدٍ وآل محمّد.

أمَّا بعد: فإنَّ اللَّهَ تعالى اختار الإسلامَ ديناً لنفسه وملائِكَتِهِ ورسله إحكاماً لصنعه وحسن تدبيره، ونظراً منه لعبادِهِ، واختصَّ به مَنْ أحبَّ من خلقِهِ، فبعث إليهم محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم، فعلَّمهم الكتابَ والحكمة إكراماً وَتفضُّلاً لهذه الأمَّة، وأدَّبهم لكي يهتدوا، وجمَعُهمْ لئلاَّ يتفرَّقوا، ووفّقهم لِئَلاَّ يجوروا. فلمَّا قضى ما كان عليه من ذلكَ مضى إلى رحمَةِ ربّه حميداً محموداً، ثمَّ أنّ بعضَ المسلمين أقاموا بعده رجلينِ رضوا بهديهما وسيرتهما، فأقامَا ما شاءَ الله، ثمَّ توفّاهما الله عزَّ وجلَّ، ثم ولّوا بعدهما الثَّالث، فأحدَثَ أحداثاً، ووجدَتِ الأمّةُ عليه فِعالاً، فاتفقوا عليه، ثمَّ نقموا منه فغيَّرُوا، ثمّ جاؤوني كتتابعِ الخيل فبايعوني. فأنا أستهدي الله بهداه، وأستعينُه على التقوى. ألاَ وإنّ لكم علينا العملَ بكتاب الله وسنَّةِ نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وَالقيام عليكم بحقّهِ، وإحياء سنَّتِهِ، والنّصح لكم بالمغيب والمشهد، وَبالله نستعينُ على ذلكَ. وهو حسبُنا ونعم الوكيل. وقد وَلَّيْتُ أمورَكُمْ حذيفة بن اليماني، وهو ممَّن أرتضِي بهداهُ، وأرجو صلاحه، وقد أمرتُهُ بالإحسان إلى محسنكم، والشدَّة على مريبكم، والرِّفق بجميعكم. أسألُ اللَّهَ لنا ولكم حسن الخيرة والإحسان ورحمته الواسعة في الدُّنيا والآخرة، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال: ثُمَّ إنّ حذيفة صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمّد وآل محمّد، ثم قال: الحمد لِلّهِ الّذي أحْيَا الحقّ وأمات الباطِل،

وجاءَ بالعدل، وأدحض بالجور، وكبَتَ الظالمين. أيّها النّاس: إنّما وليُّكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقّاً حقّاً، وخير من نعلمه بعد نبيّنا رسولِ الله ﷺ، وأولى النّاس بالنّاس، وأحقّهم بالأمر، وأقربهم إلى الصّدق، وأرشدهم إلى العدل، وأهداهم سبيلاً، وأدناهم إلى الله وسيلةً، وأمسُّهُمْ برسولِ اللّهِ ﷺ رَحِماً، أنيبوا إلى طاعَةِ أوّل النّاس سِلْماً، وأكثرهم عِلْماً، وأصدقهم طريقاً، وأسبقهم إيماناً، وأحسنهم يقيناً، وأكثرهم معروفاً، وأقدمهم جهاداً، وأعزّهم مقاماً، أخي رسول الله وابن عمّه، وأبي الحسن والحسين وزوج الزّهراء البتول سيّدة نساءالعالمين. فقوموا أيُّها النّاس، فبايعوا على كتاب الله وسنّة نبيّه، فإنّ لله في ذلك رضاءً، ولكم مقنعٌ وصلاح والسّلام.

فقامَ النّاسُ بأجمعهم، وبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام أحسنَ بيعةٍ وأجمعها. فلمّا استتمّتِ البيعة قام إليه فتىً من أبناء العجم وولاة الأنصار لمحمّد بن عمارة بن تيهان أخي أبي الهيثم بن تيهان يقال له مُسلّم، متقلّداً سيفاً. فناداهُ من أقْصَى النّاس: أيّها الأمير: إنّا سمعناكَ تقولُ في أوّل كلامِكَ: «إنّما وليُّكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقّاً، فعرّفنا ذلكَ أيها الأمير - رَحِمَكَ الله - ولا تكتمنا، فإنّكَ ممن شهِدَ وغبنا. ونحن مقلّدون ذلكَ في أعناقكم. واللّهُ شاهِدٌ عليكم فيما تأتون به من النّصِيحة لأُمّتِكم، وصدق الخبر عن نبيّكم ﷺ. فقال حذيفةُ: أيّها الرّجل: أمّا إذا سألتَ وفحصتَ هكذا فاسمَعْ وافهم ما أخبرُكَ به.

أمّا من تقدّم من الخلفاء قبل علي بن أبي طالب عليه السلام ممّن تسمّى بأمير المؤمنين فإنّهم تسَمّوا بذلكَ وسمّاهم النّاس به. وأمّا علي بن أبي طالب عليه السلام فإنّ جبرئيل عليه السلام سمّاه بهذا الاسم عن الله تعالى، وشهِدَ له رسول الله ﷺ عن سلام جبرئيل بإمرة المؤمنين. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يدعونه في حياة رسول الله بإمرة المؤمنين. قال الفتى: أخبرني كيف كان ذلك يرحَمُكَ اللّه؟ قال حذيفة: إنّ النّاس كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ قبل الحجاب إذا شاؤوا، فنهاهُمْ رسولُ اللّهِ ﷺ أن يدخل أحدٌ

إليهِ، وعنده دحية بن خليفةَ الكلبي. فكان رسولُ الله ﷺ يراسِلُ قيصراً ملك الرُّوم وبني حنيفة وملوك بني غسَّان على يَدِهِ. وكان جبرئيل يهبط عليه في صورته. ولذلكَ نهى رسولُ اللّهِ ﷺ أن يدخل المسلمون عليه إذا كان عنده دحية.

قال حُذَيْفَةُ: وإنّي أقبلْتُ يوماً لبعض أموري إلى رسولِ اللّهِ ﷺ مهجراً رجاءَ أنْ أَلْقَاهُ خالياً، فلمّا صرتُ بالباب نظرتُ فإذا أنا بشملَةٍ قد سُدِلَتْ على الباب، فرفعتُها وهممْتُ بالدُّخول. وكذلك كنّا نصنَعُ، فإذا بدحية قاعد، والنبيُّ ﷺ نائم، ورأسه في حجر دحية. فلمَّا رأيته انصرفتُ فلقيني علي بن أبي طالب عليه السلام في بعض الطَّريق. فقال: يابن اليماني مِنْ أين أقبلْتَ؟ من عند رسول الله ﷺ . قال: وماذا صنعْتَ عندَهُ؟ قلتُ: أردتُ الدُّخولَ عليه في كذا وكذا. وذكرتُ الأمر الَّذِي جئتُ له، فلم يتهيَّأ لي ذلكَ. قال: وَلِمَ؟ قلتُ: كان عنده دحية الكلبي، وَسألتُ عليّاً عليه السلام معونتي على رسولِ اللّهِ ﷺ في ذلكَ؟ قال: فارْجَعْ معي. فرجعْتُ معه، فلمّا صرنا إلى باب الدَّار جلستُ بالباب، وَرَفَعَ عليٌّ الشَّملةَ ودخَلَ، فسلَّمَ. فسمِعْتُ دحيةَ يقول: وعليكَ السَّلامُ يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. ثمَّ قال له: اجلس، فخُذْ رأسَ أخيك وابنَ عَمِّكَ من حجري، فأنت أولى النَّاس به. فجلس علي عليه السلام وأخذ رأسَ رسولِ الله ﷺ فجعله في حجرِهِ، وخرج دحيَةُ من البيت. فقالَ عليٌّ عليه السلام : ادخُلْ يا حذيفة. فدخلْتُ وجلستُ، فما كانَ بأسرع أن انتبَهَ رسول الله ﷺ فضحِكَ في وجه علي عليه السلام ، ثمَّ قال: يا أبا الحسن، مِنْ حجر مَنْ أخذتَ رأسي؟ قال: من حجر دحية الكلبي. فقال ﷺ : ذلكَ جبرئيل عليه السلام . فما قلتَ حين دخلْتَ؟ وما قالَ لكَ؟ قال: دخلتُ فسلَّمْتُ، فقال لي: وعليكَ السَّلاَمُ يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال رسولُ الله ﷺ : «يا علي سلَّمَتْ عليكَ ملائكة الله وسكان سمواته بإمْرَةِ المؤمنين من قبل أن يسلِّمَ عليكَ أهلُ الأرض. يا عليُّ إن جبرئيل فعلَ ذلكَ عن أمرِ اللّهِ عزّ وجَلَّ، وقد أوحَى إليَّ عن ربّي تباركَ وتعالى من قبل دخولك أن أفرض ذلك على

النّاس، وأنا فاعِلٌ ذلك إنْ شاءَ اللَّهَ تعالى». فلمّا كانَ من الغد بعثني رسول الله ﷺ إلى ناحية (فدك) في حاجة ، فلبثتُ أيّاماً، ثم قدمتُ، فوجدت النّاس يتحدّثون أن رسول الله ﷺ أمر النّاس أن يُسَلّموا على علي عليه السلام بإمرةِ المؤمنين، وأنّ جبرئيل عليه السلام أتاهُ بذلكَ عن الله عزّ وجَلّ. فقلتُ: صدق رسول الله ﷺ . وأنا قد سمعتُ جبرئيل سلّم على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، وحدَّثتهم الحديث، فسمعني عمر بن الخطّاب وأنا أُحدّثُ النّاس في المسجد، فقال لي: أنت رأيتَ جبرئيل وسمعته؟ اتّقِ القولَ، فقد قلتَ قولاً عظيماً، وقد خولِطَ بكَ. فقلتُ: نعم، أنا رأيتُ ذلكَ وسمعتُهُ، فأرْغَمَ الله أنت من أرغم. فقال: يا أبا عبدِ اللَّهِ، لقد رأيتَ وسمعتَ عجباً .

قال حذيفة: فسمعني بريدة بن الخصيب الأسلمي، وأنا أُحدّثُ بِبَعْضِ ما رأيتُ وسمعتُ. فقال لي: واللَّهِ يابن اليمان، لقد أمرهم رسول الله ﷺ بالسَّلام على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، فاستجابت له طائفة يسيرة مِنَ النَّاس، وردّ عليه ذلك وأباهُ كثيرٌ مِنَ النّاس، فقلتُ: يا بريدة أكُنْتَ شاهِداً ذلك اليوم؟ فقال: نعم، من أوَّله إلى آخرِهِ. فقلتُ له: حدَّثني به رحمك الله، فإنّي كنتُ عن ذلك اليوم غائِباً. فقال بريدة: كنْتُ أنا وعمّار أخي عند رسول الله ﷺ في نخل بني النَّجّار، فدَخَلَ علينا علي ابن أبي طالب عليه السلام ، فسلَّم فردَّ عليه رسول الله ﷺ ورددْنا. ثمَّ قال له: يا علي اجلس هناكَ، فجلس ودخَلَ رجالٌ، فأمرهم رسولُ الله ﷺ بالسَّلامِ على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين فسَلَّموا وما كادوا، ثمَّ دخل أبو بكر وعمر فسلَّما. فقالَ لهما رسول الله: سَلّما على علي بإمرة المؤمنين. فقالا: الإمرة من الله ورسوله؟ فقال: نعم، ثمَّ دخل طلحة وسعد بن مالِك فسلَّما. فقال لهما النّبي: سَلِما على علي بإمرة المؤمنين، فقالا: عن الله ورسوله؟ فقال: نعم. فقالا: سمعنا وأطعنا. ثمَّ دخلَ سلمان الفارسي وأبو ذرّ الغفّاري رضي الله عنه فسلَّما، فردَّ عليهما السَّلام. ثمَّ قال: سَلّما على علي بإمرة المؤمنين. فسلَّما، ولم يقولا شيئاً، ثمَّ دخل خزيمة بن ثابت وأبو الهيثم بن التّيهان، فسلّما، فردَّ عليهما السَّلام. ثمَّ قال: سَلّما على عليّ

بإمرة المؤمنين. فسلّما ولم يقولا شيئاً. ثمّ دخَلَ عمّار والمقداد فسلّما، فردَّ عليهما السّلام وقال: سَلّما على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين، ففعلا، ولم يقولا شيئاً. ثمّ دخل عثمان وأبو عبيدة، فسلّما فردَّ عليهما السّلام وقال: سلّما على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين. قالا: عَنِ الله ورسولِهِ؟ قال: نعم، ثمّ دخلَ فلان وفلان وعدّ جماعةً من المهاجرين والأنصار. كلّ ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سَلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين، فبعضٌ يُسَلّم ولا يقول شيئاً، وبعْضٌ يقول للنّبي صلى الله عليه وآله وسلم : أعنِ اللّهِ ورسوله؟ فيقول: نعم، حتّى غصّ المجلس بـأهله، وامتلأت الحجـرة، وجلس بعضٌ على الباب وفي الطّرِيق، وكانوا يدخلون فيسلّمون ويخرجون. ثمّ قال لي ولأخي: قم يـا بريدة أنتَ وأخوكَ فسلّما على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين. فقمنا وسلّمنا، ثمّ عـدنا إلى مـواضِعنا، فجلَسْنـا. قالـوا: ثمّ أقبل رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عليهم جميعاً. فقال: اسمعوا وعَوُا. إنّي أمرتكم أن تسلّموا على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين. وإنّ رجالاً سألوني، أذلِكَ عن أمر الله وأمر رسوله؟ ما كان لمحمّد أن يأتي أمراً من تلقاءِ نفسه، بل بوحي ربّه وأمره، أفرأيتم، والّذي نفسِي بيده لَئِن أبيتم ونقضتموه لتكفرون ولتفارقون ما بعثني بـه رَبّي. فمن شاء فليؤمن ومن شاءَ فليكفر.

قال بريدة: فلمّا خرجنا سمعتُ بعض أولئك الّذِين أُمِروا بالسّلام على علي عليه السلام بإمرةِ المؤمنين يقول لصاحبه: وقد التفَّتْ بهما طائفة مِنَ الجفاة البغاة (البطاة) عن الإسلام من قريشٍ، أما رأيت ما صَنَعَ محمّد بابن عمّه من علوّ المنزلة والمكانة، ولو يستطيع واللّهِ لجعله نبيّاً من بعده. فقال له صاحبه: أمسِكْ ولا يكبرَنَّ عليكَ هذا، فإنّا لو فقدنا محمّداً لكانَ فعله هذا تحتَ أقدامِنا.

قال حذيفة: ثمّ خرج ومضى بريدة إلى بعض طريق الشّام، ورجع، وقد قبض رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، وبايع النّاس أبا بكر، فأقبل بريدة، فدخَلَ المسجد وأبو بكـر على المنبر، وعمـر دونه بمـرقاة، فنـاداهما من نـاحية المسجد: يا أبا بكر ويا عمر، فقالا: مالكَ يا بريدة جننتَ؟ فقال لهما:

واللّهِ ما جننتُ، ولكِنْ أين سلامكما بالأمس على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين؟ فقال له أبو بكر: يا بريدة، الأمر يحدث بعده الأمر فإنَّكَ غبتَ وشِهْدنا. والشّاهدُ يرى ما لا يرى الغائِب. فقالَ لهما: رأيتما ما لم يره الله ولا رسوله. ولكنّ هذا وفاء صاحبكَ بقوله: لو فقدْنا محمّداً لكان قوله هذا تحت أقدامِنا. ألاَ إنَّ المدينة حرامٌ عليَّ أن أسكنها أبداً حتّى أموت. فخرجَ بريدة بأهله وولدِهِ، فنزلَ بين قومه بني أسلم. فكان يطلع في الوقت دون الوقتِ. فلَمَّا قُضِيَ الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام سار إليه، وكان معه حَتّى قدم العراق فلمّا أُصيبَ أمير المؤمنين عليه السلام سار إلى خراسان فنزلها إلى أن مات.

قال حذيفة: فهذه أنباء ما سألتَنِي عنه. فقال الفتى: لا جزى اللّهُ الّذين شهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوه يقول هذا القول في علي خيراً، فقد خانوا الله ورسولَهُ، وأزالوا الأمر عمّن رضيه الله ورسوله، وأقرُّوهُ فيمن لم يره الله ولا رسوله لذلك أهلاً، لا جرَمَ واللّهِ لن يفلحوا بعدها أبداً. فنزل حذيفة عن منبره فقال: يا أخا الأنصار إنّ الأمر كان أعظمُ ممّا تظنّ. إنّه عَذُبَ والله الصَّبرُ، وذهبَ اليقين، وكثُر المخالف، وَقلَّ النّاصِر لأهلِ الحقّ. فقال له الفتى: فهَلاَّ انتضيتُمْ أسيافكم وَضعتموها على رقابكم، وضربتم بها الزَّائِلين عن الحق قَدَماً قَدَماً حتّى تموتوا أو تدرِكوا الأمر الّذي تحبّونه من طاعةِ الله عزّ وجَلّ وطاعَةِ رسوله؟ فقال له: أيّها الفتى، إنّهم أخذوا واللّهِ بأسماعِنا وأبصارِنا وكرهنا الموت، وزينت عندنا الحياة الدُّنيا، وسبق علم الله بإمرةِ الظّالمين، ونحن نسأل الله التّغمُّد لذنوبنا، والعصمة فيما بقي من آجالِنا، فإنّه مالِكٌ رحيم.

ثم انصرف حذيفة إلى منزله، وتفرَّق النّاس. قال عبداللّهِ بن سلَمة: فبينما أنا ذاتَ يومٍ عند حذيفة أعودُهُ في مرضِهِ الّذِي ماتَ فيه، وقد كانَ يوم قدمتُ فيه من الكوفة، وذلكَ من قبل قدومِ علي عليه السلام إلى العراق. فبينما أنا عنده إذ جاء الفتى الأنصاري فدخَلَ على حذيفة فرحَّبَ به وأدناه وقرّب مجلسه، وخرج من كانَ عند حذيفةَ من عوّاده. وأقبل عليه الفتى وقال: يا أبا

عبدالله: سمعتُكَ يوماً تحدَّثتَ عن بريدة بن الخصيب الأسلمي أنّه سمع بعض القوم الَّذين أمرهم رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يسلّموا على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين يقول لصاحبه: أما رأيتَ اليوم ما صنع محمّد بابن عمه من التّشريف وعلوّ المنزلة حَتَّى لو قدر أن يجعله نبيّاً لفعل. فأجابه صاحبُهُ فقال: لا يكبُرَنَّ عليكَ، فلو فقدْنا محمّداً لكان قوله تحت أقدامِنا. وقد ظننتُ نداء بريدة لهما وهما على المنبر أنّهما صاحِبا القولِ. قال حذيفة: أجَلْ. القائل عمر والمجيب أبو بكر. فقال الفتى: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. هلكَ واللّهِ القومُ، وبطلت أعمالهم. قال حذيفة: ولم يَزَلِ القومُ على ذلك الارتداد، وما يعلَمُ الله منهم أكثر.

قال الفتى: كنتُ أحبُّ أن أتعرَّف هذا الأمر من فعلهم، ولكّني أجدُكَ مريضاً، وأنا أكرهُ أن أملَّكَ بحديثي ومسألتي. وقام لينصرِف. قال حذيفة: لا، اجلس يابن أخي وتلقَّ منّي حديثَهُمْ، وإن كربني ذلك، فلا أحسبني إلاّ مفارقهم. إنّي لا أحبُّ أن تغترّ بمنزلتهما في النّاس، فهذا ما أقدرُ عليه من النصيحةِ لك، ولأمير المؤمنين عليه السلام من الطّاعةِ له ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر منزلته. فقال: يا أبا عبدالله، حدّثني بما عندك من أمورهم لأكون على بصيرةٍ من ذلك. فقالَ حذيفة: إذن واللّهِ لأخبرنَّكَ بخيرٍ سمعته ورأيته. ولقد واللّهِ دلَّنا على ذلك من فعلهم على أنّهم واللّهِ ما آمنوا بالله ولا برسوله طرفة عين.

وأُخبرُكَ أنّ اللّهُ تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في سنةِ عشرٍ من مهاجرتِهِ من مكّة إلى المدينةِ أن يحجّ هو ويحجّ النّاس معه، فأوحى إليه بذلك: ﴿وأذّنْ في النّاس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتين من كلّ فجّ عميق﴾[1]. فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤذّنين، فأذّنوا في أهل السافلة والعالية ألاَ إنّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قد عزمَ على الحجّ في عامه هذا ليفهّم النّاسَّ حجَّهم، ويعلّمهم مناسِكَهُمْ، فيكون سنّةً لهم إلى آخر الدّهر. قال: فلم يبق أحدٌ ممن

(١) سورة الحج: آية ٢٧.

دخل في الإسلام إلاّ حجّ مع رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة عشرٍ ليشهدَ منافِعَ لهم، ويعلّمهم حجّهم، ويعرّفهم مناسكهم. وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنّاس، وعرّف النّاس جميع ما احتاجوا إليه، وأعلمهُمْ أنّه قد أقامَ لهم ملّةَ إبراهيم عليه السلام ، وقد أزال عنهم جميع ما أحدثه المشركون بعده، وردَّ الحج إلى حالته الأولى، ودخل مكّة، فأقامَ بها يوماً واحداً، فهبط جبرئيل عليه السلام بأوّل سورة العنكبوت. فقال: يا محمّد، إقرأ: بسم اللّهِ الرَّحمن الرَّحيم. **﴿آلم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يتركوا أن يقولوا آمَنَّا وهم لا يُفْتَنون. ولقد فتنَّا الّذين من قبلهم فليعَلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَليعَلمنَّ الكاذبين . أم حسِبَ الَّذِين يعملون السَّيّئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون﴾**[1] .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا جبرئيل، وما هذه الفتنة؟ فقالَ: يا محمّد، إنّ الله يقرئُكَ السَّلام، ويقول لك: إنّي ما أرسلتُ نَبِيّاً قبلك إلاّ أمرته عند انقضاءِ أجله أن يستخلِفَ على أُمّتِهِ من بعده من يقوم مقامه، ويحيَى لهم سنّته وأحكامه. فالمطيعون لِلّهِ فيما يأمرهم به رسوله هم الصّادقون. والمخالفون على أمره هم الكاذبون. وقد دنا يا محمّد مصيرَكَ إلى رَبّك وجنّتِهِ، وهو يأمرُك أن تنصب لأمّتِكَ مِنْ بعدِكَ علي بن أبي طالب عليه السلام ، وتعهد عليه. فهو الخليفة القائم برعيّتكَ وأُمّتِكَ، إن أطاعُوهُ أسلموا، وإن عصوه كفروا، وسيفعَلُونَ ذلكَ. وهي الفتنة الّتي تلوتَ الآي فيها. وإنّ الله عزّ وجلّ يأمرُكَ أن تعلّمُ جميع ما علّمك، وتستحفظه جميع ما حفظك واستودعَكَ. فإنّه الأمين المؤتمن. يا محمّد، إنّي اخترتُكَ من عبادي نبيّاً، واخترتُه لكَ وَصِيّاً .

قال: فدعا رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً يوماً، فخلابه يومه ذلك وليلته، واستودعه العلم والحكمة الّتي أتاه الله إيّاها، وعرّفه ما قال جبرئيل عليه السلام ، وكان ذلكَ في يوم عائشة بنت أبي بكر. فقالت: يا رسولَ الله، لقد طالَ استخلاؤكَ بعليّ منذ اليوم؟ قال: فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقالت: لِمَ

---

(١) سورة العنكبوت: آية ١ و٢ و٣ و٤ .

تعرضُ عنّي يا رسولَ الله بأمرٍ لعلّه يكون لي صلاحاً؟ فقال: صدقْتِ. أيم الله، إنّه لأمرُ صلاحٍ لمن أسعده الله بقبوله والإيمان به، وقد أمرتُ بدعاء النّاس جميعاً إليه، وستعلمينَ ذلكَ، إذا أنا قمتُ به في النّاس. قالت: يا رسولَ الله، ولِمَ لا تخبرني به الآن لأتقدّم بالعمل به، والأخذ بما فيه صلاح؟ قال: سأخبرُكِ به. فاحفظيه إلى أن أومر بالقيام به في النّاس جميعاً. فإنّكِ إن حفظتِهِ حَفِظَكِ الله تعالى في العاجلة والآجلةِ جميعاً. وكانَ لكِ الفضيلة بالسَّبْق والمسارعة إلىٰ الإيمان بالله ورسوله. وإن أضعتِهِ وتركتِ رعاية ما أُلقِي إليكِ منه كفرت بربّك وحبط أجْرُكِ، وبرأتْ منكِ ذمّة الله وذمّةُ رسوله، وكنتِ من الخاسرين، ولم يضرَّ اللّهُ ذلكَ ولا رسوله. فضَمِنَتْ له حفظه والإيمان به ورعايته. فقال: إنّ الله تعالى أوحى إليَّ أنّ عمري قد انقضى، وأمرني أن أنصب عليّاً للنّاس عَلَماً، واجعله منهم إماماً، وأستخلفه كما استخلف الأنبياء من قبلي أوصياءَها. وأنا صائر إلى أمر رَبّي، وآخذ فيه بأمرِهِ. فليكن هذا الأمرُ منكِ تحت سويداء قلبك إلى أن يأذن الله بالقيام به. فضمِنَتْ له ذلكَ، وقد أطلع الله نبيَّهُ على ما يكون منها فيه وصاحبتها حفصة وأبويهما.

فلم تلبثْ أن أخبرَتْ حفصة، وأخبرَتْ كلّ واحدةٍ منهما أباها. فاجتمعَتا، فأرسلا إلى جماعة الطُّلقاء والمنافقين، فخبَّراهم بالأمر، فأقبل بعضهم على بعض، وقالوا: إنّ محمّداً يريد أن يجعل هذا الأمر في أهل بيته كسنَّة كسرى وقيصر إلى آخر الدَّهر. لا واللّهِ ما لكم في الحياة من حظّ إنْ أفْضَى هذا الأمر إلى علي بن أبي طالب، وأنّ محمّداً عاملكم على ظاهركم، وأنّ عليّاً يعاملكم على ما يجد في نفسِهِ منكم، فأحسِنُوا النّظر لأنفسكم في ذلكَ، وقدّموا رأيكم فيه، ودار الكلام فيما بينَهم، وأعادوا الخطاب، وأجالوا الرَّأي، فاتّفقوا على أن ينفروا بالنّبي ﷺ ناقته على عقبة (الهرشي)، وقد كانوا صنعوا مثل ذلكَ في غزوة تبوك، فصرفَ اللّه الشّر عن نبيّه ﷺ، واجتمعوا في أمر رسول الله ﷺ من القتل والاغتيال، وَإسقاء السّم على غير وجه، وقد كان اجتمع أعداءُ رسول الله ﷺ من الطُّلقاء من قريش، والمنافقين من الأنصار، ومن كان في قلبه الارتداد من العرب في المدينة وما

حولها، فتعاقدوا وتحالفوا أن ينفّروا به ناقته، وكانوا أربعة عشر رَجُلاً. وكان من عزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقيم عليّاً، وينصبه للنّاس بالمدينة إذا قدم، فسار رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يومينِ وليلتينِ. فلمّا كانَ في اليوم الثّالث أتاه جبرئيل عليه السلام بآخر سورة الحجر، فقال: **﴿فوربّك لنسألنّهم أجمعين عمّا كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين. إنّا كفيناكَ المستهزئين﴾**[1].

قال: ورحل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخذ المسير مسرِعاً عَلَى دخول المدينة، لينصب عليّاً عليه السلام علماً للنّاس. فلمّا كانت اللّيلة الرّابعة هَبَطَ جبرائيل عليه السلام في آخر اللّيل، فقرأ عليه: **﴿يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزِلَ إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من النّاس إنّ الله لا يهدي القومَ الكافرين﴾**[2]، وهم الّذين همّوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أما تراني يا جبرئيل أغذُ (أي أسرعُ) السّير، مُجِدّاً فيه لأدخل المدينة، فأعرض ولايته على الشّاهِد والغائب». فقالَ له جبرئيل عليه السلام: إنّ الله يأمُرُكَ أن تعرض ولايتَهُ غداً إذا نزلْتَ منزلكَ. فقال رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم، يا جبرئيل غداً أفعلُ ذلكَ إن شاء اللّهُ تعالى. وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرّحيل من وقته، وسار النّاس معه حتّى نزل بغدير خمّ، وصلّى بالنّاس، وأمرهم أن يجتمعوا إليه، ودعا عليّاً عليه السلام، ورفع رسول الله يَدَ علي اليسرى بيده اليمنى، ورَفَعَ صوتَه بالولاء لعلي عليه السلام على النّاس أجمعين. وفرض طاعته عليهم، وأمرهم ألّا يختلفوا عليه بعده، وخبّرهم أنّ ذلكَ عن الله عزّ وجَلّ. وقال لهم: ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «فمن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه. اللهمَّ والِ من والاهُ، وعادِ من عاداه، وانصُرْ مَنْ نصره، واخْذُلْ من خذله». ثُمَّ أمر النّاس أن يبايعوهُ. فبايعه النّاسُ جميعاً، ولم يتكلّم منهم أحد. وقد كان أبو بكر وعمر تقدّما إلى الجحفة، فبَعَثَ وَردهما. ثمَّ قال لهما النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: مُتّجهاً، يابن أبي قحافة

(١) سورة الحجر: آية ٩٤ ـ ٩٥.

(٢) سورة المائدة: آية ٦٧.

ويا عمر بايعا عَلِيّاً بالولاية من بعدي. فقالا: أمْرٌ من اللّهِ ومن رسوله ﷺ؟ فقال: وهل يكون مثل هذا من غير أمر الله؟ نعم، من أمر الله ومن رسوله ﷺ فبايَعَا، وانصرفا.

وسار رسولُ اللّهِ ﷺ باقي يومه وليلته، حتّى إذا أدنوا من عقبةِ «هرشي» تقدَّمهُ القوم، فتواروا في ثنية العقبة، وقد حملوا معهم دباباً، وطرحوا فيها الحصى. فقال حذيفةُ: فدعاني رسولُ الله ﷺ ودعا عمَّار بن ياسِر، وأمَرَهُ أن يسوقَها، وأنا أقودُها، حتّى إذا صرنا في رأسِ العقبة، سار القومُ من ورائنا، ودحربوا الدّباب بين قوائمِ النَّاقَةِ، فذُعِرَتْ، وكادت تنفر برسول الله ﷺ. فصاح بها النّبي ﷺ أنِ اسْكُنِي، فليسَ عليكِ بأس. فأنطقها الله بقولٍ عربيّ فصيح فقالت: واللّهِ يا رسولَ اللّهِ، لا أزلتُ يداً عن مستقرّ يد، ولا رِجْلاً عن موضعِ رجلٍ، وأنتَ على ظَهري! فتقدَّم القوم إلى النّاقة ليدفعوها، فأقبلْتُ أنا وعمَّار نضربُ وجوهَهم بأسيافِنا، وكانت ليلة مظلمةً، فزالوا عنّا وآيَسُوا ممّا ظنُّوا ودبّروا. فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ، من هؤلاء القوم الّذين يريدونَ ما ترى؟ فقال: يا حذيفة، هؤلاء المنافقونَ في الدُّنيا والآخرة. فقلتُ: ألا تبعَثُ إليهم يا رسولَ الله رهطاً فيأتوا برؤوسهم؟ فقال: إنّ اللّهَ أمرني أن أعرض عنهم، وأكرَه أن يقول النّاسُ: إنّه دعا ناساً مِنْ قومه وأصحابه إلى دينه فاستجابوا له، فقاتل بهم حتّى إذا ظهر على عدوّهِ أقبل إليهم فقتلهم. ولكن دَعْهُمْ يا حذيفة، فإنّ الله لهم بالمرصاد، وَسيمهِلْهُمْ قليلاً حتّى يضطرَّهُمْ إلى عذابٍ غليظ. فقلتُ: من هؤلاء القوم المنافقون يا رسولَ الله؟ أمن المهاجرين أم من الأنصار؟ فسمَّاهم لي رَجُلاً رَجُلاً حتّى فرغ منهم. وقد كان فيهم أُناسٌ كنتُ كارِهاً أن يكونوا فيهم. فأمسكْتُ عند ذلكَ. فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «يا حذيفةُ كأنَّكَ شاكٌّ في بعض من سَمَّيْتُ لك؟ ارفَعْ رأسكَ إليهم». فرفعتُ طرفي إلى القوم، وهم وقوفٌ على الثَّنية، فبرقَتْ برقاً وأضاءَتْ جميعَ ما حولها، وثبتتِ البرقة حتّى خلتُها شمساً طالعةً، فنظرتُ واللّهِ إلى القوم، فعرفتهُمْ رجلاً رجلاً، فإذا هم كما قال رسول الله ﷺ: «عددُ القوم أربعة عشر رَجُلاً، تسعة من قريش، وخمسة من سائر النَّاس».

فقال له الفتى: سَمِّهِمْ، يرحمك الله. قال حذيفة: هم واللّهِ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، وعبد الرّحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجرّاح، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص. هؤلاء من قريش. وأمّا الخمسة الأُخَر فأبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة الثَّقِفي، وأوس بن الحدثان البصري، وأبو هريرة، وأبو طلحة الأنصاري. قال حذيفة: ثمَّ انحدرنا من العقبَةِ، وقد طلع الفجر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتوضَّأ وانتظر أصحابه من العقبة واجتمعوا. فرأيتُ القوم بأجمعهم، وقد دخلوا مع النّاس وصلُّوا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلمّا انصرف من صلاته التفتَ، فنظر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة يتناجون. فأمر منادِياً فنادى في النَّاسِ: «لا يجتمع ثلاثةُ نفرٍ من النّاس يتناجون فيما بينَهم بسرّ»، وارتحل رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بالنَّاس من منزلِ العقبة. فلمّا نزل المنزِلَ الآخر رأى سالمٍ مولى أبي حذيفة وأبا بكرٍ وَعمر وأبا عبيدة يسارّ بعضُهُم بعضاً، فوقف عليهم وقال: أليسَ قد أمر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ألاَّ يجتمع ثلاثة نفر من النَّاس على سرّ واحد؟ واللّهِ لتخبروني فيما أنتم، وإلاَّ أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى أخبره بذلكَ منكم. فقال أبو بكر: يا سالِم، أعليكَ عهد الله وميثاقه لئن نحن أخبرناكَ بالّذي نحن فيه، وبما اجتمعنا له إن أحببتَ أن تدخُلَ معنا فيه دخلتَ. وكنتَ رجلاً مِنّا. وإن كرهتَ ذلِكَ كتمتَه علينا؟ فقالَ سالِم: لكُمْ ذلكَ. وأعطاهُمْ بذلك عهدَهُ وميثاقَهُ. وكان سالِم شديدَ البغض والعداوة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وعرفوا ذلك منه، فقالوا له: إنّا قد اجتمعنا على أن نتحالف ونتعاقد على أن لا نطيعَ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم فيما فرض علينا من ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام بعده. فقالَ لهم سالِم: عليكم عهد الله وميثاقه، إن كنتم في هذا الأمر تخوضون وتتناجون! قالوا: أجل، علينا عهد الله وميثاقه أنّا إنّما كُنّا في هذا الأمر لا في شيءٍ سواه. قال سالم: وأنا واللّهِ أوّلُ من يعاقدكم على هذا الأمر، ولايخالفكُمْ عليه. واللّهِ ما طلعتِ الشّمس على أهلِ بيتٍ أبغض إليَّ من بني هاشم! ولا من بني هاشم أبغض إليَّ ولا أمقت من علي بن أبي طالب عليه السلام. فاصْنَعُوا في هذا الأمر ما

بدا لكم، فإنّي واحدٌ منكم. فتعاقدوا من وقتهم على هذا الأمر، ثمّ تفرّقوا. فلمّا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسير أتوه، فقال لهم: فيما كُنْتُمْ تتناجون في يومكم هذا وقد نهيتكم عن النَّجوى؟ فقالوا: يا رسولَ اللّهِ ما التقينا غير وقتنا هذا. فنظر إليهم النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مليّاً، ثمّ قال لهم؛ أنتم أعلمُ أم الله؟ ﴿وَمَنْ أظلمُ ممن كتم شهادة عنده من الله. وما اللّهُ بغافلٍ عمّا تعملون﴾(١).

ثمّ سار حتّى دخل المدينة، واجتمع القوم جميعاً، وكتبوا صحيفةً بينهم على ذكر ما تعاهدوا عليه في هذا الأمر. وكانَ أوّل ما في الصَّحيفة النكث لولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنّ الأمر لأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسالِم معهم ليس بخارج عنهم. وشهد بذلك أربعة وثلاثون رجُلاً، هؤلاء أصحاب العقبة، وعشرون رجلاً آخر، واستودعوا الصّحيفة أبا عبيدة بن الجرّاح، وجعلوه أمينهم عليها.

قال: فقال له الفتى: يا أبا عبدِالله، يرحمك الله. هَبْنا نَقُلْ: إنّ هؤلاء القومَ رضوا بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة، لأنهم عن مشيخة قريش، فما بالهم رضوا بسالِم؟ وليس هو من قريش، ولا من المهاجرين، ولا مِنَ الأنصار. إنّما هو لامرأةٍ من الأنصار؟ قالَ حذيفة: يا فتى، إنّ القومَ أجمع تعاقدوا على إزالة هذاالأمر عن علي بن أبي طالب عليه السلام حسداً منهم له وكراهةً لإمرته، واجتمع لهم مع ذلك ما كان في قلوب قريش عليه من سَفْكِ الدّماء، وكان خاصة رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم. وكانوا يطلبون الثّأر الّذي أوقعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهم من عند علي عليه السلام من بني هاشم، فإنّما كانَ العقد على إزالة هذا الأمر عن علي عليه السلام من هؤلاء الأربعة عشر، وكانوا يريدون أنّ سالِماً رَجُلٌ منهم.

فقال الفتى: فخبّرني - يرحمُكَ الله - عمّا كتبَ جميعهم في الصَّحِيفة لأعرفه. فقال: حدَّثتني بذلك أسماء بنت عميس الخثعميَّة امرأة أبي بكر، أنّ القومَ اجتمعوا في منزل أبي بكر، فتآمروا في ذلك، وأسماء تسمَعُهم وتسمع

---

(١) سورة البقرة: آية ١٤٠.

جميع ما يدبّرونه في ذلك، حتّى اجتمع رأيهُم على ذلك، فأمروا سعد بن العاص الأموي فكتب لهم الصَّحِيفة باتّفاقٍ منهم، وكانت نسخة الصَّحيفة:

بسم الله الرّحمن الرَّحيم

هـذا مـا اتّفق عليه المـلأ من أصحاب محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مِنَ المهاجرين والأنصار الّذين مدحهم الله في كتابه على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، اتّفقوا جميعاً بعد أن أجهدوا في رأيهم، وتشاوروا في أُمورهم، وكتبوا هـذه الصَّحيفة نظراً منهم إلى الإسلام وأهله، على غابر الأيَّام، وباقي الـدُّهور، ليقتـدي بهم من يأتي بعدهم من المسلمين.

أمَّا بعد: فإنّ الله بمنّه وكرمه بعث محمّداً رسولاً إلى النّاس كافَّـةً بدينـه الّـذي ارتضاه لعبـادِه، فأدَّى ذلـكَ، وبلّغ ما أمـرهُ الله به، وأوجبَ علينـا القيام بجميعه حتّى إذا أكمل الدّين وفرض الفـرائض، وأحكم السُّنن، فاختـار الله له مـا عنده، فقبَضَـهُ إليه مكـرَّماً محبـوراً من غيـر أن يستخلف أحـداً من بعـده، وجعل الاختيارَ إلى المسلمين يختارون لأنفُسِهِمْ مَنْ وثقوا برأيه ونصحـه، وإنّ للمسلمين في رسـول الله أُسْـوَة حسنـة. قـالَ الله عـزّ وجَـلَّ: ﴿لقــد كـان في رسول الله أُسوة حسنَة لمن كانَ يرجو الله واليـومَ الآخر﴾[1]. وإن رسول الله لـم يستخلِفْ أحـداً لئلاَّ يجـري ذلكَ في أهـل بيتٍ واحد، فيكـون إرثاً دون سـائر المسلمين، ولئلاَّ يكونَ دولة بين الأغنياء منكم، ولأن لا يقول المستخلف: إنّ هذا الأمرَ باقٍ في عقبه من والد إلى ولد، إلى يـوم القيامـة. والذي يجب على المسلمين عنـد مضيّ خليفةٍ من الخلفـاء أن يجتمع ذوو الـرّأي والصَّلاح منهم ليشـاوروا في أُمـورهم. فمن رأوه مستحقّـاً لهـا ولّـوه أُمـورهم، وجعلوه القيّم عليهم، فإنّه لا يخفى على أهلِ كلّ زمان من يصلح منهم للخلافة.

فـإن ادَّعى مُدَّعٍ من النّـاس جميعاً أنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخلَفَ رَجُلاً بعينـه، نصبه للنّـاس، ونصَّ عليه بـاسمه ونسَبِـهِ، فقد أبـطل في قـولـه، وأتى

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٢١.

بخلاف ما يعرفه أصحاب رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، وخالف على جماعَةٍ من المسلمين، وإن ادَّعى مُدَّعٍ أنّ خلافَةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إرث، وأنّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يورّثُ، فقد أحالَ في قوله، لأنَّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نحن معاشِر الأنبياء لا نُورّثَ، ما تركناه صدقة».

وإن ادَّعى مُدَّعٍ أنّ الخلافة لا تصلح إلاّ لرجلٍ واحد من بين النّاس جميعاً، وأنّها مقصورة فيه، ولا ينبغي لغيره، لأنّها تتلو النبوّة فقد كذب، لأنّ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أصحابي كالنّجوم بأيّهم اقتديتُم اهتديتم». وإنْ ادَّعى مُدَّعٍ أنّه مستحقّ الخلافة والإمامة لقرابةٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثمَّ هي مقصورة عليه وعلى عقبه يرثها الولد منهم عن والده، ثمّ هي كذلك في كلّ عصرٍ وزمان لا تصلح لغيرهم، ولا ينبغي أن يكون لأحدٍ سواهم إلى أن يرث الله الأرض وَمَنْ عليها. فليس له ولا لولده، وإن دنا من النّبي صلى الله عليه وآله وسلم نسبه، لأنّ اللّهَ يقول: وقوله القاضي على كلّ أحد، ﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّ ذمّة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، وكلّهم يدٌ على من سواهم». فمن آمن بكتاب اللّهِ وأقرَّ بسنَّةِ رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فقد استقام وأنابَ، وأخذ بالصَّواب، ومن كره ذلك من فعالهم فقد خالف الحقّ والكتاب، وفارق جماعة المسلمين، فاقتلوه، فإنَّ في قتله صلاحاً للأمَّة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من جاءَ إلى أُمَّتِي وهم جميع ففرَّقَ بينهم فاقتلوه، واقتلوا الفرد كائناً من كانَ من النّاس، فإنّ الاجتماع رحمة، والفرقة عذاب، ولا تجتمع أُمَّتِي على الضَّلال أبداً، وإنّ المسلمينَ يدٌ واحدةٌ على من سواهم، وإنّه لا يخرُجُ من جماعة المسلمين إلاّ مفارق معانِدٌ لهم، ومظاهِر عليهم أعداءهم، فقد أباح الله ورسوله دمه وأحلّ قتله».

وكتَبَ سعدُ بن العاص باتفاقٍ من أثبت إسمه وشهادته آخر هذه الصَّحِيفة في المحرّم الحرام سنة عشر من الهجرة. والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلَّم. ثم دفعت الصَّحيفة إلى أبي عبيدة بن الجرَّاح، فوجّه بها إلى مكّة. فلم تزل الصحيفة في الكعبةِ مدفونةً

إلى أن ولّي عمر بن الخطّاب، فاستخرجَها من موضعِها، وهي الصَّحِيفة الّتي يتمنّي أمير المؤمنين عليه السلام لمّا توفّي عمر فوقف به وهو مُسَجّى بثوبه فقال: «ما أحِبُّ أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجّى».

ثمَّ انصرفوا، وصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الفجر. ثمَّ جلسَ في مجلسه يذكر اللّهَ عزّ وجلّ حَتّى طلعت الشّمس، فالتفت إلى أبي عبيدة بن الجراح، فقال له: بخ بخ مَنْ مثلُكَ! لقد أصبحت أمين هذه الأمة، ثمَّ تلا: ﴿فويلٌ للّذين يكتبون الكتابَ بأيديهم ثمَّ يقولون هذا من عند اللّهِ ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم ممّا كتبت أيديهم وويلٌ لهم ممّا يكسبون﴾[1] .

لقد أشبه هؤلاء رجالاً في هذه الأمة يستَخْفَوْنَ من النَّاس ولا يستَخْفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول. وكانَ الله بما يعملون محيطاً. ثمَّ قال: لقد أصْبَح في هذه الأمّة في يومي هذا قوم ضاهُوهُمْ في صحيفتهم الّتي كتبوها علينا في الجاهليّة، وعلّقوها في الكعبة، وإنّ الله تعالى يعذّبهم عذاباً ليبليَهُمْ، ويبتلي من يأتي بعدهم تفرقةً بينَ الخبيث والطّيب، ولولا أنّه سبحانَه أمرني بالإعراضِ عنهم للأمرِ الّذِي هوَ بالغه، لقدَّمتهم فضربتُ أعناقَهُمْ.

قال حُذَيْفَةُ: فواللّهِ لقد رأيْنا هؤلاء النَّفر عند قولِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه المقالة، وقد أخذتْهُمُ الرّعدة، فما يملكُ أحدٌ منهم من نفسِهِ شيئاً، ولم يَخْفَ على أحدٍ ممَّن حضر مجلس رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ذلك اليوم أنَّ رسول الله إيَّاهم عَنَى بقوله، ولهم ضربَ تلكَ الأمثالَ بما تلا مِنَ القرآن.

قال: ولمّا قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم من سفره ذلك، نزلَ بمنزلِ أم سلمة زوجته. فأقام شهراً لا ينزل منزلاً سواه من منازل أزواجه، كما كان يفعلُ قبل ذلك. قال: فشكت عائشةُ وحفصةُ ذلكَ إلى أبويهما، فقالا لهما: إنّا لنعلمُ لِمَ صنعَ ذلك ولأي شيءٍ هو. إمضيا إليه، فلاطِفَاهُ في الكلام، وخادِعاه عن

---

(١) سورة البقرة: آية ٧٩.

نفسه، فإنّكما تجدانِهِ حيياً كريماً، فلعلَّكُما تسألانِ ما في قلبه، وتستخرجان سخيمته. قال: فمضَتْ عائشة وحدَها إليه، وأصابَتْه في منزل أمّ سلمة، وعنده علي بن أبي طالب ﷺ. فقال لها النّبي ﷺ: «ما جاء بكِ يا حميرا؟» قالَتْ: يا رسولَ اللّهِ، أنكرتُ تخلُّفَكَ عن منزلِك هذه المدَّة. وأنا أعوذُ بالله من سَخْطِكَ يا رسولَ الله. فقال: «لو كان الأمر كما تقولين لما أظهرْتِ بسرّ وصَّيْتُكِ بكتمانِهِ. لقد هلكْتِ وأهلكْتِ أمَّةً من النّاس».

قال: ثمَّ أمر خادمةً لأم سلمة فقال: اجمعي لي هؤلاء يعني نساءَهُ فجمعتهُنَّ له في منزل أم سلمة. فقال لَهُنَّ: «اسمعْنَ ما أقول». لكِنَّ: وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب ﷺ. فقال لَهُنَّ: «هذا أخي ووصيّ ووارثي والقائم فيكُنَّ وفي الأمَّةِ من بعدي، فأطِعْنَه فيما يأمركُنَّ به، ولا تعصينَهُ فتهلكْنَ بمعصيتهِ». ثمَّ قال: «يا علي أوصيكَ بهنّ، فأمسكْهُنَّ ما أطعْنَ اللَّه وأطعنَكَ، وأنْفِقْ عليهنَّ من مالِكَ، ومُرْهُنَّ بأمرِكَ، وأنْهِهِنَّ عمَّا يريبُكَ، وخلّ سبيلَهُنَّ إنْ عصينَكَ». فقال علي ﷺ: يا رسولَ اللّهِ، إنَّهُنَّ نساء، وفيهنّ الوهنُ وضعفُ الرَّأي! فقالَ: «ارفق بهنَّ، ما كان الرِّفق أمثَلَ بهنّ، فمن عصاكَ منهنّ فطلّقها طلاقاً يبْرَأُ اللهورسولهمنها». فقال: وكلّ نساء النّبي ﷺ قد صمتن، فما يقلن شيئاً. فتكلّمَتْ عائشة، فقالَتْ: يا رسولَ اللّهِ، ما كنَّا لتأمرنا بشيءٍ فنخالفه إلى ما سواه. فقال لها: «بلى، يا حميراء، لقد خالفتِ أمري أشَدَّ خلاف. وأيم الله لتخالفين قولي هذا، ولتعصينَّهُ بعدي، ولتخرجينَ من البيتِ الّذي أخلّفُكِ فيه متبرّجةً قد حفّ بك فِئامٌ[1] من النّاس، فتخالفينه ظالمةً له، عاصيةً لربّكِ، ولتنبحنَّكِ في طريقِكِ كلاب الحوءَب. ألاَ إنّ ذلك كائن». ثم قال: قمنَ، فانصرفن إلى منازلكنَّ. قال: «فقمنَ وانصرفْنَ».

قال: ثمَّ إنّ رسول الله ﷺ جمع أولئك النَّفر ومن والاهم على علي، وطابقهم على عداوته، ومَنْ كان من الطُلقاءِ والمنافقين. وكانوا زهاء من أربعة

(١) الفئام: الجماعة من النّاس.

آلاف رجل، فجعلهم تحت يدي أُسامة بن زيد مولاه، وأمَّرَهُ عليهم، وأمرَهُ بالخروج إلى ناحيةٍ من الشّام، فقالوا: يا رسولَ الله إنّا قَدِمْنا من سفرنا الّذي كنّا فيه معك. ونحنُ نسألُكَ أن تأذنَ لنا المقام لنصلح من شأنِنا ما يصلحُنا في سفرنا. قال: فأمرهم أن يكونوا في المدينة ريث إصلاحِ ما يحتاجونَ إليه. وأمر أُسامةُ بن زيد يعسكرهم، فعسكرَ بِهِمْ على أميالٍ من المدينة، فأقامَ بمكانِهِ الّذي حدّ له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منتظراً للقوم أن يوافوه إذا فرغوا من أُمورهم، وقضوا حوائجهم. وإنَّما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما صنع من ذلك أن تخلوا المدينةُ منهم، ولا يبقى بها أحدٌ من المنافقين.

قال: فَهُمْ على ذلكَ من شأنهم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دائب يَحُثُّهم، ويأمرُهُمْ بالخروج والتّعجيل إلى الوجه الّذي ندبهم إليه، إذ مَرَضَ رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مرضَهُ الّذي توفّيَ فيه، فلمّا رأوا ذلكَ تباطؤوا عما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الخروج فأمر قيس بن سعد بن عبادة، وكان سَيَّافَ رسول الله، والحباب بن المنذر في جماعةٍ من الأنصار أن يرحلوا بهم إلى عسكرِهِمْ، فأخرجَهُمْ قيس بن سعد والحباب بن المنذر حتّى ألحقاهم بمعسكرهم، وقال لأُسامَةَ: إنّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لم يرخّص لك في التخلُّف، فسِرْ من وقتِكَ هذا ليعلمَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك. فارتحلَ بهم أُسامة، وانصرفَ قيسُ والحبابُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم. فأعلماهُ برحلةِ القوم. فقال لهما: «إنّ القومَ غيرُ سائرين من مكانهم».

قال: دخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بأسامة وجماعةٍ من أصحابه، فقالوا: إلى أين تنطلق وتخلي المدينة، ونحن أحوجُ ما كنّا إليها وإلى المقام بها؟ فقالَ لهم: وما ذلك؟ قالوا: إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قد نزل به الموت. واللّهِ لَئِنْ خلينا المدينة ليحدثَنَّ بها أمور لا يمكن إصلاحها. ننظرُ ما يكون من أمرِ رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ المصير بين أيدينا. قالَ: فرجع القومُ إلى المعسكر الأوّل، فأقاموا به، وبعثوا رسولاً يتعرَّف لهم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتى الرّسول إلى عائشة، فسألَها عن ذلكَ سِرّاً، فقالت: امضِ إلى أبي بكر وعمر ومن معهما، وقُلْ لهما: إنّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قد ثَقُلَ، فلا يبرحَنَّ أحدٌ منكم،

وأنا أعلمكم الخبر وقتاً بعد وقتٍ، واشتـدَّتْ علة رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم . فـدعَتْ عائِشَةُ صُهَيْباً، فقالَتْ: امْضِ إلى أبي وأعلِمْـهُ أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم في حـالٍ لا يُرْجَى. فهلُمَّ إلينا أنتَ وعمر وأبو عبيـدة، ومن رأيتم أن يدخـل معكم. وليكُنْ دخولكم في اللّيل سِرّاً. قال: فأتاهم الخبر، فأخـذوا بيدِ صهيب فـأدخلوه إلى أُسـامةَ بن زيـد، فأخبـروه الخبر. وقـالـوا لـه: كيفَ ينبغي لنـا أن نتخلَّف عن مشاهدةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ واستأذنوه في الدُّخول، فأذِنَ لهم، وأمـرهم أن لا يعلَمَ بدخولهم أحـدٌ. وإن عوفي رسـولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم رجعتم إلى عسكرِكُمْ، وإن حَدَثَ حادثُ الموتِ عرّفونا ذلك، لنكونَ في جماعةِ النّاس.

فـدخل أبـو بكر وعمـر وأبو عبيـدة ليلاً المـدينة، ورسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ثَقُلَ. فأفاق بعضَ الإفاقةِ. فقالَ: «لقـد طرق ليلتنـا هذه المـدينة شـرٌّ عظيم». فقيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «إنَّ الَّذين كانوا في جيش أسامة قد رجع نفرٌ منهم يخـالفـون أمـري. ألا إنّي إلى الله منهم بـريءٌ، ويحكُمْ نفّـذوا جيشَ أسامة». فلم يزل يقول ذلك، حَتّى قالها مرَّاتٍ كثيرة. قال: وكـان بلال مؤذّن رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يؤذّن بالصَّلاةِ في كلّ وقتِ صـلاة، فإن قـدر على الخروج تحـامَلَ وخـرَجَ، وصلّى بالنّـاس، وكان علي بن أبي طـالب عليه السلام والفضل بن العبّاس لا يزايلانِهِ في مرضِهِ ذلكَ. فلمّا أصبحَ رسولُ الله من ليلتِـهِ تلك التي قدم فيها القومِ الذين كانوا تحت يـد أسامـة أذَّن بلالٌ، ثم أتـاه يخبره كعـادتِهِ، فوجدَهُ قد ثَقُلَ. فمنعَ من الدُّخولِ إليه. فأمرَتْ عـائشة صهيبـاً أن يمضي إلى أبيها فيعلمه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ثَقُلَ في مرضه، وليس يطيق النّهـوضَ إلى المسجدِ. وعلي بن أبي طالب قد شُغِلَ به، وبمشاهدَتِهِ عن الصَّلاةِ بالنّـاسِ. فاخْرُجْ أنتَ إلى المسجد، فصلّ بالنَّاس، فإنّها حالةٌ تهنئـك، وحجةٌ لـك بعد اليوم.

قال: فلم يشعر النّـاس، وهم في المسجد، ينتـظرونَ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أو عليّاً عليه السلام يصلّي بهم كعادتـه التي عرفـوها في مـرضه، إذ دخـل أبو بكـر المسجد وقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثَقُلَ، وقد أمرني أن أصلّيَ بالنّاس. فقـال لـه رجلٌ من أصحـاب رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وأنَّى لـكَ ذلـكَ؟ وأنتَ في جيشِ

أسامةَ، لا واللّهِ لا أعلمُ أحداً بعثَ إليكَ، ولا أمرَكَ بالصَّـلاةِ. ثم نادى النَّـاسُ بـلالاً، فقـال: على رسلكم ـ رحمكم اللَّه ـ لأستـأذن رسـولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك.

ثمَّ أسـرع حتّى أتى البابَ، فـدقَّه شـديـداً، فسمِعَـهُ رسـولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فقـال: «ما هـذا الدَّقُّ العنيف؟» فـانـظروا مـا هـو؟ قـال: فخـرج الفضـلُ بن العباس، ففتحَ البابَ، فإذا بلالٌ. فقال: ما وراءكَ يا بلال؟ فقال: إنَّ أبـا بكر قد دخلَ المسجدَ، وتقدَّم حتّى وقف في مقـامِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وزعم أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرَهُ بـذلِكَ. فقـال: أوَ ليسَ أبو بكـر مع أسـامة في الجيش؟ هذا واللَّهِ هو الشَّرّ العظيم الّذي طرقَ البـارحة المـدينة. لقـد خبَّرنـا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بـذلكَ، ودخـل الفضل وأدخـل بلالاً معـه. فقال: مـا وراءكَ يا بـلال؟ فـأخبر رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخبر. فقـال: «أقيموني، أخـرجوني إلى المسجـد. والذي نفسي بيده قد نزلتْ بالإسلامِ نازِلةٌ، وفتنة عظيمة من الفتن». ثم خرج صلى الله عليه وآله وسلم معصوبَ الرَّأس يتهادى بين علي والفضل بن العبَّـاس، ورجلاه يجـرَّان في الأرض، حَتَّى دخل المسجدَ، وأبو بكر قـائم في مقام رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقـد أطافَ بـه عمر وأبـو عبيدة وسـالِم وصهيب، والنّفر الّـذين دخلوا، وأكثـر النَّاسِ قد وقفوا عن الصَّلاة ينتظرون ما يأتي به بلالٌ.

فلمّا رأى النّاس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد دخل المسجد، وَهُـوَ بتلك الحالـةِ العظيمةِ من المرض، أعظموا ذلك، وتقدّم رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، وجذبَ أبا بكرٍ من ردائِهِ فنحّاه عن المحراب، وأقبلَ أبو بكر والنّفر الّذِين كـانوا معـه، فتواروا خلفَ رسـولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأقبلَ النَّـاسُ فصَلّوا خلفَ رسـولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم وهـو جالسٌ. وبلالٌ يسمع النَّاس التَّكبيـر حتّى قضى صلاتـه. ثم التفت فلم يرَ أبـا بكـر. فقال: «أيّهـا النّاس، ألاَ تعجبـون من ابن أبي قحافـة وأصحابـه الّـذين أنفذتُهم، وجعلتُهم تحتَ يدي أسامَةَ، وأمرتُهم بالمسير إلى الوجه الّذي وُجّهوا إليه، فخالَفُوا ذلكَ، ورجعوا إلى المدينة ابتغاءَ الفتنَـةِ. ألاَ وإنّ الله قد أركسَهم فيها. أعرجوا بي إلى المنبر». فقـامَ وهو مـربوط حتّى قعـد على أدنى مرقـاة، فحَمِدَ الله وأثنى عليه. ثم قال: «أيُّها النّاس، قد جاءني من أمر رَبّي ما الناس

إليه صائرون. وإنّي قد تركتُكُمْ على المحجَّةِ الواضحةِ، ليلتها كنهارها. فَلاَ تختلِفوا من بعدي، كما اختلفَ من كان قبلكم من بني إسرائيل. أيُّها النّاس إنّه لا أُحِلُّ لكم إلاّ ما أحلَّ القرآن، ولا أُحرِّمُ عليكم إلاّ ما حرَّمه القرآن. وإني مخلّفٌ فيكم الثّقلينِ. ألاَ ما إن تمسَّكتم بهما لن تُضِلّوا ولن تزلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. هما الخليفتانِ فيكم، وإنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدا عليَّ الحوضَ. فأسألكم بماذا خلّفتموني فيهما، وليذادَنَّ يومئذٍ رجالٌ عن حوضي كما تُذادُ الغريبة من الإبل. فيقول رجالٌ: أنا فلان وأنا فلان. فأقول: أمّا الأسماء فقد عُرِفَتْ، ولكنكم ارتدَّيْتُمْ من بعدي. فسُحْقاً لكم سحقاً». ثمَّ نزل عن المنبر، وعاد إلى حجرته، ولم يظهر أبو بكر ولا أصحابه حتّى قُبِض رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم. وكان من الأنصار وسَعْدٌ في السَّقِيفة ما كان. فمنعوا أهلَ بيتِ نبيِّهم حقوقَهم الّتي جعلها الله عزّ وجَلَّ لهم. وأما كتابُ الله فمزَّقوه كلَّ ممزّق. وفيما أخبرتُكَ يا أخا الأنصارِ من خطبٍ معتبر لمن أحبَّ اللّهُ هدايتَهُ.

قال الفتى: سَمِّ لي القومَ الآخرين الّذين حضروا السَّقيفة وشهدوا فيها. فقال حُذَيْفَةُ: أبو سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أميَّة بن خلف، وسعيد بن العاص، وخالد بن الوليد، وعيَّاش بن أبي ربيعة، وبشر بن سعد، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، وصهيب بن سنان، وأبو الأعور السُّلمي، ومطيع بن الأسود المدري، وجماعة من هؤلاء ممَّن سقط عنّي إحصاء عددهم. فقال الفتى: يا أبا عبدالله ما هؤلاء في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حَتّى انقلبَ النّاس أجمعون بسببهم؟ فقال حُذَيْفَةُ: إنّ هؤلاء رؤوس القبائِل وأشرافُها. وما من رَجُلٍ مِنْ هؤلاء إلاّ ومعه من النّاس خلق عظيم يسمعون له ويطيعون، وَأشربوا في قلوبهم من أبي بكر، كما أشرب في قلوب بني إسرائيل من حبِّ العجل والسّامري حتّى تركوا هارونَ ليستضعفوه.

قال الفتى: فإني أُقسِمُ بالله حقّاً أنّي لا أزالُ لهم مبغِضاً، وإلى اللّهِ منهم ومن أفعالِهم متبرّئاً، ولا زلتُ لأمير المؤمنين عليه السلام موالِياً، ولألحقَنَّ به. وإني لآمِلُ أن أُرزَقَ الشّهادةَ معه وشيكاً إن شاء الله تعالى. ثمّ ودّع حذيفة

وقال: هذا وجهي إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فخرج إلى المدينة، واستقبله، وقد شخص من المدينة يريد العراق، فسار معه إلى البصرة، فلمّا التقى أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحاب الجمل كانَ ذلكَ أوَّل من قُتِلَ من أصحاب أمير المؤمنين.

فحديثُ حذيفة يفضح القومَ، ويكشف النّقاب عن تآمرهم لاغتصابِ علي حقَّه، شاء المخلصون لهذه العقيدة أم أبوا. ولقد حقّقوا ما أرادوه بواسطة التّهديد والتّعاون على الباطِل، ولم يراعوا لرسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمةً، وهو على فراش الموت. فكيف يراعون حرمته بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم؟ ولقد وقفَ كثير من الصَّحابة ضدَّهم، وخاصَّةً ضدّ أبي بكر عندما نَصَبَ نفسه خليفةُ المسلمين بعد رسول رب العالمين. ولكنّ المنصِبَ برّاقٌ وخادِع، والإصرار على إحباط مخطّط الرّسول الذي رسمَهُ لعلي بأمر ربّ العالمين جعلاه يعبث بأوامرِ الرّسول، ولا يقبَلُ نصائح المخلصين من الصَّحابة. تلك النّصائح الّتي يعلنها الشّيخ محمَّد حسن القبيسِي في كتابه «الأحاديث الصَّافية عن العترة الطَّاهرة» فهو يقول:

فأوَّل من تكلَّمَ خالِد بن سعيد بن العاص، وقالَ: اتَّقِ الله يا أبا بكر، فقد علمتُ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ونحن محتَوِشوه يوم بني قريظة حين فتح الله له بابَ النَّصر، وقد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام يومئذٍ عدَّةً من صناديد رجالهِم، وأُولي البأس والنَّجدة منهم:

يا معشَرَ المهاجرين والأنصار إنّي موصيكم بوصيَّة فاحتفظوها، ومودعكم أمْراًفاحفظوه. ألاَ إنَّ علي بن أبي طالب أميركم بعدي، وخليفتي فيكم، بذلكَ أوصاني ربّي. ألاَ وإنَّكم إن لم تحفظوا فيه وصيَّتي، وتؤازروه وتنصروه اختلفتُمْ في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم ودنياكم، ووليكم أشرارُكُمْ.

ألا وإنّ أهلَ بيتي هم الوارثون لأمري، والعالِمون لأمر أُمَّتِي من بعدي. اللهمَّ من أطاعهم من أُمّتِي، وحفظ فيهم وصيَّتي فاحشرهم في زمرتي، واجعَلْ لهم نصيباً من مرافقتي. يدركون به نورَ الآخرة. اللهمَّ ومن أساء

خلافتي في أهل بيتي فأحرمه الجنَّة التي عرضها كعرض السَّموات والأرض.

فقال عمر بن الخطّاب: اسكُتْ يا خالِد، فلسْتَ من أهلِ المشورة ولا ممَّن يقتدَى برأيه. فقال له خالِد: بل اسكُتْ يابن الخطّاب. فإنَّكَ تنطق على لسان غيرك. وأيم اللّهِ لقد عَلِمَتْ قريشٌ أنَّكَ من ألأمِها حسباً، وأدناها منصِباً، وأخسّها قدراً، وأخملها ذِكراً، وأقلّهم عناءً عن الله ورسوله. وإنّك لجبان في القتال، بخيلٌ بالمال، لئيم العنصر، مالَكَ في قريش مِن فخر، ولا في الحروب من ذكر. وإنَّكَ في هذاالأمر بمنزلة الشَّيطان: ﴿إذ قال للإنسان اكفُرْ فلمَّا كفر قال إني بريءٌ منكَ إنّي أخاف الله ربَّ العالمين . فكان عاقبتهما أنهما في النّار خالِدينَ فيها وذلك جزاء الظّالمين﴾[1] . فأبْلَس عمر ، وجلس خالد بن سعيد . أميراً عليكما وعلى سائِرِ المنافِقينَ في الوقتِ الذي أنفذه رسولُ الله ﷺ في غزاة السَّلاسل . وإنَّ عمراً قلَّدَكُمَا حرس عسكره . فأين الحرسُ إلى الخلافة ؟ .

ثم قام سلمان الفارسي وقال: (كرديد ونكرديد) أي فعلتم ولم تفعلوا. وقد كان امتنع من البيعَةِ قبل ذلِكَ حتّى وُجِيءَ عنقه.

فقال: يا أبا بكر، إلى من تسندُ أمرَكَ إذا نزل بكَ ما لا تعرفه؟ وإلى مَنْ تفزَعُ إذا سُئِلْتَ عما لا تعلمه؟ وما عذرُكَ في تقدّمِك على من هوَ أعلمُ منكَ وأقرب إلى الرَّسول؟ وأعلمُ بتأويل كتاب الله عزَّ وجَلَّ وسنَّة نبيّه؟ ومن قدَّمه النّبيّ ﷺ في حياته، وأوصاكم به عند مماته، فنبذتُمْ قوله، وتناسيتم وصيته، وأخلفتم الوعد، ونقضتم العهد، وحللّتم العقد الذي كان عقده عليكم من النُّفوذ تحت راية أسامة بن زيد حذراً من مثل ما أتيتموه، وتنبّهاً للأمَّة على عظيم ما اجترمتموه من مخالفة أمرِهِ، فعن قليلٍ يصفو لَكَ الأمر، وقد أثقلَكَ الوزر، ونُقِلْتَ إلى قبرك، وحملتَ (معك ما كسبت يداك).

فلو راجعتَ الحقَّ من قريب، وتلافيتَ نفسكَ، وتبتَ إلى الله من عظيم

---

(١) سورة الحشر: آية ١٦ و١٧.

ما اجترحتَ، كان ذلكَ أقربَ إلى نجاتِكَ يوم تُفْرَدُ في حفرتِكَ، ويسلّمك ذوو نصرتِكَ، فقد سمعتَ كما سمعنا، ورأيتَ كما رأينا. فلم يردعْكَ ذلك عما أنتَ متشبّثٌ به من هذا الأمر الذي لا عذرَ لكَ في تقلُّدِهِ، ولا حظّ للدّين ولا للمسلمين في قيامِكَ به. فاللّهَ اللّهَ في نفسِكَ. فقد أعذَرَ مَنْ أنذرَ. ولا تكن كمن أدبَرَ واستكبر.

ثم قام أبو ذرّ الغفّاري فقال: يا معشرَ قريش: أصبتُمْ قباحة وتركتم قرابة. واللّهِ لترتدَّنَّ جماعة العرب، ولتشكّنَّ في هذا الدّين. ولو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيّكم ما اختلفَ عليكم سيفان. والله لقد صارت لمن غلب، ولتطمحنَّ إليها عين من ليس من أهلها. وليسفكنَّ في طلبها دماء كثيرة. ثم قال: لقد علمتم وعلم خياركم أنَّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الأمر بعدي لعلي ثم لابنيه الحسن والحسين ثمَّ للطّاهرين من ذريتي».

فاطّرحتم قول نبيّكم، وتناسيتم ما عهد به إليكم. فأطعتم الدّنيا الفانية، ونسيتم الآخرة الباقية الّتي لا يهرم شابّها ولا يزولُ نعيمها ولا يحزن أهلها ولا يموتُ سكّانها. بالحقيرة التّافِه الفاني الزّائل. فكذلِكَ الأمم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها، ونكصَتْ على أعقابها، وغيَّرت وبدَّلَتْ واختلفَتْ، فساويتموهم حذوا النّعلِ بالنّعل والقذّة بالقذّة. وعمّا قليلٍ تذوقون وبال أمركم، وتجزون بما قدّمت أيديكم، وما الله بظلّامٍ للعبيد.

ثمَّ قام المقداد بن الأسود فقالَ: يا أبا بكر ارجَعْ عن ظلمك، وَتُبْ إلى رَبّك، والزَمْ بيتَكَ، وابكِ خطيئتِكَ. وسلّمْ الأمر لصاحبه الّذِي هو أولى به منك. فقد علمتُ ما عقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عنقِكَ مِنْ بيعتِهِ، وألزمَكَ من النُّفوذ تحتَ راية أُسامة بن زيد وهو مولاه ونبَّهَ على بطلان وجواز هذا الأمر لك ولمن عضدك عليه بضمّهِ لكما إلى علم النّفاق ومعدن الشَّنآن والشّقاق. عمرو بن العاص الّذي أنزلَ اللّهَ فيه على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿إنَّ شانِئَكَ هو الأبتر﴾، فلا اختلافَ بينَ أَهْلِ العلم أنّها نزلتْ في عمرو بن العاص وهو كانَ أميراً عليكما وعلى سائِرِ المنافِقينَ في الوقتِ الذي أنفذه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في

غزاة السَّلاسل . وإنّ عمراً قلّدَكُمَا حرس عسكره . فأين الحرسُ إلى الخلافة ؟ .

اتَّقِ اللَّهِ وبادِرْ بالاستقالَةِ قبل فواتها. فإنَّ ذلكَ أسلمُ لكَ في حياتِكَ وبعد مماتِكَ. ولا تركن إلى دنياكَ، ولا تغرَّنّك قريش وغيرها. فعن قليلٍ تضمحَّلُ عنْكَ دنياك، ثمَّ تصير إلى رَبّك فيجزيك بعملك. وقد علمتَ وتيقَّنْتَ أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، فسلّمْهُ إليه بما جعله الله له، فإنّه أتمُّ لسترِكَ وأخفُّ لوزرِكَ. فقد واللّهِ نصحْتُ لك إن قبلْتَ نصيحتي، وإلى الله ترجع الأمور.

ثمّ قام إليه بريدة الأسلمي فقال: إنّا لِلَّهِ وإنّا إليه راجعون. ماذا لَقِيَ الحقّ من الباطِل؟ يا أبا بكر أنسيتَ أم تناسيتَ، وخُدِعْتَ أم خدعتْكَ نفسك؟ أم سوَّلَتْ لكَ الأباطيل؟ أو لم تذكر ما أَمَرَنا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تسمية علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين وَقاتِلِ القاسِطِين؟ اتَّقِ الله وتدارَكْ نفسك قبل أن لا تدركها، وأنقذها ممّا يهلكها ، واردِدِ الأمر إلى من هو أحقُّ به منكَ. ولا تتمادَ في اغتصابه. وارجَعْ وأنت تستطيع أن ترجع. فقد محضتُكَ النّصح ، ودللتَكَ على طريق النَّجاة. فلا تكوننّ ظهيراً للمجرمين.

ثمَّ قامَ عمّار بن ياسر فقال: يا معاشِرَ قريش ويا معاشرَ المسلمين إن كنتُم علمتُم، وإلّا فاعلَمُوا أنّ أهلَ بيت نبيّكم أولى به، وأحقُّ بإرْثِهِ، وأقْوَمُ بأمورِ المسلمين، وحفظ الدّين، وآمن على المؤمنين، وأحفظ لملّتِهِ، وأنصحُ لأمَّتِهِ، فمروا صاحبكم فليردّ الحقّ إلى أهله قبلَ أن يضطرب حبلكم ويضعف أمركُمْ، ويظهر شتاتُكُمْ، وتعظم الفتنَةُ بكم، وتختلفون فيما بينكُمْ، ويطمع فيكم عدُّوكم. فقد علمتم أنّ بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم. وعلي عليه السلام أقربُ منكم إلى نبيّكم، وهو من بينكُمْ وليُّكم بعهدِ اللّهِ ورسولِهِ. وفرق ظاهِرٌ قد عرفتموه في حالٍ بعد حال عند سدّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أبوابكم التي كانت إلى المسجد كلّها غير بابه. وإيثاره إيّاه بكريمته فاطمة دون سائر من خطبها إليه منكم، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «أنا مدينةُ العلم وعلي بابها، فمن أراد الحكمةَ فليأتها من بابها». وأنكم جميعاً مضطرُّونَ فيماأشكل عليكُمْ من أمورِ دينكم إليه، وهو

مُسْتَغْنٍ عن كـلّ أحدٍ منكم إلى مـالَـهُ مِنَ السَّـوابق التي ليست لأفضلكم عنـد نفسه. فما بالكم تحيدونَ عنه، وتبتزُّون عليّاً حقَّه، وتؤثرون الحياة الـدُّنيا على الآخرة. بِئْسَ للظالمين بدلاً. أعطوه ما جعله الله له، ولا تتولّـوا عنه مـدبرين، ولا ترتدّوا على أعقابكم فتنقلِبوا خاسرين.

ثمَّ قامَ أُبي بن كعب الأنصاري فقال: يا أبا بكر لا تجحـد حَقّاً جعله الله لغيرِكَ. ولا تكُنْ أوّل من عصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيّه وصفيّه وصرف عن أمـره. أردُدِ الحقَّ إلى أهله تسلم، ولا تتماد في غيّـكَ فتنـدم، وبـادرِ الإنـابَـةَ يخفّ وزنَـكَ، ولا تخصّص بهذا الأمـر الذي لم يجعَلْهُ الله لـكَ نفسَـكَ فتلقى وبـالَ أمرِكَ، فعَنْ قليـلٍ تفارق مـا أنتَ فيه، وتصيـر إلى رَبّك فيسـألـك عمّـا جنيتَ. ﴿وما رَبُّكَ بظلّامٍ للعبيد﴾.

ثمَّ قامَ خزيمةُ بنُ ثابت فقال: أيّها النّاسُ ألستـم تعلمـونَ أنّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قبلَ شهادتي وحدي، ولم يردّ معي غيـري. قالـوا: بلى، قال: فـاشهَدْ أنّي سمعتُ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أهـل بيتي يفرّقـون بين الحقّ والباطـل، وهم الأئمـة الّذين يقتـدَى بهم. وقد قلتُ مـا علمت. ومـا على الـرَّسـولِ إلاّ البلاغُ المبين».

ثمَّ قام الهيثم بن التّيهان فقال: وأنا أشهَدُ على نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم أنّه أقامَ عليّاً ـ يوم غدير خم ـ فقالت الأنصار فيه أقـوالاً. وقال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه عليه السلام: «عليّ وليُّ المؤمنين بعدي، وأنصَحُ النّاس لأمّتِي. وقد شهـدتُ بما حضـرني. فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، إنَّ يومَ الفصلِ كان ميقاتاً».

ثم قـام سهـل بن حنيف، فحمـد اللّه وأثنى عليـه، وصلّى على النَّبي محمّـد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قـال: يـا معشـر قـريش، اشهـدوا عليَّ أني أشهـد على رسول الله وقد رأيته ـ في هذا المكان ـ يعني الرَّوضة وقد أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام. وهو يقولُ: «أيّها النّـاسُ: هذا عليّ إمـامكم من بعدي ووصيّ في حياتي وبعد وفاتي، وقاضي ديني ومنجز وعدي، وأوَّل من يصـافحني على حوضي، فطوبى لمن تبعه ونصره، والويل لمن تخلَّفَ عَنْهُ وخذله».

وقامَ بعده أخوه عثمان بن حنيف، وقال: سمعنا رسولَ الله ﷺ يقول: «أهل بيتي نجومُ الأرضِ فلا تتقدّموهم، وقدّموهم، فهم الولاة من بعدي». فقامَ إليه رجلٌ فقال: يا رسولَ الله وأيّ أهل بيتكَ؟ فقال: علي والطاهرين من ولده، وقد بَيَّنَ ﷺ فلا تكن يا أبا بكر أوّل كافرٍ به ولا تخونوا الله والرَّسولَ وتخونوا أماناتِكم وأنتُمْ تعلَمُونَ.

ثمَّ قامَ أبو أيّوب الأنصاري، فقالَ: «اتّقوا الله عبادَ الله في أهلِ بيت نبيّكم، وارددوا إليهم حقّهم الذي جعله الله لهم. فقد سمعتم مثل ما سمعَتم مثل ما سمعَ إخوانُنا في مقامٍ بعد مقام لنبيّنا ﷺ ومجلس بعد مجلس يقول:

«أهل بيتي أئمتكم بعدي ويومىء إلى علي ويقول: هذا أمير البررةِ وقاتِلُ الكفرةِ، مخذولٌ من خذلَهُ، منصورٌ من نصَرَهُ». فتوبوا إلى الله من ظلمكم إيّاه. إنّ اللّهَ توَّابٌ رحيم، ولا تتولّوا عنه مدبرين، ولا تتولّوا عنه معرضين.

هذا موقف كبار الصَّحابة من خلافة أبي بكر. ولكنّ كلّ هذه العظاتِ لن تجدي شيئاً، ولن تغيّر شيئاً من مخطّطهم المرسوم للغدر بعلي واغتصابه حقّه. فأساؤوا إلى أنفسهم، وإلى أتباعهم وأنصارهم، ولم تنفعهم عظات النَّبي ﷺ، ولم تخف عنه ﷺ هذه الأعمال الباطلة حتّى عبَّر لعلي بعدَّةِ مناسباتٍ عن هذا الغدر، وعبَّر لهم الإمامُ أيضاً مثل قوله عليه السَّلام عندما خطب بالرَّحبةِ فقال: «أيّها النَّاس: إنّكم قد أبيتم ألاَّ أنْ أقولَها! وربِّ السَّماءِ والأرضِ: إنَّ من عهد النّبي الأميّ إليَّ: إنَّ الأمةَ ستغدِرُ بِكَ بعدي». لذلكَ ابتُلِيَ القوم بعلي، لأنّهم سيدخلونَ النّار بسبَبِهِ، وابتلى هُوَ بهم حيث حرمُوهُ حقَّهُ، ونصبوا له العداءَ، واستمرّوا على ذلك، ونهجوا هذا النّهج مع ذرّيته وأهل بيته ومع محبّيه وشيعَتِهِ حتّى أصبحت هذه العداوة والكراهية موروثةً في اللاَّشعُور.

الفصل السَّادِس

شجاعته وحروبه عليه السّلام

إنّ الحديث عن شجاعة علي أمير المؤمنينَ تماماً كالحديثِ عن نور الشّمس نافلة وفضول. وأيّ كاتبٍ يستطيعُ أن يصفَ شجاعة مَنْ قال فيه الرّوح الأمين وسيّد المرسلين: «لا سيفَ إلاّ ذو الفقار ولا فتىً إلاّ علي». وقال هو عن نفسه: «لو تظاهرتِ العربُ على قتالي ما ولَّيْتُ مدبراً». وقال: «إنَّ أكرمَ الموتِ هو القتْلُ. والَّذي نفس ابن أبي طالب بيده لألفُ ضربةٍ بالسَّيفِ في سبيلِ اللّهِ أهونُ من ميتةٍ على فراش». والكلّ يعلم أنّ أقوال علي تعبيرٌ وَتطبيقٌ لأقواله.

وما كَتَبَ أو تحدَّث أحدٌ عن شجاعةِ عليّ إلاّ قال بالحرف الواحد: ما فَرَّ من حرب، ولا خافَ من جيش، ولا بارز أحداً إلاّ قتله أو أسرَهُ أو مَنّ عليه بعد أن تمكَّنَ منه. ولا ضرَبَ ضربَةً فاحتاج إلى ثانية. فكلُّ ضرباته بالوتر لا بالشّفع، وبالفرد لا بالزَّوج. وإذا علاقَدَّ، وإذا اعترض قَطَّ. وما سمعنا أنّه عليه السلام دعا إلى مبارزةٍ قطّ، وإنّما كان يُدْعَى هو بعينه، أو يدعو من يبارز، فيخرج إليه فيقتله. وكثيراً ما كان يقول: لا أبالي سقط الموتُ عليَّ أو سقطتُ على الموت. وأيّ تطبيقٍ عملي أقوى من مبيتِهِ على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الهجرة؟ مشركون أزمعوا على قتل النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه اللَّيلة، فغداه

بنفسه، ونامَ على فراشه غير هيَّابٍ ولا وَجِل. فأيّ فداء أعظم من هذا الفداء؟ والجود بالنّفس أقصى غاية الجود.

وفي المبيت فضائِل منها:

١ ــ أنّه عليه السلام موضع ثقةِ الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم .

٢ ــ أنّه ضابط للسّر.

٣ ــ علاوةً عن الثّقة وضبط السّر فقد كان شجاعاً.

٤ ــ وعلاوة عن الثّقة والضبط والشّجاعة فقد كانَ صابراً. لأنّ الشّجاع غير مأمون أن يذهبَ صبرُه عن العقوبة الواقعةِ، والعذاب النّازل بساحته حتّى يبوحَ بما عنده. فلهذا قال علماء المسلمين: إنّ فضيلة علي عليه السلام تلكَ اللَّيلة، لا نعلمُ أحداً من البشر نال مثلها، إلّا ما كان من إسحٰق وإبراهيم عند استسلامه للذّبح. ولولا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقُلْنا: إنّ محنةَ علي أعظم. لأنّه قد رُوِيَ أنّ إسحٰق تلكّأ لمّا أمره أن يضطجع، وبكى على نفسه. وقد كان أبوه يعلم أنّ عندَهُ في ذلكَ وقفةً. ولذلكَ قال: ﴿فانظر ماذا ترى﴾ ــ الصّافات ــ. وحالُ علي عليه السلام بخلاف ذلكَ، لأنّه ما تلكّأ ولا تعتَعَ، ولا تغيّر لونه، ولا اضطربَتْ أعضاؤه(١).

افتخرَتْ عائشَةُ يوماً بأبيها، لأنّه ثاني اثنين في الغار، فقالَ لها أحد الأصحاب: شتّان بينَ من قيل له: ﴿لا تحزن إنّ الله معنا﴾. ومن بات على فراش الرَّسول، وهو يرى أنه يُقْتَل. وأنزل الله فيه: ﴿ومن النَّاس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾. أو ردَ الإمام حجة الإسلام أبو حامد «محمّد بن الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين» أنّ ليلة بات علي بن أبي طالب على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل أنّي آخيتُ بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطولَ من عمر الآخِر، فأيُّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة وَأحبَّاها. فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما

(١) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ١٣ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ط ١٩٦١ م.

مثل علي بن أبي طالب حين آخيتُ بينه وبين محمّد، فباتَ على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثرهُ بالحياة. اهبطا إلى الأرض، فاحفظاه من عدوّهِ. وكان جبرئيل عندَ رأسه، وميكائيل عند رجليه، ويقول: بخ بخ من مثلُكَ يابن أبي طالب! باهى الله بك الملائكة. فأنزلَ الله عزَّ وجلّ(١): ﴿ومن النّاس مَنْ يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾(٢) .

وممّا جاء في شجاعته، وهو طفل، أنّ أمّه فاطمة بنت أسد كانَتْ إذا شدَّته بالقماط شقّه، فجعلته قماطين فشقّهما، فجعلته ثلاثة من جلد وحرير فلم تجد شيئاً، فاضطرت إلى تركه بدون قماط. وكان أبوه أبو طالب يجمع له أولاده وأولاد إخوته ويأمرهم بمصارعته، فكان علي يحسر عن ذراعيه، ويصارع الكبير منهم والصّغير فيصرعه. وفي ذات يومٍ كان يسير مع طفلٍ أكبر منه بسنةٍ فما شعر إلاّ والطّفل يهوي في البئر على رأسِهِ، فأسرع علي، وأخذ برجليه وأنقذه وكان عليه السلام يأخذ من رأس الجبل حجراً ويحمله بفرد يده، ثم يضعهُ بينَ يدي النّاس، فلا يقدر الرّجل والرّجلان والثلاثة على تحريكه حتى قال: أبو جهل فيه شعراً:

يا أهل مكّة إنّ الذّبح عندكم	هذا عليٌّ الّذي قد حلَّ في النّظَرِ
ما إنْ له مشبِهٌ في النّاس قاطبةً	كأنّه النّار ترمي الخلق بالشّرَرِ
كونوا على حذرٍ منه فإنّ له	يوماً سيظهره في البدو والحضر

وأنّه لم يمسك بذراع رَجُلٍ قطّ إلاّ مسك بنفسه، فلم يستطعْ أن يتنفّس.

والخلاصَةُ: إنّه منقطع النّظير في شجاعته وجرأته وثقتِهِ بنفسِهِ. ونحن في هذا الفصل نقتصِرُ على ذكر لمحةٍ عن غزواتِهِ وحروبه في عهد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم نظراً لكثرة تكرارها في كتب السّيرة وغيرها. وكذلِكَ حروبه بعد النّبي

(١) من الفصول المهمة: لابن الصباغ المالكي، ص ٣١ ط ٣ عام ١٩٦٢ م.
(٢) سورة البقرة: آية ٢٠٧.

الكريم في وقعة الجمل وصفّين والنّهروان. ولنبدأ بموقعة بدر:

أمّا موقفه في بدر، فقد قتل من المشركين النّصف، والمسلمونَ جميعاً قتلوا النّصف. وكان عمره يومذاكَ خمساً وعشرين سنةً، وهي أوّل مرّةٍ يحاربُ فيها الإمام.

قال الواقدي في كتاب (المغازي): جميع من يحصى قتله مِنَ المشركين تسعٌ وأربعون رَجُلاً، منهم من قتله علي، شركَ في قتل اثنين وعشرين رَجُلاً. شرك في أربعة، وقتل بانفراده ثمانيةَ عشر.

ومعركة بدر أوّل حروب النّبي ﷺ. وكان في جملة من قتل حنظلة بن أبي سفيان، أخو معاوية، والعاص بن سعيد العاص الأموي، وعقبة بن أبي معيط الأموي، والوليد بن عتبة أخو هند وخال معاوية، وأبو قيس بن الوليد أخو خالد بن الوليد. واشتركَ في قتلِ عقبة جدّ معاوية. ومن كلام الإمام لمعاوية: وعندي السّيف الّذي أعضَضْتُ به أخاك وخالك وجدّك يوم بدر[1].

وروي عن الزّهري أنّه لمّا عرف رسول الله ﷺ حضور نوفل بن خويلد بدراً قال: اللهمّ اكفني نوفلاً. فلمّا انكشفَتْ قريش رآهُ علي عليه السلام وقد تحيّر لا يدري ما يصنَعْ؟ فصمدَ لَهُ، ثم ضربه بالسَّيْفِ، فنشب في بيضتِهِ، فانتزعَهُ، ثم ضرب به ساقه، وكانت درعه مشمّرةً فقطعها، ثم أجهز عليه فقتلَهُ. فلما عاد إلى النّبي ﷺ سمعَهُ يقول: «من له علمٌ بنوفل؟» قال: أنا قتلتُه يا رسولَ الله. فكبّر النّبي ﷺ وقال: «الحمد لله الّذي أجابَ دعوتي فيه»[2].

أمّا يوم أُحُد: فقتل ثمانية عشر رجلاً، وجيش النّبي بكامله قتلَ عشرة. وكان أبو سفيان يقود جيش المشرِكين. وزوجته هند أم معاوية تقود النّساء

---

(١) فضائل الإمام علي بن أبي طالب: لمغنية، ص ٩٨.

(٢) كشف الغمّة في معرفة الأئمة: للأربلي، جـ١ ص ١٨٧.

ضد الرَّسول ليحرِّض الرّجال على القتال. وكانَ خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وزوجته ريطة مع المشرِكين. وكان لواء المشرِكين مع طلحة بن أبي طلحة، فأعطى النبي اللّواء لمصعب بن عمر، ولمّا قتل مصعب دفعه النّبي إلى علي، وبرز طلحة وصاح من يبارِزُ؟ فبرزَ إليه علي، فقال له: مَنْ أنتَ؟ قال: علي بن أبي طالب. فقال: لقد علمتُ أنّه لا يجسر عَلَيَّ أحدٌ غيركَ. وضربه الإمام على فخذيه فقطعهما، فسقط على الأرض. ولمّا همَّ الإمام أن يجتَزَّ رأسه ناشَدَهُ الله والرَّحم، وقيل: بل كَشَفَ عن عورته، فانصرَفَ عنه الإمام. ولكنّهُ لم يلبثْ بعد الضَّربة إلّا قليلاً.

وروى الطَّبري في تاريخه: حَدَّثنا أبو كريب قالَ: حَدَّثنا عثمان بن سعيد قال: حدَّثنا حبّان بن علي عن محمّد بن عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه عن جَدِّهِ، قال: لمّا قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية أبصر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعةً من مشركي قريش، فقالَ: أحمل عليهم، فحمل عليهم، ففرَّق جماعتهم، وقتل شيبة بن مالِك أحد بني عامِر بن لؤي. فقال جبريل: يا رسولَ الله إنّ هذه للمواساة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّه منّي وأنا منه». فقال جبرئيل: وأنا منكما. قال: فسمعوا صوتاً:

لا سيفَ إلّا ذو الفقار ولا فتىً إلّا علي(١)

وفي إرشاد المفيد أنَّ أصحاب اللّواء كانوا تسعةً، قتلهم علي بن أبي طالب عن آخرهم، وانهزم القوم. وقال الواقدي: «ما ظفر الله نبيَّه في موطنٍ قط ما ظفرهُ وأصحابه يوم أُحد».

ولكنَّ الرّماة عصوا الرَّسول، فحلَّ ما حَلَّ بالنَّبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين. ففرُّوا ولم يبقَ مَعَهُ إلّا نفرٌ قليل على رأسِهِم علي. ولكنّ عليّاً لم يتركْ لأعدائه مجالاً معه، فكانوا إمّا أن يُصْرَعوا في سيفه، أو يرفعوا سوءاتِهِمْ منه.

---

(١) تاريخ الطبري، جـ٣ ص ١٧ ط ١ بالمطبعة الحسينية المصرية.

ومهما اختلف المفسّرون وأهل السّير في عدد الّذين ثبتوا مع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد فإنّهم متّفقون جميعاً على أنّ عليّاً كان مع الرّسول جنباً إلى جنبٍ يذبُّ عنه، ويلقى بنفسِهِ في المهالِك من أجله. فلا أحدَ إذن أولى من عليٍ بمحبّة الله وكرامته وإعزازه وتعظيمه.

وفي الحقيقة لولا مخالفة الرّماة نبيِّهم صلى الله عليه وآله وسلم لما حَلّ ما حل، ولما انتقمت هند وزوجها أبو سفيان من أسد الله الحمزة عمّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكان فرحُ هند عظيماً حيث شفَتْ غليلها من الأشلاءِ والدّماء، وكانَ هدَفُها عليّاً وحمزة ومحمّد. فاعتقدتْ أنّ عليّاً ومحمد قد قُتِلا، ورأتْ أسد اللّهِ، فتآمر عليه المشركون وهند، فقُتِلَ، فاستلّت سكّينها فصلمَتْ أذنيه، وجدعت أَنفَهُ، وقوّرت عينيه، وأخذتْ تمزّق في وجهه، وبقرت بطنه، وأخذت كبِدَهُ، ولاكتها في فمها ولفظَتْها.

مثل هذا لا يَعْدِلُهُ شر سوى قلب زوجها الّذي امتلأ بُغْضاً لبني هاشِم. فلمّا رأى حمزة مشوّهاً نادى: يا أبا عمارة دارَ الدّهر وحال الأمر، واشتفَتْ منكم نفسي، ثم هزّ رمحه وضربَ شدقَ الجثّة وهو يردّد: «ذُقْ عَقَق!! ذُقْ عَقَقْ!!» وكأنّما ورَثَ الحفداء، مع الحفناء، صناعة الأجداد، فبعد نصفِ قرنٍ عمل يزيد قضيبَهُ في شدق الحسين الذّبيح»[1].

واعتبر أبو سفيان يومَ أُحُد بيوم بدر. استمع إلى الطّبري في تاريخه يقول: وحدّثنا ابنُ وكيع قال: حدّثني أبي عن إسرائيل، قال: حَدّثنا أبو إسحاق عن البراء: قال: ثمَّ إنّ أبا سفيانَ أشْرَفَ علينا فقال: أفي القوم محمّد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجيبوه مرّتَيْنِ». ثمَّ قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاثاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجيبُوهُ». ثم قال: أفي القوم عمر بن الخطّاب؟ ثلاثاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجيبُوهُ». ثمَّ التفت

---

(١) عبد الفتّاح عبد المقصود في كتابه (علي بن أبي طالب).

إلى أصحابه فقال: «أمّا هؤلاء فقد قُتِلوا، لو كانوا في الأحياءِ لأجابوا». فلم يَمْلُكْ عمر بن الخطّاب نفسه أن قال: كذبتَ يا عدوَّ الله. قد أبقى الله لك ما يخزيك. فقال: اعْلُ هبل اعْلُ هبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: «اللّهُ أعلَى وأجلّ». قال أبو سفيان: ألا لنا العزّى، ولا عزّى لكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: «الله مولانا، ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدر، والحربُ سجال[1].

ولم تكن أُحُد آخر المعارك الّتي برزت فيها بطولة علي. فما مِنْ أزمةٍ وقعَتْ فيها الدّعوة الإسلاميّة، أو تعرَّضَ لها رجالُها المخلصون إلاّ كان علي مفرّجَها، وكان دائماً في الطّليعة يبثّ الرُّعب والهيبة في قلوب الأعداء. وما نبأ حصارِ المدينة إلاّ مثالٌ على ذلك.

الأحزاب أو الخندق:

كان عدد المشركين عشرة آلاف بقيادة أبي سفيان والد معاوية، وجدّ يزيد، فحفر المسلمون الخندق بمعرفة سلمان. وقد وصف اللّهُ سبحانه خوف المسلمين من الأحزاب، فقال: : ﴿وإذ زاغتِ الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون بالله الظّنونا﴾[2] .

وقال المنافقون: كان محمّد يعِدُنا كنوز كسرى وقيصر، وأحدُنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائِط.

ولمّا اقتحم من مكانٍ ضيّق خمسة فوارس من قريش وَهُمْ عمرو بن عبد ودّ، وعكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبدالله بن المغيرة، وهبيرة بن أبي لهب. وأخذ عمرو يجول ويرتجز ويطلب البراز ويهزأ بالمسلمين

---

(١) الطبري في تاريخه، جـ٣ ص ٢٤ ط ١ بالمطبعة الحسينية المصرية.
(٢) سورة الأحزاب: آية ١٠.

وبجنّتِهِم التي من قُتِلَ منهم يدخلها. وعلي يقول للرّسول: أنا لَهُ. ولكن لم يسمح له، والمسلمون واجمون كأنّ على رؤوسهم الطّير، والخوف أخذ مأخذَهُ في قلوبهم، حتّى أنّهم عجزوا جميعاً عن تلبيَةِ رغبة الرّسول، ويلحّ عليه في الرّجاء ليسمح له بمبارزته. وأخيراً سَمَحَ له، وعندما برز علي لعمرو، قال النّبيّ ﷺ: «برز الإيمان كلّه إلى الشّرك كلّه».

الموقفُ رهيب، فقضيّةُ علي هي قضيّة المسلمين قاطبةً، وعَمْرو اعتبر قضيّةُ قريش قضيّته هو، لأنّه فارِسُها وبطلها. فهو بمقام ألف من الأبطال. فقال عمر ولعلي: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: إنّ أباك كان لي صديقاً ونديماً، وإني أكره أنْ أقتلك(1). قال علي: ولكن واللّهِ ما أكْرَهُ أن أقتلك. ثم قالَ له علي: يا عمرو إنَّكَ كنتَ تقول: لا يدعوني أحدٌ إلى واحدةٍ من ثلاثٍ إلاّ قبلتها. قال: أَجَلْ. قال: أدعوكَ أن تشهد أن لا إلّه إلاّ الله، وَأنّ محمّداً رسولُ الله. قال: نَحِّ هذه عنّي. هات الثّانيةَ، قالَ: ترجع إلى بلادِكَ، فإن يكُ محمَّدُ صادِقاً كنتَ أسعدَ النّاسِ به، وإن يك كاذباً كان الّذي تريد. قالَ: إذن تتحدَّث عنّي نساء قريش أنّي جبنتُ وخذلتُ قوماً رأسوني عليهم. ثم قال: هاتِ الثّالثة. قال: البراز، قال: هذه خصلة ما كنتُ أظنّ أنّ أحداً من العرب يروعني بها. فقال علي: كيفَ أُقاتِلُكَ وأنت فارِس، وأنا راجل فاقتحم عن فرسه، وعقره، وسلّ سيفه كأنّه شعلة نار، وبدأ الإمام بضربةٍ فاتّقاها بالدّرقة، فقدَّها السّيف، وشجَّ رأس الإمام، فضربَ عليٌّ على ساقيه فقطعهما جميعاً، فسقط عَلَى الأرض، فأخذ عليّ بلحيتهِ وذبحه، وأخذ رأسه بيده هديَّةً إلى الرّسول، وأقبل والدّماء تسيل على وجهه من ضربة عمرو، وَرأس عمرو بيده، وكان وجه علي يتهلّل فرحاً. فطرب المسلمونَ لهذا النّصر والظّفر الرّائع، وصفَّقت له قلوبهم، بعد أن بلغَتِ القلوب الحناجِر من الخوف، وعادَته السّكينة إلى نفوسهم بعد أن شكّكوا بالله والرّسول، وظنّوا به الظنّون. ولمّا وصلَ علي إلى النّبي ﷺ

(1) شرح النّهج: لابن أبي الحديد.

ألقى رأس عمرو بينَ يديه. فقام أبو بكر وعمر وقبَّلا رأسَ علي. وقال له عمر: هلاَّ سلبتَهُ درعه؟ فإنَّه ليس في العرب مثلها!! فقال: إنّي استحييتُ أن أكشفَ عورته.

وجزع الأعداء لمقتل سيّدهم، وأصابهم من الخوف ما أصابَ المسلمين في بدء الأمر، وبذلوا لرسول اللّهِ ﷺ عشرة آلاف درهم ليعطيهم جثّة عمرو، فقال: هي لكم، ولا نأكل ثمن الموتى[1].

لقد قلبَتْ ضربة علي ؑ يوم الخندق الوضع رأساً على عقب، فجعلت القويّ ضعيفاً، والضّعيف قويّاً. ومن هُنا قال النّبي ﷺ: «لَضَرْبَةُ عليّ يوم الخندق أفضَلُ من عمل الثّقلين، أو أفضَلُ من عمل أُمّتي إلى يوم القيامة». (كما يرويه الخوارزمي في مناقبه ص ٥٢ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدرية ـ النجف).

وفي (دلائل الصّدق) أنّ السُّيوطي قال في الدر المنثور: إنّ ابن مسعود كان يقرأ: «وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب».

أمّا ابن أبي الحديد فيقول: فأمّا الخرجة الّتي خرجها يومَ الخندق إلى عمرو بن عبد ودّ فإنّها أجلُّ من أن يقال جليلة، وأعظَمُ من أن يقال عظيمة. وما هي إلاّ كما قال شيخُنا أبو الهزيل وقد سأله سائِلٌ: أيُّما أعظم منزلَةً عند الله: علي أم أبو بكر؟ فقالَ: يابن أخي والله لمبارزة علي عمراً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرينَ والأنصار وطاعاتِهم كلّها وَتُرْبي عليها، فَضْلاً عن أبي بكر وحده. وقد روى عن حذيفة بن اليماني ما يناسب هذا، بل ما هو أبلغ منه. روى قيس بن الرَّبيع عن أبي هارون العبدي، عن ربيعة بن مالك السَّعْدِي قال: أتيتُ حذيفَةَ بن اليمان فقلتُ: يا أبا عبدالله إنّ النّاس يتحدَّثون عن علي بن أبي طالب ومناقِبِهِ، فيقول لهم أهل البصيرة: إنَّكم لتفرطون في تقريظ هذا الرَّجل. فهل أنت محدّثي بحديثٍ عنه أذكرُهُ للنّاس؟ فقال: يا

---

(١) فضائل علي بن أبي طالب لمغنية.

ربيعَةُ، وما الّذِي تسألني عن علي؟ وما الّذِي أُحدّثك عنه؟ والذي نفس حُذيفة بيده لو وُضِعَ جميع أعمال أُمّة محمّد ﷺ في كفّة الميزان منذ بعَثَ الله تعالى محمّداً إلى يوم النّاس هذا، ووضع عملٌ واحدٌ من أعمال علي في الكفّة الأُخرى لرجح على أعمالهم كلّها. فقال ربيعة: هذا المدح الّذي لا يقامُ له ولا يقعد ولا يحمل. إنّ لأظنّه إسرافاً يا أبا عبدالله! فقال حُذَيفة: يا لكَع، وكيف لا يحمل! وأين كان المسلمونَ يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الهلع والجزع، ودعا إلى المبارزة فأحجمُوا عنه حتى برز إليه علي فقتلَهُ! والذي نفس حذيفة بيدِهِ لعملُهُ ذلكَ اليوم أعظَمُ أجراً من أعمال أمّة محمّد ﷺ إلى هذا اليوم وإلى أن تقومَ القيامَة.

وقال أبو بكر بن عيّاش: لقد ضرب علي بن أبي طالب عليه السلام ضرَبَةً ما كان في الإسلام أيمَنَ منها، ضربَتُهُ عَمْراً يوم الخندق. ولقد ضُرِبَ عليٌّ ضربَةً ما كان في الإسلامِ أشأمَ منها ـ يعني ضربة ابن ملجم ـ.

وقال جابر بن عبدالله الأنصاري: واللّهِ ما شبَّهْتُ يوم الأحزاب، قتل عليٌّ عمراً! وتخاذل المشركون بعدَهُ، إلاّ بما قصّه الله تعالى من قصّةِ طالوت وجالوت في قوله: ﴿فهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوتَ﴾[1] سورة البقرة: الآية ٢٥١.

ويروي الخوارزمي في مناقِبه، مرفوعاً بالأسانيد إلى يحيى بن آدمَ يقول: ما شبَّهْتُ قتل علي عليه السلام إلاّ بقول الله عزّ وجَلّ: وقتل داود جالوتَ فهزموهم بإذن الله[2].

خيبر:

بعَثَ الرّسول ﷺ أبا بكر إلى خيبر ليفتح منها حِصْن (ناعم) ففشل،

---

(١) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ ١٩ ص ٦١ ـ ٦٢ ط ١٩٦٣ م، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) مناقب الخوارزمي، ص ١٠٦ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النّجف.

فأرسل عمر بن الخطَّاب، وحارب اليوم كلّه ففشل، فأرسلَ علِيّاً وقابلوه بالطَّعن والقتال، وخرجَتْ فرقةٌ منهم، فسَدَّت على المسلمينَ مسالكهم إلى الحصن، وهمّها الفارس البارز أمام الصُّفوف يتقدّمهم، فتكاثروا عليه، زاعمينَ أنّهم حقَّقوا النَّصر، واستطاعوا أن يُسْقِطوا من يده ترسه، وهجموا وهو مكشوف الصَّدر. فاستطاعَ في لمحة بصر أن يلوذ بجانبٍ من الحصن، وخلع باباً من جدار وجعله ترساً، وكرَّ عليهم حتّى صرعهم جميعاً تحت قدميه، واتّخذ من التّرس العجيبة بعد هذا قنطرة إلى داخل الحصن، تَبِعَهُ عليها أصحابه ثمَّ تمّ الفتح.

ومن العجيب أنّ بضعة عشر رجلاً من أصحابه حاولوا أن يفتحوا البابَ الذي كان ترسَهُ فناؤوا به. وذكر سبط ابن الجوزي في (تذكرته) وقال جابر بن عبدالله: حمل علي عليه السلام باب خيبر وحده، فدحاه، ثمَّ جاء بعده أُناس يحملونه، فلم يحمله إلاّ أربعون رَجُلاً[١].

ويروي الطَّبري أنّ عليّاً عندما فرغ من التّرس ألقاهُ من يدهِ، وقد اجتهد ثمانية نفر على أن يقلبوا ذلك البابَ فلم يقلبوه. وقال ابن هشام في (السّيرة): وألقى عليٌّ الباب وراء ظهرِهِ ثمانين شبراً، وفي رواية أنّ عليّاً لما انتهى إلى باب الحصن اجتذبه فألقاهُ بالأرض، فاجتمع عليه بعده سبعون رجلاً، حتّى أعادوه إلى مكانه.

والخلاصةُ: مُنِحَ الإمام لقب (قالع الباب) حتّى قال به ابن أبي الحديد المعتزلي:

يا قالع الباب الَّذي عَنْ هَزِّهِ　　　عجزَتْ أَكُفٌّ أربعون وأَرْبَعُ

ومهما يَكُنْ، فإن دلَّتْ هذه الحكايات على شيءٍ، فإنَّما تدلّ على شجاعة الإمام في نَفْسِهِ، وقدرتِهِ العجيبة الخارقة في بدنه[٢].

ومن غرائبه أنّه كانَ يستطيعُ أن يخطف بذراعٍ واحدةٍ فارساً عن فرسه،

---

(١) تذكرة سبط ابن الجوزي، ص ٣١ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ.

(٢) راجع كتاب عبد الفتاح (علي بن أبي طالب).

وإن كان دارِعاً بالحديد، فيجلد به الأرض، ثمَّ يقذفُ به كالكرة أينما شاء[1].

وروى العلاَّمة الحلّي في كتـاب (نهج الحقّ) جـاء في مُسْنَد أحمـد من عـدّة ظرق، وصحيحَيْ مسلم والبخـاري من طـرقٍ متعـدّدة، وفي الجمـع بين الصّحاح السّتَّة أيضاً عن عبدالله بن بـريدة قـال: سمعتُ أبي يقول: حـاصَرْنـا خيبر، وأخذ اللّواء أبو بكر، فانصرف ولم يُفْتَـحُ له. ثم أخـذَهُ عمر من الغـد. فرجع ولم يُفْتَح له، وأصاب النّاس يومئذٍ شـدّة وجهد، فقالَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّــي دافــع الرَّايةِ غداً إلى رَجُلٍ يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّار غير فرّار، ولا يرجع حَتّى يفتح الله له.

فبات النّاسُ يتداولون ليلتهم، أيّهم يعطاها؟ فلمّا أصبح النّاسُ غدوا إلى رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كلّهم يـرجـو أن يعـطاهـا. فقـال النّبي: أينَ علي بن أبي طالب؟ فقالوا: إنّه أرمد العين، فأرسـل إليه، فـأتى، فبصق رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم في عينه، ودعا لَهُ، فبرِىءَ. فأعطاهُ الرَّاية وَمضى علي فلم يرجع حتّى فتح الله على يديه[2].

وقال المفَضّل بن روزبهان ـ وهو من أعلم علماء السّنة ـ معقّباً على قول العلاَّمة الحلّي: «حديث خيبر صحيح» وهذا مِنَ العليَّة لأمير المؤمنين.

حُنَيْـن:

ذكر صاحب كتاب (العقد الفـريد) لابن عبـد رَبّه في احتجـاج المأمـون على الفقهاء. قال المأمون: يا إسحٰقُ حدّثني عن قوله عزّ وجَلّ: ﴿ويوم حُنَيْنٍ إذ أعجبَتْكُمْ كثـرتكُمْ﴾ إلى قولـه : ﴿ثُمَّ أنزل الله سكينَتـه على رسولـه وعلى المؤمنين﴾[3]. أتعلمُ مَنِ المؤمنون هُنا؟ قلتُ: لا أدري. قال: النّـاسُ جميعاً انهزموا يومَ حُنَيْن، فلم يبقَ مع الـرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ سبعـة نفر من بني هـاشِم،

---

(١) راجع نفس الكتاب لعبد الفتاح.
(٢) راجع الفصول المهمَّة: لابن الصبَّاغ المالكي، ص ٢٠ ط ٢ عام ١٩٦٢ م.
(٣) سورة التوبة: آية ٢٦.

علي يضربُ بسيفِهِ بين يدي الرَّسول ﷺ، والعبَّاس آخذٍ بلجام بغلة الرَّسول ﷺ، والخمسة محدقون به خوفاً مِنْ أن يناله من جراح القوم شيءٌ حتَّى أعطى الله لرسوله الظَّفر. فالمؤمنون هنا عليٌّ خاصَّةً، ثمَّ من حضِرَهُ من بني هاشِم. قال: فمن أفضل؟ من كان مع الرَّسول في ذلك الوقت؟ أم من انهزمَ عنه؟ ولم يره الله موضِعاً لينزلها عليه؟ قلتُ: بَلْ من أُنْزِلَتْ عليه السَّكِينة.

وذكر الأستاذ محمَّد جواد مغنية في كتابه (فضائِل علي بن أبي طالب) أنّ عدد المشرِكين الّذين تجمَّعوا لحربه ثلاثون ألف مقاتِل. وتهيّأ الرَّسول للقائِهم باثني عشر ألف رَجُلٍ، عشرة آلاف من أصحابه الَّذِين فتح بهم مكّة، وألفان ممَّنْ أسلم بعد الفتح. ومنهم الطُّلَقَاء أمثال أبي سفيان وابنه معاوية.

وعندما مَرَّ النَّبي ﷺ بوادي حنين، وكانَ أجوفَ منحدِراً، وكان جيش العدوّ قد سبقهم إلى احتلال مضايقه، وكَمَنَ فيها، وَعند وصول المسلمين إلى الوادي رموهم بسهامهم الغزيرةِ، فانهزمَ النّاس، وتفرَّقوا عن النّبي. وكان أوّل المنهزمينَ أبا سفيان، وَمن لَفّ لَفّه، وشمت وفرح وقال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر.

وثبتَ مع رسول الله ﷺ علي عليه السلام شاهِرٌ سيفه بينَ يدي الرَّسول، والعبَّاس بن عبد المطّلب، وكان آخِذاً بلجام بغلة الرّسول، والفضل بن العبّاس عن يمين النّبي، والمغيرة بن الحارث بن عبد المطّلب عن شماله، ولمّا انهزم المسلمون خرج المشركون من مضايقهم، واتّجهوا بسيوفِهِم نحو النّبي. فقالَ النّبي لعمه العبَّاس: نادِ القومَ، وذكّرهم بالعَهد. فلمّا سمعَ الأنصار نداء العبَّاس عطفوا وكسروا جفون سيوفهم، وهم يقولون: لبَّيْكَ لبَّيْكَ. فاستقبل بهم النّبي الأعداء واقتتل الفريقانِ اقتتالاً شديداً.

وكانَ حامل راية المشركين وطليعتهم رَجُلًا يدعى أبا جرول، وكان يكرّ على المسلمين وينال منهم. فبرز له علي وقتلَهُ، وقتل معه تسعة وثلاثين

فـارِساً. وبـذلك تمَّ النّصـر للنّبي بسيفِ عَلِيّ من جهة، والمـلائكـة من جهـةٍ ثانية.

سريّة ذات السَّلاسل:

ذكر أصحابُ السّيرَ أنّ أعرابيّاً قال له: إنّ قومـاً من الأعراب عملوا على أن يبيّتـوك فخـطب النّـاس وأخبـرهم، وقـال: مَنْ للوادي؟ فقـامَ رَجُـلٌ من المهاجرين وقال: أنا لَـهُ. فناوَلـهُ اللّواء، وَخرَجَ في سبعمـائةِ رَجُـل، فوافـاهم ضحوَةً، ودعاهم إلى الإسلام أو القِتال. فقالوا لـه: ارجع إلى صـاحبك، فـإنَّا في جمع لا نقوم له، فرجـع. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ للوادي؟» فقـامَ رجلٌ وفعـل فعلة السَّـابِق، ورجـع. فقـال صلى الله عليه وآله وسلم: «أين علي؟» فقـال: هـا أنـاذا. قـال: «امْضِ إلى الـوادي». قال: نعم، وخـرج باللّواء حتّى وافـاهُمْ سحـراً، وقـال للعدوّ: يا هؤلاءِ أنا رسول رسـولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم إليكم أن تقولـوا: لا إلّه إلاّ الله، وأنَّ محمّداً عبده ورسوله. وإلاّ لأضـربنّكم بالسَّيف. قـالوا: ارجـع كما رجـع صاحباكَ. فحصل قتالٌ بينَهـم، فقَتَلَ ستَّةً أو سبعـةً، وانهزم المشـركون، وظفـر المسلمـون وحازوا الغنـائم. ونزل جبـرئيل وأخبـر النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلـك، فـأمـر النّاس أن يستقبلوا عليّاً، فاصطفّوا صَفّينِ مع الرَّسولِ صلى الله عليه وآله وسلم. فلمّا رأى النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم ترجَّلَ عن فرسه، وأهوى إلى قدميه يقبّلهما. فقال له: اركبْ. فـإنّ الله تعالى ورسوله راضيان. فبكى علي وانصرفَ إلى منزلِهِ، ثمَّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لولا أنّي أشفقُ أن تقولَ فيكَ طوائِفُ ما قالت النّصارى في عيسى لقلتُ فيـك اليومَ مقالاً لا تمرُّ عـلى ملأٍ منهم إلاّ أخذوا التُّراب من تحتِ قدميكَ تبرُّكاً»(١).

أيُّ قـولٍ مثل هـذا القول؟ وأيّ فخـرٍ مثل هـذا الفخـر؟ واللّهُ ورسـولـه

---

(١) راجع المناقب للخوارزمي مرفوعاً بالأسانيد إلى أبي رافع قال: قالرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: : «يا علي لولا أن تقول طوائف من أمّتي ما قالت النّصـارى في عيسى بن مريم لقلتَ فيك اليومَ مقالاً لا تمرُّ بـأحدٍ من المسلمين إلا أخـذوا التّراب من أثـر قدميـك يطلبـون البركة»، ص ١٩٦٥، المطبعة الحيدرية، النّجف.

راضيان، والنَّصر حليفه، والتّوفيق رائده. فللّه دَرُّكَ يا أبا الحسن ما أشْجَعك وأسْمَاكَ.

أمّا حروب الإمام بعد النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم فثلاثة: الجمل وصفّين والنّهروان. هذه الحروب الثلاثة كانت ضدّ النّاكثين والقاسطين والمارقين. ولكن قبل أن نكتبَ لمحةً موجزةً عن هذه الحروب الثلاثة علينا أن نوضّحَ للطّالب أنّ هذه الحروب الثلاثة كانت بأمرٍ من الله ورسوله. وقد نوَّهَ النّبي الكريم بذلك أحياناً وأحياناً حَثَّ على نصرة علي والقتال معه. فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «سيكون بعدي قومٌ يقاتِلون عليّاً على الله جهادهم، فمن لم يستطِع جهادَهُمْ بيده فبلسانِهِ، ومن لم يستطع بلسانه فبقلبه، وليس وراء ذلكَ شيءٌ»[1].

وقيل لحذيفة اليماني: حدّثنا ما سمعتَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: لو فعلتُ لرجمتموني. قلنا: سبحانَ الله، قال: لو حدثتكم أنّ بعضَ أمّهاتِكم تغزوكم في كتيبةٍ تضربكم بالسَّيف ما صدّقتموني. قالوا: سبحانَ الله! ومن يصدّقك بهذا؟ قال: أتتكم الحميراء في كتيبةٍ تسوق بها أعلاجها[2].

وأخرج الطبراني في الجزء الخامس ص ١٧٨ وتاريخ أبي الفداء جـ ١ ص ١٧٣ لمّا سمعت عائشة نباح الكلاب، فقالت: أيُّ ماءٍ هذا؟ فقالوا:

---

(١) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد، جـ ٩ ص ١٣٤، وكنز العمّال، جـ ٦ ص ١٥٥، وفي جـ ٧ ص ٣٠٥، نقلاً عن الطبراني وابن مردويه وأبي نعيم والغدير، جـ ٣ ص ١٩٠.

(٢) أخرجه البزّار وأبو نعيم وابن أبي شيبة والماوردي في الأعلام، ص ٨٢، الزمخشري في الفائق، ص ١٩٠، وابن الأثير في النّهاية، جـ ٢ ص ١٠، والفيروزابادي في القاموس، جـ ١ ص ٦٥، والكنجي في الكفاية، ص ٧١، والقسطلاني في المواهب اللّدنية، جـ ٢ ص ١٩٥ وكثير غيرهم. راجع الغدير، جـ ٣ ص ١٨٩ ط ٢، وشرح الزرقاني، جـ ٧ ص ٢١٦، والهيثمي في مجمع الزّوائد، جـ ٧ ص ٢٣٤. وقال: رواه البزّار ورجاله ثقات، والسُّيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز، جـ ٦ ص ٨٣، والحلبي في سيرته، جـ ٣ ص ٢١٣، وزيني دحلان في سيرته، جـ ٣ ص ١٩٣ هامش الحلبية، الصّبان في الإسعاف، ص ٦٧.

الحوءب. فقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. إنّي لَهيَةْ. لقد سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «وعنده نساؤه، ليْتَ شعري أيتكُنَّ تنبَحُها كلاب الحوءب؟» فأرادَتِ الرُّجوع، فأتاها عبدالله بن الزُّبَير، فزعَمَ أنّه قال: كذب من قالَ أنّ هذا الحوءب ولم تزل حَتّى مَضَتْ.

وكثيراً ما ورد عن النّبي ﷺ ذلكَ مثل قوله: أيتكُنَّ صاحبةُ الجمل الأدبَب (كثير الشَّعر) تخرج فينبحها كلاب الحوءب يقتل حولها قَتْلَى كثير، وتنجو بعدما كادَتْ تقتل؟[1].

وقوله ﷺ لهُنَّ: «كيفَ بإحداكن إذا نبح عليها كلاب الحوءب»، وَقوله ﷺ لهُنَّ: أيتكنّ تنبحها كلاب الحوءب؟[2]. وقوله ﷺ لهُنَّ: ليتَ شعري أيتكُنَّ تنبحها كلاب الحوءب سائرةً إلى الشّرق في كتيبةٍ[3]. وقوله ﷺ لها: يا حميراء كأني بكَ تنبحُكَ كلاب الحوءب، تقاتلين علياً وأنْتِ له ظالمة[4].

وقد صَحّ عن رسولِ الله ﷺ قوله للزُّبير: إنَّكَ تقاتِل عليّاً وأنتَ ظالِمٌ له. وبهذا احتجَّ أمير المؤمنين ﵇ على الزُّبير يوم الجمل، وَقالَ: أتذكر لمّا قال لَكَ رسولُ الله ﷺ «إنَّك تقاتِلُني وأنت ظالِمٌ لي؟» فقال: اللهمَّ نعم[5].

وهذه كلماتُ الصَّحابة مبثوثة في طيّات الكتب والمعاجم، وهي تعرب عن أنّ رسولَ اللّهِ ﷺ كان يحث أصحابه إلى نصرة أمير المؤمنين في تلك

---

(١) مستدرك الحاكم، جـ ٤ ص ٤٧، والخصائص، جـ ٢ ص ١٣٧.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، جـ ٦ ص ٥٢، وابن أبي شيبة، ونعيم بن حماد في الفتن، وعن الأخيرين: السُّيوطي في جمع الجوامع، كما في الكنز، جـ ٦ ص ٨٤.

(٣) معجم البلدان، جـ ٣ ص ٣٥٦.

(٤) العقد الفريد: لابن عبد ربّه، جـ ٢ ص ٢٨٣، الغدير، جـ ٣ ص ١٨٩.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، جـ ٣ ص ٣٦٦، وصحّحه هو والذّهبي. والبيهقي في الدّلائل وأبو يعلى. وأبو نعيم والطّبري في تاريخه، جـ ٥ ص ٢٠٠ و ٢٠٤، وأبو الفرج في الأغاني، جـ ١٦ ص ١٣١ ـ ١٣٢، وابن عبدربه في العقد الفريد. ومن أراد التوسّع والإطلاع على كثر المصادر فليراجع الغدير، جـ ٣ ص ١٩١.

الحـروب، ويدعـوهم إلى القتال معـه، ويأمـر عيون أصحـابه بقتـالِ النّـاكثين والقاسطين والمارقين منهم:

أبو أيوب الأنصاري:

ذلك الصّحابي العظيم. قال أبو صادق: قدم أبو أيوب العراق، فـأهدَتْ لـه الأزد جـزراً فبعثـوا بهـا معي، فـدخلْتُ فسَلَّمْتُ عليه، وَقلتُ لـه: قـد أكرمَكَ الله بصحَبَةِ نبيّه ونـزولِهِ عليـكَ، فما لي أراكَ تستقبِـلُ النّاس تقـاتِلُهُمْ؟ تستقبِـل هؤلاء مرة، وهؤلاءِ مَـرّةً. فقـال: إنّ رسـولَ اللّهِ ﷺ عهـدَ إلينـا أن نقاتِلَ مع علي النّاكثين فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين، فهذا وجهنا إليهم يعني معاوية وأصحابه، وعهد إلينـا أن نقاتـل مع علي المـارقين، فلم أرهم بعد[1].

وفي (المناقب) للخوارزمي مرفوعاً بالأسانيد إلى ثعلبـة قال: حَـدَّثني أبو أيـوب الأنصاري في خـلافة عمـر بن الخطاب قـال: أمرني رسـولُ اللّهِ ﷺ بقتال النّاكِثِين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب[2].

أبو سعيد الخدري:

قال: أمرَنَا رسولُ اللّهِ ﷺ بقتال النّاكثين والقاسطين والمـارقين. قلنا: يـا رسـولَ الله، أمَـرْتنـا بقتـالِ هؤلاءِ، فمعَ مَنْ؟» قـال: مـع علي بن أبي طالب[3].

---

(١) تاريخ ابن عساكر، جـ ٥ ص ٤١، أربعين الحـاكم ولفظه يقـربُ من هذا، تـاريخ ابن كثير، جـ ٧ ص ٣٠٦، كنز العّمال، جـ ٦ ص ٨٨.

(٢) المناقب: للخوارزمي، ص ١٢٢ ط ١٩٦٥، المطبعة الحيدرية، النّجف.

(٣) أخـرجه الحـاكم في أربعينه، كمـا ذكره السّيـوطي، والحـافظ الكنجي في الكفـايـة، ص ٧٢، وابن كثيـر في تـاريخـه، جـ ٧ ص ٣٠٥، والخـوارزمي في المنـاقب، ص ١٢٢ ط ١٩٦٥، المطبعة الحيدرية، النّجف. ويزيد عليـه: (ومعه يقتـل عمّار بن ياسر).

أبو اليقظان عمّار بن ياسر:

قال: قال رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «ستقاتِلُكَ الفئةُ الباغيةُ وأنتَ على الحقّ. فمن لم ينصُرْكَ يومئذٍ فليس منّي»(١).

خليد العصري:

قال: سمعتُ أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السلام يقول يوم النّهروان: أمرني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتالِ النّاكِثين والقاسِطين والمارقين(٢).

علي بن ربيعة الوالبي:

قال: سمعتُ عليّاً يقول: عهد إليَّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أُقاتِلَ بعدهِ القاسِطين والنّاكثين والمارقين(٣).

وقال ابن أبي الحديد في شرحه جـ٣ ص ٢٤٥:

---

(١) أخرجه ابنُ عساكِرَ في تاريخه، والسيوطي في (جمع الجوامع) كما في ترتيبه، جـ٦ ص ١٥٥، وحكاه الزّرقاني عن ابن عساكِر في شرح المواهب، جـ٣ ص٣١٧، وفي شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ٦ ص ٢٢ قال: حدّثني موسى بن عبد الرّحْمٰنِ السّلمي، قال: سمعت عمّار بن ياسِر بصفّين وهو يقول لعمرو بن العاص: لقد قاتلتُ صاحب هذهِ الرّاية ثلاثاً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الرّابعة ما هي بأبرَّ ولا أتقى، جـ٦ ص ٢٢ ط ١٩٦٠ م. وفي المناقب: للخوارزمي يرفع أسانيده إلى عبدالله بن مسلم، يقولُ: رأيتُ عمّارَ بن ياسر يوم صفّين شيخاً أدماً طويلاً آخِذاً الحربة بيده، ويده ترعُدُ، قالَ: والّذي نفسي بيده لقد قاتَلْتُ بهذه الرّايةِ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثَ مرّاتٍ، وهذه الرّابعة، فوالّذِي نفسي بيده لو ضربونا حَتّى يبلغوا بنا سعفاتِ هجر لعلِمْنا أنّ شيخَنا عليه السلام على الحقّ، وأنّهم على الضّلالة، ص ١٢٦ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النّجف.

(٢) أخرجه البزّاز والطّبراني في الأوسط، والحافظ الهيثمي في المجمع، جـ٧ ص ٢٣٨، وأخرجه أبو يعلى كما في تاريخ ابن كثير، جـ٧ ص ٣٠٤، وشرح المواهب للزّرقاني، جـ٣ ص ٢١٧، وقال: سندٌ جيّدٌ.

(٣) الخطيب في تاريخه، جـ٨ ص ٣٤٠، وابن كُثير في تاريخه، ص ٣٠٥.

قد ثبتَ عن النَّبي ﷺ أنّه قال لعلي عليه السلام: «تقاتِل بعدي النَّاكثين والقاسطين والمارقين»(١).

أمّ سلمة:

ففي ينابيع المودَّة جـ ١ ص ٧٩، أخرج بسنده عن المناقِب، بسندِهِ عن جعفر الصَّادق عن أبيه عن جده عن علي بن الحسين عليه السلام، قال: بَلَغْ أم سلمة رضي الله عنها أنّ مولىً لها ينتقِصُ عليّاً كرَّم الله وجهه، فأرسَلَتْ إليه فأتى إليها. وقالَتْ: يا بُنَيَّ أُحدِّثُكَ بحديثٍ سمعتُهُ من رسولِ الله ﷺ. قالَ ﷺ: «يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي أخي في الدّنيا والآخرة، وحامِل لوائي في الدُّنيا، وحامِل لواء الحمد غداً في القيامة. هذا علي وصييّ وقاضي عدَّتي، والذّائد عن حوضي المنافقين. يا أمَّ سلمة هذا علي سيِّد المسلمين وإمام المتَّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وقاتِلُ النَّاكِثين والقَاسِطين والمارقين». قلتُ: يا رسولَ الله، مَنِ النَّاكِثون؟ (قال): «الَّذِي يبايعونَهُ بالمدينة وينكثون بالبصرة». قلتُ: مَنِ القاسطون؟ (قال): «ابن أبي سفيان وأصحابه من أهل الشَّام». قلتُ: مَنِ المارقون؟ (قال): «أصحاب النَّهروان». فقال مولاها: فجزاكِ الله عنّي لا أسبُّهُ أبداً(٢).

وذكر الخوارزمي في (مناقبه) مرفوعاً إلى عبدالله قال: خرج رسولُ اللّهِ ﷺ، فأتى منزل أم سلمة فجاء علي عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: «هذا واللّهِ قاتِلُ القاسطين والمارقين والنَّاكثين بعدي»(٣).

وعن علقمة بن قيس والأسود بن بريدة، قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري، قلنا: يا أبو أيوب: إنّ الله تعالى أكرمك نبيُّكَ إذ أوحى إلى راحلتِهِ تبركُ إلى

---

(١) الغدير: للشيخ الأميني، جـ٣ ص ١٩٤ ـ ١٩٥.
(٢) ينابيع المودّة: للقندوزي الحنفي، جـ١ ص ٧٩ ط ٢ مكتبة الوفاء صيدا. وكشف الغمّة: للأربلي، جـ١ ص ٩٢. وكذلكَ (علي والوصيَّة) لنجم الدّين العسكري.
(٣) المناقب: للخوارزمي، ص ١٢٢ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النَّجف.

بابك. فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صنَعَ لك فضيلَةً فضّلك بها، أخْبرْنا بمخرجك مع علي عليه السلام تقاتِل أهل لا إلَه إلاّ الله. فقال أبو أيوب: فإنّي أُقسِمُ لكما باللّهِ تعالى، لقد كانَ والنّبي صلى الله عليه وآله وسلم معي في هذا البيت الّذِي أنتما فيه معي وما في البيت غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي جالس عن يمينه، وأنَس قائم بين يديه، إذ حَرَّكَ الباب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنظُرْ إلى الباب مَنْ بالباب؟» فقال: يا رسولَ اللّهِ، هذا عمّار. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «افتح لعمار الطّيب المطيَّب». فَفَتح أنس الباب، فدخل عمّار على رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، قالَ: «يا عمَّار، ستكون في أُمَّتِي هنات حَتّى يختلف السَّيف، فيَحكم بينَهُمْ حتّى يقتل بعضهم بعضاً. فإذا رأيت ذلكَ فعليك بهذا الأصلع عن يميني، يعني علي بن أبي طالب. إن سلكَ النّاس كلّهم وادياً وسلك علي وادياً، فاسلك وادي علي، وخلّ عن النّاس. يا عمّار: علي لا يردّك عن هُدىً، ولا يدلُّكَ على ردى. يا عمَّار، طاعةُ علي طاعتي، وطاعتي طاعة الله»[1].

وكثيراً ما ردَّد النَّبيّ الكريم بأنّه يقاتل على تنزيل القرآن، وعلي يقاتِل على تأويله، والمقاتلة على التّأويل كنفسِ المقاتلةِ على التّنزِيل. فحربُ علي على تأويله كحرب الرَّسول على تَنزيله، ومن يطعن في حرب علي كمن يطعن في حرب الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم. ومن حارب النّبي كافِرٌ، إلاّ إذا أسلم. وكذلكَ من حارب عليّاً فهو كافِرٌ، إلاّ إذا تاب. وهذه بعض الأحاديث الواردة في قتال علي على تأويل القرآن.

أخرج أحمد والحاكِم بسندٍ صحيح عن أبي سعيد الخدري أنَّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي: «إنَّكَ تقاتِل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»[2].

عن وهب بن صفي البصري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أقاتِلُ

---

(١) ينابيع المودّة: للقندوزي، جـ٢ ص ٧٤ ط ٢، مكتبة العرفان صيدا.

(٢) ينابيع المودّة: للقندوزي، جـ٢ ص ١٠٧ ط ٢، مكتبة العرفان صيدا.

على تنزيـل القـرآن، وعلي يقـاتِـل على تـأويـل القـرآن»، رواهُ صـاحب الفردوس[١].

وعن أبي سعيد مرفوعاً أنّ منكم من يقاتِل على تأويل القرآن كما قـاتلتُ على تنزيله. قال أبو بكر: أنا هو يا رسولَ اللّهِ؟ قال: «لا». قال عمـر: أنا هـو يا رسول الله؟ قـال: «لا». قال عمـر: أنا هـو يا رسـول الله؟ قال: «لا. ولكِن خـاصف النّعل، وَأعـطى عليّاً نعلَهُ يخصفهـا». أخرجـه أبـو حـاتم وأبـو يعلى الموصلي[٢].

ومن المنـاقب عن أبي ذرّ قال: كنتُ مـع رسـول الله ﷺ وهـو ببقيـع الغـرقد، فقـال: «والذي نفسِي بيـده إنّ فيكم رجلاً يقـاتِلُ النّـاس بعدي على تأويل القرآن كما قاتلتُ المشركين على تنزيله، وهم يشهدون ألاّ إلّـه إلاّ الله، فيكبر قتلهم على النّاس حتى يطعنوا على وليّ الله، ويسخطوا عمله كما سخط موسى أمر السَّفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار للّهِ رِضىً، وسخط ذلـك موسى. أراد بالرّجل علي بن أبي طالب»[٣].

وروى إبراهيم بن ديزل مرفوعـاً إلى أبي سعيد الخـدري، قال: كنّـا مع رسول الله ﷺ، فانقطع شِسع نِعله، فـألقاهـا إلى علي يصلحها، ثمَّ قـال: «إنّ منكم من يقاتِلُ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله». فقال أبو بكر: أنـا هو يـا رسولَ الله؟ فقـال: «لا». فقال عمـر: أنا هـو يا رسـولَ اللّهِ؟ فقال: «لا. ولكنّـه ذاكم خـاصف النَّعـل، ويـدُ علي على نعـل النّبي الكـريم يصلحها»[٤].

وروى كثيـر من المحدّثين هـذا الحديث. راجـع شرح النَّهـج لابن أبي

---

(١) ينابيع المودّة: للقندوزي، جـ٢ ص ٥٧ ـ ٥٨.
(٢) ينابيع المودّة أيضاً، جـ٢ ص ٣٤.
(٣) كشف الغمّة: للأربلي، جـ١ ص ١١٥.
(٤) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ٣ ص ٢٠٧ ط ١٩٥٩ م.

الحديد الشَّـافِعِي المعتزلي الجزء الثاني ، وكـذلِكَ كتـاب الإمام علي بن أبي طالب لعبد الفتّاح عبد المقصود يذكر هذا الحديث في عدَّةِ مناسبات. وكـذلكَ أحاديث النَّاكثين والقاسطين والمارقين ردّدَت كثيراً كأحاديث التأويل.

وعن الإصبـغ بن نباتـة قال: جـاء رَجُلٌ إلى علي عليه السلام فقـالَ: يا أميـر المؤمنين، هؤلاء القـوم الَّذين نقـاتِلُهُمْ. الـدّعـوة واحـدة، وَالـرَّسُـول واحـد، والصَّـلاة واحدة، والحَـجُّ واحد، فبِمّ نسمّيهم؟ قـال: سمّهم بمـا سمّـاهم الله تعالى في كتابه، فقال: ما كلّ ما في الكتاب أعلمُهُ. قال: أمـا سمعتَ الله في كتابه يقـول: ﴿تلك الرُّسـل فضَّلنا بعضهم عن بعض منهم من كلّم الله ورفـع بعضهم درجـات وآتينا عيسى بن مـريم البيِّناتِ وأيّـدنـاه بـروح القُـدُس ولـو شـاء الله ما اقتتل الَّذين من بعدهم من بعدما جـاءتهم البيِّنات ولكن اختلفـوا فمنهم من آمن ومنهم من كفـر﴾[1] . فلمّا وقـع الاختلاف كنّـا نحن أولى بالله عـزّ وجـلَّ وبـالنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وَبـالكتـاب وبـالحقّ، فنحن الـذين آمنـوا وهم الـــذين كفـروا وشاء الله قتالهم بمشيئته وإرادته[2] .

وعن جابر رضي الله عنـه قالَ: قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قـوله تعـالى: ﴿فإمّا نذهبَنَّ بِكَ فإنّا منهم منتقمون﴾ نزلَتْ في علي بن أبي طـالب، إنّه ينتقِمُ من النَّاكثين والمارقين والقاسطين بعدي». رواهُ صاحب الفردوس[3] .

ويذكر الخوارزمي في (مناقِبِهِ) مرفـوعاً بـأسانيـدِهِ إلى أبي سعيد التّميمي عن علي عليه السلام قال: عهد إلَيَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أُقاتِـلَ النَّاكثين والقـاسطين والمـارقين، فقيل لـه: يا أميـر المؤمنين مَنِ النّـاكثـون؟ قـال: النّـاكِثـون أهـل الجمل، والمارقون الخوارج، وَالقاسطون أهل الشّام[4].

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٣.
(٢) ينابيع المودّة: للقندوزي، جـ٢ ص ٥٩، منشورات مكتبة العرفان.
(٣) نفس المصدر السّابق ونفس الصّفحة.
(٤) مناقب الخوارزمي، ص ١١٠ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النّجف.

وذكر الطّالقاني عن الهمذاني، عن المنذر بن محمّد، عن جعفر بن سليمان، عن عبدالله بن الفضل، عن سعد بن طريف، عن الإصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: أيّها النّاس اسمعوا قولي واعقلوه عنّي، فإنّ الفراقَ رهيب. أنا إمام البريَّة، وخير الخليقة، وزوج سيّدة نساء هذه الأمّة، وأبو العترة الطّاهرة والأئمة الهادية. أنا أخو رسول الله ووصيّه ووليّه ووزيره وصاحبه وصفيّه وحبيبه وخليله. أنا أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين، وسيّد الوصِيّين. حربي حرب الله، وسلمي سِلْمُ الله، وطاعتي طاعة الله، وولايتي ولاية الله، وشيعتي أولياء الله، وأنصاري أنصار اللّهِ، والّذي خلقني ولم آلِ شيئاً، لقد علم المستحفظون من أصحاب رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الناكثين والقاسطين والمارقينَ ملعونون على لسان النّبي الأمّيّ، وقد خابَ من افترى[1].

ويروي الخوارزمي في (مناقبه) مرفوعاً بالأسانيد إلى سعد بن عبادة عن علي عليه السلام ، قال: أُمِرْتُ بقتالِ ثلاثةٍ: النّاكثين والقاسِطين والمارقين. أمّا القاسطون فأهل الشّام، وأمّا النّاكثون فأهل الجمل، وأمّا المارقون فأهل النّهروان ـ يعني الحرورية[2].

وفي شرح النّهج لابن أبي الحديد المعتزلي الشّافِعِي في الجزء السادس يقول: أمّا الخوارج فقد قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: «إنَّكَ مقاتِلُهُمْ وقاتِلُهُمْ، وإنّ المخدّج ذا الثّدية منهم، وإنّك ستقاتِلُ بعدي النّاكثين والقاسطين والمارقين، فجعلهم أصناماً ثلاثةً». وهذا من معجزات النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وإخباره عن الغيوب المفصَّلَةَ.

ومن كلام الإمام في النّهج: «ألاَ وقد أمرني الله بقتالِ أهل البغي والنّكث والفساد في الأرض. أمّا النّاكِثون فقد قاتلتُ، وأمّا القاسطون فقد

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٤٢٢.
(٢) مناقب الخوارزمي، ص ١٢٥ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النّجف.

جاهدتُ، وأمّا المارقة فقد دُوِّختُ، وأمّا شيطان الردّهة فقد كفيتُهُ بصعقَةٍ سُمِعَتْ لها وجبةُ قلبه ورجّة صدره».

يقول ابن أبي الحديد: فقد ثَبَتَ عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «ستقاتِلُ بعدي النّاكِثِين (أصحاب الجمل)، والقاسطين (أهل الشام بصفّين)، والمارقين (الخوارج في النّهروان)». وفي الفرق الثّلاث قال الله تعالى: ﴿ومن ينكث فإنّما على نفسه﴾[1] . ﴿وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً﴾ . وقال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم : «يخرج مِنْ ضِئْضئي هذا قَوْمٌ يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية، ينظر أحدكم في النّصل فلا يجد شيئاً، فينظر في الفوقِ فلا يجدُ شيئاً سبق الفرث والدّم. أمّا شيطان الردّهة فهو ذو الثّدية صاحب النّهروان»[3].

وأحاديث كثيرة تثبتُ أنَّ حرب علي حربُ الرّسول، وحربُ الرَّسول حربُ الله، لا يماري في ذلكَ ولا يجادل إلاّ كلّ دعيٍّ ناكب عن الصّراط. وكثيراً ما ردّد الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم : «يا عليُّ حربُكَ حربي وسلمُكَ سلمي. وأنا سِلْمٌ لمن سالَمَ أهل الخيمة[4]، وحربٌ لمن حاربهم، ووليٌّ لمن والاهم، وعدوٌّ لمن عاداهم، لا يحبُّهم إلاّ سعيد الجدّ، طيّب المولد، ولا يبغضهم إلاّ شقي الجدّ، رديء المولد»[5]. وَرواه ابن ماجة في صحيحه، ص ١٤، ورواه الحاكِم في مستدرك الصّحيحين جـ ٣ ص ٣١٩[6].

---

(١) سورة الفتح: آية ١٠.
(٢) سورة الجن: آية ١٥.
(٣) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ١٣ ص ١٨٣ ط ١٩٦١.
(٤) أهل الخيمة هم علي وفاطمة والحسنان.
(٥) راجع مناقب الخوارزمي، ص ٢٠٦، وأرجح المطالب: لعبدالله الحنفي، ص ٣٠٩، والرّياض النّضرة: للطبري الشّافعي، جـ ٢ ص ١٩٩.
(٦) ورواه ابن الأثير الجوزي في أسد الغابة، جـ ٥ ص ٥٢٣، وذكره المتقي في كنز العمّال، جـ ٦ ص ٢١٦، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ ٢ ص ٤٤٢، روى بسندِهِ =

ولكن أين هذهِ التّعاليم والنّصح والتّحذير الّذي أعلنه صاحب الرّسالة السّماوية لقد دفنت في مهدها وتنكّروا لهذه التّعاليم وأصبحَ الإمام هو الهدف الأساسي للقضاء عليه نهائيّاً، لأنّ الشّريعة تجسَّمَتْ به حيثُ ضحّى بكلّ غالٍ ورخيص للمحافظة عليها، وشاءَ الله أن يستمرَّ بعد وفاة الرّسول الأعظم مدّةً من الزّمن ليدافعَ عن المثل العليا لهذه العقيدة، ويردّ عنها من أرادوا استغلالها لطمع مادي أو عرض دنيوي، والجهاد هنا لا يقلّ خطراً ولا جرأة عنِ الجهاد أيّام نشر الدّعوة في عهد صاحب الدّعوة الإلّهية، لأنّه جهادٌ يصون الدّعوة، ويبقى عليها صريحَةً مجلوّةً، بعيدة عن الأطماع.

من هذا الإيمان المندفع، ومن هذه النفس المندفعة العتيدة تجمَّعَت الأسبابُ التي جعلت عليّاً يجد نفسه غريباً في مجتمعٍ بدأ يحتالُ على الدّين، ويقوّض مُثُله العليا من أجل المصالح الذاتية، فثار على الاستغلال والطّمع والرّياء، وأراد أن يردّ النّاس إلى الطّريق الّذي يجده صالِحاً، به أَمْنُهُمْ، وبه منجاتُهُمْ، وسلاحه نفسه الّتي قمعها بالزهّد، وروّضها بالصّلاح، وجرّدها من كلّ زينةٍ، لعلّ النّاس يأتمّون به، ويعرضون عن الحياة الدُّنيا اتباعاً له. ولكنَّ النّاس هم النّاس، لم تستطع أي تعاليم أن تهذب طباعهم، أو تقصّر من مطامعهم، وقد رأوا الغنى بعد فقِر، والتّرف بعد شظف، وانصبَّتْ عليهم جداول من النُّعماء لم تحلم بها الصَّحراء، فغلبَ الهوى على التّعاليم، وضعف الوازع الدّينيُ أمام هوى النَّفس.

إنّه شعلَةٌ غريبة أحاط بها ظلام كثيف، كلّما أرادَتْ أن تمدَّ ألسنتها

= عن أبي هريرة قال: نظر النبي ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فَقال: «أنا حربٌ لِمَنْ حاربكم وسلم لمن سالمكم». رواه الحاكم في مستدرك الصَّحيحين، ص ١٤٩، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه، جـ٧ ص ١٣٦، والمتّقي في كنز العمَّال، جـ٦ ص ٢١٦ نقلاً عن الطبري. ورواه ابن الأثير أسد الغابة، جـ٣ ص ١١ بهذا المعنى وإن اختلفَ اللّفظ أحياناً، وكذلكَ في الفصول المهمَّة: لابن الصبَّاغ المالكي، ص ٩ ط ٣ عام ١٩٦٢ م.

وترتفع، جأرت حولها رياح الأهواء لإطفائها. ونفسٌ نبيلة تعهَّدتها تربيـة نقيَّة، لم تـدنّسها وثنيـةٌ سالفـة، ولا طبعها طبـعٌ جاهلي. بـل جـاءت نقيَّـةً، وظلَّت طفولتها اعتقاداً قويّاً، ولذلكَ فَهَمَ الإسلام بمعناه الصَّحيح الواضح، ونشـأ في رعاية صاحب الدَّعوة، يهذّبـه، ويعلّمه، فمـا فاتـه من مكارِم الـدّين والأخلاق شيءٌ. ومَنْ نشأ على هذه المكارِم يصعب عليه أن يبـدّلها، أو يتسـاهلَ فيهـا، لأنها أصبحَتْ في كيانه من كيانه، ولو شاء لخالف بذلكَ طبيعته، وعدَّ معتـدِياً على الطّبيعة. فكان غريباً في سربه، مجفوّاً في شجرته وعشيرته، لأنّهم كـانوا يأخذون بالإسلام، ويؤيّدون بجانب مصالحهم الدّنيوية. لـذلكَ كـانَ لا بدَّ من الاصطدام الواقعي بين المثـالية السّـامية، والـواقعية المنتفعـة، شأن المبـادىء السَّامِية في كلّ زمانٍ ومكان. لقد أراد علي أن يجري النّاس على سنّتِـهِ، وأراد أن يحـاسِبَهم على الصَّغيـرةِ والكبيـرة فيمـا يعتقـدون، وأرادَ أن يحملهم على الإسلام الّذي يفهمه هو تجرّداً من كلّ هـوىً ومادَّةَ. فكـانَ هنالـكَ كفاح مـريرٌ بين المثالية والواقعيَّةِ. ولا يزال يقومُ في كلّ عصرٍ وفي كلّ جيل. ولا تزال فيه الغلبة لمعاوية على علي، وللواقعيّة على المثاليَّة، لأنّ قـوى الخير لا تستـطيع أن تسلك إلاَّ سبيلاً صريحاً واحداً، لا تختلف عنـه، بينما قـوى الشّر تصـطنع سبلاً كثيرةً، والكذب والمكر واستهواء النّاس بما يلائم مطامعهم، ممّا يحسنُـهُ أهل المكر والرّياء، ولا يحسنه أهل الصّدق والصَّفاء. فنلقِ نـظرةً سريعـةً على هذا الصّراع الّذي دار بين علي ومحاربيه. ولنبدأ بوقعة الجمل.

الجـمـل:

روى الواقدي والمسعودي أنّ الوقعة كانت يوم الخميس لعشرٍ خلون من جمـادى الآخرة سنـة ٣٦ هجريـة. وسمّيت هذه الحـروب بوقعـة الجمل، لأنّ قائدة الجيش عائشة فضَّلَت ركوب الجمل على البغال والحمير. ولهـذا الجمل قصّة يرويها الطبري في تاريخه، يقولُ: حدَّثني إسماعيل بن موسى الفـزاري، قـال: أخبرنـا علي بن عابس الأزرق قـال: حدَّثنـا أبو الخـطّاب الهجـري عن صفوان بن قبيصة الأحمسي، قال: حدَّثني العرني صاحب الجمل قال: بينمـا

أنـا أسيرُ على جمـلٍ، إذ عـرض لي راكِبٌ فقـال: يـا صـاحبَ الجمـل تبيـعُ جملكَ؟ قلتُ: نعم. قـال: بكم؟ قلتُ: بـألف درهم. قـال: مجنـونٌ أنتَ؟ جمـلٌ يباع بـألف درهم؟ قـال: قلتُ: نعم. جملي هـذا، قـال: وممَّ ذلـكَ؟ قلْتُ: مـا طلبْتُ عليه أحـداً قطّ إلاّ أدركتهُ. ولا طلبني وأنـا عليه أحـدٌ قطّ إلاّ فُتُّهُ. قال: لو تعلم لمن يزيدُهُ لأحسنْتَ بيْعَنا. قالَ: قلتُ: ولمن تريـده؟ قال: لأمِكَ! قلتُ: لقد تركتُ أمّي في بيتها قاعدةً ما تريد براحـاً. قال: إنّمـا أريده لأم المؤمنين عائشةَ. قلتُ: فهو لكَ. فخفـهُ بلا ثمن. قـال: لا، ولكن ارجع معنا إلى الرَّحل فلنعطِكَ ناقةً مهريَّةً، ونزيدُكَ دراهم. قال: فرجعتُ، فأعطوني ناقةً لها مهريّةٌ، وزاوَدني أربعمائة أو ستمائـة درهماً. فقـال لي: يا أخـا عرينـة هـل لك دلالـة بالـطّريق؟ قال: قلتُ: نعم. أنـا من أدرك النـاس. قـال: فسِرْ معنـا. فسِـرْتُ معهم، فـلا أمـرُّ على وادٍ إلاّ ســألـوني عنـه حتى طـرقنـا مـاء الحـوءب، فنبحتنا كلابها. قـالوا: أيّ مـاءٍ هذا؟ قلتُ: مـاء الحوءب. قـال: فصرخَتْ عائشة بأعلى صوتها، ثمَّ ضربَتْ عضد بعيرها فأناخته، ثمَّ قالت: أنا واللّهِ صاحبة كلاب الحوءب طروقاً، ردُّوني. تقول ذلك ثلاثاً. فأناخَتْ وأناخوا حـولها. وهم على ذلـكَ وهيَ تأبَى حتّى كـانتِ السَّاعـة الّتي أناخـوا فيهـا من الغـد. قال: فجـاءَها ابن الـزُّبير، فقـال: النّجـاء النّجـاء، فقـد أدرككُمْ واللّهِ علي بن أبي طـالب. قال: فـارتحلوا وشتموني، فـانصرفتُ، فمـا سرتُ قليـلاً وإذا أنا بعلي. . . . إلى آخره(١).

إنّ عائشةَ ما كان يدور في خلدِها أنّ عليّـاً هو الّـذي سيَمْلأُ هـذا الفراغ بعد عثمان. لذلكَ ركَّزت جهدها للقضاء على عثمان وسمَّتْهُ نعثـلاً. وكثيراً مـا قـالَتْ: اقتلوا نَعْثَلاً! قتـل الله نعثَلاً فقـد كَفَر. وكثيـراً ما كـانت تخـرجُ قميصَ رسول الله ﷺ فتنشره في بيتها وتقول لمن يمرّ بها: «هـذا قميصُ رسولِ الله لم يبل وقد أبلى عثمانُ سنّتَهُ»(٢). وأخـذَتْ تعمَلُ لهـدم سلطانِهِ، وَقصْـدُها أن

---

(١) تاريخ الطبري، جـ ٥ ص ١٧٠ ـ ١٧١ ط ١ المطبعة الحسينية المصرية.

(٢) ابن الأثير، جـ ٣ ص ١٠٩، حوادث سنة ٢٦، وأعيان الشيعة نقلاً عن الطبري.

تملأ مقعده الإمارة الإسلاميّة بمن تريده. ولمّا حوصر عثمان عبّرتْ عن حقدِها فقالَتْ: «والّذي نفسي بيده لوددتُ أنّه الآنَ في غرارةٍ من غرائري مخيط عليه فألقينّه في البحر الأخضر»[1]. ولمّا قُتِلَ وبلغها نبأ بيعة علي صرخَتْ: قُتِلَ عثمان مظلوماً، وأخذَتْ تنتقِلُ من بلدٍ إلى آخر تخطب وتكتب إلى الآفاق لتشعل نار الحرب وتفرّق كلمة المسلمين إلى شيع وأحزاب يقتُل بعضهم بَعْضاً.

آخى النّبي بين المسلمين، وألّف بين قلوبهم، وعائشةُ ألقتِ العداوة والبغضاء بين الأصحاب، وأتباع الرّسول، وأمَرَ الله والرّسول أن تقرّ النّساء في البيوت. ووقفت عائشة عَلَماً للجيش، ولم تُراع للنّبي ستراً ولا حرمَةً.

قالَتْ لها أمُّ سلمة: أُقسِمُ بالله لو سرتُ سيرَكِ هَذا، ثمَّ قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحيَيْتُ أن ألقى محمّداً هاتكة حجاباً قد ضربَهُ عليٌّ.

وقال الإمام: واللّهِ إنّ راكبةَ الجمل الأحمر ما تقطع عقبةً ولا تحلُّ عقدةً إلاّ في معصية الله وسخطه، حتّى تورد نفسها وَمَنْ مَعَها موارد الهلكة.

وقال لها جارية بن قدامة السَّعْدي: يا أمّ المؤمنين واللّهِ لقتْلُ عثمانَ أهونُ من خروجكِ من بيتِكِ على هذا الجمل الملعون، عرضةً للسّلاح. إنّه قد كان لكِ من رسول الله سترٌ وحرمة، فهتكْتِ سترَكِ، وأبحتِ حرمتَكِ، إنّه من رأى قتالَكِ يرى قَتْلَكِ[2].

ومثل هذا القول قاله ابن صوحان لها: (قال الطّبري) فيما رواه: كتبَتْ عائشة لمّا قدمَتِ البصرة إلى زيد بن صوحان بالكوفة. من عائشة أمّ المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، أمّا بعد: فإذا أتاكَ كتابي هذا فأقدم فانصرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فخذّل النّاسَ عن علي. فكتبَ. من زيد بن صوحان إلى عائشة، أمّا بعد: فأنا ابنُكِ الخالِص

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب لعبد الفتاح عبد المقصود.

(٢) ابن الأثير، جـ٣ ص ١٠٩ حوادث سنة ٢٦، وأعيان الشيعة نقلاً عن الطبري.

إن اعتـزلتِ هذا الأمـر، ورجعتِ إلى بيتِكِ. وإلاَّ فـأنا أوّلُ من أنـابـذُكِ. قـال زيد بن صوحان: رحم الله أم المؤمنين أُمِرَتْ أن تلزم بيتَها، وأُمِرْنـا أن نقاتِـل، فتركَتْ ما أُمِرَتْ بِهِ وأمَرَتْنا به، وصنعَتْ ما أمَرَنا به ونهتْنا عنه[1].

وكلّ من دَرَسَ التَّاريخ يعرفُ من قتل عثمان، وإذا كـانَتْ تطالبُ بـدمِهِ، فكيفَ تتعاون مع طلحة؟ طلحة الّذي قاد الثّورة ضدَّ عثمـان. ولمّا قتـلَ مروانُ طلحةَ شفى غليله وقال: «واللّهِ لا طـالبت بثأر عثمانَ بعد اليوم». وقال لبعض ولد عثمان: «لقد كفيتُكَ ثأر أبيكَ من طلحة». هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى فـإنَّ عائِشَـةَ ليستْ وليَّة الـدَّم حتّى تطلب بـه، ولا هي خليفـة المسلمين حتّى تقيم الحدود. ومتى قامَ عامودُ الدّين بالنّسـاء؟! وهي ـ كما يعـرف المسلمون ـ حافظة الأحاديث حتّى قيلَ عنها:

حفـظتْ أربعين ألـفَ حـديثٍ ومن الـذّكـر آيـة تنسـاهـا

فهل نسيت أخوَّة النّبي لعلي؟ وقوله: سِلْمُـكَ سِلْمي، وحربُـكَ حربي. وقوله: علي مع الحقّ، والحقّ مع علي يـدور معه أنّى دار، وَقـوله: علي منّي وأنا من علي، وقوله: لا يبغض عليّاً إلاّ من خَرَجَ من الإيمانِ[2].

وأرسلَ الإمامُ عائشةَ إلى بيتها الّذي أمرها اللّهُ أن تقـرَّ فيه، وكـانت أشد المغلوبين حسرة، وأعظمهم ندماً. وكانَتْ تتلو: ﴿وقرنَ في بيوتكُنَّ ولا تبرَّجْن تبرُّجَ الجاهلية﴾[3] الآية، ثمَّ تبكي حتّى يبتلَّ خمارها. وكانت تقـول: «وددْتُ لـو أنّي متُّ قبل هـذا اليوم بعشـرينَ عامـاً». وكانت تقـول بعـد رجـوعِهـا من الحجـاز: «واللّهِ إنّ قعـودي عن يـوم ِ الجمـل لأحبُّ إليَّ لـو أُتيـحَ لي من أن يكون لي عشرة بنين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[4].

---

(١) كتاب حرب الجمل وحرب صفّين: للسّيّد محسن الأمين، ط ١٩٦٩ م، دار الفكر.
(٢) فضائل الإمام علي: لمحمّد جواد مغنية، ص ١٣٠ ـ ١٣١.
(٣) سورة الأحزاب: آية ٢٣.
(٤) الفتنة الكبرى: لطه حسين.

ويذكر الخوارزمي في مناقِبِهِ مرفوعاً بالأسانيد إلى هشام بن عروة عن أبيه، قال: ما ذكَرَتْ عائِشة مسيرها يوم الجمل إلاّ بكَتْ حَتّى تبلّ خمارها بالبكاء، وتقول: يا فضيحتاه، ليتني كنتُ نسياً منسيّاً[1].

وكيفَ لا تتألّم ولا تبكي؟! والنّبي الكريم يقول لأزواجه: أيّتكُنَّ صاحبة الجمل الأدبب يقتلُ حولها قتلى كثير، وتنجو بعدما كادَتْ؟!

وكيفَ لا تذرُفُ الدَّمع؟ وصوتُ أمّ سلمة يرنّ في أذنها حيثُ قالت لها: بالأمس كنتِ تحرّضين على عثمان، وتقولين أخْبَثَ القول، وما كان إسمه عندكِ إلاّ نَعْثَلاً، وأنّكِ لتعرفينَ منزلةَ علي عند الرَّسول. أفأذكّرك؟ قالتْ: نعم. قالت: أتذكرين يومَ خلا الرّسول بعلي! فقرَّرْتِ الهجومَ، فنهيتُكِ، فعصيتِني، فهجمْتِ عليهما، فرجَعْتِ باكيَةً، فسألتك عن السَّبَبِ، فقلتِ: لما هجمت قلتِ لعلي: ليس لي من رسولِ الله ﷺ إلاّ يوم من تسعَةِ أيّام. أفما تدعُني يابن أبي طالب وَيَوْمي؟!! فأقْبَل الرَّسول عَلَيَّ وهو غضبان، فقال: «ارجعي وراءَكِ. واللّهِ لا يبغضه أحدٌ من أهل بيتي ولا من غيرهم من النّاس إلاّ وهو خارج من الإيمان»، فرجَعْتِ نادِمَةً ساقِطةً. قالت عائِشَةُ: نعم، أذكر ذلك!

قالَتْ: وأُذكِّرُكِ أيضاً، كنتُ أنا وأنتِ مع الرَّسول ﷺ وأنتِ تغسّلين رأسه، وأنا أحيس له حيساً (تمرٌ مخلوطٌ بسمنٍ ويُعْجَن) فرفع رأسه وقال: يا ليتَ شعري! أيّتكُنَّ صاحبة الجمل الأدبب، تنبحُها كلاب الحَوءَبَ، فتكون ناكبَةً عن الصّراط، فرجعَتُ يدي من الحيس، فقلتُ: أعوذ باللّهِ وبرسوله من ذلك، ثمَّ ضربَ على ظهركِ وقال: «إيَّاكِ أن تكونيها». ثم قال: «يا بنتَ بني أميّة إيَّاكِ أن تكونيها يا حميراء! أمّا أنا فقد أنذرتُكِ». قالت عائشة: نعم أذكرُ ذلكَ.

قالَتْ: وأُذكّركِ أيضاً؟ كنتُ أنا وأنتِ مع الرَّسول ﷺ في سَفَرٍ له.

---

(١) مناقب الخوارزمي، ص ١١٥ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدريّة ـ النّجف.

وكان علي يخصف نعلَ الرَّسول، وجاء أبوكِ ومعه عمر. فاستأذَنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ثم قالا له: يا رسول الله إنّنا لا ندري قدر ما تصحُبنا، فلو أعلمتنا من تستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً؟ فقال لهما: أمّا أني فقد أرى مكانه، ولو فعلْتُ لتفرقْتُم عنه كما تفرَّقَتْ بنو إسرائيل عن هارون بن عمران. فسكَتَا، ثمّ خرجا. فلمّا خرجنا إلى الرَّسول ﷺ قلتِ له: من كنتَ يا رسولَ الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: «خاصف النّعل». فنظرنا فلم نرَ إلاّ عليّاً. فقلتِ: يا رسولَ الله! ما أرى إلاّ عَلِيّاً. فقال: «هو ذاك». فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك. فقالَتْ: فأيّ خروج تخرجين بعد هذا؟! قالت: إنّما أخرجُ للإصلاحِ بين النّاس، وأرجو فيه الأجر، فقالت لها: افعلي وشأنَكِ[1].

وكيف لا تندبُ حظَّها العاثِر؟! ولم تحقّق الظّفر الذي كانت تنشدُهُ لأعوانِها الّذين كانوا يأخذون بعر جملها عسكر، فيشمّونه ويقولون: «بعر جمل أُمّنا ريحه ريح المسك». وهنا نترك المجالَ لصاحبِ كتاب (النص والاجتهاد) يتساءل قائِلاً: فهل يا تُرَى كانت أمّ المؤمنين في هذا الخروج وما إليه تريد الله ورسولَهُ والدّار الآخرة، وأنّها من المحسنات؟ تبتغي بذلك الأجر وَالثّواب الذي وعد الله به نساءَ نبيّه إذ يقول: ﴿وإن كنتنَّ تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإنَّ الله أعدّ للمحسناتِ منكن أجراً عظيماً﴾[2].

أم كانَتْ ترى أنّ بينَها وبينَ اللّهِ هوادة، يُبِيحُ لها ما قَدْ حرَّمه اللّهُ على العالمين؟ فارتكبَتْ بخروجها ـ على الإمام ـ ما ارتكبَتْ آمِنَةً من وعيده إذ يقول: ﴿يانساءَ النّبي من يأتِ منكُنَّ بفاحِشَةٍ مبينَةٍ يضاعَفْ لها العذاب ضعفين وكان ذلكَ على اللّهِ يسيراً﴾[3].

أم أنّها يا تُرَى رأت خروجها ذلك الخروج، عبادةً لِلّهِ وقنوتاً منها له

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد.
(٢) سورة الأحزاب: آية ٢٩.
(٣) سورة الأحزاب: آية ٣٠.

ولـرسولـه وعملاً صـالِحاً، فـاستأثَـرَتْ به، عمـلاً بقولِـهِ تعـالى: ﴿ومَنْ يقنُتْ منكُنَّ لله ورسـوله وتعمـل صـالِحاً نؤتِهـا أجـرهـا مرَّتَيْنِ واعتـدنـا لهـا رزقـاً كريماً﴾[1] .

أم أنَّها أرادت أن تمثّل التّقوى والورع بخروجها دون صواحِبها من نساءِ النَّبي ﷺ لتستأثر من بينهنَّ بالعمل بقوله تعالى: ﴿يا نساءَ النَّبي لستنَّ كأحدٍ من النِّساء إن اتقيتُنَّ﴾[2] .

وهل رأتْ بيتَ ابن ضبَّة بيتها الذي أمرها الله أن تقـرَّ فيه؟ ورأت قيـادتها لتلك الجيوش سرادِقاً ضربـه طلحة والـزُّبير عليهـا يصونهـا عن تبرّج الجـاهلية الأولى؟ ويفرغها للصّلاة والزّكاة وطاعة اللّهِ ورسوله؟

ورأتْ أنّهـا تكون بـذلكَ كلّه نصب أمـر الله ونهيـه إذ يقـول عَـزَّ وَجَـلَّ؛ ﴿وقـرن في بيوتكُنَّ ولا تَبَـرَّجْنَ تبـرُّجَ الجـاهليـة الأولى وأقمن الصَّـلاة وآتينَ الزَّكاة وأطعن الله ورسوله﴾[3] .

ومـاذا تقول؟ أو يقـول أولياؤهـا؟ في خطاب الله لهـا ولصاحِبَتِهـا بقـولـه تعالىٰ: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغتْ قلوبكُما ، وإن تظاهرا عليه فـإنَّ الله هو مولاهُ وجبريـل وصالـح المؤمنين والملائكـة بعد ذلـك ظهيراً ، عسى ربُّـه إن طلَّقَكُنَّ أن يبدِلَهُ أزواجاً خيراً منكُنَّ مسلماتٍ مؤمِناتٍ قانتات﴾[4] .

وحسبهما من الله تعالى حجّة عليهما مثله العظيم الذي ضـربه لهمـا في سورة التَّحريم : ﴿ضَرَبَ الله مثلاً للّذين كفـروا امرأة نـوح وامرأة لـوطٍ كانتـا تحت عبدينِ من عبادنا صالحينِ فخانتاهما فلم يغنيا عنهمـا من اللّهِ شيئاً وقيـل ادخلا النّار مع الدّاخلين . وضرب الله مثلاً للّذين آمنوا امرأة فرعون إذ قـالت

(١) سورة الأحزاب: آية ٣١.
(٢) سورة الأحزاب: آية ٣٢.
(٣) سورة الأحزاب: آية ٣٣.
(٤) سورة التحريم: آية ٥ .

ربّ ابنِ لي عندكَ بيتاً في الجنّة ونجّني مِنْ فرعون وعمله ونجّني من القوم الظّالمين﴾(١) .

ولِلّهِ درّ القائِل من أبطال أهل البيتِ علماً وعملاً :

عائِش ما نقول في قتالِكِ سلكْتِ في مسالِكِ المهالِكِ
وحسبُكِ ما أخرج البخاري من الصَّحيح مؤمِناً للدار(٢)
قد قيل ثُبْتِ وعليٌّ غمضا فَلِمْ سجدْتِ الشكّرَ لمّا قُبِضا
وَلِمْ ركبتِ البغل في يوم الحسَنْ تؤجّجين نار هاتيك الفتن(٣)

وبالرُّغم من كلّ ذلك فإنّها تعلم أنّ عليّاً أحبُّ النّاس كان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ولكنّها كانت تعلّل خروجها بأنّه قضاءٌ وقدر.

حدَّث العوام بن حوشب، قال: حدَّثني ابن عمي مجمع، قال: دخلتُ على عائِشَة، فسألتُها عن مسيرها يومَ الجمل؟ فقالت: كان قدَراً مِنَ الله. فسألتُها عن علي بن أبي طالب عليه السلام . فقالَتْ: تسألني عن أحَبّ النّاس كان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وزوجه أحبّ النّاس إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد رأيتُ عليّاً وحسناً وحسيناً وجمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم ثوبه،

---

(١) سورة التحريم : الآيتان ١٠ و ١١ .

(٢) يشير إلى ما أخرجه البخاري في باب ما جاء في بيوت أزواج النبي من كتاب الجهاد والسّيَر، ص ١٢٥ من الجزء الثاني من صحيحه عن عبدالله قال: قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأشار إلى مسكن عائشة فقال: هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة حيث يطلع قرنُ الشّيطان، ولفظه عند مسلم: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بيت عائشة فقال: «رأس الكفر من هاهُنا حيث يطلع قرن الشّيطان». راجعه في كتاب الفتن وأشراط السّاعة، ص ٥٠٣ من الجزء الثّاني من صحيحه.

(٣) كان الحسن أنذر الهاشميّين قبل وفاتِهِ بفتنَةٍ يخشاها من بني أميَّة إذا أراد الهاشميّون دفنه عند جدّه صلى الله عليه وآله وسلم ، وعهد إلى أخيه الحسين أن يتدراك الشّر إذا هبَّت عواصفه، بدفنِهِ في البقيع عند جدَّتِهِ فاطمة بنت أسد، فلمّا قضى نحبه أراد الهاشميون أن يدفنوه عند جدّه فثارَتْ ثائرَةُ الأمويّين وعلى رأسهم مروان وسعيد بن العاص، وجاؤوا بعائشة وهي على بغل، تذودهم عن بيتها قائلةً: لا تدخلوا بيتي. وروى الأصفهاني في (مقاتل الطّالبيّين): لمّا أرادوا دفن الحسن ركبت عائشةُ بغلاً واستعونت بني أُمية =

فقـال: «اللَّهمَّ هؤلاء أهل بيتي اذهَبْ عنهُمُ الرِّجس وطهِّرهم تـطهيـراً». فقلتُ: يا رسولَ الله أنا من أهلِكَ؟ فقال: «تَنَحّي، وإنَّكِ على خير»[1].

وكثيـراً ما طلب منهـا الرَّسـول صلى الله عليه وآله وسلم أن تعرف حقّ علي عليه السلام، فعرفَتْهُ في وقعة الجمل. فعن حارثة بن أبي الرِّجال، عن عمرة، قَالَتْ معاذَةُ الغفّارية: كنتُ أنيساً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت عائشة، وعلي خارج الباب. فقال لها: هذا أحبُّ الرِّجال إليّ وأكرمهم عليَّ، فاعرفي له حقّه، وأكرمي مثواه، والنّظر إلى علي عبادة[2].

ولمّا عرفت أنّ حقّ الخلافة عاد إلى علي، وكانت ذاهبة إلى المدينة قالت: ردّوني ردّونـي. وقالت: ليتَ السَّماء انطبقَتْ على الأرض إنْ تمَّ الأمر لعلي بن أبي طالب. وأخذت تطالِبُ بدم عثمان بدلاً مِنَ التَّحريض لقتله. ومن العجيب لقد بقيَتْ عائشة حوالي خمسة وعشرين عاماً بعد وفاة

= ومروان ومن كان هنـاكَ منهم ومن حشمهم، وهوَ قـول القائِـل: يومـاً على بغلٍ ويـوماً على جمل.

وذكرَ المسعودي ركوب عائشة البغلة الشّهباء، ليومها الثاني من أهل البيت، قال: فأتـاها القاسم بن محمّد بن أبي بكر فقال: يا عمّة ما غسَّلْنا رؤوسنـا من يوم الجمـل الأحمرا أترين أن يُقال: يوم البغلة الشّهباء. قال الشّاعر:

تـجـمّـلْتِ تـبـغّـلْتِ ... ولـو عـشـتِ تـفـيّـلْتِ
لَـكِ التّسـع مـن الثّـمـن ... وفـي الـكّـل تـصـرّفـتِ

لكن من أين أتاها هذا الملك؟ تملَّكَتْ بيت الرّسول تدخل به من تشاء وتذودُ عنـه من لا تحبُّ. فهل ملكها رسول الله بيته ببيع أو هبة؟ كـلاّ. نعم أسكنها في حجـرةٍ من حجـرات دارهِ شأنهـا شأن نسـائه الأخـريات. على أنـه لو سلّمنـا أن يد عـائشة على حجرتها إمارة تملكها، فلِمَ لم تكن يد الزّهـراء على فدك إمـارة على تملّكها؟ ولعـلّ الخليفة ملّكها بنت رسول الله بعد وفَـاته صلى الله عليه وآله وسلم بـولايته العـامَّةِ. وهـذا ليس ببعيد، لكنّا كنّا نأمل، أن يعامل بنت رسول اللّهِ فيما كان في يدها معاملة بنتِهِ. ولو فعل ذلكَ لكـان أقرب إلى اجتمـاع الكلمة، وَلَمّ شعث الأمّـة ولا حول ولا قـوة إلاّ بـالله العلي العظيم.

(١) كشف الغمة: للأربلي، جـ١ ص ٤٧.

(٢) ينابيع المودّة: للقندوزي الحنفي، جـ١ ص ٨٠، منشورات مكتبة العرفان.

زوجها، وهي رهينة دارها، لا تُساهِمُ في الحياة العامَّةِ بأيِّ نصيب. وطيلة هذه المدَّةِ كان أثرهـا مجهولاً عن صحـائف التَّاريـخ، حتّى بايعـوا عليّاً، فأبدَت نشاطاً سياسِيّاً لم يسبق له مثيل. فَفِتْنَتُها كانت سلاحاً حاداً في أيدي الأهواءِ والمطامِع تلقَّفته بنو أميّة والوصوليُّـون بكلّ شـوقٍ، تحْتَ ستارِ دم عثمان، فكان هذا أرهف سلاحٍ قـدَّمته لمعـاوية لتحـطيم الحكم العلوي بمساعدة طلحة والزُّبير اللَّذَيْنِ هما من قتلة عثمان.

تقدَّم سعيد بن العاص إلى عائشة وقال لها: إلى أينَ يا أمَّ المؤمنين؟ فقالت: إلى البصرة. قال: وماذا تصنعين بها؟ قالت: أطلبُ بدم عثمان. فاستضحَكَ ساخِراً وقال: فهؤلاء قتلة عثمان معك يا أمّ المؤمنين[1].

والخـلاصة: إنَّ فتنـة الجمـل كان لهـا خـطرُهـا الأكبـر على الأمَّـة الإسلاميَّة، لأنّه لولا حرب الجمل لما كانت حرب صفّين والنَّهروان، ولا مذبحة كربلاء، ووقعة الحرّاء، ولا رميت الكعبة المكرّمة بالمنجنيق أكثر من مـرَّة، ولا كانت الحـرب بين الزُّبيـريين والأمـويّين والعبـاسيين ولا افتـرق المسلمون إلى سنّةٍ وشيعة، ولما وجد بينهم جواسيس وعملاء يعملون على التفريق والشّتات، ولما صارت الخلافة الإسلامية ملكـاً يتوارثُهـا الصّبيان، ويتلاعب بها الخدم والنّسوان[2].

صـفّيـن:

إنَّ معـاوية لم يـطمع بـالخلافـة، ولم يحدّث بهـا نفسه قبـل فتنـةِ الـجمـل، لأنّه الـطّليق ابن الطّلِيق، وخـاصَّةً سمـع معاويـة من عمـر بن الخطّاب يقول: الخلافة محرّمة على الطّلقاء. لذلك استعمل معاوية عثمانَ، فلم يناصِرْهُ، لأنّه سياسيّ محترف، وقدَّمتِ وقعة الجمل له الحلول، فتذرَّع بدم عثمان، وأخذ يطالب كما طالب أصحاب الجمل، وأنّ الإمام هو المدبّر

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب: لعبد الفتاح عبد المقصود.
(٢) فضائل الإمام: لمحمّد جواد مغنية.

قتلِهِ. لذلك قال ابن سيرين: ما علمتُ أنّ علياً اتُّهِمَ بدم عثمان حتى بويع، فلمّا بويعَ اتّهمه النّاس. وكان مع الإمام تسعون ألفاً، ومع معاوية خمس وثمانونَ ألفاً[1]. وبعد أن يَئِسَ عليٌّ من السّلم دارت الحرب رحاها، وقُتِلَ عمّار بن ياسر، وكان من قوم علي. وقد قال فيه النّبيّ ﷺ: «تقتلك الفئة الباغية»[2]، ولمّا أشرف جيش علي على النّصر طلب معاويةُ من عمرو بن العاص أن ينقذَهُ بحيلتِهِ، فأمَرَ جيوشَهُ برفع المصاحف. وكانَتِ المأساةُ التي يعرفها الجميع من انشقاق عَسْكَرِ الإمام ومهزلة التّحكيم. قال المسعودي:

---

(١) المسعودي، جـ٢ من مروج الذهب.

(٢) روى نصر بن مزاحم قال: حدَّثني يحيى بن يعلي، قال: حدثني صباح المزني عن الحارث بن حصين، عن زيد بن أبي رجاء، عن أسماء بن حكيم الفزاري، قال: كنّا بصفّين مع علي تحت راية عمّار بن ياسر، ارتفاع الضُّحى، وقد استظللنا برداء أحمر، إذ أقبل رجل يستقري الصَّف، حتّى انتهى إلينا. فقال: أيكم عمّار بن ياسر؟ فقال عمّار: أنا عمّار، قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قال: إنّ لي إليك حاجةً، أفأنطقُ بها سرّاً أوْ علانية؟ قال: اختر لنفسِكَ أيّهما شئت؟ قال: لا، بل علانية، قال: فانطُقْ قالَ: إنّي خرجتُ من أهلي مستبصراً في الحقّ الّذي نحن عليه، لا أشكُّ في ضلالةِ هؤلاء القوم، وأنّهم على الباطِل، فلم أزل على ذلك مستبصراً حتّى ليلتي هذه، فإنّ رأيتُ في منامي منادِياً تقدَّم، فأذَّنَ، وشهِدَ أن لا إلّه إلّا الله، وأنّ محمّداً رسولُ الله ﷺ، ونادى بالصّلاةِ، ونادى مناديهم مثلَ ذلك، ثم أُقيمت الصَّلاة، فصلّينا صلاةً، وتلَوْنا كتاباً واحِداً، ودعونا دعوةً واحدةً، فأدركني الشّكُ في ليلتي هذه، فبتُّ بليلةٍ لا يعلمُها إلّا الله تعالى، حَتّى أصبحتُ، فأتيتُ أمير المؤمنين، فذكرْتُ له ذلك. فقال: هل لقيت عمّار بن ياسر؟ قلتُ: لا، قال: فألقِهِ، فانظر ماذا يقول لك عمّار، فأتبعَهْ، فجئتُكَ لذلكَ. فقال عمّار: تعرفُ صاحبَ الرّايةِ السّوداء المقابلة لي؟ فإنها راية عمرو بن العاص. قاتلتُها مع رسولِ اللّهِ ﷺ ثلاثَ مرّاتٍ، وهذه الرّابعة، فما هي بخيرهِنَّ، ولا أبرّهنَّ، بل هي شرّهُنَّ وأفجرهُنَّ! أشهِدْتَ بدراً وأُحُداً ويوم حُنَيْن؟ أو شَهِدَها أبٌ لكَ فيخبركِ عنها؟ قال: لا. قال: فإنَّ مراكزنا اليومَ على مراكِزِ راياتِ رسولِ الله ﷺ يوم بدر ويوم أُحُد، ويوم حنين. وإنّ مراكز راياتِ هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب. فهل ترى هذا العسكر ومَنْ فيه؟ واللّهِ لَوَدِدْتُ أنَّ جميعَ من فيه ممّن أقبلَ مع معاوية يريد قتالنا، مفارقاً للّذي نحن فيه، كانوا خلقاً واحِداً، فقطعته وذبحتَه. واللّهِ لدِماؤهُمْ جميعاً أحلُّ من دم عصفور. أفترى دمَ عصفورٍ =

كان عدد القتلى بصفّين من أهل الشّامِ خمسة وأربعين ألفاً، ومن أهل العراق خمسةَ وعشرين ألفاً.

وقعة النّهروان:

ثمَّ حصلَتْ وقعةُ النَّهروان. وهؤلاءِ الّذين انشقُّوا عن علي، وقالوا: لا حُكْمَ إلاّ لِلّه، وأمَّروا عليهم رَجُلاً يُلَقَّبُ بذي الثدية. وبَعْدَ أن حاول الإمام إقناعهم، فلم يرضوا بغير القتالِ، وأخذوا يرمونَ قومَ عليّ بالسّهام. فقال: الله أكبر! حُلّ قتالهم. وقال: دونكم القوم، فإنّه لا يفلتُ منهم عشرة، ولا يُقْتَلُ منكم عشرة. فحملوا عليهم حملةَ رجلٍ واحد. وما هي إلاّ ساعاتٍ حتّى انتهتِ المعركة. وكان الأمر كما قال الإمام: هرب من الخوارج تسعة، وَقُتِلَ من أصحابه تسعة. وكان ذو الثّدية فيمن قُتِلَ.

قال المسعودي وغيرُهُ: إنّ بعض أصحاب الإمام قال: قطع اللّهُ دابرهم إلى آخر الدّهر. فقال الإمام: كلاّ! والذي نفسي بيدِهِ: إنّهم لفي أصلاب الرّجال وأرحامِ النّساء(١).

هذا مجمل حروب الإمام مع النّبي ﷺ ظاهرة تستلفِتُ النّظر، وهي أنّ أصحاب الجمل وصفّين عملوا جاهدين على قتل عثمان، أوْ خذلوه

= حراماً؟ قال: لا، بل حلال. قال: فإنّهم حلال كذلك. أتراني بَيَّنْتُ لك؟ قال: قد بيَّنْتَ لي. قال: فاختر أيّ ذلكَ أحببت!!

فانصرَفَ الرّجل، فدعاه عمّار ثم قال: أما إنّهم سيضربونكم بأسيافكم حتّى يرتاب المبطلون منكم، فيقولوا: لو لم يكونوا على حقّ ما أظهروا علينا. والله ما هم من الحقّ على مايقذي عين ذباب. واللّهِ لو ضربونا بأسيافِهم، حتّى يبلغونا سعفات هجر، لعلِمنا أنّا على حق، وأنّهم على باطل. (شرح النهج لابن أبي الحديد، جـ ٥ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨). (انتهى).

(١) يوجد الآن منهم آلاف في طرابلس الغرب، وفي زنجبار، ووطنهم الأصلي عمان الذي تقوم فيه الثورة الآن بينهم وبين الإنكليز. ولهم كتبٌ في الفقه والحديث (فضائِل الإمام: لمحمّد جواد مغنية).

ولم يناصروه على الأقل، ثم رموا الإمام بدمِهِ، وهم يعلمونَ أنّه بريء منه براءة الشّمس من الدَّنس، وحاربوه على فعلتهم وجريمَتِهِمْ، وكذا الخوارج أصرُّوا على التَّحكيم، ثمَّ خرجوا على الإمام يقاتلونه من أجله.

والسّر في ذلكَ أنّ حروب الإمام ليست بظاهرها كحروب النّبي ضدَّ الشّرك والمشرِكين. وإنّما هي حربٌ ضدّ اللّصوص وقطّاع الطُّرق كحرب أهل الجمل وصفّين، أو ضدّ الجهلة الّذين يحرّمون قتل الخنزير، ويستبيحُونَ ذبح الأتقياء والأبرار، وبقر بطون النّساء الحبالَى.

والخلاصةُ أنّه ما عُرِفَ عن بَطَلٍ في العالَم إلاّ كان مغلوباً حيناً، وغالِباً حيناً إلاّ علي، فهو الغالب أبداً ودائماً، وهذا من خصائصه، ومنها أيضاً أنّ العرب يفخرون بأنّ قريبَهُم قُتِلَ بسيفِ علي، ويَجعلون من هذا دليلاً على أنّ صاحبَهم بارز عليّاً، وهو الموت الذي لا بُدَّ منه.

وبهذه المناسبة يسرُّنا أن ننقل ما ذكرَهُ ابن أبي الحديد في شرح النّهج عن أبي جعفر نقيب البصرة يقول:

إنّ من تأمَّلَ حال الرَّجُلَينِ (محمّد وعلي) وجدَهُما متشابِهَيْنِ في جميع أُمورهما أو في أكثرها. وذلك لأنّ حرب الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم مع المشرِكين كانت سِجالاً، انتصر يوم بدر، وانتصروا عليه يوم أُحُد، وكانَ يوم الخندق كفافاً. خرجَ هو وهم سواء لا عليه ولا له، لأنّهم قتلوا رئيس الأوس سعد بن معاذ، وقُتِلَ منهم فارسهم (ابن ود)، ثمَّ حاربَ بعدها قريشاً يومَ الفتح، فكانَ الظّفر له، وهكذا كانت حروب علي، انتصَرَ يوم الجمل، وخرج الأمر بينه وبينَ معاوية على سواء ثمَّ حاربَ بعد صفّين أهلَ النَّهْرَوَانِ، فكانَ الظّفر له.

قال: ومن العجب أنّ أوّل حروب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت بدراً، وكان المنصور فيها. وأوّل حروب علي كان الجمل، وكان هو المنصور فيها. ثمّ كان من صحيفة الصّلح والحكومة يوم صفّين نظير ما كانَ من صحيفة الصّلح والهدنة يوم الحديبيّة. ثمَّ دعا معاوية في آخر أيّام علي إلى نفسه وتسمّى بالخلافة، كما أنّ مسيلمة والأسود العنبسي دعوا إلى أنفسِهما في آخر أيام

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتسمَّيا بالنُّبوةِ، واشتَدَّ على عليّ ذلك، كما اشتَدَّ على رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أمر الأسود ومسيلمة، وأبطل اللّهُ أمرهما بعد وفاة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذلكَ أمر معاوية وبني أميَّة بعد وفاةِ علي، ولم يحارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدٌ من العرب إلاّ قريش، ما عَدَا يوم حُنَيْن. ولم يحارب عليّاً من العرب أحدٌ إلاّ قريش ما عدا يوم النَّهروان. وماتَ عليٌّ شهيداً بالسَّيف، وماتَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهيداً بالسّمّ. وهذا لم يتزوج على فاطمة أم أشرف أولادِهِ حتّى ماتت، ومات رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عن ثلاثٍ وستينَ سنةً، وماتَ عليّ عن مثلِها. وكانَ يقول: انظروا إلى أخلاقِهما وخصائِصهما، هذا شجاع وهذا شجاع، وهذا فصيحٌ وهذا فصيح، وهذا سخيّ جوّاد وهذا سخيّ جواد، وهذا عالِمٌ بالشَّرائع والأمور الإلَهيَّة، وهذا عالِمٌ بالفقه والشَّريعة والأمور الإلَهية الدقيقة الغامضة. وهذا زاهِدٌ في الدُّنيا غير نهمٍ عليها، ولا مستكثرٍ منها، وهذا زاهِدٌ في الدُّنيا تارِكٌ لها، غير متمتّع بلذاتها. وهذا مُذْئِبٌ نفسه في الصَّلاة والعبادة، وهذا مثله. وهذا غير محبّبٍ إليه منَ الأمور العاجلة إلاّ النّساء، وهذا مثله. وهذا ابن عبد المطّلب بن هاشم، وهذا في تعدُّدِهِ، وأبواهما أخوان لأبٍ واحد دون غيرهما من بني عبد المطّلب. وَرُبّي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في حجر والد هذا، وهذا أبو طالب، فكان جارياً عنده مجرى أولادِهِ. ثمَّ لمّا شبَّ صلى الله عليه وآله وسلم وكَبُر، استخلَصَه من بني أبي طالب، وهو غلامٌ، فربَّاه في حجره مكافأةً لصنيع أبي طالب به، فامتزجَ الخلقان، وتماثلتِ السَّجيّتان. وإذا كان القرين مقتدِياً بالقرين، فما ظنُّكَ بالتَّربية والتَّثقيف الدّهر الطّويل؟ فواجبٌ أن تكون أخلاقُ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كأخلاقِ أبي طالب، وأن تكون أخلاق علي كأخلاق أبي طالب أبيه ومحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم مربيّه، وأن يكون الكلُّ شيمةً واحدة وسوساً واحداً وطينة مشتركةً ونفساً غير منقسمَةٍ ولا متجزئةٍ، وألاَّ يكونَ بين بعض هؤلاءِ وبعض فرق ولا فضل، لولا أنّ الله تعالى اختصَّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم برسالتِهِ، واصطفاه لوحيه، فامتاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلكَ عمّا سواه، وبقي - ما عدا الرّسالة - على أمر الاتّحاد. وإلى هذا المعنى أشارَ صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «أخصمُكَ بالنبوَّة، فلا نبوَّة بعدي، وَتخصم النّاس بسبع». وقالَ له أيضاً: «أنت منّي بمنزلة هارونَ من موسى إلاَّ أنّه لا نبيَّ بعدي». فأبانَ نفسه منه

بالنبوَّة، وَأثبَتَ له ما عداهما من الفضائِل والخصائِص مشتركاً بينَهما.

وكان النّقيب أبو جعفر عالِماً عاقِلاً منصِفاً في الجدالِ، غير متعصّبٍ للمذهب، فإنّه كان علويّاً، وكان يعترف بفضائِلِ الصَّحابة، ويثني على الشَّيخين، ويقول: إنَّهما مهَّدا دين الإسلام، وأرسيا قواعده بما تيسّر للعرب من الفتوح والغنائم في دولتهما. ويرى أنّ حكمهما حكم مسلم مؤمن عَصَى في بعض الأفعال، وخالف الأمر، فحكمهُ إلى الله إن شاء آخذه، وإن شاء غفر له، وهو يرى أنّهما من أهل الجنّة.

أمَّا معاوية فيرى أنّه من أهل النّار، لا لمخالفته عليّاً، ولا لمحاربته إيَّاهُ، ولكنّ عقيدته لم تكن صحيحَةً، وإيمانه لم يكن حقّاً. وَكانَ من رؤوس المنافقين هو وأبوه، ولم يسلم قلبه قط، وإنّما أسلم لسانه، وحاشا لله أن يثبت معاوية في جريدة الشَّيْخَينِ الفاضلين. والله ما هما إلاّ كالذَّهب الإبريز، ولا معاوية إلاّ كالدّرهَم الزَّائف.

الفَصْلُ السَّابع

علمه عليه السّلام

إنَّ الكتابة عن علم الإمام تختلِفُ عن الكتابة عن علم الآخرين، لأنّ الله سبحانَهُ علَّم نبيّه محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم جميع ما علّمه لأنبيائِهِ ورسله. ومحمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم علّم عليّاً جميعَ ما تعلّمَهُ عن الله تعالى، فأصبحَ هو البحر المحيط. وكيفَ لا يكون ذلك؟ وهو باب مدينة العلم، وهو الإمام المبين الّذي عبّر الله عنه بقوله تعالى: ﴿وكلَّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مبين﴾. وهو صاحبُ الأذن الواعية، لأنّ الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم دعا له عندما نزلَتْ هذه الآية[1]، فقال: سألتُ اللّهَ أن تكون أذنَكَ يا علي. فقالَ عليه السلام: ما نسيتُ شيئاً بعد، وما كان لي أن أنْسَى. وإذا كانَ علي تلَقّى عن ابنَ عمّهِ صلى الله عليه وآله وسلم جميع ما تعلّمه عن الله تعالى فلا نستغرب من الإمام قوله: سلوني قبل أن تفقدوني ـ سلوا من عنده علم الأولين والآخرين ـ سلوني عن كتاب الله آيةً آية ـ سلوني عن طرق السّموات ـ سلوني عمّا كانَ وعمّا يكون إلى يوم القيامة، إلى آخر الخطب والعبارات التي صدرت عنه معبّراً عمّا يحويه صدرُهُ من علمٍ غزير لو أصابَ له حملة كقولِهِ: اندمجْتُ على مكنونِ علمٍ لو بُحْتُ به لاضطربتُمْ اضطرابَ الأرشيَةِ في الطوِيّ البعيد[2]. هذا هو الإمامُ الّذي هدى

---

(١) ﴿وتعيها أُذن واعية﴾ سورة الحاقة: آية ١٢.

(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٣.

بعلمـه كثيراً من أحبـار اليهود وعلمـاءِ النّصارى ورجـال الدّين والـزّنادقـة ـ كما سيأتي في هذا الفصل ـ عندمـا كانـوا يوجّهـون أسئلتُهُمْ إلى الخلفاء بعـد وفاةِ الـرَّسول ﷺ فلم يعثـروا على الإجابـة الصَّحيحة والإقناع السَّديـد إلاّ عند علي بن أبي طالب، ممّا حفز الكثير منهم إلى اعتناق الدّين الإسلامي بدلاً من الكيد له. وهـذا ما دعـا الخليفة الثّـاني عمر بن الخـطّاب إلى القول في عـدّة مناسباتٍ: لا أبقـاني الله بعدك يـا أبا الحسن ـ مشكلةٌ ولا أبـا الحسن ـ إلى ما هنالكَ من أقوال متعدّدةٍ لا داعي لذكرها.

وهذه بعض الأدلَّةِ التي تُثْبِتُ أنّ الإمـام لا يجارَى في علمـه ولا يبارى. أخرج أبو نعيم في (الحلية) عن ابن مَسْعودٍ: قال: إنّ القرآنَ أُنْـزِلَ على سبعة أحرف، ما منهـا حَرْفٌ إلاّ ولـه ظهرٌ وبـطْنٌ، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنـدَهُ من الظاهر والباطن. وفي (الاستيعاب) بسنَـدِهِ عن ابن عبَّاس أنّـه قال: واللَّهِ لقـد أُعْطِيَ عليٌّ تسعة أعشـار العلم. وأيم الله لقد شـاركَكُمْ أو شاركهم في العشـر العاشِر. وكفى فخراً لعلي عليه السلام ما قالَهُ الـرَّسول ﷺ لـه: «أنا مـدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب، أو فمن أراد العلم فليـأت الباب، أو فليـأتهِ من بـابه، أو من أراد بـابَها فليـأتِ عليّـاً، أو لا تؤتَى البيـوتُ إلاّ من أبوابها، أو كذبَ من زعَمَ أنّه يصـل إلى المدينـة إلاّ من الباب...» إلى كثيـر من هذه التعابير المختلِفَةِ. فحصَـر أخذَ العِلم بعـدَهُ في عليّ وعترتـه عليهم السلام . لأنّ علمَهم عن النَّبي عن الله عزّ وجَلّ، وهم سفينة النّجاة وبـابُ حطة، وأحـد الثّقلين، وبـاب مـدينـة العلم. فهـذا أخـطب خـوارزم المـوفّق ابن أحمـد الخوارزمي الحنفي في كتابه المعروف بالمناقِب ص ٤٩ ط إيـران، عن سلمان رضي الله عنه عن النّبي ﷺ أنّه قال: «أعلَمُ أمّتِي بالسّنة وَالقضاء من بعـدي علي بن أبي طالب».

وفي (كنـز العمَّـال) جـ ٦ ص ١٥٦: قـال ﷺ : «علي بـاب علمي ومبيّن لأمّتي مـا أرسلت به من بعـدي». (وفيه أيضـاً قال ﷺ : «علي وعـاء علمي ووصييّ وبـابي الّذي أوتيَ منـه». وفي (شرح نهـج البـلاغـة) لابن أبي الحـديد الشّـافِعِي: قال ﷺ : «عليٌّ عيبـة علمي». وفي (ينـابيـع المـودة)

ص ٦٩ قال رسول الله ﷺ: «لمّا صرتُ بين يدي ربّي (أي في المعراج) كلّمني وناجاني، فما علمتُ شيئاً إلاّ علّمتُهُ عليّاً، فهو بابُ علمي». وفي (المناقب) للخطيب الخوارزمي الحنفي ص ٤٠ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدريّة، النّجف. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيى بن زكريًا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشِهِ فلينظُرْ إلى علي بن أبي طالب». وفي (المناقِب) أيضاً مرفوعاً بالأسانيد إلى الحرث الأعور صاحب راية علي بن أبي طالب عليه السلام قال: بَلَغَنا أنّ النبيَّ ﷺ كان في جمع من أصحابه فقال: «أريكُمْ آدم في علمه، ونوحاً في فهمه. وإبراهيم في حكمته»، فلم يكن بأسْرَعَ من أن طلع علي عليه السلام فقالَ أبو بكر: يا رسولَ الله أقِسْتَ رَجُلاً بثلاثةٍ من الرُّسل بخٍ بخٍ لهذا الرَّجل، من هو يا رسولَ الله؟ قال النّبي ﷺ: «أو لا تعرفه يا أبا بكر؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «هو أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام». فقال أبو بكر: بخٍ بخٍ لكَ يا أبا الحسن، وأين مثلُكَ يا أبا الحسن؟»[1].

وفي (المناقب) أيضاً للخوارزمي الحنفي ص ٧٩، وكذلك (ينابيع المودّة) للقندوزي، عن محمّد بن كُعْب قال: رأى أبو طالب النّبيّ ﷺ يُدْخِلُ لعابَ فمه في فم علي، فقال: ما هذا يابن أخي؟ فقال: «إيمانٌ وحكمةٌ». فقال أبو طالب لعلي: انصُرْ ابن عمّكَ وآزِرْهُ.

وقد أخرج أبو حامد الغزالي في كتابه (اللّدني) في وصف مولانا علي بن أبي طالب، (قال): قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: إنّ رسولَ اللّهِ ﷺ أدخل لسانَهُ في فمي، فانفتح في قلبي ألف بابٍ من العلمِ يفتح من كلّ بابٍ ألف باب.

وكذلك أخرج القندوزي في (ينابيع المودّة) ص ٧٣ حديثاً بمعناهُ. وفي (مناقب ابن المغازلي الشّافعي) أخرج في ضمن حديثٍ مَفَصّل أنّه عليه السلام قال:

---

(١) المناقب، ص ٤٥ ط ١٩٦٥ م المطبعة الحيدرية ـ النّجف.

علّمني رسولُ اللّهِ ﷺ ألف بابٍ من العلم، فانفتح من كلّ واحدٍ منها ألفَ باب. وفي (كنز العمّال) لعلي المتقّي الحنفي أخْرَجَ من حلية الأولياء قالَ علي عليه السلام : علّمني رسول الله ﷺ ألف بابٍ من العلم، كلّ باب يفتح ألف باب.

وفي (المناقب) للخوارزمي الحنفي عن أبي البختري قال: رأيْتُ علياً صعد المنبر بالكوفة، وعليه مدرَّعَةٌ كانت لرسولِ الله ﷺ متقلّداً سيف رسول الله ﷺ، متعمّماً بعمامةِ رسولِ الله ﷺ، وفي إصبعه خاتم رسول الله ﷺ، فقعد على المنبر، وكشف عن بطنه فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّما بين الجوانح منّي علمٌ جمّ. هذا سفط العلم، هذا لعابُ رسول اللّهِ ﷺ. هذا ما زقّني رسول الله زقّاً، من غير وحي أُوحى إليَّ، فوالله لو ثُنِيَتْ لي وسادة فجلسْتُ عليها، لأفتيتُ لأهلِ التّوراة بتوراتِهِمْ، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، حتّى ينطق التّوراة والإنجيل، فيقولا: صدق علي، قد أفتاكم بما أنزل فينا وأنتم تتلونَ الكتاب أفلا تعقلون؟ وأخرج هذا الحديث أو ما بمعناهُ في ذخائر العقبى ص ٨٣، وفي (كنز العمال) جـ ٦ ص ٤٠٥، و (الاستيعاب) جـ ٢ ص ٤٧٥.

وأخرج أيضاً الشّيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيعه جـ ١ ص ١٣٠ ط ٢ مكتبة العرفان بإسنادِهِ عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ : «يا عليّ أنا مدينة الحكمة وأنتَ بابها، ولن تؤتي المدينةُ إلّا من قبل الباب، وكذب من زعم أنّه يحبُّني ويبغضك، لأنّك منّي وأنا منكَ، لحمك من لحمي، ودمُكَ من دمي، وروحك من روحي، وَسريرتك من سريرتي، وعلانيّتك من علانيتي، وأنْتَ إمامُ أُمّتي، ووصيي، سعد من أطاعك، وشقي من عصاك، وربح من تولّاكَ، وخسر من عاداكَ وفاز من لزمك، وهلك من فارقك، ومَثَلُكَ ومثل الأئمة من ولدك مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، ومثلكم مثل النجوم، كلّما غاب نجمٌ طلع نجم إلى يوم القيامة».

وهكـذا تتجلّى لنا عـظمة الإمـام، فمحبَّته مـرتبطة بمحبّـة نبّيهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، وبغضه مرتبط ببغضِهِ، وطاعته مرتبطة بطاعتـه، وَالفوز والنّجـاح في طاعتهمـا، والهـلاك والخسران في مخـالفتهما، ومن أطـاعَ الرَّسـول صلى الله عليه وآله وسلم وخـالف عليّـاً عليه السلام فإنّه لم يستفِدْ شيئاً من تلك الطّاعة، ومن أحبَّ الـرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم وأبغضَ عليّاً عليه السلام فهو إلى النّـار وبئس القرار، وكثيـر ما هم، لأنّ الكثيـرين من الأمّة الإسلاميّة لا يعترفون بولاية علي ووصيَّتِهِ وخلافتِهِ وإمامتـه. وعليٌّ هو المحـك بلا شكّ، فمن تخالطه الظّنون فليسأل أمّه عن أبيه.

وكيفَ لا يكون عليّ أعلم النّاس؟ وقد أُعْطِيَ تسعـة أعشار العلم، وهـو بـاب مدينـة العلم. روي عن ابن عبّـاس، عن أميـر المؤمنين علي عليه السلام أنّـه قال: إنّ من وراء قاف عالَماً لا يصل إليه أحد غيري، وأنـا المحيط بما وراءهُ، والعلم بـه كعلمي بدنيـاكم هذه، وأنـا الحفيظُ الشَّهيـد عليهـا. ولـو أردتُ أن أجوب الدُّنيا بأسرِها والسَّموات السّبع والأرضين في أقلّ من طرفـة عين لفعلتُ لما عندي من الإسم، وأنا الآية العظمى والمعجز الباهر[1].

وكيفَ لا يكـون علي عليه السلام أعلمَ النّـاس؟ وقـد عـرَّفَ النَّبـي صلى الله عليه وآله وسلم أصحـابَهُ أنّ جميـع ما علَّمـه الله، علَّمَهُ لابن عمّـه وزوج ابنتِهِ، ووصيّـه أميـر المؤمنين عليه السلام .

أخـرج الشيخ سليمـان القندوزي في ينـابيعه ص ٢٥٤ من كتـاب (مودّة القُرْبى) للسيِّد علي الهمداني الشافِعِي عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «عـلـيٌّ باب علمي، ومبينٌ لأمَّتي ما أُرْسِلْتُ به من بعدي. حبُّه إيمان وبغضه نفـاق، والنَّظر إليـه رأفةٌ عبـادةٌ». (ثم قال): رواه أبـو نعيم وأخرجـه أيضـاً في ص ٢٣٥ عن أبي الدَّرداء. وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «عليٌّ بـاب علمي، ومبيِّن لأمّتي ما أُرْسِلْتُ به من بعدي. حبّه إيمان وبغضه نفاق، وَالنّظر إليه رأفة ومـودّتـه عبـادة». (ثمَّ قـال): رواه الـدَّيلمي في فـردوس الأخبـار. (وأخـرج)

---

(١) مشارق أنوار اليقين: للبرسي.

الحمويني الشّافِعِي إبراهيم بن محمّد الحديث في فرائد السّمطين.

فمن يجاري أبا الحسن وهو وعاء علم الـرّسول ﷺ. أخـرَجَ البيهقي في المحاسن والمساوىء جـ ١ ص ٣١، عن ابن عبَّاس، قالَ: قال رسولُ اللَّهِ لأم سلمة: «هذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمُهُ من دمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّـه لا نبيَّ بعدي. يـا أم سلمة هـذا أمير المؤمنين وسيّـد المـرسلين، ووعـاء علمي ووصيي، وبـابي الّـذِي أُوتيَ منـه، أخي في الـدُّنيا والآخـرة، ومعي في المقـام ِ الأعلى، عليّ يقتـل القـاسـطين والنّـاكثين والمارقين».

وكيفَ لا يكـون عليٌّ أعلم البريّـة وهـو والعتـرة أمـانٌ من الضّـلال لمن تمسّك بهما، واعتصَمَ بحبلهما. ففي الصّواعق المحـرقة لابن حجـر قال: في كـلّ خلفٍ من أُمّتِي عـدولٌ من أهــل بيتي (إلى آخـره). وقــال: ثمَّ أحقّ من يتمسَّك به منهم إمامهم وعالِمهم علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهـه. وذكر ابن حجـر في الصَّواعِق قبـلَ هذا الكـلام وقال: في روايـة صِحيحَةٍ (أنّـه ﷺ) قـال: «إني تارك فيكم أمـرين لن تضلُّوا إن تبعتموهـا، وهما كتـاب الله وأهـل بيتي عترتي». (قال وزاد الطَّبراني) في الحديث أنّه ﷺ قـال: «إني سألت ذلكَ لهما (أي سألتُ الله أن لا يضِلّ من اتَّبعهما) فلا تقـدّموهمـا فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فـإنَّهم أعلمُ منكم». ثم قال ابن حجـر: إنّ لحديث التّمسّك بالكتاب وأهل البيت طرقاً كثيرة، ورَدَتْ عن نيِّفٍ وعشرين صحابياً.

وَمَنْ مثل علي عليه السلام؟ ومن حاز شرفه؟ وما من آيةٍ في القرآن إلاّ وعليّ أميرها وشريفها(١). ولقد عاتبَ الله أصحاب محمّد في أمـاكِن كثيرة. ومـا ذكر عليّاً إلاّ بخير. ففي (المناقب) للخوارزمي مرفـوعـاً بالأسـانيد إلى ابن عبـاس

---

(١) الصواعق المحرقة: لابن حجر عن ابن عباس. في القـرآن، ص ٧٦. ونور الأبصـار: للشبلنجي، ص ٧٨ ونظم (درر السِمطين. . .) إلخ.

قال: ما أنزل الله عزّ وجلّ في القرآن آية يقول فيها: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا﴾ إلّا كان علي بن أبي طالب شريفها وأميرها[1].

ويروي أيضاً مرفوعاً بالأسانيد إلى علي ﷺ قال: واللّهِ ما نزلت آيةٌ إلّا وقد علمتُ فيما أُنزِلَتْ وأين نزلَتْ، وإنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً[2].

وهناك حديثٌ ثانٍ بنفس اللّفظ مع زيادة (بَعْدَ وأين نزلَتْ وَعلى مَنْ أُنزلَتْ) إنّ ربّي وهب لي لِساناً طلقاً وقلباً عقولاً. ويروي أيضاً: مرفوعاً إلى ابن الطُّفيل قال: قال علي بن أبي طالب ﷺ: سلوني عن كتاب الله عزّ وجَلَّ، فإنّه ليس من آيةٍ إلّا وقد عرفتُ أبليلٍ أُنزِلَتْ أم بنهار؟ أم في سهلٍ أم في جبل؟

أخرج الشّيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيعه ص ٧٩، ما أخرجه ابن حجر الهيثمي في الصّواعق في الفصل الثّاني، وهو أربعون حديثاً في فضائِل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ. فقالَ بعد نقله الحديث الأربعين ص ٢٨٥. ما هذا نصُّه. وفي رواية أنّه ﷺ قال في مرضِ موتِهِ: «أيّها النّاس يوشَكُ أن أقبض قبضاً سريعاً، وقد قدّمْتُ إليكم القول معذرة إليكم. ألا إنّي مخلِف فيكم كتاب الله عزّ وجَلَّ وعترتي أهلِ بيتي». ثمَّ أخذ بيد علي فقال: «هذا علي مع القرآن، والقرآن مع عَلِي لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض، فاسألوهما ما اختلفتم فيهما».

وهذا حديث أخرجَهُ جمع كثير من علماء السّنة والإماميَّة[3].

---

(١) المناقب، ص ١٩٨ ط ١٩٦٥، المطبعة الحيدرية ـ النَّجف.

(٢) نفس المصدر والصّفحة.

(٣) أمّا الذين رووا هذا الحديث من علماء السّنة (الحمويني الشافعي في فرائد السّمطين)، جـ١ باب ٣٧، والزّمخشري في ربيع الأبرار، أخرج حديث الحمويني مسنداً عن شهر بن حوشب مع اختلافٍ ونصُّه كما ذكر أعلاه.

وهذا نَصُّه: قـال: حدَّثني شهـر بن حوشَبْ، قـال: كنتُ عند أمّ سلمـة فسلَّم رَجُلٌ فقيل: من أنت؟ قـال: أنا أبـو ثابت مـولى أبي ذرّ، قالت: مـرحباً بأبي ثابت. ادخُـلْ، فدخَـلَ ورحَّبَتْ به، وقـالت: أين طار قلبـكَ حين طارَتِ القلوب مطائرهـا؟ قال: مـع علي بن أبي طالب. قـالتْ: وُفِّقْتَ. والَّذي نفس أمّ سلمة بيده إنَّكَ مع الحق، لقـد سمعتُ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يقـول: «علي مع القرآن، والقرآنُ مع علي لن يفترقا حتّى يَـرِدا عليَّ الحوض. ولقـد بعثتُ ابني عمـر وابن أخي عبدالله بن أبي أميّـة، وأمرتهمـا أن يقاتِـلا مع علي من قـاتله، ولولا أنّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أمَرَنا أن نقرّ في حجالِنـا وبيوتِنـا لخرجتُ حَتّى أقِفَ في صفّ علي»[1].

إنّ نفي العلم عن الإمام يستلزِمُ أحد أمـرين: إمَّا نفي العلم عن القـرآن وعن محمَّد، وإمَّا أن يكون الإمام جاهلاً بعلوم القرآن وسنّة محمّد، ولم يجرؤ عاقِلٌ على القول بواحدٍ منهما.

وقد يتساءلُ: مـا العلاقـة بين القرآن ومحمّـد من جهة، وَعلي من جهـةٍ ثانية حَتّى جزمتَ وحكمْتَ بأنّ نفي العلم عن علي يستلزم نفي العلم عنهما؟

والجـواب: أنّ القـريب والبعيـد يعلمـان علم اليقين أنّ عليّاً تـرجمـان القرآن، ولسانه النَّاطق، وأنّه السَّبيل الواضح إلى علم الرَّسول، وأعلمُ النّـاس بسنّتِهِ كما قالت عائشة. وإذا كان علي جاهِلاً بالقرآن والسّنـة، فمن هو العـالِم

---

(١) روى هذا الحديث الخوارزمي في مناقبه، ص ١٦٠ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدريـة ـ النّجف. وأخرج الحاكم في المستدرك: للصّحيحين، جـ ٣ ص ١٢٤ حديث شهر بن حوشب بسندٍ آخر، وأخرجـه الذّهبي في التلخيص للمستـدرك عن هاشم بن البـريد، وأخـرج علي المتقي الحنفي في جـ ٦ ص ١٥٣ من كنز العمـال ما أخـرجه الحـاكم، وكذلكَ جلال الدّين السيّـوطيّ الشافعي في تاريخ الخلفاء، جـ ١ ص ٦٧ طبع مصـر. وأخـرجه الشيـخ محمد الصَّبـان الشّافعي في إسعـاف الـرَّاغبين، ص ١٤٧ المـطبـوع بهامش نور الأبصار ط مصر سنة ١٣٣٢ هـ، وفي نور الأبصار، ص ٧٢ أخرج حـديث أم سلمة أيضاً.

من الأصحاب؟ وهذهِ العلوم الإسلامية الّتي أُقيمَتْ وتقام لها الجامعات، ووُضِعَت فيها آلاف المجلّدات، كيفَ انتشرت في أقطار المعمورة؟ أو من أين وصلت إلى المسلمين ما دامَ علم الكتاب والسّنة محجوباً عن علي أخصّ النّاس بالرّسول، وأخلصهم لله، وأسبقهم إلى الإسلام؟!

ففي ذخائر العقبى في منافع القربى ص ٦٤، قال الرّسول الأعظم: «علي منّي بمنزلة رأسي من جسدي». وعن أبي بكر أنّهُ سمع الرّسول يقول: «علي منّي بمنزلتي من ربّي» (نفس المصدر). وفي ذخائر العقبى كذلك قال النَّبيُّ: «ليهنِكَ العلم يا أبا الحسن، لقد شربتَ العلم شَرْباً، ونهلتَهُ نهلاً». وقال عمر بن الخطاب: كانَ النَّبي يغزّ عليّاً بالعلم غزّاً، ومعنى الغزّ الغزارة والكثرة. وقال سعيد بن المسيّب: لم يكن من أصحاب الرّسول أحد يقول: سلوني إلاّ عليّاً. وقال: لو شئتُ أوقرتُ سبعينَ بعيراً من سورة الفاتحة[1].

وكذلكَ اسمَعْ مغنيّة يقول: أمّا أسرارُ القرآن العلميّة ومعجزاته الغيبيّة، أمّا علومه وفنونه وإحاطته بكلّ شيءٍ، وسرّ ملاءمته ومناسبته لكلّ زمانٍ، فلا يعلمها إلاّ الله والرّاسخونَ في العلم، وهم محمّد وأهل بيته، أمّا غيرهم فلا يعرف شيئاً، أو تنحصر خبرته في أهل زمانه، كالعلم بأنساب الخيل والقبائل والخرافاتِ والعيافة والقيافة، وتأويل الأحلام وحدء الإبل، وكي المرضى بالنّار والحديد. وإذا كان لأحد الصّحابة معرفة تجدي نفْعاً فمصدرها محمّد وآل محمّد. وإليكَ بعض الأمثلةِ على ذلك.

كان عمر بن الخطاب يدخل ابن عبّاس مع الكبار من شيوخ بدر، فاحتجّوا على عمر وقالوا له: كيف تدخل معنا هذا الفتى؟! فدعاهم عمرُ ذات يومٍ، ودعا ابن عبّاس، وسألهم عن تفسير بعض الآيات، فسكت بعضهم، وقال آخرون: لا ندري. فأوضحَ لهم ابن عباس الحقيقة. فقالَ عمر: إنّه من

(١) ذخائر العقبى في منافع القربى، ص ٧٩، وكتاب (حياة علي بن أبي طالب): للشّيخ الشنقيطي، ص ٤٦ وبعدها ط ١٩٣٦ م. من كتاب علي والقرآن: للشيخ محمد جواد مغنية، ص ٢٣ وما بعدها.

قد علمتم[1]. وإذا أفحم تلميذ أبي الحسن كبار الصّحابة وشيوخ بدر فكيفَ بالمعلّم الأكبر؟

وعن سعيد بن المسيّب قال: سمعتُ رجُلاً سأل عبدالله بن عبّاس، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له ابن عبّاس: إنَّ علياً صلّى القبلتين، وبايع البيعتين، ولم يعبد صنماً ولا وثناً، ولم يضرب على رأسهِ بزلم ولا قدح. وُلِدَ على الفطرة، ولم يشركْ بالله طرفة عين. فقال الرَّجل: إنّي لم أسألك عن هذا، وإنّما أسألُكَ عن حمله سيفه على عاتقه يختال به حتّى أتى البصرة، فقتل بها أربعينَ ألفاً، ثمّ سار إلى الشّام، فلقي حواجب العرب وضرب بعضهم ببعض حتّى قتلهم، ثمَّ أتى النّهروان وهم مسلمون فقتلَهُمْ عن آخرهم؟ فقال له ابنُ عبّاس: أعليٌّ أعلمُ عندكَ أم أنا؟ فقال: لو كان عليّ أعلمَ عندي منكَ ما سألتُكَ. قال: فغضبَ ابنُ عبّاس حتّى اشتدَّ غضبُهُ. ثمَّ قال: ثكِلَتْكَ أمُّكَ! علي علّمني وكان علمه من رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورسول الله علمُه من اللّهِ من فوق عرشِهِ. فعلم النّبي من الله، وعلم علي من النّبي، وعلمي من علم علي، وعلمُ أصحاب محمّد كلّهم في علم علي كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر[2].

قيل لابن عبّاس: أين علمُكَ من علم ابن عمّك علي؟ فقال: نقطة من بحر. وهذه النّقطة من بحر علي هي البحر المحيط. فلقَدْ كانَ المسلمونَ يُسَمّونَ ابن عبّاس البحر، ويسمّونه الحبر. وعَنْ ابن صالح قال: رأيتُ النّاس اجتمعوا على باب ابن عبّاس حتّى ضاق بهم الطّريق كلّهم طالب علم. وحجَّ ابن عبّاس مع معاوية فكانَ لمعاوية موكب، وله موكِبٌ من طلّاب العلم. وروى البغدادي عن عطاء: ما رأيْتُ مجلِساً قط أكرم من مجلس ابن عبّاس، كان أصحابُ القرآن عنده يسألونه، وأصحاب النّحو عنده يسألونه، وأصحاب

---

(١) ذخائر العقبى: للحافظ الطبري، ص ٢٢٨ ط ١٣٥٦.
(٢) كشف الغمة، الجزء الثاني: لأبي الحسن الأربلي.

الشّعر عنده يسألونه، وأصحاب الفقه عنده يسألونه، كلّهم يصدر عن وادٍ واسعٍ.

وكلّ هذه العلوم التي أفاضها ابن عبّاس إنْ هِيَ إلّا نقطة صغيرة من بحر أبي الحسن الّذي لا يُدْرَك مداه، ولا ينتهي إلى حدّ. ولم يكن ابن عبّاس التّلميذ الوحيد للإمام، فقد كان أستاذاً للكلّ بعد النّبي دون استثناء يستمدُّون العلم من معينه، ويحتجُّونَ بأقواله، كما يحتجّون بالقرآن. فقد صحّ عن الرّسول: «علي فتح القرآن، والقرآن مع علي، لن يفترِقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[1].

يقول (مغنية): ونستنتج من الحديث الحقائق التّالية:

١ ــ إنّ قول الله ومحمّد وعلي واحد من حيث الحجّة ووجوب الاتّباع، بدليل قوله تعالى في سورة الحشر: **﴿وما أتاكم الرّسول فَخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**. دَلَّتْ على أنّ حديثُ الرّسول بمنزلة القرآن. ودلَّ حديث: «علي مع القرآن» على أنّ قول علي بمنزلة القرآنِ أيْضاً، والنّتيجة الطبيعيَّة لذلكَ أنّ عليّاً هو الوسيلة إلى الله، وحجّته على الخلق، وأنّ الرّادّ عليه رادٌّ على القرآن بالذّات.

٢ ــ إنّ عليّاً عالِمٌ بحقائق القرآن ودقائقِهِ، وإنّ عنده علومَ القرآنِ بكامِلها، إذ لو كانَ جاهِلاً بها أو بشيءٍ منها لم يكن أحدهما مع الآخر.

٣ ــ إنّ عليّاً كالقرآن لا يخطىء، ولا يأتيه الباطِل من بين يديه ولا من خلفه.

٤ ــ إنّه خالدٌ بخلود القرآن، وإنّ هذا الخلود مستمرٌّ إلى يوم يُبْعَثُون.

٥ ــ إنّ القرآن مفتقِر إلى علي، كما أنّ عليّاً في حاجةٍ إلى القرآن، لأنّ

---

(١) النّص والاجتهاد، ص ٧٨ ط ١٩٥٦ نقلاً عن كتاب معرفة الصحابة، ص ١٢٤ من المستدرك، جـ ٣.

معنى التّلازم بين شيئين هو افتقار كلّ إلى آخر. فعليٌّ يرجع إلى القرآن كمصدرٍ للعلم، والقرآن يفتقر إلى علي للبيان والتفسير، لذا قال الإمام: ذاك القرآن الصّامت، وأنا القرآن النّاطق.

٦ ــ إنّه الفارق بين الحقّ والباطِل، ومن أجل هذا قال له النّبي: «لا يبغضُكَ مؤمن، ولا يحبُّكَ منافق. ومن أجل هذا أيضاً كان قسيم الجنّة والنّار، أي بحبّه يعرف المؤمنون الّذين خُلِقَتْ لهم الجنّة، وببغضه يُعْرَفُ أهلُ النّار من المنافقين».

فالحديث الشّريف يدلّ دلالةً واضحةً أنّ عليّاً والقرآن سواء بسواء، وأنّ كلّ ما للكتاب من فضل وعظمة فهو لعلي، لمكان التّلازم والعلاقة بين الاثنين.

ثمّ إذا صَرَفْنا النّظر عن حديث: «علي مع القرآن» ورجعْنا إلى سيرة الإمام منذ ولادتِهِ إلى حين وفاته رأينا أنّ عليّاً قد وقفَ حياته كلّها من أجل القرآن، تعلّمه صغيراً من النّبي، وقاتل معه المجاهدين على تنزيله، وحين خلافتِهِ قاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين على تأويله، وبذل أقصى ما لديه من جهد، لِبَثّ تعاليمه في عهد الخلفاء الثّلاثة. إذن فالحديث يعبّر عن شيءٍ واقع وثابت في نفسه، وينطق عمّا أعطاهُ الإمام من ذات نفسه للقرآن صغيراً وشابّاً وكهلاً.

وهذه حقيقة ناصعة لا يتعامَى عنها إلاّ من عاند الحق، وإلاّ من شَذّ عن المألوف، وأنكر ما رأته الأعين ولمسته الأيدي. فلنلتمس الأحاديث الّتي تثبتُ أنّ عليّاً لا نظير له ولا مثيل في العلم بعد الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم.

روى ابن عبد البرّ في (أسد الغابة) جـ ٤ ص ٢٢، بسندِهِ عن الملك بن سليمان قال: قلتُ لعطاء: أكان في أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أعلم من علي؟ قال: «لا واللّهِ، لا أعلمه». وفي ذخائر العقبى ص ٧٨ أخرج نحوه.

وروى الخطيب موفّق بن أحمد الخوارزمي الحنفي في كتابه (المناقب)

ص ٤٠ من الفصل السّابع عن سلمان رضي الله عنه عن النّبي ﷺ أنّه قال: «أعلمُ أُمّتِي من بعدي علي بن أبي طالب»(١).

وعن أبي الدَّرداء (قال): العلماء ثلاثة: رجلٌ بالشّام يعني نفسه، وَرَجُلٌ بالكوفة يعني عبدالله بن مسعود، ورجلٌ بالمدينة يعني عليّاً. فالّذي بالشّام يسأل الّذي بالكوفة، والّذي بالكوفة يسأل الّذِي بالمدينة، والّذي بالمدينة لا يسأل أحداً. ولكن هَل يُسَمَّى أبو الدَّرداءِ عالِماً إذا ذُكِرَ علمُ علي؟ فهذا عبدالله بن العبّاس كان يبيّن النّاس علم ابن عمّه علي بن أبي طالب بعباراتٍ مختلفةٍ، منها قوله: كان يشرحُ لنا عليّ رضي الله عنه نقطة الباء من بسمِ اللّهِ الرَّحمن الرحيم ليلةً فانفلق عمود الصُّبح، وهو بعد لم يفرغ، فرأيتَ نفسي في جنبه كالفوّارة في جنب بحر(٢).

وفي كتاب (الدّرّ النظيم) لابن طلحة الشّافعي كما في (ينابيع المودّة) ص ٦٩ قال: إعلم أنّ جميع أسرار الكتب السّماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وَجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النّقطة التي هي تحت الباء. قال الإمام علي كرَّم الله وجهه: أنا النقطة التي تحت الباء، وقد نظم ذلك عبد الباقي العمري في قصيدتهِ الّتي مدح بها الإمام عليّاً عليه السلام واصِفاً قبّته المطَهّرة فقال:

هي باءٌ مقلوبة فوق تلك ... النّقطة المستحيلة التأويل

وفي ينابيع المودّة ص ٦٥ ذُكِرَ لمحمَّد بن طلحة الشّافِعِي بيان آخر في علم علي عليه السلام وهو استدلاله بالأبيات المنسوبة إليه عليه السلام. قال: قال عليه السلام:

لقد حزتُ علم الأوّلين وإنّني ... ضنينٌ بعلم الآخرينَ كتومُ

---

(١) المناقب: للخوارزمي، ص ٤٠ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية ـ النجف.
(٢) علي والخلفاء لمؤلِّفِهِ نجم الدين الشّريف العسكري، ص ٥.

وكـاشِفُ أسـرارِ الغيـوبِ بـأسـرِهـا　　وعنـدي حـديث حـادِثٌ وقـديـمُ
وإنّـي لـقـيُّـومٌ عـلى كـلّ قَـيّـمٍ　　مـحيطٌ بكـلّ العـالـمـينَ عـليمُ

وعندما أخذ الإمام يصف الأتراك في نهجه قائِلاً: «كأنّي أراهُمْ قوماً كأنّ وجوههم المجان المطرقة، يلبسون السَّرَاقَ والدّيباج، ويعتقبون الخيل العتاق، ويكـون هنـاك استحـرار قتـلٍ حتّى يمشي المجـروح على المقتـول، ويكـون المفلتُ أقلَّ من المأسور».

فقالَ لهُ بعض: لقد أُعْطِيتَ يا أمير المؤمنين علمَ الغيب! فضحِكَ عليه السلام وقال للرَّجُل ـ وكانَ كلبيّاً ـ:

يـا أخا كلب، ليس هـو بعلم غيب، وإنّما هـو تعلُّمٌ من ذي علم، وإنّما علم الغيب علم السَّـاعةِ، ومـا عدّده الله سبحـانه بقـولـه: **﴿إنَّ الله عنـده علم السَّـاعةِ، وينـزّل الغيث، ويعلم ما في الأرحـام، وما تـدري نفسٌ ماذا تكسبُ غـداً ومـا تـدري نفس بأيّ أرضٍ تمـوت﴾** الآية. فيعلم الله سبحـانـه مـا في الأرحـام، من ذكـرٍ أو أنثىً، وقبيـحٍ أو جميـل، وسخيّ أو بخيـل، وشقيّ أو سعيـد، ومن يكون في النّـار حطبـاً أو في الجنـان للنّبيّين مـرافقـاً، فهـذا علمُ الغيب الّذي لا يعلمه أحداً إلاّ الله، وما سوى ذلكَ فعِلْمٌ علّمـه اللّهَ نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم فعلّمنِيه، ودعا لي بأن يعيَهُ صدري، وتضطمّ عليه جوانحي.

روى صاحبُ بستانِ الكرامة أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم كان جالِساً، وعنده جبـرئيل عليه السلام، فدخل علي عليه السلام، فقام له جبرئيل فقال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أتقومُ لهـذا الفتى؟» فقـالَ له: نعم، إنّ لـه عليّ حقَّ التّعلم، فقـال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كيفَ ذلـكَ التّعليم يا جبـرئيل؟» فقـال: لمّا خَلَقَنِي الله تعـالى سألني من أنتَ؟ ومـا إسمُكِ؟ وما أنا؟ وما إسمي؟ فتحيّرتُ في الجواب، وبقيتُ ساكِتاً. ثمّ حضـر هذا الشّـابُّ في عالمَ الأنـوار، وعلّمني الجواب. فقـال: قُلْ: أنتَ ربي الجليـل، واسمُكَ الجليل، وأنا العبد الذّليل، واسمي جبرئيل. ولهذا قمتُ له وعظّمْتُهُ. فقال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كم عمرك يا جبرئيـل؟» فقال: يـا رسول اللّهِ يـطلَعُ نجمٌ من العرش في كلّ ثلاثين ألف سنةً مرّةً، وقد شاهدتُهُ طالِعاً ثلاثين ألف مرّة».

وإلى هذا الحديث نَظَرَ محي الدين بن عربي حيثُ قال في أوَّلِ خطبة فتوحاته: الحمد لله الّذي جعل الإنسان الكامِل معلّم الملك، وأدار بانقسارِهِ طبقات الفلك. وأهل بيتِهِ صلواتُ اللّهِ عليهم قد شاركوا الملائكة في أفضل صفاتهم التي هي النوريَّة الخاصَّة، وزادَ عليهم في الصّفات العالية الّتي لا تكاد تحصى[1].

وإذا كان عليٌّ عليه السلام علَّمَ جبرئيل عليه السلام في عالَم الأنوار، فهناكَ دلائِلَ تثبتُ أنّه كان عالِماً بما لم يعلمه أحدٌ سوى النّبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ففي ينابيع المودَّةِ للقندوزي ص ٧ قال: سُئِلَ عليّ كرَّمَ الله وجهه أنّ عيسى بن مريم كان يحيي الموتى، وسليمان بن داوود كان يفهم منطق الطَّير، فهل لكم هذه المنزلة؟ قال: إنَّ سليمان بن داود عليه السلام غضب على الهدهد لفقدِهِ، لأنّه يعرف الماء ويدلّ على الماء، ولا يعرف سليمان الماء تحتَ الهواء، مع أنّ الرّيح والإنس والجنّ والشياطين المردة كانوا له طائعين، وأنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ولو أنّ قرآناً سُيِّرت به الجبال أو قُطِّعَتْ به الأرض أو كُلِّمَ به الموتى﴾[2]. ويقول تعالى: ﴿وما من غائبةٍ في السَّماء والأرض إلاَّ في كتابٍ مبين﴾[3]. ويقول تعالىٰ: ﴿ثمَّ أورَثْنا الكتابَ الّذين اصطفينا من عبادنا﴾[4]. فنحن أورثْنا هذا القرآن الّذي فيه ما يسيرُ به الجبال، وتقطع به البلدان، ويحيا به الموتى فعرف به الماء، وأورثنا هذا الكتاب الّذي فيه تبيان كلّ شيءٍ[5].

وإذا كان سليمانُ يعلم منطق الطّير، فعلي يعلم هذا المنطق، بل له الفضل في هذا المنطق على سليمان. فهذا عمّار بن ياسر رضي الله عنه

---

(١) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي، جـ ١ باب ١ ص ١٥.
(٢) سورة الرعد: آية ٣١.
(٣) سورة النّمل: آية ٧٥ .
(٤) سورة فاطر: آية ٣٢.
(٥) علي والخلفاء لمؤلّفه نجم الدّين العسكري، ص ٢٠.

يقول: كنتُ عند أميـر المؤمنين جالِسـاً بمسجد الكـوفة، ولم يَكُنْ سـوايَ أحدٌ فيـه، وإذا هو يقـول: صَدّقيـه صدّقيـه، فالتفتُّ يمينـاً وشمالاً، فلم أرَ أحـداً، فبقيتُ متعجّباً، فقال لي: يا عمّار، كأنّي بكَ تقول: لمن يكلّم عليٌّ؟ فقلْتُ: هـو كذلـك يا أميـر المؤمنين، فقال: ارفَـعْ رأسَـكُ، فـرفعتُ رأسي، وإذا أنـا بحمامتين تتجاوبان، فقالَ لي: يا عمّار، أتدري ما تقـول إحداهمـا للأخـرى؟ فقلتُ: لا وعيشِكَ يا أمير المؤمنين، قال: تقول الأنثى للذَّكر: أنْتَ استبـدلْتَ بي غيري، وهجرتَني، وأخذت سوايَ، وهو يحلفُ لها ويقول: ما فعلتُ ذلكَ وهي تقـول: ما أصـدّقكَ، فقـال لها: وحقّ هـذا القاعـد في هذا الجـامع مـا استبدلتُ بكِ سواكِ، ولا أخذتُ غيركِ، فهمَّتْ أن تكذّبه، فقلْتُ لها: صـدّقيه صـدّقيه. قـال عمّار: يـا أمير المؤمنين مـا علمتُ أحداً يعلم منـطق الـطّيـر إلاّ سليمـان بن داوود عليه السلام. فقـالَ لـه: يـا عمّـار، واللّهِ إنّ سليمـانَ بن داوود سأل الله تعالى بنا أهل الطَّيْرِ حتّى عُلِمَ منطق الطّير[1].

ولنستمـع إلى الكنجي الشّافعِي كيفَ يحلّل علم علي إجمـالاً وَتفصيـلاً في كتابه (كفاية الطّالب) ص ١٠٣ باب ٥٩ في علمه.

كـانَ عندَه عليه السلام لكـلّ معضلةٍ عتادٌ، ورزق خشيـة الله عَزَّ وَجَـلَّ، ولهذا كان أعلم الصّحابة، ويدلّ على أنّه كانَ أعلم الصّحابة بالإجمالِ والتّفْصِيـلِ. أمّا الإجمال فهو أنّ عليّاً عليه السلام كان في أَصْلِ الخلقةِ في غاية الذَّكـاء والفطنـة والاستعداد للعلم، وكان النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الفضلاء، وخـاتَمِ الأنبياءِ، وكـانَ عليٌّ عليه السلام في غـاية الحـرص على طَلَبِ العلم. وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في غـايـة الحرص على تربيَتِـهِ وإرشاده إلى اكتسـاب الفضـائِـلِ، ثم إنَّ عليّاً عليه السلام بقيَ في أوّل عمره في حجر النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي كبـرِهِ صار ختنـاً له،- وكـانَ يدخُـلُ عليـه في كلّ الأوقـات. ومن المعلوم أنَّ التّلميـذ إذا كـانَ في غـايـة الحـرص والذَّكاء في التعلّم، وكان الأستاذ في غاية الفضـل والحرص على التّعليم، ثمَّ اتَّفق لهـذا التّلميذ أن اتَّصـل بخدمـةِ مثل هـذا الأستاذ من زمن الصّغـر، وكانَ

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٦١١.

ذلكَ للاتصالِ بخدمتِهِ حاصِلاً في كلّ الأوقات، فإنّه يبلغ ذلك التّلميذ في العلم مبلغاً عظيماً، ويحصل له ما لا يحصلُ لغيره. هذا بيان إجمالي على ذلك. لأنّ العلم في الصّغر كالنّقشِ في الحجر، والعلم في الكبر كالنَّقْشِ في المدر.

وأمّا التَّفصيل فيدلّ على وجوهٍ: الأوّل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أقضاكم علي، والقاضي محتاج إلى جميع أنواع العلوم»، فلمّا رجحه صلى الله عليه وآله وسلم على الكلّ في القضاء لزم ترجيحُهُ عليهم في جميع العلوم. أمّا سائر الصّحابة فقد رجح كلّ واحدٍ منهم على غيره في علمٍ واحد، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفرضكم زيد، وأقرأكم أُبَيّ، وأعلمكم بالحلالِ والحرام معاذ بن جبل، وأبو ذرّ أصدقُكُمْ لهجَةً». وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد أُوتي جوامع الكَلِمِ وخواتمه. فلمّا ذكر لكُلّ واحدٍ فضيلةً، وأراد أن يجمعها لابن عمّهِ بلفظٍ واحد، كما ذكر لأولئِكَ ذكر بلفظٍ يتضمَّنُ جميع ما ذكرَهُ في حَقّهم، وإنّما قلنا ذلك، لأنَّ الفقيهَ لا يصلح لمرتبة القَضَاءِ حتّى يكون عالِماً بفرائض الكتاب والسّنَّةِ والكتابة والحلال والحرام، يكون مع ذلكَ صادقَ اللَّهْجةِ. فلو قال: قاضيكُمْ علي، كان متضمّناً لجميع ما ذكرَهُ في حقّهِمْ، فما ظنُّكَ بصيغةِ أفعلِ التَّفضيل؟ وهذهِ الصّفة تتطلَّبُ من صاحِبِها كمال العقل، وصحَّة التَّمييز، والبعد عن الغفلَةِ والنّسيان، مع معرفةِ الكتابِ والسُّنَّة، والاتّفاق والاختلاف، والقياسِ ولغة العرب، علاوَةً عن العدلِ والمروءة ومجانبة الدَّنايا والعفّة. فهذهِ أُمورٌ لا يصحّ اتّصاف الإنسان بعلم القضاء ما لم يحط بمعرفتِها. ومتى فَقَدَ عِلْمُهُ بها لا يصلح للقضاء، ولا يصحّ اتّصافه بها، لذلكَ نرى أنَّ عليّاً اتّصفَ بذلك كلِهِ، وعِلْمُ عليّ من الرَّسولِ بلا وَسَاطةٍ، وعلم الرَّسولِ من اللّهِ. والنَّبي صلى الله عليه وآله وسلم بَيَّنَ لأمَّتِهِ أنّه عَلَّم جميع علومه لعلي. فلذلِكَ عَلِمَ ما كانَ وما يكون إلى يوم القِيامة، لا يحتاجُ إلى خبرٍ متواتر، فإنَّ أهلَ البيت لا يقاس بنا أحد. وقد نَصَّ رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم في حقّ علي عليه السلام بأنَّهُ يختصّ بخصالٍ لا يشاركه فيها أحد.

ففي ذخائر العقبى ص ٨٣، والصَّواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٨، وينابيع المودّة ص ٢١١، وحلية الأولياء جـ ١ ص ٢٢، واللفظ لصاحب

الحلية عن أبي سعيدٍ الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «وضَرَبَ بين كتفيه - يا عليُّ لكَ سبع خصالٍ لا يحاجّك فيهن أَحَدٌ يوم القيامة، أنتَ أوَّل المؤمنين إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر اللّهِ، وأرأفهم بالرعيَّة، وأقسَمُهُمْ بالسَّويَّة، وأعلمهم بالقضِيَّة، وأعظمهم مزيَّةً يوم القيامَة». وفي كنز العمّال جـ ٦ ص ١٥٣ و ١٥٦ و ٣٩٨، وهو بمعناهُ ونحوه أيْضاً.

وقد تقدَّم أنّ النبيَّ ﷺ شبَّهَ عليّاً بالأنبياء، فكما أنّ الأنبياء لا يحتاجون إلى القياس والاستحسان لفتح باب العلم لهم. فكذلكَ ابن عم النّبي ﷺ لا يحتاج إلى العمل بالقياس والاستحسان، ولا إلى ذلكَ من الأدلّة، لأنّ من كان كآدم ﵇ في العلم استغنى عن كلّ شيءٍ، لأنّه علَّمَهُ الأسماء كلّها، وهذا، ومن اختصَّ بمائةِ منقبَةٍ وفُضِّلَ بها على سائر الصَّحابة، لا يحتاج في استنباطاتِهِ إلى الأدلَّةِ الّتي يحتاج إليها غيره. ومن نزلَتْ بفضله ثلاثمائه آيةً من القرآن لا يقاسُ بأحدٍ، ولا يقاسُ به أحدٌ. وهل من عنده علم الكتابِ الّذي فيه تبيان كلّ شيءٍ يحتاجُ إلى شيءٍ آخر غير الكتاب؟ وهل يحتاجُ إلى العمل بالقياس بجميع أقسامه، أو إلى غير القياس من الأدلَّةِ التي يراجعها العلماء عند الاجتهاد، وهل الّذي يعرف علم الكتاب الّذي قال الله تعالى في حَقِّهِ: ﴿ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتابٍ مبينٍ﴾[1] . يحتاج إلى علمٍ آخر.

جاءَ في ينابيع المودَّة ص ١٠٢ و ١٠٣ أخْرَجَ بسندِهِ عن أبي سعيد الخدري قال: سألتُ رسولَ اللّهِ ﷺ عن هذه الآية: ﴿الّذي عنده علمٌ من الكتاب﴾ قال: ذاكَ وزير أخي سليمان بن داوود ﵇، وسألته عن قوله: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عندَهُ علمٌ من الكتاب﴾ قال: ذاك وزير أخي سليمان بن داوود ﵇، وسألتُهُ عن قوله: ﴿قل كفى باللّهِ شهيداً بيني وبينكُمْ ومَنْ عندَهُ علم الكتاب﴾[2] . قال: ذاكَ أخي علي بن أبي طالب.

---

(١) سورة الأنعام: آية ٥٩.

(٢) سورة الرَّعد: آية ٤٥.

وأخرج الثَّعلبي وابن المغازلي بسنديهما عن عبدالله بن عطاء قال: كنتُ عند محمّد الباقِر رضي الله عنه في المسجد، فرأيت ابن عبدالله بن سلام فقلْتُ: هذا ابن الّذي عنده علم الكتاب، قال: إنّما ذلك علي بن أبي طالب.

وقال الصَّادق ﷺ : علم الكتاب كلّه واللّهِ عندنا، وما أعطى وزير سليمان بن داوود ﷺ ، إنّما عنده حرفٌ واحدٌ من الاسم الأعظم، وعلمُ بعض الكتاب كان عندَهُ. قال اللّه تعالى: ﴿ قال الّذي عنده علمٌ من الكتاب ﴾ أي بعض الكتاب: ﴿أنا آتيكَ به قبل أن يرتدَّ إليك طرفُكَ﴾[1] وَقالَ تعالى لموسى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كلِّ شيءٍ موعظة﴾[2] . مِنْ للتبعيض. وقال في عيسى ﷺ : ﴿وليبيِّنَ لكم بعضَ الّذِي يختلفونَ فيه﴾ بكلمة البعض. وقال في علي ﷺ : ﴿وَمَنْ عنده علمُ الكتاب﴾ أي كلّ الكتاب. وقال: ﴿ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين﴾[3] وعِلْمُ هذا الكتابِ عنده.

وكيف تستكبر عليه ذلكَ؟ وهو جنبُ اللّهِ ويدُهُ المبسوطة. ففي المناقِب عن أبي بصير، عن جعفر الصَّادق، قالَ: قال أمير المؤمنين علي سلامُ الله عليه في خطبتِهِ: أنا الهادي، أنا المهدي، وأنا أبو اليتامى والمساكين، وزوج الأرامِل، وأنا ملجأ كلّ ضعيف، ومأمن كلّ خائف، وأنا قائد المؤمنين إلى الجنَّةِ، وَأنا حَبْلُ الله المتين، وأنا العروة الوثقى وكلمة التّقوى، وأنا عَيْنُ اللّهِ وباب الله، ولسان الله الصَّادِقِ، وأنا جنبُ الله الّذِي يقول الله تعالى فيه: «أن تقولَ نفسٌ يا حسرتي على ما فرَّطتُ في جنبِ اللّهِ، وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرَّحمة والمغفرة، وأنا باب حطة، من عرفني وعرف حَقّي فقد عرف ربّه، لأنّي وصيُّ نبيّه في أرضه، وحجّته على خلقه، لا ينكر هذا إلاّ رادٌّ على اللّهِ ورسوله»[4].

---

(١) سورة النّمل: آية ٤٠.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٤٥.

(٣) سورة الأنعام: آية ٥٩.

(٤) ينابيع المودّة، جـ٣ ص ١٧١.

وعن علي بن سُوَيد، عن موسى الكاظِم في هذه الآية قال: جنبُ الله أمير المؤمنين علي، وكذلكَ ما بعدَهُ من الأوصياء بالمكان الرَّفيع إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم المهدي سلامُ الله عليهم.

وهو النَّبأ العظيم، فعن عبد الرّحمن بن كثير قال: سألتُ الصَّادق عن قوله تعالى: ﴿عمَّ يتساءلون عن النَّبأ العظيم الَّذي هم مختلِفُون﴾[1]، وسألتُهُ عن قوله تعالى: ﴿هنالِكَ الولاَيَةُ لِلَّهِ الحقّ﴾ قال: ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، كان يقول: ما لِلَّهِ نبأ هو أعظمُ منِّي، ولا لِلَّهِ آية أكبر مني[2].

وإذا أردْتَ أن تطلّع على بارقةٍ من بوارق علم الإمام فارجع البصر هل ترى من فطور، ثمَّ ارجع البصر كرَّتينِ ينقلب إليكَ البصر خاسئاً وهو حسير[3].

ذكر صاحب كتاب (الأنوار النّعمانيَّة) (في جـ ١ ص ١٨٩ وما بعدها) أنَّ علم النّجوم علم شريف من أشْرَفِ العلوم، وقد علّمه الله لأنبيائِهِ والأوصياء منهم. وتصديقه ما رواهُ السَّيِّد ابن طاووس بإسنادِهِ إلى قيس بن سعد، قال: كنتُ كثيراً ما أُسايِر أمير المؤمنين - صلوات اللَّهِ عليه - إذا سار وجهٍ من الوجوه. فلمّا قصد أهلُ النّهروان، وصِرْنا بالمدائن، وكنتُ يومئذٍ مسايراً له، إذ خرج إليه قومٌ من أهل المدائن ودهاقينِهِمْ معهم براذين قد جاؤوا بها هديَّةً إليه فقبلها. وكان فيمن تلقّاهُ دهقان من دهاقين المدائِن يدعى سرسقل - (وفي روايةٍ عن الإصبغ بن نباتة) أنَّ اسمه سرسفيل سوار، وفي آخرها قالَ لأمير المؤمنين عليه السلام: مُدَّ يدك، فأنا أشهدُ أن لا إلَه إلَّا الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأنَّ محمّداً عبده ورسوله، وأنَّكَ الإمام والوصي المفترض طاعته) - وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مَضَى، وترجع إلى قوله فيما سَلَفَ. فلمّا بصر بأمير

---

(١) سورة النّبأ: آية ١.
(٢) ينابيع المودة، جـ٣ ص ١٧١.
(٣) سورة الملك: آية ٤.

المؤمنين عليه السلام قال: يا أميرَ المؤمنين: لترجعَ عمّا قصدتَ! قال: وَلِمَ ذاك يا دهقان؟ قال: يا أمير المؤمنين، تناحَسَتِ النّجوم الطوالع، فنحس أصحابُ السُّعودِ، وسعد أصحاب النّحوس، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاستخفاءَ والجلوس، وأنّ يومَكَ هذا يومٌ مميت، قد اقترنَ فيه كوكبانِ قتالانِ، وشرق فيه بهرام في برج الميزان. وانقدَحَ من برجِكَ النّيران، وليس الحربُ لكَ بمكان.

فتبسَّمَ أميـر المؤمنين صلواتُ اللّهِ عليه. ثمَّ قال: أيّها الدهقان المنبىء بالأخبار، والمحذّر من الأقدار ما نزلَ البارحة في آخر الميزان؟ وأيُّ نجمٍ حَلّ في السَّرطان؟ قال: سأنظرُ ذلكَ، وأخرَجَ من كمِّهِ أسطرلاباً وَتقويماً. قال له أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله: أنتَ مسيّر الجاريات؟ قال: لا، قال: فأنتَ تقضي على الثّابتات؟ قال: لا، قال: فأخبرني عن حلول الأسد وتباعده عن الطّالع والمراجع؟ وما الزّهرة من التّوابع والجوامِع؟ قال: لا علمَ لي بذلكَ! قال: فما بين السّواري إلى الدّراري؟ وبين السّاعاتِ إلى المعجزات؟ وكم قدر شعاع المبدرات؟ وكم يحصل العجزُ في الغدوات؟ قال: لا علمَ لي بذلكَ. قال: فهل علمتَ يا دهقان أنّ الملك اليومَ انتقَلَ من بيتٍ إلى بيتٍ بالصّين! وانقلب ببرج ماجين، واحترقَتْ دور بالزّنج! وطفح جبٌّ سرانديب! وتهدَّم حصن الأندلس! وهاج نمل الشّح! وانهزم مراق الهندي، وفقد ديدان اليهود بأيلة! وهدم بطريك الرّوم برومية، وعمي راهب عمودية! وسقطت شرافات القسطنطينيّة! أفعالِمٌ أنتَ بهذه الحوادث؟! وما الحوادث؟ وما الّذي أحدثها شرقيها أو غربيّها من الفلك؟ قال: لا علم لي بذلك. قال: فهل علمتَ أنّه سعد اليومَ اثنان وسبعون عالَماً في كل عالَمٍ سبعون عالماً منهم في البرّ، وبعض في الجبال، وبعض في العمران، وما الّذي أسعدَهُمْ؟ قال: لا علم لي بذلك. قال: يا دهقان أظنّك قد حكمتَ على اقتران المشتري وزحل إنما أنارا لَكَ في الغسق، وظهر تلألؤ شعاع المرّيخ، وتشريعة في السَّحر، وقد سار فاتّصل جرمه بجرم تربيع القمر. وذلكَ دليل على استحقاق ألف ألف من البشر، كلّهم يولدون اليوم واللّيلة، ويموت مثلهم، وأشار بيدهِ إلى جاسوس في عسكرِهِ لمعاوية. فقال: ويموتُ هذا فإنّه منهم. فلمّا قالَ

ذلكَ: ظنّ الرَّجـل أنّه قـال: خُذُوهُ، فـأخَذَهُ شيءُ بقلبـه، وتكسَّرت نفسـه في صدره، فمات لوقته. فقالَ ﷺ : يا دهقان، ألم أزل عينِ التَّقديـر في غايـة التَّصوِير؟ قال: بلى، يا أمير المؤمنين. قال: يا دهقان أنـا أُخْبِرُكَ أنّي وصحبي هؤلاء لا شرقيُّون ولا غربيّون. إنّما نحنُ ناشئة القطب، وما زعمتُ أنّه البـارحة انقـدح من برجي النّيـران، فقد كـان يجب أن تحكم معـه، لأنّ نـوره وضيـاءَهُ عندي، ولهبه ذاهبٌ عنّي. يا دهقان هـذهِ قصبة عبس، فـاحبَسْها ووَلـدها، إن كنتَ عالِماً بالأكوار والأدوار. قال: لو علمتُ ذلـك لعلمتُ أنّك تحصي عقـود القصب في هـذه الأجمـة. ومضى أميـر المؤمنين ﷺ فهـزم أهـل النّهـروان وقتلَهُمْ، وعاد بالغنيمة والظَّفر. فقال الدِّهقان: ليس هـذا العلم بما في أيـدي أهل زمانِنا. هذا علمٌ مادَّته من السَّماء.

وأيّ وصفٍ للعلم والعلماء أعظم من وصف علي لهمـا عندمـا أَخَذَ بيـد كميل بن زياد، فأخرجَهُ إلى الجبّانّ، فلمّا أصحر تنفَّس الصّعداء ثم قال:

يـا كميل (بن زيـاد): إنّ هذه القلوب أوعيـة، فخيرهـا أوعاهـا، فاحفَظْ عنّي مـا أقولُ لـكَ. النّاسُ ثـلاثة: فعـالِمٌ ربّـاني، ومتعلّم على سبيـل نجـاة، وهمجٌ رعاع أتباع كلّ نـاعق، يميلون مع كـلّ ريح. لم يستضيئـوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

يا كميل، العلم خيرٌ من المال، العلم يحـرسُكَ، وأنتَ تحـرس المال، والمال تنقصه النّفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، وصنيع المال يزول بزواله.

يـا كميل (بن زيـاد): معرفـة العلم دينٌ يـدانُ بـه، بـه يكسب الإنسـان الطّاعة في حياتِهِ وجميل الأحدوثـة بعد وفـاته، والعلم حـاكِمٌ والمال محكـوم عليه.

يـا كميل، هلك خـزّان الأمـوال وهم أحيـاء، والعلمـاء بـاقـون مـا بقي الدَّهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة. ها إنّ هاهُنا لعلمـاً جمّاً (وأشار بيده إلى صدره لو أصبتُ له حملةً. بَلَى أصبْتُ لقناً غيـر مأمـونٍ عليه. مستعمِـلاً آلة الـدّين للدُّنيا، ومستـظهراً بنعم اللّهِ على عبـادِهِ، وبحججـه على

أوليائه، أو منقاداً لحملة الحقّ، لا بصيرةً له في أحنائِهِ، ينقدحُ الشَّـك في قلبه لأوَّلِ عـارضٍ من شبهـة. ألا لا ذا ولا ذاك! أو منهـومـاً بـاللَّذة سلس القيـادة للشَّهـوة، أو مغرمـاً بالجمـع والادّخار، ليسـا من رعاةِ الـدّين في شيءٍ، أقرب شيءٍ شبهاً بهما الأنعام السَّائمة! كذلكَ يموت العلم بموت حامليه.

اللهمَّ بلى، لا تخلو الأرض من قائمٍ لِلّهِ بحجة: إمَّـا ظاهِـراً مشهوراً أو خائفاً مغمـوراً، لئلّا تبـطل حجج الله وبيّنـاته. وكم ذا وأين (أولئـك)! أولئِكَ ـ واللّهِ الأقلون عِدداً، والأعظمون عند الله قـدراً، يحفظ الله بهم حجَجَهُ وبيّنـاته حتّى يودعوهَا نظراءهم، ويزرعوهـا في قلوب أشباهِهِم، هجمَ بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روحَ اليقين، واستلانوا ما استوعره المترَفون، وأنسوا بما استوحشَ منه الجاهلون، وصحبوا الدُّنيا بأبدانٍ أرواحها معلَّقة بالمحلّ الأعلى.

أولَئِكَ خلفاءُ اللّهِ في أرضه، والدّعاة إلى دينه، آهِ آهِ شـوقاً إلى رؤيتِهِمْ! انصرف (يا كميل) إذا شئتَ.

وبالرَّغم من قول علي ﷺ : إنّ هاهُنا لعلماً جَمّاً لو أصبتُ له حَمَلَةً. وقـوله: سلوني قبـل أن تفقـدوني ..وبالـرَّغم من الأحاديث النَّبـوية الصَّـريحـة الصَّحيحة، ونداء المشرّع الأقدس وقوله لفاطمة: أما ترضين أنّي زوَّجْتُكِ أوَّل المسلمين إسلاماً، وأعلمهم علمـاً ـ وإنّ عليّاً لأوّل أصحـابي إسلامـاً وأكثرهم عِلْمـاً ـ وزوَّجْتُكِ خيـر أُمَّتي أعلمهُمْ علماً ـ وأعلَمُ أُمّتي من بعـدي علي ـ وأنـا مدينةُ العلم وعليّ بابها ـ وعليٌّ وعـاء علمي ـ وعليّ باب علمي ـ وعلي خـازن علمي ـ وعليّ عيبة علمي ـ وأنا دار الحكمة وعلي بابهـا ـ وأنا دار العلم وعليّ بابها ـ وأنا ميزان العلم وعليّ كفَّتاهُ ـ وأنا ميزان الحكمة وعلي لسـانها ـ وأقضى أمّتِي علي ـ وأقضاكم علي ـ بالرَّغم من كلّ هـذا وذاكَ فإنّ المتعصّبين يعمـون عن ذلك، ويروون أنَّ عليّـاً أخذ العلم عن أبي بكـر (منهاج السّنـة لابن تيمية جـ ٣ ص ١٢٨)، وأن أبا بكرٍ أعلم الصَّحابة على الإطلاق قـاله ابن حجر في الصَّواعق ص ١٩. وما جاء به ابن سعـدٍ عن ابن عمر من أنّـه سُئِل عمن كـان يفتي في زمن رسولِ الله ﷺ، فقال: «أبـو بكر وعمـر ولا أعلم غيرهمـا».

ويرى ابن حزم بأنّ أبا بكرٍ كان أشجع الصَّحابة على الإطلاق. وممّا يُعْزَى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : «لولا أبو بكر الصّديق لـذهب الإسلام (نـور الأبصار للشّبلنجي ص ٥٤).

ذكـر اليافعي في روض الـرَّياحين عن أبي بكـر الصّديق أنّـه كُنَّا جلوساً بالمسجد، وإذا بأعمى سَلَّم، وقال: من يقضي حاجَةً في حبّ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقام أبو بكر وقال: ما حاجَتُـكَ يا شيخ؟ فقال: عنـدي أهلٌ وأريـد أن أحصل على ما أقتاتُ بـه أنا وهم في حب الـرَّسول. فنهض أبـو بكر وقـامَ وقال: أنـا أُعطيكَ ذلك. وقال: هل من حاجَةٍ أُخرى؟ قـال: لي بنت تريـد أن تتزوَّج في حياتي حبّاً بمحمّد، فقال: أنا أتزوَّجها. فهل حجَةٌ أُخرى؟ قال: أُريد أن أضع يدي في شيبة أبي بكر الصّديق حبّاً بمحمد. فنهَضَ أبو بكر، ووضع لحيته في يد الأعمى وقال: أمْسِكْها بحبّ محمّد. فقبَضَها وقال: يا ربّ أسألُـكَ بحرمـة شيبَةِ أبي بكر إلاَّ رددْتَ عليَّ بصـري. قال: فـردَّ الله عليه بصـره لوقتـه، فنزل جبرئيل على النَّبي وقال: يا محمّد: السَّلام يقرؤك السَّلام، ويقول لك: وعزَّتِهِ وجلاله لـو أقسم عَلَيَّ كلُّ أعمى بحـرمة شيبـة أبي بكر الصّـديق لرددتُ عليـه بصره، وما تركْتُ على وجه الأرض أعمى.

ونحن لا نعلّق على كـرامة أبي بكـر الصّديق عنـد ربّه عـزّ وجَلّ، ولكنْ نعلّقُ على أنَّ علمَ عليّ من أبي بكر فهل هذا صحيح؟

عن أَنَس بن مـالك قـال: أقبل يهـودي بعـد وفـاةِ رسـولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، فأشار القوم إلى أبي بكر، فـوقف عليه، فقـال: أُريدُ أن أسـألَكَ عن أشيـاءَ لا يعلمها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبي. فقال أبو بكر: سَلْ عمّا بدا لكَ. قال اليهودي: أخبرني عمَّا ليسَ لِلَّه، وعمَّا ليسَ عند الله، وعمَّا لا يعلمُهُ اللَّه. فقالَ أبو بكر: هذه مسائِل الزَّنادِقة يا يهودي! وَهَمَّ أبـو بكرٍ والمسلمـون باليهـودي، فقالَ ابن عبَّاس: ما أنصفتم الرَّجل. فقال أبو بكـر: أَمَا سمعتَ مـا تكلَّم به؟ فقـال ابن عبَّاس: ما أنصفتم الرَّجل. إن كـانَ عندكم جـوابه، وإلاّ فـاذهبوا بـه إلى علي رضي الله عنه يُجِبْهُ، فإنّي سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي بن أبي طالب:

اللهمَّ أهدِ قلبَهُ، وثبِّتْ لسانه. قال: فقامَ أبو بكر ومن حضره حَتّى أتوا علي بن أبي طالب، فاستأذنوا عليه، فقال علي: ما تقول يا يهودي؟ قال: أسألُكَ عن أشياء لا يعلمها إلّا نبي أو وصي نبي. فقال له: قل. فردَّدَ اليهودي المسائِل. فقال علي رضي الله عنه: أمَّا ما لا يعلمه الله، فذلك قولكم يا معشر اليهود! إنّ العزير ابن الله، والله لا يعلم أنّ له ولداً. وأمّا قولكَ: أخبرني بما ليس عند الله. فليس عنده ظلمٌ للعباد. وأمّا قولك: أخبرني بما ليس لِلَّهِ، فليس له شريكٌ. فقال اليهودي: أشهَدُ أن لا إلَه إلَّا اللَّه، وأنّ محمّداً رسول الله، وأنَّك وصيّ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال أبو بكرٍ والمسلمون لعلي عليه السلام: يا مفرِّج الكُرَب[1].

واستمع أيّها القارىء إلى من عنده علم الأولين والآخرين. روى الصَّدوق بإسنادِهِ عن الإصبغ بن نباتة، قال: لما جَلَس علي عليه السلام على الخلافة، وبايعه النّاس، خرج إلى المسجد متعمّماً بعمامة رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم لابساً بردة رسول اللّهِ، منتعِلاً نعل رسول الله، متقلّداً سيفَ رسولِ اللّهِ، فصعد المنبر، فجلس عليه متمكّناً، ثم شبك أصابِعَهُ، فوضعها أسفل بطنه، ثمَّ قال:

يا معاشر النّاس، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سَفَطُ العلم، هذا لعابُ رسولِ اللّهِ، هذا ما زَقّني رسول الله زَقّاً زَقّاً، سلوني، فإنَ عندي علم الأوَّلينَ والآخرين. . . . إلى أن قال: فقام إليه رجل يقال له ذعلب، وكان ذرب اللّسان، بليغاً في الخُطَب، شجاع القلب. فقالَ: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاةً صعبةً، لأخجلَنّه اليوم لكم في مسألتي إيّاه. فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيتَ رَبَّكَ؟ قال عليه السلام:

ويلكَ يا ذعلب! لم أكُنْ بالّذي أعبد رَبّاً لم أره! قال: كَيْفَ رأيتَهُ؟ صفه

---

(١) المجتبى: لابن دريد، ص ٣٥، وقد ذكره صاحب (الغدير) في جـ ٣ ص ١٧٨ - ١٧٩ للشيخ الأميني.

لنا. قال: ويلكَ! لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. ويلكَ يا ذعلب! إنّ ربّي لا يوصفُ بالبعد ولا بالقرب، ولا بالحركة ولا بالسُّكون، ولا بالقيام قيام انتصاب، ولا بمجيءٍ ولا بذهابٍ، لطيف اللّطافة لا يوصَفُ باللُّطف، عظيمُ العظمة، لا يوصف بالعظمة، كبير الكبرياء، لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يُوصَفُ بالغلظ، رؤوف الرّحمة لا يوصف بالرأفة، مؤمنٌ لا بعبادة، مدرك لا بحسّ، قائِل لا باللّفظ. هو في الأشياءِ على غير ممازجةٍ، خارجٌ منها على غير مباينة، فوق كلّ شيءٍ، فلا يقال شيءٌ فوقه، وَأمامَ كلّ شيءٍ، ولا يقال له أمام، داخِلٌ في الأشياءِ لا كشيءٍ في شيءٍ داخِل، وخارج منها لا كشيءٍ من شيءٍ خارج.

فخرَّ ذعلب مغشِيّاً عليه، ثم قالَ: تاللّهِ ما سمعتُ بمثل هذا الجواب. واللّهِ لا عدتُ لمثلها أبداً. ثم قال عليه السلام:

سلوني قبل أن تفقدوني، فقامَ إليه الأشعث بن قيس، فقال: يا أمير المؤمنين، كيفَ تُؤْخَذُ الجزيّة من المجوس ولم ينزل عليهم كتاب؟ ولم يبعث إليهم نبيّ؟ فقال عليه السلام:

بلى يا أشْعَث قد أنزل الله عليهم كتاباً، وبعث إليهم رسولاً، حتّى كان لهم ملك سكر ذات ليلةٍ، فدعا بابنتِهِ إلى فراشه فارتكبها، فلمّا أصبح تسامع به قومُهُ، فاجتمعوا إلى بابه، فقالوا: أيّها الملك دَنَّستَ علينا ديننا وأهلكتَهُ، فاخرج نطهّركَ، ونقم عليكَ الحدّ. فقال لَهُمْ: اجتمعوا واسمعوا كلامي، فإن لم يكن لي مخرجٌ ممّا ارتكبت، وإلاّ فشأنكم. فاجتمعوا، فقال لهم: هل علمتم أنَّ الله لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأُمّنا حوّاء؟؟ قالوا: صدقْتَ أيها الملك، قال: أفليس قد زوّج بنيه من بناته وبناته من بنيه؟ قالوا: صدقت. هذا هو الدّين. فتعاقدوا على ذلك، فَمَحَا اللّهُ ما في صدورهم من العلم، ورَفَعَ عنهُمُ الكتابَ، فهم الكفَرَةُ يدخلونَ النّار بغير حساب، والمنافقون أشدُّ حالاً منهم.

قال الأشعث: واللّهِ ما سمعتُ بمثل هذا الجواب. واللّهِ لا عدتُ إلى

مثلها أبداً.

وفي كتاب (التَّوحيد) لابن بابويه القمّي بعد ذلكَ ما يلي: ثُمَّ قال: سلوني قبل أن تفقدوني. فقام إليه رَجُلٌ من أقْصَى المسجد متوكّئاً على عصاهُ، فلم يزل يتخطّى النّاس حتّى دنا منه، فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ: دُلَّنِي على عملٍ أنا إذا عملته نجّاني الله من النّار، فقالَ له: اسمَعْ يا هذا، ثمَّ افهَمْ، ثمَّ استيقِنْ، قامَتِ الدّنيا بثلاثةٍ: بعالِمٍ ناطِق مستعملٍ لعلمه، وبغنيّ لا يبخَلُ بماله على دينِ اللّهِ، وبفقيرٍ صابر، فإذا كتم العالِمُ علمَهُ، وبخل الغنيُّ ولم يصبِر الفقير فعندها الويل والثُّبور، وعندها يعرف العارفون باللّهِ أنّ الدّار قد رجعت إلى بدئِها، أي الكفر بعد الإيمان. أيُّها السّائِلَ، فلا تغترَّنَّ بكثرة المساجد، وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتىً. أيّها السّائِل: إنّما النّاس ثلاثة: زاهد وراغب وصابر، فأمَّا الزّاهِد فلا يفرح بشيءٍ من الدُّنيا أتاهُ، ولا يحزن على شيءٍ مِنها فاتَهُ. وأمّا الصّابر فيتمنّاها بقلبه، فإن أدرك منها شيئاً صرفَ عنها نفسه لما يعلمُ من سوء عاقبتها. وأمَّا الرَّاغِب فلا يبالي من حِلّ أصَابَها أم من حرامٍ؟ قال له: يا أمير المؤمنين، فما علامة المؤمن في ذلك الزّمان؟ قال: ينظرُ إلى ما أوجب الله عليه من حقّ فيتولّاه وينظر إلى ما خالفه فيتبرأ منه، وإن كان حميماً قريباً. قال: صدقْتَ واللّهِ يا أمير المؤمنين، ثم غاب الرَّجل فلم نَرَهُ، فطلبه النّاس فلم يجدوه، فتبسَّمَ علي عليه السلام على المنبر، ثمَّ قال: ما لكم؟ هذا أخي الخضر عليه السلام، ثمَّ قال: سلوني قبلَ أن تفقدوني، فلم يقم إليه أحد، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال للحسن عليه السلام: يا حسن قم فاصعَدِ المنبر فتكلَّم بكلامٍ لا تجهلك قريش من بعدي، فيقولون: إنَّ الحسن بن علي لا يحسنُ شيئاً. قال الحسن عليه السلام: يا أبتِ كيَفْ أصعد وأتكلَّم وأنت في النّاس تسمع وترى؟! قال له: بأبي وأمّي أواري نفسي عنكَ وأسمع وأرى، وأنتَ لا تراني، فصعد الحسن عليه السلام المنبر، فحمد الله بمحامِدَ بليغةٍ شريفة، وصلّى على النّبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاةً موجزةً، ثم قال: أيّها النّاس: سمعتُ جدي رسولَ الله يقول: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، وهل تدخل المدينة إلاَّ من بابها؟» ثمَّ نزل فوثبَ إليه علي عليه السلام فحملَهُ وضمَّه إلى صدره ثم قال للحسين عليه السلام: «يا بنيَّ قم فاصعدِ المنبر،

وتكلَّم بكـلامٍ لا يجهلك قريش من بعـدي» فيقولـون: إنَّ الحسين بن علي لا يبصر شيئاً، وليكن كلامك تبعـاً لكلام أخيـك، فصعد الحسين عليه السلام المنبـر، فحمِدَ الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيّـه صلاةً مـوجزةً ثم قـال: معاشـر النّاس سمعتُ رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقـول: «إنّ عليّاً هـو مدينـة هدى، فمن دخلهـا نجا ومن تخلَّفَ عنها هلك». فوثبَ عليه عليٌّ، فضمَّـه إلى صدره، وَقبَّله، ثم قــال: «معـاشِـرَ النّـاسِ، اشهــدوا إنّهمـا فـرخـا رســولِ الله ووديعتُـهُ الّتي استـودعها وأنـا استودعكمـوها»، معـاشِرَ النّـاس ورسـول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم سـائلكم عنهما[1].

وكثيراً ما نبَّهَ أصحابه إلى علمٍ كانـوا يجهلونَهُ، فـإذا بهم يندهشـون ممّا سَمِعَوا. فهذا عمر بن الخطاب منهم:

روى أبو سعيد الخدري قال: حججنـا مع عمـر أوَّل حجَّةٍ في خـلافتِهِ، فلمّا دخل المسجد الحرام دنـا من الحجر الأسـود فقبَّلَهُ واستلمه، وقـال: إنّي لأعلم أنّـك حجر لا تضِـرّ ولا تنفـع، ولـولا أنّي رأيتُ رسـولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قبَّلَكَ واستلَمَكَ، لما قبَّلتُكَ وَلا استلمتُكَ. فقال له علي: بلى يا أمير المؤمنين، إنّـه ليضِرَ وَينفع، ولو علمتَ تأويـل ذلِكَ من كتـاب الله لعلمتَ أنَّ الّذِي أقـول لكَ كما أقول. قالَ الله تعالىٰ: ﴿وإذ أخذ ربُّكَ من بني آدمَ من ظهـورهم ذرّيتهم وأشهدَهُمْ على أنفسهم أَلَسْتُ بربكم قالوا: بلى﴾[2]، فلمَّا أشهدهم وأقرّوا له أنّـه الـرَّبِ عـزّ وجَـلَّ، وأنّهم العبيـد، كتب ميثـاقهم في رقّ، ثمَّ ألقمـه هـذا الحجـر، وإنَّ له لعينينِ ولسـانـاً وشفتينِ، تشهـد لمن وافـاه بـالمـوافـاة، فهـو أمينُ الله عزّ وجَلَّ في هذا المكان. فقال عمر: لا أبقاني اللّهُ بأرضٍ لستَ بها يا أبا الحسن[3].

فلِلَّه درُّكَ يا أبا الحسن!! فغزارة علمِكَ وعلمك ما في الأرحام عن النَّبي عن اللّهِ عزّ وجَلَّ جعل بعضاً من النَّاس يغالونَ بكَ وأنتَ غيرُ راضٍ عن ذلك.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد، جـ١٢ ص ١٠٠ ـ ١٠١.
(٢) سورة الأعراف: آية ١٧٢.
(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد، جـ١٢ ص ١٠٠ ـ ١٠١.

ففي الخرائج رُوِيَ أنّ تسعة أخوة أو عشرة في حَيّ من أحياء العرب كانت لهم أختٌ واحدة، فقالوا لها: كلّ ما يرزقُنا الله نطرحه بين يديكِ، فلا ترغبي في التّزويج، فحميّتنا لا تقبل ذلكَ، فوافقتْهُمْ على ذلِكَ، ورضِيَتْ به، وقعدَتْ في خدمتهم، وهم يكرّمونها، فحاضت يوماً، فلمّا طهرت أرادت الاغتسالَ، وخرجَتْ إلى عين كانت بقرب حَيّهِمْ، فخرجَتْ من الماء علقة، فدخلت في جوفها، وقد جلسَتْ في الماء، فَمَا مضت عليها أيّام، والعلقة تكبرُ حتّى علا بطنها، وظنّ الأخوة أنّها حبلى، وقد خانت. فأرادوا قتلها، فقال بعضهم: نرفع أمرها إلى علي بن أبي طالب، فإنّه يتولّى ذلك فأخرجوها إلى حضرَتِهِ ﷺ، وقالوا فيها ما ظنّوا بها، واستحضَرَ ﷺ طَشْتاً مملوءة بالحماة، وأمرها بأن تقْعَد عليه، فلمّا أحسَّتْ العلقَةُ برائحة الحماة نزلَتْ من جوفِها، فقالوا: يا عليُّ، أنْتَ ربُّنا العليُّ، فإنّك تعلم الغيب، فزبرهم وقال: إنّ رسول اللّهِ أخبرني بذلكَ عن اللّهِ بأنّ هذه الحادثة تقع في هذا اليوم، في هذا الشّهر، في هذه السّاعَةِ(1).

روى صاحب الفضائِل مرفوعاً إلى عمّار أنّهُ جاؤوا إليه ﷺ بجاريَةٍ بألف فارس، وقال أبوها: خطبها ملوك العرب، ونكّسَتْ رأسي، لأنّها عاتق حامِل. فقال ﷺ لداية الكوفة: انظُرِيها هَلْ هي حامِل؟ فلاحَظَتْها، فقالَتْ: نعم، فقال ﷺ لأبيها: من يقدرُ على قطعة ثلج في السّاعة؟ فقال: إنّ الثّلج في بلده الّذِي من أعمالِ دمشق كثير، إلاّ أنّ بُعْدَ بلدِهِ مائتان وخمسون فرسخاً. فمدَّ يده عليه السّلام وكان على المنبر، وردّها، وفيها قطعة ثلج، فأمَرَ عليْهِ السّلام أن يترك تحتَ الجارِيَةِ طشتاً، وتوضع قطعةُ الثّلج مِمَّا يلي الفرج، فرمَتِ المرأةُ علقَةً وزنها سبعمائة وخمسون درهماً ودانقانِ، وكان ﷺ أخبرهم أوّلاً بوزنِها، ثم قال لأبيها: إنّ ابنتَكَ دخلَتْ الماء وهي بنت عشر سنينَ، فدخلتِ العلقة في جوفِها، وكَبُرَتْ إلى الآن في بطنِها. فنهض أبوها وهو يقول: أشهدُ أنّك تعلم ما في الأرحام، وما في الضّمائر، وأنت بابُ

---

(1) من قضاء أمير المؤمنين: للشيخ التستري، ص ٢٠٤.

الدّين[1].

غير أنّ صاحبَ كتـاب (الرَّوضـة) في فضائـل علي بن أبي طالب يـروي هذا الحديث، وبه زيادات، ونحن نسجّلُه هنا تبرّكاً بمن قالَ له النّبي ﷺ : «لـولا أنّي أشفق أن تقولَ فيـك طوائف مـا قـالَتِ النّصـارى في عيسى، لقلتُ فيـكَ اليومَ مقـالاً لا تمرُّ على مـلإٍ منهم إلاّ أخذوا التّـراب من تحت قديمكَ تبرّكاً».

روى صاحبُ كتابِ (الرَّوضة) مرفوعاً إلى عمّار بن يـاسِر وزيـد بن أرقم أنّهما قالا: كنّا بينَ يدي أميـر المؤمنين علي عليه السلام ، وكان يـومَ الاثنين تاسـع عشر خَلَتْ من صفر، وإذا بزعقةٍ عظيمة قـد أمْلَتِ المسامـع، وكانَ على دكّـة القضاء. فقال: يـا عمّار آتني بـذي الفقار، وكـانَ وزنه سبعـة أمنان وثلثي مَنّ بالمكّي، فجئتُ به، فانتضاهُ من غمـده، وتركـه على فخذهِ، فقـال: يا عمّـار هذا يومٌ أكشُفُ فيه لأهل الكوفة الغمّـة، ليزداد المؤمنـون وفاقـاً، والمخالفـون نفاقاً، يا عمّار أئتِ بمن على البـاب. قال عمّـار: فخرجتُ وإذا بـالباب امـرأة على جمـل في قبـة، وهي تبكي وتصيـح: يـا غيـاث المستغيثين، يـا بغيـة الّـطالبين، يا كنز الرّاغبين، يـا ذا القوّة المتين، ويـا مـطعم اليتيم، ويـا رازق العديم، ويا محيي كلّ عظم رميم، يا قديماً سبق قدمه كلّ قديم، يا عـونَ من ليس معه معين، يا طود مَنْ لا طود له، يا كنـز من لا كَنْز لـه، إليك تـوجّهتُ، وبنبيّك توسّلْتَ، وخليفة رسولك قصدتُ، فبيّض وجهي، وفـرّج عني كربتي، قال عمّار: وحولها ألف فارس بسيوفٍ مسلولةٍ، فقومٌ لَهَا وقومٌ عَلَيْهـا، فقلت: أجيبوا أمير المؤمنين عليه السلام . أجيبوا عيبة علم النبـوّة. قال: فنـزلَتْ من القبّةِ، ونـزل القوم معهـا، ودخلوا المسجد، فـوقفتِ المـرأة بين يـدي أميـر المؤمنين عليه السلام ، وقـالت: يا مـولاي يا إمـام المتّقين، إليك أنبتُ، وبـابَـكَ قصـدتُ، فاكشفْ ما بي من غمّـةٍ، فإنّـك قادرٌ عليـه، وعالِمٌ بمـا كان أو يكـون إلى يوم القيامة. فعند ذلك قـال: يا عمّـار، نادِ في الكـوفة: فمن أراد أن ينـظر إلى ما

---

(1) نفس المصدر: للتستري، ص ٢٠٥.

أعطى الله أخا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليأت إلى المسجد. قال: فاجتمع النّاس حتى امتلأ المسجد، وصار القوم على القوم. فعند ذلكَ قال مولايَ: سلوني عمّا بدا لكم، يا أهل الشّام. فنهض من بينهم شيخ كبير قد شابَ، عليه بردة أتحميَّة وحلّة عريشية، وعمامة خرسانية، فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين، ويا كنز الطّالبين. مولايَ هذه الجارية ابنتي قد خطبها ملوك العرب منّي وقد نكَّسَت رأسي بين عشيرتي، وأنا موصوفٌ بينَ العرب، وقد فضحتني في أهلي ورجالي، لأنّها عاتق حامِل. فأنا قيس بن عفريس لا تُخْمَد لي نار، ولا يضام لي جار، وقد بقيتُ حائراً في أمري، فاكْشُفْ هذه الغّمة، فإنّ الإمام خير ما ترتجيه الأمة لهذا الأمر. وهذه غمّة عظيمة، ولا أرى مثلها، ولا أعْظَم منها. قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما تقولين يا جارية فيما قالَهُ أبوك ؟ قالت الجارية: يا مولاي، أمّا قوله: إنّي حامِل، فوحقّكَ يا مولايَ ما علمتُ في نفسِي خيانةً قط، وإني أعلم أنّكَ أعلم بي منّي، وإنّي ما كذبْتُ فيما قلت. ففرّجْ عني يا مولاي. قال عمّار: فعند ذلك أخذ الإمام ذو الفقار، وصعد المنبر وقال: اللّهُ أكبر، اللّهُ أكبر، اللّهُ أكبر، جاء الحق وزَهَقَ الباطِل، إنّ الباطِل كان زهوقاً. ثمَّ قال عليه السلام : عَلَيَّ بداية أهل الكوفة، فجاءت امرأة تُسَمَّى لبنى، فقال لها: اضربي بينك وبين النّاس حجاباً، وانظري هذه الجارية، أعاتقٌ حامِل؟؟ ففعلت لما أُمِرَتْ به، ثم خرجَتْ، وقالت: عاتق حامِل، وحقّكَ يا مولاي. فعند ذلكَ التفتَ الإمام عليه السلام إلى أبي الجارية، وقال: يا أبا الغضب، ألسْتَ من قرية كذا وكذا من أعمال دمشق؟ قال: نعم، قال : أليسَتْ قريتُكَ تُسَمَّى أسعار؟ قال : بلى يا مولاي : قال : من منكم هذه السّاعة يقدر على قطعةٍ من الثّلج؟ فقال: يا مولاي الثلج في بلادنا كثير، ولكن ما نقدر عليه هاهنا. فقال عليه السلام : بيننا وبين بلدتكم مائتان وخمسون فرسخاً، قال: نعم يا مولاي. قال: أيّها النّاس انظروا إلى ما أُعْطِي عليٌّ من العلم النّبوي الّذِي أودعه الله ورسوله من العلم الرّبّاني. قال عمّار بن ياسر: فمدَّ يده عليه السلام من أعلى منبر الكوفة، وإذا فيها قطعة من الثّلج يقطر الماء منها. فعندَها ضجَّ النّاس، وماج الجامع بأهله، فقال عليه السلام : اسكتوا

فلو شئتُ لأتيتُ بجبالِها. ثمَّ قال: يا داية، خذي هذا الثَّلج واخرجي الجارية من المسجد، واتركي تحتها طشتاً، وضعي هذهِ القطعة ممّا يلي الفرج، فترمي علقةً وزنها سبعة وخمسون درهماً ودانقان. فقالت: سمعاً وطاعَةً لِلّهِ ولكَ يا مولايَ. ثمَّ أخذَتْها وأخرجَتْها من المسجِدِ، فجاءَتْ بطشتٍ ووضعتِ الثّلج على الموضع كما أمرها ﷺ، فوقعَتْ علقة كبيرة، فوزنتها الدَّاية فوجَدْتها كما قال. وَأقبلَتِ الدَّاية والجارية، فوضعَتِ العلقة بين يديه، ثم قال: يا أبا الغضب خذ بنتَكَ، فواللّهِ ما زنَتْ، وإنّما دخلت الماء، فدخلَتْ هذه العلقة في فرجها، وهي بنت عشر سنين، فكبرَتْ إلى الآن في بطنِها، فنهض أبوها وهو يقول: أشهدُ أنَّكَ تعلمُ ما في الأرحام وما في الضَّمائِر، وأنّك عمود الدّين وبابه. قال: فعند ذلكَ ضجّ النّاس وقالوا: يا أمير المؤمنين لنا اليوم خمس سنين لم تمطر السَّماء علينا غيثاً، وقد أمسكَ عن الكوفة هذه المدَّة، وقد مسَّنا وأهلنا الضرّ، فاستسْقِ لنا يا وارث علم محمّد. قال: فعند ذلك قام في الحال، وأشار بيدِهِ قِبَلَ السَّماء، فدمدَمَ فإذا الغيث قد انسجم وحملَ الغيث فحرَّكَ السّحاب وأسحم، وحمل مزناً، فهبط الغيث حتى صارت الكوفة غدراناً، فقالوا: يا أمير المؤمنين كُفينا من الماء وروينا. فتكلّم بكلامٍ فمضى الغيم وانقطع المطر وطلعت الشّمس.

وإذا كَبُرَ على النَّاس معرفة أبي الحسن بذلك، وهو وارث علم النَّبي ووصيّه ووليّ كلّ مؤمن ومؤمنة، فلا يكبر عليهم ما رواه ابن الجوزي عن أبي بكر الطبيب الرَّازي، وَهذه قصَّته كما ذكرها ابن الجوزي في أذكيائه. وذلك أنَّ غلاماً من بغداد قدم الرَّي، فلحقه في طريقه أنّه كان ينفث الدَّم، فاستدعى أبا بكر الطبيب الرَّازي المشهور بالحذق، فأراهُ ما ينفث، ووصفَ له ما يجد، فنظر إلى نبضِهِ وقارورته، واستوصف حاله، فلم يقم له دليلٌ على سُلّ ولا قرحة، ولم يعرف العلّة، فاستنظر العليل لينظر في حالِهِ، فاشتدَّ الأمر على المريض وقال: هذا يأسٌ لي من الحياة لحذق التّطبيب وجهله بالعلَّةِ، فزاد ألمه، ففكّر الرازي، فلمّا عاد إليه، سأله عن المياه والّتي شربها في طريقه، فأخبره أنّه شرب من صهاريج ومستنقعاتٍ، فثبت في نفس الرَّازي بحدة

خاطِرِهِ وجودة ذكائه أنّ علقةً كانت في الماء، وقـد حصلت في معدتـه، وذلك الدّم من فعلها. فقال: إذا كان في غدٍ عالجتُكَ، ولكن بشرط أن تأمر غلمانَكَ أن يـطعيوني فيـكَ بما آمـرهم. قال: نعم، فـانْصَرف الـرَّازي فجمع مـركنينِ كبيرين من طحلب، فأحضرهما في غدٍ معه، فأراهُ إيَّاهما وقال: ابلع جميع ما في المركنين، فبلع شيئاً يسيراً ثمَّ وقف. قال: ابلَعْ، فقال: لا أستطيـعُ، فقال للغلمان: خذوه فأقيموه، ففعلوا به ذلك، وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه، فأقْبَلَ الـرَّازي يدسّ الـطحلب في حلقه، ويكبسـه كبساً شـديـداً، ويـطالبـه ببلعـه، ويتهدَّده بأن يضرب إلى أنّ بلَعَهُ كارِهاً أحد المركنين بـأسره، والـرَّجل يستغيث ويقول: السَّاعة أقذفْ، فـزاد الرّازي فيمـا يكبسنُهُ في حلقِـهِ، فذرعـه القيءُ، فتأمّل الرَّازي ما قَذَفَ، فإذا فيه علقة، وإذا هي علقة، وإذا هي لمّا وصل إليها الـطّحلب، قربَتْ إليـه بالـطّبع، وتـركتْ موضِعَهـا، فـالتفَّتْ على الـطّحلب، ونهض العليل معافًى[1].

وهل يعظم على أبي الحسن معرفة مـا علّمه النّبي الكـريم بما كـانَ وما يكـون إلى يوم القيـامة، وهـو صـاحب الأُذُنِ الـواعيـة. فلقـد أخـرج الكنجي بـأسانيـد عن عبدالله بن الحسن قـال: حينَ نـزلَتْ هـذه الآيـة: ﴿وتعيهـا أُذُنٌ واعيـة﴾ قال رسـولَ اللّهِ ﷺ: «سألتُ الله عـزّ وجـلّ أن يجعلهـا أُذُنـكَ يـا علي». قال عليه السلام: فما نسيتُ شيئاً بعد، وما كان لي أنْ أنسى[2].

وإذا كـان يراودُكَ الشَّـك حتّى الآن في أنّ أحداً مِنَ الصَّحـابـة أعلم من علي عليه السلام فاستمع إلى ما ذكره العلاّمة الحجة السيِّد محسن الأمين في كتـابه المسمَّى (عجـائب أحكام أميـر المؤمنين) ص ١١٣ ط مصـر سنـة ١٣٦٦ هـ، أخـرجه بسنـدِهِ عن إبـراهيم بن أبي يحيى المـدني، عن أبي عبـدالله الصّـادق

---

(١) من كتاب (قضاء أمير المؤمنين): للتستري، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٢) الكنجي، ص ٤٠ وممّن ذكـر ذلك الصبـاغ المالكي في الفصـول المهمَّـة، ص ١٠٧ ط ٣ عام ١٩٦٢ م، والواحدي في أسباب النـزول، والطبـري في تفسيره، وفي حليـة الأوليـاء، والدر المنثـور للسيوطي وآخـرون غيرهم وكـذلك الخـوارزمي في منـاقبـه، ص ١٩٩ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية ـ النّجف.

ﷺ قال: لمّا مات أبو بكر وبايع النّاس عمرَ أتاهُ رَجُلٌ من شباب اليهود، وهو في المسجد والنّاس حوله، فقال: يا أمير المؤمنين دلّني على أعلمكم بالله وبرسوله وبكتابه وسنّتِهِ (قال): فأومأ بيده إلى علي، فقال: هذا، فتحوّل الرّجل إلى علي فسأله، أنت كذلك؟ قال: نعم، (قال): إنّي أريد أن أسألكَ عن ثلاثٍ وثلاث وواحدةٍ، فقال له أمير المؤمنين: أفلا قلتَ عن سبع؟ قال اليهودي: لا، إنّما أسألك عن ثلاثٍ، فإن أصبْتَ فيهن سألتُك عن ثلاث، وإن لم تصب، لم أسألك. (فقال علي ﷺ): فأخبرني إن أجبتُكَ بالصّوابِ والحقّ تعرف ذلك؟ وكان أبو الفتى من علماء اليهود يرونَ أنّه من ولد هارون بن عمران. (فقَالَ علي): والله الذي لا إلّه إلاّ هو لَئِن أجبتُكَ والصّواب لتسلمَنَّ ولتدعَنَّ اليهودية؟ فحلَفَ له الفتى. فقال له: يا يهودي سل عمّا بدا لكَ تُخْبَرْ به إن شاء الله. (فقال): أخبرني عن أوّلِ شجرةٍ وُضِعَتْ على وجه الأرض؟ وأوّل عينٍ نبعَتْ في الأرض، وأوّل حجر وُضِعَ على وجه الأرض؟ (فقال): أمّا قولُكَ أوّل شجرةٍ وُضِعَتْ على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها الزّيتونة، وكذبوا. إنّها النّخلة العجوة هَبَطَ بها آدم مِنَ الجنّة فغرسَها، وأصلُ التّمر كلّه منها. وأمّا قولك: أوّلُ عينٍ نبعَتْ في الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها العين الّتي ببيتِ المقدس تحت الحجر، وكذوا، هي عين الحيوان الّتي أتاها موسى وفتاه، فغسلا منها السّمكة فحييَتْ، وليس من ميّتٍ يصيبُهُ ذلكَ الماء إلاّ حيي. وأمّا قولك: أوّل حجر وضع على وجه الأرض، فإنّ اليهود تزعم أنّه الحجر الّذي ببيتِ المقدس، وكذبوا. إنّما هو الحجر الأسود هبط به آدم من الجنّة، فوضعه على الرّكن، فالمسلمون يستلمونه. (قال): فأخبرني كم لهذه الأمّةِ من إمامِ هُدَى هادين مهدِيّين، لا يضرُّهم مَنْ خَذَلَهُمْ. وأخبرْني أين منزل محمّد في الجنّة؟ ومن معه من أُمّتِهِ في الجنّة؟ (قال): أمّا قولك: كم لهذه الأمّةِ من إمام هدى مهديّين لا يضرُّهُمْ من خذلهم، فإنّ لهذه الأمّةِ اثني عشر إماماً هادين مَهدّيين لا يضرُّهم من خذلهم. وأمّا قولك: أين منزل محمّد في الجنّة؟ ففي أفضلها وأشرفها جنة عدن. وأمّا قولُكَ: مَنْ مع محمّد في الجنّة؟ فمعه هؤلاء الإثنا عشر أئمَةِ الهُدَى. (فقال

الفتى): أجبتَ واللّهِ الّـذي لا إلَه إلاّ هـو، وإنَّ هذا المكتـوبُ عِنْـدَنـا بـإمـلاء مـوسى وخطّ هارون بيـده. (فقـال): وأخبـرني عن وصيّ محمَّـد في أهلِهِ كم يعيش بعده؟ وهل يموت موتـاً أو يُقْتَل قتـلاً؟ قال لـه أمير المؤمنين: ويحَـكَ يا يهـودي! وصيّ محمّد يعيش بعـدَهُ ثلاثين سنـةً، ويقتُلُ قتـلاً ضـربـةً هـاهُنـا، وضرب بيدِهِ إلى رأسه، تخضّب هَذِهِ، وأومأ بيدِهِ إلى لحيته من هذه. (قـال): فقطَعَ الفتى تسبيحه وقال: أشهدُ أن لا إلَه إلاّ الله، وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنّ محمّداً عبده ورسوله، وَأنَّكَ وصيُّ محمّد[1].

واسمَـعْ ما ذكـره البهائي في كشكـوله أنّ أعـرابيّاً سـألَ عليّاً فقـال: إنّي رأيتُ كلباً وطِىء شاةً، فأولدها ولداً، فمـا حكـم ذلك في الحـلّ؟ فقال علي: اعتبرْهُ في الأكل، فـإن أكل لحمـاً فهو كلب، وإن رأيتـه يأكـل علفاً فهـو شاة. فقال الأعرابي: وجـدته تـارةً يأكـل هذا، وتـارةً يأكـل هذا. فقـال: اعتبرْهُ في الشّرب، فإن كرع فهو شاة، وإن ولغ فهـو كلب. فقال الأعـرابي: وجدتُـه يلغ مرّةً ويكرع أخرى. فقال: اعتبرْهُ في المشي مع الماشيَةِ، فإن تأخّـر عنها فهـو كلبٌ، وإن تقدَّم أو توسَّطَ فهو شاة. فقال: وجدتُهُ مرّة هكذا ومرَّةً هكذا. قال: اعتبره في الجلوس فإن بَـرَكَ فهو شـاةٌ، وإن أقعى فهو كلب. قـال: إنّه يفعـل هذا مرة، وَهذا مرَّةَ. قال: اذبَحْهُ. فإن وجدْتَ له كرشاً فهو شـاة، وإن وجدْتَ له أمعاءَ فهو كلب. فبهَتَ عند ذلك الأعرابي من فَضْلِ أمير المؤمنين.

وكثيـراً ما سبَّبَ عليٌّ بعلمـه هدايـة الكثير من أهـل الكتاب لهـذا الدّين الإسلامي العظيم.

---

(١) علي والـوصيّـة، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ وكـذلـك علي والخلفـاء لنجم الـدّين العسكـري، ص ١٣٨ ـ ١٤٠. روى هذا الحديث الحمويني الشافعي في فـرائد السِّمـطين، جـ ١ باب ٦٦ مع اختلافٍ به. ورواه العاصمي في كتاب زين الفتى شرح سورة ﴿هل أتى﴾ وفيـه زيادات. وأخـرجه الأميني في بـاب الغدير، جـ ٦ ص ٢٦٨ ط إيران، وأخـرجه القنذوزي في ينابيع المودة، ص ٤٤٣، وهـو قريب من حـديث الشيخ محسن الأميني المتقدم الذكر.

رُوِيَ مسنداً عن عبد الرَّحْمن بن الأسود عن جعفر بن محمَّد عن أبيه ﷺ: قال: كان لرسول اللّهِ صديقان يهودِيَّاً قد آمَنَا بموسى رسول اللّهِ، وأتيا محمّداً رسول الله وسمعا منه، وقد كانا قرأا التَّوراة وصحف إبراهيم وموسى، وعلما علم الكتب الأولى، فلمَّا قبض الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ أقبلا يسألانِ عن صاحب الأمر بعده، وقالا: إنه لم يمت نبي قط إلاّ وله خليفة يقومُ بالأمر في أُمَّتِهِ من بعدِهِ، قريب القرابة إليه من أهلِ بيتِهِ، عظيم القدر، جليل الشَّأن. فقال أحدهما لصاحبه: هل تعرفُ صاحب هذا الأمر من بعد النّبي؟ فقال الآخر: لا أعلمُ إلا بالصّفة الّتي أجدها في التَّوراة، هو الأصلع المظفَّر، فإنّه كانَ أقربُ القومِ من رسول اللّهِ. فلمّا دخلا المدينة وسألا عن الخليفةِ أُرْشِدَ إلى أبي بكر، فلمَّا نظر إليه قالا: ليس هذا صاحبنا، ثمَّ قالا له: ما قرابتُكَ من رسولِ الله؟ قال: إني رجلٌ من عَشيرته، وهو زوج ابنتي عائشة. قالا: هل غير هذا؟ قال: لا، قالا: دلنا على من هو أعلمُ منك؟ فإنّكَ أنتَ لستَ الرَّجل الّذي نجدُ صفته بالتَّوراة أنّه وصيّ هذا النَّبي وخليفتهُ. فتغيَّظ من قولهما وَهَمَّ بهما، ثمَّ أرشدَهُما إلى عمر، وذلكَ أنّه عرف من عمر أنهما إن استَقْبَلاهُ بشيءٍ بطش بهما، فلمّا أتياهُ، قالا: ما قرابتُكَ من هذا النَّبي؟ قال: أنا من عشيرته، وهو زوج ابنتي حفصة. قالا: هل غيرُ هذا؟ قال: لا. قالاَ: ليسَتْ هذه بقرابة، وليسَتْ هذه الصّفة الّتي نجدها في التَّوراة، ثمَّ قالا: فأين رَبُّكَ؟ قال: فوق سَبْعُ سمواتٍ. قال: فهل غير هذا؟ قال: لا، قالا: دُلَّنا على مَنْ هو أعلمُ منكَ. فأرشدَهما إلى علي ﷺ. فلمّا جاءاهُ فنظر إليه، قال أحدهما لصاحبه: إنّه الرَّجل الّذي نجد صفته في التوراة، إنّه وصيّ هذا النّبي وخليفته وزوج ابنتِهِ، وأبو السّبْطَيْنِ والقائم بالحقّ من بعده، ثمَّ قالا لعلي: أيّها الرَّجل ما قرابتكَ من رسول الله؟ قال: هو أخي، وأنا وارثه ووصيّه، وأوّل مَنْ آمَنَ به، وأنا زوج ابنته فاطمة، قالا له: هذه القرابة الفاخرة والمنزلة القريبة، وهذه الصّفة الّتي نجدها في التَّوراة، ثمَّ قالا له: فأين رَبُّكَ عزّ وجَلّ؟ قال ﷺ لهما: إن شئتما أنبأتكما بالّذي كان على عهد موسى نبيّكما، وإن شئتما أنبأتكما بالّذي كان على عهد نبيّنا محمَّد،

قالا: أنبئنا بالّذي كان على عهد نبيّنا موسى. قال: أقبل أربعة أملاك: ملك من المشرق، وملك من المغرب، وملك من السّماء، وملك من الأرض، فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب: من أين أقبلْتَ؟ قال: من عند ربّي. وقال صاحب المغرب لصاحب المشرق: من أين أقبلت؟ قال: من عند رَبّي. وقال النّازل من السماء للخارج من الأرض: من أين أقبلْتَ؟ قال: أقبلْتُ من عند ربّي. وقال الخارج من الأرض للنازل من السّماء: من أين أقبَلْتَ؟ قال: من عند ربّي. فهذا ما كانَ على عهد نبيكما موسى.

وأمّا ما كان على عهد نبيّنا محمّد فذلكَ قوله في محكم كتابه: **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ولا خمسةٍ إلاّ هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم أينما كانوا﴾**(١) الآية.

قال اليهوديّان: فما منع صاحبَيْكَ أن يكونا جعلاك في موضِعِكَ الّذي أنتَ أهله؟ فوالّذي أنزل التّوراة على موسى أنّك لأنتِ الخليفة حقّاً، نجد صفتَكَ في كتبنا، ونقرؤها في كنائِسنا، وإنّكَ لأحَقّ بهذا الأمر وأولى به ممّنْ قد غلبَكَ عليه. فقال علي: قدّما وأخّرا وحسابُهما على الله عزّ وجَلّ يوقفان ويَسْألانِ(٢).

هذا هو علي أخذ علمه عن رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ففهمه ووعاه تماماً، كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا العلم عن جبرئيل ففهِمَهُ ووعاهُ كما أخذه ووعاهُ جبرئيل عن الله، ولا فرق أبداً في شيءٍ إلاّ بالوساطة فقط لا غير. وهكذا علوم أهل البيت.

قال الإمام الصّادِق عليه السلام: عجباً للنّاس يقولون: أخَذُوا عِلْمَهم كلّه من رسولِ اللّهِ، فعملوا به واهتدوا، ويرون أنّا أهل بيتٍ لم نأخذ علمه، ولم نهتدِ

---

(١) سورة المجادلة: آية ٧.

(٢) قضاء أمير المؤمنين: للشيخ التستري، ص ٧٠ و ٧١ ط ٣، المطبعة الحيدرية - النّجف.

به، ونحن أهله وذريته، في منازِلنا أُنزِلَ الوصي، ومن عندِنا خرج العلم إلى النّاس، أفتراهم علموا واهتدوا وجهلنا وضللنا؟

وقال الإمام الباقِر عليه السلام: لو كنّا نحدّثُ النّاس برأينا وَهوانا لهلكنا، ولكنّا نحدثهم بأحاديث نكنزها عن رسول الله كما يكنز هؤلاءِ ذهبَهم وفضّتهم(١).

وإذا كان معاوية بن أبي سفيان العدوَّ اللّدود لعلي، وإذا كان أقام الدُّنيا وأقعدها ضدّه، فإنّه لا يتمالك أن يقول الحقيقة عندما بلغَه نبأ مقتل الإمام، فقال: لقد ذهب العلم والفقه بموت ابن أبي طالب(٢).

واستمع إلى ما رواهُ صاحب إرشاد القلوب في الجزءِ الثّاني ص ١٦٩ فهو يقول: وبحذف الإسناد روى أنّ يوماً حضر الناس عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب بالكوفة ويقول: سلوني قبلَ أن تفقدوني، فإنّي لا أُسأل عن شيءٍ دون العرش إلاّ أجبتُ فيه، لا يقولها بعدي إلاّ مُدَّعٍ أو كذّاب مُفْتَرٍ. فقام إليه رجلٌ من جنب مجلسه في عنقه كتاب كالمصحف، وهو رجل آدم ضرب طوال جعد الشَّعر، كأنه من يهود العرب، وقال رافعاً صوته لعلي عليه السلام: أيّها المدَّعِي لما لا تعلم، والمتقدّم لما لا يفهم، أنا أسألك فأجب. قال: فوثب أصحابه وشيعته من كلّ ناحية وهمّوا به، فهزمهم علي عليه السلام وقال: دعوه ولا تعجلوه، فإنّ العجلة والبطش والطيش لا تقوم به حجج الله، ولا بإعجال السَّائِل تظهر براهين الله عزّ وجَلّ. ثمَّ التفِتَ إليَّ فقال: سل بكلِ لسانك ومبلغ علمِكَ أجِبْكَ إن شاءَ الله بعلمٍ لا يختلج به الشّكوك ولا يهيِّجنّه دنَس الرَّيب والزَّيغ ولا قوّة إلاّ بالله. قال الرَّجل: كم بين المشرق والمغرب؟ قال علي عليه السلام: مسافة الهواء. قالَ الرَّجل: وما مسافة الهواء؟ قال علي: دوران الفلك. قال: وما دوران الفلك؟ قال: مسيرة يومٍ للشّمس. قال: صدَقْتَ.

---

(١) الشّيعة والتشيع: لمحمد جواد مغنية، ص ٤٥.
(٢) انظر كتاب ألف باء، جـ ١ ص ٢٢٢.

قال: فمتى القيامة؟ قال علي ﷺ : عند حضور المنيّة وبلوغ الأجل. قال: صدقتَ. قال: فكم عمر الدُّنيا؟ قال ﷺ : سبعة ثم لا تجديد. قال الرَّجل: صدقْتَ، فأين بكّة من مكّة؟ قال علي ﷺ : مَكّة أكناف الحرم، وبكّة موضع البيت. قال الرَّجل: صدقت. فلِمَ سمّيت مكّة؟ قال ﷺ : لأنّ الله عزّ وجلّ مدّ الأرض من تحتها. قال: نعم، فَلِمَ سُمّيت بكّة؟ قال: لأنّها بكّت رقاب الجبّارين وأعناق المذنبين؟ قال: صدقْتَ. فأين كان الله قبل أن يخلق عرشه؟ قال: سبحان من لا تدركه الأبصار، ولا تدرك كنه صفتِهِ حملة العرش على قرب ربواتهم من كرسي كرامته، ولا الملائكة من زاخِر رشحات جلاله. ويحكَ لا يقال لِلّهِ أين؟ ولا بمَ، ولا فيمَ؟ ولا أي؟ ولا كيف؟ قال الرَّجل: صدقتَ. فكم مقدار ما لبث عرشه على الماء؟ من قبل أن يخلق الأرض والسَّماء؟ قال ﷺ : أتحسِنُ أن تحسب؟ قال: نعم، قال الرَّجل: لعلّك لا تحسن أن تحسَبَ. قال: بلى، إني لأحسن أن أحسب. قال ﷺ : أرأيتَ إن صبّ خردل في الأرض حتى مَسَّه الهواء وما بين الأرض وَالسَّماء، ثم أذن لكَ على ضعفِكَ أن تنقله حبّةً حبّة من مقدار المشرق والمغرب، وفي مدّ عمرِكَ، وأعطِيتَ القوة على ذلك حتّى تنقله وأحصيته لكان ذلك أيسر من أن أحصِيَ عدد أعوام ما لبث عشره على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسَّماء. وإنّما وصفت منقصة عشر عشر لعشر من جزء مِنْ مائة ألف جزء، واستَغْفِرُ اللّهَ عن التَّقليل والتّحديد. قال: فحرَّكَ الرَّجُلُ رأسه وأنشأ يقول:

أنْتَ أصِيلُ العلم يا ذا الهدى … تجلو عن الشَّكّ الغياهيبا
حُزْتَ أقاصي كلّ علمٍ فما … تبصرُ إن غولِبْتَ مغلوبا
لا تنثني عن كلّ أشكولَةٍ … تبدي إذا حَلَّتْ أعاجيبا
لِلّهِ دَرّ العلمِ من صاحِبٍ … يطلب إنساناً ومطلوبا

وروى القندوزي الحنفي في ينابيعه جـ ١ ص ٦٨ مطبعة العرفان ـ صيدا. قال الإمام كرَّم الله وجهه: سلوني عن أسرار الغيوب، فإني وارثُ علوم الأنبياء والمرسلين.

وأخـرجَ موفَّق بن أحمـد الخوارزمي الحنفي بسنـدِهِ عن أبي الصَّباح عن ابن عبَّاس، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أتاني جبرئيل بدر نـوكٍ من الجنَّةِ، فجلسْتُ عليه، فلمَّا صرتُ بين يدي ربِّي كلَّمني وناجاني، فما علمْتُ شيئاً إلَّا علَّمته عليّاً، فهـو باب علمي. ثم دعـاه إليه فقـال: يـا علي سلمُـكَ سلمي، وحربُكَ حربي، وأنت العلم فيما بيني وبين أُمَّتي»[1].

وفي المناقِب عن الإصبغ بن نباتة، قـال: كنتُ مع أميـر المؤمنينَ عليه السلام فأتاهُ رجلٌ فقال: يا أمير المؤمنين إنّي أحبُّكَ في اللّهِ. قال: إنَّ رسـول اللّهِ ﷺ حـدَّثني ألفَ حديثٍ، ولكـلِّ حديثٍ ألف بـاب، وإنَّ أرواح النَّاس تتـلاقى بعضهم بعضـاً في عالم الأرواح، فمـا تعـارفَ منهـا أئْتلِفَ، ومـا تنـاكـر منهـا اختلف، وبحق اللّهِ لقـد كذبْتَ، فمـا أعْـرِفُ وجهُـكَ في وجـوه أحبَّـائي، ولا إسمُكَ في أسماء أحبائي. ثُمَّ دخل عليه الآخِر فقال: يا أميـر المؤمنين، إنّـي أحبُّك في الله، فقال له: صدقْتَ، وقـال: إنَّ طينَتَنا وطينـةَ محبِينا مخـزونة في علم الله، ومأخوذَةٌ أخذ الله ميثاقَها من صلب آدم عليه السلام، فلم يشذّ منهـا شاذٌ، ولا يـدخلُ فيهـا غيرهـا، فأعِـدَّ للفقر جلبـاباً، فـإنّي سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «واللّهِ الفقر إلى محبِّينا أسرَعُ من السَّيْلِ إلى بَطْنِ الوادي»[2].

فهنيئاً لمن يوافِقُ علياً على أنّه من محبِّيه المخلصين، وتعْساً وَنُكْساً لمن يقولُ له: كذبْتَ. فالحبُّ قديم وليس حديثـاً، ولا يؤمِنُ هنا إلّا من آمنَ هنـاك أي في عـالَم الأرواح قبل عـالَمِ الأجساد. وعليٌّ يعـرف محبِّيه ومبغضِيـه قبل ظهـورهم في عالَمِ الأجسـاد. وكـلُّ واحـدٍ منَّـا يعـرفُ نفسـه من أيّ الفئتين. والنَّاس فريقان، والجنَّة والنَّار طريقان، ففريقٌ في الجنَّةِ وفريق في السَّعِير.

وما أحْسَنَ قولَ الإمـام وأبلغَهُ في نهجـه قائِـلاً: أقلُّ النَّـاسِ قِيمةً أقلّهم عِلْمـاً، إذ قيمة كـلّ امرىءٍ مـا يحسن، وكفى بالعلم شـرَفـاً أن يـدَّعِيـهِ من لا

(١) القندوزي الحنفي في ينابيعه، جـ١ ص ٦٩، مطبعة العرفان ـ صيدا.
(٢) القندوزي في ينابيعه، جـ١ ص ٦٩، مطبعة العرفان ـ صيدا.

يحسِنُهُ، ويفرح به إذا نُسِبَ إليه. وكفى بالجهلِ ذمّاً أن يتبرَّأ مِنْهُ من هو فيه، ويغضب إذا نُسِبَ إليه، والنَّاس عالِمٌ أو متعلم وسائرهم همجٌ رعاع.

وليتنا نعرف جزءاً ممّا يعرفه الإمام لكي نتغلّب على الكثير من مشكلاتنا ولنريح أنفسنا من أشياء لم تزل مثار اهتمامِنا وَرغبتنا، اسمعه يقول:

لـو تعلمون مـا أعلم ممّا طُـوِيَ عنكم غيبه إذاً لخـرجتم إلى الصُّعـداتِ تبكـون على أعمالكم، وتلتـدمون على أنفسِكم، ولتـركتم أموالكم لا حـارس لهـا، ولا خالف عليهـا، ولهمَّتْ كـلَّ امـرىءٍ نفسـه لا يلتفِتُ إلى غيـرهـا، ولكنَّكم نسيتم مـا ذُكِّـرتُمْ، وأمِنْتُمْ مـا حُـذِّرتم، فتـاهُ عنكم رأيكم، وتشتَّتَ عليكم أمركم، ولوددْتُ أنَّ الله فـرّقَ بيني وبينكم، وألحقني بمَنْ هُوَ أحقّ بي منكم: قومٌ واللّهِ ميامين الرَّأي، مراجيـح الحلم، مقاويـل بالحقّ، متـاريكُ للبغي، مَضَوْا قُدُماً على الطَّريقـة، وأوجفوا على المحجَّـة، فظفـروا بالعقبَى الـدَّائمة، والكـرامة البـارزة، أما واللّهِ ليسلطَنَّ عليكم غـلام ثقيف الذَّيّـال، الميَّال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكم، أيه أبا وذحة[1].

وهذه شهادة كبير الصَّحابي سلمان الفارسي يعلنُها مـدوَّيةً بـأنَّ فَقْدَ عليّ فقـدُ العلم، وأنّه عـالِمِ الأرض وربَّانيهـا. فقـد روى ابن تـاتـانَـةَ عن علي بن إبراهيم عن جعفر بن سلمة عن الثَّقفِي عن المسعودي عن يَحْيَى بن سـالِم عن إسـرائيل عن ميسـرة عن المنهال بن عَمْـرٍو عن رزين بن جيش قـال: مَـرَّ علي عليه‌السلام على بغلة رسول اللّهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وسلمان في ملأ، فقال سلمان: ألا تقومـون تأخذون بحجزته تسألونه؟ فوالَّذي فلق الحبة وبـرأ النسمة إنَّـه لا يخبركم بسـرّ نبيّكم أحـد غيره، وإنَّـه لعالِمُ الأرض وربَّـانيها، وإليـه تسكنُ، ولـو فقـدتمـوه لفقدتم العلم، وأنكرتم النَّاس[2].

ورَوَى محمّد بن عيسى عن أبي محمّد الأنصاري عن صباح المزني عَنِ

---

(١) نهج البلاغة، شرح محمّد عبده، جـ ١ ص ٢٢٨، مطبعة الاستقامة.

(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٤٥٨.

الحرث بن حصيرة المزني عن الإصبغ بن نباتة، قال: لمّا قدم علي عليه السلام الكوفة صلّى بهم أربعينَ صباحاً، فقرأ بهم ﴿سبّح اسم ربّك الأعلى﴾، فقال المنافقون: واللّهِ ما يحسنُ أن يقرأ ابن أبي طالب القرآن. ولو أحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير هذه السُّورة، قال: فبلغَهُ ذلكَ، فقال: ويلهُمْ! إني لأعرف ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهَهُ وفصله من وصله، وحروفه من معانيه، واللّهِ ما حَرْفٌ نزل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ وأنا أعرفُ فيمن أُنزِلَ، وفي أيّ يوم نزل، وفي أيّ موضعٍ نزل. ويلَهُمْ! أما يقرأون: ﴿إن هذا لفي الصُّحف الأُولى. صُحُفِ إبراهيمَ وموسى﴾[1]. واللّهِ عندي ورثْتها من رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وورثها رسول الله من إبراهيم وموسى. وَيْلَهُمْ! واللّهِ إنّي أنا الّذي أنزل اللّهُ فِيَّ ﴿وتعيها أُذُنٌ واعية﴾[2]، فإنّا كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيخبرنا بالوحي فأعيه ويفوتُهُمْ، فإذا خرجْنا قالوا: ماذا قال آنفاً؟[3].

وصاحبُ الأُذن الواعية يعرف منطق الطَّير، ولغات الملائكة قاطبةً. فقد روى أبو أمامة الباهلي، وروى سعد بن ظريف عن الصّادِق وكلاهما رَوَيا عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في خبرٍ طويل، واللّفظ لأبي أمامة أنّ النّاس دخلوا على النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وهناؤه بمولوده الحسين عليه السلام، ثم قام رجلٌ في وسط النّاسِ فقال: بأبي أنتَ وأمّي يا رسولَ الله، رأينا من علي عجباً في هذا اليوم، قالَ: وما رأيتم؟ قال: أتيناكَ لنسلّم عليكَ ونهنّئِكَ بمولودك الحسين عليه السلام، فحجَبنا عنكَ وأعْلَمنا أنّه هبطَ عليكَ مائة ألف ملك وأربعة وعشرون ألف ملك، فعجبنا من إحصائه وعدّهِ الملائكة. فقال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وأقبَلَ بوجهه عليه مبتسِماً ما علمك أنّه هبط عليّ مائة ألف وأربعة وعشرون ألف ملك؟» قال: بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله! سمعتُ مائة ألف وَأربعة وعشرين ألف لغة، فعلمتُ أنّهم مائة وأربعة وعشرون ألف ملك. قال: زادك الله علماً وحلماً يا أبا

---

(١) سورة الأعلى: آية ١٩.
(٢) سورة الجاثية: آية ١٢.
(٣) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٤٥٨.

الحسَن[1].

والـذّكر الحكيم يقـول: واسألـوا أهل الـذّكر إن كنتم لا تعلمـون. فَفِي تفسيـر يـوسف القَـطّان عن وكيـع عن الثّـوري عن السَّـدِي، قـال: كنتُ عنـد عمـر بن الخـطَّاب إذ أقبــل كعب بن الأشـرف ومـالـك بنَ الصَّيفي وحُيَيْ بن أخـطب، فقالا: إنّ في كتـابكم ﴿وجنَّـةٍ عـرضهـا السَّمـوات والأرض﴾ إذا كـان سعة جنّةٍ واحدةٍ كسبع سمواتٍ وسبع أرضين، فـالجنَّاتُ كلّهـا يوم القيـامة أين تكـون؟ فقال عمـر: لا أعلم. فبينما هم في ذلـك إذ دخل علي عليه السلام فقـال: في أي شيءٍ أنتم؟ فالتفتَ اليهودي، وذكر المسألَةَ، فقال عليه السلام لهـم: خبّروني عن النّهار إذا أقبل اللّيـل أين يكون؟ واللّيـل إذا أقبل النّهـار أين يكون؟ فقـال لـه: في علم الله يكون. قـال علي: كذلـك الجنان تكـون في علم الله، فجاء إلى النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخبـره بذلـك، فنـزل ﴿فـاسـألـوا أهـل الـذّكـر إن كنتم لا تعلمون﴾[2].

وكيفَ لا يكونُ عليٌّ من أهل الذّكر؟ وابن عبَّـاس يقول: قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أتاني جبرئيل بدرنوك من درانيك الجنّة، فجلسْتُ عليه، فلمَّا صرتُ بين يـدي ربّي فكلَّمني وناجـاني، فما علمتُ من الأشيـاء شيئـاً إلاَّ علَّمْتُـهُ ابن عمي علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو باب مدينة علمي، ثمَّ دعاه النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا عليُّ، سلمُـكَ سلمي، وحربُـكَ حربي، وأنت العلم فيمـا بيني وبينَ أُمَّتي بعدي»[3].

واستمع أيّها الطّالب إلى ما يظهره لنا الإمام من أسرار القرآن في الحفظ من الحرق والغرق وغيره. فقد روى محمّد بن يحيى عن عبداللّهِ بن جعفر عن السَّيـاري عن محمّد بن بكـر عن أبي الجارود عن الإصبـغ بن نبـاتـة عن أميـر

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٤٦٦.
(٢) سورة آل عمران: آيـة ٨٣. والروايـة من بحار الأنـوار: للمجلسي، جـ ٣ ص ٣٦٦ - ٤٦٧.
(٣) نفس المصدر: للمجلسي، جـ ٩ ص ٤٦٧.

المؤمنين ﷺ أنّه قال: والذي بعث محمّداً بالحقّ، وأكرم أهل بيته، ما من شيءٍ يطلبونَهُ من حرزٍ أو حرقٍ أو غرق أو سرق أو إفلات دابّةٍ من صاحبها أو ضالّةٍ أو آبق إلاّ وهو في القرآن، فمن أراد ذلِكَ فليسألني عنه. قال: فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عمّا يؤمن من الحرق والغرق؟ فقال: اقرأ هذه الآياتِ: ﴿الله الّذِي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصّالحين﴾(1)، وما قدروا الله حقّ قَدْرِهِ . . . ﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿عمّا يشركون﴾(2) . فمن قرأها فقد أمن الحرق والغرق. قال: فقرأها رجلٌ، فضطرمت النّار في بيوت جيرانه، وبيتُهُ وسطها فلم يُصِبْه شيء، ثُمَّ قامَ إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ دابّتِي استصعبَتْ عليَّ، وأنا منها على وجل. فقال: اقرأ في أُذنها اليمنى ﴿وله أسلم من في السّمٰوات والأرض طوعاً أو كرهاً وإليه ترجعون﴾(3). فقرأها فذلَّتْ له دابته، وقامَ إليه رَجُلٌ آخر، فقال: يا أمير المؤمنين: إنَّ أرضي مسبعةٌ، وإنّ السّباع تغشى منزلي، ولا تجوز حتّى تأخذ فريسَتَها . فقال: إقرأ ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنّتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم.فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إلٰه إلاّهو عليه توكّلتُ وهو ربُّ العرش العظيم﴾(4) . فقرأها الرَّجل فاجتنبَتْهُ السّباع. ثم قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ في بطني ماء أصفر، فهل من شفاء؟ فقال: نعم، بلا درهم ولا دينار، ولكن اكتُبْ على بطنِكَ آية الكرسي وتغسلها وتشربها وتجعلها ذخيرة في بطنِكَ، فتبرأ بإذنِ اللّهِ عزّ وجَلّ، ففعل الرَّجل فبرىء بإذنِ اللّهِ تعالى. ثمّ قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الضّالّةِ. فقال: اقرأ ﴿يٓس﴾ في ركعتين وقُلْ: يا هاديَ الضّالّة رُدَّ عليَّ ضالّتِي. ففعل، فردَّ الله عليه ضالّته. ثمَّ قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنينَ أخبرني عن الآبق، فقال : اقرأ ﴿أو كظلماتٍ في بحرٍ لُجّيٍ يغشاهُ موج من

---

(1) سورة الأعراف: آية ١٩٦.
(2) سورة الزّمر: آية ٦٧.
(3) سورة آل عمران: آية ٨٣.
(4) سورة التوبة: آية ١٢٩.

فوقه موجٌ . . .﴾ إلى قوله: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نـور﴾[1].
فقالها الـرّجل، فـرجع إليـه الآبق. ثم قام إليـه آخر، فقـال: يا أميـر المؤمنين أَخْبِرني عن السُّرق، فإنّه لا يزالُ قد يسرق لي الشيء بعد الشّيء ليـلاً. فقال: إذا آويت إلى فـراشـك: ادعـوا اللّهَ أو ادعـوا الـرّحمٰن أيّـاً مـا تـدعـوا. . .﴾ الآية. إلى قولهِ: ﴿وكبِره تكبيراً﴾[2] ثمَّ قال أميـر المؤمنين عليه السلام: من بات بأرض قفراءَ فقرأ هذه الآية: ﴿إنّ ربَّكم الله الّذي خلق السّمٰوات والأرضَ في ستـة أيّـامٍ ثم استـوى على العـرش . . .﴾ إلى قـولـه: ﴿تبـاركَ الله ربّ العالمين﴾[3]. حرسته الملائكة وتباعدت عنه الشّياطين. قالَ: فمضى الـرَّجل فإذا هو بقرية خراب، فبات فيها فلم يقرأ هذه الآية، فتغشّاه الشَّيطان، فإذا هو آخِـذٌ بحطمـه، فقال لـه صاحبـه: انظُرْهُ واستيقَظَ الـرَّجل، فقـرأ الآية. فقـال الشَّيـطان لصاحبـه: أرغم الله أنفك، احـرَسْهُ الآن حتّى يصبـح، فلمّـا أصْبَـحَ رجـع إلى أمير المؤمنين عليه السلام فـأخبره، وقـال له: رأيتُ في كـلامك الشّفـاء والصّدق، ومضى بعد طلوع الشّمس، فـإذا هو بـأثر شعـر الشَّيطان منجـراً في الأرض[4].

وكما علّم الله آدمَ الأسماء كلّهـا كذلـكَ علَّمها لعلي عليه السلام. فقـد رويَ أحمد بن محمّد عن البـزنطي عن الحسين بن مـوسى عن محمّد بن مسلم عن أبي عبـدالله عليه السلام قال: أُهـدي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبٌّ وطيـر مشويّ، من اليمن، فوضَعَهُ بين يديه، فقال: يا عليُّ ما هذه، ومـا هذه؟ فـأخذ علي عليه السلام يجيبُهُ عنها شيئاً شيئاً. فقال: إنّ جبرئيـل أخبرني أنّ اللّهَ علَّمـك الأسماء كلّهـا كما علّم آدم عليه السلام.

وفي مشـــارق أنـوار اليقين للبـــرسي يقـول روى الحسنُ البصـــري أنّ

---

(١) سورة النّور: آية ٤٠.
(٢) سورة الإسراء: آية ١١٠.
(٣) سورة الأعراف: آية ٥٣.
(٤) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٤٦٨ - ٤٦٩.

الخضر لمّا التقى بموسى فكان بينهما ما كان . جاء عصفور فأخَذَ قطرةً من البحر، فوضعَهَا على يد موسى، فقال للخضر: ما هذا؟ فقال: يقول: ما عِلْمُنا وعلم سائر الأوّلين والآخرين في علم وصيّ النّبي الأمّيّ إلّا كهذه القطرَةِ في هذا البحر.

ويقول صاحب كتاب (بحار الأنوار): ومن عجيب ما وقفْتُ عليه منَ الأمور الغيبيّة قوله في الخطبة الّتي يذكر فيها الملاحم، وهو يشير إلى القرامطة، ينتحلون لنا الحبَّ والهوى، ويضمرون لنا البغض والقلى، وآية ذلِكَ قتلهم ورّاثنا وهجرهم أجداثنا. وصحَّ ما أخبرَهُ عليه السلام ، لأنّ القرامطة قتلَتْ من آل أبي طلب خَلْقاً كثيراً، وأسماؤهم مذكورة في كتاب (مقاتل الطّالبيّين) لأبي الفرج الأصفهاني.

ومهما تكلّم الإمام بالأمور الغيبيَّة والعلوم الخفيّة فلا غرو، فهو باب مدينة العلم، والله عزّ وجَلّ يقول: ﴿ليس البرُّ بأن تأتوا البيوتَ من ظهورها ، ولكنّ البرَّ من اتّقى وأتوا البيوتَ من أبوابها﴾ .

فقد رُوِيَ عن سالِم وعاصم والحسين بن أبي العلا عَنْ أبي عبدالله عليه السلام في قولِ الله تعالى: ﴿ليس البرَّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ ، وقوله: ﴿ليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنّ البرّ من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾ البقرة: آية ١٨٩ . قال: مطرت السّماء بالمدينة، فلمّا تقشّعَتِ السّماء وخرجَتِ الشّمس، خرج رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم في أُناسٍ من المهاجرين والأنصار فجلَسَ، وجلسوا حوله، إذ أقبل علي بن أبي طالبٍ عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن حوله: «هذا عليّ قد أتاكم تقيَّ القلب، نِقيّ الكفّين». هذا علي بن أبي طالب، لا يقول إلّا صواباً، تزول الجبال ولا يزول عن دينه. فقال: «يا علي أنا مدينة الحكمة وَأنتَ بابها، فمن أتى المدينة من البابَ وصل. يا علي أنت بابي الّذي أُوتىَ منه، وأنا بابُ الله. فمنَ أتاني من سواكَ لم يصل». فقال القوم بعضهم لبعض: ما يعني بهذا؟

قـال : فأنـزل الله به قـرآنا ﴿ليس البرّ بأن تأتوا البيوت . . .﴾إلى آخر الآية[1].

ومن يمـاري في علم علي عليه السلام ؟ والذكـر الحكيم يقول بعلي : ﴿وَمن عنـده علم الكتاب﴾ . روى سعـد بن عبدالله بن محمّـد بن عيسى بن عبيد عن معمّـر بن عمرو عن عبـدالله بن الوليـد السَّمّان، قـال: قال البـاقر عليه السلام : يـا عبداللّهِ ما تقول في علي وعيسى وموسى صلواتُ اللّه عليهم؟ قلتُ: وما عسى أن أقـول فيهم؟ فقال: واللّهِ عليٌّ أعلمُ منهمـا، ثم قـال: ألستم تقـولـون: إنّ لعلي صلوات الله عليـه ما لـرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العلم؟ قلنـا: نعم، والنّـاس ينكـرون، قال: فخـاصمهُمْ فيه بقـوله تعـالى لموسى عليه السلام : ﴿وكتبنـا له في الألواح من كلّ شيءٍ﴾[3]. فاعلم أنّه لم يبيّن لـه الأمر كلّه .وقـال لمحمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وجئنـا بـك على هؤلاء شهيـداً وأنـزلنـا عليـكَ الكتـابَ تبيـانـاً لكـلّ شيءٍ﴾[2]. وقال: فاسـأل عن قولـه تعالى :﴿فكفى بـاللّهِ شهيـداً بيني وبينكم ومن عـنده علم الـكتاب﴾[4] .ثم قـال: واللّهِ إيانـا عَنى، وعليٌّ أوَّلُنا وأفضَلُنـا وأخيَرُنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [4].

وروى أبــو الفضــل العلوي، عن سعــد بن عيسى، عَنْ إبـراهيـم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن شريك بن عبـدالله، عن عبد الأعلى، عن أبي وقّاص، عن سلمان الفـارسي، عن أمير المؤمنين عليه السلام قـال: سمعته يقـول: عنـدي علم المنايـا والبلايـا والـوَصـايـا والأنسـاب وفصـل الخـطاب، ومـولـد الإسـلام، وموارد الكفـر، وأنـا صـاحبُ الميسم، وأنـا الفـاروق الأكبـر، وأنـا صاحِبُ الكرَّات، ودولة الدُّوَل، فاسألـوني عمّا يكـون إلى يوم القيـامة، وعمّـا كان على عهد كلّ نبيّ بعثه الله[6].

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٤٧٣ .
(٢) سورة الأعراف: آية ١١٤ .
(٣) سورة النساء: آية ٤٠ .
(٤) سورة الرّعد: آية ٤٥ .
(٥) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٤٧٤ .
(٦) نفس المصدر، جـ ٩ ص ٤٢٤ .

الخلاصة: إنّ الإمام علي كرّم الله وجهه لا يجارى ولا يبارى، لا في علمه، ولا في سائر المثل الإنسانية العليا. فإذا كان اللّهُ سبحانَهُ علّم سيّدنا محمّداً جميع ما علّمه لأنبيائه ورسله، وسيّدنا محمّد ﷺ علّم الإمام جميع ما تعلّمَهُ، فهو قد جمع علوم الأولين والآخرين مِنَ الأنبياء والمرسلين. وهو المقصود بقوله سبحانَه: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾. وعندَهُ علم الإسم الأعظم، وهو ثلاثة وسبعون حرفاً. حَرْفٌ استأثَرَ به الله سبحانَه. واثنان وسبعون علّمها لرسوله ﷺ، وأمرَهُ أن يعلّمها أهل بيته عليهم السّلام. أمّا باقي الأنبياء عليهم السّلامُ فقد قال الصّادق عليه السلام: إنّ عيسى بن مريم أُعطي حرفين كان يعمل بهما، وأُعْطِيَ موسى عليه السلام أربعة أحرف، وأُعْطِيَ إبراهيم ثمانية أحرف، وأُعْطِيَ نوح عليه السلام خمسة عشر حرفاً، وأُعْطِيَ آدم خمسة وعشرين حرفاً. وقد جمع كلّ ذلك لمحمّد وآله سوى حرفٍ واحدٍ استأثر به الله تعالى[1].

ولذلكَ فإنّنا لا نستغرِبُ من قوله عليه السلام: عندي علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب وفصل الخطاب... إلى آخره. وكذلكَ قوله عليه السلام: اندمجْتُ على مكنونٍ علمٍ لو بُحْتُ به لاضطربتم اضطرابَ الأرشية في الطوي لأوقرت سبعين بعيراً من سورة الفاتحة.

وأي تعبير أوضَحُ من هذا التعبير عن هذا العلم الذي يضمُّه بين جوانحه قائِلاً في بَعْض خُطَبِهِ:

سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإنّ عندي علم الأولين والآخرين. أما واللّهِ لو ثنيت لي الوسادة لحكمتُ بين أهل التّوراةِ بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزّبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانِهِم، حتّى ينهي كل كتابٍ من هذه الكتب ويقول: يا ربّ إنّ عليّاً قضى بقضائِكَ. واللّهِ إنّي

---

(١) من كتاب (سلوني قبل أن تفقدوني): للخطيب الشيخ محمّد رضا الحكيمي، جـ ٢ ص ٣٤ و ٣٥ نقلاً عن الأنوار النّعمانية، جـ ١ ص ٢٣.

لأعلم بـالقرآنِ وتـأويله من كلّ مُـدّعٍ علمه. ولـولا آيـة في كتـابِ اللّهِ تعـالى لأخبـرتكم بما يكـون إلى يـوم القيـامـة. ثم قـال: سلوني قبـل أن تفقـدوني، فوالّذِي فلق الحبَّة وبرأ النّسمةَ لو سألتموني عن أيّة آية لأخبرتكم بوقتِ نـزولِها وفيم نزلَتْ، وأنبأتكم بناسخِها من منسوخِها وخاصها من عامّها، ومحكمهـا من متشابهها، ومكّيها من مدنّيهـا. واللّهِ ما مِنْ فئـةٍ تضلّ أو تهـدي إلاّ وأنا أعـرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة(١).

ولولا خوفُ الإمام من غلوّ النّاس به لصرَّحَ عن أُمور وأُمور لا نقوى على تحمُّلِهـا يقول في النّهج عليه السلام :

والله لو شئتُ أن أُخبر كـل رجل منكُمْ بمخـرجه ومـولجه وجميـع شأنـه لفعلتُ. ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول اللّهِ. ألاَ إنّي مفضيـه إلى الخاصَّـةِ ممّن يؤمن ذلك منه. والّذي بعثه بالحقّ، واصطفـاه على الخلق، ما أنـطقُ إلاّ صـادِقاً. ولقـد عهد إليَّ بـذلـكَ كلّه، وبمهلك مَنْ يهلَكُ، ومنجَى من ينجـو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمرُّ على رأسي إلاّ أفرغَهُ في أذنيَّ، وأفضى بـه إليَّ. أيّها النّاس إنّي واللّهِ لا أحثُّكم على طاعةٍ إلاّ وأسبقكم إليهـا، ولا أنهاكم عن معصيَةٍ إلاّ وأتناهى قبلكم عنها(١). نهج البلاغة شرح محمّد عبـده.

وكم من وفـودٍ وردَتْ من أحبـار اليهـود وعلمـاء النّصـارى وغيـرهم إلى الخلفاء الثّلاثة ليجيبوا إلى أسئلتهم، ولم يجد هؤلاء الخلفاء لهم منقـذاً سوى الإمام كرَّم الله وجهه. فهو لا يجارى ولا يبارى.

(١) من كتاب (سلوني)، جـ٢ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ نقلاً عن كتاب الإرشاد: للمفيد، ص ١٥ و١٦.

الفصل الثامن

قضاؤه عليه السّلام

أيُّ مزيَّة في الإمام عليه السلام ليسَتْ هامّةً وعظيمةً وجليلةً. ومن المزايا الهامّة الّتي امتاز بها على غيره من النّاس كافّةً هو القضاء الّذي تعلّمه عن النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم، عن الله عَزَّ وجَلَّ. لذلكَ أصبح قضاء عليه قضاء الرَّسول، وقضاء الرَّسولِ قضاء الله عزّ وجلّ.

روى الأصفهاني في (حلية الأولياء) عن علي، قال: بعثني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن. فقلتُ: يا رسولَ الله، تبعثني إلى اليمن، ويسألونني عن القضاء ولا علم لي به. قال: ادْنُ مني، فدنوتُ فضرب بيدِهِ على صدري، ثمَّ قال: اللهمَّ ثبِّتْ لسانه، واهْدِ قلبه. فلا والذي فلق الحبَّة وبرأ النّسمة، ما شككتُ في قضاءٍ بين اثنين بعده. وبالمعنى نفسه ذكر هذا الكلام المفيد في (إرشاده) مع اختلافٍ في بعض اللّفظ.

وكيف يشكّ عليٌّ عليه السلام في قضاءٍ بين اثنين؟ وَهُوَ صاحبُ الأُذنِ الواعية والقائِل: لو كُسِرَتْ لي الوسادة لَقَضَيْتُ بين أهل التَّوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الفرقانِ بفرقانهم، حتّى ينطقَ كلّ واحدٍ ويقول: قد قضى عليّ فيَّ بمَا أُنزل. وكثيراً ما صرَّح النَّبي لأمّته قائِلاً: «أقضاكم علي». ولقد أقرَّ المخالفَ كالمؤالف بأنّه أقضى الأُمَّةِ وأعلمُها. وكثيراً ما ردَّدَ عمر بن الخطّاب جملته المشهورة عند المعضلات: «لولا علي لهلك عمر». وجملَ

أُخرى مثل قوله: «لولا علي لضلّ عمر»، وقوله: «اللهمَّ لا تبقي لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب»، وقوله: «لا أبقاني الله بأرضٍ لسْتَ فيها يا أبـا الحسن»، وقوله: «كاد يهلك عمر بن الخطّاب لولا علي بن أبي طـالب»، وقولـه: «أعوذ بـالله من معضلةٍ لا عليّ بهـا»، وقـولـه: «لـولاكَ لافتضَحْنـا»، وجمـل أُخرى غيرها.

وفي الحقيقـة لا يقاسُ عليٌّ بغيـره من النّـاس بعـد النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّـه يمتاز بخصائِص ليست مـوجودة في غيـره من النّاس. هـذه الخصائص جعلَتْـهُ فريداً من نوعه بعد النّبيّ الكريم. من هـذه الخصائص الشجـاعة مثـلاً، ولكن هل هناك شجاع ما فـرَّ قط؟! ولا خاف من جيش، ولا بـارز أحداً إلاّ قتله، أو أسـره، أو مَنّ عليه بعـد أن تمكَّنَ منـه، ومـا دعـا إلى مبـارزةٍ قطّ إلاّ بعـد أن يُدْعَى. لم تتوفّر هذه الشّروط إلاّ في عليّ وحده. علاوةً عن الصّفات الأُخرى الكريمة التي تنبع من قلب علي. فما من شجـاعٍ إلاّ وله مسـاوىء ما عـدا أبا الحسنين.

ولو انتقلنا إلى العلم كمثـلٍ ثان، لـوجدنـاه منقطع النّـظير. وهـل هناك رجل يستحقّ لقب العالِم، عندما يذكر أبو الحسنين الّذي هـو باب مـدينة علم الرَّسول. وهل هناكَ عالِمٌ قال: «سَلُوني» غير أبي الحسن؟ سلوا من عنده علم المنـايـا والبـلايـا والأنسـاب في الأصـلاب، وفصـل الخـطاب. سلوني عن كتاب الله، فإنَّهُ ليسَ من آيَةٍ إلاّ وقـد عرضتُ، أبليـلٍ نزلَتْ أم بنهـار، سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّي لا أسأل عن شيءٍ دون العرش إلاّ أخبرت عنه.

ولو انتقلنا إلى القضاء كمثلٍ ثالثٍ، لوجدناه منقطع النّظير، وإليكَ أيهـا القارىء نماذج من قضائه المبين.

أمر الخليفة عمر بضرب غِلامٍ خاصَمَ أُمَّه:

عن محمّـد بن عبدالله بن أبي رافـع عن أبيـه، قـال: خـاصَمَ غـلامٌ من الأنصـار أمَّه إلى عمـر بن الخطاب، فجحـدَتْهُ، فسـأله البَيّنَـة فلم تكن عنده، وجـاءت المرأة بنفـر، فشهِدُوا أنّهـا لم تتزوَّج، وأنّ الغـلام كاذب عليهـا، وقد

قـذفَها، فـأمـر عمـر بضـربـه، فلَقِيَـهُ عليٌّ رضي الله عنـه، فسـأل عن أمـرهم فـدعاهم، ثمَّ قعـدَ في مسجد النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسـأل المـرأة فجحـدَتْ، فقـال للغلام: اجحدْهَا كما جحـدَتْكَ. فقـال: يابن عم رسـول الله إنّها أمي! قـال: اجْحَدْها وأنـا أبوكَ والحسن والحسين أخـواك. قال: قـد جحدتُهـا وأنكرتهـا. فقال عليّ لأولياء المرأة: أمري في هذهِ المرأة جائز؟ قالوا: نعم، وفينا أيضاً، فقـال علي: أشهد مَنْ حضـر أنّي زوَّجْتُ هذا الغـلامَ من هذه المـرأة الغريبَـة منه، يا قنبر! ائتني بطينةٍ فيها دراهم، فـأتا بهـا، فعـدّ أربعمـائة وثمـانين درهماً فقـذفَها مهـراً لها، وقـال للغلام: خُـذْ بيد امـرأتِكَ، ولا تـأتِنا إلاّ وعليـك أثـر العرس. فلمّا وَلّى، قـالت المرأة: يـا أبا الحسن، الله الله هـو النّار، هـو والله ابني. قال: كيف ذلك؟ قالَتْ: إنّ أباهُ كان زنجيّاً، وإنّ إخوتي زوّجوني منـه، فحملتُ بهذا الغلام، وخرجَ الرّجـل غازِيـاً، فقُتِلَ، وبعثْتُ بهـذا إلى حيّ بني فـلان، ونشَـأ فيهم، وأنِفْتُ أن يكـون ابني. فقـالَ عليٌّ: أنـا أبـو الحسن، وألْحَقَهُ، وثبَّتُ نسبَهُ[1].

اليتيمة البريئة:

في الكـافي والتَّهذيب بسنـديهما عن الصَّـادِقِ عليه السلام قال: أتى عمـر بن الخطّاب بجاريةٍ قد شهدوا عليها أنّها بغَتْ.

وكان من قصَّتِها أنّها كانت يتيمَةً عند رجل، وكانَ الرَّجلُ كثيـراً ما يغيب عن أهله، فشبَّتِ اليتيمَةُ، فتخوَّفت المـرأة أن يتزوَّجهـا زوجها، فـدعت بنسوةٍ حتّى أمسكنها، فأخذَتْ عذرتهـا بإصبعهـا، فلمّا قَـدِمَ زوجُها مِنْ غيبتـه، رَمَتِ المرأة اليتيمة بالفاحشةِ وأقامتِ البيّنـة من جاراتِهـا اللاّتي سـاعَدْنهـا على ذلكَ إلى عمر، فلم يدر كيف يقضِي فيها، ثمَّ قال للرَّجُل: ائتِ علي بن أبي طالب عليه السلام، واذهب بنا إليه. فأتوا عليّاً عليه السلام، وقصُّوا عليـه القصّة، فقـال لامرأة الرَّجل: أَلَكِ بيّنة أو برهان؟ قـالت: لي شهود، هؤلاء جـاراتي يشهَدْنَ عليهـا

---

(١) الغدير: للأميني، جـ ٦ ص ١٠٥.

بمـا أقول، وأحضَـرْتُهُنَّ. وأخرَجَ علي ﷺ السَّيْفَ من غمـده، فـطرحَـهُ بين يديه، وأمر بكلّ واحدةٍ منهُنَّ، فأُدْخِلَتْ بيتاً، ثمّ دعا امرأةَ الرَّجل فأدارهـا بكلّ وجه، فأبت أن تنزِلَ عن قولها، فردَّها إلى البيت الّذِي كانَتْ فيه، ودعا إحدى الشّهـود وَجثا على ركبتيـه، ثمَّ قال: تعـرفيني أنـا علي بن أبي طـالـب، وهـذا سيفِي، وقد قالتِ امرأة الرَّجُلِ ما قالت، ورجعت إلى الحقّ وَأعطيتُها الأمان، وإن لم تصـدقيني لأمكنَنَّ السَّيفَ منك، فـالتفَتَتْ إلى عمر، فقـالت: يـا أميـر المؤمنين، الأمان على الصّدق[1]، فقالَ لها علي ﷺ : فاصدقي، فقـالت: لا واللّهِ[2]، إلاَّ أنَّها رأتْ جمالاً وهيئةً فخافت فسـادَ زوجها فسقَتْهـا المسكر، ودعَتْها، فأمسكناها، فافتضَّتْها بإصبعها. فقال علي ﷺ : الله أكبر، أنـا أوَّل من فـرّق بين الشهـود إلاَّ[3] دانيـال النّبي صلوات الله عليـه، وألـزمُهُنَّ حـدّ القاذِف، وألزمَهُنَّ جميعاً العقر، وجعلَ عقرها أربعمائة درهماً، وأمـر المرأة أن تنفى من الرّجل، ويطلّقها زوجها، وزوّجه الجارية، وساق المهر عنـه ﷺ .

فقال عمر: يا أبا الحسن، فحدّثنا بحديث دانيال. فقـال: إنّ دانيالَ كـان يتيماً لا أمَّ له ولا أب، وأنّ امرأةً من بني إسـرائيل عجـوزاً كبيراً ضمَّتْـهُ فربَّتْـهُ، وأنّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل، كان له قاضيان، وكان لهمـا صديق، وكـان رَجُلاً صالِحاً، وكانت له امرأة ذاتُ هيئةٍ جميلة، وكان يأتي الملك فيحدّثه، فـاحتاج الملك إلى رجل يبعثه في بعض أمـوره، فقال للقـاضيينِ: اختارا رَجُـلاً أرسلُهُ في أموري، فقالا: فلان، فوجَّهَـه الملك، فقال الـرَّجل للقـاضيينِ: أوصيكُما بامرأتي خيراً، فقالا: نعم، فخرج الرّجل، فكان القاضيانِ يأتيانِ بـاب الرَّجـل الصَّديق، فعشِقا امـرأته، فـراوداها عن نفسِهـا فأبَتْ. فقـالا لها: واللّهِ لئن لم تفعلِي لنشهـدَنَّ عليـكِ عنـد الملك بـالـزّنى ليـرجُمَـكِ، فقـالت: افعـلا مـا أحببتُما، فأتيا الملك، فأخبراهُ وشهِدا عنده أنّها بغَتْ. فدخل الملك من ذلك

---

(١) في شرح قصيدة أبي فراس، التفتت إلى علي ﷺ .
(٢) ما زنت اليتيمة في شرح قصيدة أبي فراس.
(٣) إلاّ أخي دانيال في شرح قصيدة أبي فراس.

أمر عظيم، واشتدَّ بها غمّه، وكان بها معجباً، فقال لهما: إنّ قولكما مقبول، ولكن ارجموها بعد ثلاثة أيّام، ونادى في البلد الّذي هو فيه، احضروا قَتْلَ فلانة العابدة، فإنّها قد بغت، وأنّ القاضيَين قد شهدا عليها بذلك، وأكثرالنّاس القول في ذلكَ. وقال الملك لوزيره: ما عندك في هذا من حيلة؟ فقال: ما عندي في ذلك من شيءٍ، فخرج الوزير يوم الثّالث، فإذا هو بغلمان عراةٍ يلعبون، وفيهم دانيال وهو لا يعرفه. فقال دانيال: يا معشر الصّبيان، تعالوا حَتّى أكونَ أنا الملك، وتكون أنتَ يا فلان العابدة، ويكونَ فلان وفلان القاضيينِ الشّاهدينِ عليها. ثمَّ جمع تراباً وجعلَ سيفاً من قصب، وقال للصّبيان: خذوا بيد هذا فنحُّوه إلى مكان كذا وكذا، وخذوا بيد هذا، فنحّوه إلى مكان كذا وكذا، ثمَّ دعا بأحدهما، فقال له: لقيتُ حذيفة بن اليمان فسألته كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ أكرهُ بم تشهد؟ فقال: يوم كذا وكذا. قال: مع مَنْ؟ قال: فلان بن فلان، قال: وأين؟ قال: موضع كذا فخالَفَ صاحبه، فقال: دانيال: الله أكبر! شَهِدا بزور. يا فلان نادِ في النّاس، إنّما شهدا على فلانٍ بالزّور، فأحضروا قتلهما. فذهب الوزير إلى الملك مبادِراً، فأخبره الخبر. فبعث الملكُ إلى القاضيين، فاختلفا كما اختلف الغلامان. فنادى الملك وأمر بصلبهما[1].

الأرغفة الخمسة:

في شرح قصيدة أبي فراس الحمداني ص ٢٧٣ عن درر المطالب، قال: روي عن أبي عبدالله الصّادق عليه السلام قال: حدَّثني أبي عن جدّي عليه السلام أنّه قعد في زمن عُمَرَ رجلان يتغذيانِ، مع أحدِهما خمسة أرغفة، ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فمرَّ بهما رجلٌ، فدعوه إلى طعامهما، فجلس يأكل معهما. فلمّا قامَ ناولهما ثمانية دراهم، وقال: هذا لكما بدل ما أكلتُ من طعامكما. فقال صاحبُ الخمسةِ لصاحب الثلاثة: لي خمسة، ولك ثلاثة. فقال: لا آخذ إلاّ أربعة لي، ولك أربعة، فأفضى بهما الحالُ إلى أن اختصما إلى عمر، فقالَ

(١) الغدير: للأميني، جـ٦ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ من كتاب (من لا يحضره الفقيه)، جـ٣ ص ١٠ ط ٤ سنة ١٣٧٨ هـ.

عمر لصاحب الخمسة: لكَ خمسة ولصاحب الثلاثة ثلاثة. فقالا: قد حلف كلّ واحد منّا لا يأخذ إلاّ حقّه. فبعث عمر إلى نفرٍ من أصحابه، فلمّا حضروا قالوا مثل مقالته. فلمّا علم القوم أنّهما حالفان ألاّ يأخذ كلّ واحدٌ منهما إلاّ حقَّهُ أمسكوا عنهما، فبعَثَ عمر إلى أمير المؤمنين ﵇، فلمّا حضر قال عمر: يا أبا الحسن، اقْضِ بينَ هذين الرَّجلين، فقصّا عليه قصّتهما. فقال علي ﵇: اصطلِحا، فأبيا. فقال أمير المؤمنين ﵇: يُعْطَى لصاحب الثلاثة: أرْغفة درهمٌ، ويُعْطَى لصاحبِ الخمسةِ سبعة دراهم، فقالوا: كيفَ يكون ذلك يا أبا الحسن؟ فقال ﵇: إنّه لقضاء تعرفه صبيان الكتّاب إذا تعلّموا الفرائض. فقالوا: بيّن لنا ذلك يا أمير المؤمنين. قال ﵇: أليس كانوا ثلاثة بينهم ثمانية أرغفة؟ فقالوا: نعم، فقال علي ﵇: ضربنا ثمانية أجزاء في ثلاثة أجزاء، ثمّ ضربنا الثلاثة في ثلاثة، فصارت تسعة أجزاء، فوجدنا صاحب الثلاثةِ قد أكل من خبزه ثمانية أجزاء، وأكل الضيفَ جزءاً واحداً، ثم ضربنا الخمسة في ثلاثة، فصار خمسة عشر جزءاً، فوجدنا صاحب الخمسة عشر أكل من خبزه ثمانية أجزاء وأكل الضّيف سبعة أجزاء، فقضى الأمر كذلك. فأقبل عمر على أمير المؤمنين ﵇ وقال: أشهدُ أنَّكَ ربانيّ هذه الأمة.

لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب:

عن حنش بن المعتمر قال: إنّ رجلينِ أتيا امرأةً مِنْ قريش، فاستودعاها مائة دينار، وقالا: لا تدفعيها إلى أحدٍ منّا دون صاحبه حتّى نجتمع. فلبثا حولاً، ثم جاء أحدهما إليها فقال: إنّ صاحبي قد مات فادفعي إليّ الدّنانير، فأبَتْ فثقُلَ عليها بأهلها، فلم يزالوا بها حتّى دفعتها إليه، ثمَّ لبثَتْ حولاً آخر، فجاء الآخر فقال: ادفعي إليّ الدّنانير. فقالت: إنَّ صاحبك جاءني، وزعم أنَّكَ قد مُتَّ، فدفعتها إليه. فاختصما إلى عمر، فأراد أن يقضيَ عليها، وقال لها: ما أراكِ إلاَّ ضامِنَةً. فقالت: أنشِدُكَ أن يقضيَ بيننا، وارفعنا إلى عليٍ بن أبي طالب. فرفعها إلى علي، وعرف أنّهما قد مكرا بها، فقال: أليس قلتُما:

لا تدفعِيها إلى واحدٍ منّا دون صاحبه؟ قال: بلى. قال: فإنّ مالَكَ عندنا. اذهَبْ فَجِيءْ بصاحِبِكَ حَتّى ندفعه إليكما. فبلغ ذلك عُمَر، فقال: لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب[1].

أبا حسن، لا أبقاني الله لشدَّةٍ لسْتَ لها:

عن ابن عبّاس قال: وردَتْ على عمر بن الخطّاب وارِدَةٌ قامَ منها وقعد، وتغيَّر وتربَّد، وجمع لها أصحاب النّبي ﷺ فعرضها عليهم، وقال: أشيروا عَلَيَّ. فقالوا جميعاً: يا أمير المؤمنين، أنت المفزع، وأنت المنزع. فغضِبَ عمر وقال: اتّقوا اللَّهَ وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم. فقالوا: يا أمير المؤمنين ما عندنا ممّا تسأل عنه شيء. فقال: أمَا واللّهِ إني لأعرفُ أبا بجدَتِها وابن بجدَتِها وأين مفزعها وأين منزعها؟ فقالوا: كأنَّكَ تعني ابن أبي طالب؟ فقال عمر: لِلَّهِ هوا! وَهَلْ طَفحت حُرَّةٌ بمثله وأبرعَتْهُ؟ انهضوا بنا إليه، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين أتصير إليه؟ يأتيكَ. فقال: هيهاتِ هناكَ شجنَةٌ من بني هاشم، وشجنة من الرّسول، وأثرةٌ من عمل يؤتى لها ولا يأتي، في بيته يؤتى الحكم. فأعَطفُوا نحوه فألفوه في حائط وهو يقرأ: ﴿أيحسب الإنسان أن يُتْرَكَ سدى﴾ ويردّدها ويبكي. فقال عمر لشريح: حدِّثْ أبا حسن بالّذي حدَّثتنا به. فقال شريح: كنتُ في مجلس الحكم، فأتى هذا الرَّجل، فذكر أنّ رجلاً أودعه امرأتين: حرَّةً مهيرة[2] وأم ولد، فقال له: انفِقْ عليهما حَتّى أقدم. فلَمّا كانَ في هذه اللّيلة وضعَتَا جميعاً إحداهما ابناً والأخرى بنتاً، وكلتاهما تدَّعي الابن، وتنتفي من البنت من أجل الميراث. فقال له: بِمَ قضيْتَ بينَهما؟ فقال

---

(١) الغدير، جـ٦ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ للعلاّمة الأميني النجفي، وكتاب (من لا يحضره الفقيه)، جـ٣ ص ١٠ ط ٤ سنة ١٣٧٨ هـ، وروى ذلك كتاب الأذكياء: لابن الجوزي، ص ١٨، وأخبار الظراف: لابن الجوزي، ص ١٩ والرّياض النّضِرة، جـ٢ ص ١٩٧ وذخائر العقبى، ص ٨٠ وتذكرة سبط ابن الجوزي، ص ٨٧ ومناقب الخوارزمي، ص ٦٠.

(٢) المهيرة من النساء: الحرة الغالية المهر، جمعها: مهائر.



شريح: لو كانَ عنـدي ما أقضِي بـه بينَهما لم آتِكُمْ بهمـا! فأخـذ عليٌّ تبنَةً مِنَ الأرض فرفعَها، فقال: إنّ القضاء في هذا أيسرُ من هذه. ثمَّ دعا بقـدح، فقال لإحـدى المـرأتين: احلبي، فحلبَتْ، فـوزنَـهُ، ثمَّ قـال لـلأخـرى: احلبي. فحلبَتْ، فـوزنه فـوجده على النّصفِ مِنْ لبن الأولى. فقـال لهـا: خـذي أنتِ ابنتَكِ، وقال للأخرى: خذي أنتِ ابنَكِ. ثمَّ قـال لشريـح: أما علمتَ أنّ لبن الجـارية على النصفِ من لبن الغـلام؟ وأنَّ ميراثهـا نِصْف ميراثـه؟ وأنّ عقلها نِصْفُ عقلِهِ؟ وأن شهـادتها نصف شهـادته؟ وأنَّ ديّتهـا نصف ديَّتِـهِ؟ وهي على النّصف في كلّ شيءٍ. فأعْجِبَ بـه عمر إعجـاباً شـديداً ثم قـال: أبا حَسَنٍ لا أبقاني الله لشدَّةٍ لستَ لها ولا في بلد لستَ فيه[1].

قضاؤه في أربعة وقعوا في زبية الأسد:

تذكرة خواص الأئمة ص ٢٧ قال أحمد في المسند: حدَّثَنـا أبو سعيـد، عن إسـرائيل، عن سمـاك بن حنش، عن علي بن أبي طـالب عليه السلام . قـال: بعثني رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، فانتهيْنـا إلى قوم حفـروا زبيـةً لـلأسـد، فبيناهم يتدافعـون إذ سقط رَجُلٌ منهم في الـزّبيةَ فتعلّق بـآخر، ثمَّ تعلَّقَ آخـر بآخر حتّى صاروا فيه أربعـة، وكانَ فيهـا أسدٌ فجـرح الكلّ، فـابتدر إليـه رجلٌ بحربته فقتله، ومات الأربعة من جـراحته. فقـام أولياء الأوَّل إلى أوليـاء الثّاني بـالسّلاح ليقتتِلُوا مـع أولياء الثّـاني. فقال عَلِيٌّ: عَلَيَّ بـأوليـاء الأوّل فجـاؤوا، فقال: أتريدون أن تقتَتِلوا ورسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهركم ؟ إني أقضي بينكم بقضـاءٍ، فـإن رضيتـموه وإلاّ فتحاجـزوا حتّى تـذهبـوا إلى رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيقضي بينكم، فقالوا: نعم. فقال: اجمعوا من قبائل حـافر البئـر ربع الـدّيّة، وثلث الدّية، ونصف الدّية، والدّية كاملة. فلأولياء الأوّل الرّبـع لأنّه أهلك من فوقه، ولأولياء الثّاني الثلث، ولأوليـاء الثّالث النّصف، ولأوليـاء الرّابـع الدّيـة

(١) المصـدر كنز العمـال، جـ٣ ص ١٧٩، مصباح الـظلام: للجرداني، جـ٢ ص ٥٦، والغدير، جـ٦ ص ١٧٢ ـ ١٧٣ للأميني النّجفي.

كاملةً، فلم يرضوا بذلكَ، وأتوا رسولَ اللّهِ ﷺ، وأخبروه بالقصّة. وقال: سأقضي بينكم، فقال رجلٌ منهم: يا رسول الله إنّ علي بن أبي طالب قضى بكذا وكذا، فأجاز قضاء علي عليه السلام.

ومن قضائه الرَّبّاني ما ذكره المجلسي في البحار جـ ٩ ص ٤٨٦ من إرشاد المفيد ـ رَحِمَهُ الله ـ وهذا نصّه من الإرشاد. قال:

رُوِيَ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل ذات يوم مسجد الكوفة، فوجَدَ شاباً حدثاً يبكي، وحوله قومٌ، فسأل أمير المؤمنين عنه، فقال: إنَّ شريحاً قضى عَلَيَّ قضيَّةً لم ينصفني فيها. فقال: وما شأنُكَ؟ قال: إنّ هؤلاءِ النَّفر ـ وأومأ إلى نفر حضور ـ أخْرَجوا أبي معهم في سفر، فرجعوا ولم يرجع أبي، فسألتُهُمْ عنه، فقالوا: مات، فسألتُهم عن مالِهِ الّذي استصحَبَه، فقالوا: ما نعرف له مالاً، فاستحلَفَهُمْ شريح، وتقدّم إليَّ بترك التّعرض لهم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: اجمَعِ القومَ، وادْعُ لي شرطة الخميس، ثم جلس، ودعا النفر، وَالحَدَث معهم، ثمّ سأله عمّا قال: فأعاد الدَّعوى وجعل يبكي وَيقول: أنا واللّهِ أتهمُهُمْ على أبي يا أمير المؤمنين، فإنّهم احتالوا عليه حتّى أخرجوه معهم، وطمعوا في ماله. فسأل أمير المؤمنين عليه السلام القوم، فقالوا له كما قالوا لشريح: مات الرَّجل، ولا نعرفُ له مالاً، فنظر في وجوههم، ثم قال لهم: ماذا تظنّون؟ أتظنّون أنّي لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى؟ إنّي إذاً لقليل العلم، ثمَّ أمرَ بهم أن يفرَّقوا، ففُرِقوا في المسجد، وأُقيمَ كلّ رجلٍ منهم إلى جانب أسطوانةٍ من أساطين المسجد، ثم دعا عبيدالله بن أبي رافع كاتبه يومئذٍ، فقال له: اجلس، ثمَّ دعا واحِداً منهم، فقال له: أخبرني ولا ترفع صوتَكَ في أيّ يومٍ خرجتم من منازِلكم، وأبو هذا الغلام معكم؟ فقال: في يوم كذا وكذا. فقال لعبيدالله: اكتُبْ، ثم قال له: في أي شهرٍ كان؟ قال: في شهر كذا. قال: اكتُبْ، ثم قال له: في أي شهرٍ كان؟ قال في شهر كذا. قال: اكتُبْ، ثم قال: في أيّ سنة؟ قال؛ في سنة كذا. فكتب عبدالله ذلك كلّه. قال: فبأيّ مرضٍ مات؟ قال: بمرضِ كذا. قال: في أيّ منزلٍ مات؟ قال: في موضع كذا. قال: من غسَّلَهُ وكفَّنه؟ قال: فلان. قال: فمن أدخله

القبر؟ قال: فلان، وعبيدُالله بن أبي رافـع يكتبُ ذلكَ كلّه. فلمّـا انتهى إقراره إلى دفنه كبَّر أمير المؤمنين تكبيرَةً سمعها أهل المسجد. ثم أمر بـالرَّجـل، فرُدَّ إلى مكانه، ودعا بالآخر من القوم، فأجلسه بـالقرب منـه، ثمَّ سألـه عمّا سـأل الأوَّل عنـه، فأجـاب بما خـالف الأوّل في الكلام كلّه. وعبيـدالله بن أبي رافع يكتب ذلـك. فلمّا فـرغ من سؤاله كبَّـر تكبيرة سمعهـا أهل المسجـد. ثم أمـر بالرَّجلين جميعاً أن يخرجا من المسجد نحو السّجن فيوقف بهما على بابه، ثمّ دعا بالثّالِث، فسأله عمَّا سـأل الرّجلين، فحكى خـلاف ما قـالاه، وأثبت ذلك عنه، ثمَّ كبَّر وأمر بإخراجه نحـو صاحبـه، ودعا بـرابع القـوم فاضـطرب قولـه وتلجلَجَ، فوعَظَه وخـوَّفه، فـاعترف أنّـه وأصحابـه قتلوا الرَّجـل وأخذوا مـاله، وأنَّهم دفنوهُ في موضع كذا وكذا بالقرب من الكوفة، فكبَّر أمير المؤمنين عليه السلام وأمر به إلى السّجن، واستدعى واحداً من القوم، وقال لـه: زعمتَ أن الرَّجـل مات حتف أنفه وقد قتلتَهُ، أصدِقْني عن حالِكَ، وإلاَّ نكَّلْتُ بك فقد وضح لي الحقّ في قصَّتِكُمْ، فاعترف من قتل الرَّجـل، بما اعتـرفَ به صـاحبه، ثمَّ دعـا الباقين، فاعترفوا عنده بالقتـل وسقطوا في أيـديهم، واتفقَتْ كلمتهم على قتلِ الـرّجــل وأخْـذِ مالِـهِ، فأمـر من مَضَى معهم إلى موضـع المال الَّـذِي دفنـوه، فاستخرجوه منه، وسلَّمه إلى الغلام ابن الرّجل المقتول، ثمّ قال له: ما الَّـذِي تريد وقد عرفتُ ما صنع القوم بأبيك. قال: أريد أن يكون القضاء بيني وبينَهُمْ بين يـدي الله عزّ وجَـلّ، وقد عفـوتُ عن دمائهم في الـدُّنيا. فـدرأ عنهم أميـر المؤمنين عليه السلام حدّ القتل، وأنهكهم عقوبة(١).

روى الكنجي في مناقِبه عن سعيد بن المسيَّب عن حذيفَةَ بن اليماني أنَّه لقي عمر بن الخطّاب، فقال له عمر: كيف أصبحت يابن اليمان؟ فقال: كيف تريدني أصبح؟ أصبحتُ واللَّهِ أكرَهُ الحقّ، وأحبُّ الفتنة، وأشهدُ بمـا لم أره،

(١) أخرجها المجلسي في البحار، جـ ٩ ص ٤٨٦ من الإرشاد والمناقب، جـ ١ ص ٥٠٦ وفي ألفاظ ابن شهراشـوب اختلاف وزيـادة عما في الإرشـاد، ومن الزيـادة أنه عليه السلام قال: إن أحكم بحكم داود عليه السلام وذكرها.

وأحفظ غيـر المخلوق، وأُصلّي على غير وضـوء، ولي في الأرض مـا ليس لله في السَّماء فغضب عُمَرُ من قـوله، وانصـرَفَ من فوره، وقـد أعجله أَمْرٌ وعـزمَ على أذى حذيفة لقـوله ذلـك. فبينا هـو في الطَّريق إذ مـرَّ بعلي بن أبي طالب عليه السلام ، فرأى الغضب في وجهه ، فقال : ما أغضَبَـك يا عمـر؟ فقالَ : لقيت حذيفة بن اليمـان فسألتـه كيف أصبحت؟ فقال أصبحت أكـره الحقّ ، فقال : صدق . يكره الموت وهو حقّ ، فقـالَ : يقول : يقول : أحبّ الفتنـة قال : صـدق . يحبُّ المالوالولـد، وقد قال الله تعالىٰ : ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ .

فقـال: يا عليُّ، يقـول: وأشهَدُ بمـا لم أرَهُ، فقال: صـدق، يشهَـدُ لِلَّهِ بالوحدانيّة والموت والبعث والقيامـة والجنّة والنّـار والصّراط ولم يـرَ ذلك كلّه، فقـال: يـا عليّ وقـد قـال: إنّني أحفظ غيـر المخلوق، قـال: صـدق. يحفظ كتـاب الله وهو غيـر مخلوق، قال: ويقـول: وَأُصلّي على غير وضـوء. فقال: صَـدَق، يصلّي على ابن عمّي رسـول الله على غيـر وضـوء، والصَّـلاة عليـه جائزَة، فقال: يا أبا الحسن، قد قال أكبر من ذلك. قال: ومـا قال؟ قـال: إنّ في الأرض ما ليس لِلَّهِ في السَّماء، قال: صَدَقَ، لـه زوجة وولـد، وتعالى الله عن الـزَّوجة والـولد. فقـال عُمَـر: كـاد يهلك ابن الخـطّاب لـولا علي بن أبي طالب[1] .

ومن قضائه الذي يفوق مستوى العقول البشريَّة، ويجعلها تخضع مذعنةً لمعاجزه وكراماته الموهوبة له من الله عزّ وجَلّ.

عن (درر المطالب) عن ابن عبَّاس، قال: في أيَّام عمر بن الخطاب، وفي ليلةٍ من اللَّيالي دخل عمر المسجد، فلمَّا طلع الفجر رأى شخصاً نائِماً في وسط المحراب. فقال لمولاه (أوفى): نَبِّه هذا يُصَلّي. فذهب إليه وحرّكَهُ فلم يتحرَّك، فرأى عليه أزاراً، فظنّه امرأةً، فنادى امرأةً من الأنصار، فلمّا تفقدّتْه

(١) قضـاء أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب عليه السلام للعـلاّمـة المحقق الشيـخ محمـد تقي التسـتـري ، ص ٨٨ ـ ٨٩ ط ٣، المطبعة الحيدريَّة ـ النّجف.

وجدَتْهُ رجلاً في زيّ النّساء مزيّن اللّحيّة، مقطوع الرأس، فأخبرت عمر بذلك، فقال لمولاه (أوْفى): ارفَعْه من المحراب، واطرحْهُ في بعض زوايا المسجد حتّى نصلّي. فلمّا فرغ من الصّلاة قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام : ما ترى في هذا الرّجل؟ قال: جهّزْه وادفنه وسيعلمُ أمره بطفلٍ تجدونَهُ في المحراب، قال: من أين تقول ذلك؟ قال: أخي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني بذلك. فلمّا مَضَى مِنَ القضِيَّة تسعة أشهر أتى عمر يوماً المسجد لصلاة الصُّبح سمِعَ بكاء الطّفل في المحراب. قال: صدق الله ورسوله وابن عمّ رسوله علي بن أبي طالب عليه السلام ، ثمَّ قال لغلامِهِ (أوفى): ارفعْهُ عن المحراب حتّى نصلّي. فلمّا فرغ من الصَّلاة أتى (أوفى) بالطّفل ووضعَهُ بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام . فقال أمير المؤمنين لأوفى : اطلُبْ له مرضعة، فذهب يدور في المدينة، إذ أقبلتِ امرأةٌ من الأنصار، وقالت: إنّ ولدي مات ومعي درّ كثير، فأتــى بها إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأعطاها الطّفل وقال لها: احفظيه، وعيَّنَ لها من بيت المالِ مبلغاً، وكانت ولادة الطّفل في شهر المحرَّم. فلمّا كان العيد استكمل للطّفل تسعة أشهر، قال أمير المؤمنين عليه السلام لأوفى: اذهَبْ إلى المرضعة فأتني بها. فقال لها أمير المؤمنين: ائتِني بالطّفل غداً، ودفع إليها ثوباً وقال: البسيه واذهبي به إلى المصلّى، وانظري أيّ امرأةٍ تأتيكِ وتأخذه وتقبّله وتقول: يا مظلوم يابن المظلومة، يابن الظّالِم فأتيني بها. فلمًا أصبحَتْ فعلَتْ ما أمرها أمير المؤمنين عليه السلام ، فإذا امرأة تنادِيها يا حرمةُ قفِي بحقّ دين محمَّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم . فلمَّا دنَتْ منها رفعتِ الخمار عن وجهها ـ وكانت جميلة لا نظير لها في الحسن ـ وأخذتِ الطّفل وقبّلَتْهُ وقالت: يا مظلوم، يابن المظلومة، يابن الظّالِم، ما أشبَهَكَ بولدي الّذِي مات، وهي تبكي، ثمَّ ردّتْه إلى المرضعة وأرادَتْ أن تنصَرِفَ، فتشبثت المرضعة بها، فضجَّت المرأة وقالَتْ: خلّي سبيلي. قالت المرضعة: اذهَبي معي إلى أمير المؤمنين عليه السلام . اضطربت المرأة اضطراباً شديداً، وقالت: اتّقِي اللّهَ تعالى، وارفعي يدكِ عنّي، فإنَّكِ إن أتيتِ بي إلى أمير المؤمنين فضَحنِي بين الملأ، وأنا أكون خصمك يوم القيامَةِ، قالَتِ المرضعة: ما يمكنُني أن أفارقك حتّى آتي بك إلى أمير المؤمنين عليه السلام . قالت: إذا أتيتِ

بي إلى أمير المؤمنين عليه السلام لا يعطيكِ عطاء، بل اذهبي معي حَتّى أُعطيكِ هديَّةً تفرحينَ بها، وهي بردتان يمانيتانِ وحلّة صنعانية وثلاثمائة درهماً هجريَّة، وكوني كأنّكِ ما رأيتني، واكتُمي. وإذا أقبل عيد الأضحى يشهد الله تعالى على أن أعطيكِ مثلها إذا رأيتُ الطّفل سالِماً، فمضَتْ المرضعة معها وأخذَتْ جميع ما ذكرَتْ لها، ومضت. فلمّا رجع النّاسُ من المصلّى أحضرها أمير المؤمنين عليه السلام وقال لها: يا عدوَّةَ الله تعالى ،ما صنَعْتِ بوصيَّتي؟ قالت:يابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طفْتُ بالطفل جميع المصلّى فما وجدتُ أحداً أخذهُ منّي. فقال لها أميرُ المؤمنين عليه السلام : كذبْتِ وحتّى صاحب هذا القبر، أتتْكِ امرأة وأخذَتْ منكِ الطّفل وَقبَّلَتْهُ، وبكَتْ، ثمَّ ردَّته إليكِ، وأنتِ تَشَبَّثْتِ بها، فأعطَتْكِ الرَّشوة، ثمَّ وعدَتْكِ بمثلها. فارتعدت فرائص المرضعة، فقالَتْ في نفسِها: إن لم أخبره أهلكني، ثمَّ تعجَّبَتْ، وقالت: يابن عمّ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، أتعلمُ الغيبَ؟ قال: معاذَ اللّهِ! لا يعلمَ الغيبَ إلاّ الله تعالى. هذا عِلْمٌ علّمنيهِ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقالت: يا أمير المؤمنين: الصّدق أحسن الكلام، كذلكَ كانَ، وإنّي بين يديكَ، مُرْني مهما تأمرني، وإن أردْتَ مضيتُ إلى منزل المرأة وأتيتُكَ بها. فقال أمير المؤمنين عليه السلام : وهي لمّا أعطَتْكِ المالَ وَالتُّحف انتقلَتْ من ذلك المنزل إلى غيره الآن عفا الله تعالى عنها ما صنعَتْ، فاحفظي الطفل، وإذا رأيتها في عيد الأضحى فآتيني بها، قالت: سمعاً وطاعةً يابن عمّ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم: فلمّا أقبل عيد الأضحى فعلَتْ مثل صنعتها الأولى، فأتتها تلك المرأة وقالت: تعالي حتّى أفيكِ ما وعدْتُكِ. فقالت المرضعة: لا حاجة لي بعطائِكِ. والآن لا يمكنني أن أفارقَكِ حتى أحضرَكِ بين يدي ابن عمّ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمَّ لزمَتْ بطرفِ أزارها. فلمّا رأت المرأة ذلكَ منها حوَّلَتْ وجهها نحو السّماء وقالت: يا غياث المستغيثين، ويا جار المستجيرين. ومضت مع المرضعة إلى مسجد رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم. فلمّا رآها أمير المؤمنين عليه السلام قال: يا أَمَةَ الله، أيّما تحبيّن، تحدّثيني أم أُحدّثكِ بالقصّةِ من أوّلها إلى آخرها؟ وقد أخبرني بذلك حبيبي رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقالت: أنا أُخبركَ بقصَّتِي من أوّلها إلى آخرها، تعطيني الأمانَ منكَ، وتؤمنني من عقوبة الله تعالى؟ قالَ أمير المؤمنين عليه السلام : كذلكَ

أفعل. قالت المرأة: أنا ابنة مِنْ بناتِ الأنصار، قُتِلَ أبي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسمُهُ عامر بن سعد الخزرجي، وأمّي ماتَتْ في خلافة أبي بكر، وَبَقِيْتُ فريدةً وحيدةً ليس أحدٌ يتعاهدني، وكنّ في جواري نساء المهاجرين. أقعدُ معهُنَّ، وأغزل بالغزل، وكانت معهن لي مؤانَسةٌ، فبينَما أنا ذات يوم جالسة مع نساء المهاجرين والأنصار، إذ أقبلَتْ عجوز علينا وفي يدها سُبْحَتِها، وهي تتوكّأ على عصاة، فسلَّمَتْ فرددْنا عليها السَّلام، ثمَّ سألت اسم كلّ واحدةٍ منا، ثمّ أَتَتْ إليَّ، وقالت: يا صبيَّة، ما اسمُكِ؟ قلت: جميلة، قالت: بِنْتُ مَنْ؟ قلتُ: بنت عامر الأنصاري. قالت: أَلَكِ أبٌ أو بَعْلٌ؟ قلتُ: لا. قالت: كيفَ تكونينَ على هذه الحالة وأنْتِ صبيَّة جميلة؟ وأظهرَتِ الشَّفقةَ والتَّحنُّنَ عليَّ، ثمَّ بَكَتْ وقالت: هل تريدينَ امرأةً تكون معَكِ وتؤنِسُكِ، وتقومُ لكِ بما تحتاجينَهُ؟ فقلتُ لها: وأين تلكَ المرأة؟ قالَتْ: أنا أكون بمنزلة الوالدة الشَّفِيقة، قلتُ لها: من رغبتي، البيتُ بيتُكِ، وكان لي بذلك فَرَحٌ عظيم، ثم دخلَتْ معي الحجرة، ثم طلبَتْ ماءً وتوضّأت، فلمّا فرغَتْ قلتُ لها: الحمد لله الَّذِي يَسَّر لي ورحم ضعفي، فقدَّمتُ لها خبزاً ولبَناً وتمراً، فنظرتْ إليه وبكَتْ. فقلتُ: مِمّ بكاؤُكِ؟ قالت: يا بنيَّةُ، ليس هذا طعامي. قلتُ: وأيّ طعامٍ معهودُكِ؟ فقالت: قرْصٌ من شعير معه قليلٌ من الملح، فقدَّمَتْهُ، فبكت، وقالت: يا بنيَّةُ، ما هذا وَقْتُ أكلي؟ ولكن إذا خلصْتُ من صلاة العشاءِ أحضري لي الطَّعام حتّى أفطر. فقامت إلى الصَّلاة فلمَّا فرغَتْ من صلاة العشاء قدَّمتُ إليها قرص شعيرٍ وملحاً، فقالَتْ: احضري لي قليلاً من الرَّماد، فأحضرتُ لها، فمزجت الملح بالرَّماد، وتناولت قرص الشعير، فأكلت منه ثلاث لقماتٍ مع الملح والرَّماد، ثم قامَتْ وشرعت في الصَّلاة، فما زالت تصلّي إلى أن طلع الفجر، ودعت بدعاء لم أسمع أحسن منه، ثمَّ إنّي قمتُ وقبْلْتُ ما بين عينيها وقلتُ: بخٍ بخٍ لمن تكونين عندها دائمةً، فأسألك بحقّ محمّد نبيِّ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تدعي لي بالمغفرة، فلا شَكَّ أنَّ دعاءَكِ لا يُرَدّ، ثم قالت: أنْتِ صبيّة جميلة، وأنا خائفةٌ عليكِ من الوحدة، ولا بُدَّ لي من الخروج إلى الحاجة، ولا بُدَّ أن تكون لَكِ أنيسة تؤنِسُكِ، فقلت لها: أنّى يكون لي ما تقولينَ؟ قالت: إنّ لي ابنةً هي أصغر سِنّاً منك، عاقِلَةً موقرة

متعبّدةٍ آتيكِ بها كي تؤنِسَكِ، فقلتُ: افعلي، وخرجَتْ ومضَتْ زمانـاً، ثم رجعَتْ وحدها. فقلتُ لها: أين أختي التي وعدتني بها؟ قالت: إنَّ ابنتي وحشيَّة من النّاس أنسُها مع ربِّها، وأنتِ صبيّة مزوحيّة ضحوكة، ونساءَ المهاجرين والأنصار يتردَّدْن إليكِ، وأنا أخافُ إذا جاءتْ إليكِ يحضرن ويكثرن الحديث، وتشتغِل عن العبادة فتفارقُكِ وتروح عنكِ، وأنـا يا أمير المؤمنين، حلفـت لها يميناً ما دامَتْ ابنتُكِ عندي لن أدخلهُنَّ عليَّ. قالت العجوز: الشَّرط يكون كذلك، ثمّ خرجت وعادَتْ بعد ساعةٍ، ومعها امرأة بتمام القامة، متغطّية بالإزار، لا يبينُ منها غير عينيها. فلمّا وصلتِ العجوز إلى بابِ الحجرة وقفت. فقلتُ لها: ما بالُكِ لا تدخلينَ؟ قالت: من شدَّة الفرح حيث بلَّغتكِ مرادَكِ، وإنّي تركتُ باب حجرتي مفتوحاً أخافُ أن يدخلها أحد، بل أنتِ اغلُقِي بابُ حجرتكِ، ولا تفتحيها لأحد حـتى أرجعَ إليكِ، فغلقْتُ الباب، ثم توجَّهَتُ إلى تلكَ المرأة أُكلّمها فلم تجبني، فألحَحْتُ عليها لترفع أزارها لم تفعل حتّى أخذْتُ الأزار عن رأسها، فوجدتُها رَجُلاً مزيَّنَ اللّحية مخضوب اليدين والرّجلين لابساً ملابس النّساء، متشبّهاً بهن، فلمّا رأيتُ ذلكَ بُهِتُّ وغُشِيَ عليّ، فلمَّا أفقْتُ قلتُ له: ما حملكَ على هذا؟ فضحتَني وفضحْتَ نفسَكَ. قم فاخرج من حيث أتيتَ بسترِكَ، ولو علم عمر بن الخطّاب لعذَّبَكَ، وقمتُ عنه، فلزِمَني، وأنا خفتُ، إن صحتُ فُضِحْتُ، وعلم ذلكَ جيراني، ثم تعانقني وصرعني، وما كنتُ تحته إلاّ كالفرخ بين يدي النسر، وفضَّني وهتكَ ستري، فلمَّا أرادَ أن يباعدني لم يقدر من شدّة السّكر، فخرَّ على وجهه مغشِيّاً فلم أرَ فيه حركةً، فنظرتُ في وسطه سكّيناً فجذبتُهُ وقطعت رأسَهُ، ثمَّ رفعتُ طرفي إلى السّماء وقلتُ: إلَهي وسَيّدي تعلمُ أنَّه ظلَمني، وفضحني وهتك ستري، وأنا توكّلْتُ عليكَ يا مَنْ إذا توكّل العبد عليه كفاه، ويا جميلَ السّتر، فلمّا دخل الليـل حملته على ظهري، وأتيتُ به إلى مسجد رسولِ الله ﷺ. فلمّا حان وقتُ الحيض ما رأيتُ شيئاً ممّا ترى النّساء، فاغتَمَمْتُ وأردتُ أن أطرحَهُ كيلا أفتضِحَ. ثم قلتُ في نفسي: أتركه، فإذا خرج قتلتُهُ، وأخفيتُ أمري حتى ولد، وما اطّلَعَ عليه أحد، فقلتُ في نفسي: هذا طفلٌ، وأيّ ذنبٍ له حتّى أقتُلَهُ؟

فلففتُهُ ووضعتُهُ في المحراب، وهذا حالي يابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال عمر: أشهَدُ أني سمعتُ من رسول الله يقول: «أنا مدينةُ العلم وعلي بابُها»، وسمعتُهُ يقول: «أخي علي ينطقُ بلسان الحق». الآن احكُمْ أنتَ يا أمير المؤمنين هذا الحكمَ، فإنّه لا يحكمُ فيه سواك. قال أمير المؤمنين: دِيَّةُ ذلك المقتول ليست على أحد، لأنّه ارتكب الحرام، وهتكَ الحرمة، وباشر بجهله أمراً عظيماً، ولا على هذه المرأة شيءٌ من الحدّ، لأنّ الرَّجل دخل عليها من غير عِلمها، ثم قال أمير المؤمنين: على كلّ حالٍ ينبغي أن تحضري العجوز حتّى آخذ حَقّ الله تعالى منها وأقيم حدّه عليها، فلا تقصّري كي يظهر صدق كلامك، قالت المرأة: أنا ما أقصّر في طلبها، لكِنْ أمهِلْني ثلاثة أيّام. قال عليه السلام : أمهلتُكِ، وأمر المرضعة أن تردُّ الولد إليها. وقال عليه السلام : سَمّيهِ مظلوماً. وَيْلٌ لأبيه من الله تعالى يوم تُجْزَى كلُّ نفسٍ بما عمِلَتْ، ثمّ انصرفَتْ إلى بيتها، ودعت ربَّها بأن يظفِرها بالعجوز، ثم أنّها خرجَتْ من بيتها وهي متوكّلة على الله تعالى، وإذا بالعجوز في طريقها فأخذَتْها وأتَتْ بها إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فـلـمّـا رآهـا أمير المؤمنين عليه السلام قال لها: يا عدوّة الله، أما أعلمتِ أنّي أنا علي بن أبي طالب علمي من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . أصدقيني عن قصة هذا الرَّجل الذي أتيت به إلى بيت هذه المرأة. فقالت العجوز: لا أعرفُ هذه المرأة ولا رأيتها قطّ، ولا أعرفُ الرَّجل، ولا أستحلّ هذه الأمور. فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام : تحلفينَ على ما قُلْتِ؟ قالَتْ: نعم، فقال عليه السلام : اذهبي وَضَعِي يدَكِ على قبر رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم واحلفي أنَّكِ ما تعرفين هذه المرأة، ولا رأيتها قطُّ. فقامت العجوز فوضَعَتْ يدها على قبر رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، وحلفَتْ، فاسوَدَّ وجهُها وهي لا تشعر. فأمر أمير المؤمنين عليه السلام أن يأتوا بمرآةٍ، وناوَلَها إيَّاها، ثم قال: انظري فيها، فإذا وجهُها كالفحم الأسود، فارتفعَتِ الأصوات بالصَّلاة علي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، والعجوز تنظر وتبكي وتقول: يابن عمّ رسولِ الله تبتُ ورجعتُ إلى الله تعالى. فقال أمير المؤمنين عليه السلام : اللهمّ أنتَ العالِم بما في الضَّمائرِ إن كانت صادقةً في كلامها أنّها تابَتْ أرْجِعها إلى حالِها، فلم يرفع عنها السَّواد، فعلم أميرُ المؤمنين عليه السلام أنّها لم تَتُبْ. فقال عليه السلام : يا ملعونة

كيف كانت توبتُكِ؟ لا غفر الله لَكِ. ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام لعُمَرَ: مُرْ أصحابَكَ أن يخرجوها إلى خارج المدينة ويرجموها، لأنّها كانَتْ سَبَبَ قتل الرَّجل وهَتْكِ حرمةِ المرأةِ واستقرار النُّطْفَةِ من الحرام. فأمر عمر بذلك. فلمَّا كانت الخلافة إلى أمير المؤمنين كان ذلك الغلام قد كمل من العمر، ثم قتل بصفّين بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام [1].

مراجعَةُ عمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام في الشّاب المقدسي .

في البحار جـ ٩ ص ٤٨٨ عن كتاب (الرَّوضة) قال: رُوِيَ عن فضائلِهِ عليه السلام في حديث (المقدسي) ما يغني سامعه عما سواهُ، وهو ما حُكِيَ لنا أنّه كان رجلٌ من أهل البيتِ المقدَّس، وَرَدَ إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو حسن الثياب حسن الصُّورة، فزارَ حجرة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقصد المسجد، ولم يزل ملازِماً له، مشتغِلاً بالعبادةِ صائم النّهار قائم اللّيل في زمان خلافة عمر بن الخطّاب، حتّى كان أعبد الخلق. وكان عمر يأتي إليه، ويسأله أن يكلّفه حاجَةً، فيقول لَهُ المقدسي: الحاجة إلى الله تعالى، ولم يزل على ذلك إلى أن عزم النّاس على الحجّ. فجاء المقدسي إلى عمر بن الخطّاب وقال: يا أبا حفص، قد عزمتُ على الحجّ، ومعي وديعة أحبُّ أن تستودِعَهَا منّي إلى حين عودتي من الحجّ. فقال عمر: هات الوديعة، فأحضر الشّاب حقّاً مِنَ عاج، عليه قفل من حديد مختوم بخاتم الشّاب، فتسلّمه منه، وخَرَجَ الشّاب مع الوفد، فخرج عمر إلى مقدّم الوفد، وقال: استوصِ به خيراً. وكان في الوفد امرأة من الأنصار، فما زالت تلاحظ المقدسي وتنزل بقربه حيثُ نزلَ. فلمّا

(١) ذكر الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والخلفاء) أن هذه القضية المؤلفة العجيبة ذكرها جمع من علماء السنة والإمامية رضوان الله عليهم، منهم الشّاه محمّد خواندشاه الشافعي في كتابه (روضة الصّفاء) ومنهم مؤلف (درر المطالب) وقد نقل عنه شارح القصيدة قصيدة أبي فراس المسمّاة بالشافية، ومنهم ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ومنهم العلاّمة التستُري في كتابه، ص١٨٣ - ١٨٦، ومنهم العلاّمة المحلاّتي في كتابه، ص ٥١ على نحو الاختصار، وقال: أخرجت القضيّة مفصّلاً في كتابي (كشف الغرور)، ومنهم السّيد محمد الموسوي مترجم كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن العاملي في الترجمة، ص ٧٩.

كان في بعض الأيام دنَتْ منه، وقالَتْ: يـا شاب إنّي أرقّ لهـذا الجسم النّاعم المترف كيف يلبس الصّوف، فقال لها: يـا هذه، جسمٌ يـأكله الدّود، ومصيـره التّراب هـذا لـه كثيـر. فقـالَتْ: إنّي أغـار على هـذا الـوجـه المضيء تشعّـه الشّمس، فقـال لها: يـا هذه اتّقِي الله وكفى، فقـد شغلنِي كلامُـكِ عن عبـادة رَبّي. فقالت له: إليك حاجة، فإن قضيتهـا فلا كـلام، وإن لـم تقضها فمـا أنا بتـاركِكَ حتّى تقضيهـا لي. فقال لهـا: وما حـاجتُـكِ؟ قـالـت : حـاجتي أن تواقعني، فزجرها وخوّفها من الله تعالى، فلم يردعها ذلك، فقـالت: واللّهِ لئن لم تفعل ما آمرُكَ لأرمينَّكَ بداهيةٍ من دواهي النّساء ومكرهن لا تنجو منها. فلم يلتفِتْ إليهـا، ولم يعبأ بهـا. فلمّا كـان في بعض اللّيـالي وقـد سهـر أكثـر ليله بالعبادة، فرقد في آخر اللّيل، وغلبَ عليه النّوم، فأتَتْه وتحت رأسه مزادة فيهـا زاده ، فـانتزعتهـا مِنْ تحت رأسه ، وطـرحَتْ فيها كيسـاً فيه خمسمـائة دينـار، ثم أعـادتِ المزادة تحت رأسـه. فلمّا ثـوَّر الوفـد قامت الملعـونة من نـومِها ، وَقالت: يا لِلّهِ يا للوفد، يـا وفد أنـا امرأة مسكينـة، وقد سُـرِقَتْ نفقتي ومالي، وأنـا بـالله وبكم. فجلس المتقـدّم على الـوفـد، وأمَـرَ رجـلاً من المهـاجـرين والأنصار أن يفتّشوا الوفد، ففتّشوا الوفـد فلم يجدوا شيئـاً، ولم يبقَ في الوفـد إلاّ من فُتّشَ رحله، فَلَمْ يبق إلاّ المقدسي، فأخبروا مقدّم الوفد بذلك. فقـالت المرأة: يا قوم ما ضرَّكم لو فتّشتُمْ رحله؟ فله أُسوة بالمهـاجرين والأنصـار، وما يـدريكم أنَّ ظاهِـرَهُ مليح، وبـاطنه قبيـح، ولم تزل المـرأة حَتَّى حملتْهُم على تفتيش رحله، فقصـد جماعـة من الـوفـد وهـو قـائِمٌ يُصَلّي، فلمّـا رآهم أقبَـلَ عليهم، وقـال لهم: ما حـاجتكم؟ فقالـوا: هذه المـرأة الأنصاريـة ذكرَتْ أنّهـا سُرِقَتْ لها نفقة كانت معهـا، وقد فتّشنـا رجال الـوفد بـأسرهم، ولم يبقَ منهم غيـركَ، ونحن لا نتقدّم إلى رحلِكَ إلاّ بـأذنِـكَ، لمـا سبق من وصيَّـةِ عمـر بن الخطّاب فيما يعودُ إليكَ. فقال: يا قوم، ما يضـرّني ذلك، ففتّشـوا ما أحببتُمْ. (قال ذلك)، وهو واثق من نفسه، فلمّا نَفضوا المزادة التي فيها زاده، وقع منها الهميان. فصاحتِ الملعونة: الله أكبر، هذا والله كيسي ومالي، وهو كـذا وكذا ديناراً، وفيه عقد لؤلؤ، ووزنه كذا وكذا مثقـالاً، فأحضـروه فوجـدُوهُ كما قـالت

الملعونة، فمالوا عليه بالضَّرب الوجيع والسَّب والشَّتم، وهو لا يردّ جواباً. فسلسلوه وقادوه راجلاً إلى مكّة. فقال لهم: يا وفد بحقّ هذا البيت إلّا تصدَّقتم عليَّ وتركتموني أقضِي الحجّ، وأُشهِدُ الله تعالى ورسوله عليَّ بأني إذا قضيتُ الحج عدت إليكم، وتركتُ يدي في أيديكم، فأوقَعَ الله تعالى الرَّحمة في قلوبهم له، فأطلقوه، فلمَّا قضى مناسكَهُ وما وجبَ عليه من الفرائض عادَ إلى القوم وقال لهم: أما أنّي قد عدتُ إليكم، فافعلوا بي ما تريدون. فقال بعضهم لبعض: لو أراد المفارقَةَ لما عاد إليكم، فتركوه، ورجع الوفد طالباً مدينة الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم، فأعْوَزَتْ تلكَ المرأة الملعونة الزَّاد في بعض الطَّريق، فوجدَتْ راعِياً فسألَتْهُ الزَّاد، فقال لها: عندي ما تريدين، غير أنّي لا أبيعه، فإن أثرت أن تمكنيني من نفسِك أعطيتك، ففعلت ما طَلَبَ، وأخذَتْ منه زاداً، فلمَّا انحرفَتْ عنه اعترض لها إبليس لعنه الله، فقال لها: أنتِ حامِل، قالَتْ: ممَّنْ؟ قال: من الرَّاعي فصاحَتْ وافضيحتاهُ! فقال: لا تخافي. إذا رجعت إلى الوفد قولي لهم: إنّي سمعتُ قراءة المقدسي، فقربتُ منه، فلمّا غلب عليّ النّوم دنا منّي وواقعني، ولم أتمكَّنْ من الدّفاع عن نفسي بعد القراءة، وقد حملتُ منه، وأنا امرأة من الأنصار، وخلفي جماعة من الأهل، ففعلَتِ الملعونَةُ ما أشار به عليها إبليس لعنَهُ الله، فلم يشكُّوا في قولها لما عاينوا من وجود المال في رحله، فعكفوا على الشَّاب المقدسي وقالوا: يا هذا، ما كفاك السَّرقة حتّى فسقتَ، فأوجعوه شتماً وضرباً، وعادوه إلى السّلسلة وهو لا يردّ جواباً، فلمَّا قربوا من المدينة على ساكِنها أفضل الصَّلاة والسَّلام، خرج عمر بن الخطّاب ومعه جماعة من المسلمين للقاء الوفد، فلمَّا قربوا منه لم يكن له همّة إلّا السُّؤال عن المقدسي. فقالوا: يا أبا حفص، ما أغْفَلَكَ عن المقدسي، فقد سرق وفسق، وقصُّوا عليه القصة، فأمر بإحضاره بين يديه فقال: وَيْلَكَ يا مقدسي! تظهر بخلافِ ما تبطن حتّى فضحك الله تعالى، لأنكّلَنَّ بكَ أشدَّ النّكال، وهو لا يردّ جواباً. فاجتمع الخلق وازدَحَمَ النَّاس لينظروا ماذا يفعل به، وإذا بنورٍ قد سطع، وشعاعٍ قد لمع، فتأمّلوه وإذا به عيبة علم النّبوة علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالَ: ما هذا الرَّهج في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين إنّ الشّاب المقدسي الزَّاهِد قد

سرق وفسق، فقال عليه السلام : واللّهِ ما سرق ولا فسق ولا حجَّ أحد غيره، فلمّا سمع عمر كلامَهُ قامَ قائِماً على قدميه، وأجلسه موضعَهُ، فنظر الشَّاب المقدسي وهو مسلسل، وهو مطرَقٌ إلى الأرض، والمرأة جالِسة، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام : ويلكِ قصّي قصَّتك!! قالت: يا أمير المؤمنين: إنَّ هذا الشَّابَّ قد سرق مالي، وقد شاهد الوفد مالي في مزادتِهِ، وما كفاه ذلك حتّى كانت ليلة من اللَّيالي حيث قربت منه فاستَغرقني بقراءته واستنامني فوثب إليَّ وواقَعَنِي، وما تمكّنْتُ من المدافعة عن نفسِي خوفاً من الفضيحة وقد حملتُ منه. فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام : كذبْتِ يا ملعونَةُ فيما ادَّعَيْتِ عليه. يا أبا حفص، إنّ هذا الشّاب مجبوب ليس معه إحليل، وإحليلُهُ في حُقٍ من عاج. (ثم قال): يا مقدسي أينَ الحُقُّ؟ فرفع رأسه وقال: يا مولايَ من عَلِمَ بذلكَ يعلم أين الحقّ، فالتفتَ إلى عمر وقال له: يا أبا حفص قم فأحْضِرْ وديعةَ الشَّاب، فأرسل عمر فأحضر الحُقَّ بين يدي أمير المؤمنينَ، ففتحوه، وإذا فيه خرْقَةٌ من حرير، وفيها إحليله. فعند ذلكَ قال الإمام عليه السلام : قم يا مقدسي، فقامَ فجرّدوه من ثيابه لينظروه وليتحقّق من اتّهمه بالفسق، فجرّدوه من ثيابه، فإذا هُوَ مجبوب. فعند ذلك ضجّ العالَم، فقال لهم: اسكتوا واسمعوا مني حكومة أخبرني بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قال: يا ملعونة، لقد تجرّأتِ على الله تعالى، ويلكِ أما أتيتِ إليه وقلتِ له كَيْتَ وكيْتَ، فلم يجبكِ إلى ذلك، فقلْتِ له: واللّهِ لأرمينَّكَ بحيلةٍ من حيل النّساء لا تنجو منها. فقالت: يا أمير المؤمنين كانَ ذلكَ. فقال عليه السلام : ثم أنَّكِ استَنْمتِهِ، وتركت الكيسَ في مزادته، أقرّي. فقالت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: اشهَدُوا عليها، ثمَّ قال لها: حَمْلُكِ هذا من الرّاعي الَّذِي طلبْتِ منه الزَّاد، فقالَ لك: لا أبيع الزَّاد، ولكِن مكِنيني من نفسك وخذي حاجَتَكِ، ففعلتِ ذلكَ وأخذْتِ الزَّاد، وهو كذا وكذا. قالت: صدقْتَ يا أمير المؤمنين. قال: فضجَّ العالَمُ، فسكّتُهم علي عليه السلام وقال لها: فلمَّا خرجت عن الرّاعي عرض لكِ شيخ صفته كذا وكذا، وقالَ لك: يا فلانة، إنَّكِ حامِلٌ من الرَّاعي، فصرخْتِ وقلتِ: يا فضيحتاه، فقال: لا بأسَ عليكِ، قولي للوفد: استنامني وواقعني وقد حملتُ مِنْهُ،

فيصدّقونَكِ لما ظهر من سرقتِهِ ففعلتِ ما قال الشّيخ، فقالَتْ: نعم، فقال الإمام علي ﷺ : أتعرفين ذلك الشّيخ؟ قالَتْ: لا، قال: هو إبليس لعنه الله. فتعجَّبَ القومِ من ذلك، فقال عمر: يا أبا الحسن ما تريد أن تفعل بها؟ قال: اصبروا حتّى تضع حملها وتجدوا من يرضعه (ثم) يحفر لها في مقابر اليهود، وتدفن إلى نصفها وترجم بالحجارة، ففعل بها ما قال أمير المؤمنين ﷺ . وأمّا المقدسي فلم يزل ملازماً مسجد رسول اللّهِ ﷺ إلى أن توفّيَ رضي الله عنه. فعند ذلكَ قام عمر بن الخطّاب وهو يقول: «لولا علي لهلك عمر». قالها ثلاثاً، ثم انصرف النّاس، وقد تعجَّبوا من حكومة علي بن أبي طالب ﷺ (1).

مراجعة عمر إلى أمير المؤمنين ﷺ في توريث ولد مال أبيه :

(مناقب ابن شهراشوب) جـ ١ ص ٤٩١ عن كتاب (إثبات النّص) أنّ غلاماً طلب مال أبيه من عمر، وذكر أنّ والده توفّيَ، والولدُ طفل. فصاح عليه عمر وطرده، فخرج يتظلَّمُ منه، فلقِيَهُ علي ﷺ وقال: «ائتوني به إلى الجامع حتّى أكشف أمره فجيءَ به، فسأله عن حاله، فأخبَرَهُ بخبرِهِ، فقال ﷺ : لأحكمَنَّ فيكم بحكومةٍ حكم الله بها من فَوْقِ سبع سمواته، لا يحكم بها إلّا من ارتضاه لعلمه. ثمّ استدعى بعض أصحابه، وقال: هاتِ محفرةً، ثم قال: سيروا بنا إلى قبر والِد الصَّبِي، فساروا. فقال: احفروا هذا القبر وأنبشوه، وَاستخرجوا ضلعاً من أضلاعِهِ، فدفعه إلى الغلام، فقال له: شمَّهُ، فلمّا شمَّه انبعثَ الدَّم من منخريه، فقال ﷺ : إنّه والده، فقال عمر: بانبعاث الدَّم تسلّم إليه المال. فقال: إنّه أحَقُّ بالمال مِنْكَ ومن سائر الخلق أجمعين. ثم أمر الحاضرين بشمّ الضّلع، فشمُّوه، فلم ينبعث الدَّم من واحدٍ منهم، فأمر أن

---

(1) ذكر الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والخلفاء) بأنه لم يعثر على هذه القضية في غير البحار. هذا وقد أخرجها العلاّمة المحلاّتي في كتابه (كشف الغرور) وكتابُهُ (الكلمة التامّة) راجع (علي والخلفاء) لنجم الدّين العسكري، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ـ ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ـ ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

أُعِيدَ إليه ثانيةً، وقال: شُمَّه، فلمَّا شمَّهُ انبعث الدّم انبعاثـاً كثيراً، فقال ﷺ : إنّــه أبـوه .فسلَّم إليه المال، ثم قال: «واللّهِ ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ»[1].

قتله العبد لمولاه لفعله القبيح معه:

(مناقب ابن شهراشـوب) جـ ١ ص ٤٩٥ بسنَدِهِ عن أبي القـاسم الكوفي والقـاضي نعمان في كتـابيهما قـالا: رفع إلى عمـر أنَّ عبداً قتـل مولاه، فـأمر بقتلِهِ، فدعاهُ عليّ ﷺ ، فقال: أَقَتَلْتَ مولاك؟ قال: نعم، قال: فَلِمَ قتلتَـهُ؟ قـال : غلبني على نَفْسِي وأتـاني في ذاتي . فقـال لأوليـاء المقتــول : أدفنتم وليّكم ؟ قـالوا : نعم ، قـال : ومتى دفنتموه ؟ قـالوا : السَّـاعـة ، قـال ﷺ لعمـر : احبسْ هذا الغـلام ، فلا تحـدث فيـه حـدَثـاً حتّى يمـرّ ثـلاثـة أيـام ، ثم قُــلْ لأوليــاء المقتــول إذا مضَتْ ثــلاثــة أيــام فــأحضــرونــا. فـلمّــا مضت ثلاثة أيام حضروا. فأخذ علي بيـد عمر، وخـرجوا ، ثمَّ وقفَ على قبـر الرّجل المقتول. فقالَ علي ﷺ لأوليائِهِ: هـذا قبر صـاحبكم؟ قالـوا: نعم، قال: احفروا فحفروا حتّى انتهوا إلى اللّحد، فقال: اخرجوا ميّتكُـمْ. فنـظروا إلى أكفـانِهِ في اللّحـد فلم يجدوه، فـأخبروه بـذلكَ. فقـال علي ﷺ : الله أكبر، الله أكبر، واللّهِ ما كذبْتُ ولا كُـذِّبْتُ. سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقـول: «من يعمل من أُمَّتي عمل قـومِ لوط، ثُمَّ يمـوت على ذلكَ فهـو مؤجَّل إلى أن يوضَعَ في لحده، فإذا وُضِعَ فيه لـم يمكث أكثـر من ثلاث حتّى تقـذفه الأرض إلى جملة قوم لوط المهلكين، فيحشر معهم[2].

---

(١) ذكر الشيخ نجم الدين العسكري في كتـابه (علي والخلفـاء)، ص ٢٩٧ أنّ المجلسي أخرج هذه القضيَّة في البحار، جـ ٩ ص ٤٧٧ عن المنـاقب، وأخرجهـا أيضاً العـلاّمة المحلاّتي في كتابه، ص ٥٩ عن المناقب. وأخرجها أيضاً العلاّمـة التّستري عن نفس المصـدر في كتـابــه قضـاء أميــر المؤمنين علي بن أبي طـالب، ص ١٦٢ ط النجف الأشرف.

(٢) ذكـر الشيخ نجم الـدين في كتابـه (علي والخلفـاء)، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ هـذه القضيـة، وقال: أخرجها المجلسي في البحار، جـ ٩ ص ٤٧٨ ـ ٤٧٩ عن المناقب، وأخرجهـا العلاّمة التستـري في كتابـه، ص ١٦١ ـ ١٦٢ عن المناقب أيضـاً، وأخرجهـا العلاّمـة =

جهلُ الخليفَةِ بتأويل كتاب الله:

عن أبي سعيد الخدري قال: حججْنا مع عمر بن الخطَّاب، فلمَّا دَخَلَ الطَّواف استقبل الحجر، فقال: إنِّي أعلمُ أنَّكَ حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع. ولولا أنِّي رأيْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقبِّلُكَ ما قبَّلْتُكَ، فقبَّلَه، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: بلى يا أمير المؤمنين: يضرُّ وينفع، ولو علمتَ ذلك من تأويل كتاب الله لعلمتَ أنه كما أقول. قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذريَّتهم وَأشهدَهُمْ على أنفسِهِمْ﴾الآية[1]. فلمّا أقرّوا أنّه الرَّب عزّ وَجَلَّ وأنهم العبيد كتب ميثاقهم في رقٍّ، وألقمَهُ هذا الحجر، وأنه يُبْعَثُ يوم القيامَةِ، وله عينانِ ولسان وشفتان يشهَدُ لمن وافى بالموافاة. فهو أمينُ اللّهِ في هذا الكتاب. فقال له عمر: لا أبقاني الله بأرض ليس فيهم أبُو الحسن. وفي لفظ أعوذُ باللّهِ أن أعيشَ في قَوْمٍ لَسْتَ فيهم يا أبا الحسن[2].

في جواب مسائِل ابن الأصغر:

قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السَّلام ص ٧٨ و ١١٤. بسندِهِ عنِ الباقِر عليه السلام، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام في الرَّحْبة والنَّاسُ عليه متداكُون، فمِنْ بين مستَفْتٍ ومستعدٍ، إذ قام رَجُلٌ فقال: السَّلام عليكَ يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فنظر إليه عليٌّ عليه السلام، بعينيهِ العظيمتين،

= المحلاّتي في كتابه، ص ٦٦ عن ناسخ التواريخ (جـ ١)، وأخرجها السيّد الحجّة العاملي في كتابه (عجائب أحكام أمير المؤمنين)، ص ٤١.

(١) سورة الأعراف: آية ١٧٢.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، جـ ١ ص ٤٥٧، وابن الجوزي في سيرة عمر، ص ١٠٦، والأزرقي في تاريخ مكَّةَ كما في العمدة، والقسطلاني في إرشاد السّاري، جـ ٣ ص ١٩٥، والعيني في عمدة القارىء، جـ ٤ ص ٦٠٦ بلفظيه، والسُّيوطي في الجامع الكَبير كما في تربيته، جـ ٣ ص ٣٥ نقلاً عن فضائل مكة، وأبي الحسن القطّان في المطوّلات، والحاكم وابن حيّان، وابن أبي الحديد في شرح النّهج، جـ ٣ ص ١٢٢، وأحمد زيني دحلان في الفتوحات الإسلامية، جـ ٣ ص ٤٨٦. راجع الغدير، جـ ٦ ص ١٠٣ للعلاّمة أحمد الأميني النجفي.

ثمَّ قال: وعليك السَّلام ورحمة الله وبركاتـه، من أنتَ؟ قال: رجـلٌ من رعيَّتكَ وأهـل بلادِكَ. قـال: ما أنتَ مِنْ رعيَّتي وأهـل بلادي. ولـو سلَّمْتَ عليَّ يـومـاً واحِداً ما خفيتَ عَنّي. ثمَّ قال لمن حوله: أتعرفون هذا؟ فلم يعرفه أحدٌ. فقال له: هؤلاءِ أهل بلادي ما يعرفونَكَ مع أنّي لـو رأيتُكَ مـرَّةً لم تخْفَ عَلَيَّ. فقال الرَّجل: الأمان يا أمير المؤمنين. قال: هَلْ أحدَثْتَ في مصري هذا منـذ دخلتَهُ حَدَثاً؟ قـال: لا، قال: فلعلَّكَ جئتَ أيـام الحرب؟ قـال: نعم، قال: وضعَتِ الحربُ أوزارها فلا بأس. فقال: أنا رجـل بعثني إلَيْكَ معـاوية متغفِّـلاً أسألُـكَ عن أمْرٍ بَعَثَ به إليه ابن الأصغر يسأله عنـه ويقول: إن كنْتَ أنتَ المقيم بهـذا الأمر، والخليفة بعد محمّد، فأخبِرْني بهذه الأشياء، فإنَّك إن أخبـرتني اتبعْتُكَ أو بعثتُ إليكَ بالجزيَّة. فلمَّا أتاهُ الرَّسولُ لم يكن عنده جوابٌ، وقد غمَّه ذلـك وأقلقَهُ، فبعثَني إليكَ متغفِّـلاً لكَ، أسـألُكَ عنهـا. (قال): ومـا هي؟ قال: كم بين الحق والبـاطِل؟ وكم بينَ السَّمـاء والأرض؟ وكم بين المشرق والمغـرب؟ وعن هـذهِ المجرّة؟ وعن قـوس قُزَح، وعن المحـو في القمر؟ وعن أوَّل شيءٍ انتضَحَ على وجه الأرض؟ وعن أوَّل شيءٍ اهتـزَّ إليها؟ وعن العين الَّتي تـأوي إليها أرواح المسلمين؟ وعن العين التي تـأوي إليهـا أرواح الكُفَّـار؟ وعن المؤنث؟ وعن عشرة أشياء بعضُها أشدّ من بعض؟

قال عليه السلام : قاتَلَ اللَّه ابن آكلة الأكباد، ما أضلَّه وأضلَّ من معـه. واللّهِ لقـد أعتَقَ جاريتـه، فما أحسن أن يتـزوَّجها، حكَمَ الله بيني وبينَ هـذهِ الأمّة، قطعوا رحمي، وأضاعوا أيّامي، ودفعوا حَقّي، وضيَّعُوا عظيمَ منزلتي، وأجمعوا على منـازعتي. عَلَيَّ بالحسن والحسين ومحمَّـد، فجاؤوا إليـه. فقال: يـا أخا الشّام، هذانِ ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ابني، فَسَلْ أيّهم شئتَ؟

فقال الشّامي: أسألُ هذا ذا الوفرة، يعني الحسن، فأخذ الحسَنُ بيـدهِ، فوضعها على فخذِهِ، ثمَّ قال: يـا أخا أهـلِ الشّامِ، بين الحق والبـاطِل أربـع أصـابع، مـا رأيتَهُ بعينِـكَ فهو الحقّ، وقـد تسمع بـأُذنِكَ بـاطِلاً كثيـراً. فقـال الشّـامي: صدقْتَ أصلحَـكَ الله. قال: وبينَ السَّمـاءِ والأرض دعوة المـظلوم، ومدّ البصر، فمن قال غير هذا فكذّبه. قالَ: صَدَقْتَ أصلحَكَ الله. قال: وبين

المشرق والمغرب يومٌ مطّرَدٌ للشَّمْسِ، الشّمس ينظر إليها حين تطلَعُ، وينظر إليها حين تغيب. فمن قال غير هذا فكذِّبه. قال: صدقْتَ أصلحَكَ الله. قال: وَأمّا هذه المجرَّةُ فهي أشراج السَّماء، ومنها هبط الماء المنهمر. وَأمَّا قوس قزح فإنّه اسم شيطانٍ هو قوسُ اللّه، وأمانٌ من الغرق. وأما المحو الّذي في القمر فإنّ ضوء القمر كانَ مثل ضوءِ الشّمس فمحاهُ الله تعالى، وهو قوله: ﴿وجعلنا اللّيل والنّهار آيتينِ فمحوْنا آية اللّيلِ وجعلنا آية النّهار مبصرة﴾[٢] .
وأمّا أوّل شيءٍ انتضحَ على وجه الأرض، فهو وادي داب. وأمّا أوّلُ شيءٍ اهتزَّ على وجه الأرض فهو النّخلة. وأمّا العين الّتي تأوي إليها أرواح المسلمين فهي عيْنٌ يقال لها «سلمى». وأمّا العينُ الّتي تأوِي إليها أرواح الكفّار، فهي عين يقال لها «برهوت»[١] إلى أن قال: وأمّا عشرة أشياء بعضها أشدُّ من بعض. فأشدُّ شيءٍ خلقَهُ الله الحجر، وأشدُّ من الحجر الحديد يقطع به الحجر، وأشدُّ من الحديد النّار، وأشدُّ من النّار الماء، وأشدّ من الماء السحاب، وأشدّ من السّحاب الرّياح، وأشدّ من الرّياح الملك، وأشدُّ من الملك ملك الموت، وأشدّ من ملك الموت الموت، وأشدّ من الموت أمر الله رب العالمين. قال الشّامي: أشهدُ أنَّكَ ابن رسول الله، وأنّ عليّاً وصيّ محمّد، وأولى بالأمرِ من معاوية. (قال): ثمَّ كتَبَ هذه الأشياءَ له، فذهبَ بها إلى معاوية، وبعثها معاوية إلى ابن الأصغر. فلمّا أتته كتب إلى معاوية: أشهَدُ أنّها ليسَتْ من عندِكَ، وما هي إلاّ من عند معدن النبوّة وموضع الرّسالة[٣].

---

(١) سقط سهواً (المؤنّث) فالمؤنث إنسان لا يدري امرأة هو أم رجل، ينتظَرُ به، فإن كان رجُلاً احتلم والتحى، وإن كان امرأة بدأ ثديها، وإلاّ قيل له: بُلْ على الحائط، فإن أصاب بوله الحائط فهو رجل، وإن نكص كما ينكص البعير، فهو امرأة.

(٢) سورة الإسراء: آية ١٢.

(٣) (علي والخلفاء) للعسكري، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢، وأخرجها العلاّمة التستُري غير كاملة، وأخرجها العلاّمة الحجة السيّد محسن الأمين في كتابه (أحكام أمير المؤمنين) كاملاً، ص ١٢٥ ـ ١٢٧، وأخرجها العلاّمة المحلاّتي في كتابه، ص ٢٧٣ عن عجائب أحكامِ أمير المؤمنين.

مراجعة عثمان إلى أمير المؤمنين عليه السلام في جمجمة إنسان :

ذُكِرَ أنّ رجلاً أتى عثمان، وهو أمير المؤمنين، وبيده جمجمة إنسانٍ ميّتٍ، فقال: إنكم تزعمون أنّ النّار تُعْرَضُ على هذا، وأنّه يعذّب في القبر، وأنا قد وضعتُ عليها يدي فلا أحسُّ منها حرارة النّار. فسكتَ عثمانُ بن عفان، وأرسل إلى علي بن أبي طالب المرتضى، رضوان الله عليه، يستَحْضِرُهُ، فلمّا أتاهُ وهو في ملأٍ من أصحابه. قال للرَّجل: أعِدِ المسألة، فأعادها. ثمّ قال عثمان بن عفّان: أجب الرَّجل عنها يا أبا الحسن. فقالَ عليّ كرّم الله وجهه: ائتوني بزند وحجر، والرّجل السائل، وَالنّاس ينظرون إليه، فأتى بهما، فأخذهما وقدح منهما النّار، ثم قال للرَّجُل: ضع يدك على الحجر، فوضعها عليه، ثم قال: ضع يدكَ على الزَّند، فوضعها عليه. فقال: هل أحسَسْتَ منهما حرارة النار؟ فبهتَ الرَّجل. فقال عثمان: لولا عليّ لهلكَ عثمان(1).

حكمه عليه السلام في الأعرابي الَّذي أنكر على النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم حقّه وكذَّبَهُ :

في (المناقب) جـ١ ص ٤٩٠ عن ابن جريج عن الضحَّاك عن ابن عباس أنّ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم اشترى من أعرابي ناقةً بأربعمائة درهم، فلمَّا قبَضَ الأعرابي المال صاح: الدَّراهم والنَّاقة لي. فأقبل أبو بكر، فقال: اقضِ فيما بيني وبين الأعرابي، فقال: القضيَّة واضحة، تطلب البيّنة. فأقبل عمر، فقال كالأوَّل. فأقبل علي، فقال صلى الله عليه وآله وسلم للأعرابي: أتقبل الشّاب المقبل؟ قال: نعم. فقال الأعرابي: النّاقة ناقتي والدَّراهم دراهمي، فإن كانَ لمحمّد شيءٌ فليقم البيّنة على ذلكَ. فقال علي عليه السَّلام: خَلِّ عن النّاقة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال ذلك ثلاث مرَّاتٍ، فاندفع فضربه ضربَةً، فاجتمع أهل الحجاز على أنّه رمى برأسه. وقال بعض أهل العراق: بل قطع منه عضواً، فقال عليه السلام: يا رسولَ اللَّهِ، نصدّقُكَ على الوحي ولا نصدّقُكَ على أربعمائة

---

(1) انتهى نقلاً من روائح القرآن، ص ٥١ .

درهم. (وفي خبــر) عن غيـره، فــالتفتَ النبيّ ﷺ إليهمـا، فقــال: هــذا حكم الله لا مـا حكمتما بـه فينا. ذكـره ابن بـابـويـه في الأمـالي، وفي من لا يحضره الفقيه[1].

في جواب الجاثليق ومائة من أصحابه:

قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السّلام للعلاّمَـةِ التّستري ص ٦٦ منه. عن سلمان الفارسي في حديثٍ طويل يـذكر فيـه قدوم الجـاثليق مع مائةٍ من النّصارى، بعد وفاة النّبي ﷺ، وسؤالـه أبا بكـر عن مسائِـل لم يجبه عنها، ثمَّ أرشد إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فسأله عنها، فأجابه فكان فيما سأله أن قال: أخبرني عن وجـه الرَّب تبـارك وتعالى. فـدعا عليٌّ بنـار وحطب وأضرمَه، فلمَّا اشتعلَتْ قال علي عليه السلام: أين وجه هذه النّار؟ قال النّصـراني: هي وجه من جميع وجوهها. قال: هذه النّار مدبَّرة مصنوعة لا يُعْرَفُ وجههـا، وخالقها لا يشبهها، ولله المشرق والمغـرب فأينمـا تولّـوا فثمَّ وجه الله لا يخفى على ربّنا خافية[2].

سؤال أبي بكــر عن مكــان الله وجــوابــه بجــوابٍ لم يقبله الحبــر اليهودي:

(إرشاد المفيد رحمه الله) عند ذكر قضايـا أمير المؤمنين عليه السلام في عصـر أبي بكـر (قال): وجـاءت الرّوايـة أن بعض أحبار اليهـود جـاء إلى أبي بكـر، فقال: أنتَ خليفة نبيّ هـذه الأمة؟ قـال: نعم، فقال: إنّـا نجد في التّـوراة أنّ

---

(١) علي والخلفـاء: للعسكري، ص ٥٥، يقـول: أخرج هـذه القضيَّة الفيض في الـوافي المجلد الثـالث، جـ ٩ ص ١٦٥، وأخـرجهـا صـاحب أسمى التّـواريـخ، ص ٧٤١، وأخـرجهـا المجلسي في البحـار، جـ ٩ ص ٤٧٧ من المنـاقب، وأخـرجهـا العـلاّمـة التستري في كتابه، ص ١٥٨ من المناقب.

(٢) (علي والخلفاء) للعلاّمة نجم الدّين العسكري، ص ٦٠ ـ ٦١. وكتاب التّوحيد: لابن بابويه القمّي، طبعة طهران سنة ١٣٧٥ هـ، ص ١٢١.

خلفاء الأنبياء أعلم أممهم، فأخبرني عن اللّهِ تعالى أين هو؟ أفي السَّماء أم في الأرض؟ فقال أبو بكر: هُوَ في السَّماء على العرش. فقال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه، وأراه على هذا القول في مكانٍ دون مكان، فقال أبو بكر: هذا كلامُ الزَّنادقة أعزبُ عنّي وإلاّ قتلتُكَ. فولّى الحبر متعجّباً يستهزىء بالإسلام، فاستقبله (عليٌّ) أمير المؤمنين ﷺ، فقال: يا يهودي قد عرفتُ ما سألتَ عنه، وما أجبتَ به، وإنّا نقول: إنّ الله عزّ وجلّ أين الأين فلا أين له، وجَلَّ أن يحويه مكان، فهو في كلّ مكان بغير ممارسة ولا مجاورة، يحيط عِلماً بما فيها، ولا يخلو شيء مِنها من تدبيرِهِ، وإنّي مخبركَ بما جاء في كتابٍ من كتبكم يصدّق ما ذكرتُه لكَ، فإن عرفته أتؤمن به؟ فقال اليهودي: نعم، قال: ألستم تجدون في بعض كتبكم أنّ موسى بن عمران كان ذاتَ يومٍ جالِساً إذ جاءه ملك من المشرق، فقال له موسى: من أينَ أقبلتَ؟ قال: من عند الله عزّ وجلّ. ثم جاءه ملك فقال: قد جئتُكَ من السَّماء السَّابقة من عند الله عزّ وجَلَّ. فقال موسى: سبحان من لا يخلو من مكان، ولا يكون من مكان أقرب من مكان. فقال اليهودي: أشهَدُ أنّ هذا هو الحق، وأنّكَ أحقّ بمقام نبيّك ممن استولى عليه[1].

مراجعة عمر إلى أمير المؤمنين ﷺ في رجلين اختصما معه :

(ذخائر العقبى) ص ٦٨ للمحبّ الطّبري الشّافعي، أخرج بسندِهِ عن عمر بن الخطّاب، وقد جاءَهُ أعرابيَّانِ يختصمانِ، فقال عمر لعلي: اقْضِ بينَهما يا أبا الحسن. فقضى عليٌّ بينهما، فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا[2]، فوثبَ عمرُ وأخذ بتلابيبه، وقال: ويحَكَ ما تدري من هذا؟ هذا مولاي ومولى كلّ مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن[3].

---

(١) (علي والخلفاء): للعسكري، ص ٧٨.
(٢) قال أحدهما: هذا الكلام مستهزئاً ولهذا أخذ عمر بتلابيبه وقال له هذا الكلام فلاحِظْ.
(٣) أخرجه ابن السَّمَّان في كتاب (الموافقة) وفي (غاية المرام)، ص ٥٣٥ أخرج نحوه.

الابـن والعبـد:

قـال أبو جـعفـر عليه السلام : تـوفّيَ رجـلٌ على عهـد أمير المؤمنين عليه السلام وخلَّفَ ابناً وعبداً، فادَّعى كلّ واحدٍ منهما أنه الابن، وأنّ الآخر عبدٌ له. فـأتيا أمير المؤمنين عليه السلام فتحاكما إليه، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام أن يثقب في حائط المسجد ثقبين، ثمَّ أمر كـلّ واحدٍ منهمـا أن يدخـل رأسه في ثقبٍ ففعـلا. ثمَّ قال: يا قنبر، جرِّد السَّيف، وأشارَ إليه: لا تفعل ما آمرُكَ به، ثمَّ قال: اضرِبْ عنق العبد. قال: فنحَّى العبد رأسه، فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وقالَ لـلآخر: أنتَ الابن، وقد اعتَقْتُ هذا وجعلته مولىً لك[1].

روى السَّـروري عن الطَّبـري والواقـدي أن عميـر بن وائِـل الثَّقفِي أمَـرَهُ حنـظلة بن أبي سفيـان أن يـدَّعي على علي عليه السلام ثمـانينَ مثقـالاً من الـذَّهَب وديعَـةً عند محمَّـد، وأنّه هـرب من مكة، وأنت وكيله، فـإن طلب بَيِّنَـةً فنحن معشرُ قريشٍ نشهد عليه، وأعطوه على ذلكَ مائةِ مِثقال ذهباً منهـا قلادة عشـرة مثـاقيل. فجـاء وادَّعى على علي. فاعتبـر الـودائـع كلهـا ورأى عليهـا أسـامي أصحابها، ولم يكن لما ذكرَهُ عميرٌ خبر. فنصحَ له نصحاً كثيراً، فقال: إنّ لي من يشهـد بذلـك وهو أبـو جهـل وعكـرمـة وعقبـة بن أبي معيط وأبـو سفيـان وحنظلة. فقال عليه السلام : مكيدة تعود إلى من دبَّرها. ثم أمـر الشهور أن يقعـدوا في الكعبة، ثمَّ قال لعمير: يا أخا ثقيف أخبرني الآن حينَ دفعْتَ وديعتَـكَ هذه إلى رسول الله أيِّ الأوقات كان؟ قال: ضحوة نهار، فأخذهـا بيدِهِ وسلَّمهـا إلى عبـده. ثمَّ استدعى بـأبي جهل وسـأله عن ذَلِـكَ، قال: مـا يلزمني ذلـك. ثم استدعى بأبي سفيان وسأله، فقال: دفعهـا عند غـروب الشَّمس، وأخذهـا من يـدِهِ وتركهـا في كمِّه. ثم استـدعى حنظلة وسـأله عن ذلـك، فقال: كـان عند وقـوف الشَّمس في كبد السَّمـاء، وتـركهـا بين يـديـه إلى وقت انصـرافـه. ثمَّ استدعى عقبة وسـأله عن ذلـك، فقال: تَسَلَّمهـا بيدِهِ وأنفـذها في الحـال إلى

(١) كتاب (من لا يحضره الفقيه)، جـ٣ ص ١٤ ـ ١٥ ط ٤ سنة ١٣٧٨ هـ.

داره، وكان وقت العصر. ثمَّ استدعى عكرمة وسأله عن ذلكَ، فقال: كان عند بـزوغ الشّمس أخذهـا، فأنفـذها من سـاعَتِهِ إلى بيت فـاطمـة. ثمَّ أقبـل على عمير، وقال له: أراكَ قد اصفرَّ لونُكَ، وتغيَّرت أحوالُكَ، قال: أقول الحقَّ ولا يُفْلِحُ غـادِر. وبيتِ اللّهِ ما كـان لي عند محمّـدٍ وديعة، وأنّهمـا حمـلاني على ذلـكَ. وهذه دنـانير عقـد هند عليهـا اسمهـا مكتـوب. ثم قـال علي: ائتـوني بالسَّيف الّذي في زاوية الدّار، فأخذَهُ وقال: أتعرفون هذا السَّيف؟ فقالوا: هذا لحنظلة، فقال أبـو سفيان: هـذا مسروق. فقـال عليه السلام: إن كنتِ صادقـاً في قولك فما فعل عبـدُكَ مهلع الأسود؟ قـال: مضى إلى الطَّائِفَ في حـاجة لنـا. فقال: هيهات أن يعود وتراهُ، ابعَثْ إليـه أحضرهُ إن كنتَ صـادقاً. فسكت أبـو سفيان، ثمَّ أقامَ عليه السلام في عشرة عبيدٍ فنبشوا تلعَةً عرفها، فإذا فيها العبـد مهلع قتيل، فأمرهم بإخراجه، فأخرجوه وحملوه إلى الكعبة، فسأله النّـاس عن سَبَبِ قتله، فقـال: إنّ أبا سفيـان وولدَهُ ضمنـوا له رشـوَةَ عتقـه، وحثّـاهُ على قتلِي، فكمنَ لي في الـطَّريق، ووثَبَ عليَّ ليقتلني، فضربتُ رأسـه وأخـذتُ سيفـه، فلمَّا بطلت حيلتَهم أرادوا الحيلة الثانية[1].

رَوَى الكليني عن الإصبغ بن نباتة، قال: أتى عمر بخمسة نفـر، أخذوا في الزّنى، فأمـر أن يقام على كـلّ واحدٍ منهم حـدّ، وكان أميـر المؤمنين علي عليه السلام حاضِراً، فقال: يا عمر: يا أبـا الحسن: خمسة نفـر في قضيَّةٍ واحـدَةٍ، أقمتَ عليهم خمسة حدود، وليسَ منها شَيْءٌ يُشْبِه الآخر. فقال أمير المؤمنين: أمّا الأوّل فكان ذِمِيّاً خرج عن ذمَّتِـهِ ولم يكن له حكمٌ إلاّ السَّيف. وأمَّـا الثّاني فرجل محصن كـان حدّه الـرَّجم. وأمَّا الثّـالِث فغير محصن حـدُّه الجلد. وأمّا الرَّابع فعبدٌ ضربناهُ نصف الحد، وأمّا الخامس فمجنون مغلوبٌ على عقله[2].

الرَّجل ذو الرَّأسين والفمين والأنفين والقبلين والدُّبرين:

ففي (المناقب) عن أبي علي الحدَّاد بـإسناده إلى أبي سلمـة بن عبدالله

---

(١) قضاء أمير المؤمنين: للتستري، ص ١٨ ـ ١٩، المطبعة الحيدريَّة ـ النّجف.
(٢) قضاء أمير المؤمنين: للتستري، ص ٣١ ط ٣، المطبعة الحيدريّة ـ النّجف.

قال: أُتِيَ عمر برجُلٍ لـه رأسان وفمـان وأنفان وقبـلانِ وَدبران وأربـع أعين في بدنٍ واحد، ومعـه أخت، فجمع عمـر الصَّحابـة، فسألهم عن ذلـك، فعجزوا وأتوا عليّاً، وهو في حائطٍ له، فقال: قضِيَّتُهُ أن يُنَوَّم، فإن غمض الأعين أو غَطَّ من الفمين جميعـاً فبدن واحـد، وإن فتـح بعض الأعين، أو غَطَّ أحـد الفمين فبدنانِ. هذه إحدى قضيَّتِهِ، وأمّا القضيَّةُ الأُخرى فيطعم ويُسْقَى حتى يمتلىءَ، فإن بال من المبالينِ جميعاً، وتغوَّط من الغائطين جميعاً فبدنٌ واحد، وإن بـال أو تغوَّطَ من أحدهما فبدنان. وقد ذكره الطَّبري في كتابه(١).

فعلي بن أبي طـالب لا يُبارَى ولا يُجَـارَى، ولا نظيـر لـه ولا مثيـل بعـد رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم . وكيف لا يكون ذلك؟ والأحاديث النّبويَّة تثبت صحَّـة هذا القول.

روى مـوفَّقَ بن أحمد بسنـدِهِ عن أبي سعيد الخـدري وَسلمان الفـارسي رضي الله عنـه قـالا: قـال رسـولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّ أقْضَى أُمَّتِي علي بن أبي طالب».

وفي مُسْنَدِ أحمد بسنَـدِهِ عن حميد بن عبـدالله قال: إنَّـهُ ذكر عنـد النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم قضـاء قضى به علي بن أبي طـالب، فأُعْجِبَ وقـال: الحمد للّهِ الّـذي جعـل الحكمة فينا أهل البيت.

قضـاء عجيـب:

عن عمـر بن داوود عن الصّـادق عليه السلام أنَّ عقبــةَ بن أبي عقبـة مــاتَ، فحضر جنازته علي عليه السلام وجماعة من أصحابه، وفيهم عمر. فقال علي لرجلٍ كان حاضِـراً: إنّ عقبة لمّـا تُوُفِّي، حـرمَتْ امرأتُـكَ، فاحـذر أن تقربهـا. فقال عمر: كلّ قضـاياكَ يـا أبا الحسن عجيب، وهـذه من أعجبها، يموتُ الإنسان فتحرم على آخر امرأته، فقال: نعم، إنّ هذا عبدٌ كان لعقبة تَزَوَّجَ امـرأة حرّة، وهي اليوم ترِثُ بعض ميـراثِ عقبة، فقـد صارَ بعض زَوْجِهـا رقّاً لهـا، وبضع

(١) قضاء أمير المؤمنين: للتستري، ص ١٢٦.

المرأة حرام على عبدها حتَّى تعتقهُ ويتزوّجها. فقال عمر: لمثلِ هـذا نسألُـكَ عمّا اختلفْنا فيه(١).

قضاء أميرِ المؤمنين ـ مهما اختلفَتِ الظروف ـ واحد:

روى المفيد عن أبي عقدة عن عبيد بن حمدون عن الحسن بن ظريف، قـال: سمعتُ أبا عبـدالله جعفر بن محمّـد عليه السلام يقول: لا تجـد عليّـاً يقضي بقضـاء إلاّ وجدتَ لـه أصـلاً في السُّنَّـة، قـال: وكـان علي عليه السلام يقـول: لـو اختصم إليّ رجلان فقضيتُ بينَهُما، ثمَّ مكثا أحوالاً كثيرةً، ثمَّ أتياني في ذلـك الأمر لقضيتُ بينَهما قضاءً واحداً، لأنَّ القضاء لا يحول وَلاَ يزول(٢).

صراع امرأة ورجل على جمل، وكان الشَّاهِد الجمل:

رُوِيَ عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه قـال: كنتُ بين يدي مـولاي أمير المؤمنين وإذا بصوتٍ عظيم قد أخذ بجامع الكوفة، فقال علي: اخرج يا عمَّار وأتني بذي الفقار البتَّار للأعمار، فجئتُ به إليه، فقال: يا عمَّار، أُخْـرُجْ وامنع الـرَّجل من ظـلامة المـرأة، فإن انتهى وإلاّ منعتُـهُ بذي الفقـار. فقـال عمَّـار: فخرجتُ فإذا أنا برجلٍ وامرأة، وقد تعلَّق الرَّجل بزمامِ جملها، والإمرأة تقول: إنَّ الجمـل جملي والـرَّجـل يقـول: إنَّ الجمـل جملي. فقلت لـه: إنَّ أميـر المؤمنين ينهاكَ عن ظلامة المرأة. فقال: يشتغل علي بشغلِهِ، ويغسـل يده من دماء المسلمين الذين قتلهم بالبصرة، يريد أن يأخذ جملي، ويـدفعه إلى هـذه المرأة الكاذبة. فقال عمّار رضي الله عنه: فـرجعْتُ لأخبرَ مـولايَ، وإذا به قـد خرج والغضبُ في وجهه، وقـال: ويْلَكَ! خَلِّ جمـل هذه المـرأة. فقال: هـو لي. فقـال أمير المؤمنين: كـذبْتَ يا لعين. قـال: فمن يشهد لـلإمـرأة؟ فقـال عليه السلام : الشّاهِدُ الّذي لا يكذبه أحدٌ من أهل الكوفة. فقال الـرَّجل: إذا شهـد بشهادته كان صادِقاً سلَّمْتُهُ إلى المرأة، فقال علي عليه السلام : تَكَلَّم أيّهـا الجمل!

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٤٧٧.

(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٤٨١.

لمن أنتَ؟ فقال الجمل بلسانٍ فصيح: يا أمير المؤمنين، عليكَ السَّلام، أنا لهذه المرأة منذ تسع عشرة سنةً، فقال عليه السَّلام: خذي جملك، وعارض الرجل بضربةٍ قسمه نصفين[1].

هذه لمحَةٌ عن قضائه الَّذي لا يعلمه إلاَّ أهلُ السَّماء. وكلّ قضاءٍ عرضناهُ في هذا الفصل فهو يشهد على عظمة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. ولكنّ أبناء الدُّنيا لم يقفوا عند الحدود والأوامر الّتي أمرهم الله بها، وخاصَّةً فيما يتعلَّق بالإمام، بل سرعانَ ما تآمروا علي عليه السلام، وسلبوهُ حَقَّه، وأخذوا يوجّهون دفّة السَّفِينة في الخِضَمّ الكبير كما تشاء مصالحهم، لا كما يشاء الله ورسوله. ولولا أنّ لِلّهِ تعالى في هذا الإمام سرّاً يعلمه من يعلمه ـ كما قال عامر بن عبداللّهِ ابن الزُّبير ـ لم يرد في فضلِهِ حديث، ولا عُرِفَتْ له منقبة. وقَدْ قيل: كتم أحبّاؤه فضائِلَهُ خوفاً، وكتم أعداؤه فضائِلَهُ حَسَداً وخرجَ بين ما مَلأ الخافقين.

ونحنُ نرى أنّ كثيراً من الباحثينَ يصطدمون بهذه الخصائِصِ العلويَّة الّتي امتاز بها الإمام، فهي فوق مستوى تفكيرهم الإنساني، وفوق مقدرَتِهِم العقلية، فيضطرّون إلى إنكارها وعدم تقبُّلها، بالرَّغم من النّصوص الواضحة الصَّريحة في ذلك، ولم يكن عندهم الاستعداد والقابلية للاعتراف بهذه الخصائِص التي خصَّه الله بها. فعلي هو المحكّ لمعرفة المؤمن من الكافر، وهو الصَّعب المستصعب وهو قسيم الجنَّة والنّار، وهو النُّقطة الّتي تحت الباء، وهو عَبْدُاللّهِ، وأخو رسولِ اللّهِ.

فمنْ أراد من أبناء هذا العالَمِ الإنساني أن يعرف أنّه من أهل النّعيم، أو أهل الجحيم فلينظر إلى موقفهِ مِنْ علي عليه السلام إن سَلْباً أو إيجاباً. والحمد لله ربّ العالمين.

---

(1) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٤٨٧، وهو مذكور في عيون المعجزات للشيخ حسين عبد الوهاب (من علماء القرن الخامس)، ص ٢٩ بنفس المعنى مع اختلافٍ في بعض الكلمات.

الفصل التاسع

إخباره بالأمور الغيبية

قبل أن نعرضَ بعضَ ما أخبر عنه الإمام من أُمور يعجُزُ العقل الإنساني عن اكتشافِها قبل حدوثها، بالرَّغم من التقدّم العلمي الذي أحْرَزَهُ إنسان القرن العشرين، علينا أن نعرف مصدر هذه المعرفة عند علي بن أبي طالب عليه السلام .

فلو تحرَّينا الحقيقةَ لوجدنا أنَّ كلّ ما أخبر به الإمام من المغيَّبات أخبرَ به وبغيرِهِ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم من قِبَلِهِ، وأثبتَها كلّ من البخاري ومسلِم في صحيحه، والإمام أحمد في مسندِهِ وغيرِهم. فمن أراد أن يُراجع فلينظر الجزء الرَّابع (باب علامات النبوَّة) للبخاري، وكذلكَ باب قتال الرُّوم، وباب قتال اليهود، وباب قتالِ التّرك، والجزء التَّاسع للبخاري، فإنَّ فيه أحاديث كثيرة عن المغيبات، حتّى بترول العراق. وكذلك الجزء الرَّابع من صحيح مسلم، باب إخبار النَّبي فيما يكون إلى قيام السَّاعة، ومسند أحمد الجزء الثّاني عشر وغيره من كتب الشّيعة والسّنّة.

ومسلم يقول: «إنّ النّبي حدَّثَ بما يكون إلى قيامِ السَّاعة، فحفظه من حَفِظَهُ، ونسِيَهُ من نَسِيَهُ». وعلي بن أبي طالب، صاحب الأذن الواعية وباب مدينة علم الرّسول، من جملة مَنْ حَفِظَهُ. إذن جميع أخبار الإمامِ عن المغيّبات تَسْتَنِدُ إلى الرّسول، وليس للإمامِ منها إلّا الرّواية، فمن أنكرها عليهِ

فقد أنكرها على الرَّسول بالذَّات. وبهذا يزول استغرابنا لما أخبرَ به، وصرَّح في الخطب والملاحم وغيرها.

فمن إخباره أن تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التّميمي اعترضه، وهو يخْطبُ على المنبر ويقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، فواللّهِ لا تسألوني عن فئةٍ تضلّ مائةً أو تهدي مائةً إلاّ أنبأتكم بناعقها وسائِقها، ولو شئتُ لأخبرتُ كلّ واحدٍ منكم بمخرجه ومدخلِهِ وجميع شأنه». فقال: فكم في رأسي طاقة شعر؟ فقال له: أما واللّهِ إنّي لأعلم ذلِكَ، ولكِن أين برهانه لو أخبرْتُكَ به؟! ولقد أخبرتكَ بقيامِكَ ومقالِكَ. وقيل لي: إنَّ على كلّ شعرَةٍ من شعر رأسِكَ ملكاً يلعَنُكَ، وشيطاناً يستفزُّكَ، وآية ذلكَ أنَّ في بيتِكَ سخُلاً يقتل ابن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويحضّ على قتله.

فكان الأمرُ بموجب ما أخبر به عليه السلام. كان ابنُهُ حصين يومئذٍ طِفلاً صغيراً يرضع اللّبن، ثم عاش إلى أن صارَ شرطة عبيد الله بن زياد، وأخرجَهُ عبيدالله إلى عمر بن سعد يأمرُهُ بمناجزة الحسين عليه السلام، ويتوعَّده على لسانِهِ إن أرجأ ذلكَ، فقُتِلَ، صبيحةَ اليومِ الّذِي ورد فيه الحصين بالرّسالة في ليلته[1].

ومن ذلك قوله عليه السلام للبراء بن عازب يوماً: يا براء، أيُقْتَلُ الحسينُ وأنتَ حيٌّ فلا تنصره؟! فقال البراء: لا كانَ ذلكَ يا أمير المؤمنين!

فلمَّا قُتِلَ الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلكَ ويقول: أَعْظِمْ بها حسرةً! إذ لم أشهده وأقتل دونه!

---

(١) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، جـ ١٠ ص ١٤ و ١٥، وكذلك الإرشاد للمفيد بنفس المعنى وإن اختلف بعض الجمل. وكذلك قضاء أمير المؤمنين للشّيخ محمّد تقي التُّسْتَري، ص ١٠٥ ط ٣. وروى ابن شهراشوب فقال: حملوا من كلّ جانب فرماه أبو الحنوق الجعفي في جبينه، والحسين بن تميم في فيه، وأبو أيّوب الغنوي بسهم مسموم في حلقه. راجع تظلم الزّهراء للقزويني، ص ١٢٧ ط ١٣١٢ هـ.

وروى الحسن بن محجوب عن ثابت الثّمالي، عن سُوَيْد بن غفلة أنّ عليّاً خطبَ ذات يومٍ، فقامَ إليه رجلٌ من تحتِ منبره، فقال: يا أمير المؤمنين: إنّي مررت بوادي القرى فوجدتُ خالِد بن عرفطة قد ماتَ، فاستغفِرْ له. فقال: واللّهِ ما ماتَ ولا يموتُ حتّى يقود جيشَ ضلالَةٍ، صاحب لوائه حبيب بن حمَّاد[1]. فقامَ رَجُلٌ آخر من تحت المنبر، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن حمَّاد، وإنّي لك شيعة ومحبٌّ. فقال: أنْتَ حبيبُ بن حمّاد؟ قال: نعم، فقال له ثانِيَةً: واللّهِ إنّك لحبيب بن حمَّاد؟ فقال: إي واللّهِ! قال: أمَا واللّهِ إنَّكَ لحامِلُهَا وَلتحملنَّها، ولتدخُلَنَّ بها من هذا الباب. وأشارَ بها إلى باب الفيل بمسجد الكوفة.

قال ثابت: فواللّهِ ما متُّ حتَّى رأيتُ ابن زياد، وقد بَعَثَ عمر بن سعد إلى الحسين بن علي، وجعل خالِد بن عرفطة على مقدَّمتِهِ، وحبيب بن حمَّاد صاحب رايتِهِ، فدخَلَ بها من باب الفيل كما قال الإمام عليه السلام [2].

وروى عثمان بن سعيد عن عبدالله بن بكير، عن حكيم بن جبير قال: خطب علي عليه السلام فقال في أثناء خطبته: «أنا عبدالله وأخو رسول الله، لا يقولها أحدٌ قبلي ولا بعدي إلّا كذب، ورثْتُ نبيَّ الرَّحمة، ونكحْتُ سيّدة نساءِ هذهِ الأمَّةِ، وأنا خاتم الوصيّين». فقال رَجُلٌ من عبس: مَنْ لا يُحْسِن أن يقول مثلَ هذا؟! فلم يرجع إلى أهلِهِ حتّى جُنّ وَصُرِعَ، فسألوهم، هل رأيتم به عَرَضاً قبل هذا؟ قالوا: ما رأينا به قبل هذا عرضاً[3].

وروى محمَّد بن جبلّة الخياط، عن عكرمَةَ، عن يزيد الأحمسي أنّ عليّاً عليه السلام كان جالِساً في مسجد الكوفة، وبين يديه قومٌ منهم عمرو بن حُرَيْث، إذ أقبلتِ امرأة مختمِرَةٌ لا تُعْرَف، فوقَفَتْ، فقالت لعلي عليه السلام : يا من قتل

(١) في بعض النُّسخ حبيب بن جِمَّار.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٢ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٨.

(٣) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٢ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨، والإرشاد: للمفيد، ص ١٤٧.

الرّجال، وسفَكَ الدّماء، وأيْتَمَ الصّبيان، وأرمـل النّساء!! فقـال ﵇ : وإنّها لهي هَذِهِ السّلقلقة الجلعة المجِعَةُ، وإنّهـا لهي هذه، شبيهـة الرّجـال والنّساء، الّتي مـا رأت دماً قطّ. قـال: فوَلّتْ هـاربـةً منكّسـة رأسهـا، فتبعهـا عمـرو بن حُرَيْث، فلمّا صارَتْ بالرَّحبة، قال لها: واللّهِ لقـد سُرِرْتُ بمـا كان منـكِ اليومَ إلى هذا الرَّجل، فادخلي منـزلي حتّى أهبَ لكِ وأكسُـوكِ. فلمّا دخلت منـزله أمر جواريه بتفتيشها وكشْفِها ونَزْع ثيـابها لينـظر صدقـه فيما قـاله عنهـا، فبكَتْ وسألَتْه ألاّ يكشفها، وقالت: أنا واللّهِ كما قال: لي رَكَبُ النّساء، وانثيان كأنثي الـرّجال، ومـا رأيت دماً قط. فتـركهـا وأخْـرَجَهـا. ثمّ جـاء إلى علي ﵇ ، فـأخبـرَهُ، فقـالَ: إنّ خليلي رسـول الله ﷺ أخبـرني بـالمتمـرّدين عليٍّ مِنَ الرّجال والمتمردات من النساء إلى أن تقوم السّاعة(١).

وروى المدائني في كتاب (صفّين) قال: خطب عليّ ﵇ بعـد انقضاء أمر النّهروان، فذكر طرفاً من الملاحم، قال:

إذا كثرت فيكم الأخلاق، واستولَتِ الأنباط، دنا خرابُ العراق، ذاكَ إذا بنيَتْ مـدينة ذات أثـلٍ وأنهار. فـإذا غَلَتْ فيها الأسعـار، وشيّد فيهـا البنيـان، وحكم فيهـا الفُسّاق، واشتَـدَّ البلاء، وتفـاخَرَ الغـوغاء، دنـا خسـوف البيـداء، وطاب الهرب والجلاء، وستكون قبلَ الجلاءِ أمور يشيبُ منها الصَّغِير، ويعطب الكبير، ويخرس الفصيح، ويبهت اللّبيب، يعاجَلُونَ بالسَّيْف صلتاً، وقد كانـوا قبـل ذلكَ في غضـارةٍ مِنْ عيشِهِمْ يمرحـون. فيا لهـا مصيبةً حينئـذٍ! من البلاء العقيم، وَالبكاء الطّويل، والويل والعويل، وشدّة الصَّريخ، في ذلـكَ أمرُ اللّهِ - وهو كائن وقتاً - يريح. فيابن حرّة الإماء، متى تنتظر؟! ابشر بنصْـرٍ قريب، من رَبّ رحيم. ألا فويلٌ للمتكبّـرين، عند حصـاد الحاصـدين، وقتلِ الفـاسقين. عصـاة ذي العرش العـظيم، فبأبي وأمّي من عـدّةٍ قليلة! أسمـاؤهم في الأرض

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ٢ ص ٢٨٨. وقضاء أمير المؤمنين: للشيخ محمّد تقي التستـري مـع اختـلاف في بعض الجمـل، ولكن بنفس المعنى، ص ١٢٩. والسلقلقة: السّلّيطة، والجلعة المجعة: البذيئة اللسان، والركب: بنت العانة.

مجهولة. قد دنا حينئذٍ ظهورهم، ولو شئت لأخبرتكم بما يأتي ويكون من حوادث دهركم ونوائب زمانِكم، وبلايا أيّامكم، وغمرات ساعاتِكم، ولكنّهُ أفضيه إلى من أفضيهِ إليه، مخافة عليكم، ونظراً لكم، علماً مني بما هو كائن وما يكون من البلاء الشّامِل. ذلكَ عند تمرُّدِ الأشرار، وطاعة أولي الخسار. ذاكَ أوان الحتف والدَّمار، ذاك إدبار أمركم، وانقطاع أصلكم، وتشتُّت إلفتكم، وإنّما يكون ذلكَ عند ظهور العصيان، وانتشار الفسوق، حيث يكون الضّرب بالسَّيْفِ أهون على المؤمنين من اكتساب درهم حلال، حينَ لا تنال المعيشةُ إلاّ بمعصيَةِ الله في سمائِهِ، حين تسكرون من غير شراب، وتحلفون من غير اضطرار، وتَظلمون من غير منفعةٍ، وتكذبون من غير إحراج، تتفكّهون بالفسوق، وَتبادرون بالمعصية، قولكم البهتان، وحديثكم الزّور، وَأعمالكم الغرور. فعند ذلكَ لا تأمنون البيات، فيا له من بياتٍ ما أشدَّ ظلمته، ومن صائح ما أفظع صوته! ذلك بياتٌ لا ينمي صاحِبُه، فعند ذلكَ تقتلون، وبأنواع البلاء تُضْرَبون، وبالسَّيفِ تحصدون، وإلى النَّار تصيرون، ويعضّكم البلاء كما يعضّ القارب القتب. يا عجباً كلّ العجب، بين جمادى ورجب! من جمع أشتات، وحصد نباتٍ، ومن أصواتٍ بعدها أصوات. ثم قال: سبق القضاء، سَبَقَ القضاء.

قال رَجُلٌ من أهل البصرة لرجلٍ من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهَدُ أنّه كاذبٌ على اللّهِ ورسوله! قال الكوفي: وما يدريك؟ قال: فواللّهِ ما نزل عليٌّ من المنبر حتى فُلِجَ الرَّجل، فَحُمِلَ إلى منزله في شقّ محمل، فمات من ليلته(١).

ومن خطبةٍ له عليه السلام قائلاً: واللّهِ لو شئتُ أن أخبر كلّ رجلٍ منكُمْ بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلتُ، ولكن أخافُ أن تكفروا فيَّ برسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم. ألا وإني مفضه إلى الخاصَّةِ ممّن يُؤْمَنُ ذلك منه. والَّذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق، ما أنطقَ إلاّ صادِقاً، ولقد عهد إليَّ ذلكَ كلّه،

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٦ ص ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦.

وبمهلك من يهلك، ومنجى مَنْ ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي إلّا أفرغَهُ في أُذنيَّ، وأفضى به إليَّ.

أيّها النّاس: إنّي والله ما أحثّكم على طاعةٍ إلّا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصيةٍ إلّا وأتناهى قبلكم عنها[1].

يا لَهُ من قسمٍ ما أعظمه! ولكنّ الخوف من الغلوّ هو الّذي يمنعُهُ من الإخبار إلّا لأهل خاصَّتِهِ، ثم قسم ثانياً أنّه ما ينطق إلّا صادِقاً، وأنّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَهِدَ بذلك كلّهِ إليه، وأخبرَهُ بمهلكِ من يهلك، وبنجاة من ينجو، وبمآل الإسلام والدّولة والخلافة، وأنّه ما تركَ شيئاً يمرّ على رأسه عليه السلام إلّا وأخبرَهُ به، وأسرَّه إليه. وهذا من خصائِص أبي تراب، باب مدينة عِلْم الرّسول.

وروى المدائِني، قال: خطب عليّ عليه السلام فقال: «لو كُسِرَتْ لي الوسادة لحكمتُ بين أهل التّوراة بتوراتهم، وبين أهلِ الإنجيل بإنجيلِهِمْ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وما مِنْ آية في كتابِ الله أُنْزِلَتْ في سهلٍ أو جبل إلّا وأنا عالِمٌ متى أُنزِلَتْ وفيمن أُنْزِلَتْ».

فقال رَجُلٌ من القعود تحت منبره: يا لله والدعوى الكاذبة! وقال آخر إلى جانبه: أشهَدُ أنّك أنت الله ربّ العالمين. قالَ المدائني: فانظر إلى هذا التّناقض والتباين فيه[2].

وروى المدائني أيضاً قال: خطب علي عليه السلام فذكر الملاحم فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، أما واللّهِ لتشغرنَّ الفتنة الصَّمّاء برجلها، وتطأ في خطامِها.

يا لها من فتنةٍ شبَّت نارها بالحطب الجزل، مقبلة من شرق الأرض،

---

(١) شرح النّهج له، جـ ١٠ ص ١٠.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٦ ص ١٣٦.

رافعةً ذيلها، داعية ويلها، بدجلة أو حولها. ذاكَ إذا استدار الفلك، وقلتم: مات أو هلَكَ، بأيّ وادٍ سلك!

فقال قومٌ تحت منبره: لِلّهِ أبوه! ما أفْصَحَهُ كاذِباً[1] !.

وروى صاحب كتاب (الغارات) عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، قال: سمعتُ علياً يقول على المنبر: ما أحدٌ جَرَتْ عليه المواسي إلاّ وقد أنزل الله فيه قرآناً، فقامَ إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، فما أنزل الله تعالى فيك؟ قال يريد تكذيبه: فقامَ النّاس إليه يلكزونه في صدره وجنبه، فقال: دَعُوهُ، أقرأتَ سورة هود؟ قال: نعم، قال: أقرأتَ قوله سبحانه: ﴿أفمن كان على بَيّنَةٍ من ربّه ويتلوه شاهِدٌ منه﴾[2] قال: نعم، قال: صاحب البيّنة محمّد، والتّالي الشّاهد أنا[3].

وذكر سبط ابن الجوزي في (تذكرته) قائلاً: وذكر الثّعلبي أيضاً بإسناده إلى علي عليه السلام من رواية زادان، قال: سمعته عليه السلام يقول: والّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة لو ثُنِيَتْ لي الوسادة لحكمتُ بين أهل التّوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزّبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانِهم. والذي نفسي بيدِهِ، مامِنْ رجل من قريشٍ جرت عليه المواسي إلاّ وأنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنّة، أو تقوده إلى النّار. فقال له رجلٌ: يا أمير المؤمنين، فما آيتُكَ الّتي أُنزِلَتْ فِيكَ ؟ فقال: ﴿أفمن كان على بيّنَةٍ من ربّه ويتلوه شاهِد منه﴾ فرسولُ اللّهِ على بيّنَةٍ، وأنا شاهِدٌ منه[4].

ومن إخباره بالغيب ما رواهُ صاحبُ كتاب (الغارات) عن الأعمش، عن رجاله، قال: خطب علي عليه السلام فقال: «واللّهِ لو أمرتكم فجمعتم من خياركم

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٦ ص ١٣٦.

(٢) سورة هود: آية ١٧.

(٣) شرح النهج، جـ ٦ ص ١٣٧.

(٤) شرح النهج، ص ٢٠ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ.

مائة، ثم لـو شئتُ لحدثتكم من غـدوَةٍ إلى أن تغيب الشمس، لا أخبرتكم إلاّ حقّاً، ثم لتخرجُنَّ فلتزعُمُنَّ إنّي أكذب النّاس وأفجرهم[1].

ومن إخباره بالغيب ما قالـه أبو جعفـر الإسكافي، روى الشّعبي عن أبي الطّفيل، قال: قال علي: يأتيكم من الكوفـة إثنا عشـر ألفاً من الـرّجال ورجـل واحد، فوالله لقعدتُ على نجفة ذي قـار، فأحصيتُهُمْ واحـداً واحداً فمـا زادوا رَجُلاً، ولا نقصوا واحداً[2].

ومِنْ إخبارِهِ بالغيب ما قاله المفيد في الإرشاد: وقال عليه السلام بذي قار وهو جالسٌ لأخذِ البيعـةِ: يأتيكم من قبـلِ الكوفـة ألف رجل لا يـزيدون رجـلاً ولا ينقصون رجلاً يبايعونني على الموت. قال ابن عبَّاس: فجزعتُ لـذلك وخفتُ أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدوا عليه، فيفسد الأمر علينا، ولم أزل مهموماً دأبي إحصـاء القـوم حتّى ورد أوائِلِهِم، فجعلتُ أحصيهم فـاستـوفيتُ عـدَدَهُمْ تسعمائة وتسعة وتسعينَ رجلاً، ثم انقطع مجيء القوم، فقلتُ: إنّا لله وإنّا إليـه راجعون! ما حمله على ما قال. فبينمـا أنا أفكّـر في ذلك إذ رأيتُ شخصـاً قد أقبل، وإذا هو أويس القرني، فَسُرّيَ واللّهِ عني آه[3].

ومن إخباره بالغيب قوله في خـطبة لـه يخبر بهـا عن الملاحم بـالبصرة، «ويلٌ لسكككم العامرة، والدّور المـزخرفـة التي لها أجنحـة كأجنحـة النّسور، وخراطيم كخراطيم الفيلة، من أولئك الّذين لا يُنْدَب قتيلهم ولا يُفْقَد غـائِبهم. أنا كابّ الدُّنيا لوجهها، وقادرها بقدرها، وناظرها بعينها[4].

وللدَّلالة على علمه بـالغيب عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم نسوق مـا أخرَجَـهُ نصر بن مزاحم في كتاب (صفّين) ص ١٥٨ ط مصر:

---

(١) شرح النهج أيضاً، وكذلك تاريخ الطبري، جـ ١ ص ٣١٧٣ و ٣١٧٤.
(٢) وكذلك شرح النّهج أيضاً.
(٣) حرب الجمل وحرب صفّين: للسيد محسن الأمين ط ١٩٦٩ م، دار الفكر.
(٤) شرح النهج، جـ ٨ ص ١٢٥.

عن سعيد بن حكيم العبسي، عن الحسن بن كثير، عن أبيه، أنّ عليّاً أتى كربلاء فوقفَ بها، فقيل: يا أمير المؤمنين، هذه كربلاء، قال: «ذات كرب وبلاء» ثم أومأ بيده إلى مكان، فقال: هاهنا موضِعُ رحالهم، ومناخ ركابهم. ثم أومأ بيده إلى موضع آخر، فقال: هاهنا مراق دمائهم[1].

وأخرج الحافظ أبو نعيم في (دلائل النُّبوّة) جـ٣ ص ٢١١، بالإسناد عن إصبغ بن نباتة، قال: أتينا مع علي موضع قبر الحسين، فقال: هاهنا مناخ ركابهم، وموضع رحالهم، ومهراق دمائهم، فتيَةٌ من آل محمّد يُقْتلُون بهذه العرصة، تبكي عليهم السّماء والأرض[2].

وروى الحسن بن كثير وعبد خير قالا: لمّا وصل عليّ ﷺ إلى كربلاء، وقف وبكى، وقال: بأبيه أُغَيْلمة يقتلون هاهنا، هذا مناخ ركابهم، هذا موضع رحالِهِمْ، هذا مصرَعُ الرَّجل. ثمَّ ازداد بكاؤه[3]. وذكر الحافظ الخطيب الخوارزمي في مقتل الحسين ﷺ ص ١٦٢ حديثاً، أخرجه الحافظ الطبراني عن شيبان، وكان عثمانيّاً، قال: إنّي لمع علي، إذ أتى كربلاء، فقال: في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء إلاّ شهداء بدر[4].

ذكر شيخ الإسلام الحاكم الجشمي أنّ أمير المؤمنين عليّاً ﷺ لمّا سار إلى صفّين، نزل بكربلاء، وقال لابن عبّاس: أتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا،

---

(١) ذكره ابن أبي الحديد في شرحه للنهج.

(٢) وذكره السُّيوطي في (الخصائص الكبرى)، جـ٢ ص ١٢٦، وابن كثير في (الوسيلة) عن الملا، والقرغولي في (جوهرة الكلام)، ص ١١٨ عن الملا، وعنه أيضاً ابن حجر في (الصواعق) ص ١١٥، وذكر الشّيخاني في (الصّراط السّوي)، ص ٩٤ بلفظ: هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم. وهاهنا مهراق دمائهم. فقال: رواه الملاّ في سيرته وابن الأخضر في معالم العترة.

(٣) وذكره أبو المظفَّر السّبط في (تذكرته)، ص ٢٦٠ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ، المطبعة العلميّة في النّجف.

(٤) أخرجه الحافظ الطّبراني في الجزء الأوّل من المعجم الكبير بإسنادٍ صحيح رجاله كلّهم ثقات، وذكره الحافظ الهيثمي وصحّحه.

قال: لو عرفتَها لبكيت بكائي، ثمّ بكى بكاءً شديداً، ثمّ قال: ما لي ولآل سفيان؟ ثمّ التفتَ إلى الحسين وقال: صبراً يا بنيَّ! فقد لقى أبوكَ منهم مثل الَّذِي تلقّى بعده.

وذكر أبو المظفّر سبط ابن الجوزي في (تذكرته) عن عمر بن سعد الَّذِي جهَّزه لقتال الحسين وقال زيادٌ له: أكفني هذا الرَّجل، وكانَ عمر يكره قتاله، فقال: أعفِني، فقال: لا أعفيك، وكان ابن زياد قد وَلّى عمر بن سعد الرّي وخوزستان فقال: قاتِلْهُ وإلاَّ عزلْتُكَ، فقال: أمهلني اللَّيلة، فأمهله، ففكَّر، فاختار ولاية الريّ على قتل الحسين، فلمَّا أصبح غدا عليه، فقال: أنا أقاتِلُهُ. قال محمَّد بن سيرين: وقد ظهرت كرامات علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا، فقد لقي عمر بن سعد يوماً وهو شابّ، فقال: ويحكَ يابن سعد! كيفَ بكَ إذا قمتَ يوماً مقاماً تُخَيَّر فيه بين الجنة والنّار، فتختار النّار[1].

ومن ذلك خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوا مَنْ عنده علم المنايا والبلايا والأنساب في الأصلاب، وفصل الخطاب[2].

وأخرجه ابنُ سعدٍ وغيره عن أبي الطُّفيل قال: قال عليه السلام: سلوني عن كتابِ اللَّهِ، فإنّه ليس من آيةٍ إلاّ وقد عرفتُ بليلٍ نزلَتْ، أم بنهار، في سهلٍ أم في جبل؟[3].

ومن إخباره بالغيب ما ذكره صاحب كتاب (الإرشاد) قائلًا: أخبرني أبو بكر محمّد بن المظفَّر البزّاز، قال: حدَّثنا أبو مالِك كُثَيّر بن يحيَى، قال: حدَّثنا أبو جعفر محمّد بن أبي السّريّ، قال: حَدَّثَنا أحمد بن عبدالله بن يونس، عن

---

(١) تذكرة ابن الجوزي، ص ٢٥٧ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ، المطبعة العلمية في النجف.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي.

(٣) إسعاف الرّاغبين: للشيخ محمّد الصَّبّان.

سعـد الكناني، عن الإصبغ بن نباتـة، قالَ: لمّـا بـويـع أميـر المؤمنين عليه السلام بالخلافـة خرج إلى المسجـد معتمّاً بعمـامة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لابساً بـردته، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وأنذر، ثم جلس متمكّناً، وشبـك بين أصابعه، ووضَعها أسفل سرَّتِهِ، ثم قال: يا معشـر النَّاس، سلوني قبـل أن تفقـدوني، سلوني، فإنّ عنـدي علم الأولين والآخـرين. أمـا والله لـو ثنيّ لي الـوسادة لحكمتُ بين أهـل التّوراة بتـوراتِهِم، وبين أهل الإنجيـل بـإنجيلهم، وبينَ أهل الزّبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتّى يُنْهَى كـلّ كتابٍ من هـذه الكتب ويقول: يـا ربِّ! إنّ عليّـاً قضى بقضـائِـك. واللّهِ! إنّي لأعلم بالقرآن وتأويله من كلّ مُدَّعٍ علمه، ولولا آية فِي كتـاب الله تعالى، لأخبـرتكم بمـا يكون إلى يـوم القيامـةً. ثم قال: سَلُوني قبـل أن تفقدوني. فـوالّذي فلق الحبَّة وبرأ النّسمـة، لو سـألتموني عن آيـةٍ آية لأخبـرتكم بوقت نـزولِها، وفيمَ أُنْزِلَتْ، وأنبأتُكُمْ بناسخها من منسوخِها، ومحكمها من متشابههـا. واللّهِ ما من فئةٍ تضلُّ أو تهدي إلاّ وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة(١).

ولو تصفّحنا الأحاديث النبويَّة الشّريفة لوجدنا أن التكلُّمَ بـالقرآن بـالرَّأي محظور «مَنْ قال في القرآن برأيه فأصـاب فقد أخـطأ» حديث شـريف. لذلـكَ قـال أبـو بكـر حين سُئِـلَ عن بعض الآيـات: أيّ سمـاءٍ تـظلّني، وأي أرضٍ تقلني، إذا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم؟. ولكنّ عليّـاً يختلف عن الآخرين، لأنـه أحاط علمـاً بالـدِّين وحقائقـه، والعقل ودقـائِقِـهِ، فقـال: سلوني قبـل أن تفقدوني. . . سلوني عن كتاب الله، فواللّهِ ما نزلَتْ آية من كتاب الله عزّ وجـلّ في ليل أو نهار ولا مسيرٍ أو مقام، إلاّ وقد أقرأنيهـا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلّمني تأويلها. فقال له قائِلٌ: «فما كان ينزل عليه، وأنتَ غائب؟» قالَ الإمـام: «كان يحفظ عليَّ ما كان ينـزل عليه من القـرآن، وأنا غـائبٌ عنه، حتّى أقـدم عليه، فيقـرئنيه، ويقـول لي: «يا عليُّ أنـزلَ الله عليَّ بعدكَ كـذا وكذا، وتـأويله كذا وكـذا» فيعلّمني تأويله وتنـزيله. . . فوالـذي برأ النسمـة لو سـألتموني عن آيـةٍ

(١) كتاب (الإرشاد): للمفيد، ص ١٥ ـ ١٦.

آيـة. . . . ناسخهـا ومنسـوخهـا، ومحكمهـا ومتشـابههـا، وتـأويلهـا وتنـزيلهـا لأخبرتكم. . . إلى آخره.

إذن فـلا بـدع أن يقـول الإمـام: «ذاك القـرآن الصَّـامِت، وأنـا القـرآن النَّاطِق» وأن نقول نحن: إنّ تـأويل الإمـام هو تـأويلُ النّبي الـذي نزل القـرآن على قلبه، وإن عقله عين الواقع واليقين القاطع[1].

ومن دلائِلِهِ إخبـاره عن انقراضِ ملك بني أميَّـة، ووقـوع الأمـر بمـوجب إخباره ﷺ. فمن قوله في بعض خُطَبه: «ولم يكن ليجترىءَ عليهـا غيري، ولو لم أكُ فيكم ما قـوتِلَ أصحـاب الجمل والنّهـروان. وَأيم الله لولا أن تتّكِلُوا فتـدعوا العمـل لحدَّثتكم بمـا قضى الله عـزّ وجَـلَّ على لسـان نبيّكم ﷺ: «لمن قاتَلَهم مبصِراً لضلالتهم، عارِفـاً للهدى الّـذي نحن فيه. سلوني قبـل أن تفقـدوني، فإنّي ميّت عن قـريب، أو مقتول، بـل قتـلا مـا ينتـظر أشقـاهـا أن يخضب هذهِ بدم». وضرب بيده إلى لحيته.

ومن إخبـارِهِ بالغيب مـا رواه عثمـان بن سعيـد، عن يحيَى التّيمِي، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجـاء، قال: قـام أعشى باهلة ـ وهـو غلامٌ يـومئذٍ حـدث ـ إلى علي ﷺ، وهـو يخـطبُ ويـذكـر المـلاحم، فقـال: يـا أميـر المؤمنين، مـا أشبَهَ هـذا الحديث بحـديثِ خرافـة!! فقـال علي ﷺ: وإنْ كنتَ آثِماً فيما قلتَ يا غلام، فـرماكَ الله بغـلام ثقيف، ثمَّ سكتَ، فقام رجـال فقـالوا: ومن غـلامُ ثقيف يا أميـر المؤمنين؟ قال: غـلامٌ يملك بلدتكم هذهِ لا يترك لله حرمةً إلاّ انتهكها، يضرب عنق هذا الغـلام بسيفِهِ. فقـالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغهـا. قالـوا: فَيُقْتَلُ قتـلاً أم يموت مـوتاً؟ قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يُثقَبُ سريره لكثرة ما يخرج من جوفه.

قال إسماعيل بن رجاء: فواللّهِ لقد رأيتُ بعيني أَعْشَى باهلة، وقدأُحْضِـرَ في جملـة الأسرى الّذين أُسِروا من جيش عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشْعَثْ

---

(١) راجع كتاب (علي والفلسفة): لمحمـد جواد مغنية، ص ١٣٧ ـ ١٣٨، ففيه الكفاية.

بين يـدي الحجّـاج، فقـرّعـه ووبّخـهُ، واستنشـدَهُ شعـرَهُ الّـذي يحـرِض فيـه عبد الرّحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس[1].

ومن إخبـارهِ أيضـاً مـا رواه أصحـاب السيـرة من طـرق مختلفَـةٍ أنّ الحجّاج بن يوسف الثّقفي قال ذاتَ يوم: أُحِبُّ أن أُصِيبَ رَجُـلاً من أصحاب أبي تراب، فأتقرَّب إلى الله بدمه، فقيل له: ما نعلمُ أحداً كان له أطولَ صحبةٍ من قنبر مولاه. فبعث في طلبه فأُتِيَ به، فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال: أبـو همدان؟ قـال: نعم، قال: مـولى علي بن أبي طالب؟ قـال: الله مولاي، وأمير المؤمنين علي وليّ نعمتي. قال: أبْرأ من دينه! قـال: فإذا بـرئْتُ من دينه تـدلّني على دينٍ غيره أفضـل منـه؟ قـال: إنّي قـاتِلُكَ، فـاختـر أيّ قتلةٍ أحبّ إليكَ؟ قال: قد صيّرتُ ذلك إليكَ، قـال: وَلِمَ؟ قال: لأنّـكَ لا تقتلني قتلَةً إلاّ قتلتُكَ مثلها، وَلقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنّ منيَّتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حَقّ. قال: فأُمِرَ به فَذُبِحَ[2].

ومن إخبـاره أيضـاً مـا رواه محمـد بن علي الصَّـوَّاف، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه، عن شمير بن سدير الأزدي، قال: قال علي عليه السلام لعمرو بن الحمق الخُزاعي: أين نزلتَ يا عمرو؟ قال: في قومي. قـال: لا تنزلَنّ فيهم، قال: فأنزِلَ في بني كنانة جيراننا؟ قال: لا، قال: فأنْزِلَ في ثقيفٍ؟ قال: فمـا تصنع بالمعرَّةِ والمجرَّة؟ قال: وما هما؟ قال: عنقان من نار، يخرجان من ظهر الكوفة، يأتي أحدهما على تميم وبكر بن وائِل، فقلّما يفلتُ منـه أحد، ويـأتي العنق الآخر، فيأخـذ على الجانب الآخـر من الكوفـة، فقلَّ من يصيب منهم، إنّما يدخل الدّار فيحرق البيت والبيتين. قال: فقال قومٌ حضـروا هذا الكـلام: مـا نراهُ إلاّ كـاهِناً يتحدَّث بحديث الكهنـة. فقال: يـا عمـرو، إنّـكَ لمقتـول بعدي، وإنّ رأسكَ لمنقول، وهو أوَّل رأس يُنْقَلُ في الإسلام. والويل لقاتِلِكَ!

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٢ ص ٢٨٩.
(٢) الإرشاد: للمفيد، ص ١٥٥.

أمّا إنّكَ لا تنزِلُ بقومٍ إلاّ أسلموكَ برمَّتِكَ، إلاّ هذا الحيّ من بني عمرو بن عامر من الأزد، فإنَّهم لن يسلموك ولن يخذلوكَ. قال: فواللّهِ ما مضَتِ الأيَّامُ حتّى تنقَّلَ عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب، خائِفاً مذعوراً، حتّى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه، فقُتِلَ وَحُمِلَ رأسه من العراق إلى معاوية بالشّام. وَهُوَ أوّل رأسٍ حُمِلَ في الإسلام من بلدٍ إلى بلد(١).

ومن إخباره أيضاً ما رواه جرير بن المغيرة، قال: لمّا وُلّيَ الحجاج طلب كميل بن زياد، فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلمّا رَأى كُمَيْل ذلكَ، قال: أنا شيخ كبير، وقد نفد عمري، ولا ينبغي أن أحرم قومي عطاءهم، فخرج، فدفع بيدهِ إلى الحجّاج، فلمّا رآهُ قال له: لقد كنتُ أحبُّ أن أجدَ عليكَ سبيلاً. فقال له كميل: لا تُصَرّف عليَّ أنيابَكَ، ولا تهدم عليَّ، فوالله ما بقي من عمري إلاّ مثل كواسل الغبار، فاقضِ ما أنت قاضٍ، فإنّ الموعد لله، وَبعد القتل الحساب. ولقد أخبرني أميرُ المؤمنين عليه السلام أنّك قاتِلي، قالَ: فقال له الحجّاجُ: الحجّة عليكَ إذن، فقال له كميل: ذاكَ إذا كان القضاء إليكَ، قال: بلى قد كنتَ فيمن قتل عثمان بن عفان، اضربوا عنقه، فضربت عنقه(٢).

ومن إخباره أيضاً ما رواهُ إبراهيم بن ميمون الأزدي عن حبَّة العرني، قال: كان جويرية بن مسهر العبدي صالِحاً، وكان لعلي بن أبي طالب صديقاً، وكان علي يحبّه، ونظر يوماً إليه وهو يسير، فناداه يا جويريَّة إلحَقْ بي، فإنّي إذا رأيتك هويتُكَ، قال إسماعيل بن أبان: فحدثني الصَّباح، عن مسلم، عن حبّة العرني، قال: سرنا مع علي عليه السلام يوماً، فالتفتَ فإذا جويرية خلفه بعيداً، فناداهُ يا جويرية، إلحَقْ بي، لا أبالك! ألا تعلمُ أنّي أهواكَ وأحبُّك! قال: فركض نحوه، فقال له: إنّي محدّثُكَ بأمور فاحفظها، ثم اشتركا في الحديث

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩٠.
(٢) الإرشاد: للمفيد، ص ١٥٥.

سِرّاً، فقال له جويريَّة: يا أمير المؤمنين، إنّي رجلٌ نسيٌّ، فقال لـه: إنّي أعيدُ عليكَ الحديث لتحفظه، ثم قال له في آخر حديثه إيّاه: يا جويرة أحبب حبيبَنا ما أحبَّنا، فإذا أبغضنا فأبغضه، وابغض بغيضَنا ما أبغضنا، فإذا أحبَّنا فأحبَّه.

قال: فكان ناسٌ ممّن يشكّ في أمر علي عليه السلام يقولون: أتُرَاهُ جَعَلَ جويريّة وصيَّهُ كما يدَّعي هو من وصيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: يقولون ذلك لشدَّة اختصاصه له، حتّى دخل على علي عليه السلام يوماً، وهو مضطجعٌ، وعنده قومٌ من أصحابه، فناداهُ جويريَّة: أيّها النّائم، استيقظ، فلتضربَنّ على رأسِكَ ضربة تخضب منها لحيتك، قال: فتبسَّمَ أمير المؤمنين عليه السلام، قال: وأُحدّثُكَ يا ججويريَّة بأمرِكَ؟ أمَا والّذي نفسي بيدِهِ لَتُعْتَلَنَّ إلى العُتُلّ الزّنيم، فليقطعنَّ يدكَ ورجلك، وليصلبنَّكَ تحت جذع كافِر. قال: فواللّهِ ما مضَتِ الأيام على ذلكَ حتّى أخذ زياد جويريَّة، فقطع يده ورجله وصلبَهُ إلى جانب جذع ابن مكعبر، وكان جذعاً طويلاً، فصلبَهُ على جذع قصير إلى جانبه[1].

ومن إخباره أيضاً ما رواهُ إبراهيم في كتاب (الغارات) عن أحمد بن الحسن الميثمي، قالَ: كان ميثم التَّمّار مولى علي بن أبي طالب عليه السلام عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه علي عليه السلام منها وأعتقَهُ، وقال له: ما إسمك؟ فقال: سالِم، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني أنّ إسمَكَ الذي سمّاكَ به أبوك في العجم «ميثم». فقال: صدق الله ورسوله، وصدقتَ يا أمير المؤمنين. فهو واللّهِ إسمي. قال: فارجع إلى إسمك، ودع سالماً، فنحن نكنّيك به، فكنّاهُ أبا سالِم. قال: وقد كان أطلعه عَلِيٌّ عليه السلام على علمٍ كثير، وأسرارٍ خفيّة من أسرار الوصيَّة. فكان ميثم يحدّث ببعض ذلك، فيشكّ فيه قومٌ من أهل الكوفة، وينسبون عليّاً عليه السلام في ذلكَ إلى المخرقة والإيهام والتّدليس، حتّى قال له يوماً بمحضرٍ من خلقٍ كثير من أصحابه، وفيهم الشّاك

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٢ ص ١٩٠ ـ ١٩١، وذكر في الإرشاد للمفيد بإيجاز أكثر.

والمخلص: يا ميثم، إنكَ تؤخذُ بعدي وتُصْلَب، فإذا كان اليوم الثَّانِي ابتدر منخراكَ وفمُكَ دَماً، حتّى تخضب لحيتُكَ، فإذا كان اليوم الثَّالث طُعِنْتَ بحربةٍ يُقْضَى عليكَ، فانتظر ذلك. والموضع الذي تصلب فيه على باب دار عمرو بن حُرَيْث، إنَّكَ لعاشر عشرةٍ أنت أقصرهم خشبَةً، وأقربهم من المطهَّرة ـ يعني الأرض ـ ولأرينَّكَ النّخلة الّتي تصلب على جزعها، ثم أراهُ إياها بعد ذلك بيومين. وكان ميثم يأتيها، فيصلّي عندها، وَيقول: بوركتِ من نخلةٍ، لكِ خُلِقْتُ، ولي نَبَتِّ، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي ﷺ حتّى قُطعت، فكان يرصد جذعها، ويتعاهده وَيتردَّد إليه، ويبصره، وكان يلقى عمرو بن حريث، فيقول له: إنّي مجاوِرُكَ فأحسِنْ جواري، فلا يعلم عمرو ما يريد، فيقول له: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود، أم دار ابن حكيم؟

قال: وحجّ في السَّنَةِ التي قُتِلَ فيها، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها، فقالت له: من أنتَ؟ قال: عراقي، فاستنسبته، فذكر لها أنه مولى علي بن أبي طالب. فقالت: أنت هيثم، قال: بل أنا ميثم، فقالتْ: سبحان الله! واللّهِ لربَّما سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يوصي بكَ عليّاً في جوف اللّيل، فسألها عن الحسين بن علي، فقالت: هو في حائط له[1]. قال: أخبريه أنّي قد أحببتُ السّلام عليه، ونحن ملتقون عند ربّ العالمين، إن شاءَ الله، ولا أقدر اليوم على لقائِهِ، وأريد الرُّجوع، فدعَتْ بطيبٍ، فطيَّبَتْ لحيته، فقال لها: أما إنّها ستخضّب بدم، فقالت: من أنباكَ هذا؟ قال: أنبأني سيِّدي. فبكت أم سلمة، وقالت له: إنّه ليس سيّدك وحدك، وهو سيّدي وَسيّد المرسلين، ثمَّ ودَّعته.

فقدم الكوفة، فأُخِذَ وأُدخِلَ على عبيد الله بن زياد. وقيل له: هذا كان من آثر النّاس عند أبي تراب، قال: ويحكم هذا الأعجمي؟! قالوا: نعم، فقال له عبيدُالله: أين ربُّك؟ قال: بالمرصاد، قال: قد بلغَني اختصاص أبي تراب لك. قال: قد كان بعض ذلك، فما تريد؟ قال: وإنّه ليقال أنّه قد أخبرَكَ

---

(١) الحائط: البستان.

بما سيلقاك، قال: أخبرني أنَّكَ تصلبني عاشِرَ عشرةٍ وأنا أقصرُهُمْ خشبةً، وأقربهم من المطهَّرة. قال: لأخالفنَّه، قال: ويحكَ! كيف تخالِفُه؟ إنّما أخبر عن رسول الله ﷺ، وأخبر رسولُ اللّهِ عن جبرائيل، وأخبر جبرائيل عن اللّهِ، فكيفَ تخالف هؤلاء؟ أمَا واللّهِ لقد عرفتُ الموضع الَّذي أُصلَبُ فيه أين هو من الكوفة؟ وإنّي لأوَّل خلق الله ألجم في الإسلام بلجامٍ كما يلجم الخيل. فحبَسَهُ وحُبِسَ معه المختار بن أبي عبيد الثقفي، فقال ميثمُ للمختار، وهما في حبس ابن زياد: إنَّكَ تفلَتُ وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام، فتقتل هذا الجبّار الّذي نحن في سجنه، وتطأ بقدمكَ هذا على جبهتِهِ وخدّيه. فلمّا دعا عبيدالله بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد بكتاب يَزيد بن معاوية إلى عبيدالله بن زِياد يأمُرُهُ بتخلية سبيله، وذاكَ أنّ أخته كانت تحت عبدالله بن عمر بن الخطّاب، فسألت بعلها أن يشفع فيه إلى يزيد، فشفَعَ، فأمضى شفاعته، وكتب بتخلية سبيل المختار على البريد، فوافى البريد، وقد أخرج ليضرب عنقه، فأُطلِقَ. وأمّا ميثم فأخرج بعدَهُ ليُصْلَبَ. وقال عبيدالله: لأمضيَنَّ حكم أبي تراب فيه. فلقِيه رجُلٌ، فقال له: ما كان أغناكَ عن هذا يا ميثم! فتبسَّمَ، وقال: لها خلقتُ ولي غُذّيَتْ، فلمّا رُفِعَ على الخشبة اجتمع النّاس حوله على باب عمرو بن حريث، فقال عمرو: لقد كان يقول لي: إنّي مجاوِرُكَ، فكانَ يأمر جاريته كلّ عشيَّةٍ أن تكنّس تحت خشبتِهِ وترشّه، وتجمّر بالمجمرة تحته. فجعل ميثم يحدّث بفضائل بني هاشِم، ومخازي بني أميَّة، وهو مصلوبٌ على الخشبَةِ، فقيل لابن زياد: قد فضَحكُمْ هذا العبد. فقال: ألجموه، فأُلْجِمَ، فكان أوّل خلق اللّهِ أُلجِمَ في الإسلام. فلما كان في اليوم الثّاني فاضت منخراهُ وفمه دَماً، فلمّا كان في اليوم الثّالث طُعِنَ بحربة فمات.

وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيّام(١).

ومن إخبارِهِ أيضاً عليه السلام، ما ذكرَهُ إبراهيم بن العبّاس النّهدي، قال:

---

(١) الإرشاد: للمفيد، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ ١٥٤، وشرح النهج، جـ ٢ ص ٢٩١ حتى ٢٩٤.

حدَّثني مبارك البجلي، عن أبي بكر بن عيَّاش، قال: حدَّثني المجالد عن الشَّعبي، عن زياد بن النَّضر الحارثي، قالَ: كنتُ عند زياد، وقد أتى برشيد الهجري، وكان من خواص أصحاب علي ﷺ، فقال له زياد: ما قال خليلُكَ لكَ أنّا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يديَّ وَرجليَّ، وتصلبونني. فقال زياد: أمَا واللَّهِ لأكذّبنَّ حديثه. خلّوا سبيلَهُ، فلمَّا أراد أن يخرج قال: ردُّوه، لا نجدُ شيئاً أصلحَ ممّا قالَ لك صاحِبُكَ، إنّك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيتَ، اقطعوا يديه ورجليه، فقطعوا يديه ورجليه وهو يتكلّم، فقال: اصلبوهُ خنقاً في عنقه، فقال رشيدٌ: قد بقي لي عندكم شيءٌ ما أراكم فعلتموه، فقال زياد: اقطعوا لسانه، فلمّا أخرجوا لسانه ليُقْطَعَ قال: نَفّسوا عَنّي أتكلّم كلمةً واحدةً، فنفَّسوا عنه، فقال: هذا واللَّهِ تصديق خبر أمير المؤمنين، أخبرَني بقطع لساني، فقطعوا لسانه وصلبوهُ[1].

ومن إخبارِهِ أيضاً ﷺ ما رواهُ أبو داوود الطَّيالسي، عن سليمان بن رُزَيق، عن عبد العزيز بن صُهَيْب، قال: حدّثني أبي العالية، قال: حدَّثني زرعة صاحب علي بن أبي طالب ﷺ أنّه قال: ليقبلَنَّ جيشٌ حتّى إذا كانوا بالبيداء خُسِفَ بهم. قال أبو العالية: فقلتُ له: إنَّكَ لتحدثني بالغيب! احفَظْ ما أقوله لكَ، فإنّما حدَّثني به الثّقة علي بن أبي طالب. وحدَّثني أيضاً شيئاً آخر: رجلٍ فليقتلَنَّ وليصلبنّ وليصلبنّج بين شرفتين من شرف المسجد، فقلتُ له: إنَّكَ لتحدّثني بالغيب! قال أبو العالية: فواللَّهِ ما أتَتْ علينا جُمعة، حتّى أُخِذَ مزرع، فقُتِلَ وصُلِب بين شرفتين مِنْ شُرَفِ المسجد[2].

ومن إخبارِهِ أيضاً ﷺ ما رواهُ محمَّد بن موسى العَنَزي، قال: كان مالِك بن ضَمْرَةَ الرّؤاسي من أصحاب علي ﷺ، وممن استبطَنَ من جهته علماً كثيراً، وكان أيضاً قد صحب أبا ذَرّ، فأخذَ من علمه، وكان يقول في أيام بني أميّة: اللهمّ لا تجعلْني أشقى الثلاثة، فيقالُ له: وما الثّلاثة؟ فيقول: رجلٌ

---

(١) الإرشاد: للمفيد، ص ١٥٤، وشرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ٢ ص ٢٩٤.
(٢) الإرشاد: للمفيد، ص ١٥٤، وشرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ٢ ص ٢٩٤.

يُرْمَى من فوق طمار، ورجلٌ تقطَعُ يداه ورجلاهُ ولسانه ويُصْلَب، ورجلٌ يموت على فراشه. فكان من النَّاس من يهزأ به، ويقول: هذا من أكاذيب أبي تُراب.

قال: وكان الَّذي رُمِيَ من طِمارها هانىء بن عروة، والذي قُطِعَ وصُلِبَ رشيد الهجري، ومات مالك على فراشه(١).

ومن إخباره بالغيب ﷺ، ما رواه أبو الفرج الأصبهاني في كتاب (مقاتِل الطّالبيِّين) قال: حدَّثني محمّد بن الحسين الأشنانديّ، قال: حدَّثني إسماعيل بن موسى، قال: حدَّثنا علي بن مسهر عن الأجلح، عن موسى بن أبي النّعمان، قالَ: جاء الأشعَثُ إلى علي يستأذن عليه، فردّه قنبر، فأدمى الأشعثُ أنفه، فخرجَ علي وهو يقول: ما لي ولك يا أشعث! أمَا واللّهِ لو بعبد ثقيفٍ تمرَّسَتْ لاقشعَرَّتْ شعيراتَكَ! قيل: يا أمير المؤمنين، ومن عبد ثقيف؟ قال: غلامٌ لهم لا يبقى أهل بيتٍ من العرب إلاَّ أدخلهم ذلاًّ، قيل: يا أمير المؤمنين: كم يلي ـ أو كم يمكث؟ قال: عشرينَ إن بَلَغَها(٢).

ومن إخباره أيضاً ﷺ ما أشار في خطبة له إلى عبد الملك بن مروان، وظهور الدَّولة العبَّاسيَّة.

فوالَّذِي فلق الحبّة وبرأ النّسمة إنّ الّذي أُنبئكم به عن النّبِي الأمّيّ ﷺ واللّهِ ما كذب المبلّغ، ولا جهل السّامع، لَكَأنّي أنظرُ إلى ضلّيلٍ قد نعق بالشّامِ، وفحص براياته في ضواحي كوفان... إلخ. فهذا الضّلّيل هو عبد الملك.

ومن إخباره أيضاً ﷺ قوله لبني أميّة: فأقسِمُ ثم أُقْسِمُ لتنخمُّنها أميَّة من بعدي كما تُلْفَظُ النّخامة. ثمَّ لا تذوقها وتطعم بطعمها أبداً ما كرَّ الجديدان.

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٢ ص ٢٩٥.
(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٢ ص ٢٩٥.

وكـذلك أشـار في خطبةٍ أُخـرى إلى أنّ مُلْكَ بني أُمّيـة سينتـزع منهم، كقوله ﷺ : «وهو الله الّذِي لا يعجزُهُ من طلب، ولا يفوته من هرب. فأُقسِمُ بـاللّهِ، يا بني أميَّـة عمّا قليـلٍ لتعرفنّهـا في أيدي غيـركم، وفي دار عدوّكم». وفعلاً وقع الأمر كما أخبر ﷺ .

ومن إخباره أيضاً ﷺ قـوله لمـروان بن الحكم بالبصـرة: قالـوا: أُخِذَ مـروان بن الحكم أسيراً يـوم الجمل، فـاستشفـع الحسن والحسين ﷺ إلى أمير المؤمنين، فكلّماهُ فيه، فخلّى سبيله، فقالا له: يبايعُـكَ يا أميـر المؤمنين؟ قال: «أو لم يبايعني بعد قتل عثمان! لا حاجة لي في بيعته. إنّها كفٌّ يهوديّة، لو بايعني بيده لَغَدَرَ بسبَّتِهِ أمَا وأنَّ له أمرَةً كلعقـة الكلب أنفه، وهـو أبو الأكبش الأربعة. وستلقي الأمَّة منه ومن ولدِهِ يوماً أحمر».

فمروان كانت مدة خلافته تسعة أشهر، والأكبش الأربعة الوليد وسليمـان ويزيد وهشام، وهم أخوة. وكلّ ما أخبرَ به أميرُ المؤمنين ﷺ في هذا الكلام وقع، كما أخبر به. وكذلك قوله: «ويحمل رايةَ ضلالَةٍ بعدما يشيبُ صدغاه». وفعلاً ولي الخلافة وهو ابن خمسةً وستين في أعدل الرّوايات[1].

---

(١) ومروان أبوه الحكم نفاه رسول الله ﷺ، وسبب نفيه كان يتحيّلُ ويستخفي ويسمع مـا يَسُرُّه الـرّسول ويفشيـه هو. وقيـل: كان يتجسَّسُ على الـرّسول ﷺ وهـو عنـد نسـائِهِ، ويستـرق السّمع، ويصغي إلى مـا يجري هنـاكَ ممّا لا يجـوز الاطّلاع عليـه. وقيل: كان يحكيه في مشيَتِهِ وبعض حركاتِهِ. فكان إذا مشى النّبي ﷺ يتكفّأُ وكان الحكم يحكيه. فالتفتَ الـرّسول يـوماً فـرآه يمشي خلفه يحكيـه في مشيَتِهِ، فقـال له: كـذلـك فلتكُنْ يـا حكم. فكـان الحكم مختلِجاً يـرتعش من يـومئـذٍ. فـذكـر ذلـك عبد الرّحمن بن حسّان بن ثابت: «إنّ اللّعين أباكَ فارْمِ عظامه ـ إنْ تَـرْمِ ترمِ مخلّجاً مجنوناً». قـال صاحب (الاستيعـاب): أمّا قـول عبد الـرّحمن: «إنَّ اللّعِينَ أباك» فـإنّه روى عن عائشة من طرقٍ ذكرها ابن أبي خيثمة وَغيـره أنّها قـالت لمروان: إذ قـال في أخيها عبد الرّحمن أنّه أنزلَ فيه: «والّذي قالَ لوالديه أفٍ لكما أتعدانني أن أخرج وقـد خلت القرون من بعدي وهما يستغيثان الله ويلك آمِنْ إنَّ وَعَدَ اللّهِ حق فيقول: مـا هذا إلاّ أساطير الأوّلين». أمّا أنت يامروان فاشهد أن رسول الله ﷺ لعِنَ أبـاك وأنت في صلبـه. راجع الاستيعـاب وابن الأثير في النّهـاية وابن أبي الحـديد في شـرح النهج، جـ ٦ ص ١٤٨ حتى ١٥٠.

ومن إخباره أيضاً عليه السلام قولَه لمروان بن الحكم يوم الجمل، وقد بـايعه: خفتَ يابن الحكم أن ترى رأسك في هذه البقعة؟ كلّا! لا يكـون ذلكَ حتّى يكون من صلبكَ طواغيت هذه الأمة[1].

ومن إخباره أيضاً عليه السلام قوله في خطبة التَّطنجيَّة: «ولقـد علمتُ ما فـوق الفـردوس الأعلى، وما تحت الأرض السَّـابعة السُّفلى، ومـا بينَهمـا ومـا تحت الثَّرى. كلّ ذلِكَ علمُ إحاطـةٍ لا علم إخبار. ولو شئتم لأخبـرتكم بآبـائِكم أين كانوا؟ وأين صـاروا اليومَ، ومـا صاروا إليـه، فكم من آكلٍ منكم لحم أخيـه، وشاربٍ برأس أبيه، وهو يشتاقه ويرتجيه. وأيم اللّهِ، لقد كررتم كرَّاتٍ وكم من كرَّةٍ وكرة من آية وآيات»[2].

ومن إخباره بالغيب أيضاً عليه السلام قوله: «أمّا إنه سيظهر عليكم بعدي رجُلٌ رحب البلعوم، مندحق البطن (بارزهـا)، يأكـل ما يجـد، وَيطلُبُ مـا لا يجد، فاقتلوه، ولن تقتلوه. ألا إنّه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي. فأمّا السَّبُّ فسبُّوني، فـإنّه لي زكـاة ولكم نجاة، وأمّـا البراءة فـلا تتبـرَّؤوا منّي، فـإنّي ولِـدْتُ على الفطرة، وسبقتُ إلى الإيمان والهجرة[3].

ومن إخباره بالغيب عليه السلام ما رواه الحارث الهمداني، قالَ: كنّـا بحضرة أميـر المؤمنين عليه السلام فقـال للوشّـاء: ادنُ منّي، فـدنـا منـه، فقـال: إمض إلى

---

(١) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٩١.

(٢) نفس المصدر: للبرسي.

(٣) المقصود هنا بهذا الرَّجـل معاويـة، والبعض قالـوا: زياد، والبعض قـالوا: الحجّـاج. ومنهم من قال: المغيرة بن شعبة. والأصحّ ـ كما يرى ابن أبي الحديد ـ معاوية، لأنّـه كان موصوفاً بالنَّهم وكثرة الأكل، وكان بطيناً، وكـان يأكـل فيكثر، ثم يقـول: ارفعوا، فـواللّهِ ما شبعت ولكن مللتُ وَتعبت. تـظافرت الأخبـار أنّ الرَّسـول صلى الله عليه وآله وسلم دعا على معاوية، لما بعث إليه يستدعيه، فوجده يأكل، ثم بعثَ إليه فوجده يأكل، فقال: اللهمَّ لا تشبع بطنه. وقال الشاعر: وصـاحب لي بطنـه كالهـاوية كـأنّ في أحشائـه ومن أراد المزيد فليراجع شرح النّهج لابن أبي الحديد، جـ ٤ ص ٥٤ ـ ٥٥.

محلَّتِكم تجد رجلاً وامرأة على باب المسجد يتنازعانِ، فأتني بهما، فمضى فوجدهما يتخاصمان. فقلتُ: إنّ أمير المؤمنين يدعوكما فحضرا. فقال: يا فتى ما شأنُكَ وهذه المرأة؟ قال: عقدتُ وأمهرتُ وزففتُ وملكتُ، وكلّما قربتُ منها رأيتُ الدّم، وقد حرتُ في أمري. فقال: هي عليك حرامٌ وليستْ لكَ بأهل، والتفتَ إلى المرأة وَقال ﷺ : هل تعرفينني؟ قالت: أسمَعُ بذكركَ ولم أرَكَ قبل اليوم. فقال: أنتِ فلانة بنت فلانة من آل فلان!! قالت: بلى، قال: ألم تتزوّجي بفلان بن فلان سرّاً عن أهلِكِ، فحملْتِ منه ووضعْتِ ذكراً سوِيّاً، ثم خشيتِ الفضيحَةَ، فخرجتِ ليلاً حتّى وصلتِ إلى موضع خالٍ فوضعتِهِ إلى الأرض، ثم وقفتِ فخفتِ عليه، ثمَّ عُدْتِ، فأخْذتِه، ثم طرحته ثانياً، فبكى، فخشيتِ الفَضيحَةَ، ثم نبحتْكِ الكلاب، فهَرْوَلْتِ، فانفرد كلبٌ وجاء لولدِكِ، وشمَّه ثم نهشَهُ، فرمَيْتِ الكلبَ حجراً إشفاقاً، فجاء بولدكِ، فصاحَ، ثم خشيتِ أن يدركَكِ الصَّباح فولّيتِ منصرفَةً، وفي قلبكِ ما فيه من البلابل. فرفعتِ يديكِ إلى السَّمَاءِ وقلتِ: اللهمّ احفظه يا حافظ الودائع! قالت: بلى، والله قد كان ذلكَ كلّه وقد تحيّرْت في قولكَ! فقال ﷺ للفتى: اكشُفْ عن جبينكَ، فكشَّفَ، فقال للمرأة: هذه هي الشَّجَّة في قرن ولدِكِ، وهذا الولد ولدُكِ، والله تعالى منعه من وطئِكِ بالآية الّتي صَدَّته عنكِ، والله قد حفظه لكِ كما سألتِهِ، فاشكري الله على ما أولاكِ وحباكِ.

ومن إخباره بالغيب أيضاً ﷺ ما رواه المدائِني في كتاب (الخوارج) قال: لمّا خرج عليّ ﷺ إلى أهلِ النّهر أقبل رجل من أصحابه ممَّنْ كان على مقدِّمتِهِ يركض، حتّى انتهى إلى علي ﷺ ، فقال: البشرى يا أمير المؤمنين، قال: ما بشراك؟ قال: إنّ القوم عبروا النّهر لمّا بلغهم وصولُكَ، فأبْشِرْ، فقد منحك الله أكتافهم، فقال له: آللّه أنت رأيتهم قد عبروا! قال: نعم، فأحْلَفَهُ ثلاث مرّاتٍ، في كلّها يقول: نعم، فقالَ علي ﷺ : واللّهِ ما عبروه ولن يعبروه، وإنّ مصارعهم لدون النّطفة، والّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة، لن يبلغوا إلاّ ثلاث ولا قَصْرَ بوازن، حتّى يقتلهم الله وقد خابَ من افترى. قال: ثم أقبل فارس آخر يركض، فقال كقول الأوّل، فلم يكترث عليّ

عليه السلام بقوله: وجاءت الفرسان تركض كلّها تقول مثل ذلكَ. فقام عليٌ عليه السلام فجال في متنِ فرسه. قال: فيقول شابٌ من النّاس[1]: واللّهِ لأكونَنَّ قريباً منه، فإن كانوا عبروا النّهر لأجعلَنَّ سنان هذا الرّمح في عينه، أيّدعي علم الغيب؟! فلمّا انتهى من النّهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم، وحكّموا تحكيمةً واحدة بصوتٍ عظيم له زجل. فنزل ذلك الشّاب، فقال: يا أمير المؤمنين إنّي كنتُ شككتُ فيكَ آنِفاً، وإنّي تائب إلى اللّهِ وإليكَ، فاغفر لي. فقال علي عليه السلام : إنّ الله هو الذي يغفر الذّنوب فاستغفره[2].

وذكر أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد في (الكامل) قالَ: لما واقَفَهُم علي عليه السلام بالنّهروان، قال: لا تبدؤوهم بقتالٍ حتّى يبدؤوكم، فحمل منهم رجلٌ على صفّ علي عليه السلام فقتل منهم ثلاثة، ثم قال:

أقتلهم ولا أرى عليّاً ولو بدا أوجرته الخطّيّا

فخرج إليه علي عليه السلام فضربه، فقتله، فلمّا خالطه السّيف قال: يا حبذا الرّوحة إلى الجنّةِ! فقال عبدالله بن وهب: واللّهِ ما أدري إلى الجنّةِ أم إلى النّار؟ فقال رجلٌ منهم من بني سعد: إنّما حضرت اغتراراً بهذا الرّجل - يعني عبدالله - وأراهُ قد شكَّ واعتزل عن الحرب بجماعة من النّاس، ومال ألفٌ منهم إلى جهة أبي أيوب الأنصاري، وكان على ميمنة علي عليه السلام ، فقال علي

---

(١) صاحب كتاب (الإرشاد) يسمّي هذا الشّاب بأنه جندب بن عبدالله الأزدي ويسرد الخبر بنفس المعنى، ولكنّ هذا الشّاب - بعد أن كذّب أمير المؤمنين المخبرين - قال في نفسِهِ: الحمد للّهِ الّذي بصّرني هذا الرّجل وعرّفني أمره، هذا أحد رجلين: إمّا رجل كذّاب جريء أو علي بينةٍ من ربّه، وعهدٍ من نبيّهِ. اللهمَّ إني أعطيك عهداً تُسْئِلُني عنه يوم القيامة إن أنا وجدت القوم قد عَبَروا أن أكونَ أوّلَ من يقاتله، وأول من يطعن بالرّمح في عينه، وإن كان القوم لم يعبروا أن أقيم على المناجزة والقتال، فدفعنا إلى الصفوف فوجدنا الرّايات والأثقال كما هي. قال: فأخذ بقفائي ودفعني، ثم قال: يا أخا الأزد تبيَّن لك الأمر؟ قلت: أجل يا أمير المؤمنين.. إلخ.

(٢) شرح النّهج، جـ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٢.

ﷺ لأصحابه: احملوا عليهم، فوالله لا يُقْتَل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة. فحمل عليهم فطحنهم طحناً. قُتِلَ من أصحابه ﷺ تسعة، وأفلت من الخوارج ثمانية[1].

وروى العوام بن حوشب عن أبيه عن جده يزيد بن رويم، قال: قال علي ﷺ : نقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج، أحدهم ذو الثدية، فلمّا طُحِنَ القومُ ورام استخراج ذي الثديَّة، فاتبعه، فأمرني أنْ أقطع له أربعة آلاف قصبة، وركب بغلة رسولِ اللّهِ ﷺ، وَقال: اطرَحْ على كلّ قتيلٍ منهم قصبَةً، فلم أزل كذلك وأنا بينَ يديه، وهو راكبٌ خلفي، والنّجاس يتبعونه حتّى بقيَتْ في يدي واحدة، فنظَرْتُ إليه وإذا وجهه آرْبَدٌ، وإذا هو يقول؛ واللّهِ ما كذبْتُ ولا كُذِّبْتُ، فإذا خرير ماءٍ عند موضع دالية. فقال: فَتِّشْ هذا، ففتَّشْتُهُ، فإذا قتيلٌ قد صار في الماء، وإذا رجله في يدي، فجذبتُها، وقلتُ: هذه رجل إنسان، فنزل عن البغلة مسرعاً، فجذبَ الرّجل الأخرى، وجررناه حتّى صار على التّراب، فإذا هُوَ المخدَّج. فكبَّر علي ﷺ بأعلى صوتِهِ، ثمَّ سجد، وكبّر النّاس كلّهم[2] .

وسبب تكبير علي وسجوده، أنّ النّبي ﷺ قال: «ذو الثّدية شرّ الخلق والبريَّة يقتله خير الخلق والبريَّة». ففي مسندِ أحمد بن حنبل، عن مسروق، قال: قالَتْ لي عائشة: إنَّكَ مِن ولدي ومن أحبّهم إليَّ، فهل عندكَ علمٌ من المخدج؟[3] فقلتُ: نعم، قتلهُ علي بن أبي طالب على نهرٍ يقال لأعلاهُ تامِراً، ولأسفله النَّهروان. قالت: أبغني على ذلك بيّنَةً! فأقمتُ رجالاً شهدوا عندها بذلك. قال: فقلتُ لها: سألْتُكِ بصاحب القبر ما الّذي سمعت من رسول اللّهِ ﷺ فيهم؟ فقالت: نعم، سمعته يقول: إنّهم شرّ الخلق وَالخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند اللّهِ وسيلة.

---

(١) الكامل: للمبرّد وشرح النهج لابن أبي الحديد، جـ٣ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد، جـ٢ ص ٢٧٧.
(٣) المخدج اليد إحدى يديه كأنها ثدي امرأة.

وفي كتاب (صفّين) للمدائني عن مسروق أن عائشة قالت له لمّا عرفَتْ أنّ عليّاً قتل ذا الثّدية: لعن الله عمرو بن العاص! فإنّه كتب إليَّ يخبرني أنه قتله بالإسكندريَّة، ألا إنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسولِ الله ﷺ يقول: «يقتله خير أُمّتي من بعدي».

ومن إخباره أيضاً ﷺ لمّا قتل الخوارج قيل له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم، فقال: كلاّ. واللّهِ إنّهم نطفٌ في أصلاب الرّجال وقرارات النّساء، كلّما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخِرهم لصوصاً سلاّبين[1].

ومن إخباره أيضاً ﷺ ما رواهُ قيس بن الرَّبيع، عن يَحْيَى بن هانيء المرادي، عن رجل من قومه، يقال له زياد بن فلان، قال: كنّا في بيتٍ مع علي ﷺ نحن وشيعته وخواصه، فالتفَتَ فلم ينكر منّا أحداً، فقال: إنّ هؤلاء القوم سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم، ويسملون أعينكُمْ. فقال رجلٌ منّا: وأنتَ حَيّ يا أمير المؤمنين؟ قال: أعاذني الله من ذلك. فالتفَتَ فإذا واحدٌ يبكي، فقال له: يابن الحمقاء، أتريد اللّذّاتِ في الدُّنيا، والدَّرجات في الآخرة؟! إنّما وعد الله الصابرين[2].

ومن إخباره أيضاً ﷺ ما رواه أبو مخنف عن الكلبي، عن أبي صالح، عن زيد بن علي، عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلنا مع علي ﷺ ذا قار، قلت: يا أمير المؤمنين، ما أقلَّ من يأتيكَ من أهل الكوفة فيما أظنّ! فقال: واللّهِ ليأتيني منهم ستة آلاف وخمسمائة وَستّون رجلًا، لا يزيدون ولا ينقصون.

قال ابن عبَّاس: فدخلني والله من ذلكَ شكٌّ شديد في قوله، وقلتُ في نفسي، واللّهِ إن قدموا لأعدَّنّهم.

---

(١) نهج البلاغة، جـ١ ص ١١٦ ـ ١١٧ ورواية سليم بن قيس.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٤ ص ١٠٩ ط دار إحيار الكتب العربية.

قال أبو مخنف: فحدَّث ابن إسحٰق عن عمّه عبد الرَّحمن بن يسار، قال: نفر إلى علي عليه السلام إلى ذي قار من الكوفة في البر والبحر ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً. أقام علي بذي قار خمسة عشر يوماً حَتّى سمع صهيل الخيل وشحيح البغال حوله. قال: فلمّا سار بهم منقلةً[1]. قال ابن عبّاس: والله لأعدَّنّهم، فإن كانوا كما قال: وإلاَّ أتممتُهُمْ من غيرهم، فإنّ الناس قد كانوا سمعوا قوله. قال: فعرضتُهُمْ، فواللّهِ ما وجدتهم يزيدون رجلاً، ولا ينقصون رجلاً. فقلت: الله أكبر! صدق الله ورسوله، ثم سرنا[2].

ومن إخباره بالغيب أيضاً عليه السلام ما ذكرَهُ في خطبةٍ له يعرِّض فيها بالحجّاج، ويكنّيه أبا وذحةٍ منها: «أمَا واللّهِ ليسلّطنَّ عليكم غلام ثقيفٍ الذّيّال الميَّال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكُمْ، إيه أبا وذحة»[3].

وذلكَ أنّ الحجَّاج رأى خنفساءً تدبّ على مصلاّهُ، فطردها فعادت، ثمَّ طردها فعادَتْ، فأخذها بيدِهِ، وحذَفَ بها، فقرصَتْهُ قَرْصاً ورمت يده منه ورماً كان فيه حتفه، قالوا: وذلكَ لأنّ اللّهَ تعالى قتله بأهون مخلوقاته، كالنّمرود.

وقيل: إنّ الحجاج كان إذا رأى خنفساء تدبُّ قريبةً منه، يأمر غلمانه بإبعادها، ويقول: هذه وذحة من وذح الشيطان، تشبيهاً لها بالبصرة. وقيل: كان الحجاج مثفاراً[4]، وكان يمسكِ الخنفساء حيَّةً ليشفى بحركتها في موضع حكاكه. قالوا: ولا يكون صاحب هذا الدَّاءِ إلاّ شانِئاً مبغضاً لأهل البيت. قالوا؛ ولسنا نقول: كلّ مبغضٍ فيه هذا الدَّاء، وإنَّما قلنا: كلّ من فيه هذا الدّاء فهو مبغِض[5].

---

(١) المنقلة: مرحلة السّفر.
(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٢ ص ١٨٧.
(٣) الوذحة: الخنفساء.
(٤) رجل مثفار: نعت سوء.
(٥) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٧ ص ٢٧٧ - ٢٧٩.

ومن إخباره أيضاً عليه السلام نعيه نفسه، وعلمه بقتلِهِ قبل حدوثه، وذلك ما أخبر به علي بن المنذر الطَّرِيقي، عن أبي الفضل العبدي، عن فطر، عن أبي الطّفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال: جمع أمير المؤمنين عليه السلام النّاس للبيعَةِ فجاء عبد الرّحمن بن ملجم المرادي، فردّهُ مرتين أو ثلاثاً، ثم بايعه. فقال له عند بيعته له: ما يحبس أشقاها، فوالّذي نفسي بيده لتخضبَنَّ هذه من هذا، ووضع يده على لحيته ورأسه. فلمّا أدبر ابن ملجم منصرفاً عنه، قال عليه السلام: متمثّلاً:

أشدُدْ حيازيمَكَ للموتِ   فإن الموتَ لاقِيكَ
ولا تجزع مِنَ الموتِ   إذا حلَّ بواديكَ

وروى جعفر بن سليمان الضّبعي، عن المعلّى بن زياد، قال: جاء عبد الرَّحمن بن ملجم، فعل الله به ما شاءَ، إلى أمير المؤمنين عليه السلام ليستحمِلَهُ، فقال: يا أمير المؤمنين احملني، فنظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قال له: أنتَ عبد الرّحمن بن ملجم المرادي؟ قال: نعم، ثم قال: أنتَ عبد الرّحمن بن ملجم المرادي؟ قال: نعم، قال: يا غزوان، احمله على الأشقر، فجاء بفرسٍ أشقر، فركبه ابن ملجم، وأخذ بعنانِهِ، فلمّا ولّى، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

أريدُ حباءه ويريد قتلي   عذيرَكَ من خليلِكَ من مرادِ

قال: فلمّا كان من أمره ما كان، وضرب أمير المؤمنين عليه السلام، قُبِضَ عليه، وقد خرج من المسجد، فجيء به إلى أمير المؤمنين، فقال له: فواللّهِ لقد كنتُ أصنع بكَ ما أصنع، وأنا أعلم أنّكَ قاتلي، ولكن كنت أفعَلُ ذلكَ بكَ لأستظهر باللّهِ عليك[1].

وروى عبدالله بن موسى، عن الحسن بن دينار، عن الحسن البصري،

---

(١) الإرشاد: للمفيد، ص ٦ و ٧.

قال: سهر أمير المؤمنين علي عليه السلام في اللَّيلة التي قُتِلَ في صبيحَتِها، ولم يخرج إلى المسجد لصلاة اللّيل على عادَتِهِ. فقالت له ابنته أم كلثوم رحمة الله عليها: ما هذا الّذي أسْهَرَكَ؟ فقال: إنّي مقتول لوقد أصبحت، فأتاهُ ابن النَّبّاح، فأذنه بالصَّلاة، فمشى غير بعيد، ثم رجع، فقالت له أم كلثوم: مُرْ جعدة فليُصَلّ بالنّاس. قال: نعم، مروا جعدة ليصلي، ثم قال: لا مفرٌّ من الأجل، فخرج إلى المسجد، وإذا هو بالرَّجل قد سهر ليلته، كلّها يرصده، فلمّا برد السَّحر نام، فحرّكه أمير المؤمنين عليه السلام برجله، وقال له: الصَّلاة، فقام إليه فضربه.

وفي حديثٍ آخر، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد سهر تلك اللَّيلة، فأكثر الخروج والنّظر إلى السَّماء، وهو يقول: واللّهِ ما كذبتُ ولا كُذّبتَ، وإنّها اللَّيلة الّتي وُعِدْتُ بها ثم يعاود مضجَعَهُ، فلما طلع الفجر شدّ إزاره، وخرج

اشدُدْ حيازيمَكَ للموت ـ فإنّ الموتَ لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حلَّ بواديكا

فلمّا خرج إلى صحن دارِهِ، استقبله الأوز، فصحْنَ في وجهه، فجعلوا يضربونهُنَّ، فقال: دعوهُنَّ، فإنّهن نوائح، ثم خرج، فأُصِيبَ عليه السلام [1].

ومن إخباره عليه السلام ما رواه الشّيخ رجب البرسي في كتابه (مشارق أنوار اليقين) ص ٩٨ وخلاصته.

يرفع الإسناد إلى الرّضا عليه السلام عن آبائِهِ أنّ يهوديّاً جاء إلى أبي بكر في ولايته، فقال له: أبي ماتَ وترك كنوزاً لا نعرفُ أين هي؟ إن أظهرتها فلكَ ثلث، وللمسلمين ثلث، ولي ثلث، وأدخل في دينَكَ. قال أبو بكر: لا يعلم الغيبَ إلاّ الله. فجاء إلى عمر بن الخطّاب فوقف منه نفس الموقف، ثم دلّه على علي عليه السلام، فقال له: رُحْ إلى اليمن، واسأل عن وادي برهوت، بحضرموت، واجلس به إلى غروب الشّمس. فسيأتيكَ غرابان سود مناقيرهما،

(١) كتاب الإرشاد: للمفيد، ص ٩ و ١٠.

وهما ينعبان، فاهتف باسم أبيك، وقل لـه: أنا رسـول وصيّ رسول الله ﷺ إليكَ كلّمني، فإنّه يكلّمك، واسأله عن الكنوز يدلُّـك. فطبّق اليهـودي ما قـاله أمير المؤمنين، فقال له أبوه: ويحك! ماذا أتى بـكَ إلى هَذَا الـوادي؟ فهو من مواطن أهل النّار، فقال: جئت لأسـألك عن الكنـز، فدلّـه عليه، ثم قـال له: ويلكَ! اتبـع دين محمّد تسلم، فهـو النّجاة. وثمَّ انصـرف الغـرابـان، ورجـع اليهودي، فوجد كنزاً من ذهب، وكنزاً مِنْ فضّة، فأوقر بعيـراً وجاء بـه إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وهـو يقـول: أشهـدُ أن لا إلَـه إلاّ الله، وأنّ مـحمّـداً رسول الله، وأنّك وصيّ رسولِ اللّهِ وأخوه وأميـر المؤمنين حقّاً، وهـذه الهديّـة فاصرفها حيثُ شئتَ، فإنّك وليّه في العالمين.

ومن إخباره عليه السلام ما رواهُ صاحب كتاب (مروج الذّهب) بعد ذكر فتحـه عليه السلام يـوم الجمـل، ودخـل بيت مـال البصـرة في جمـاعَـةٍ من المهـاجـرين والأنصار، فنظر إلى ما فيه من العين والورق فجعل يقول: يا بيضـاء يا صفـراء غُرّي غيري!! وأدام النّظر إلى المالِ مفكّراً، ثمَّ قال: أقسمـوه بين أصحابي، ومن معي خمسمائة خمسمائة، ففعلوا، وما نقص درهم واحِدٍ، وعـدد الرّجـال اثنا عشر ألفاً... إلخ[1].

ومن إخبارِهِ عليه السلام قوله قبل قتاله الفرق الثلاث بعد بيعته: أُمِـرْتُ بقتالِ النّاكثين والقاسطين والمارقين. فقاتَلَهُمْ عليه السلام، وكانَ الأمر كما خبَّر.

ومن إخباره عليه السلام قوله في خطبةٍ له: «إنّه سيأتي عليكم من بعـدي زمان ليس فيـه شيءٌ أخفى من الحقّ، ولا أظهر من البـاطِل، ولا أكثـر من الكـذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزّمـان أبور من الكتـاب، إذا تُلِيَ حقّ تـلاوتِهِ، ولا أنفق منـه إذا صُرِفَ عن مـواضِعِهِ، ولا في البـلاء شيءٌ أنكـر من المعروف، ولا أعرف من المنكر...».

ومن إخبـاره عليه السلام مـا ذكـره صـاحب (فـرائـد السّمـطين) وفي منـاقب

(١) قضاء أمير المؤمنين علي: للشيخ محمّد تقي التستري، ص ١٠٣.

الخوارزمي ص ٥٥ أخرج بسندٍ عن أبي البُخْتَري قال: رأيت عليّاً صَعَدَ المنبر بالكوفة، وعليه مدرعة كانت لرسول الله ﷺ، متقلّداً سيفَ رسول الله، متعمّماً بعمامة رسول الله ﷺ، وفي إصبعه خاتَمُ رسول الله ﷺ، فقعد على المنبر، وكشف عن بطنِهِ، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّما بين الجوانح منّي علمٌ جم، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله ﷺ، هذا ما زقّني رسول الله زَقّاً من غير وحي أوحِيَ إليَّ. فواللّهِ لو ثنِيَتْ لي وسادة فجلستُ عليها لأفتيتُ أهل التّوراة بتوراتِهِمْ، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، حتّى ينطق التّوراة والإنجيل فيقولا: صدقَ عليٌّ قد أفتاكم بما أُنزِلَ فينَا وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون. وفي مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي جـ١ ص ٤٤ أخرج حديثاً نحوه مع اختلافٍ في بعض كلماته[1].

ومن إخباره عليه السلام قوله في خطبته، كما أخرجه علي المتّقي في تبويب جمع الجوامع (كنز العمّال) جـ٦ ص ٤٠٥ من تاريخ بغداد لابن النّجّار، فإنّه أخرج بسندِهِ عن أبي المعتمر مسلم بن أوس، وجارية بن قدامة السّعدي أنّهما حضرا على بن أبي طالب يخطب، وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإني لا أسأل عن شيءٍ دون العرش إلاّ أخبرت عنه.

ويعلّق الشيخ نجم الدّين الشّريف العسكري على ذلك في كتابه (علي والخلفاء) قائلاً: لا يتخيّل أحدٌ أنّ قوله عليه السلام لا أسأل عن شيءٍ دون العرش إلاّ أخبرت عنه، معناهُ أنّه عليه السلام لا يعلم عن العرش شيئاً لأنّه يمكن أنّه عليه السلام كان مأموراً أن لا يخبر عن العرش ولو سُئِلَ عنه[2].

ويروي الشّيخ القندوزي في ينابيعه ص ٧١ بسنده عن الإصبغ بن نباتة، كاتب أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: أمرنا عليه السلام بالمسير معه إلى المدائن في الكوفة، فسرنا يوم الأحد، فتخلّفَ عمرو بن حُرَيْث مع سبعة نفر، فخرجوا

---

(١) راجع كتاب (علي والخلفاء): لنجم الدين العسكري، ص ١٧ ففيه المزيد من ذلك.
(٢) علي والخلفاء: لنجم الدين العسكري، ص ١٧.

يوم الأحد إلى مكان بالحيرة يُسَمَّى الخورنق. فقالوا: نتنزّهُ هناكَ، ثم نخرج يوم الأربعاء، فنلحق عليّاً قبل صلاة الجمعة، فبينَما هم يتغذَّون إذ خرج عليهم ضبٌّ، فصادُوهُ، فأخذه عمرو بن حريث في كفّهِ، فقال لهم: بايعوا لهذا أمير المؤمنين. فبايعه السُّبعة، وعمرو ثامنهم، وارتحلوا ليلة الأربعاء، فقدموا المدائن يوم الجمعة، وأمير المؤمنين عليه السلام يخطب، وهم نزلوا على المسجد، فنظر إليهم، فقال: أيّها النّاس: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسَرَّ إليَّ ألف حديث، في كلّ حديثٍ ألف باب، وفي كلّ بابٍ ألف مفتاح، وإنّي أعلم بهذا العلم. (وأيضاً) سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «قال الله تعالى عزّ وجَلّ: ﴿يوم يُدْعَى كلّ أناسٍ بإمامهم﴾، وإنّي أُقسِمُ لكم باللّهِ ليبعُثَنَّ يوم القيامة ثمانية نفر بإمامهم وَهُوَ ضبٌّ، ولو شئت أسمّيهم»، قال إصبغ: لقد رأيتُ عمرو بن حُرَيْث سقط رعباً وخجالة(١).

ومن إخباره عليه السلام ما رواهُ الشَّيخ أبو عبدالله محمد بن عبداللّهِ الخطيب، قال: حُكِيَ أنّ معاوية بن أبي سفيان قال لجلسائِهِ بعد الحكومة: كيفَ لنا أن نعلم ما تؤول إليه العاقبة في أمرِنا؟ قال جلساؤه: ما نعلَمُ لذلك وجهاً. قال: فأنا أستخرج علم ذلك من علي عليه السلام، فإنَّهُ لا يقول الباطِل، فدعا ثلاثة رجالٍ من ثقاتِهِ وقال لهم: امضوا حتّى تصيروا جميعاً من الكوفة على مرحلة، ثمَّ تواطؤوا على أن تنعوني بالكوفة، وليكن حديثكم واحداً في ذكر العلَّةِ واليوم والوقت وموضع القبر، وَمن تولّى الصَّلاة عليٍّ وغير ذلك حتّى لا تختلِفوا في شيءٍ، ثمَّ ليدخل أحدكم فليخبِرْ بوفاتي، ثمَّ ليدخل الثّاني فيخبّر بمثله، ثمَّ ليدخل الثّالِث فيخبّر بمثل خبر صاحبه، وانظروا ما يقول علي.

فخرجوا كما أمرهم معاوية، ثم دخل أحدهم وهو راكب مغذّ شاحب(٢)، فقال له النّاس بالكوفة: من أين جئتَ؟ من الشّام، قالوا له: الخبر، قال: ماتَ معاويةٍ، فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا: رجلٌ راكِبٌ من الشّام يخبر

---

(١) علي والخلفاء: لنجم الدّين أيضاً.

(٢) غذّ في السَّير: أسرع، الشّاحب: المتغير اللون.

بموت معاوية، فلم يحفل علي عليه السلام بذلك. ثمّ جاء آخر من الغد وهو مغذّ، فقال له النّاس: ما الخبر؟ فقال: مات معاوية وخبّر بمثل ما خبّر صاحبه، فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا: رجلٌ راكبٌ آخر يخبّر من موتِ معاوية بمثل ما خبّر صاحبه، وَلَمْ يختلِف كلامهما، فأمسكَ علي عليه السلام، ثمّ دخل الآخر في اليوم الثّالِث، فقال النّاس: ما وراءكَ؟ قال: مات معاوية، فسألوه عمّا شاهد؟ فلم يخالف قول صاحبه، فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين، صحّ الخبر، هذا راكبٌ ثالث، قد خبّر بمثل ما خبّر صاحبيه، فلمّا كثروا عليه قال علي صلوات الله عليه: كلاّ أو تخضّب هذه من هذه، يعني لحيته، ويتلاعب بها ابن آكلة الأكباد، فرجع الخبر بذلك إلى معاوية.

وذكر صاحب كتاب (كشف الغمّة) في كتابه ص ٢٨٥ ما يلي: قال: رأيت له صلى الله عليه وآله وسلم خطبةً يذكر فيها واقعة بغداد[1]، كأنّه يشاهدها ويقولُ فيها: كأني واللّهِ أنظُرُ إلى القائِمِ من بني العبّاس، وهو يُقادُ بينَهُمْ كما يقاد الجزر إلى الأضحية لا يستطيع دفعاً على نفسه، ويحَهُ ما أذلّه فيهم لإطّراحه أمر ربّه، وإقباله على أمر دنياه.

يقول فيها: واللّهِ لو شئتُ لأخبرتكم بأسمائهم وكناهم وحلاهم ومواضع قتلاهم ومساقط رؤوسهم إلى غير ذلك من إخبارِهِ بالغيوب[2].

وروى الحافظ العالِم محبّ الدّين محمد بن محمود بن الحسن النّجّار في كتابه في ترجمة أحمد بن محمّد الدّلا عن رجالٍ ذكرهم. قال: سمعتُ

(١) وهي الخطبة المشهورة بالزوراء يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «الزّوراء وما أدراك ما الزّوراء؟ أرض ذات أثل يشيد فيها البنيان، وتكثر فيها السّكان ويكون فيها مخازن وخزان يتخذها ولد العبّاس موطِناً، ولزخرفهم مسكناً تكون لهم دار لهو ولعب يكون بها الجور الجائر والخيف المخيف، والأئمة الفجرة والأمراء الفسقة، والوزراء الخونة، يخدمهم أبناء فارس وروم، لا يأتمرون بمعروف إذا عرفوه، ولا يتناهون عن منكر إذا نكروه، تكف الرجال منهم بالرّجال والنساء بالنّساء»، إلى آخر ما ذكره المجلسي في المجلد التاسع من كتاب (بحار الأنوار) فراجعه.

(٢) كشف الغمة لصاحبه العلاّمة ابن أبي الفتح الأربلي، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

أسماء بنت عميس تقول: سمعتُ سيّدتي فاطمة عليها السلام تقول: ليلة دخل بي علي بن أبي طالب أفزعني في فراشي، فقلْتُ: أفزعْتِ يا سيّدة النساء؟ قال: سمعتُ الأرض تحدّثه ويحدّثها فأصبحتُ وأنا فزعة، فأخبرت والدي صلى الله عليه وآله وسلم، فسجد سجدةً طويلةً، ثم رفع رأسه وقال: يا فاطمة أبشري بطيب النسل، فإنّ الله فضّل بعلكِ على سائر خلقه، وأمر الأرض أن تحدّثه بأخبارها وما يجري على وجهها من شرق الأرض إلى غربها[1].

ومن إخبارِهِ عليه السلام ما رواه صاحب كتاب (الرَّوضة)، يرفعُ الرّواية إلى عمّار بن ياسر رضي الله عنه قال: كنتُ عند علي عليه السلام في بعض غزواته، إذ مررنا بوادٍ مملوءٍ نملاً، فقلتُ: يا أمير المؤمنين أترى أحداً من خلقِ الله يعلم كم عدد هذا النَّمل؟ قال: نعم، يا عمّار أنا أعرفُ رجلاً يعرف عدده وكم فيه من ذكر؟ وكم فيه من أنثى؟ فقلتُ: ومن ذلك الرَّجل يا مولاي؟ فقال: أما قرأت في سورة (يٓس): ﴿وكلّ شيءٍ أحصَيْنَاهُ في إمامٍ مبين﴾ فقلتُ: بلى، يا مولاي. فقال: أنا ذلك الرّجل الإمام المبين.

ومن أخباره وقوّته التي خرق بها العادة عليه السلام ما رواه أهلُ السّيَر واشتهر الخبر به في العامّة والخاصّة حتّى نظَمَ الشعراء وخطبَ به البلغاء ورواهُ العلماء من حديث الرَّاهب بأرض كربلاء والصَّخرة، وشهرتُه تغني عن تكلّف إيراد الإسناد له[2].

وذلك أنّ الجماعة روت أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا توجّه إلى صفّين لحق أصحابه عطشٌ شديد، ونفد ما كان عندهم من الماء، فأخذوا يميناً وشمالاً يلتمسون الماء فلم يجدوا له أثراً. فعدل بهم أمير المؤمنين عليه السلام عن الجادَّةِ، وسار قليلاً، فلاح لهم دير في وسط البريَّة، فسار بهم نحوه حتّى

---

(١) كشف الغمة لصاحبه العلاّمة ابن أبي الفتح الأربلي، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٢) فمن المؤلفين الذين ذكروا هذا الحديث صاحب كتاب (ينابيع المودّة)، ص ٤٩٦. وصاحب كتاب (الغدير)، جـ٣ ص ٣٩٣، وصاحب كتاب (كشف الغمة)، جـ١ ص ٢٧٩، حتّى ٢٨١، وصاحب كتاب الإرشاد: للمفيد، ص ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦٠.

إذا صار في فنائه، أمر من نادى ساكِنه بالاطلاع عليهم، فنادوه، فاطّلع، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هل قرب قائِمِكَ هذا ماء يستقي منه هؤلاء القوم؟ فقال: هيهات بيني وبين الماء أكثر من فرسخين، وما بالقرب منّي شيءٌ من الماء، ولولا أنّي أوتى بما يكفيني كلّ شهر على التّقتير لتلِفْتُ عطشاً. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أسمعتم ما قال الرّاهب؟ قالوا: نعم، أفتأمرنا بالمسير إلى حيث أومأ إليه، لعلّنا ندرك الماء وبنا قوّة؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا حاجة لكم إلى ذلك، ولوى عطف بغلته نحو القبلة، وأشار بهم إلى مكانٍ يقرب من الدّير، فقال لهم: اكشفوا الأرض في هذا المكان. فعدل منهم جماعة إلى الموضع، فكشّفوه بالمساحي، فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع، فقالوا: يا أمير المؤمنين هاهُنا صخرة لا تعمل فيها المساحي. فقال لهم: إنّ هذه الصّخرة عَلَى الماء، فإن زالت عن موضِعِها وجدتم الماء، فاجتهدوا في قلعها، فاجتمع القومُ وراموا تحريكها، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، واستصْعَبَتْ عليهم. فلمّا رآهم عليه السلام قد اجتمعوا وبذلوا الجهد في قلع الصخرة، وَاستصعبَتْ عليهم لوى رجله عن سرجه حتّى صار على الأرض، ثمَّ حسر عن ذراعيه، ووضع أصابعه تحت جانب الصّخرة فحرّكها، ثمَّ قلعها بيدِهِ، ودحَاها أذرعاً كثيرة، فلمّا زالت من مكانِها ظهر لهم بياض الماء، فبادروا إليه، فشربوا منه، فكان أعذبَ ماءٍ شربوا منه في سفرهم وأبرده وأصفاه. فقال لهم: تزوّدوا وارتووا، ففعلوا ذلكَ، ثم جاء إلى الصَّخرة فتناولها بيده ووضعها حيث كانت. فأمر أن يعفى أثرها بالتّراب، والرّاهب ينظر من فوق ديره.

فنادى أيّها النّاس أنزلوني أنزلوني! فاحتالوا في إنزاله، فوقف بين يدي أمير المؤمنين، فقال له: يا هذا! أنت نبيّ مرسل؟ قالَ: لا، قال: فملك مقرّب؟ قال: لا، قال: فمن أنت؟ قال: أنا وصيّ رسولِ الله محمّد بن عبدالله خاتم النّبيّين صلى الله عليه وآله وسلم. قال: أبسط يدك أُسْلِمْ لله تبارك وتعالى على يديك. فبسط أمير المؤمنين عليه السلام يَدَهُ وقال له: اشْهَدِ الشّهادتين. فقال: أشهدُ أن لا إلّه إلّا الله وحده لا شريكَ له، وأشهَدُ أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأشهد أنّك

وصيّ رسـول الله، وأحقّ النّاس بـالأمر من بعـده. فأخـذ أمير المؤمنين ﵇ عليه شرائِطِ الإسلام. ثم قال له: ما الّـذي دعاك الآن إلى الإسـلام بعد طـول مقامِكَ في هذا الدّير على الخلاف؟ قال: أُخبرك يا أمير المؤمنين أنّ هذا الدَّير بُنِيَ على طلب قالع هذه الصخرة، ومخـرج الماء مِنَ تحتهـا، وقد مضى على ذلك عالَم قبلي، فلم يدركوا ذلك، وقد رزقنيه اللّه عزّ وجَلّ.

إنّا نجد في كتاب من كتبنا، ونـأثر عن علمـائِنا أنّ في هـذا الصّقع عينـاً عليهـا صخرة لا يعـرف مكانهـا إلاّ نبيّ أو وصيّ نبي، وأنّـه لا بـدَّ من وليّ لله يدعو إلى الحق، آيته معرفة مكان هذه الصّخرة، وقدرته على قلعها، وإنّي لما رأيتُكَ قد فعلتَ ذلكَ تحقّقت ما كنّا ننتظرُهُ وبلغْتُ الأمنية منه، فأنا اليومَ مسلم على يديك، ومؤمن بحقّك ومولاك.

فلمّـا سمـع ذلــك أميـر المؤمنين ﵇ بكى حتّى اخضلَّتْ لحيتــه من الدّموع وقال: الحمد لله الذي لم أكن عنده منسِيّاً. الحمد للّهِ الـذي كنتُ في كتبـه مذكـوراً، ثم دعا النّـاس فقال لهم: اسمعـوا ما يقـول أخـوكم المسلم، فسمعوا مقاله وكثر حمدهم لِلّهِ، وشكرهم على النّعمة التي أنعم بها عليهم في معـرفتهم بحق أمير المؤمنين الصّـلاة عليـه ودفنـه، وأكثـر من الاستغفـارِ لـه، وكان ـ إذا ذكره ـ يقول: ذاك مولاي.

وفي هـذا الخبر ضـروب من الأمـور الخـارقـة، أحـدهمـا علم الغيب، وَالثَّانِي القوة التي خرق بها العادة، وتميّز بخصوصيَّتِها من الأنام مع مـا فيه من ثبوت البشارة به في كتب الله الأولى، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿ذلك مثلُهُمْ في التّـوراة ومثلهم في الإنجيـل﴾ . وفي ذلــكَ يقـول إسمــاعيـل بن محمــد الحميري المعروف بالسَّيِّد في قصيدته البائية:

ولـقــد ســرى فيمــا يسيــر بـليلَةٍ	بعــد العشــاءِ بكــربــلا في مــوكَبِ
حـتّى أتــى مـتـبـتّـلاً فــي قــائِـمٍ	ألـقـى قــواعِــدَه بــقــاعٍ مُـجْـدِبِ
يـأتيـه ليس بـحيـث يلقـى عـامِـراً	غيــر الـوحــوش وغيــر أصلع أشيبِ
فــدنـا فصـاح بـه فـأشرق مـائِـلاً	كــالنّسـر فــوق شــظيَّــةٍ من مــرقبِ

هـل قـرب قـائِمِكَ الّـذي بُـوّأتَـهُ ... مـاءٌ يصـاب؟ فقـالَ: مـا من شـربِ
إلّا بـغـايـة فـرسـخـين ومـن لـنـا ... بـالـمـاء بين نـقـا وقـيٍّ سبسَبِ
فثنى الأعنّـة نـحـو وعثٍ فـاجـتلى ... ملسـاء تلمـع كـاللّجين المـذهـبِ
قـال: اقـلبـوهـا إنّكـم إن تقـلبـوا ... تَـرْووا ولا تَـرْوَون إن لـم تـقـلبِ
فـاعصـوصبـوا في قلبهـا فتمنّعَتْ ... منهم تمنُّـعَ صعبَـةٍ لم تـركبِ
حَـتّى إذا أعيتـهُمُ أهـوى لـهـا ... كـفّـاً متى يـرد المـغـالبَ تـغلبِ
فـكـأنّـهـا كـرة بـكـفّ حَـزَوَّرٍ[1] ... عبـل الـذّراع دحـا بهـا في ملعبِ
فـسقـاهـم من تـحتـهـا متـسلسـلاً ... عـذبـاً يـزيـد على الألـذّ الأعـذَبِ
حتّى إذا شـربـوا جـمـيعـاً ردَّهـا ... ومضى فخلتُ مكـانَهـا لـم يُقْـرَبِ
أعني ابن فـاطمـة الـوصيّ ومن يقـلِ ... فـي فضـله وفعـالـه لـم يَكْـذِبِ[2]

ومن إخباره عليه السلام ما ذكرَهُ صاحب كتاب (كشف الغمّة) جـ٢ ص ٨ عن المنهال بن عمرو قال: أخبرني رجلٌ من تميم قال: كنّا مع علي عليه السلام بذي قار، ونحن نرى أنّا ستتخطّف[3] في يومنا فسمعته يقول: واللّهِ لنظهرَنَّ على هذه الفرقة، ولنقتلَنَّ هذين الرجلين يعني طلحة والزبير، ولنستبيحنَّ عسكرهما. قال التّميمي: فأتيتُ عبدالله بن العبّاس فقلتُ: لا أرى ابن عمّكَ إلّا قد صدق. فقال: ويحك إنّا كنّا نتحدّثُ وَأصحاب النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم عهد إليه ثمانين عهداً لم يعهد شيئاً منها إلى أحدٍ غيره، فلعلّ هذا ممّا عهد إليه.

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره أيضاً صاحب كتاب (كشف الغمّة) جـ٢ ص ١٩ عن علي بن الحسين عن آبائه عليهم السّلام. قال: لمّا رجع علي عليه السلام من وقعة الجمل اجتاز بالزّوراء، فقال للنّاس: إنّها الزّوراء فسيروا وجنّبوا عنها فإنَّ الخسف أسرَعُ إليها من الوتد في النخالة، فلمّا أتى موضِعاً

---

(١) أي الغلام المترعرع أي الشديد.
(٢) راجع إرشاد المفيد، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ وكشف الغمة، جـ ١ ص ٢٧٩.
(٣) تخطف الشيء: استلبَهُ.

من أرضِها. قال: ما هذه الأرض؟ قيل: أرض بحرا، فقال: أرض سباخ جنّبوا ويمّنوا[1]. فلمّا أتى يمنة السّواد إذا هو براهِبٍ في صومعَةٍ له، فقال له: يا راهب أَنْزِلُ هاهُنا؟ فقال له الرّاهب: لا تنزلِ بجيشِكَ هذه الأرض، قال: وَلِمَ؟ قال: لأنَّهُ لا ينزلها إلاّ نبيٌ أو وصيّ نبيّ بجيشِهِ يقاتِل في سبيل اللّهِ عزَّ وجَلَّ. هكذا نجد في كتبنا. فقالَ له أمير المؤمنين عليه السلام: فأنا وصيٌّ سيِّد الأنبياء وسيِّد الأوصياء. فقال له الرّاهب: فأنتَ أصلع قريش وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنا ذلكَ. فنزل الرّاهب إليه فقال: خذ عَلَيَّ شرائع الإسلام. إني وجدتُ في الإنجيل نعتك، فإنّك تنزل أرض (براثا) بيت مريم وأرض عيسى عليه السلام. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قف ولا تخبرنا بشيءٍ، ثم أتى موضِعاً، فقال: الكزوا هذا، فلكزَهُ[2] عليه السلام، فانبجست برجله عين خرّارة، فقال: هذه عين مريم التي أنبعتْ لها. ثم قال: اكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً، فَكُشِفَ، وإذا بصخرةٍ بيضاءَ. فقال عليه السلام: على هذه الصّخرة وضعَتْ مريمُ عيسى من عاتقها، وصلَّتْ هاهنا، فنصب أمير المؤمنين عليه السلام الصخرَةَ وصلّى عليها، وأقامَ هناك أربعة أيّام يتم الصّلاة، وجعل الحرم في خيمَةٍ من الموضع، ثم قال: أرض براثا هذا بيت مريم عليها السلام. هذا الموضع المقدّس صلّى فيه الأنبياء.

قال أبو جعفر محمّد بن علي عليهما السّلام: ولقد وجدّنا أنّه صلّى فيه إبراهيم قبل عيسى عليهما السّلام. يقول صاحب كتاب (كشف الغمّة) أرض «براثا» هذه عند باب محول على قدر ميل أو أكثر من ذلكَ من بغداد، وجامع «براثا» هناكَ، وهو خراب وحيطانُهُ باقية إلاّ شيء منها، دخلتُ وصلّيتُ فيه وتبرّكتُ به.

ومن إخباره عليه السلام ما ذكرَهُ صاحب كتاب (المناقِب) عن الإصبغ بن

---

(١) أي اذهبوا ذات اليمين.

(٢) لكزه: ضربه بجميع كفه، وقيل: اللّكز: الضرب بجميع جسده.

نباتة، قال: كنتُ مع أمير المؤمنين عليه السلام فأتاه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي أحبُّكَ في اللّهِ. قالَ: إنّ رسولَ اللّهِ ﷺ حدّثني ألف حديث، ولكلّ حديثٍ ألف باب، وأنّ أرواح الناس تتلاقى بعضهم بعضاً في عالم الأرواح، فما تعارف منها ائتلف، وَمَا تناكر منها اختلف. وبحق اللّهِ لقد كذبتَ! فما أعرفُ وجهك في وجوه أحبائي، ولا إسمك في أسماء أحبائي، ثم دخل عليه الآخر، فقال: يا أمير المؤمنين! إني أحبُّكَ في اللّهِ. فقال له: صدقتَ. وقال: إنّ طينتنا وطينة محبينا مخزونة في علم الله، ومأخوذة أخذ الله ميثاقها من صلب آدم عليه السلام ، فلم يشذّ منها شاذّ، ولا يدخل منها غيرها، فأعدّ للفقر جلباباً، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: والله الفقر إلى محبّينا أسرع من السيل إلى بطن الوادي(١).

ومن إخباره عليه السلام ما ذكرَهُ صاحب (المناقب) بالسَّنَد عن أبي ذرّ رضي الله عنه، قال: كنتُ سائراً مع علي عليه السلام ، إذ مررنا بوادٍ نملة كالسَّيل. فقلتُ: الله أكبر، جلّ محصيه! فقال عليه السلام : لا تقل ذلك، ولكن قل: جَلّ بارئُهُ، فوالّذي صوَّرني وصوَّرك إني أحصي عددهم وأعلم الذكر منهم والأنثى بإذن الله عزّ وجَلّ.

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره الشّيخ الإمام كمال الدّين أبو سالِم محمّد بن طلحة الحلبي الشّافِعِي في كتابه (الدرّ النّظيم) ونقله القندوزي عنه في ينابيعهِ ما يلي:

وقد ثبتَ عند علماء الطّريقة ومشائخ الحقيقة بالنّقل الصَّحيح وَالكشف الصَّريح أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، قام على المنبر بالكوفة وهو يخطب، فقال: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. الحمد لِلّهِ بديع السَّموات والأرض وفاطرها... إلى قوله: أيُّها النَّاس: سار المثل، وحقّق العمل، وتسلَّمت الخصيان وحكمت النّسوان، واختلفت الأهواء، وعظمت

---

(١) نقلاً عن ينابيع المودة: للقندوزي ، جـ١ ص ٧٥.

البلوى، واشتدَّتِ الشَّكوى، واستمرَّتِ الدَّعوى، وزلزلت الأرض، وضيع الفرض، وكتمت الأمانة، وبدت الخيانة، وقام الأدعياء، ونال الأشقياء، وتقدَّمتِ السُّفهاء، وتأخَّرت الصّلحاء، وازورّ القرآن، واحمرّ الدّبران، وكملت الفترة، وسدّستِ الهجرة، وظهرت الأفاطِس، فحسِمَتِ الملابس، يملكون السَّرائر، ويهتكون الحرائر، ويجيئون كيسان، ويخربون خراسان، فيهدمون الحصون، ويظهرون المصون، ويفتحون العراق بدم يراق، فآهٍ آه ثم آهٍ آهٍ لـعريض الأفواه، وذبول الشّفاه. ثم التفتَ يميناً وشمالاً. وتنفَّس الصّعداء، لا إملالاً، وتأوَّه خضوعاً، فقام إليه سويد بن نوفل الهلالي، فقال: يا أمير المؤمنين، أنتَ حاضرٌ بما ذكرت، وعالِمٌ به؟ فالتفَتَ إليه بعين الغضب وقالَ له: ثكلتكَ الثّواكِل، ونزلت بكَ النَّوازِل، يابن الجبان الخبيث، والمكذّب النَّاكِث، سيقصُربِكَ الطّول، ويغلبك الغول، أنا سرّ الأسرار، أنا شجرة الأنوار، أنا دليل السَّموات، أنا أنيسَ المسبّحات، أنا خليل جبرئيل، أنا صفي ميكائيل، أنا قائد الأملاك، أنا سمندل الأفلاك، أنا سرير الصّراح، أنا حفيظ الألواح، أنا قطب الدَّيجور، أنا البيت المعمور، أنا مزن السّحاب، أنا نور الغياهب، أنا فلك الحجج، أنا حجّة الحجج، أنا مسدّد الخلائق، أنا مؤوّل التّأويل، أنا مفسّر الإنجيل، أنا خامس الكساء، أنا تبيان النّساء، أنا إلفة الإيلاف، أنا رجال الأعراف، أنا سرّ إبراهيم، أنا ثعبان الكليم، أنا وليّ الأولياء، أنا ورثة الأنبياء، أنا أوريا الزُّبور، أنا حجاب الغفور، أنا صفوة الجليل، أنا إيليًا الإنجيل، أنا شديد القوى، أنا حامِل اللّواء، أنا أمام المحشر، أنا ساقي الكوثر، أنا قسيم الجنان، أنا مشاطِر النّيران، أنا يعسوب الدّين، أنا إمام المتّقين، أنا وارث المختار، أنا مبيد الكفرة، أنا أبو الأئمة البررة، أنا قالع الباب، أنا مفرّق الأحزاب، أنا الجوهرة الثّمينة، أنا باب المدينة، أنا البيّنات، أنا مبين المشكلات، أنا النون والقلم، أنا مصباح الظّلم، أنا سؤال مَتّى، أناممدوح هل أتى، أنا النّبأ العظيم، أنا الصّراط المستقيم، أنا لؤلؤ الأصداف، أنا جبل قاف، أنا سر الحروف، أنا نور الظروف، أنا الجبل الرَّاسخ، أنا العلم الشامِل، أنا مفتاح

الغيوب، أنا مصباح القلوب، أنا نور الأرواح، أنا روح الأشباح، أنا الفارس الكرّار، أنا نصرة الأنصار، أنا السّيف المسلول، أنا الشّهيد المقتول، أنا جامع القرآن، أنا بنيان البيان، أنا شقيق الرسول، أنا بعل البتول، أنا عمود الإسلام، أنا مكسر الأصنام، أنا صاحب الأذن، أنا قاتل الجن، أنا صالح المؤمنين، أنا إمام المفلحين، أنا إمام أرباب الفتوّة، أنا كنز أسرار النبوّة، أنا المطّلع على أخبار الأوّلين، أنا المخبر عن وقائع الآخرين، أنا قطب الأقطاب، أنا حبيب الأحباب، أنا مهدي الأوان، أنا عيسى الزّمان، أنا والله وجه الله، أنا واللّهِ أسد الله، أنا سيّد العرب، أنا كاشف الكرب، أنا الذي قيل في حَقّهِ، لا فتى إلاّ علي، أنا الّذي قال في شأنه: «أنتَ منّي بمنزلة هارون من موسى» أنا ليث بني غالب، أنا علي بن أبي طالب.

قال: فصاح السّائِلُ صيحةً عظيمة، وخرَّ ميْتاً، فعقّب أمير المؤمنين كرّم الله وجهه كلامه بأن قال: الحمد لله بارىء النّسم وزارىء الأمم، والصّلاة على الاسم الأعظم والنّور الأقدم محمّد وآله وسلم، ثمّ قال: سلوني عن طرق السّماء، فإنّي أعلم بها من طرق الأرض، سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّي بين جنبيَّ علوماً كثيرة كالبحار الزّواخر.

فنهض إليه الرُّسَّخِ من العلماء، والمهرة من الحكماء، وأحدق به الكُمَّل من الأولياء، والندر من الأصفياء يقبّلون مواطىء قدميه، ويقسمون بالاسم الأعظم عليه بأن يتمَّ كلامه، ويكمّل نظامه، فقال بحر الرّاسخين وحبر العارفين الإمام الغالب علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه.

يظهر صاحب الرّاية المحمديَّة والدّولة الأحمديَّة، القائم بالسَّيف والحال الصَّادِق في المقال، يمهّد الأرض، يحيي السّنة والفرض، ثم قال: أيّها المحجوب عن شأني، الغافِل عن حالي، إنّ العجائب آثار خواطري، والغرائب أسرار ضمائري، لأني قد خرقتُ الحجاب، وأظهرتُ العجائب، وأتيتُ بالباب، ونطقتُ بالصَّواب، وفتحتُ خزائن الغيوب، وفتقتُ القلوب، وكنزتُ لطائف المعارف، وَرمزتُ عوارف اللّطائِف، فطوبى لمن استمسكَ

بعروة هذا الكلام، وصلّى خلفَ هذا الإمام، فإنّه يقف على معاني الكتاب المسطور والرّق المنشور، ثم يدخل إلى البيت المعمور، والبحر المسجور، ثمَّ أنشَدَ يقول:

لقد حزتُ علم الأوَّلين وإنّني ضنينٌ بعلم الآخرين كتومُ
وكاشفت أسرار الغيوب بأسرها وعندي حديث حادثٌ وقديمُ
وإنّي لقيُّومٌ على كلّ قيّمٍ محيطٌ بكلّ العالمينَ عليمُ

ثم قال: لو شئتُ لأوقرتُ من تفسير الفاتحة سبعين بعيراً، ثم قال: قٓ والقرآن المجيد، كلمات خفيّات الأسرار، وعبارات جليّات الآثار، ينابيع عوارف القلوب، من مشكاة لطائِفِ الغيوب، لمحات العواقب كالنّجوم الثّواقب، نهاية الفهوم بداية العلوم، الحكمة ضالّة كلّ حكيم، سبحان القديم، يفتح الكتاب ويقرأ الجواب، يا أبا العباس أنت إمام النّاس، سبحان من يحيي الأرض بعد موتها، ويردّ الولايات إلى بيوتها، يا منصور تقدَّم إلى بناء السُّور، ذلك تقدير العزيز العليم.

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره القندوزي في الجزء الثاني مِنْ (ينابيعه) قائِلاً، أخرج عبد الرزّاق عن حجر المرادي قال: قال لي علي: كيفَ بكَ إذا أُمِرْتَ أن تلعنني؟ قلتُ: أو كائنٌ ذلك؟ قال: نعم، قلتُ: كيف أصنع؟ قال: العنّي ولا تتبرّأ منّي.

قال: فأمرني محمّد بن يوسف أخو الحجّاج الظّالِم، وكان أميراً على اليمن أن ألعنَ عليّاً، فقلتُ: إنّ الأمير أمرني أن ألعن عليّاً، فالعنوه، لعنه الله. فما فطن لها إلاّ رجلٌ بأنّي إنّما ألعنُ الأمير، ولم ألعَنْ عليّاً. فهذه من كرامات علي وإخباره بالغيب.

ومن إخباره عليه السلام ما أنبأ به من العلامات لخروج الدَّجّال وذلكَ ما ذكره السَّيّد نعمة الله الموسوي الجزائري في كتابه (الأنوار النّعمانية) جـ٢ كما يلي:

وروى الصَّدوق، طاب ثراه، عن ابن سيرة، قال: خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: سلوني أيّها النّاس قبل أن تفقدوني، ثلاثاً. فقام إليه صعصعة بن صوحان، وقال: يا أمير المؤمنين، متى يخرج الدّجّال؟ فقال له عليه السلام: أقعُدْ، فقد سمع الله كلامك، وَعلم ما أردتَ، والله ما المسؤول منه بأعلم من السَّائِل، ولكن لِذَلِكَ علامات وهنات يتبع بعضها بعضاً، كحذو النَّعلِ بالنَّعلِ، فإن شئت أنبأتُكَ بها. قال: نعم، يا أمير المؤمنين. فقال: احفَظْ، فإن علامة ذلك إذا أمات النّاس الصَّلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلّوا الكذِبَ، وأكلوا الربا، وأخذوا الرّشا، وشيّدوا البنيان، وباعوا الدّين بالدُّنيا، واستعملوا السُّفَهَاء، وشاوروا النّساء، وقطعوا الأرحام، واتَّبعوا الأهواء، واستخفّوا بالدّماء، وكان الحلم ضعفاً، والظّلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمةً، والعرفاء خونةً، والقرَّاء فسقةً، وظهرت شهادة الزّور، واستعلن الفجور وقول البهتان، والإثم والطغيان، وحلِيَتِ المصاحف، وزُخْرِفَتِ المساجد، وطوِّلَتِ المنارات، وأكرِمَ الأشرار، وازدحَمَتِ الصُّفوف، واختلفَتِ القلوب، ونقِضَت العهود، واقترب الموعود، وشارَكَ النّساء أزواجهن في التجارة حِرصاً على الدُّنيا، وعلت أصوات الفسَّاق واستمع منهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، واتّقيَ الفاجِرُ مخافة شرّهِ، وصُدّق الكاذب، وآؤتمن الخائن، وَاتُّخِذَتِ القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمّة أوَّلَها، ورَكِبَ ذوات الفروج السُّروج، وتشبّه النّساءُ بالرّجال، والرجال بالنّساء، وشهد الشاهِد من غير أن يستشهد، وشهد الآخر قضاءً لحقّ الذّمام بغير حق عرفه، وتفقّه لغير الدّين، وآثروا عمل الدُّنيا على عمل الآخرة، ولبسوا جلود الضَّأن على قلوب الذّئاب، وقلوبهم أنتَنُ من الجيف، وأمرُّ من الصّبر، فعند ذلك الوحاً الوحاً ثم العجل العجل! خير المساكين يومئذٍ بيت المقدس، ليأتيَنَّ على النّاس زمان يتمنّى أحدهم أنّه من سكّانِهِ.

فقام إليه الأصبغ بن نباتة، فقال: يا أمير المؤمنين، مَنِ الدَّجّال؟ فقال: ألا إنّ الدّجّال صائد ابن الصيد، فالشقيُّ من صدَّقه، والسَّعيد من كذّبه، يخرج من بلدةٍ يقال لها أصبهان، من قريةٍ تُعْرَفُ باليهوديَّة، عينه اليمنى

ممسوحَةٌ والعين الأُخرى في جبهته تضيءُ كأنها كوكب الصّبح، فيها علقَةٌ كأنها ممزوجة بالدَّم، بين عينيه مكتوب كافِر، يقرؤه كلّ كاتبٍ وأمّي، يخوض البحار وتسير معه الشّمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبلٌ أبيض يرى النّاس أنّه طعام، يخرج مِنْ حين يخرج في قحطٍ شديد، تحته حمار أقمر، خطوة حماره ميل، تَطوَى له الأرض مُهَلَّلاً لا يمرّ بماءٍ إلاّ غار إلى يوم القيامة. ينادي بأعْلَى صوْتِهِ يسمع ما بين الخافقين من الجنّ والإنس والشياطين، يقول: إليّ أوليائي، أنا الّذي خلق فسوَّى، وقدّر فهدى، أنا ربّكم الأعلى، وكذب عدوّ الله، إنّه أعور يطعم الطّعام، ويمشي في الأسواق، وإنّ ربّكم جَلّ وعَزّ ليس بأعور ولا يطعم ولا يمشي ولا يزول، ألاَ وإنّ أكثر أتباعه يومئذٍ أولادُ الزّنَى وأصحاب الطّيالسة الخضر، يقتله الله عزّ وجلّ بالشّام على عقبةٍ تعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات من يوم الجمعة عَلَى يدي من يصلّي المسيح عيسى بن مريم خلفَهُ، ألا إن بعد ذلكَ الطّامّة الكبرى. قلنا: وما ذلكَ يا أمير المؤمنين؟ قال: خروج دابّة الأرض من عند الصَّفا معها خاتَمُ سليمان وعصا موسى، يضع الخاتَم على وجه كلّ مؤمن، فينطبع فيه «هذا مؤمِنٌ حقّاً»، ويضعه على وجه كلّ كافِر، فيكتب فيه «كافِر حقّاً» حتّى أنّ المؤمِنَ لينادي اليوم، ويلٌ لك يا كافِر، وإنّ الكافِر ينادي: «طوبَى لكِ يا مؤمِن» وددتُ أنّي اليومَ مثلَكَ فأفوز فوزاً عظيماً، ثمَّ ترفع الدَّابة رأسها فيراها من الخافقين بإذن الله عزّ وجَلّ، وذلك بعد طلوع الشّمس من مغربها. فعند ذلكَ ترفع التّوبة، فلا توبة تقبَلُ، ولا عمل يرفع، ولا ينفع نفساً إيمانها إن لم تكن آمنَتْ من قبل، أو كسَبَتْ في إيمانها خيراً.

ومن إخباره عليه السلام ما رواه صاحب كتاب (الأنوار النعمانية) عن الصّدوق، بإسناده إلى عمّار بن ياسر رضي الله عنه، قال: لمَّا سار علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صفّين وقف بالفرات، وَقال لأصحابه: أين المخاض؟ فقالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين! فقال لِرَجُل من أصحابه: امْضِ إلى هذا التّل، وناد يا جلند، أينَ المخاض؟ قال: فسار حتّى وصل التّلّ، ونادى يا جلندا، فأجابَهُ من تحت الأرض خلقٌ عظيم، فبهت ولم يعلم ماذا يصنَعُ؟

فـأتى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب عليه السلام فقال: جـاوبني خلقٌ كثير، فقـال الإمام: يـا قنبر امض، وقـل: يا جلنـد بن كركـر أين المخـاض؟ قـال: فمضى وقالَ لهم: ويلكم من عرف اسمي واسم أبي عرف أين المخاض، وأنا في هذا المكان، وقد بقيتُ تُراباً، وقد متُّ من ثلاثة آلاف سنـة، وقد عـرّفكم بـاسمي واسم أبي، وهو لا يعلم أين المخـاض؟ فواللّهِ أعلم بـالمخاض مني! ويلكم ما أعمى قلوبكم، وأضعف يقينكُمْ! امضوا إليـه، واتّبعوه، فـأين خاض خوضوا معه، فإنّه أشرف الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن إخباره عليه السلام ما ذكَرَهُ صاحب كتـاب (الأنوار النّعمـانية) جـ ١ ب ١ ص ٣١ - ٣٣ أنّـه عليه السلام كان يخـطب يوماً على المنبر، فقـال: أيُّهـا النّـاس، سلوني قبـل أن تفقدوني، سلوني عن طـرق السّمـواتِ فـإنّي أعـرفُ بهـا منّي بطرق الأرض. فقام رجل من القوم، فقال: يا أمير المؤمنين: أين جبرئيل هذا الـوقت؟ فقـال عليه السلام : دعني أنـظرُ، فنـظر إلى فـوق، وإلى الأرض، ويمنـة ويســرةً. فقـال: أنت جبــرئيـل! فــطار من بين القـوم وشقّ سقف المسجــد بجناحيه، فكبَّر الناس، وقالوا: الله أكبر، يا أميـر المؤمنين! من أين علمت أنّ هذا جبرئيل؟ فقال: إنّي لما نظَرْتُ إلى السَّماء بلغ نظري إلى ما فوق العـرش والحجب، ولمّـا نظرت إلى الأرض خـرق بصري طبقـات الأرض إلى الثرى، وَلمّا نظرتُ يمنة ويسرَةً رأيتُ مـا خلق، ولم أرَ جبرئيـل في هذه المخلوقـات، فعَلمتُ أنّه هو.

ومن خـطبة لـه عليه السلام بعد انصـرافه من قتـل الخـوارج فقـالَ فيهـا بعـد حمدِ اللّهِ والصَّلاة على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم :

أنـــا أوّل المسلمين، أنـا أوَّل المؤمنين، أنـــا أوّل المصلّين، أنــا أوَّل الصّـــائمين، أنـا أوّل المجـاهـدين، أنـــا حبـلُ الله المتينُ ، أنـــا سيف رسـول ربّ العـالمين ، أنـا الصّـديق الأكبـر ، أنـا الفـاروق الأعـظم ، أنـا بـاب مـدينـة العلم، أنا رأسَ الحكم، أنا راية الهدى، أنـا مفتي العدل، أنـا سراج الـدّين، أنا أمير المؤمنين، أنا إمامُ المتّقين، أنا سيّد الوَصّيّين، أنا يعسـوب الدّين، أنـا شهـابُ اللّهِ الثاقِب، أنـا عذاب الله الـواجب، أنا البحـر الّـذي لا ينـزف، أنـا

الشَّرَف الذي لا يوصف، أنا قاتل المشركين، أنا مبيد الكافرين، أنا غوث المؤمنين، أنا قائد الغرّ المحجَّلين، أنا أضراس جهنّم القاطعة، أنا رحاها الدَّائرة، أنا سائق أهلها إليها، أنا ملقى حطبها إليها، أنا اسمي في الصّحف آليّاً، وفي التوراة بريّاً، وعند العرب عليّاً، وإنّ لي أسماء في القرآن عرفها من عرفها، أنا الصّادق الذي أمركم الله باتباعه فقال: «وكونوا مع الصّادقين، أنا صالح المؤمنين، أنا المؤذّن في الدّنيا والآخرة، أنا المتصدّق راكعاً، أنا الفتى ابن الفتى، أخو الفتى، أنا الممدوح بهل أتى، أنا وجه اللّهِ، أنا جنب الله، أنا علم الله، أنا عندي علم ما كانَ وما يكون إلى يوم القيامة، لا يدَّعي ذلك أحد، ولا يدفعني عنه أحد، جعل الله قلبي مضيئاً، وعملي رضيّاً لقّنني ربّي الحكمة وغذّاني بها لم أشرك باللّهِ منذ خُلِقْتُ، ولم أجزع منذ حملتُ، قتلتُ صناديد العرب وفرسانها، وأفنيتُ ليوثها وشجعانها، أيّها النّاس سلوني عن علمٍ مخزون وحكمة مجموعة(١).

ومن خطبة له ﷺ قال: أنا عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد رسولِ الله إلاّ أنا، أنا ذو القرنينِ المذكور في الصُّحف الأولى، أنا صاحب خاتم سليمان، أنا وليّ الحساب، أنا صاحب الصّراط والموقف، أنا قاسم الجنّة والنّار بأمر ربّي، أنا آدم الأوّل، أنا نوح الأوّل، أنا آية الجبّار، أنا حقيقة الأسرار، أنا مورق الأشجار، أنا مونع الثّمار، أنا مفجّر العيون، أنا مجري الأنهار، أنا خازن العلم، أنا طود الحلم، أنا أمير المؤمنين، أنا عين اليقين، أنا حجّة اللّهِ في السّموات والأرض، أنا الرَّاجفة، أنا الصَّاعِقة، أنا الصَّيحة بالحقّ، أنا السَّاعة لمن كذّب بها، أنا ذلك الكتاب لا ريبَ فيه، أنا الأسماءِ الحسنى الّتي أمر الله أن يُدْعَى بها، أنا ذلك النّور الّذي اقتبسَ موسى منه الهدى، أنا صاحب الصُّور، أنا مخرجُ مَنْ في القبور، أنا صاحب يوم النُّشور، أنا صاحب نوح ومنجيه، أنا صاحب أيّوب المبتلي وشافيه، أنا أقمتُ السَّموات بأمر ربّي، أنا صاحب إبراهيم، أنا سرّ الكليم، أنا النّاظِر في الملكوت، أنا

(١) مشارق أنوار اليقين: للشيخ رجب البرسي، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

أمر الحيّ الّذي لا يموت، أنا وليّ الحقّ على سائرِ الخَلق، أنـا الّذي لا يبـدّل القـوم لديَّ وحسـاب الخلِق إليَّ، أنا المفـوّض إليّ أمر الخـلائق، أنـا خليفة الإله الخالق، أنا سرّ الله في بلادِهِ، وحجّته على عبادِهِ، أنا أمر الله والرّوح كما قال سبحانه: ﴿ويسألُونَكَ عن الـرُّوح قُل الـرّوِح من أمر رَبّي﴾، أنـا أرسيْتُ الجبالَ الشّامخاتِ، وفجرّتُ العيون الجاريات، أنَا غـارس الأشجار، ومخـرج الألوان والثِمار، أنا مقدّر الأقوات، أنا ناشِر الأموات، أنا منزّل القطر، أنا منوّر الشّمس والقمر والنّجوم، أنا سرّ الله المخزون، أنا العالِم بما كان وما يكـون، أنـا صلاة المؤمنين وصيـامهم، أنا مـولاهم وإمامهم، أنـا صاحِبُ النّشـر الأوّل والآخِر، أنا صاحب المناقب والمفاخِر، أنا صاحب الكـواكب، أنا عـذابُ الله الـواصب، أنا مهلك الجبابـرة الأُوَل، أنا مـزيل الـدُّوَل، أنـا صـاحِبُ الـزُّلازل والرَّجف، أنا صاحب الكسوف والخسوف، أنا مدمّر الفراعنة بسيفي هـذا، أنا الّـذي أقامني الله في الأظلَّةِ ودعـاهُم إلى طاعتي، فلمّـا ظهرتُ أنكـروا، فقال سبحانَهُ: فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به، أنا نور الأنوار، أنا حامل العرش مـع الأبرار، أنا صاحب الكتب السّالفة، أنا باب الله الّذي لا يفتح لمن كذّبَ بـه، ولا يذوق الجنّة، أنا الّذي تزدحم الملائكة على فراشي، وتعـرفني عبّاد أقـاليم الدُّنيا، أنـا الّذي رُدَّتْ لي الشمس مـرتين، وسلّمت عليّ كرتين، وصليتُ مـع رسولِ الله القبلتين، وبايعتُ البيعتين، أنا صاحب بـدرٍ وحُنَيْن، أنا الـطّور، أنا الكتاب المسطور، أنا البحر المسجور، أنا البيت المعمـور، أنا الّـذِي دعا الله الخـلائق إلى طـاعتي فكفِـرَتْ وأصـرَّتْ، فمُسِخَتْ، وأجـابت أمَّـةٌ فنجَتْ وأزلفت، أنا الّذِي بيدي مفاتيح الجنان ومقاليد النيـران كرامـةً من الله، أنا مـع رسـولِ الله في الأرض وفي السَّمـاء، أنـا المسيـح حيث لا روح يتحـرَّك، ولا نفس يتنفَّس غيري، أنا صاحب القرون الأولى، أنـا الصّامت ومحمّـد النّاطق، أنا جاوزت بموسى في البحر، وأغرقْتُ فرعون وجنودَهُ أنا أعلم هماهِمَ البهـائِم ومنطق الطّير، أنا الذي أجوز السّمواتِ السَّبعَ والأرضِينَ السَّبع في طرفة عين، أنـا المتكلّم على لسانِ عيسى في المهـد، أنا الّـذِي يصلّي عيسى خلفِي، أنا الذي أتقلّبُ في الصّور كيف شاءَ الله، أنا مصباحُ الهدى، أنا مفتاحُ التُّقى، أنا

الآخرة والأولى، أنا الّذِي أرى أعمال العباد، أنا خزان السّمواتِ والأرض بـأمر ربّ العالمينَ، أنا القائم بالقسط، أنا ديَّان الـدّين، أنا الَّـذِي لا تقبل الأعمـال إلّا بولايتي، ولا تنفخ الحسنات إلّا بحُبّي، أنا العالِم بمدار الفلك الـدَّوّار، أنا صاحب ميكال ومحصي قطرات الأمطار ورمـل القفار بـإذن الملك الجبَّار، أنـا الّذي أقتل مرتين، وأحيِي مرتين، وأظهر كيف شئتُ، أنا محصي الخلائق وإن كثروا، أنا محاسبُهم بأمر ربّي، أنا الذي عندي ألف كتابٍ من كتب الأنبيـاء، أنـا الذي جحـد ولايتي ألف أمّةٍ فمسخـوا، أنا المـذكور في سـالِف الأزمان، والخـارج في آخـر الـزّمـان، أنـا قـاسم الجبَّـارين في الغـابـرين، ومخـرجهم ومعـذِّبُهُم في الآخرين يغـوث ويعوق ونسـراً عذابـاً شديـداً، أنا المتكلّم بكـلّ لسان، أنا الشّاهِد لأعمالِ الخلائق في المشارق والمغارب، أنا صهر محمّـد، أنا المعنى الّذِي لا يقع عليه إسمٌ ولا شبَـه، أنا بـاب حطَّة، ولا حـول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم[1].

ومن إخباره بالغيب عليه السلام أنّه خرَجَ ذاتَ ليلةٍ من مسجد الكوفـة متوجّهـاً إلى دارِهِ، وقـد مَضَى ربعٌ من اللَّيـل، ومعه كميـل بن زيـاد، وكـان من خيـار شيعتِهِ ومحبّيه، فوصل في الطَّريق إلى باب رجلٍ يتلو القرآن في ذلك الوقت، ويقرأ قوله تعالى: **﴿أَمَّنْ هـو قانِتٌ آنـاء اللَّيل سـاجداً وقـائماً يحـذر الآخرة، ويرجو رحمة ربّه﴾** قل: **﴿هلْ يستوي الّذين يعلمون والَّذِين لا يعلمـون إنّما يتذكَّر أُولوا الألباب﴾** بصوتٍ شجيّ حزين، فاستَحْسَنَ ذلك كميـل في باطنِـهِ، وأعجبَهُ حال الرَّجل من غير أن يقول شيئاً. فالتفتَ إليه عليه السلام وقال: يا كميل، لا تعجبْكَ طنطنَةُ الرَّجُل، إنّه من أهل النّار، وسأنبئُكَ فيمـا بعد، فتحيَّـر كميل لمشافهته على ما في باطِنِهِ، وشهادته للرّجل بالنّار مع كونه في هذا الأمر، وفي تلك الحالة الحسَنَةِ ظاهـراً في ذلك الـوقت. فسكَتَ كميل متعجّبـاً متفكّراً في ذلك الأمر، ومضى مدّة متطاولةً إلى أنْ آل حال الخوارج إلى ما آل، وقاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام، وكانوا يحفظون القرآن كما أُنْزِلَ، والتفَتَ أمير المؤمنين

---

(١) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

إلى كميل بن زياد، وهو واقِفٌ بين يديه، والسَّيف في يده عليه السلام يقطر دماً ورؤوس أولئِكَ الكفرة الفجرة محلّقة على الأرض، فوضع رأس السَّيْفِ على رأس من تلك الرّؤوس، وقال: يا كميل: «أمَّنْ هو قانتٌ آناء اللَّيل ساجداً وقائِماً، أي هو ذلكَ الشَّخص الّذي كان يقرأ في تلك اللَّيلةِ فأعجبَكَ حاله، فقبَّلَ كميل مقدَّم قدميه، واستغفرَ اللَّه، فصلَّى الله على محمَّد وآل محمّد، وعلى مجهول القدر[1].

ومن إخبارِهِ عليه السلام أنّه قالَ لأصحابه لمَّا رفع معاوية المصاحف: إنَّهم لم يريدوا القرآن، فاتّقوا الله وامضوا على بصائركم، إن لم تفعَلُوا تفرَّقَتْ بِكُمْ السُّبل، وندمتم حيث لا تنفعكم النّدامة، فكان كما أخبر عليه السلام .

ومن إخبارِهِ عليه السلام ما رواهُ عنه أبو عبدالله قال: جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فشكا إليه طول دولة الجور. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : والله لا يكون ما تأملون حتَّى يهلك المبطِلون، ويضمحَلّ الجاهلون، ويأمن المتّقون، وقليل ما يكون حتّى لا يكون لِأحَدِكُم موضع قدمِهِ، وحتّى تكون الدّنيا على النّاس أهون من الميتَةِ عند صاحبها. فبيَنَما أنتم كذلكَ، إذ جاء نصر الله والفتح، وهو قول ربّي عزَّو جَلَّ في كتابه: ﴿حتّى إذا استيأس الرّسل وظنّوا أنّهم قد كذّبوا جاءهم نصرنا﴾[2].

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره النّعماني في غيبته، قال: حدَّثنا أبو سليمان بن هودة بن أبي هراسة الباهلي، قال: حدَّثنا إبراهيم بن إسحٰق النّهاوندي، قال: حدَّثنا عبدالله بن حمّاد الأنصاري، عن صباح المزني عن الحرث بن حضيرة، عن الإصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: كونوا كالنّحل في الطّير، ليس شيءٌ من الطّير إلاّ وهو يستضعفها، ولو علمتِ

---

(١) سورة يوسف: آية ١١٠.
(٢) بشائر الأنام: للسيد مصطفى آل السيد حيدر الكاظمي.

الطّيور ما في جوفها من البركة لم تفعل بها ذلك. خالِطوا النّاس بألسنتِكُمْ وَأبدانِكم، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم، فوالذي نفسِي بيده ما ترون ما تحبُّون حتّى يتفل بعضكم في وجوه بعض، وحَتّى يُسَمّيَ بعضكم بعضاً كذّابين، وحتّى لا يبقى منكم أو قال من شيعتي إلاّ كالكحل في العين، أو كالملح في الطّعام، وسأضربُ لكم مثلاً، وهو مثل رجلٍ كان له طعام، فنقّاه وطيَّبَه، ثمّ أدخلَهُ بيتاً وتركه فيه ما شآء الله، ثمّ عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس، فأخرجه ونقّاه وطيّبَه، ثم عاودهُ إلى البيت، فتركه ما شاءَ الله، ثم عاد إليه، فإذا هوَ قد أصابته طائفة من السُّوس، فأخرجَهُ ونقّاه وطيَّبه، وأعادَهُ، ولم يزل كذلك حتّى بقيَتْ منه رزمة كرزمة الأندر، ولا يضرّه السُّوس شيئاً، وكذلكَ أنتم تميّزون حتّى لا يبقى منكم إلاّ عصابة لا يضرها الفتنة[1].

فلِلّهِ درُّكَ يا أبا الحسن ما أوسع علمك الذي لا نظيرَ له إلاّ عند الأنبياء والأوصياء. فهذا الإصبغ بن نباتة يقول: خطبَ أمير المؤمنين عليه السلام فقال في خطبته: أنا أخو رسولِ الله ووارثُ علمه، ومعدن حكمته، وصاحب سِرّه، ومأأنزل الله حرفاً في كتابٍ من كتبه إلاّ وقد صار إليَّ، وزادني علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. . . . إلى أن قال: أنا صاحب الرَّعد الأكبر، أنا صاحبَ البحر الأكدر، أنا مكلّم الشّمس، أنا الصّاعقة على الأعداء، أنا غوث مَنْ أطاع من الورى، والله ربّي لا إلٓه غيره، ألا وإنَّ للباطِل جولةً وللحقّ دولة، وإني ظاعنٌ عن قريب، فارتقِبوا الفتنة الأمويَّة والدّولة الكسروية، ثم تقبّل دولة بني العباس بالفزع والبأس، وتبني مدينةً يقال لها الزّوراء بين دجلة وَدجيل والفرات، ملعونٌ من سكنها، منها يخرج طينة الجبّارين تعلَى فيها القصور، وتسبل السُّتور، ويتعاملون بالمكر والفجور، ويتناولها بنو العبَّاس، اثنان وأربعون ملكاً على عدد سني الملك، ثم الفتنة الغبراء والقلادة الحمراء في عقبها قائم الحق يسفر عن وجهه كأنّه القمر المضيء بين الكواكب، ألاَ وإنّ

---

(١) بشائر الأنام: للسيد مصطفى آل السيد حيدر الكاظمي، ص ٥٨ وما بعد.

لخروجه علامات عشر، ومن العلامة إلى العلامة عجب، فإذا تمّت العلامات قائم قائِمنا قائم الحقّ والخير[1].

ومن إخبارِهِ ﵇ ما ذكره في الجزء الثّاني من النهج شرح محمّد عبده ص ٤١ مطبعة الاستقامة، قال: «وإنّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس في شيءٌ أخفى من الحقّ ولا أظهر من الباطِل، ولا أكثر من الكذب على اللّهِ ورسوله!! وليس عند أهل ذلك الزّمان سلعة أبور من الكتاب إذا تُلِيَ حقّ تلاوته، ولا أنفق منه إذا حُرّفَ من مواضعه، ولا في البلاء شيءٌ أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته، فالكتابُ يومئذٍ وأهله طريدان منفيّان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مُوّاوٍ!! فالكتاب وأهله في ذلك الزّمان في النّاس وليسا فيهم ومعهم، لأنّ الضّلالة لا توافق الهدى إلى آخرِ الخطبة».

ومن إخباره بالغيب ما رواهُ نصر بن مزاحم في كتاب (صفّين) ثم قال: حدّثنا منصور بن سلام التّميمي، قال: حدّثنا حيّان التّميمي عن أبي عبيدة، عن هرثمة بن سليم، قال: غزونا مع علي صفّين، فلمّا نزل بكربلاء صلّى بنا، فلمّا سلّمَ رفع إليه من تربتها فشمّها، ثم قال: واهاً لكِ يا تربة! ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب، وما علمه بالغيب؟ فقالت المرأة له: دعنا منكَ أيّها الرّجل، فإنّ أمير المؤمنين لم يقل إلّا حقّاً. قال: فلمّا بعث عبيدُالله بن زياد البعث الّذي بعثه إلى الحسين ﵇ وأصحابه، عرفت المنزل الّذي نزلنا فيه مع علي ﵇ ، والبقعة التي رفع إليه من تربتها، والقول الّذي قاله، فكرهت مسيري، فأقبلتُ على فرسي حتى وقفت على الحسين ﵇ ، وسلّمت عليه وحدّثته بالّذي سمعتُ من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين ﵇ : فتولّ هارباً حتّى لا ترى مقتلَنا، فوالّذي نفس حسين بيده لا يرى اليومَ مقتلنا أحدٌ، ثم لا يعيننا إلّا دخل النّار، قال: فأقبلْتُ في الأرض أشتَدُّ

(١) بشائر الأنام: للسيّد مصطفى المذكور سابقاً، منشورات دار العرفان.

هرباً حتّى خفي عليٍّ مقتلهم[1] .

ومن إخباره ما ذكره في خطبة الأقاليم، فوصفَ ما يجري في كلّ إقليم، ثم وصَفَ ما يجري بعد كلّ عشر سنين من موت النّبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى تمام ثلاثمائة وعشر سنين من فتح قسطنطينية والصّقالبة والأندلس والحبشة والتّرك والكرك ومل وخسل وتأويل والياريس والصّين، وأقاصي مدن الدّنيا[2] .

وعن الإصبغ بن نباتة قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا وقف الرَّجل بين يديه قال: يا فلان استعدَّ وأعِدّ لنفسك ما تريد، فإنّك تمرض في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا، فيكون كما قال. وكان عليه السلام قد علّم رشيد الهجري من ذلك، فكانوا يلقّبونه رشيد البلايا، وأخبر عن قتل الحسين عليه السلام [3].

ومن إخباره ما رواه ثابت بن الأفلح في حديثه قال: ضلّت لي فرسٌ نصفَ اللّيل، فأتيتُ باب أمير المؤمنين عليه السلام ، فلمّا وصلتُ البابَ خرج إليَّ قنبر وقال لي: يابن الأفلح، إلْحَقْ فرسك فخُذْهُ مِنْ عوف بن طلحة السَّعدي.

وعن النّضر بن شميل عن عوف، عن مروان الأصفر، قال: قَدِمَ راكبٌ من الشّام، وعليٌّ بالكوفة، فنعى معاوية، فَأُدْخِلَ إلى علي عليه السلام ، فقال له عليٌّ: أنت شهدتَ موته؟ قال: نعم، وحثوتُ عليه، قال: إنّه كاذب، قيل: وما يدريكَ يا أمير المؤمنين أنّه كاذب؟ قال: إنّه لا يموت حتّى يعمل كذا وكذا أعمال عمِلَها في سلطانه، فقيل له: فلم تقاتِله وأنت تعلم هذا؟ قال: للحجَّة[4] .

ومن إخباره ما رواه عمّار بن عبّاس أنّه لمّا صعد علي عليه السلام المنبر قال

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٥٨٩ ـ ٥٩٠.
(٢) نفس المصدر، ص ٥٨٧، جـ ٩.
(٣) نفس المصدر، جـ ٩ ص ٥٨٣.
(٤) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٥٨٣.

لنـا: قومـوا فتخلّلوا الصّفوف ونـادوا: هل من كـارهٍ؟ فتصارخ النّاس من كـلّ جانب، اللهمّ قد رضينا وأسلمنا وأطعنا رسولـك وابن عمّه، فقـال: يا عمّـار، قـم إلى بيت المـال، فأعطِ النّـاس ثلاثـة دنانيـر لكلّ إنسـان، وادفع لي ثـلاثة دنـانير. فمضى عمـار وأبو الهيثم مـع جماعَـةٍ من المسلمين إلى بيت المـال، ومضى أميـر المؤمنين عليه السلام إلى مسجد قبـا يصلّي فيه، فـوجدوا فيـه ثلاثمـائة ألـف دينار، ووجدوا الناس مائة ألـف. فقال عمّـار: جاء واللّهِ الحق من ربّكم، واللّهِ ما علم بالمال ولا بالنّـاس، وأنّ هذه الآيـة وجبت عليكُمْ بها طـاعة هـذا الرَّجل، فأبى طلحة والزُّبير وعقيل أن يقبلوها(١).

ومن إخباره ما رواه الإصبغ قال: صلَّينا مع أميـر المؤمنين عليه السلام الغداة، فإذا رَجُلٌ عليه ثياب السَّفر قد أقبل، فقال: مِنْ أين؟ قـال: من الشّام. قـال: مـا أَقْدَمَـكَ؟ قال: لي حـاجة، قـال: أخبرني وإلاّ أخبـرتُـكَ بقصّتِـكَ! قـال: أخبرني بها يا أمير المؤمنين. قـال: نادى معـاوية يـوم كذا وكـذا من شهر كـذا وكذا، مَنْ يقتل عليّاً فله عشرة آلاف دينار، فوثب فلان وقال: أنا. قال: أنتَ، فلمـا انصرَفَ إلى منـزله نَـدِمَ وقال: أسيـرُ إلى ابن عمّ رسول الله وأبي ولـديه وأقتله، ثم نـادى مناديـه اليومَ الثّـاني: من يقتل عليّـاً فله عشرون ألف دينـار؟ فوثب آخر فقال: أنا، فقال: أنتَ، ثمَّ ندم واستقال معاويةَ، فأقـاله، ثمّ نـادى مناديه اليوم الثَّالث: من يقتـل عليّاً فله ثـلاثون ألف دينـار؟ فوثبتَ أنتَ، وأنتَ رجلٌ من حمير، قال: صدقتَ، قالَ: فما رأيـك؟ أتمضي إلى ما أُمِـرْتَ به أو ماذا؟ قال: لا، ولكن أنصَرِفُ، فقال: يـا قنبر، أصلِحْ لـه راحلته، وهيّيءِ لـه زاده، وأعطِهِ نفقتَهُ(٢).

ومن إخباره عليه السلام أنّه قال يوماً: لو وجـدتُ رجلاً ثقـةً لبعثتُ معه بمـالٍ إلى مـدائن شيعتي، فقال رجل في نفسِهِ: لآتينَّـهُ ولأقولَنَّ: أنـا أذهبُ بالمـال فهـو يثق بي، فإذا أخـذته أخـذتُ طريق الشّـام إلى معـاويـة. فجـاء إلى علي

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٥٨١.
(٢) مناقب آل أبي طالب، جـ ١ ص ٤٣٠، وكتاب سلوني: للخطيب، جـ ٢ ص ٣٨٨.

ﷺ، فقال: أنا أذهبُ بالمال. فرفع رأسه وقال: إليكَ تأخذ عنّي طريق الشّام إلى معاوية[1].

وروى داوود العطّار قال: قال رَجُلٌ: سألني رجل عن خاصّةِ أمير المؤمنين ﷺ فقال لي: انطلِقْ حتّى نسلّمُ على أمير المؤمنين ﷺ. قال: وكنتُ لا أحبُّ ذلك. فلم يزل بي حتى أتيتُ معه فسلّمنا عليه. فرفَعَ أمير المؤمنين الدِّرة فضرب بها ساقي فنزوتُ، فقال: أترى أنَّكَ مُكْرَهٌ، إنَّك ميسرة، ثمَّ ذهبت فقيل لي: صنع بك أمير المؤمنين ما لم يصنع إلى أحد، قال: إنّي كنتُ مملوكاً لآلِ فلانَ، وكان إسمي ميسرة ففارقتهم، وادَّعَيْتُ إلى من لستُ أنا منه، فسمَّاني أمير المؤمنين باسمي[2].

وروى جابر الجعفي عن الباقِر ﷺ قال: خرج علي ﷺ بأصحابه إلى ظهر الكوفة، قال: أرأيتم إن قلتُ لكم: لا تذهب الأيام حتّى يحفرها هنا نهر يجري فيه الماء، أكنتم مصدّقي فيما قلت؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، ويكون هذا؟ قال: إي واللّهِ لكأني أنظر إلى نهرٍ في هذا الموضع، وقد جرى فيه الماء والسّفن وانتفع به فكان كما قال[3].

ومن ذلك ما رواه أحمد بن محمَّد عن عمرو بن عبد العزيز عن بكّار بن كَرْدَم عن أبي عبدالله ﷺ أنّ جويريَّة بن عمر العبدي خاصمَهُ رجُلٌ في فرس أُنثى، فادَّعيا جميعاً الفرس، فقال أمير المؤمنين: لواحدٍ منكما البيِّنة، فقالا: لا، فقال لجويريَّة: أعطه الفرس، فقال له: يا أمير المؤمنين بلا بَيِّنَةٍ؟ فقال له: واللّهِ لأنا أعلمُ بكَ منكَ بنفسِكَ. أتَنْسَى صنيعَكَ بالجاهليّة الجهلاء، فأخبره بذلك[4].

ومن إخباره بالغيب ﷺ، إخباره بالرُّؤيا التي رأتها أمُّ الحنفيَّة لابنتها،

---

(١) بحار الأنوار، ص ٥٨١، جـ ٩.

(٢) بحار الأنوار، جـ ٩ ص ٥٨١.

(٣) نفس المصدر، جـ ٩ ص ٥٧٨.

(٤) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٥٧٨.

وإعلانه عن العلامة التي كانت بينها وبين ابنتها، واكتشاف مكانِها ممّا أدّى إلى زواجه منها، وهذا حديثها.

يقول صاحبُ كتابِ (الفضائِل) حدَّثنا أبو عبدالله الحسين بن أحمد المديني، قال: حدَّثني عبدالله بن هاشم عن الكلبي، قالَ: أخبرني ميمون بن صعب الكلبي بمكّة، قال: كنّا عند أبي العباس بن سابور المكّي فأجرَيْنا حديث أهل الرِّدة، فذكرنا خولة الحنفيَّة، ونكاح أمير المؤمنين عليه السلام لها، فقال: أخبرني أبو الحسن عبدالله بن أبي الخير الحسيني، قال: بلغني أنّ الباقِر محمّد بن علي كان جالِساً ذاتَ يوم إذ جاءه رجلان فقالاَ: يا أبا جعفر، ألستَ القائِلَ: إنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لم يرضَ بإمامَةِ من تقدَّمَ! قال: بلى، فقالا له: هذه خولة الحنفيّة نكحها مَنْ سَبْيِهِمْ، وقَبِلَ هديَّتَهِم، ولم يخالِفْهُمْ عن أمرهم مدَّة حياتِهِم. فقال الباقِر: من فيكم يأتيني بجابر بن عبدالله بن حزام؟ «وكان محجوباً قد كُفَّ بصرُهُ»، فحضر فسلَّمَ على الباقِر، وأجْلَسه إلى جانبه، وقال: يا جابر، عندي رجلانِ ذكرا أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي بإمامَةِ من تقدَّم عليه، فسألهما الحجّة في ذلك، فذكرا له خولة، فبكى جابر حتّى اخضلَّت لحيته بالدُّموع، ثم قال: واللّهِ يا مولايَ لقد خشيتُ أن أخرج من الدُّنيا ولا أسأل عن هذه المسألة، وإنّي واللّهِ كنتُ جالِساً إلى جانب أبي بكر، وقد سَبَوْا بني حنيفة بعد قتل مالك بن نويرة من قِبَلِ خالد بن الوليد، وبينَهُمْ جارية مراهقة، فلمَّا دَخَلَتِ المسجدَ قالت: أيّها النّاس، ما فعلَ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالوا: قُبِضَ، فقالت: هل له بيّنة تُقْصَدُ؟ فقالوا: نعم، هذه تربته صلى الله عليه وآله وسلم. فنادَتْ: السَّلامُ عليكَ يا رسولَ اللّهِ، أشهدُ أن لا إله إلاّ الله، وأشهدُ أنّكَ عبده ورسوله، وأنّكَ تسمع كلامي، وتقدر على ردّ جوابي، وأنّنا سُبِينا من بعدكَ، ونحن نشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّكَ رسولُ اللّهِ، ثمَّ جلسَتْ. فوثب رجلان مِنَ المهاجرين والأنصار، أحدهما طلحة، والآخر الزّبير، فطرحا ثوبيهما عليها، فقالت: ما بالكم يا معاشر العرب تصونونَ حلائلكم، وتهتكون حلائل غيركم؟ فقالا لها: لمخالفتِكم اللّه ورسوله حتّى قلتم: إنّنا نزكّي ولا نصلّي، أو نصلّي فلا نزكّي. فقالت لهما:

واللّهِ ما قالها أحد من بني حنيفة، وإنّنا نضربُ صبيانَنا على الصَّلاةِ من التّسع، وعلى الصّيام من السَّبع، وإنَّا لنخرجَ الزّكاة من حيث يبقى في جمادى الآخرة عشرة أيَّام، ويوصي مريضنا بها لوصيَّته، واللّهِ يا قوم ما نَكَثْنا ولا غيَّرنا ولا بَدَّلْنا حتّى تقتلوا رجالنا وتسبوا حريمنا، فإن كنتَ يا أبا بكرٍ بحقّ فما بال علي لم يكن سبقكَ عليكَ؟ وإن كان راضِياً بولايتكَ، فَلِمَ لا ترسله إلينا يقبض الزّكاة منّا ويسلّمها إليك؟! والله ما رَضِيَ ولا يرضى! قتلْتَ الرّجال ونهبْتَ الأموال، وقطعْتَ الأرحام، فلا نجتمع معكَ في الدُّنيا ولا في الآخرة. افعَلْ ما أنتَ فاعلُه، فضجَّ النّاس، وقال الرُّجلان اللّذانِ طرحا ثوبيهما: إنا لمغالون في ثمنِكِ، فقالت: أقسمْتُ باللّهِ وبمحمد رسول الله أنّه لا يملكني ويأخذني إلاّ من يخبرني بما رأت أمي، وهي حامِلٌ بي، وأيُّ شيءٍ قالت لي عند ولادتي؟ وما العلامَةُ الّتي بيني وبينَها؟ أَلاَ فإن ملكَنِي أحدٌ ولم يخبرني بذلك، بقرتُ بطني بيدي، فيذهب ثمني، ويكون مطالَباً بدمي، فقالوا لها: أبدي رؤياكِ الّتي رأت أُمُّكِ، وهي حامِلٌ بكِ، حتّى نبدي لَكِ العبارةَ بالرُّؤيا. فأخذ طلحة والزّبير ثوبيهما وجلسا. فدخل أمير المؤمنين وقال: ما هذا الرَّجف في مسجد رسول الله؟ قالوا يا عليّ، امرأة من بني حنيفة حرَّمت نفسها على المؤمنين، وقالت: من أخبرني بالرُّؤيا الّتي رأت أمّي، وهي حامِلٌ بي وعدَّها لي فهو يملكني. فقال أمير المؤمنين: ما ادَّعت باطِلاً، أخبروها تملكوها، فقالوا: يا أبا الحسن، ما فينا من يعلم الغيب، أما علمتَ أنّ ابنَ عَمّكَ رسولَ اللّهِ قُبِضَ، وإنّ أخبار السَّماء انقطعَتْ من بعده، فقال أمير المؤمنين: ما ادَّعت باطِلاً، أخبِرْها أملكْها بغير اعتراض؟ قالوا: نعم، فقال عليه السلام: يا حنيفة، أُخْبِرُكِ أملكك؟ فقالَتْ: مَنْ أنتَ أيُّها المجترىءُ دونَ أصحابه؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب. فقالَتْ: لعلَّكَ الرَّجل الّذي نصبه لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صبيحة يوم الجُمعة بغدير خمّ عَلَماً للنّاس! فقال: أنا ذلكَ الرَّجل، فقالت: من أجلِكَ أُصِبْنا، ومن نحوِكَ أوتينا، لأنّ رجالَنَا قالوا: لا نسلّم صدقاتِ أموالِنا ولا طاعة نفوسِنا إلاّ مَنْ نصبَهُ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فينا وفيكم عَلَماً. فقال أمير المؤمنين: إنَّ أجرَكُمْ غيرُ ضائع، وإنّ الله تعالى يؤتي كلّ نفسٍ ما أتت من

خير. ثم قال: يا حنيفة ألم تحمل بكِ أمُّكِ في زمان قحط منعتِ السَّماء قطرَها، والأرض نباتها، وغارت العيون، حتّى أنّ البهائِمَ كانت تريد المرعى فلا تجد، وكانت أمُّكِ تقول: إنَّكِ حمل مشؤوم في زمانٍ غير مبارك، فلمَّا كان بعد تسعَة أشهر رأت في منامها كأن وضَعَتْكِ، فإنَّها تقول: إنَّكِ حملٌ مشئوم، وفي زمانٍ غير مبارَكٍ، وكأنَّكِ تقولين: يا أمّي، لا تطيرَنَّ بي، فأنا حملٌ مبارك، نشأتُ منشأً صالِحاً، ويملكني سيِّد، وأُرْزَقُ منه ولداً يكون لبني حنيفةَ عزّاً. فقالَتْ: صدقتَ يا أمير المؤمنين، فإنَّه كذلكَ. فقالَ: وبه أخبرني ابن عمي رسول الله ﷺ، فقالت: ما العلامَةُ بيني وبين أمّي؟ فقال: إنَّها لما وضعَتْكِ كَتَبَتْ كلامَكِ والرؤيا في لوح من نحاس، وأودعته عتبَةَ الباب، فلمَّا كان بعد حولين عرضَتْهُ عليكِ، فأقررْتِ به، ثمَّ جمعَتْ بينك وبينَ اللَّوح، فقالَتْ لَكِ: يا بنيَّة إذا نزل بساحتكم سافِكٌ لدمائكم، ناهِبٌ لأموالكم، سابٍ لذراريكم، وسُبِيْتِ فيمَنْ سُبِيَ، فخذي اللَّوح معَكِ، واجتهدي ألَّا يملكَكِ من الجماعةِ إلَّا من يخبرُكِ بالرُّؤيا بما في هذا اللَّوح معكِ. فقالت: صدقتَ يا أمير المؤمنين. فأينَ اللَّوح؟ قال: في عقيصَتِكِ. فعند ذلكَ دفعَتِ اللَّوحَ إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ثم قالت: يا معاشر النَّاس إشهدوا أنّي قد جعلتُ نفسي له عبدةً، فقال عليه السلام: بل قولي: زوجَةً. فقالَتْ: اشهدوا أنّي قد زوَّجْتُ نفسي كما أمرني بعلي عليه السلام. فقال عليه السلام: قد قبلتُكِ زوجَةً، فماج النَّاس، فقال جابر: واللّهِ يا أبا جعفر، ملكها بما ظَهَر من حجَّتِهِ، وتبيَّنَ من بَيِّنَتِهِ، فلعن الله من اتَّضَحَ له الحق، وجعَلَ بينَهُ وبينَ الحقّ ستراً(1).

ومن إخبارِهِ بالغيب ما قاله ابن أبي الحديد، عن أبي الأَسْوَدِ الدُّؤَلي، قال: لمَّا ظَهَر علي عليه السلام يوم الجمل، دخل بيتَ المال بالبصرةِ في أُناسٍ من المهاجرين والأنصار، وأنا معهم، فلمَّا رأى كثرةَ ما فيه، قال: غرِّي غيري مِراراً، ثمَّ نظَر إلى المالِ، وصعَّد فيه بَصَرَهُ وصوَّب، وقال: أقسمُوهُ بين

(1) كتاب (الفضائل) لشاذان القمّي، ص ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١، منشورات مكتبة العرفان.

أصحابي خمسمائة خمسمائة، فَقُسّمَ بينَهُمْ. فلا والَّذِي بعثَ محمّداً بالحقّ، ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنّه كان يعرف مبلغَهُ ومقداره.

ثمَّ حكى عن حبّة العرني، قال: قسم عليٌّ بيت مال البصرَةِ على أصحابه خمسمائة خمسمائة، وأخذ خمسمائة درهماً كواحِدَ منهم، فجاءه إنسان لم يحضر الوقعة، فقال: يا أمير المؤمنين. كنتُ شاهِداً معكَ في قلبي، وإن غابَ عنكَ جسمي، فأعطني مِنَ الفيء شيئاً، فدفع إليه الّذي أخذَهُ لنفسِهِ، ولم يُصِبْ من الفيءِ شيئاً[1].

هذه لمحة بسيطة عن إخبار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن الأمورِ الغيبيَّة الَّتي يذهل منها العقل الإنساني، فَلاَ يجد لها تحليلاً إلاَّ أنّه صاحب الأُذُنِ الواعية. فما أخبرَهُ نبيّ هذه الأمَّة الإسلاميَّة صلى الله عليه وآله وسلم بشيءٍ من أخبار أهلِ الأرضِ والسَّماء إلاَّ حفِظَهُ وعَلِمَهُ. ولذلِكَ أخذ يخبر النَّاس بأسرارِ السَّماءِ، وهو القائِلُ: فأنا بطرق السَّماء أعلمُ منكم بطرق الأرض، وأخَذَ يخبرهم بأسرار أهل الأرض، كقوله: ولو شئتُ لأخبرتكم بما يأتي ويكون من حوادث دهركم، ونوائب زمانِكم، وبلايا أيامكم، وغمراتِ ساعاتِكم، ولكِنْ أفضِيهِ إلى من أفضيه إليه، مخافةً عليكم، ونظراً لكم، عِلْماً منّي بما هُوَ كائن وما يكون من البلاء الشَّامِل... إلخ.

ولم يصرّح الإمام عليه السلام إلاَّ بالنّذر اليسير ممّا يعرفه، لعدم استعداد الغالبية العظمى من النّاس لتقبُّلِ ما يعلنه لهم. يقولُ عليه السلام : واللّهِ لو شئتُ أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلتُ. ولكِنْ أخافُ أن تكفروا فيَّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ألاَ وإنّي مُفْضِيه إلى الخاصَّةِ ممّن يؤمن بذلك منه. والَّذِي بعثَهُ بالحقّ، وَاصطفاهُ على الخلق ما أنطقُ إلاّ صادِقاً... إلخ.

هَذِهِ الأمور الغيبيَّة لا يعرفها بعد انقطاع الوحي إلاَّ علي عليه السلام . وكثيراً

(١) من كتاب (حرب الجمل وَحرب صفّين): للسّيد محسن الأمين الحسيني العاملي، ص ٦٠، مطبوعات دار الفكر للجميع.

ما صرَّحَ قائِلاً: والّذي فلق الحبَّة، وبرأ النَّسمة لو ثنيت لي الوسادة لحكمتُ بين أهل التَّوراةِ بتوراتهم، وبين أهلِ الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهلِ الزّبور بزبورهم، وبينَ أهلِ الفرقانِ بفرقانِهِمْ... إلخ. فهو أخبر أهل الأرض بأحكام الكتب السَّماوية، وكيف لا يكون أخبرهم؟ وجميع أسرار الكتب السماوية والذكر الحكيم في النّقطة الّتي تحت الباء. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: أنا النّقطة التي تحت الباء.

فعنده علم الأوَّلين والآخرين، وكيف لا يكون ذلك؟ وهوَ القائِل: ولقد علمتُ ما فوق الفردوس الأعلى، وما تحت الأرض السَّابعة السُّفلى، وما بينهما وما تحت الثّرى... إلى قوله: فكم من آكِلٍ منكم لحمَ أخيه، وشاربٍ برأسِ أبيه، وهو يشتاقُهُ ويرتجيه!!

فالإمامِ ﷺ ليس له نظير ولا عديل ولا مثيل بعد رسولِ ربِّ العالمين. ولكنّه كان محنةً امتحَنَ بها النّاس، وقد هلك بها الأكثرون، وسَلِمَ منها الأقلون. ولو تمعَّن البصير الحكيم بقول الله سبحانَهُ: ﴿وإن لم تبلغ فما أدَّيْتَ رسالتَهُ﴾ لوجد أن الغاية من هذه الدَّعوة الإسلامية ولاية علي ﷺ. لذلكَ ما خرج مِنْ هذه المحنة التي وقع بها الخلق إلّا العدد القليل. فهل سلم منها من سلبوه حَقّه، وحرمُوهُ إرثه؟ وهل سلم منها من أمر بسبّهِ والبراءة منه؟ وهل سَلِمَ منها من أخذ يلاحِقُ محبِّيه تحتَ كلّ حجر ومدر، ويقضي عليهم؟ وكلُّ جريمتهم أنّهم يحبُّونَ علي!! وهل سلم منها من ناصبَهُ العداء منذ عهده حتّى عهدنا هذا؟ وحبُّهُ إيمان وبغضُهُ نفاق! ولا يحبّه إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا منافِق أو ابن حيضة أو ابن زِنى، إنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصّدور!!

وهل عَمىً أكبرُ من هذا العمى؟ فلشدَّة كرههم لعلي ﷺ أخذ عمرو بن حريث ضبّاً وقال لرفاقه السّبعة: بايعوا هذا أمير المؤمنين، فبايعوه، وهو ثامِنُهم. ولما نزلوا بالمسجد في المدائن، وأمير المؤمنين يخطب، نظر إليهم، وقال: أيّها النّاس، إنّ رسول الله ﷺ أسَرَّ إليَّ ألفَ حديث، في كلّ

حديثٍ ألف باب، وفي كلّ باب ألف مفتاحٍ، . . . إلى قولـه: ﴿يوم يُـدْعَى كلّ أناسٍ بإمامِهِم﴾ وإنّي أُقْسِمُ لكم بالله ليبعثَنَّ يـوم القيامـة ثمانيـة نفر بـإمامِهِمْ، وهو ضبّ، ولو شئتُ لأسمّيهم. . . إلى آخره.

فـالإمام عليه السلام يعـرف كلّ مـواقف النّـاس، ولكنّ الغـالبيـة العـظمَى لم يستحقّـوا هذه النّعمـة المسؤولين عنها بقـوله سبحـانـه: ﴿ولتسئلُنَّ يـومئـذٍ عن النَّعيم﴾. فالنعيم هو ولايـة العين. فقلوبهم لم تقبَلْ هـذه الولايـة، ولـم تشرق عليهم شموس الهداية والإرشاد، فعلِيٌّ هو المحك لمعرفة المؤمن من الكافِر.

وما أعظم ما قاله جلند بن كركر لمن يعتبر، لما سألوا أمير المؤمنينَ عن المخـاض، وأنا في هـذا المكان، وقـد بقيتَ تُرابـاً، وَقَدْ مِتُّ من ثـلاثة آلاف سنةٍ، وقد عـرَّفكم بإسمي واسمِ أبي، وهـو لا يعلم أين المخاض؟ فـواللّهِ هو أعلم بـالمخـاضِ منّي!! ويلكُمْ مـا أعمى قلوبكم، وأضعف يقينكُمْ، امضـوا إليه، واتّبعوه، فأين خاض خوضوا معه، فإنّه أشرفُ الخلق بعـد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الفصل العاشر

فضائله وكراماته عليه السّلام

أيُّ كاتب يستطيع أن يُحصِيَ فضائل الإمام؟ وقد عجز الثقلان عن حصر فضائِلِهِ وإحصاء كراماته. فهذا الخوارزمي في مناقبه يعلنها مـدوّيةً في أسمـاع الـزّمن عن مجـاهـد، عن ابن عبّـاس قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لـو أنّ الـرّياض أقـلام، والبحر مـدادٌ، والجنّ حسّـاب، والأنس كتّـاب، مـا أحصـوا فضـائِلِ علي بن أبي طـالب»[1]. وكيفَ يحصون فضـائِل من لـه ثلاثـة آلاف منقبة في ليلةٍ واحدة؟ ففي كتاب (الأمالي) عن سعيد بن جبير، قال: أتيتُ ابن عبّاس أسأله عن علي بن أبي طالب، واختلافِ النّاس فيه، فقال: يـابن جبير، جئتَ تسأل عن خير هذهِ الأمّةِ بعـد محمّد صلّى الله عليـه وآلهِ. جئتَ تسـألني عن رَجُـلٍ لـه ثـلاثـة آلاف منقبـة في ليلةٍ واحـدةٍ، وهي ليلة الفـديـة وصيّ رسول الله صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ، وخليفته، وصـاحب حوضِـهِ ولوائـهِ. ثم قال: والّذي اختارَ محمّداً خاتماً لرسله، لو كان نبتُ الدُّنيا وأشجارها أقلاماً، وأهلها كتّاباً، وكتبوا مناقِبَ علي وفضـائِلِهِ من يوم خلق الله الـدُّنيا إلى فنائِهَا مـا كتبوا معشار ما أتاهُ الله من الفضل[2].

---

(١) كشف الغمـة: لـلأربلي، جـ١ ص ١١٢، ورواه صـاحب الفـردوس عن ابن عبـاس صُحُفاً. راجع ينابيع المودة للقندوزي، جـ٢ ص ٦٥ .

(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٦٨.

وكثيراً ما عبَّر النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا المعنى بعدَّة أساليب، كقوله: لو كانت البحار مداداً، والغياض أقلاماً، والسَّموات صُحُفاً، والجنّ والإنس كتّاباً لنفد المداد، وكلَّتِ الثَّقلانِ أن يكتبوا معشار عشر فضائِلِ إمامِ يوم الغدير. وكيفَ يكتبون؟ وأنّى يهتدون؟ والكتاب الإلّهي يشهد لهذا الحديث النّبوي من قوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً﴾(١). وأكبر كلماتِ الله علي. وإليه الإشارة بقوله: ﴿أنا كلمة الله الكبرى﴾ فله الفضلُ الّذي لا يُعَدُّ، والمناقِب التي ليس لها حَدٌّ. ولقد أنصف الشّافعي إذ قيل له: ما تقول في علي؟ فقال: وماذا أقول في رجلٍ أخْفَى أولياؤه فضائله خوفاً، وأخفى أعداؤه فضائله حسداً، وشاعَ بينَ ذين ما ملأ الخالفين(٢).

ونحن نذكر بعض فضائِلِهِ تيمُّناً وتبرُّكاً، وقد قال النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «من كتب فضيلةً من فضائِلِ علي، لم تزَلِ الملائكة تستغفِرُ له، ومن ذكر فضيلةً من فضائِلِهِ غفر الله له ما تقدَّم من ذنوبه وما تأخّر، ولا يتمُّ إيمان عبد إلاّ بحبّه وولايته، وإنّ الملائكة تتقرَّب إلى الله تعالى بمحبَّتِهِ، ومن حفظ من شيعتنا أربعينَ حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالِماً وغفر له».

فمن فضائِلِهِ ما رواه صاحب كتاب (المقامات) عن عائِشَة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي، إذ طُرِقَ الباب، فقالَ لي: قومي وافتحي البابَ لأبيك يا عائشة، فقمتُ وفتحْتُ له، فجاء فَسَلَّم وجلس، فرَدّ السَّلام، ولم يتحرَّكْ له، فجلسَ قليلاً، ثمَّ طُرِقَ البابُ، فقال: قومي وافتحي الباب لعمر، فقمتُ وفتحتُ له، فظننْتُ أنّه أفضلُ من أبي، فجاء، فسلَّم وجلَس، فرَدَّ عليه ولم يتحرَّك له، فجلس قليلاً، فطُرِقَ البابُ، فقال: قومي وافتحي البابَ لعثمان، فقمتُ وفتحتُ له، فدخل وسلَّم، فردَّ عليه ولم يتحرَّكْ له، فجلس، فطُرِقَ البابُ، فوثب النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وفتح الباب، فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام

(١) سورة الكهف: آية ١٠٩.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ١٣٤.

فـدخـل وأخـذ بيده، فأجلسَهُ وناجاهُ طويلاً، ثم خـرجَ فتبِعَهُ إلى البـاب، فلمّا خرج، قلتُ: يا رسولَ الله، دخل أبي فما قمتَ له، حتّى جـاء عمر وعثمـان، فلم توقّرهما ولم تقم لهما، ثمَّ جاء علي فوثبتَ إليه قائماً، وفتحْتَ له البـاب، فقال: يا عائشة، لمّا جاء أبوكِ كان جبرئيل بالباب، فهَمَمْتُ أن أقـومَ فمنعني، فلمّـا جـاء عليٌّ وثبَتِ المـلائكـة تختصِمُ على فتح البـاب، فقمتُ وأصلحتُ بينَهم، وفتحتُ الباب له، وأجلَسْتُه وقرَّبته عن أمر الله، فحدّثني بهذا الحـديث عَنّي[1].

ومن كراماتِهِ عند الله، روي عن ابن عبّـاس، عن رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أنّـه استـدعى يومـاً مـاءً، وعنـده أميـر المؤمنين وفـاطمـة وَالحسن والحسين عليهم السّـلام، فشَرِبَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ثمَّ نـاولـه الحسن فشـرب، فقـال لـه النبيُّ: هَنيئاً مـريئاً يـا أبـا محمّـد، ثمَّ نـاوَلَـهُ الحسين فشَـرِبَ، فقـال لـه النَّبي: «هنيئاً مريئاً يا أبا عبدالله، ثمَّ ناوله الزَّهراء»، فشـربَتْ، فقال لهـا النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «هنيئاً مريئاً يا أمّ الأبرار الطّاهرين»، ثمَّ ناولَهُ عليّاً، فلمّـا شرب سجـد النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلمَّـا رفع رأسـه قال لـه بعض أزواجه: يـا رسـول الله، شـربْتَ، ثمَّ نـاولتَ الماءَ للحسن، فلمَّـا شربَ قلتَ لـه: هنيئاً مـريئاً، ثم نـاولته الحسين، فشـرِبَ، فقلتَ له كـذلك، ثمَّ نـاولته فـاطمة، فلمّـا شربَتْ قلتَ لهـا ما قلتَ للحسن والحسين، ثمَّ ناولته عليّاً، فلمَّا شرِبَ سجدتَ، فمـا ذاك؟ فقال لهـا: إنّي لَمَّا شربتُ الماء قال لي جبرئيل والملائكة معه: هنيئاً مريئاً يـا رسولَ الله، ولمّا شرب الحسن قالوا له كذلك، ولمّا شرب الحسين وفاطمـة، قال جبـرئيل والملائكة: هنيئاً مريئاً، فقلت كما قـالوا: ولمّـا شَرِبَ أميـر المؤمنين عليه السلام، قال الله له: «هنيئاً مريئاً يا وليي وحجَّتِي عَلَى خلقي، فسجـدتُ لِلّهِ شكراً على ما أنعم عليَّ في أهل بيتي»[2].

فإذا كبُرَ على البعض تهنئة الله لعلي، فإنّ الله سبحانه وتعالى قال لعـامَّةِ خلقه: هنيئاً مريئاً، فلا نستعظِمُ قوله لوليّه وَعَلِيّـهِ هنيئاً مـريئاً. لأنّ الله سبحـانه

(١) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٢٣٩.
(٢) مشارق أنوار اليقين: للشيخ البرسي، ص ٢١٢.

وتعالى يقول: ﴿فإن طبنَ لكم عن شيءٍ منه نفساً فكلوهُ هنيئاً مرئياً﴾[٢].

ومن فضائلِهِ ما روي عن تاج الدّين، عن ابن عبّاس، أنّه قال: كان رسول الله ﷺ في مجلسه، وعنده جماعَةٌ من المهاجرين والأنصار، إذ نزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال له: يا محمّد الحقّ يقرئُكَ السّلام ويقول لك: احضر عليّاً واجعل وجهَكَ مقابل وجهه، ثمَّ عرج جبرئيل إلى السّماء، فدعا رسولَ اللّهِ عليّاً فأحضرَهُ، وجعل وجهه مقابل وجهه، فنزل جبرئيل ثانياً ومعه طبقٌ فيه رطب ووضعه بينَهما، ثم قال: كُلَا، ثمَّ أحْضَرَ طَسْتاً وإبريقاً، وقال: يا رسول الله، قد أمرَكَ الله أن تصبَّ الماء على يدي علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: السّمع والطّاعة لما أمرني به ربّي، ثم أخذ الإبريق وقامَ يصبُّ الماءَ على يدي علي عليه السلام، فقال له: يا رسولَ الله أنا أولى أن أصبَّ الماء على يديك. فقال له: إنّ اللّهَ سبحانه وتعالى أمرني بذلك، وكان كلّما صبَّ الماء على يدي علي لم تقع منه قطرة واحدة في الطست، فقال علي: يا رسولَ الله، إنّي لم أرَ شيئاً من الماء يقع في الطَّسْتِ، فقال له رسول الله ﷺ «يا علي إنّ الملائكة يتسابقون علَى الماء الذي يقع من يديك فيغسلون به وجوههم ليتبركوا به»[١].

ومن كراماته ما رواه صاحب عيون الأخبار، قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام مَرَّ في طريق، فسايره خيبري، فمّر بوادٍ قد سالَ، فركب الخيبري مرطه، وعبر على الماء، ثمَّ نادى أمير المؤمنين عليه السلام يا هذا، لو عرفتَ كما عرفتُ لجريتَ كما جريتُ. فقال له أمير المؤمنين: مكانَكَ! ثمَّ أومأ إلى الماء فجمد ومرَّ عليه، فلما رأى الخيبري ذاكَ، أكبَّ على قدميه وقال: يا فتى، ما قلت حتّى حوَّلتَ الماء حجراً؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فما قلتَ أنتَ

---

(١) سورة النساء: آية ٤.

(٢) الأنوار النعمانية لنعمة الله الموسوي الجزائري، جـ ١ باب ١ ص ١٨، وكتاب المستطاب المسمّى بالرّوضة، ص ١، وكتاب الفضائِل: لأبي الفضل شاذان القمّي، ص ٩٣، منشورات العرفان.

حَتّى عبرْتَ على الماء؟ فقال الخيبري: أنـا دعوتُ الله بـإسمه الأعـظم، فقال أمير المؤمنين: وما هو؟ قال: سألته بـاسم وصيّ محمّد، فقـال أمير المؤمنين: أنا وصيّ محمَّد. فقال الخيبري: إنّه لَحَقٌّ، ثم أسْلَمَ(١).

ومن كراماتِهِ عليه السلام، ما رواهُ عمَّار بن ياسر قال: أتيتُ مولاي يوماً فرأى في وجهي كآبة، فقال: ما بك؟ فقلْتُ: دَيْنٌ أتى مطالَبٌ به، فأشـار إلى حجر ملقًى وقال: خذ هذا فاقض، منه دَيْنَكَ، فقال عمّار: إنّه لحجر، فقال له أميـر المؤمنين: ادْعُ الله بي يحوّله لـك ذهباً، فقـال عمّار: فـدعوت بـاسمه، فصـار الحجـر ذهباً. فقـال لي: خذ منـه حـاجَتَـكَ، فقلتُ: وكيـف تلين؟ فقـال: يـا ضعيفَ اليقين، ادعُ الله بي حتّى تلين، فـإنّما بـإسمي ألان الله الحديـد لداود عليه السلام. قال عمّار: فدعوتُ الله بإسمه، فَلَانَ، فأخذتُ منه حاجتي، ثم قال: ادْعُ اللَّهَ بإسمي حَتّى يصير باقيه حجراً كما كان(٢).

فإذا اعتراكَ ـ أيُّها الطَّالب ـ شَـكٌّ في هذه الكـرامات فتمهَّـلْ قليلاً حتّى تعرف شيئاً عن علي عليه السلام، فإنّ معرفتـه تمامَ المعـرفة مستحيلة عليـكَ وعلى أبناء هذا العالَم الأرضي، وَكذلكَ معرفة الله ومعرفة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم تمام المعرفـة. ولهـذا أشارَ النَّبي الكـريم بقولـه: يا علي مـا عرفَـكَ إلاّ الله وأنا، ومـا عـرفني إلَّا الله وأنت، ومـا عرف الله إلاّ أنـا وأنتَ. فمعـرفتهم حق المعـرفـة مستحيلة على البشر. ومن الأدلّة على ذلك ما ورد في كتاب البشائِر أنّ عمرَ دخـل على رسـولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسجدِهِ يـوماً وبينَ يـديه أميـر المؤمنين، فقال عمـر: يا رسول الله، قلت: أصدقكُمْ لهجَةً أبو ذر، فقـال: هو كمـا قلتَ: فقال عمـر: فما لي سألتُ عنكَ! فقال: هو في مسجَدِهِ، فقلتُ: ومن عنـده؟ فقال: رجـل لا أعرفه، وهـذا عليٌّ! فقال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صدق أبـو ذرّ، يا عمـر هذا رجلٌ لا يعرفه إلاّ الله ورسوله».

---

(١) مشارق أنوار اليقين، للبرسي، ص ٢١٠.
(٢) مشارق أنوار اليقين: للشيخ رجب: البرسي، ص ٢١٠.

وماذا عرف النّاس من علي؟ عرفوا من شجاعته وفصاحَتِهِ وبلاغتِـهِ وعفَّتِهِ وحكمتـه. هذا مبلغهم من العلم! ولكنّهم مـا عرفـوا أنّه الكلمة التي بها تمَّتِ الأمـور، ودُهِّرَتِ الـدُّهور، والاسم الَّـذِي هو روح كـلّ شيءٍ، والهاء الّتي في هويَّة كل موجود، وباطن كـلّ مشهود، وإنّ الّـذي خرج إلى حملة العـرش من معرفة آل محمّـد مع قـربهم من حضرة العـظمة والجـلال كالقـطرة من البحر، وذلـكَ لأنّ ذاتَ اللّهِ تعالى غيـر معلومـة للبشـر كمـا مَـرَّ، فلم يبقَ إلّا معـرفـة الصّفات![1]، والنّاس في معرفة آل محمّد قسمان: قسمٌ عـرفوا أنّهم أوليـاء الله، والوسيلة إلى عفوه ورضـاه، فقدَّمـوهم في حاجتهم لـديه، وتـوسَّلوا بهم إليه، وقسمٌ عرفوا أنَّهم الكلمة الكبرى والآية العظمى.

فمن يضاهي عليّاً؟ والنّظر إلى وجهه عبادة. فقد جاء في أمالي الصَّدوق قـدِّس سرُّه عن محمّـد بن القاسم الاستـرابادي عن عبـد الملك بن أحمـد بن هارون، عن عمّار بن رجاء، عن يزيـد بن هارون عن محمّـد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، جاءه رجل فقـال: يا رسـولَ الله، أمَا رأيتَ فلاناً ركب البحر ببضـاعة يسيـرة، وخرج إلى الصّين، فـأسرع الكـرة وأعـظمَ الغنيمة حتّى قـد حَسَدَهُ أهـل ودّه، وأوسـع قـراباتـه وجيـرانـه، فقـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ مال الدُّنيا كلّما ازداد كثرةً وعظماً ازداد صـاحبه بلاءً، فلا تغبطوا أصحـاب الأموال إلّا بمن جـادلَهُ في سبيـلِ الله، ولكِنْ ألا أخبركم بمن هو أقلّ من صاحبكم بضاعـة، وأسرع منـه كرَّةً، وأعـظم منه غنيمـةً، وما أعـدَّ له من الخيـرات محفوظـةً له في خـزائن عرش الـرَّحمن؟» قالـوا: بلى يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «انظروا إلى هذا المقبل إليكم، فنظرنـا، فإذا رجـلٌ من الأنصـار رثّ الهيئة، فقـال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ هـذا لقد صعـد له في هذا اليوم إلى العلوّ من الخيـراتِ والطاعـاتِ ما لـو أقسَمَ على أهل السَّمٰـوات والأرض لكان نصيب أقلّهِمْ منه غفران ذنوبه، ووجوب الجنّة له». قالوا: بماذا يا رسول الله؟ فقال: «سلوه يخبركُمْ، عمَّا صَنَعَ في هذا اليوم؟»، فـأقبل عليـه

---

(١) مشارق أنوار اليقين: للشيخ رجب البرسي، ص ٣٨.

أصحاب رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا له: هنيئاً لكَ بما بشَّـرَكَ به رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فماذا صنعتَ في يومِكَ هذا حتّى كتبَ لـك ما كَتَبَ ؟ فقـال الرَّجُـلُ: ما أعلمُ أنّي صنعتُ شيئـاً غير أنّي حـرجْتُ من بيتي وأردتُ حـاجَـةً كنتُ أبـطأتُ عنها، فخشيتُ أن تكون فاتتني، فقلتُ في نفسِي: لأعتاضَنَّ منهـا بالنّـظر إلى وجه علي بن أبي طالب، فقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «النَّظر إلى وجه علي عبادة»، فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إي واللّهِ وأيّ عبادة! لأنّـك يا عبـدالله ذهبتَ لتبتغي أن تكتسب دينـاراً لقوت عيـالك، ففـاتك ذلـك، فـاعتضْتَ منه بالنَّظر إلى وجه علي، وأنتَ له محبّ، ولفَضْلِهِ معتقد، وذلكَ خيرٌ لكَ من أن لو كانتِ الدُّنيا كلّهـا ذهبة حمـراء فأنفقتَهـا في سبيلِ الله، ولتشفعَنَّ بعـدد كلّ نفس في مصيركَ إليه في ألف رقبَةٍ يعتقهم الله من النّار بشفاعَتِكَ»(١).

ومن كراماتِهِ أيضاً ما رواه صاحب كتـاب (مدينـة المعجزات) عن كتـاب (درر المطالب) قال: خـرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى غـزاة تبوك، وخلَّفَ علي بن أبي طالب على أهله، وأمرَهُ بالإقامة فيهم، فأرْجَفَ المنافقون وقالوا: مـا خلَّفه إلّا استثقالاً به، فلمّـا سمع ذلـك أخَذَ سـلاحه، وخـرجَ إلى النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو نازِلٌ بالحرق، فقال: يا رسولَ الله زعم المنـافقون أنّـكَ إنّما خلّفتني استثقـالاً بي، فقـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «كـذبـوا، ولكنّي خلّفتـك لِمَـا تـركتُ ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلِكَ، ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلـة هارون من مـوسى إلّا أنّه لا نبيَّ بعـدي». فرجـع إلى المدينـة، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسفره، قال: وكان أمر الجيش أنه انكسر وانهـزم النَّاس عن رسـول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فـنــزل جبرئيل عليه السلام وقال: يا نبيّ الله، إنّ الله يقرئُكَ السَّلام ويبشّرك بالنّصـر ويخبّرك إن شئتَ أنزلتُ الملائكة يقاتلون، وإن شئتَ عليّاً فادعه يأتِكَ، فاختار النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم عليّـاً عليه السلام ، فقال جبـرئيل: أدر وجهَـكَ نحو المـدينة، ونـاد أبا الغوث أدركني يا علي، أدركني يا علي !

---

(١) القـطرة من بحار منـاقب النبي والعترة للعـلّامة السّيّـد أحمـد رضي الـدّين المـوسـوي التبريزي، ص ١٤١ ـ ١٤٢ باب ٢ ط ١٣٧٤ هـ.

قـال سلمـان الفـارسي رضي الله عنـه: وكنتُ مـع من تخلَّف مـع علي عليه السلام، فخرج ذات يومٍ يـريد الحـديقة، فمضيتُ معـه، فصعَدَ النّخلة ينـزل كرباً فهو ينثر، وأنا أجمع إذ سمعته يقول: لبِّيـكَ ها أنـا جئت، ونزل والحـزن ظاهر عليه، ودمعته تنحدر، فقلتُ: ما شأنك يـا أبا الحسن؟ قـال: يا سلمـان جيش رسـول اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قد انكَسَـرَ، وهو يـدعـوني ويستغيث بي، ثم مَضَى، فدخل منزل فاطمة عليها السلام وخرج، وقال: «يا سلمان ضَعْ قَدَمَكَ موضع قـدمي لا تخرم منه شيئاً». قال سلمـان: فأتبعته حذوَ النّعـل سبع عشـرة خطوة، ثم عـاينت الجيشين، والجيـوش والعسـاكِـر، فصـرخ الإمـام صـرخـةً لهب لهـا الجيشـان، وتفرَّقـوا، ونزل جبـرئيل عليه السلام على رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلَّم عليه، فرَدَّ عليه السَّلام، واستبشر به، ثم عطف الإمام على الشّجعان، فانهزم الجمع وولّوا الدُّبَـر، وردّ الله الّذين كفـروا بغيظِهِم لم ينـالوا خيـراً وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب[1].

وإذا كـان الله خيَّر نبيَّـهُ بين علي والملائكـة لتحقيق النّصر، فـإذا قاتلتِ الملائكة، فنصيبُها من الغنائم لعلي.

روى العـامَّـة والخـاصَّـة أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم غـزا غـزوةً، فلمَّـا رَجَـعَ إلى المـدينة، وكـان عليّ قد تخلَّفَ عن أهله، فقسم المغنم، فـدفـع إلى علي بن أبي طالب سهمين، وهو بالمدينـة متخَلّفٌ، فقال: معـاشِر النّـاس، ناشـدتكم باللّهِ وبرسولِهِ، ألم تروا الفارسَ الذي حمل على المشركين من يَمين العسكر، فهـزمهم ثمَّ رجع إليَّ، فقـال: إنّ لي معـك سهمـاً وقـد جعلتـه لعلي بن أبي طالِب فهو جبرئيل عليه السلام. معاشر النّاس، ناشدتكم بالله وبرسـوله، هـل رأيتم الفارس الّذي حمل على المشركين من يسار العسكر، ثمّ رجع فكلّمني، فقال لي: يـا محمّد، إنّ لي معـك سهماً، وقـد جعلتـه لعلي بن أبي طـالـب، فهـو

---

(١) القطرة من بحار منـاقب النبي والعترة للعـلامة أحمـد رضي الدّين المـوسوي، بـاب ١ ص ١١٠ ـ ١١١.

ميكائيل. فواللَّهِ ما دفعتُ لعليّ إلّا سهم جبرئيل وميكائِيل(١).

ومن كراماتِهِ أنّه كان يحمي محبيّه من الأُسُود، فلا تتعرَّضْ لهم بأذىً.

روى عمرو بن شمّر، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر من قوله عليه السلام لجويريَّة بن مسهر العبدي، وقد عزم على الخروج، أمّا إنّه سيعرضُ لكَ في طريقك الأسد. قال: فما الحيلة له؟ قال: تُقْرِئُهُ منّي السَّلام وتخبره أني أعطيتُكَ منه الأمان، فخرج جويريَّة، فبينما هو يسير على دابَّته، إذ أقبل نحوه أسَدٌ لا يريد غيره، فقال له جويريَّة: يا أبا الحرث، إنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقرئُكَ السَّلام، وأنّه قد أمّنني منك، قال: فولّى اللَّيْثُ منه مطرِقاً برأسه يهمهِمُ حتّى غاب في الأجمة، فهمهَمَ خمساً، ثم غابَ، ومضى جويريَّة في حاجَتِهِ، فلمّا انصرف إلى أمير المؤمنين عليه السلام فسلّم عليه، وقال: كان من الأمر كذا وكذا، فقالَ: ما قلتَ للّيثِ؟ وما قال لك؟ فقال جويريَّة: قلتُ له ما أمرتني به، وبذلك انصرف عنّي. فأمّا ما قال اللّيث: فالله ورسوله ووصيٌّ رسول الله أعلم، قال: إنّه وَلّى عنك يهمهِمُ، فأحصيْتَ له خمسَ همهماتٍ، ثمّ انصرَفَ عنكَ. قال جويريَّة: صَدَقْتَ والله يا أمير المؤمنين، هكذا هو. فقال عليه السلام : فإنّه قال لك: فاقرأ وصيّ محمّد منّي السَّلام، وعقد بيده خمساً(٢).

وإذا كانت الأسود تطيعه وتخافه، فإنّ الحمى تخافه أيضاً، فعن الباقِر عليه السلام قال: مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرضته، فدخل علي عليه السلام المسجد، فإذا جماعة من الأنصار فقال لهم: أيسرُّكم أنْ تدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالوا: نعم، فاستأذنَ لهم، فدخلوا فجاء علي عليه السلام وجلس عند رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخرج يده من اللّحاف وبين صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا الحمى تنفضه نفضاً شديداً، فقال: يا أمّ ملدم اخرجي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانْتَهَرَها. فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس به بأس. فقال: «يابن أبي طالب،

---

(١) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي، جـ ١ باب ١ ص ٣٥./

(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، باب ١ جـ ٩ ص ٥٦٧ ـ ٥٦٨.

لقد أُعْطِيتُ من خصال الخير حتّى أنّ الحُمَّى لتفزع منكَ»[1].

ومن الكرامات الّتي امتاز بها الإمام مسيرُهُ من المـدينَةِ إلى المـدائن عند وفاة سلمان ورجوعِهِ في ليلة واحدة. فقد رُوِيَ أنّ الخليفة المستنصر العباسي خرج يوماً إلى زيارة قبر سلمان الفارسي سلامُ الله عليه، ومعه محمّد الأقساسي. فقال له الخليفة في الطّريق: إنّ من الأكاذيب ما يرويه غلاة الشّيعة من محبّي علي بن أبي طالب من المدينة إلى المدائن لمّا توفّي سلمان، وتغسيله إياه، ورجوعه في ليلته إلى المدينة، فأجابه ابن الأقساسي على البداهة بقوله:

أنكـرتَ ليلَةَ إذ سـار الـوصيُّ إلـى	أرض المـدائن لـمّـا أن لهـا طـلبـا
وغسَّـل الـطّهـر سلمـان وعـاد إلى	عـراص يثربَ والإصبـاح مـا وحيـا
وقلتَ ذلـكَ من قـولِ الغـلام فمـا	ذنب الغـلاةِ إذا لـم يـوردوا كَـذِبـا
فـآصِفٌ قبـل ردّ الـطّرفِ مـن سبـأٍ	بعـرش بلقيس وافى يخرق الحُجُبـا
فـأنتَ في آصفٍ لم تَغْـلُ فيـه بـلى	فـي حيـدرٍ أنـا غـالٍ إنَّ ذا عـجَبـا
إنّ كـان أحمـدُ خيـرَ المـرسلين فـذا	خيـر الوصِيّين أو كـلّ الحديث هبـا[2]

وذكر ابن شهراشوب في (المناقِب) جـ ١ ص ٤٤٩ هذهِ الأبياتِ بتغييرٍ يسير وزيادة ونسبَها إلى ابن التّمِيمي.

ونحن نستغربُ كيف يستكبرون هذه الكرامة لأميرِ المؤمنين، ويعزونها إلى الغلو. وهناك حديث المعراج، وهوَ من ضرورياتِ الدِّين، وقصة آصف وعرش بلقيس، ومحمّد أفضلُ من سليمان، وعلي أفضَلُ من آصِف، فكيف نستكبرها على عليّ، ولم نستكبرها على آصف، وعلي أفْضَل منه، هذا من جهة، ومن جهةٍ ثانيةٍ كيف ننكر هذه المكرمة لعلي؟ ونثبتها لغيره من أفراد

---

(١) نفس المصدر، جـ ٩ ص ٥٥٩.

(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيّد حسن الصّدر، وكتاب الغدير: للأميني، جـ ٥ ص ٢٠.

الزّعية ممن دونه، من دون أيّ غمزٍ ونكرٍ لهم. قال الحافِظ ابن كثير في تاريخه جـ١٣ ص٩٤، ذكروا أنّ الشّيخ عبدالله اليونيني كان يحجّ في بعضِ السّنين في الهواء. وقد وقع هذا لطائفةٍ كبيرة من الزُّهاد وصالحي العباد، ولم يبلغنا هذا عن أحد من أكابر العلماء، وأوّلُ من يُذْكَر عنه حبيب العجمي، وكان من أصحاب الحسن البصري، ثمّ من بعده من الصّالحين.

ذكر السّخاوي في طبقاتِهِ أنّ الشّيخ معالي سألَ الشّيخ سلطان بن محمود البعلبكي المتوفى سنة ٦٤١، فقال: يا سيّدي كم مرّةً رحتَ إلى مكّةَ في ليلةٍ؟ قال: ثلاث عشرة مرّةً، قلتُ: قالَ الشّيخ عبدالله اليونيني: لو أرادَ ألاَّ يصلّي إلاّ في مكّة لفعل[١].

وذكر الحافِظ بن الجوزي في (صفوة الصَّفوة) جـ١ ص٢٢٨ عن سهل بن عبدالله قال: لقد رأيت رجلاً يقال له مالك بن القاسم جبلّي.. وقد جاء ويده غَمِرةٌ، فقلتُ له: إنّك قريب عهدٍ بالأكل؟ فقال لي: استغفِر اللّهَ فإنني منذ أسبوعٍ لم آكل، ولكن أطعمتُ والدتي، وأسرعتُ لألحق صلاة الفجر، وبينه وبينَ الموضع الّذي جاء منه سبعمائة فرسَخاً. فهل أنت مؤمن بذلك؟ فقلتُ: نعم، فقال: الحمد لِلّهِ الّذي أراني مؤمِناً موقناً[٢].

وذكر محمّد بن علي الحبَّال خادم الشيخ جلال الدّين السُّيوطي أنّ الشّيخ قال له يوماً وقت القيلولة، وهو عند زاوية الشيخ عبدالله الجيوشي بمصر بالقرافة: أتريد أن تصلي العصر بمكة بشرط أن تكتم ذلك عليَّ حتّى أموت؟ قال: فقلتُ: نعم، قال: فأخذ بيدي وقال: غمّض عينيكَ، فغمضتها، فرحل بي نحو سبع وعشرين خطوةً، ثم قال لي: افتح عينيك، فإذا نحن بباب المعلاّة، فزرنا أمُّنا خديجة، والفضل بن عياض، وسفينة بن عيينة وَغَيرهم، ودخلت الحرم، فطفنا وشربنا من ماء زمزم، وجلسنا خلف المقام حتّى صلّينا

---

(١) شذرات الذهب، جـ٥ ص٢١١، وكتاب الغدير، جـ٥ ص٢٠.

(٢) كتاب الغدير، جـ٥ ص٢٠.

العصر، وطفنا فشربنا من ماء زمزم، ثمّ قال لي: يا فلان ليس العجب من طيّ الأرض لنا، وإنّما العجب من كون أحلا من أهل مصر المجاورين لم يعرفنا. ثم قال لي: إن شئتَ تمضِي معي، وإن شئت تقيم حتّى يأتي الحاج؟ فقلتُ: أذهب مع سيّدي، فمشينا إلى باب المعلّاة، وقال لي: غمّض عينيكَ، فغمضتها، فهرول بي سبع خطوات، ثم قال لي: افتح عينيكَ، فإذا نحن بالقرب من الجيوش، فنزلنا إلى سيّدي عمر بن الفارض[1].

فالوليّ الّذي مَنّ الله عليه بطيّ الأرض له أن يأخذ مَعَهُ من شآء وأراد من أخلائه وخدمه، فتطوى لصاحبه الأرض أيضاً كرامَةً لذلك الولي الصّالح فضلاً عن نفسه، وهذه كلّها لا يناقش فيها ما دام الولي غير موصوفٍ من العترة الطّاهرة. وإلاّ فهناك كلّ الجدال والمناقشة، وكلّ الهوس والهياج[2]. إنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوبُ الّتي في الصُّدور. لأنّ هذا الولي تطوى له الأرض، ووليّه علي بن أبي طالب لا تطوى له الأرض، وبشهادة عمر بن الخطّاب: من لم يكن عليٌّ وليَّه فليس بولي. هو مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

فمن كراماتِ هذا الولي أيضاً ما رواهُ صاحب بحار الأنوار مرفوعاً بالأسانيد إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أنّه قال يوماً لأمير المؤمنين عليه السلام بعد موت عمر بن الخطّاب: يا أمير المؤمنين إنّي حزين منذ وفاة رسولِ الله إلى هذا اليوم، وأريد أن تروّحني هذا اليوم، وتريني من كراماتِكَ ما يزيل عنّي هذا الغم. فقال عليه السلام: عَلَيَّ بالبغلتين اللّتينِ من رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا أتى بهما ركب هو واحدة، وركب سلمان الأُخرى.

قال سلمان: فلمّا خرجْنا من المدينة، وإذا لكلّ بغلةٍ جناحان، فطارتا

---

(١) شذرات الذهب، جـ ٨ ص ٥٠ وكتاب الغدير: للأميني، جـ ٥ ص ٢٠.

(٢) من أراد المزيد من الأمثلة التي تقدّم للأولياء وكراماتهم فليراجع الغدير: للشيخ الأميني، جـ ٥ ففيه الكفاية.

في الهواء، وارتفعتا، فتعجَّبْتُ غاية التّعجب، فقال لي: يا سلمان، أنظُرْ هل ترى المدينة؟ فقلتُ: أمَّا المدينة فلا، ولكن أرى آثار الأرض، فأشار إلى البغلتين فارتفعتا في الجوّ لحظةً، فنظرتُ فلم أرَ شيئاً في الأرض، وإذا أنا أسمَعُ أصوات التَّسْبيح والتَّهليل، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، الله أكبر الله أكبر إنّ هاهنا لبلاداً قد وصلنا إليها. فقال: يا سلمان، هذه أصوات الملائكة بالتسبيح والتّهليل، وهذه هي السّماء الدُّنيا فقد وصلنا إليها، فأشار إلى البغلتين، وحرّك شفتيه، فانحطتا طائرتين نحو الأرض، فكان وقوعهما على بحرٍ عريض كثير الأمواج كأنّ أمواجه الجبال. فنظر إلى ذلك أمير المؤمنين، فسكَنَتْ أمواجه، فنزل عليه السلام ومشى على وجه الماء، ونزلتُ أنا، والبغلتان تمشيان خلفنا، فلمّا خرجنا من ذلك البحر، وإذا هو تتلاطم أمواجه كهيئتِهِ الأولى، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ما هذا البحر؟ فقال عليه السلام: هذا هو البحر الّذي أغرق الله فيه فرعون وقومه، فهو يضطرب خوفاً من الله تعالى من ذلك اليوم إلى يوم القيامَة، فلمّا نظرتُ إليه خافَ منّي فسكَنَ. وها هو رجع إلى حالته الأولى. قال سلمان: فلمّا خرجنا من ذلك البحر ومشينا، رأيتُ جداراً أبيضَ مرتفعاً في الهوى ليس يُدْرَكُ أوّله ولا آخِرُهُ. فلمّا قربنا إليه إذا هو جدارٌ من ياقوت أو نحوه، فإذا ببابٍ عظيم، فلمّا دنا منه أميرَ المؤمنين عليه السلام انفتح فدخلنا، فرأيت أشجاراً وأنهاراً وبيوتاً ومنازِل عاليةً فوقها غُرَفٌ، وإذا في ذلك البستان أنهارٌ مِنْ خمر، وأنهار من لبن، وأنهار من عَسَلٍ، وإذا فيها أولاد وبنات، وكلّ ما وصفه الله تعالى في الجنّة على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم رأيته فيها، فرأيتُ أولاداً وبناتاً أقبلوا على أمير المؤمنين عليه السلام يقبّلون أياديهِ وأقدامه، فجلس على كرسيّ، ووقف الأولاد والبنات حوله، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما هذا الهجران الّذي هجرْتَنا؟ هذه سبعة أيّامٍ ما رأيناكَ فيها يا أمير المؤمنين.

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ما هذه المنازِل في هذا المكان؟ فقال: يا سلمان هذه منازل شيعتِنا بعد الموت. تريد يا سلمان أن تنظر إلى منزلك؟ فقلتُ: نعم، فأمر واحداً، وأخذني إلى منزلٍ عالٍ مبني من الياقوت وَالزّبرجد واللؤلؤ، فيه كلّ ما تشتهيه الأنفس، فأخذْتُ رمّانة من ثمارِهِ وأتيتُ إليه،

فقلتُ: يـا أمير المؤمنين، هـذا منزلي ولا أخـرج منه، فقـال: يا سلمـان هـذا منزلك بعد الموت، وهذه منازِل شيعتنا بعد الموت، وهذه جنّة الدُّنيا تأتي إليها شيعتُنا بعد المـوت، فيتنَعَّمُونَ بهـا إلى يوم القيـامة حتّى ينتقِلُوا عنهـا إلى جنّة الآخرة.

فقـال سلمان: تعـالَ حتّى نخـرج، فلمّـا خَـرَجَ ﷺ ودَّعـه أهـلُ تلك الجنَّة، فخرجْنا فانغلق البـاب، فمشينا، فقـال لي: يا سلمـان أتحبُّ أن أريكَ صـاحبَكَ؟ فقلتُ: نعم، فحـرّك سفينته، فـرأيتُ ملائكـة غلاظـاً شداداً يـأتون برجل قد جعلوا في عنقه سلاسِلَ الحديد والنّار تخرج من منخـريه وحلقِـهِ إلى عنان السَّماء، والـدُّخان قـد أحاط بتلكَ البـريَّة، ومـلائكة خلفـه تضربـه حتّى يمشي، وَلسانه خارج من حلقه من شدَّة العطش، فلمّا قرب قال لي: تعرفـه؟ فنظرته، فإذا هو دلام، فقـال: يا أميـر المؤمنين أَغِثني، فأنـا عطشـان معذَّب، فقـال أميـر المؤمنين ﷺ: ضـاعفـوا عليــه العـذاب، فــرأيت السـلاسِــلَ تضاعفَتْ، والملائكـة والنّيـران تضـاعَفَتْ، فأخـذوه ذليلاً صـاغراً، فقـال: يا سلمان، هذا دلام، وهذا حاله، فإنَّه ما من يومٍ يمضي من يوم مـوته إلى هـذا اليـوم إلاَّ وتأتي المـلائكة بـه، وتعرضـه عليَّ، فأقـول لهم: ضاعفـوا عذابـه، فيتضاعف عليه العذاب إلى يوم القيامة.

قـال سلمان: فـركبنا، فقـال لي: غَمّضْ عينيـكَ يـا سلمـان، فغمضْتُ عيني، فقال لي: افتحها وإذا أنا بباب المـدينة، فقـال: يا سلمـان، مَضَى من النّهار سبع ساعاتٍ، وطفنا في هذا اليوم البواري والقفار والبحار، وكـلّ الدُّنيـا وما فيها[1].

وإذا تصفَّحنا آي الذّكر الحكيم آيةً آية، فإنّنا لا نعثر على إنسـانٍ وصفه كتاب الله عزّ وجلّ بمثل ما وصفـ علي بن أبي طالب وعترته، وأكبر دليل على ذلك «سورة الدَّهر». ولقد أجادَ مَنْ قال:

---

(١) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي الجزائري، جـ ١.

وسائِل هل أتى نصٌّ بحقّ علي أجبتُهُ هل أتى نَصٌّ بحقّ علي

وخلاصة أسباب النُّزول كما ذكره الزمخشري في تفسير السُّورة من الكشّاف قال: وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه أنَّ الحسنَ والحسين مرضا، فعادهما رسولُ الله ﷺ في ناسٍ معه، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرتَ على ولديك، فنذر عليٌّ وفاطمة وفضة جارية لهما أن برئا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفِيا، وما معهم شيء، فاستقرض علي عليه السلام من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنَتْ فاطمة صاعاً، واختبزت خمسة أقراص على عددِهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقَفَ عليهم سائِل، فقال: السَّلَامُ عليكم أهل بيت محمّد! مسكينٌ من مساكين المسلمين، أطعِمُوني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فآثروه، وباتوا ولم يذوقوا إلاّ الماء، وأصبحوا صياماً، فلمَّا أمسوا ووضعوا الطّعام بين أيديهم، وقف عليهم يتيمٌ فآثروه، ووقف عليهم أسيرٌ في الثَّالِثة، ففعلوا مثل ذلك، فلمَّا أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين، وأقبلوا على رسولِ الله ﷺ فلمّا أبصرهم وهم يرتشعون كالفراخ من شدَّة الجوع قال : ما أشَدَّ ما يسوءني ما أرى بكم؟ وقامَ فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصَقَ ظهرها ببطنِها، وغارَتْ عيناها، فساءَهُ ذلكَ، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: خذها يا محمّد! هنّأكَ الله في أهلِ بيتك، فأقْرَأَهُ السُّورة (اه).

لذلكَ نكلّفَ القارىء أن يرجع إلى السُّورة ويقرأها بتمعُّنٍ ليطَّلع على وصف أكمل الأبرار، وصفوة الصُّفوة، وخيرةِ الخيرة. فأيُّ مدحَةٍ توازن مدحة الفرقان؟ وأيّ ثناءٍ يقابلُ ثناء الذّكر الحكيم؟ وَأيّ عبارةٍ شريفةٍ تكافِىء قول الله تعالى فيهم؟ ﴿إنّ الأبرار﴾ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين ﴿يشربون﴾ الشّراب الطّيّب الطّاهر يوم العطش الأكبر ﴿من كأسٍ كان مزاجها﴾ الّذي تمزج به ماءً من عينٍ في الجنَّة تُسَمَّى ﴿كافوراً﴾. ﴿عيناً يشربُ بها عباد الله﴾ علي وفاطمة والحسنان وأمثالهم من الكاملين في العبوديَّة لِلَّهِ سبحانه ﴿يفجّرونها تفجيراً﴾. وقد بيَّنَ الله سبحانه وتعالى السَّبب في استحقاقهم لهذه الكرامة، فقال: ﴿يوفون بالنّذر﴾، جواباً لسؤالٍ مضمر

تقديره ما الذي فعلوه فاستحقّوا به هذا الجزاء؟ ﴿ويخافون يوماً كان شرُّه مستطيراً﴾ .

ومن تدبّر القرآن الكريم، وغاص على أسراره البالِغَةِ وجد في هذه الآيات البيّنات من عناية الله تعالى في هؤلاءِ الأبرار أمراً عظيماً لا يوصف بكيف، ولا يقدَّر بكم، ألا ترى كيفَ رتّب هذه الشهادات في تزكيتهم، فكانت كلّ شهادةٍ أكبر من سابقِتها، إذا شهد أوّلاً بأنهم يوفون بالنّذر، ثم شهد ثانياً بأنّهم يخافون يوماً كان شرّه مستطيراً، فكانت أعظم من الأولى لدلالتِها على رسوخ الإيمان بالله واليوم الآخِر. ثمَّ شهد لهم ثالِثاً بما هو أعظَمُ من ذلك فقال : ﴿ويطعمون الطَّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ . وإنّما كانت هذه الشّهادة أعظم لكشفها عن كمال نفوسهم، وبلوغِهِم أقصى الغايات في حبّ الخير والإيثار على أنفسِهِم.

بَقِيَ أعظم الشّهادات وأجلّها، وأقوى الأدلّة على تزكيتهم وأدلّها وهي : ﴿إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾ بقولٍ تقولونه، ﴿إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾شديد العبُوس، والله جعل لهم البشائر مترادفةً، وكلّ واحدةٍ أعظمُ من سابقَتِها، فقال أوّلاً : ﴿فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم﴾ إلى آخر السُّورة، ثم أربى على ذلكَ فقال: ﴿ولقّاهم نضرةً﴾. في وجوههم﴿وسروراً﴾ في قلوبهم، ثمَّ ترقّى في البشارة فقال: ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ على الإيثار مع شدّة الجوع ابتغاء مرضاة الله ، ﴿جنّة وحريراً﴾ ثُمَّ فصَّل البشارة فقال تعالى : ﴿متكئين فيها على الأرائِكِ لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ودانية عليهم ظلالها وذلّلَتْ قطوفها تذليلاً﴾ثم آثر الإطناب فيما تحدَّى به من معجزات الكتاب فقال : : ﴿ويطاف عليهم بآنيةٍ من فضّةٍ وأكوابٍ ، كانت قواريرا ،قوارير من فضّةٍ﴾ فتبارك الله أحسنَ الخالقين(١) .

---

(١) الكلمة الغراء في تفضيل الزّهراء لشرف الدين الموسوي.

لقد أجمع أولياءَ أهل البيت على نزولها في علي وفاطمة والحسن والحسين وصحاحهم في ذلك متواتِرَةٌ من طريق العترة الطاهرة[1].

هذا كتاب الله يُتْلَى ليل نهار، وفضل عليّ باقٍ ما بقيَتْ سورةُ الدَّهر، وهو حجّة الله على خلقه مع رسوله الأعظم. ففي كتاب (الأربعين) للحافظ أبي بكر محمّد عن عطارد بن ميمون عن أنس بن مالِك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا وعلي حجة الله على عبادِهِ». وقد أورده الغر المحدّث الحنبلي الموصلي عَن أنس أنه قال: كنتُ جالِساً مع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ أقبل علي بن أبي طالب فقال: يا أنس أنا وهذا حجّة الله على خلقه[2].

---

(١) وقد أخرجه كثير من حفّاظ الحديث وأئمة التفسير والأعلام، منهم أبو جعفر الإسكافي في رسالته التّي ردّ بها على الجاحظ، والحكيم أبو عبدالله التّرمذي في نوادر الأصول، ص ٦٤، والطبري ذكره في سبب نزول ﴿هل أتى﴾ كما في الكفاية، وابن عبد ربّه المالكي في (العقد الفريد)، جـ٣ ص ٤٢ ـ ٤٧ في حديث احتجاج المأمون الخليفة العبّاسي على ٤٠ فقيهاً، والحاكم النّسابوري في (الكفاية)، والثّعلبي في تفسيره (الكشف والبيان)، والواحدي النيسابوري في تفسيره البسيط، وأسباب النّزول، ص ٣٣١، والزّمخشري في (الكشّاف)، جـ٢ ص ٥١١، والخوارزمي في المناقب، ص ١٨٠، والحافظ أبو موسى المديني في (الـدّليل) كما في (الإصابة) والرّازي في تفسيره، جـ٨ ص ٢٧٦، وابن الصّلاح الشّرخاني في (الكفاية) وابن طلحة الشّافِعِي في (مطالب السُّؤل)، ص ٣١، وابن الجوزي الحنفي في تذكرته من طريق البغوي والثعلبي، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة، جـ٣ ص ٢٥٧، والحافظ الكنجي الشافعي في (الكفاية)، ص ٢٠١، والبيضاوي في تفسيره، جـ٢ ص ٥٧١، والحافظ محبّ الدين الطبري في (الرّياض النضرة)، جـ٢ ص ٢٠٧ وقال: هذا قول الحسن وقتادة، وابن أبي حمزة الأزدي الأندلسي في (بهجة النّفوس)، جـ٤ ص ٢٢٥، وشيخ الإسلام الحمويني في فرائد السّمطين، ونظام الدّين القمّي النّيسابوري في تفسيره هامش الطّبري ٢٩ ص ١١٢، وابن حجر في (الإصابة)، جـ٤ ص ٣٨٧ من طريق أبي موسى في (الـذّيل)، والثّعلبي في تفسير ﴿هل أتى﴾ عن مجاهد عن ابن عبّاس، وجلال الدّين السّيوطي في (الدرّ المنثور)، جـ٦ ص ٢٩٩، والشّبلنجي في (نور الأبصار)، ص ١٢ ـ ١٤ وآخرون غيرهم. راجع الغدير للشّيخ الأميني النّجفي، جـ٣ من ص ١٠٧ حتّى ١١١ ففيه الكفاية.

(٢) كَشْفُ الغمّة: للشّيخ الأربلي، جـ١ ص ١٦١.

وكيف لا يكـون حجة الله؟ وقـد مسخ الله أربعـاً وعشرين طـائفـةً نتيجة نكرانِهِمْ ولايته عليه السلام . فقد روي عن الإصبغ بن نباتة قال: جاءَ نفـر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقـالوا لـه: إن المعتمد يـزعم أنّك تقـول هذا الجـرّيّ مسخ، فقال: مكانكم حتّى أخرج إليكم، فتناول ثوبه، ثمَّ خـرج إليهم، ومضى حتّى انتهى إلى الفرات بالكوفة، فصاح يا جرِي، فأجابه لبَّيك لبَّيك! قـال: من أنا؟ قـال: أنت أمير المؤمنين، وإمـام المتَّقين. فقالَ لـه أمير المؤمنين: فمن أنتَ؟ قـال: أنا مِمَّنْ عُـرِضَتْ عليه ولايتـك فجحدتُهـا ولم أقبلها، فمُسِخْتُ جـريّاً، وبعض هؤلاء الّذين معك يمسخون جريّاً. فقال لـه أمير المؤمنين عليه السلام: فبيّن قصَّتكَ، ومِمَّن كنتَ؟ ومن مُسِخَ معك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كنَّا أربعاً وعشرين طائفةً من بني إسرائيل قد تمرّدنا واستكبرنا وطغينـا، وتركنـا المدن لا نسكنُها أبداً، فسكنّا المفاوز رغبةً في البعد عن الميـاه، فأتـانا آتٍ، أنتَ واللّهِ أعرفُ به مِنّا في ضحى النّهار، فصرخ صرخةً فجمعنا في مجمـع واحد، وكنّـا متفـرقين في تلك المفاوز، فـأردنا أن نقـول: لأنّا فـوق العالَم تعـزُّزاً وتكبُّـراً؟ فقال: قد علمت ما في أنفسكم، أفعلى الله تَعَزَّزُونَ فتتكبرون؟ فقلنا لـه: لا، فقال: أليس قد أخذ عليكم العهد أن تؤمنـوا بمحمّد بن عبـدالله المكي؟ فقلنا لـه: بلى، قـال: وأخـذ عليكم العهـد بـولايـة وصيّـه وخليفتـه من بعـده أميـر المؤمنين علي بن أبي طـالب عليه السلام ؟ فسكتْنا ولم نجب إلاَّ بـألسنَتِنـا، وقلوبُنـا ونيّاتُنا لا تقبلها ولا تقِرُّ بها. فقال: أو تقـولون بـألسَنِتكم خاصَّـةً؟ ثمَّ صاح بنـا صيحةً وقال: كونوا بإذنِ الله مسوخاً، كلّ طائفةٍ جـنسـاً ، ثم قال: أيّتهـا القفار كوني بإذنِ الله أنهاراً تسكنك هذه المسوخ، واتّصلِي بأنهار الدّنيا وبحارها حتّى لا يكون ماء إلّا كانوا فيه، فمُسِخْنا ونحن أربع وعشرون طائفَةً، فمنّا من قال: أيّهـا المقتدر علينا بقدرةِ الله تعـالى، فبحقّـهِ عليـكَ إلاَّ مـا أغنيتنـا عن المـاء وجعلتنـا على وجه الأرض كيفَ شئتَ، قـال: قـد فعلْتُ، قـال أميـر المؤمنين عليه السلام : يا جريّ بيّن لنا ما كانت أجناس المسوخيَّة البريَّة والبحريَّـة؟ فقال: أمّـا البحـريَّة فنحن الجـرّيّ والرّق والسَّـلاحف والمارمـاهي، والزمـار، والسَّراطين وكلاب الماء والضَّفادع وبيت الهرس، والعرسان، والهوسج والتّمساح.

قال أمير المؤمنين: وأمّا البريّة؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، الوزغ والخنافس والكلب والدّب والقرد والخنازير والضب والحرباء والورل والخفاش والأرنب والضّبع. قال أمير المؤمنين عليه السلام: صدقْتَ أيّها الجرّيّ، فما فيكم من طبع الإنسانية وخلقها؟ قال الجريّ: أفواهنا، والبعض لكلّ صورة، وكلّنا تحيض منّا الإناث. قالَ أمير المؤمنين عليه السلام: صدقْتَ أيّها الجرّيّ. قال: يا أمير المؤمنين فهل من توبة؟ فقال عليه السلام: الأجل يوم القيامة، وهو الوقتُ المعلوم، والله خيرٌ حافِظاً وهو أرحم الرّاحمين. قال الإصبغ بن نباتة: فسمعنا والله ما قال ذلك الجرّيّ ووعيناه وكتبناه وعرفناه على أمير المؤمنين عليه السلام [1].

هذه الولاية قديمَةٌ حيث أخذ الله العهد على الأرواح قبل حُلولِها في الأجسام، أي منذ الذرّ والأوّل أخذ عليها العهود والمواثيق الكثيرة بأنّه ربّ واحِد لا شريكَ له، فأقرّت الأرواح بذلك، ثمَّ أخذ عليها العهد بالإقرار بالولاية لعلي وأهل بيته. فأقرَّ من أقرَّ، وأبى مَنْ أبى، فتقرّرت السّعادة والشّقاء منذ ذلكَ الوقت، وسَجَّلَ الله أسماء من أقرَّ بهذه الولاية في صحيفَةٍ، وتوارثتْها الأئمة حتّى القائِم، فهي عنده حتّى الآن، وَكثيراً ما كانَ يأتي الرَّجل فيقول لعلِيّ: أنا من شيعَتِكَ فيكذّبه ويقول: لستُ أرى لك إسماً. يؤيّد صحّة ذلكَ ما رواه الحسن بن محجوب، عن جابر بن عبداللّهِ عن أبي عبدالله عليه السلام، أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي: يا علي إنّ الله احتجَّ بك على الخلائق حين أقامهم أشباحاً في ابتدائهم، وقال لهم: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى، فقال: ومحمّد نبيُّكم؟ قالوا: بلى، قال: وعلي إمامكم؟ قال: فأبَى الخلائق جميعاً عن ولايتِكَ، والإقرار بفضلك، وعتوا عنها استكباراً إلاَّ قليلاً منهم، وهم أصحاب اليمين، وهم أقلّ القليل، وأنّ في السّماء الرَّابعة ملكاً يقول في تسبيحه: سبحان من دَلَّ هذا الخلق القليل من هذا العالم الكثير على هذا الفضل الجزيل [2].

---

(١) إرشاد القلوب: للديلمي، جـ ٢ ص ٧٥ وما بعد، منشورات مكتبة العرفان، وكتاب الأنوار النّعمانية: لنعمة الله الموسوي، جـ ٤ ص ٨٢ وما بعد.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ١٨.

وهناكَ أدلّة كثيرة على صحة هذا، منها: أنّ رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إنّي أحبُّكَ. فقال له: كذبتَ. إن الله خَلَقَ الأرْوَاحَ قبلَ الأجسام بألفي عام. ثمَّ عرض عليَّ المطيع منها والعصاة، فما رأيتُكَ يوم العرض في المحبين، فأين كنت؟[1].

وفي المناقب عن الإصبغ بن نباتة، قال: كنتُ مع أمير المؤمنين عليه السلام فأتاه رجلٌ فقال: يا أمير المؤمنين إنّي أحبُّكَ في اللّهِ. قال: إنّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حدَّثني ألف حديث، ولكلّ حديثٍ ألف باب، وإنّ أرواح النّاس تتلاقى بعضهم بعْضاً في عالم الأرواح، فما تعارف منها ائتُلِفَ، وما تنكار منها اختلف، وبحقّ الله لقد كذبتَ، فما أعرفُ وجهَكَ في وجوه أحبائي، ولا إسمكَ في أسماء أحبائي، ثم دخل عليه الآخر، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي أحبُّكَ في الله، فقال له: صدقْتَ، وقال: إنّ طينتنا وطينة محبينا مخزونة في علم الله، ومأخوذَةٌ أخذَ اللّهُ ميثاقَها من صلب آدم عليه السلام، فلم يشذَّ منها شاذّ، ولا يدخلُ فيها غيرها، فأعِدَّ للفقر جلباباً، فإنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «واللّهِ الفقر إلى محبّينا أسرَعُ من السَّيْل إلى بطن الوادي»[2].

ومن الفضائل والكرامات الّتي امتاز بها عليٌّ بَعْثُه مع الأنبياءِ سرّاً، ومع محمّد بن عبدالله جهراً. فقد روى صاحبُ كتاب (القدسيَّات) ـ وهو من أعظم محققي الجمهور ـ عَنْ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لعلي: يا عليّ إنَّ الله تعالى قال لي: يا محمَّد بعثت عليّاً مع الأنبياء باطِناً، ومعك ظاهِراً، فهذا سِرٌّ إلّهي في الغاية القصوى من التحقيق. فهذا فرعون لمّا لحق هارون بأخيه موسى دخلا عليه يوماً، فأوجسا خيفةً منه، فإذا فارس يقدمهما، ولباسه من ذهب، وفي يده سَيْفٌ من ذهب، وكان فرعون يحبّ الذَّهَب، فقال لفرعون: أجِبْ هذينِ الرَّجلين وإلاّ قتلتُكَ، فانزعج فرعون لذاك، وقال: عودا إليَّ غداً، فلمَّا خرجا دعا البوَّابين وعاقبهم، وقال: كيفَ دخل عليَّ هذا الفارس بغير اذن؟ فحلفا

---

(١) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٢٣٦.

(٢) القندوزي في ينابيعه، جـ١ ص ٦٩، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

بعزّة فرعونَ ما دَخَلَ إلاّ هذان الرَّجُلان. وكان الفارس مثالَ علي الّذي أيّد الله به النَّبيين سرّاً، وأيَّد به محمّد جهراً، لأنّه كلمة الله الكبرى الّتي أظهرها الله لأوليائه فيما شاء من الصُّور، فنصرهم بها، وبتلكَ الكلمة يدعون الله فيجيبهم وينجّيهم[1].

ومن ذلك ما رواه أصحاب التَّواريخ أنّ رسولَ اللّهِ ﷺ كان جالِساً وعنده جنّيّ يسأله عن قضايا مشكلَةٍ، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فتصاغر الجنّي حتّى صار كالعصفور، ثم قال: أجرني يا رسول الله. فقال: «ممَّن؟» قال: من هذا الفتى المقبل. فقال النّبيّ ﷺ: وما ذاك؟» قال الجنّي: أتيتُ سفينة نوحٍ لأغرقها يوم الطّوفان، فلمَّا تناولتُها ضربني هذا فقطع يدي، ثم أخرج يده مقطوعَةً، فقال النّبيّ: «هو ذاك».

وبهذا الإسناد أنّ جنّيّاً كان جالِساً عند رسول الله ﷺ فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فاستغاث الجنّيّ وقال: أجرني يا رسول الله من هذا الشّاب المقبل، فقال: «وما فعلَ بك؟» قال: تمرَّدْتُ على سليمان، فأرسل إليّ نفراً من الجن، فطلتُ عليهم، فجاءني هذا الفارس، فأسرني وجرحني، وهذا مكان الضَّرْبَةِ إلى الآن لم يندمِل، فنزل جبرئيل عليه السلام، وقال: الحقّ يقرئكُ السَّلام وَيقول لك: إني لم أبعث نبيّاً قطّ إلاّ جعلتُ عليّاً معه سرّاً، وجعلتهُ معك جهراً[2].

وممَّا رواه سلمان وأبو ذر عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يكبر على غير المحبّين، ويعظم على من لم يدرس عليّاً دراسةً دقيقةً، فيرفض هذا القول الصَّحيح، وعذره مقبول، لأنّ العقول تتفاوت، والأذهان تتباين، والقلوب مرايا بعضها أصفى من بعض، والذكر الحكيم يعبر عن مثل هذه المواقف قائلاً: ﴿فإن لم يؤمنوا به فسيقولون هذا إفكٌ عظيم﴾. فقد أشار أمير المؤمنين إلى

---

(١) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٩٨ ط ١٣٨٤ هـ.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ١٠٢ ط ١٣٨٤ هـ.

سلمان قائِلًا: يا سلمان لا يكمل إيمان المؤمن حتى يعرفني بالنُّورانية، وإذا عرفني ذلكَ فهو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وَشرَحَ صدره للإسلام، وصار عارِفاً بدينه مستبصراً، ومن قصَّر عن ذاكَ فهو شاكٌ مرتاب، يا سلمان ويا جندب إنّ معرفتي بالنُّورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي، وهو الدّين البيّن الخالص. يقول الله سبحانه: ﴿وما أُمِروا إلاَّ بالتّوحيد﴾ وهو الإخلاص، وقوله: ﴿حنفاء﴾ وهو الإقرار بنبوَّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الدّين الحنيف، وقوله: ﴿ويقيم الصَّلاة﴾ وهي ولايتي، فمن والاني فقد أقام الصَّلاة وهو صعبٌ مستصعب، ﴿ويؤتي الزَّكاة﴾ وهو الإقرار بالأئمة، وذلكَ الدّهين القيّم، شهد القرآن أنّ الدّين القَيّم الإخلاص بالتّوحيد والإقرار بالنبوّة والولايَةِ، فمن جاء بهذا فقد أتى بالدّين، يا سلمان ويا جندب: المؤمن الممتحن الذي لم يرد عليه شيءٌ من أمرِنا إلّا شرح الله صدرَهُ لقبوله، ولم يشكّ ولم يرتب، ومن قال: لِمَ وكيف فقد كفر، فسلّموا لله أمره، فنحن أمر الله، يا سلمان ويا جندب: إنّ الله جعلني أمينه على خلقِهِ، وخليفته في أرضه وبلادِهِ وعباده، وَأعطاني ما لم يصفه الواصفون، ولا يعرفه العارفون، فإذا عرفتموني هكذا فأنتم مؤمنون. يا سلمان قال الله تعالى: ﴿واستعينوا بالصّبر والصَّلاَةِ﴾ فالصّبر محمّد والصَّلاة ولايتي. ولذلكَ قال: ﴿وإنّها لكبيرة﴾ ولم يقل: وإنَّهما ثم قال: ﴿إلاَّ على الخاشعين﴾ فاستثنى أهل ولايتي الذين استبصروا بنور هدايتي. يا سلمان نحن سرُّ الله الذي لا يخفى، ونوره الذي لا يُطفىء، ونعمته التي لا تجزَى أوَّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخِرنا محمّد، فمن عرفنا فقد استكمل الدّين القَيّم. يا سلمان ويا جندب: كنتُ ومحمَّد نوراً نسبّح قبل المسبَّحاتِ ونشرق قبل المخلوقات، فقسم الله ذلك النّور نصفين: نبيّاً مصطفى ووصِيّاً مرتضَى. فقال الله عزّ وجَلَّ لذلك النّصف: كن محمّداً، وللآخر كن عليّاً. ولذلكَ قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا من علي وعلي منّي ولا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو علي». وإليه الإشارة بقوله: ﴿وأنفسنا وَأنفسكم﴾ وهو إشارة إلى اتّحادهما في عالَم الأرواح والأنوار. . . إلى قوله: يا سلمان ويا جندب: وكان محمّد النّاطق، وأنا الصَّامِت، ولا بُدَّ في كلّ زمانٍ من صامتٍ وناطق، فمحمد

صاحب الجمع، وأنا صاحِبُ الحشر، ومحمّد المنذر، وأنا الهادي، ومحمّد صاحب الجنّة، وأنا صاحب الرجعة، ومحمّد صاحب الحوض، وأنا صاحب اللّواء، ومحمّد صاحِب المفاتيح، وأنا صاحِب الجنّة والنّار، ومحمّد صاحب الوحي، وأنا صاحب الإلهام، وَمحمّد صاحبُ الدّلالات، وأنا صاحب المعجزات، ومحمّد خاتم النّبيين، وأنا خاتَمُ الوصيّين، ومحمّد صاحب الدّعوة، وأنا صاحبُ السّيفِ والسّطوة. محمّد النّبيّ الكريم، وأنا الصّراط المستقيم. محمّد الرّؤوف الرّحيم، وأنا العلي العظيم. يا سلمان قال الله سبحانه: ﴿يُلْقِ الرُّوح من أمرِهِ على من يشاء من عباده﴾[1] . ولا يعطي هذا الرُّوح إلاّ من فَوَّض إليه الأمر والقدرة، وأنا أحيي الموتى وَأعلم ما في السّموات والأرض، وأنا الكتاب المبين. يا سلمانُ: محمّد مقيم الحجّة، وأنا حجّة الحقّ على الخلق، وبذلكَ الرّوح عرجَ به إلى السّماء، أنا حملتُ نوحاً في السَّفينة، أنا صاحب يونس في بطن الحوت، وأنا الّذِي جاورتُ موسى في البحر، وأهلكتُ القرونَ الأولى، وأنا أُعطِيتُ علم الأنبياء والأوصياء وفصل الخطاب، وبي تَمَّتْ نبوَّة محمّد. أنا أجريتُ الأنهار والبحار، وفجَّرْتُ الأرض عيوناً، وأنا كابُّ الدُّنيا لوجهها. أنا عذابُ يوم الظّلّة. أنا الخضر معلّم موسى. أنا معلِم داوود وسليمان. أنا ذو القرنين. أنا الّذِي رفعْتُ سمكها بإذن الله عزّ وجَلّ. أنا دحوتُ أرضها. أنا المنادي من مكانٍ بعيد. أنا دابّة الأرض، أنا كما قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنتَ يا علي ذو قرنيها وكلا طرفيها، ولك الآخرة والأولى». يا سلمان إنّ ميّتنا إذا ماتَ لم يَمُتْ، ومقتولنا لم يقتل، وغائبنا إذا غابَ لم يغِبْ، ولم نلد ولم نولد في البطون، ولا يقاس بنا أحدٌ من النّاس، أنا تكلّمت على لسان عيسى في المهد. أنا نوح، أنا إبراهيم، أنا صاحب النّاقةِ، أنا صاحب الرَّجْفَة، أنا صاحِب الزّلزلة. أنّا اللّوح المحفوظ. إليّ انتهى علم ما فيه. أنا أتقلّب في الصوَر كيفَ شاء الله. من رآهم فقد رآني، ومن رآني فقد رآهم، ونحن في الحقيقة نور الله الذي لا يزول ولا يتغيَّر. يا

---

(١) سورة المؤمن: آية ١٥.

سلمان بنا شُرِّفَ كلّ مبعوث، فلا تدعونا أرباباً وقولوا فينا ما شئتم. فينا هلكَ، وبنا نجا يا سلمان من آمن بما قلتُ وشرحتُ، فهو مؤمِن امتحنَ الله قَلْبَهُ للإيمان وَرَضِيَ عنه، ومن شَكَّ وارتابَ فهو ناصِب، وإنّ الدّاعي ولايتي فهو كاذب. يا سلمان أنا والهداة من أهل بيتي سرُّ الله المكنون وأولياؤُه المقرّبون. كلّنا واحد، وسرّنا واحد، فلا تفرّقوا بيننا فتهلكوا، فإنّا نظهر في كلّ زمانٍ بما شاء الرّحمن. فالويلُ كلّ الويل لمن أنكر ما قلت، ولا ينكرهُ إلّا أهل الغباوة، ومن ختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوةً. يا سلمان، أنا أبو كل مؤمن ومؤمنة، يا سلمان أنا الطّامّة الكبرى، أنا الآزفة إذا أزفَتْ، أنا الحاقّة، أنا القارعة، أنا الغاشيَةُ، أنا الصّاخّة، أنا المحنة النّازلة ونحن الآيات والدّلالات والحجب ووجه الله، أنا كُتِبَ إسمي على العرش فاستقرَّ، وعلى السموات فقامت، وعلى الأرض فرسَتْ، وعلى الرّيح فذرت، وعلى البرق فلمع، وعلى الوادي فهمع، وعلى النور فقطع، وعلى السّحاب فدمع، وعلى الرَّعد فخشع، وعلى اللّيل فدجا وأظلم، وعلى النّهار فأنار وابتسم(1).

يرى البعض أنّ هذا الكلام صعبٌ، لا يتجرَّعه المرء، وكيفَ لا يكون صعباً؟ والإمام يقول: إنّ كلامي صعبٌ مستصعب لا يعقله إلّا العاملون.

فقد روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان قاعِداً في المسجِد، وعنده جماعة من أصحابه، فقالوا له: حدّثنا يا أمير المؤمنين، فقال لهم: ويحكم! إنّ كلامي صعب مستصعب لا يقبله إلّا العاملون. قالوا: لا بدّ من أن تحدّثنا. قال: قوموا بنا، فدخلوا الدّار، فقال: أنا الّذي علوتُ فقهرتُ، أنَا الّذِي أحيي وأميتُ، أنا الأوّل والآخر، وَالباطن والظاهِر، فغضِبوا، وقالوا: كفر، وَقاموا، فقال علي عليه السلام للباب: يا باب استمسِك عليهم، فاستمسك عليهم الباب، فقال: ألم أقل لكم أنَّ كلامي صعب مستصعب لا يعقله إلّا العالمون. تعالوا: أفسّر لكم، أما قولي: أنا الذي علوتُ فقهرتُ، فأنا الّذي علوتكم بهذا السَّيف

---

(1) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧.

فقهرتكم حتّى آمنتم باللّهِ ورسوله. وأمّا قولي: أنا أحيي وأميت، فأنا أحيي السّنة وأمِيتُ البدعة. وأمّا قولي: أنا الأوّل فأنا أوّل من آمن بالله وأسْلَم. وأمّا قولي: أنا الآخِر، فأنا آخِر من سجّى على النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ثوبه وَدفنه. وأمّا قولي: أنا الظّاهر والباطن، فأنا عندي علم الظّاهر وَالباطن. قالوا: فرّجتَ عنّا فرّج الله عنك[1].

وعن علي بن حمدون، عن فرج بن وفرة، عن مسعدة، عن صالح بن ميثم، عن أبيه، قال: بينا أنا في السُّوق، إذ أتاني الإصبغ بن نباتة، فقال لي: ويحك يا ميثم، لقد سمعتَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب آنِفاً حديثاً صعباً شديداً أن يكون كما ذكر، قلتُ: وما هو؟ قال: سمعته يقول: إنّ حديثنا أهل البيت صعبٌ مستصعب لا يحمله إلاّ ملك مقرَّب، أو نبيّ مرسل، أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان. قال: فقمتُ من فوري، فأتيتُ أمير المؤمنينَ، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، جُعِلْتُ فداكَ، حديث أخبرني به الإصبغ عنْكَ، قد ضقتُ به ذرعاً، قال: فما هو؟ فأخبرته به، قال لي: اجلس يا ميثم، أو كلّ علم العلماء يُحتمل؟ قال الله لملائكته: ﴿**إنّي جاعِلٌ في الأرض خليفة قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء**﴾إلى آخر الآية[2].

فهل رأيتَ الملائكة احتملوا العلم؟ قال: قلت: هَذِهِ واللّهِ أعظم من تلكَ. قال: والأُخرى عن موسى، أنزل الله عليه التّوراة، فظنّ أن لا أحد في الأرض أعلمَ منه، فأخبره اللّهُ تعالى أنّ في خلقي من هو أعلم منك، وذاك إذ خافَ على نبيّه العجب. قال: فدعا ربّه أن يرشِدَهُ إلى العالِم. قال: فجمع الله بينَهُ وبينَ الخضر عليهما السّلام، فخرق السّفينة فلم يحتمل ذلك موسى. وقتل الغلامَ فلم يحتمله، وأقامَ الجدار، فلم يحتمل ذلك، وأمّا المؤمن فنبيُّنا محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيدي يوم الغدير فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه». فهل رأيت المؤمنين احتملوا ذلكَ إلاّ من عصم الله

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٦٤٥ ـ ٦٤٦.
(٢) سورة البقرة: آية ٣٠.

منهم؟ ألاَ أبشروا ثم أبشروا فأبشروا، فإنّ الله قد خصَّكم بما لم يخصّ به الملائكة والنّبيّين والمؤمنين بما احتملتم من أمر رسول الله[1].

ومن المزايا الّتي امتاز بها عليٌّ على سائِرِ الخلق اقتران حبّه بحبّ الله ورسوله، واقتران بغضِهِ ببغض الله ورسوله، فما معنى هذا الاقتران؟ وما دليله؟ وما مَغزاه؟ وقد أكّدَ نبيّ هذِهِ الأمة صلى الله عليه وآله وسلم مراراً بقوله: يا عليّ من أحبَّكَ فقد أحبَّني، ومن أحبَّني فقد أحبَّ الله. يا عليّ من أبغضك فقد أبغضنِي، ومن أبغضنِي فقد أبغَض الله. فما هو السّر في كون عليٍّ هو مفتاح الحبّ والبغض؟ الحقيقة أنّ حبَّ الله وحب رسوله لا يُجديانِ شيئاً بدون حبّ علي، وكذلكَ البغض على هذا المنوال. وكذلك الولاء العلوي، وإلاَّ فما معنى الحديث القائِل: «لو أنّ عابداً عبد الله بين الركن والمقام ألف عامٍ وألفَ عامٍ حتّى يكون كالشّن البالي، ولقي الله مبغِضاً لآل محمّد أكبَّه الله على منحره في نار جهنم»[2].

وكذلك الحديث الذي رواه الخوارزمي عن النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: يا علي لو أنّ عابداً عبد اللّهِ عزَّ وجلَّ مثل ما قام نوح في قومه، وَكان له مثل جبل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، وحجَّ ألفَ عامٍ على قدميه، ثم قُتِلَ بين الصّفا والمروة مظلوماً، ولم يوالِكَ يا عليُّ لم يشمَّ رائحة الجنّة ولم يدخلها. وكم ردَّد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وصرّح: حبّ عليّ إيمان، وبغضه نفاق. واللّهِ لا يحبُّكَ إلاّ مؤمن، ولا يبغضك إلاّ منافق. حبّ علي إيمان، وبغضه كفر، إلى مئات الأحاديث الواردة في الحب والولاء.

ولقد قال الإمام عليه السلام: لو ضربتُ خيشومَ المؤمن على أن يبغضَنِي ما فعل، ولو صَبَبْتُ الدّنيا على المنافق على أن يحبَّني ما فعل. وبذلكَ أخذ الله لي العهد في الأزل ولم يزل. ولذلك قالَ للرَّجُل: فما رأيتُكَ في المحبّين فأين كنْتَ؟ فعليه عُرِضَتِ الأرواح، وَعليه تُعْرَضُ الأعمال في عالَمِ الأجسام،

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٢٣٢.
(٢) ينابيع المودَّة: للقندوزي، جـ ٣ ص ١٦١.

وعليه تعرض عند الممات، ويعلم مقامها بعد الوفاة. فعليٌّ قسيم الجنّة والنّار، يقول: هذا لي فاتركيه، وهذا لك فخذيه.

فهذا القندوزي في ينابيعه ص ٨٥ يروي لنا هذا الحديث، قال: في عيون الأخبار عن أبي الصَّلت الهروي (قال): قال المأمون لعلي بن موسى الكاظم: أخبرني عن جدّك أمير المؤمنين بأيّ وجهٍ هو قسيم الجنّة والنّار؟ فقال له الرّضا عليه السلام : ألم تروِ عن آبائِكَ عن عبدالله بن عبّاس أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «حبُّ عليّ إيمان وبغضه كفر»[1]. فقال: بلى. فقال

(١) أمّا حديث علامة المؤمن والمنافق فله نصوص منها:
أ ــ عن أمير المؤمنين أنّه قال: والّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأُمي إليَّ: إنّه لا يحبُّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق. أخرجه مسلم في صحيحه، والكفاية، والترمذي في جامعه، جـ٢ ص ٢٩٩، وأحمد في مسنده، جـ١ ص ٨٤، وابن ماجه في سننه، جـ١ ص ٥٥، والنسائي في سننه، جـ٨ ص ١١٧، وفي خصائِصِهِ، ص ٢٧، وأبو حاتم في مسنده، والخطيب في تاريخه، ص ٥٥، والبغوي في المصابيح، جـ٢ ص ١٩٩، ومحبّ الدّين الطبري في رياضِهِ، جـ٢ ص ٢١٤، وابن عبد البر في الاستيعاب، جـ٣ ص ٣٧، وابن الأثير في جامع الأصول، وفي تلخيصه (تيسير الوصول)، جـ٣ ص ٢٧٢، وسبط ابن الجوزي في تذكرته، ص ١٧، وابن طلحة في مطالب السُّؤل، ص ١٧، وابن كثير في تاريخه، جـ٧ ص ٣٥٤، والحمويني في فرائده في الباب ٢٢، والجزري في أسنى المطالب، ص ٧ وصحّحه، وابن الصَّباغ المالكي في (الفصول)، ص ١٢٤، وابن حجر الهيثمي في الصّواعق، ص ٧٣، وابن حجر العسقلاني عن الحميدي، وأبو نعيم في الحلية، وابن أبي عاصم في سننه، والشّنقيطي في الكفاية.
ب ــ صورة أخرى عن أمير المؤمنين: لعهد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم إليَّ: «لا يحبُّكَ إلاَّ مؤمن، ولا يبغضك إلاّ منافق». بعشر أسانيد منهم: النسائي وأبو نعيم والإمام أحمد، وابن عبد البر، وابن أبي الحديد، والحمويني، والسُّيوطي وابن حجر.
جـ ــ صور ثالثة: قال أمير المؤمنين: لو ضربتُ خيشومَ المؤمن بسيفي هذا على أن يبغِضني ما أبغضني، ولو صببتُ الدُّنيا بجمَّاتِها على المنافق على أن يحبّني ما أحبَّني، وذلك أنّه قضى فانقضى على لسان النبيّ الأميّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «يا علي لا يبغضُكَ مؤمن ولا يحبّك منافِق».
د ــ صورة رابعة في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام : قَضاء قضاهُ الله عزَّ وجَلَّ على لسان =

الرّضا عليه السلام : لمّا كانت الجنة للمؤمن، والنّار للكافر، فقسمةُ الجنّة والنّار ـ إذا كانت على حبّه وبغضه ـ فهو قسيم الجنّة والنّار. فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدَكَ، إنّكَ وارث جدّكَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قالَ أبو الصّلت الهروي: لمّا انصرف الرّضا عليه السلام إلىٰ منزله، قلتُ له: جُعِلْتُ فِداك يابن رسولِ الله، ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين، فقالَ: يا أبا الصّلت إنّما كلّمته من حيث هو، ولقد سمعتُ أبي يحدّث عَنْ آبائِهِ عن علي عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «يا علي أنت قسيمُ الجنّة والنّار يوم القِيامَة، تقول للنّار: هذا لي وهذا لك».

وروى أحمد في الفضائِل عن المطّلب بن عبدالله بن حنطب عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته: «أوصيكم بحبّ ذي قرنيها أخي وابن عمي علي بن أبي طالب، فإنّه لا يحبّه إلاّ مؤمن ولا يبغِضُهُ إلاّ منافق». وفي رواية: «فمن أحبَّه فقد أحبَّني، ومن أبغضَهُ فقد أبغضني، ومن أحبّني أدخله الله الجنّة، ومن أبغضني أدخَلَهُ الله النّار»[1].

وذكر الخوارزمي في «مناقبه» مرفوعاً إلى عبدالله بن عبّاس أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقالَ: «أنتَ سيّد في الدُّنيا وسيّد في الآخرة، من أحبَّكَ فقد أحبني، وحبيبكَ حبيب الله، ومن أبغضك قد أبغضني، وبغيضك بغيض الله، والويل لمن أبغَضَكَ بعدي»[2].

وإذا كان الإمام هو مفتاح الحبّ والبغض، فأهل السّماء يحبّون عليّاً أكثر بكثير من حبّ أهل الأرض له. فهذا الحافظ الشّافعي في كتابه (كفاية

= نبيكم النّبي الأميّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن، ولا يبغضني إلاّ منافق. وهذا الحديث ممّا احتج به أمير المؤمنين يوم الشورى.

(١) تذكرة سبط ابن الجوزي، ص ٣٢ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ، المطبعة العلمية ـ النّجف.

(٢) مناقب الخوارزمي، ص ٢٣٤ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية ـ النّجف، وفي جـ ٩ من شرح النهج: لابن أبي الحديد، ص ١٧٢ يقول: أوصيكم بحب ذي قرباها.

الطالب) عن أنس بن مالِـك قال: قـال رسول الله ﷺ: «مـررتُ ليلة أُسري بي إلى السَّمـاء، وإذا أنا بملك جـالسٍ على منبر من نـور، والملائكـة تحدِّق به، فقلتُ: يا جبرئيل من هذا الملك؟ فقال: ادنُ منه وسلِّم عليه، فدنوت منه وسلّمْتُ عليـه، فـإذا أنـا بـأخي وابن عمّي علي بن أبي طـالب، فقلتُ: يـا جبرئيل: سبقني علي بن أبي طالب إلى السَّماء الرَّابعة فقـال: لا، يا محمَّـد، ولكنّ الملائكة شكت حبَّها لعلي، فخلق الله هذا الملك من نـوره على صورة علي بن أبي طالب عليه السلام، فالمـلائكة تـزوره في كلّ ليلة جمعـة ويوم جمعـة سبعين ألف مـرَّة يسبّحون الله تعـالى، ويقدّسـونه ويهـدون ثـوابـه لمحبّ علي عليه السلام. (ثم قال): قلتُ: هذا حديث حسن عالٍ[1].

وصاحب الشَّريعـة السَّمَاويـة لشدَّة حبّـه لعلي خاطبـه الحقّ جل جـلاله بلسان علي. فهذا الخوارزمي في (مناقبه) يعطّر أنفاسنا بهـذا الحديث عن ابن عمـر، قال: سمعت رسـولَ اللّهِ ﷺ وقد سئِـلَ بأيّ لغـةٍ خاطبـك رَبُّكَ ليلة المعراج؟ فقال: خاطبني بلغة علي بن أبي طـالب عليه السلام، فألهمني أن قلت: يا ربّ خاطبتني أنتَ أم علي؟ فقال: يا أحمد، أنا شيء لا كالأشياء، لا أُقاس بـالنَّاس، ولا أوصف بـالأشيـاء، خلقتُـكَ من نـوري، وخلقتُ عليّاً من نـورِكَ فاطّلعت على سرائر قلبِكَ فلم أجـد إلى قلبك أحبَّ من علي بن أبي طـالب، فخاطبتُكَ بلسانِهِ كي يطمئنّ قلبُكَ[2].

وكيفَ لا يحبّه؟ وأحاديثـه ﷺ ملأى بـالكتب توضّـح ما لمحبّي علي من الفوز والسَّعادة حتّى أنّ المطَّلِعَ على هذه الأحاديث يغبط نفسه إذا كان من محبيه. فمن هذه الأحاديث:

---

(١) مقـام الإمام علي عنـد الخلفاء لنجم الـدين العسكـري، وإرشـاد القلوب: للديلمي، ص ٢٧، ويرويه الخوارزمي الحنفي في مناقبـه، ص ٤٧، وفي كتابـه مقتل الحسين، جـ ١ ص ٤٢.

(٢) كتاب المناقب، ص ٣٧ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدريَّة، وفي كتـابه مقتـل الحسين، جـ ١ ص ٤٢.

خرج الرَّسول ﷺ على الحجيج عشيَّة عرفة، فقال لهم: إنّ اللَّهَ قد باهى بكم الملائكة عامّةً، وغفر لكم عامَّةً، وباهى بعليّ خاصَّةً، وغفر له خاصَّةً. إني قائلٌ لكم قولاً غير محابٍ فيه لقرابتي، إنّ السَّعيد كلّ السَّعيد حقّ السَّعيد من أحبَّ عليّاً في حياته وبعد مماتِهِ. ورواه ابن حنبل في كتاب (فضائل علي) وَفي المسند أيضاً[١].

وفي كنز العمّال جـ ٦ ص ١٥٥ نقلاً عن المعجم الكبير للطَّبراني، أخرج حديثاً بسنَدِهِ عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «ألا أرضيكَ يا علي أنتَ أخي ووزيري تقضي ديني وتنجز موعدي وتبرىء ذمَّتي، فمن أحبَّكَ في حياة منّي فقد قضى نحبه، ومن أحبَّكَ في حياةٍ منك بعدي ختم الله له بالأمن والإيمان، ومن أحبَّكَ بعدي ولم يرك ختم الله له بالأمن والإيمان وآمنه يوم الفزع، ومن ماتَ وهو يبغضُكَ يا عليّ، مات ميتَةً جاهليَّةً يحاسبه الله بما عمل في الإسلام».

ذكر هذا الحديث في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، وَفي كنز العمّال، وعن المستدرك للصَّحِيحين البخاري ومسلم[٢].

وفي كفاية الطَّالب للكنجي الشَّافعي ص ١٨٤ خرج بسندِهِ عن شريح بن هانىء عن أبيه عن عائشة قالت: ما خلق الله خلقاً كانَ أحبَّ إلى رسول اللّهِ ﷺ من علي بن أبي طالب. ثم قال: هذا حديث حسن، رواه ابن جرير في مناقبه، وأخرجه ابن عساكِر في ترجمته، وخرَّجه كثيرون من علماء السّنة[٣].

وفي كفاية الطَّالب أيضاً ص ١٣٣ خرَّج بسنَدِهِ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ ـ وهو في بيتها لمّا حضرته الوفاة ـ ادعوا لي حبيبي، فدعوت

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٩ ص ١٦٩ ط ١٩٦٠ م، دار إحيار الكتب العربية.

(٢) كتاب مقام الإمام أمير المؤمنين علي عند الخلفاء: للعسكري.

(٣) نفس المصدر: للعسكري.

له أبا بكر، فنظر إليه، ثم وضع رأسه، ثم قال: ادعـوا لي حبيبي، فدعـوت له عمـر، فلمّا نـظر إليه وضـع رأسَهُ، ثم قـال: ادعوا لي حبيبي، فقلتُ: ويلكم ادعوا له عليّاً، فواللّهِ ما يريد غيره، فلمّا رآه أخرج الثوب الذي كـان عليه، ثم أدخله فيه، فلم يزل محتضِنَه حتّى قُبِضَ ويده عليه (أي يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) على يد علي عليه السلام [1].

وأخرج ابن عساكر في تاريخه مسنداً عن جابر بن عبدالله عن رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم في حديث: «يا عليُّ لو أنَّ أمّتِي صامـوا حتى يكونـوا كالحنـايا، وصلُّوا حتى يكـونوا كـالأوتار، ثم أبغضـوك لأكبَّهم الله في النّار»، وذكـره الكنجي في (الكفاية) ص ١٧٩، وأخـرجه الفقيـه ابن المغازلي في (المنـاقب)، ونقله عن القـرشي في (شمس الأخبـار) ص ٣٣، ورواه شيـخ الإسـلام الحمـويني في (الفرائد) في الباب الأوّل[2].

وعن بريدة قال: قال لي النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يـا بريـدة لا تبغض علِيّاً، وإن كنتَ تحبُّه فازْدَدْ له حبّاً». قـال: فما كـان أحدٌ من الأمَّـةِ أحبُّ إليّ من علي. أخرجه أحمد[3].

وحـديث الـطّير من الأدلَّـةِ المتعـدّدة التي تثبتُ أنّ عليّـاً أحبُّ مخلوقٍ إلى الله عزّ وجَلَّ، فقـد أخرجـه الخطيب المـوفَّق محمّد بن أحمـد الخوارزمي الحنفي في تـاريـخ مقتـل الحسين يـرفعـه بسنـدِهِ إلى أنس بن مـالـك. وذكـر الخوارزمي بأنّ الحافظ بن مردويه أخرَجَ هذا الحديث بمـائة وعشـرين إسناداً، وقال أبو عبدالله الحافظ: صحَّ حديث الـطّير وإن لم يخـرجاه (يعني البخـاري ومسلمـاً). وأخرجَـهُ الكنجي الشّـافعي في (كفـايـة الـطّالب) ص ٩٢، ومنهم الحافظ محمّد بن طلحـة الشّافِعي في مـطالب السُّؤل ص ٢١، ومنهم العلاَّمـة الحمـويني الشّافِعِي في (فـرائد السّمـطين) جـ ١ بـاب ٢٧، ومنهم أبـو جـابـر

---

(١) نفس المصدر: لنجم الدين العسكري وكشف الغمة: للأربلي، جـ ١ ص ١٠٢.
(٢) الغدير: للأميني، جـ ٢.
(٣) ينابيع المودة: للقندوزي، جـ ٢ ص ٣٦.

عبد الحميد الشَّافِعِي المعروف بابن أبي الحديد في شرحه للنهج، ومنهم الحافظ أبو نعيم في (حلية الأولياء) جـ ١ ص ٦٣، ومنهم السَّيد هاشِم البحراني في (غاية المرام) ص ١٦ و ٦١٩، وذكرَهُ القندوزي في (ينابيع المودَّة) ضمن أربعة وعشرين حديثاً في فضائله[1].

وهذا تفصيل حديث الطَّير: عن أَنَس بن مالِك قال: كانَ عند النَّبِيِّ ﷺ طير، فقال: «اللهمَّ آتِنِي بأحبِّ خلقِكَ إليك يأكل معي هذا الطير، فجاءَهُ علي فأكل معه». وأخرج أبو عيسى التِّرمذي هذا الحديث في جامعه، وذكره النّسائي في حديثه ص ١٠٥.

وهذا الخليفة العبَّاسي المأمون عندما احتجَّ على أربعين فقيهاً من فقهاء المسلمين في فضل علي، ناقشهم مناقشَةً علميَّة مفحمة، وبيَّن لهم الحقّ لمن أراد الله فيه الخير. ومن هذه المناقشةِ حديث الطّير. قال المأمون: يا إسحٰق أتروي الحديث؟ قلتُ: نعم، قال: فهل تعرف حديثَ الطَّير؟ قلتُ: نعم، قال: فحدّثني به، فحدّثته الحديث، فقال: يا إسحٰق، إني كنتُ أكلّمُكَ وأنا أظنُّكَ غير معاند للحقّ، فأمّا الآن فقد بانَ لي عنادُكَ أنَّكَ توقن أنّ هذا الحديث صحيح، ثمّ زعم أن أحداً أفضل من علي ـ لا يخلو من إحدى ثلاثٍ ـ من أن تكون دعوة الرَّسول ﷺ عنده مردودةً عليه، أو أن يقول: عرف الفاضِل من خلقِهِ، وكان المفضول أحبَّ إليه، أو أن يقول: إنّ الله تعالى لم يعرف الفاضل من المفضول! فأي الثلاثة أحبّ إليك أن تقول؟ قال إسحٰق: فأطرقتُ، ثم قال: يا إسحٰق لا تقل منها شيئاً، فإن قلت منها شيئاً، استتبتُكَ، وإن كان للحديثِ عندكَ تأويلٌ غير هذه ثَلاثة الأوجه فقُلْهُ. قلتُ: لا أعلمُ، وإنّ لأبي بكر فضْلاً، قال: أجل، لولا أنّ له فَضْلاً لما قيل: إنّ عليّاً أفضَلُ منه، فما فضلُهُ الّذي قصدْتَ له السَّاعة؟ قلتُ: قوله تعالى: ﴿ثاني اثنينِ إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ اللَّهَ معنا﴾[2]، فنسبَهُ إلى

---

(١) علي والوصية: لنجم الدين العسكري.
(٢) سورة التوبة: آية ٤١.

صحبته. قال: يا إسحٰق، أما إني لا أحملُكَ على الوعر من طريقكَ. إنّي وجدتُ اللّهَ تعالى نسَبَ إلى صحبته مَنْ رضِيَهُ ورضي عنه كافِراً، كقوله تعالى: ﴿فقال له صاحِبُهُ وهو يحاوره أكفرْتَ بالَّذِي خلقك من تراب ثم من نطفةٍ ثمّ سوَّاك رجُلاً لكنّا هوالله ربّي ولا أشرك بربّي أحداً﴾(٢)قلتُ: إنّ ذلكَ صاحِباً كان كافِراً، وأبو بكر مؤمن. قال: فإذا جاز أن ينسبَ إلى صحبةِ نبيِّهِ مؤمناً وليس بأفضل المؤمنين، ولا الثاني ولا الثّالِث. قلتُ: يا أمير المؤمنين إنّ قدر الآية عظيم، إنَّ الله يقول: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا﴾. قال: يا إسحٰق تأبى الآن إلاّ أن أُخرجَكَ إلى الاستقصاء عليك! أخبرني عن حزن أبي بكر أكان رِضاً لله أم سخطاً؟ قلتُ: إنّ أبا بكر إنَّما حزن من أجْلِ رسولِ الله ﷺ خوفاً عليه وغمّاً أن يصل إلى رسول الله ﷺ بشَيْءٍ من المكروه، قال: ليس هذا جوابي، إنَّما كان جوابي أن تقول: رِضاً أم سخط؟ قلتُ: بل كان رضاً لِلّه. قال: فكان اللَّهُ جَلّ ذكره بَعَثَ إلينا رسولاً ينهى عن رضا الله تعالى، وعن طاعته؟ قلتُ: أعوذ بالله. قال: أو ليس قد زعمتَ أنّ حزنَ أبي بكرٍ رِضاً لِلَّهِ؟ قلتُ: بلى، قالَ: أو لم تجد أنّ القرآن يشهد أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تحزن» نهياً له عن الحزن، قلتُ: أعوذ باللّهِ، قال: يا إسحٰق إنَّ مذهبي الرِّفق بكَ لعلّ اللّه يردُّكَ إلى الحق ويعدلُ بكَ عن الباطِل، فحدّثني عن قوله: ﴿فأنزل الله سكينَتَهُ عليه﴾ مَنْ عَنَى بذلك؟ الرَّسول ﷺ أم أبا بكر؟ قلتُ: رسول الله ﷺ، قال: صدقتَ.

قال: فحدّثني عن قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ويوم حُنَيْنٍ إذ أعجبتكُمْ كثرتكم﴾... إلى قوله: ﴿ثمّ أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾، أتعلمُ من المؤمنين هنا؟ قلتُ: لا أدري. قالَ النّاس جميعاً انهزموا يومَ حُنَين فلم يبق مع الرَّسول ﷺ إلاَّ سبعة نفر من بني هاشِم، علي يضرب بسيفه بين يدي رسولِ الله، والعبَّاس آخِذ بلجام بغلة رسولِ الله، والخمسة محدقون

---

(١) سورة الكهف: آية ٣٨.

بـه خوفـاً من أن ينالـه من جراح القـوم شيء حتى أعطى الله لـرسولـه الظّفـر، فالمؤمنون في هذا الموضع علي خاصَّةً، ثمَّ من حضره من بني هـاشِم. قال: فمن أفضل من كانَ مـع رسولِ اللّهِ ﷺ في ذلـك الوقت؟ أم مَنِ انهـزم عنه ولم يره الله موضِعاً لينزلها عليه؟ قلتُ: بل من أنزلت عليـه السَّكينة. قـال: يا إسحٰق، من أفضل؟ من كان معـه في الغار أم من نـام على فراشـه وَقاه بنفسـه حَتَّى تمَّ لرسول الله ﷺ ما أراد من الهجرة؟ إنَّ الله تبارَكَ وتعالى أمر رسولـه بـأن يأمـر عليّاً بـالنّوم على فـراشِهِ، وأن يقي رسـولَ اللّهِ ﷺ بنفسه، فـأمره رسول الله ﷺ بذلكَ، فبكى علي رضي الله عنه. فقال له رسول الله ﷺ: «مـايبكـيـكَ يا عليُّ؟ أجزعـاً من الموت؟» قـال: لا، والَّذِي بعثَـكَ بالحقّ يـا رسولَ الله، ولكن خوفاً عليكَ، أفتسلم يا رسولَ الله؟ قـالَ: نعم، قال: سمعـاً وطاعةً وطيبـة نفسِي بالغـداء لك يـا رسول الله. ثمَّ أتى مضجعـه واضطجَـعَ، وتسَجَّى بثوبه، وجاء المشرِكون من قريش، فحفُّوا به لا يشكّون أنه رسـول الله ﷺ، وقـد أجمعوا أن يضـربه من كـل بطنٍ من بـطون قريش رجـلٌ ضربـة بالسَّيف لئلاَّ يطلب الهاشميّون من البطون بطناً بدمه، وعلي يسمع ما القوم فيه من إتلاف نفسه، ولم يدعه ذلِكَ إلى الجزع، كما جزع صاحبه في الغار، ولم يزل عليٌّ صابراً محتسِباً، فبعث الله ملائكته، فمنعته من مشركي قريش، حتى أصبح، فلمَّا أصبح قامَ فنظَرَ القوم إليه، فقالـوا: أين محمّد؟ قـال: وَمَا علمي بمحمد أين هو؟ قالوا: فما نراكَ إلاّ مغروراً بنفسِكَ منـذ ليلتنا، فلم يـزل على أفضلَ ما بدأ به يزيد ولا ينقص حتّى قبضه الله إليه[1].

ولشـدَّة حبّ الله ورسولـه لعلي فقد فـرضا محبَّتِـهِ على أهـل السَّمٰـوات والأرض، وهذا شرفٌ لا يضاهيه شرَف وفخر لا يجاريه فخـر، وخير من طبَّق هـذا الحبّ العلوي من أهل الأرض كبـار الزُّهـاد من صحابـة محمّد ﷺ، فقد تفانـوا في حبّ أبي تراب، وهم يشعـرون بأنّهم مقصّـرون، وهذه بعض الأدلة:

(١) العقد الفريد: لابن عبد ربّه، جـ٣ ص٢٨٣ - ٢٨٤ ط ١ سنة ١٣٣١ هـ.

ففي كتاب (المناقب) للخوارزمي قال رجل لسلمان: ما أشدّ حبّك لعلي! قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أحبَّ عليّاً فقد أحبَّني، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني»[1].

وفي كتاب (المناقِب) أيضاً عن معاوية بن ثعلبة، قالَ: جاءَ رجلٌ إلى أبي ذر، وهو جالس في المسجد، وعلي يصلّي أمامه، فقال: يا أبا ذرّ ألاَ تحدّثني بأحبّ النّاس إليك؟ فوالله لقد علمتُ أنّ أحبَّهم إليك أحبّهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: أجل، والّذِي نفسي بيده إنّ أحبَّهم إلي أحبّهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ذلك الشّيخ ـ وأشار بيده إلى علي عليه السلام[2].

وكثيراً ما كان المسلم يشاهد تقدير وإعظام الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلي، فيسألونه عن مقدار حبّه له. فهذا ابن عبَّاس يروي لنا أنّ عليّاً دخل على النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فقامَ إليه وعانقه، وقبّل ما بين عينيه، فقال له العبَّاس: أتحبُّ هذا يا رسولَ اللّهِ؟ قال: «يا عمّ، واللّهِ اللّهُ أشدُّ حبّاً له منّي». أخرجه القزويني[3].

هذا هو الإمام، فهو حبيبٌ لله ولرسوله وللمؤمنين، وهناكَ قاعدتانِ أساسيتان لا يشذّ عنها أيّ إنسان:

الأولى: كلّ من يدَّعي بأنّه يحب الرّسول ويكره عليّاً، فهو كذّاب في حبه.

الثانية: كلّ من يبغض عليّاً فهو ابن زِنَى أو ابن حيضة أو منافق. وهذه بعض الأدلّة:

روى صاحب كتاب (كشف الغمّة) ما يلي: ومن أخبار ابن مهدي رواية أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطُّوسي، عن عبداللّهِ بن مسعود، قال:

---

(١) كشف الغمّة للأربلي، جـ١ ص١٠٣، والمناقب للخوارزمي، ص ٣٠ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية ـ النّجف.
(٢) كشف الغمّة أيضاً، جـ١ ص٩٩.
(٣) ينابيع المودّة للقندوزي، جـ٢ ص ٢٩.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زعم أنّه آمن بي وبما جئتُ به، وهو مبغِضٌ عليّاً، فهو كاذبٌ ليس بمؤمن[1].

وروى صاحب كتاب (الرَّوضة) عن أحمد بن مظفَّر بحذف الأسانيد عن أنس بن مالك، قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ، وعنده جماعة من أصحابه، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّكَ لأحبُّ إلينا من أنفسنا، قال: فدخل علي عليه السلام، فقال: «إليَّ يا أبا الحسن. لقد كذب من زعم أنَّه يحبُّني ويبغِضُكَ».

ولو لم يكن هناكَ دليلٌ سوى ما مَرَّ معنا من الأحاديثِ القائلةِ: «يا عليُّ: من أبغضَكَ فقد أبغضني»، لكفى دليلاً لصحة القاعدة الأولى.

أمّا الأدلّة على القاعدة الثَّانية فكثيرة منها: أخرج الحافظ الطبري في كتاب (الولاية) بإسناده عن علي عليه السلام أنّه قال: لا يحبُّني ثلاثة: ولد زِنَى، ومنافِق، ورجلٌ حملت به أمّه في بعض حيضها[2].

وعن ابن عبَّاس قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: رأيتُ النَّبي ﷺ عند الصَّفا، وهو مقبِلٌ على شخص في صورة الفيل، وهو يلعنُهُ، فقلتُ: ومن هذا الذي يلعنه رسول الله؟ قال: هذا الشيطان الرَّجيم. فقلتُ: والله يا عدوَّ اللَّهِ لأقتلنَّكَ ولأريحَنَّ الأمَّة منكَ. قال: واللَّهِ ما هذا جزائي منكَ، قلتُ: وما جزاؤك منّي يا عدو الله؟ قال: واللَّهِ ما أبغضَكَ أحدٌ إلاّ شركتُ أباه في رحم أمّهِ. أخرجَهُ الخطيب البغدادي في تاريخه جـ٢ ص ٢٩٠، والكنجي في الكفاية ص ٢١ عن أربعٍ من مشايخه. وأخرجه الخوارزمي في (مناقبه) ص ٢٣٢ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدريَّة بالنَّجف[3].

وروى التِّرمِذِي عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: كنّا نعرف المنافقين ـ نحن الأنصار ـ ببغضهم عليّاً. وممّا ورد عن طريق الثّقات أن عليّاً لا يبغضه

---

(١) كشف الغمّة: للأربلي، جـ٢ ص ٢٢.
(٢) الغدير: للشيخ الأميني، جـ٤ ص ٣٢٢.
(٣) نفس المصدر: جـ٤ ص ٣٢٤.

أحدٌ قط إلّا وقد شارك إبليس في رحم أمّهِ[1].

وأخرج الحافظ ابن مردويه، عن أحمد بن محمّد النيسابوري عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، عن أحمد، قال: سمعتُ الشافعي يقول: سمعتُ مالك بن أنس يقول: قال أنس بن مالك: ما كنّا نعرفُ الرَّجل لغير أبيه إلّا ببغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2].

وأخرج الحافظ الجزري عن عبادة الصّامت قال: كنّا نبوّر (نجرّبُ ونختبر) أولادنا بحبّ علي بن أبي طالب. فإذا رأينا أحدهم لا يحبّ عليّاً علمنا أنّه ليس منّا، وأنّه لغير رشدَةٍ. ثم قال الحافظ: وهذا مشهور من قديم، وإلى اليوم أنّه ما يبغض عليّاً رضي الله عنه إلّا ولد زِنَى[3].

وأخرج ابن مردويه عن أنس في حديث: كان الرّجل من بعد يوم خيبر، يحمل ولده على عاتِقِهِ، ثم يقف على طريق علي رضي الله عنه، فإذا نظر إليه أومأ بإصبعه: يا بنيَّ أتحبُّ هذا الرَّجل؟ فإن قال: نعم، قبَّلَهُ، وإن قال: لا، خرق به الأرض، وقال له: إلحق بأمّكَ[4].

وفي (كشف اليقين) للعلّامة قدّس الله سرّه، كان لأبي دَلَفَ ولد، فتحادث أصحابه في حبّ علي وبغضه، فروى بعضهم عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «يا عليُّ لا يحبّك إلّا مؤمن تقي، ولا يبغضك إلّا ولد زنية أو حيضةٍ»، فقال ولد أبي دلف: ما تقولون في الأمير؟ هل يؤتَى في أهله؟ فقالوا: لا، قال: واللّهِ إنّي لأشدُّ النّاس بغضاً لعلي بن أبي طالب. فخرج أبوهُ وهم في التّشاجر، فقال: «واللّهِ إنّ هذا الخبر لحقّ. والله إنّه لولد زنيةٍ وحيضةٍ معاً.

---

(١) الرّياض النضرة، جـ ٢ ص ١٨٩، والغدير، جـ ٣ ص ٢٦.
(٢) الغدير: للشيخ الأميني، جـ ٤ ص ٣٢٢.
(٣) أسنى المطالب، ص ٨، والغدير، جـ ٣ ص ٢٦، ونهاية ابن الأثير، جـ ١ ص ١١٨، والغريّبين للهروي، ولسان العرب، جـ ٥ ص ١٥٤، وتاج العروس، جـ ٣ ص ٦١.
(٤) الغدير: للأميني، جـ ٤ ص ٣٢٢.

إنّي كنتُ مريضاً في دار أخي في حمّى ثلاث، فدخَلْتُ على جاريةٍ لقضاء حاجَةٍ فدعتني نفسي إليها، فأبَتْ وقالت: إنّي حائض، فكابَرْتُها على نفسِها، فوطِئْتُها، فحملت بهذا الولَد، فهو لزنية وحيضَةٍ معاً(١).

ويحدّثُنا صاحب (بحار الأنوار) أيضاً هذا الحديث التّالي: يقول: وحكى والدي رضي الله عنه قال: اجتزتُ يوماً في بعض دروب بغداد مَعَ أصحابي، فأصابني عطش، فقلتُ لبعض أصحابي: أطلبُ ماءً من بعض الدُّروب، فمضى يطلب الماء، ووقفتُ أنا وباقي أصحابي ننتظِر الماء، وصبيّانِ يلعبانِ، أحدهما يقول: الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، والآخر يقول: إنّه أبو بكر. فقلتُ: صدق النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، يا عليّ، ما يحبُّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا ولد حيضة. فخرجَتِ المرأةُ بالماءِ، فقالت: بالله عليك يا سيّدي اسمعني ما قلت: فقلْتُ: حديث رويته عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم لا حاجة لذكره، فكرَّرَتِ السُّؤال، فرويتُهُ لها. فقالت: واللّهِ يا سيّدي إنّه لخبرُ صدق، إنّ هٰذينِ ولدايَ. فالّذي يحبّ عليّاً ولد طهر، والّذي يبغضه حملته في الحيض، جاء والدُهُ إليَّ، فكابر على نفسي وأنا حائِض، فنالَ منّي، فحملتُ بهذا الذي يبغض عليّاً(٢).

يقول الصّاحب بن عبّاد:

حبّ علي بن أبي طالب ... فرضٌ على الشّاهِدِ والغائب
وأمُّ من نابذه عاهِرٌ ... تُبْذَلُ للنّازِلِ والرَّاكب

ولقد أحسن من أشار إلى هذا المقام فقال:

أمير المؤمنين أراكَ لمَّا ... ذكرتُكَ عند ذي ثقةٍ صَغَى لي
وإن كرَّرْتُ ذكركَ عند نغلٍ ... تكدَّر سرُّهُ وبغى قتالي
فصرتُ إذا شككتُ بأصل مَرٍّ ... ذكرتُكَ بالجميل من الخصالِ

---

(١) الغدير: للأميني، جـ ٤ ص ٣٢٤.
(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٤١٠.

فها أنا قد خبرتُ بك البرايا ... فأنتَ محك أولادِ الحلالِ
وليس يطيق حمل ثناكَ إلَّا ... كريم الأصل، محمود الفِعال

وبهذا المعنى يقول بعضهم:

وإمَّا رأيْتَ عَدُوّاً له ... ففي أصله نسبٌ مستعارُ
فلا تعذلوه على بغضِهِ ... فحيطان دار أبيه قِصارُ

فالسَّعيد السَّعيد من أنعم الله عليه بحبِّ علي، والإقرار بفضله، ووجد حبَّه متغلغلاً في عروقه، ووجد صدره منشرِحاً عند استماع فضائِلِهِ، ولم يجد الشكوك تنازعه، ولا يد الإنكار تمانعه، فقد طاب موِلدُهُ وعنصره، وزكا منبته، وإلَّا فنسبه فاسِد ومنبته سَيِّءٌ.

هذا هو علي بن أبي طالب الَّذي حبُّه عنوان صحيفة كلّ مؤمن، فهل هناكَ في الأمَّة الإسلامية والعالَم قاطبة رجل له هذه المزايا والفضائل؟ بل هَلْ هناك ما هو أسمى وأعظم؟ فإذا تحلّى آدم بالعلم لقوله تعالى: ﴿وعلَّم آدم الأسماء كلّها﴾[1]. وإذا امتاز نوح بالتقوى، وإبراهيم بالحلم، وموسى بالهيبة، وعيسى بالعبادة، فعليٌّ جمع كلّ هذه الصّفات، علاوَةً عن الصّفات الأُخرى التي هي فخر وعزّ للإنسانية.

ففي الفصول المهمَّةِ لابن الصَّبَّاغ المالكي يقول: روى البَيهقي في كتابه الَّذي صنَّفه في فضائل الصَّحابة، يرفعه بسندِهِ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «من أراد أن ينظُرَ إلى آدم في علمه، وإلى نوحٍ في تقواهُ، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادتِهِ، فلينظر إلى علي بن أبي طالب»[2].

وهذا تنبيهٌ على أنّ عليّاً هو المثل الأعلى، وكيف لا يكونُ ذلك؟ والنَّظر

(١) سورة البقرة: آية ٣١.
(٢) الفصول المهمة، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ط ٢ عام ١٩٦٢ م.

إليه عبادة، والوقوفِ معه عبادة، والموت على حبّه شهادة، وموالاته سعادة.
ولقد نوَّهَ ابن أبي الحديد المعتزلي في قصيدَتِهِ العينيَّة بهذهِ العظمة الرَّائِعَة قائِلًا:

واللّهِ لولا حيدرٌ ما كانتِ الدُّ نيا ولا جَمَعَ البريَّة مُجْتَمِعُ
وإليه في يوم المعاد حسابُنا وهو الملاذُ لنا غدا والمفزَعُ

ولكثرة الخصال الجليلة والأعمالِ العظيمة والمزايا الفريدَةِ الّتي امتازَ بها عليٌّ على غيرِهِ من النّاس خاف النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من الغلوّ به، فاقتصر عن أن يصفه بما يستحقّ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لولا أنّي أشفقتُ أن تقول فيكَ طوائف ما قالت النَّصارى في عيسى لقلتُ فيكَ اليومَ مقالاً لا تمرُّ بملأٍ منهم إلاّ أخذوا التُّراب من تحتِ قدميكَ تبرُّكاً».

ولكنَّ صاحبَ الشَّريعة الغرَّاء عرَّفه فضله وكرامته عند اللّهِ. فقد روى الصَّدُوق بإسناده إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: صلَّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الصّبح، فلمَّا سلّم قال: أين ابن عمّي وقاضي دِيني ومنجز وعدي؟ أين علي بن أبي طالب؟ فأجابه بالتَّلبيةِ لبَّيك لبَّيك يا رسولَ اللّهِ. قال: يا علي، أتريد أن أعرِّفَكَ فضلك من الله تعالى؟ قال: نعم، يا حبيبي، قال: يا عليُّ، اخرج إلى صحن المسجد فإذا طَلَعَتِ الشّمس فسلّم عليها. قال: فخرج علي عليه السلام إلى صحن المسجد، فلمَّا طلعت الشَّمس، قال لها: السَّلام عليكِ أيَّتها الشَّمس! فقالت: وعليك السَّلام يا أوَّل يا آخِر يا باطن يا ظاهِر، يا من هو بكلّ شيءٍ عليم. قال: فضجَّتِ الصّحابة، قالوا: يا رسولَ اللّهِ، بالأمس تقول لنا: الأوَّل والآخر صفاتُ اللّهِ!! قال: «نعم، تلك صفاتُ اللّهِ عزّ وجلّ وهوَ الله وحده لا شريكَ له يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيدِهِ الخير، وهو على كلّ شيءٍ قدير». قالوا: فما بالنا نسمع الشَّمس تقول لعلي هذا؟ أفصار عليّ ربّاً يعبد؟؟ فقال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اسْتَغْفِروا اللَّهَ، ثمَّ توبوا إليه». أمّا قولها: يا أوَّل، فهو أوَّل من آمنَ بي وصدَّقني، وأمّا قولها:

يا آخِر، فهو آخر من يكسر الأصنامَ، وأمّا قولها: يا ظاهِر، فهو واللّهِ أظهر دين الله بالسَّيف، وأمّا قولها: يا باطِن، فهو باطِن بطينة علمي. وأمّا قولها: يا مَنْ هو بكلّ شيءٍ عليم. فوعزّةِ ربّي ما علّمني ربّي شيئاً إلّا علّمته عليّاً، وأنّه بطرق السَّماء أعرف بها من طرق الأرض[١].

وحديث تسليم الشّمس لعلي عليه السلام رواهُ علماء السّنّة والشّيعة على السَّواء، ففي مناقب الخوارزمي ص ٦٣ ـ ٦٤ قال: أخبرني شهردار إجازةً، أخبرني عبدوس هذا كتابة، حدَّثني الشيخ أبو الفرج[٢] محمّد بن سهل، حدَّثني أبو العبَّاس أحمد بن إبراهيم بن تركان، حدَّثني زكريًّا بن عثمان أبو القاسم ببغداد، حدَّثَنا محمّد بن زكريّا الغلَّابي[٣]، حدَّثني الحسن بن موسى بن محمَّد بن عبَّاد الجزَّار، حدَّثني عبد الرّحمن بن القاسم الهمداني، حدَّثني أبو حاتِم محمّد بن محمّد الطَّالقاني أبو مسلم، عن الخالص الحسن العسكري، عن النّاصِح علي الهادي، عن أبيه، عن آبائِهِ، عن علي بن أبي طالب، عن المصطفى محمّد الأمين سيّد الأوَّلين والآخرين صلّى الله عليهم أجمعين، أنّه قال لعلي بن أبي طالب عليهما السَّلام: كلّمِ الشَّمس فإنّها تكلّمُكَ. قال علي عليه السلام : السَّلامُ عليكِ أيّتها العبدة الصَّالحة المطيعة لِلّهِ[٤]، فقالت الشّمس: وعليك السَّلام يا أمير المؤمنين وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلينَ، يا علي أنتَ وشيعتُكَ في الجنَّة. يا عليُّ أوَّل من تنشَقّ عنه الأرض محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أنتَ، وأوَّل من يحيا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أنت، وأوَّل من يُكْسَا محمّد، ثمّ أنتَ، قال: فانكبَّ علي عليه السلام ساجداً وعيناهُ تذرفان بالدُّموع. فانكبَّ عليه النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «يا أخي وحبيبي ارفع

---

(١) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي، جـ ٤ ص ٧٢ ـ ٧٣، وذكره صاحب كتاب الرّوضة في كتابه مع اختلاف طفيف في اللفظ.

(٢) في مقتل الخوارزمي، جـ ١ ص ٤٩، أبو الفرج أحمد بن سهل.

(٣) في المقتل، جـ ١ ص ٤٩ زكريا الغلّابي.

(٤) أيها العبد الصالح المطيع لله (خ ل).

رأسك، فقد باهى الله بكَ أهل سبع سموات»[1].

وعلّق نجم الـدّين العسكـري على ذلـك، فقـال: أخـرج الحـديث الخـوارزمي في كتابـه «مقتل الحسين» عليه السلام جـ ١ ص ٤٩ ـ ٥٠ مـع اختلافٍ في سند الحديث ومتنه، هذا وقـد ذكر الحـديث في (ينابيـع المودَّة) نقـلاً عن (فـرائـد السّمـطين)، ومـوفّق بن أحمـد الخـوارزمي، مـع اختـلافٍ في المتن والسَّنـد. وقد أخـرج السَّيد هـاشم البحراني في (غـاية المـرام) ص ٦٣٢ هذا الحـديث في الباب ٩٣، ونقـل من كتب السّنة ثـلاثة أحـاديث من الخوارزمي وفرائد السّمطين ومناقب شهراشوب. وقـد رواه ابن شهراشـوب من طرق أهـل السّنة بأسانيدهم عن سلمان وأبي ذر وابن عباس وعلي بن أبي طالب عليه السلام، مع اختلافٍ في المتن وفي الموضوع. وقد أخرَجَ السيّد ستة أحاديث من كتب الإماميَّة في تكلّم أمير المؤمنين عليه السلام مع الشّمس، وجوابها له، وتكلّمها معـه عليه السلام. وفي الحديث السَّادس المـروي عن جابـر عليه الـرَّحمة، أنّ الشّمس تكلّمت مع علي أمير المؤمنين عليه السلام سبع مرَّاتٍ. ومن جملة الأحـاديث السّتة حديث نقله عن (كشف الغمّة) للأربلي عليه الرَّحمة، أخـرجه بسنـدِهِ عن أبي الحسن الثالث عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولفظه ولفظ الخوارزمي[2].

ومن خاطبته الشّمس وكلّمته بلسانٍ عربيّ فصيح فـإنّها تـطيعه إذا أمـرها بـالرُّجـوع لأجل الصَّلاةِ وقتـالُ المنـافقين. فحـديث ردّ الشّمس لعلي بن أبي طـالب رواه الفريقـان: علماء السّنـة وعلماء الإمـامية على السَّـواء. وإن أنكره البعض، أو نـسـبَ هـذهِ المعجِزَةِ إلى الـرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم فقـد رُدَّت لـه كمـا ردَّت ليـوشع بن نـون من قبلِهِ، وهـو وصيّ مـوسى بن عمـران. فقـد أجمـع اليهـود والمسيحيُّون والمسلمون على اختلاف نزعـاتهم وأهوائهم على أن يـوشع ردَّت له الشّمس، فإذا كان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من سليمان، ووصيّه علي أفضلُ من

---

(١) (علي والشيعـة) لنجم الـدين العسكـري، ص ٢٦ ـ ٢٧، والمنـاقب، ص ٦٣ ـ ٦٤ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدريّة ـ النّجف.

(٢) (علي والشيعة): للعسكري، ص ٢٧ ـ ٢٨.

وصيّ سليمان يوشع، فلا غرو أن يثبت ردّ الشمس لعلي. وهذا نموذج من الأحاديث المتعلّقةِ بردود الشّمس لعلي بن أبي طالب.

روى ابن أبي الحديد المعتزلي من شرحه للنّهج ص ١٦٨ ط ١٩٠٩ ما يلي: قال نصر بن مزاحم في كتاب (صفّين) قال: حدَّثني عمر بن عبدالله بن يعلي بن مرَّة الثَّقفي، عن أبيه، عن عبد خير، قال: كنتُ في أرض بابل، قال: وحضرت الصَّلاة صلاة العصر. قال: فجعلنا لا نأتي مكاناً إلّا رأيناهُ أفيحَ من الآخر، قال: حتّى أتينا على مكان أحسن ما رأينا، وقد كادت الشّمس أن تغيبَ. قال: فنزل علي فنزلتُ معه. قال: فدعا اللَّهَ، فرجعت الشّمس كمقدارها من صلاة العصر. قال: فصلّيت العصر، ثم غابت الشّمس، ثم خرج حتَّى أتى دير كعب، ثم خرج منه، فبات بساباط، فأتاه دهاقينها يعرضون عليه النزول والطَّعام. فقال: لا، ليس ذلك لنا عليكم.

وفي كتاب (إسعاف الرّاغبين) للشَّيخ محمّد الصَّبّان[1] يذكر بأنَّ الشّمس رُدَّت عليه لمّا كان رأس النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجره، والوحي ينزل عليه، وعلي لم يصلّ العصر، فما سرِّي عنه إلّا وقد غربت الشّمس، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهمَّ إنّه كان في طاعَتِكَ وطاعة رسولِكَ فأردد عليه الشَّمس، فطلعت بعدما غرُبَتْ».

وعن ابن عبَّاس قال: لم تردّ الشّمس إلّا ليوشع وصيّ موسى بن عمران، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصيّ خاتم النّبيّين.

وروى ابن المغازلي الفقيه والشَّافِعِي بسنَدِهِ إلى أسماء بنت عُمَيس، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوحى إليه، ورأسه في حجر علي، فلم يصلّ العصر حتّى غربت الشّمس. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ عليّاً كان في طاعَتِكَ وطاعة رسولك، فاردد عليه الشَّمس، فرأيتُها غربَتْ، ثم رأيتُها طلعَتْ بعدما غربَتْ».

---

(١) على هامش صحيفة ١٦٢ من كتاب (نور الأبصار): للشبلنجي، ط ٥ عام ١٩٥١ م.

ورواهُ المغازلي عن أبي رافع، قال: رقد رسول الله ﷺ على فخذ علي، وحضرت صلاة العصر، ولم يكن عليٌّ صلّى، وكَرِهَ أن يوقِظ النّبي حتّى غابت الشمس، فلمّا استيقظ قال: ما صليت يا أبا الحسن العصر؟ قال: لا يا رسولَ اللّهِ، فدعا النّبيّ ﷺ، فردَّتِ الشّمس عليه بعدما غابَتْ، حتّى رجعَتْ، فصلّى صلاة على الوقت، فقام علي فصلّاها العصر، فلمّا قضاها غَابَتِ الشّمس، فإذا النجوم مشتبِكَةٌ(١).

ورواهُ موفّق بن أحمد من فضلاء أهل السّنة، عندما احتَجَّ علي على أهل الشورى، فقال لهم: أمنكم أحد ردَّت عليه الشّمس بعد غروبها حتّى صلّى صلاة العصر غيري؟ قالوا: لا.

ورواه إبراهيم بن محمّد الحمويني من علماء السّنة من أسماء بنت عميس، أنّ رأسَ رسولِ اللّهِ ﷺ كان في حجر علي، فكَرِهَ أن يحرّكهُ حتّى غابت الشّمس، ولم يصلّ العصر، فدعا رسول الله ﷺ أن يردّ عليه الشّمس، فأقبلتِ الشّمس لها خوار حتّى ارتفعت على قدرِ ما كان في وقت العصر، فصلّى ثمّ رجعَتْ.

وذكر ابن حجر التّميمي المشهور بتحامله وتعصُّبه ضدَّ الشّيعة في كتابه (الصّواعق) قال: إنّ الشّمس ردَّت على أمير المؤمنين علي لمّا كان رأس الرّسول في حجره، والوحي ينزل عليه، وعليّ لم يصلّ العصر، فمَا سُرّيَ عنه ﷺ إلاّ وقد غربت الشّمس، فقال: «اللهمَّ إنّه كان في طاعَتِكَ وطاعة رسولكَ فاردد عليه الشّمس، فطلعت بعدما غربَتْ».

وروى علماء الشّيعة حديث ردّ الشّمس لعلي سبعة عشر طريقاً مذكوراً في (غاية المرام) للسيّد هاشم البحراني.

فممّا كرّم الله به عليّاً رجوع الشّمس له مرتينِ: مرّةً في حياة النّبيّ ﷺ

(١) أعيان الشيعة.

ومـرّة بعـد وفـاته. وكـان من حديث رجـوعها عليـه في المرة الأولى مـا روته أسمـاء بنت عميس، وأم سلمة زوجـة النّبيّ ﷺ كانَ ذاتَ يـومٍ في منزلـه، وعلي ﵇ بين يديه، إذ جـاءه جبرئيـل ﵇ يناجيـه عن الله سبحانَـهُ، فلمَّا تغشَّـاهُ الوحي تـوسَّد فخـذ أمير المؤمنين ﵇ ، فلم يـرفـع رأسـه عنـه حتّى غربتِ الشَّمس، فاضطرّ أمير المؤمنين ﵇ لذلكَ إلى صـلاة العصر، فصلّى أميـر المؤمنين ﵇ جالِسـاً يومىء بـركوعـهِ وَسجـودِهِ إيمـاءً، فلمَّـا أفـاق من غشيَتِهِ، قال لأمير المؤمنين ﵇ : أفاتتكَ صلاة العصر؟ قال: لم أستـطع أن أصلّيهـا قائِمـاً لمكـانِـكَ يـا رسـول اللّهِ والحـال الّتي كنتُ عليهـا في استمـاع الوحي، فقال له: ادعُ الله حتّى يردَّ عليك الشَّمس لتصلّيها قائماً في وقتِكَ كما فاتَتْكَ، فإنَّ الله تعالى يجيبك لطاعَتِكَ لله ولرسوله. فسـأل أمير المؤمنينَ ﵇ الله في ردّ الشّمس، فـردَّت عليه حتّى صـارت في موضِعهـا من السَّمـاء وقت صلاة العصر، فصَلّى أمير المؤمنين ﵇ صلاة العصر في وقتها، ثمَّ غـربَتْ. فقـالت أسماء وأم سلمـة: واللّهِ لقد سمعنـا لها عنـد غروبهـا صريـراً كصريـر المنشار في الخشب.

وكان رجوعُها عليه بعد النّبي ﷺ أنّه لمّا أراد أن يعبر الفـراتَ ببابـل، اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابّهم ورجالِهم، وصلّى ﵇ بنفسِهِ في طائفـةٍ معه العصر، فلم يفرغ النّاس من عبورهم حتّى غربت الشّمس، ففاتَتِ الصلاة كثيـراً منهم، وفاتَ الجمهـور فضْلَ الاجتمـاع معه، فتكلَّمـوا في ذلكَ، فلمّـا سمـع كلامهم فيـه، سأل اللّه ردّ الشمس عليـه، ليجتمع كـافة أصحـابـه على صلاة العصر في وقتها، فأجابه الله تعالى في ردّها عليه، وكانت في الأفق على الحال الّتي تكون عليـه وقت العصر، فلمّـا سلَّم القوم غـابتِ الشَّمس، فَسَمِعَ لهـا وجيبٌ شـديـد، هـال النّـاس ذلـك، فـأكثـروا من التَّسبيـح والتهليـل والاستغفار(١).

---

(١) الصّـواعق المحرقـة، ص ١٢٦، وكذلـك الغـديـر: للشيـخ الأميني، جـ٣ ص ١٢٣ و ص ٣٩٣، وإرشاد المفيد، ص ١٤٣ - ١٤٤، وكشف الغمّة: للأربلي، ص ٢٨٢.

وهذا حسّان بن ثابت شاعر الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول في شعرهِ:

يـا قـوم مَـنْ مـثـل عـليّ وقـد ... رُدَّتْ عـليـه الـشّـمسُ من غـائِـب
أخـو رسـولِ الله بـل صـهـرُهُ ... والأخ لا يـعـدلُ بـالـصّـاحـب

والشّاعرُ المعتزلّي ابن أبي الحديد يقول في قصيدته العينية:

يـا لـه من لـو رُدَّتْ ذكـاء ولم يفـز ... بـنـظيـرِهـا من قـبـلُ إلاّ يـوشَـعُ

وكذلك أبو تمّام الشّاعر المشهور يقول:

فَـرُدَّت عليه الشّمس واللّيـل راغِمٍ ... بشمسٍ بدت من جانب الحذر تطلع
فـوالـلّهِ مـا أدري أأحـلامُ نـائِـمٍ ... ألمّتْ بنـا أم كان في الـركَب يوشـع؟

وكذلِكَ السّيّد الحميري في قصيدتِهِ المذهّبة يقول:

رُدَّت عـليـه الـشـمس لـمّـا فـاتـه ... وقت الصَّـلاةِ وقـد دنـت للمـغـرب
حتّـى تـبـلّج نـورهـا فـي وقتـهـا ... للعصـرِ ثم هـوت هـويّ الكـوكَب
وعـليـه قـد رُدَّت بـبـابـل مـرَّةً ... أُخـرى ومـا ردَّت لـخـلقٍ مـعـرب
إلاّ لـيـوشـع أولـه مـن بـعـدِهِ ... ولـردّهـا تـأويـل أمـرٍ مـعـجـب

وفي وقوف الشّمس يقول الصّاحب كافي الكفاة:

مَـنْ كـمـولايَ عـلي؟ ... والـوغـى تحـمي لـظاهـا
من يصيـد الصَّيـد فيـهـا؟ ... بـالـظّبي حين انتضـاهـا
مـن لـه فـي كـلّ يـومٍ ... وقـفـاتٌ لا تـضـاهـى
كـم وكم حـربٍ ضـروسٍ ... سـدَّ بـالـمـرهـفِ فـاهـا

إلى قوله:

أعـلى حـبّ عـليّ ... لامـنـي الـقـوم سفـاهـا
أوّل الـنّـاسِ صـلاةً ... جـعـل التّـقـوى جِـلاهـا
رُدَّتِ الـشّـمس عـليـه ... بـعـدمـا غـاب سنـاهـا

وذكر بعض شعراء الإماميّة فضائِلِهِ، ومنها ردّ الشّمس قائِلاً:

إذا كنتُم ممَّن يروم لحاقه فهلَّا برزتُمْ نحو عَمْرٍو ومرحب
وكيف فررتم يومَ أُحْدٍ وخيبرٍ ويومَ حُنَيْنٍ مهرباً بعد مهربِ
ألم تشهدوا يوم الإخاءِ وبيعة الغديرِ، وكلٌّ حُضَّرٌ غير غُيَّبِ
فكيف غدا صنوا النُّفيليّ ويحه أميراً على صنو النَّبي المرجَّبِ
وكيف عَلاَ من لا يطا ثوبَ أحمدٍ على مَنْ علا من أحمَدٍ فوق منكبِ
إمام هُدىً رُدَّت له الشَّمس جهرةً فصَلَّى أداءً عصره بعد مغربِ
ومن قبله أفنى سليمانُ خيلَهُ رجاءً فلم يبلغ بها نيل مطلبِ
يجلُّ عن الأفهام كنه صفاتِهِ ويرجع عنها الذِّهن رجعة أخيَبِ
فليس بيان القول عنه بكاشِفٍ غطاءً ولا فصل الخطاب بمعربِ
فلولاكَ لم ينج ابن مَتَّى ولا خبا سعيرٌ لإبراهيم بعد تلهُّبِ
ولا فلَقَ البحر ابن عمران بالعصا ولا فرَّتِ الأحزاب عن أهل يثْرَبِ
ولا قُبِلَتْ من عابدٍ صلواته ولا غفر الرَّحمن ذلّة مذنبِ
ولم يَغْلُ فيك المسلمون جهالَةً ولكنْ لسرٍّ في عُلاَكَ مغَيَّبِ

وهذا السيّد عبد الرَّحيم بن عبد الرَّحمن العبَّاسي ذكر في «معاهِدِ التّنصيص» جـ ٢ ص ١٩٠ من مقصورة ابن حازِم:

فيا لَها من آيةٍ مبصرةٍ أبصرها طرف الرقيق فافْتَرَى
واعتورَتْه شبهَةٌ فضَلَّ عن تحقيق ما أبصرها وما اهتدَى
فظنّ أنّ الشمس قد عادت لَهُ فانجاب جنح اللَّيل عنها وانجلى
والشَّمس ما رُدَّت لغير يوشَعٍ لما غزا ولعلي إذ غفا

وأخرج الخوارزمي في (المناقِب) ص ٢٣٦ عن مجاهِد عن ابن عبَّاس، قال: قيل له: ما تقول في علي بن أبي طالب؟ فقال: ذكرتُ واللّهِ أحد الثقلين، سبق بالشهادتين، وصلَّى القبلتين، وبايع البيعتين، وأعطِي السّبطين، وهو أبو السّبطين: الحسن والحسين وردَّت عليه الشّمس مرَّتَيْنِ، بعدما غابت عن الثَّقلين، وجرد السَّيف تارتين، وهو صاحب الكرَّتين، فمثله

في الأمّة مثل ذي القرنين ذاك مولايَ علي بن أبي طالب عليه السلام [1]

وهذا صاحب كتاب (عيون المعجزات) وهو من علماء القرن الخامس الهجري يحدّثنا بهذه الكرامة لعلي: قال: حدَّث أبو الحسين أحمد بن الحسين العطّار، قال: حدّثني أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني صاحب كتاب (الكافي) قال: حدَّثني علي بن إبراهيم بن هاشم، عن الحسن بن محبوب، عن الحسن بن رزين القلّاد، عن الفضيل بن يسار عن الباقِر عن أبيه عن جدّه الحسين بن علي عليه السلام قال: لمّا رجع أمير المؤمنين عليه السلام من قتالِ أهل النَّهروان، أخذ على النّهروانات وأعمال العراق، ولم يكن يومئذٍ قد بنيَتْ بغداد، فلمّا وافى ناحية براثا صلّى بالنّاس الظّهر، ورحلوا ودخلوا في أرض بابل، وقد وجبَتْ صلاة العصر، فصاح المسلمون: يا أمير المؤمنين هذا وقت العصر قد دَخَلَ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : هذه أرضٌ مخسوف بها، وقد خسف الله بها ثلاثاً، وعليه تمام الرَّابعة، ولا تحلّ لوصِيّ أن يصلّي فيها، ومن أراد منكم أن يصلّي فليُصَلِّ. فقال المنافقون: نعم هو لا يصلّي، ويقتل من يصلّي، يعنون أهل النَّهروان. قالَ جويريَّة بن مسهر العبدي: فتبِعته في مائة فارس، وقلتُ: واللَّهِ لا أصلّي أو يصلّي هو، ولأقلدَنّه صلاتي اليوم، قال: وسار أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قطع أرض بابل، وتدلَّتِ الشّمس للغروب، ثمَّ غابَتْ واحمَرَّ الأفق. قال: فالتفتُّ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا جويريَّة هاتِ الماء، قال: فقدَّمتُ إليه إناءً فتوضّأ، ثم قال: أَذّنْ يا جويريَّة. فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ما وجبت العشاء بعد، فقال عليه السلام : أذّن للعصر، فقلتُ في نفسِي: أذّن للعصر وقد غربت الشّمس! ولكن عليَّ الطّاعة، فأذّنتُ، فقال: أقم ففعلتُ، وإذا أنا في الإقامة إذ تحرّكت شفتاهُ بكلامٍ كأنه منطق الخَطَاطيف، لم أفهم ما هو، فرجعت الشّمس بصريرٍ عظيم حتّى وقفَتْ في مركزها من العصر، فقامَ عليه السلام وكبّر وصلّى، وصلّينا وراءَهُ، فلمَّا فرَغ من صلاتِهِ وقعَتْ كأنّها سراج في طست، وغابت واشتبكت النجوم، فالتفَتَ إليَّ

(١) المناقب: للخوارزمي، ص ٢٣٦ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدريّة ـ النّجف.

وقال: أَذِّنْ آذان العشاء يا ضعيفَ اليقين(1).

رواة حديث رد الشّمس:

١ ـ أبو بكر الورّاق، له كتاب (من روى ردّ الشّمس) ذكرَهُ له ابن شهراشوب في (المناقب) ص ٤٥٨.

٢ ـ أبو الحسن شاذان الفضلي، له رسالة في طرق الحديث، ذكر شطراً منها الحافظ السُّيوطي في اللآلىء المصنوعة جـ ٢ ص ١٧٥، وقال: أورد طرقه بأسانيد كثيرة، وصحّحه بما لا مزيد عليه.

٣ ـ الحافظ محمّد بن الحسين الأزدي الموصلي، له كتاب مفردٌ فيه، ذكره له الحافظ الكنجي في (الكفاية).

٤ ـ أبو القاسم الحاكم بن الحدّاد الحسكاني النّيسابوري الحنفي، لَهُ رسالة في الحديث أسماها (مسألة في تصحيح ردّ الشّمس، وَترغيم النّواصب الشّمس)، ذكر شطراً منها ابن كثير في البداية وَالنّهاية جـ ٦ ص ٣٨، وذكره له الذّهبي في تذكرته جـ ٣ ص ٣٦٨.

٥ ـ أبو عبدالله الجعل الحسين بن علي البصري ثمَّ البغدادي، له كتاب (جواز ردّ الشّمس) ذكره له ابن شهراشوب.

٦ ـ أخطب خوارزم أبو المؤيّد موفّق بن أحمد، له كتاب (رَدّ الشّمس) لأمير المؤمنين ذكره له معاصِرُهُ ابن شهراشوب.

٧ ـ أبو علي الشّريف محمّد بن أسعد بن علي بن المعمّر الحسيني النّقيب النّسّابة، له جزء في جمع طرق ردّ الشّمس لعليٍ، أورد فيه أحاديث مستغربة (لسان الميزان) جـ ٥ ص ٧٦.

٨ ـ أبو عبدالله محمّد بن يوسف، تلميذ ابن الجوزي، له جزء (مزيل

---

(١) عيون المعجزات، ص ٧ ـ ٨ وهو للشيخ حسين بن عبد الوهاب.

اللّبس عن حديث ردّ الشّمس) ذكره له برهان الدّين الكوراني في كتابه (الأمم لإيقاظ الهمم) ص ٦٣.

٩ ـ الحافظ جلال الدّين السُّيوطي، له رسالة في الحرب أسماها (كشف اللّبس عن حديث ردّ الشّمس). ولا يسعنا ذكر تلكَ المتون، لأنّها تحتاج إلى مؤلّف ضخم يختصُّ به.

هؤلاء التّسعة وآخرون غيرهم أفردوا هذه المآثر النبويّة والمكرمة العلويّة الثّابتة بالتأليف، وجمعوا فيه طرقها وأسانيدها. وهذه نماذج ممّن أخرجه من الحفّاظ والأعلام منهم: أبو الحسن عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي، رواه في سُنَنِهِ، وشيخ البخاري في صحيحه، ومحمّد بن الحسين الأزدي، ذكره في كتابه في مناقِبِ علي رضي الله عنه، وصحَّحه. ومحمّد بن أحمد الدُّولابي، أخرجه في كتابه (الذريَّة الطّاهرة). وابن محمّد الطّحاوي في (مشكل الآثار) جـ ٢ ص ١١. ومحمّد بن عمرو العقيلي، وأبو القاسم الطّبراني، رواهُ في معجمه الكبير، فقال: إنّه حسن. والحاكم أبو حفص عمر الشهير بابن شاهين، ذكره في مسنَدِهِ الكبير، وأبو عبداللّهِ النّيسابوري، رواهُ في تاريخ نيسابور. والحافظ ابن مردَويه الأصبهاني، أخرجَهُ في المناقب بإسناده عن أبي هريرة، وأبو إسحٰق الثَّعلبي، رواهُ في تفسيره، وقصص الأنبياء الموسوم بالعرائِس ص ١٣٩. والماوردي في كتابه (أعلامُ النّبوة) ص ٧٩. والبيهقي رواهُ في (الدَّلائل) كما في (فيض الخاطر) للمناوي جـ ٥ ص ٤٤٠. وَالخطيب البغدادي ذكره في (تلخيص المتشابه) و (الأربعين) وَابن منده، أخرجه في كتابه (المعرفة). والخوارزمي رواه في (المناقب) ص ٢١٧ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدرية ـ النَّجف. وأبو الفتح النَّطنزي رواهُ في (الخصائص العلويَّة). وأبو المظفَّر يوسف الملقَّب بسبط أبي الفرج عبد الرّحمن بن الجوزي من ص ٥٥ ـ ٥٩ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ المطبعة العلمية ـ النّجف. وعلي الحنفي رواه في (التَّذكرة) ص ٣٠، والحافظ الكنجي الشَّافِعِي جعل في كتابه (كفاية الطّالب) ص ٢٣٧ ـ ٢٤٤ فصلاً في

حديث ردّ الشّمس، وتكلّم فيه من حيث الإمكان تارة، ومن حيث صحّة النّقل أخرى، وشيخ الإسلام الحمويني في (فرائد السّمطين) وابن حجر العسقلاني ذكرَهُ في (فتح الباري) جـ ٦ ص ١٦٨، والحافِظ ولي الدّين أبو زرعة العراقي، أخرجه في (طرح التّثريب) جـ ٦ ص ٢٤٧ من طريق الطّبراني في معجم الكبير، وقال: حسن. والحافظ السُّيوطي رواه في (جمع الجوامع) كما في ترتيبه جـ ٥ ص ٢٧٧. والحافظ أبو العباس العسقلاني، ذكره في (المواهب اللّدنيّة) جـ ١ ص ٣٥٨. والسيّد عبد الرَّحيم بن عبد الرحمن العبّاسي ذكر في (معاهد التنصيص) جـ ٢ ص ١٩٠ من مقصورة ابن حازِم كما مَرَّ معنا. وابن حجر الهيثمي عدَّه في (الصَّواعق) ص ٧٦ كرامة باهرة لأمير المؤمنين عليه السلام. ونور الدّين الحلبي الشّافعي في السّيرة النّبويَّة جـ ١ ص ٤١٣.

والخلاصة أنَّ علماء السّنة والشّيعة متَّفِقون على روايَةِ حديث ردّ الشَّمس على علي. وابن حزم لا يستطيع أن يسمع مثلَ هذهِ الرّواية عن علي.

فهل كان عليّ أقلَّ شأناً عند الله من آصف بن برخيا الَّذِي جاء بعرش بلقيس إليه، قبل أن يرتدَّ إليه طرفه؟ أم هل كان سليمان ووزيره أكرم على اللّهِ من محمّد ووزيره؟

وحديث عمر عن سارِية الجبل، وحديث الملائكة والخضر لعمر بن عبد العزيز هذا صحيحٌ عنده ولا غبار عليه! ولكنَّ ردّ الشّمس لعلي هذا محال، ولا يمكن قبوله. هذا ما يراه ابن حزم.

ولكن شاء ابنُ حَزْمٍ أم أبى، فعليّ قد فضّله الله على سائر خلقِهِ بعد رسولِهِ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فمن الفضائِلِ الّتي خصّه الله بها وانفرد بها مع الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم سدّ أبواب المسجد إلاّ بابه عليه السلام. فجرى ردّ فعل في نفوس البعض من المسلمين. إذ كَيْفَ يسدّ أبوابهم، ولا يسدّ باب علي؟ وكيفَ أباحَ لنفسه صلى الله عليه وآله وسلم ولِعَلِيّ أن يدخلا المسجد وهما جنبان؟ بينما هذا محظور للمسلمين كبيرهم وصغيرهم، أميرهم وفقيرهم، ذكرهم وأنثاهم. هذا الموقفُ

يشبِـهُ موقف مـوسى وهارون من بني إسـرائيـل أمـراً عن الله عـزَّ وجـلَّ. ولكنَّ الحقد في نفوس البعض ضدَّ علي أوجد الخوخاتِ في الأحاديث الموضـوعة. وهذه بعض الأحاديث الـواردة في سدّ الأبـواب من كتب أهل السّنـة ليتّضح أنّ سدّ الأبواب إلّا باب علي، فضيلَةٌ فضَّله الله بها على سائر خلقه.

ففي (المناقِب) عن أبي الطُّفيل عن حذيفة بن أستيد الغفَـاري رضي الله عنه، قال: إنّ النّبيّ ﷺ قام خطيبـاً فقال: إنّ رجـالاً لا يجدون في أنفسهم شيئاً، إنْ أسْكَنْتُ عليّاً في المسجد وأخرجتُهُمْ. واللَّهِ مـا أخرجْتُهم وأسكنتُـهُ، بـل الله أخرجَهُم وأسكنَـهُ. إنّ الله عزّ وجـلَّ أوحى إلى مـوسى وأخيـه أن تبـوّ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة، وأقيموا الصَّلاة. ثم أمر موسى أن لا يسكن مسجده، ولا ينكح فيه، ولا يدخله جُنُبٌ إلّا هـارون وذريّته، وإنّ عليّـاً منّي بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي، ولا يحلّ لأحـدٍ أن ينكح فيـه النّساء إلّا علي وذريّتـه، فمن ساءَهُ فهـاهنا، وأشـار بيده نحـو الشّام. أخـرجـه أيضـاً صاحب المناقِب عن أبي رافع مولى النّبي ﷺ (1).

وفي (كنـوز الدَّقـائق) للمناوي المصـري: لا ينبغي لأحدٍ أن يجنبُ في المسجد إلّا أنا وعلي. للبخاري ومسلم(2).

وفي سنن التّرمذِي عن ابن عبَّـاس قال: إنّ رسـولَ اللَّهِ ﷺ أمر بسـدّ الأبواب إلّا بابَ علي(3)

وفي التّرمذِي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ لعلي: يا عليّ لا يحلّ لأحدٍ أن يجنبَ في هذا المسجد غيري وغيرك. هذا حديثٌ حسنٌ غريب. وفي المشكاة: هذانِ الحديثانِ مسطوران.

ورواهُ أيضـاً أحمـد في مسنـده عن زيـد بن أرقم، وكـذلـك أخـرجَـهُ

---

(1) ينابيع المودّة: للقندوزي الحنفي، جـ ١ ص ٨٥، مطبعة العرفان ـ صيدا.
(2) ينابيع المودّة: للقندوزي الحنفي، جـ ١ ص ٨٤، مطبعة العرفان ـ صيدا.
(3) ينابيع المودّة للقندوزي، جـ ١ ص ٨٤، نفس المطبعة ـ صيدا.

الخـوارزمي في مناقِبِـهِ عن زيـد بن أرقم ص ٢٣٥ ط ١٩٦٥، المـطبعـة الحيـدريَّـة. وفي المناقب عن أسماء بنت عميس، وأخرجه ابن المغـازلي والحمويني، وكذلك الطَّبري في ذخائر العقبى وغيرهم.

ومن فضائِلِهِ ما رواهُ صاحب كتاب (الرَّوضة) وصاحِب كتاب (الفضـائل) أيضـاً يروي عن جمـاعةٍ ثقـاتٍ أنّه لمّـا وردت حُرّة بن حليمـة السَّعـدية على الحجاج بن يوسف الثَّقفي، وَلمّا مثلتْ بين يديـه قال لَهـا: يا حـرَّة بنت حليمة السَّعدية، قالَتْ له: فراسة من غير مؤمن! فقال لها: الله جاء بكِ، وقد قيل لي عَنْكِ: أنَّكِ تفضلين عليّاً على أبي بكر وعمر وعثمان، قالَتْ: لقد كذب الّذي قـال: إنّي أفضّله على هؤلاء خاصَّـةً، قال: وعلى غيـر هؤلاء؟ قـالت: أفضّله على آدم ونوحٍ وإبراهيم وموسى وداوود وسليمان وعيسى بن مريم. فقال لهـا: ويلك! أقـولُ لَكِ: إنَّـك تفضلينَه على الصّحـابة، وتـزيـدين عليهم سبعـة من الأنبيـاء من أولي العـزم من الـرُّسـل، وإذا لم تـأتِ ببيّنـاتٍ مـا قلتِ لأضـربنَّ عنقَكِ، قالت: ما أنا فضّلتُه على هؤلاء الأنبياء، بل الله عزّ وجـلّ فَضَّلَهُ بقولـه تعـالى في القرآن في حقّ آدم، ﴿فعصى آدم ربّـه فغـوى﴾(١). وقـال في حقّ علي؛ ﴿وكان سعيكم مـشكوراً﴾(٢). قال: أحسنتِ يا حـرَّة. فبِمَ تفضلينه على نـوح ولوط؟ قـالت الله عزّ وجَـلَّ فضّله بقولـه تعالى: ﴿ضـرب الله مثـلاً للّذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوطٍ كانتـا تحت عبدين من عبـادنا صـالحين، فخانتـاهما فلم يغنيـا عنهما من الله شيئـاً وقيل ادخـلا النّار مـع الـدَّاخلين﴾(٣). وعليٌّ عليه السلام زوجتـه فـاطمـة بنت محمّـد المصـطفى التي يـرضى الله لـرضـاهـا ويسخط لسخـطِهـا. قـال الحجّـاجُ: أحسَنْتِ يـا حـرَّةُ. فبم تفضلينَـهُ على أبي الأنبيـاء خليـل اللّهِ؟ قالت: الله عـزَّ وَجَلَّ فضَّلَهُ بقـولـه: ﴿ربِّ أرني كيف تحيي المـوتى؟ قـال: أو لم تؤمِن قـال: بلى ولكن ليـطمئن قـلبي﴾(٤)، وعـليّ قـال قـولاً لا

---

(١) سورة طه: آية ١٢١.
(٢) سورة الدّهر: آية ٢٢.
(٣) سورة التحريم: آية ١٠.
(٤) سورة البقرة: آية ٢٦٠.

يختلف فيه أَحَدٌ من المسلمين: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» فهذه كلمة ما قالها أحدٌ قبله ولا بعدَهُ. قال: أحسنْتِ يا حرَّة، فبمَ تفضّلينه على موسى كليم الله؟ قال: بقول اللّهِ عزّ وجلّ: ﴿وأن ألقِ عصاكَ فلمّا رآها تهتزّ كأنّها جانٌ ولّى مدبراً ولم يعقّب﴾[1]، وقيل: قالت: أفضّلُهُ بقوله تعالى: ﴿وخرج منها خائفاً يترقّب قال ربّ نجّني من القوم الظّالمين﴾[2] وعليٌّ بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقيه بنفسه حتّى أنزل الله في حَقّهِ: ﴿ومن النَّاس من يشري نفسَهُ ابتغاء مرضاة الله﴾[3]. قال: أحسنْتِ يا حرّة. فبم تفضّلينَهُ على داوود؟ قالت: الله فضّله بقوله تعالى: ﴿يا داوود إنّا جعلناكَ خليفةً في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ ولا تتّبع الهوى فيضلَّكَ عن سبيل الله﴾[4]. قال لها: في أيِّ شيءٍ كانت حكومته؟ قالت في رجلين: واحد له غنم، والآخر له كرم، فبعث الغنم في الكرم فرعته، فاحتكما إلى داوود، فقال: تباع الغنم وينفُقُ ثمنها على الكرم حَتّى يعود إلى ما كان عليه. فقال له سليمان: لا، يا أبتِ، بل يؤخذ لبنها وصوفها، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ففهمناها سليمان﴾[5]. وَمولانا علي عليه السلام قال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عمّا تحت العرش وعمّا فوقه، وأنه دخل يوماً على رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله للحاضرين: «أفضلكم وأعلمكم وأقضاكم علي». فقال لها: أحسنْتِ يا حرَّة. فبِمَ تفضّلينَهُ على سليمان؟ فقالت: اللَّهُ فضَّلَهُ عليه بقوله تعالى: ﴿ربِّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنَّكَ أنت الوهَّاب﴾[6]. ومولانا علي قال: يا دنيا طلَّقْتُكِ ثلاثاً لا رجعة لي منكِ. فعند ذلكَ أنزلَ الله في حَقِّهِ على رسوله: ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للَّذين لا

---

(١) سورة القصص: آية ٣١.
(٢) سورة القصص: آية ٢١.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٠٧.
(٤) سورة القصص: آية ٢٦.
(٥) سورة الأنبياء: آية ٧٩.
(٦) سورة صَ: آية ٣٥.

يـريـدون علوّاً في الأرض ولا فسـاداً والعَـاقبـة للمتَّقين﴾(١). قـال: أحسنْتِ يـا حـرَّةُ. فبم تفضّلينَه على عيسى بن مـريم؟ قالت: أفضّله بقـوله تعـالى: ﴿وإذ قـال الله يـا عيسى بن مـريم أأنتَ قلتَ للنـاس اتّخـذوني وأُمي إلَهين من دون الله قـال: سبحانـكَ ما يكـون لي أن أقول مـا ليس لي بحق إن كنتُ قلتُـهُ فقـد علمتَـهُ تعلمْ مـا في نفسي ولا أعلَمُ ما في نفسـك إنّـك أنتَ عـلاّم الغيـوب . مـا قلتُ لهم إلاَّ مـا أمـرتني بـه أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتَ عليهم شهيـداً مـا دمتُ فيهم فلمّـا توفَّيتني كنتَ أنتَ الـرَّقيب عليهم وأنتَ على كـلّ شيءٍ شهيـد﴾(٢) . فـأخّـر الحكومة إلى يوم القيامة. وعلي عليه السلام لمّا ادَّعى فيـه الحروريَّـة ما ادَّعـوا وهم أهل النّهروان قاتلهم ولم يؤخّر حكومتهم. فهذه كانت فضائله لا تعـدّ بفضائِـل غيره. قال: أحسنْتِ يا حرَّة، خرجْتِ من جوابك، ولولا ذلكَ لكان حتفك. ثم أجازها وأعطاها وسرَّحها سراحاً حَسَناً(٣).

وإنْ نَنَس فلا ننسى حديث (البسـاط) فهو من الفضـائِلِ الّتي خصّـه الله بها دون غيره. فقد روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر وعثمان على رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا رسول الله، ما بالك تفضّل عليّاً علينا في كلّ حال؟ فقال: «ما أنا فضّلتُهُ، بل الله تعالى فضَّله». فقالوا: وما الدَّليل؟ فقـال صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا لم تقبلوا منّي، فليس من الموت عنـدكم أصدقُ من أهـل الكهف، وأنـا أبعثُكُمْ وعليّـاً، وأجعـلُ سلمـان شـاهِـداً عليكم إلى أصحـاب الكهف حتّى تسلّمـوا عليهم، فمن أحياهم الله لـه وأجابـوه، كـان الأفضـل». قـالوا: رضينـا. فأمـرَ فبسط له بسـاط، ودعا بعلي عليه السلام ، فـأجلسه في وسط البساط، وأجلس كلّ واحدٍ منهم على قرنـةٍ من البساط، وأجلس سلمـان على القـرنةِ الـرَّابعة، ثم قـال: «يـا ريـح احمليهم إلى أصحـاب الكهف، وردّيهم إليَّ». قـال سلمان: فـدخلَتِ الرّيـح تحت البسـاط، وسـارت بنـا، وإذا نحن

---

(١) سورة القصص: آية ٨٣.
(٢) سورة المائدة: آية ١١٦ و١١٧.
(٣) كتاب (الفضائل): للقمّي، ص ١٣٦ ـ ١٣٨، منشورات مكتبة العرفان.

بكهفٍ عظيم، فحطّتنا، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا سلمان، هذا الكهف والرَّقيم، فقل للقومِ يتقدّمون أو نتقدَّم؟ فقالوا: نحن نتقدَّم. فقام كلّ واحدٍ منهم وصلّى ودعا، وقال: السَّلام عليكم يا أصحاب الكهف، فلم يجبهم أحد. فقامَ أمير المؤمنين عليه السلام بعدهم، فصلّى ركعتين وَدعا ونادى يا أصحابَ الكهف. فصاح الكهف، وصام القوم من داخِلِهِ بالتّلبيةِ، فقال أمير المؤمنين: السَّلام عليكم أيُّها الفتية الَّذين آمنوا بربّهم فَزِدْناهُمْ هدىً. فقالوا: وعليك السَّلام يا أخا رسولِ اللّهِ ووصيّه وأمير المؤمنين. لقد أخذ الله علينا العهد بعد إيمانِنا بالله ورسوله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لك يا أمير المؤمنين بالولاء إلى يوم القيامة يوم الدِّين. فسقط القوم على وجوهِهِم، وقالوا لسلمان: يا أبا عبد اللّهِ رُدَّنا، فقال: ما ذلك لي! فقالوا: يا أبا الحسن ردَّنا. فقال عليه السلام: يا ريح ردّينا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فحملتنا، فإذا نحن بين يديه، فقصَّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّ ما جرى، وقال: هذا حبيبي جبرئيل عليه السلام أخبرني به، فقالوا: الآن علمنا فضلَ عليّ علينا من عند الله عزّ وجلّ لا منك[1].

ومن كراماته استجابة دعائِهِ، فكان كالسَّهم القاطِع، وهذا نموذج من هذه الكرامات.

روى الطَّبري: قال: وكان عليّ قال للزُّبير: أتطْلُبُ منّي دم عثمان وأنت قتلته؟ سلَّط الله أشدَّنا عليه اليوم ما يكره، وقد استجاب الله دعاء علي، فسلَّط الله على الزبير عمرو بن جرموز، فقتله في ذلك اليوم[2].

ودعا عليّ عليه السلام على بسر بن أرطاة، فقال: اللهمَّ إنَّ بسراً باع دينه بالدُّنيا، وانتهك محارِمَكَ، وكانت طاعة مخلوقٍ فاجر آثر عنده ممّا عندكَ. اللهمَّ فلا تمته حتّى تسلبَهُ عقله، ولا توجب له رحمتَكَ ولا ساعة من نهار. اللهمَّ العَنْ بسراً وعَمْراً ومعاوِيَةَ، وليحلّ عليهم غضبُكَ، ولتنزل بهم نقمتك وَلْيُصِبْهم بأسك ورجزكَ الّذي لا تردّه عن القوم المجرمين.

---

(١) إرشاد القلوب: للديلمي، ص ٦١ ـ ٦٢، منشورات مكتبة العرفان.

(٢) راجع جـ٣ من تاريخ الأمم والملوك، ص ٢٥٠.

فلم يلبث بسر بعد ذلكَ إلاّ يسيراً حتّى وسوس، وَذهب عقله، فكان يهذي بالسَّيْف، ويقول: أعطوني سيفاً أقتل به، ولا يزال يردّد ذلكَ حتّى اتّخذَ له سيفٌ من خشبٍ، وكانوا يدنون من المرفقة، فلا يزال يضربها حَتّى يغشى عليه، فلبث كذلكَ إلى أن ماتَ(١).

فَبُسْرٌ أرسله معاوية إلى الحجاز واليمن لينتقِم من شيعةِ علي، فبعث معه ثلاثة آلاف، فقتل الكثيرين، وسفكَ الدّماء، فدعا عليه عليٌّ كما تقدَّم معنا.

وروى أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي سليمان المؤذّن أنّ عليّاً نشد النّاس مَنْ سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه». فشهد له قومٌ، وأمسكَ زيد بن أرقم، فلم يشهد ـ وكان يعلمها ـ فدعا عليه علي عليه السلام بذهاب البصر، فعمي، فكان يحدّث النّاس بالحديث بعدما كفّ بصرهُ.

وكذلكَ من المشهور أنَّ عليّاً عليه السلام ناشد النّاس الله في الرُّحبة بالكوفة فقال: أنشدكم الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لي وهو منصرِفٌ من حجة الوداع: «مَنْ كنتُ مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعاد من عاداه» فقامَ رجال، فشهدوا بذلكَ. فقال عليه السلام لأنَسَ بن مالك: لقد حضرتَها، فما بالُكَ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كبُرَت سنّي، وصارَ ما أنساهُ أكثر مما أذكرُهُ. فقال له: إن كنتَ كاذباً فضرَبَكَ الله بها بيضاءَ لا تواريها العمامة. فما مات حَتّى أصابه البرص(٢).

وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص، والدّعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنس بن مالِك في كتاب (المعارف) في باب (البرص) من أعيان الرّجال، فليراجَع.

ومن ذلك ما رواهُ عبد القاهِر بن عبد الملك بن عطاء الأشجعي عن الوليد بن عمران البجلي، عن جميع بن عمير، قال: اتّهم عليّ عليه السلام رجلاً

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ٢ ص١٨.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد، جـ٩ ص٢١٧ ط ١٩٦١ م، دار إحياء الكتب.

يقال له (الغيزار) يرفع أخباره إلى معاوية، فأنكر ذلك وجحدَهُ. فقال له أمير المؤمنين: أتحلف بالله أنَّكَ ما فعلت؟ قال: نعم، وبَدَرَ فحلف، فقال لـه أمير المؤمنين: إن كنتَ كاذباً أعمى الله بصرك. فما دارت الجمعة حتى أُخرج أعمى يقاد، وقد أذهب الله بصره(١).

وذكر الصّاحب في رسالة «الغرّاء» عن أبي العيناء، أنّه لقيَ جدَّ أبي العيناء الأكبر لأمير المؤمنين، فأساء مخاطبتَهُ، فدعا عليه وعلى أولاده بالعمى. فكلّ من عمي من أولادِهِ فهو صحيح النّسب(٢).

وإذا أردتَ أيّها القارىء مزيداً من الدَّعوات التي دعاها الإمام عليه السلام فاستمع إلى صاحب بحار الأنوار ينقل إلينا هذه الأحاديث التالية:

روي عن عيسى الهروي، عن أبي عبداللّهِ عليه السلام قال: إنّ فلاناً وفلاناً وابن عوفٍ أتوا النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ليعيبوه، فقال الأوّل: اتّخذ الله إبراهيمَ خليلاً، فما صنع بكَ ربُّكَ؟ وقال الثّاني: كلّم الله موسى تكليماً، فما صنع بك ربُّكَ؟ وقال ابن عوف: عيسى بن مريم يحيي الموتى بإذنِ الله، فما صنع بك ربُّكَ؟ فقال للأوّلِ: اتّخذ الله إبراهيم خليلاً، واتخذني حبيباً. وقال للثّاني: كلّم الله موسى تكليماً من وراء حجاب، وقد رأيتُ عرش ربّي وكلّمني. وقال للثالث: عيسى بن مريم يحيي الموتى بإذن الله، وأنا إن شئتم أحييتُ لكم موتاكم. قالوا: قد شِئنا، وعلى ذلك داروا، فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي عليه السلام فدعاه، فأتاه، فقال له: أقدمهم على القبور ثمَّ قال لهم: اتّبعوه، فلمّا توسَّط الجبّانة تكلّم بكلمة، فاضطربَتْ وارتجَّت قلوبهم، ودخلهم من الذُّعر ما شاء الله، وامتقعت ألوانهم، ولم تقبل ذلك قلوبهم، فقالوا: يا أبا الحسن، أقِلْنا عثراتنا، قال: إنّما رددتم على الله، ثم إنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث إلى علي عليه السلام فدعاه.

---

(١) إرشاد المفيد، ص ١٤٤.

(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٥٥٨.

ولكنّ صاحب بحار الأنوار يروي عن السيّد المرتضى في عيون المعجزات، عن أحمد بن زيد، عن أحمد بن محمّد بن أيوب، بإسناده مثله، وفيه قالوا: حَسْبُكَ يا أبا الحسن، أَقِلْنا أقالك الله، فأمسَكَ عن استتمام كلامه ودعائِهِ، ورجع إلى رسول الله ﷺ، فقالوا له: أَقِلْنا، فقال لهم: إنّما رددتم إلى اللّهِ، لا أقالكم الله يوم القيامة(١).

ونختم بحثنا بهذه الكرامة للإمام كرَّم الله وجهه رواية القشيري الشّافعي في أحسن الكبائر، قال: كان أمير المؤمنين ؑ على سطح بيتٍ يأكل الرُّطب، وهو إذ ذاك ابن سبع وعشرين، وسلمان رضي الله عنه قاعد في صحن الدّار يرقع خرقةً له، فرماهُ علي ؑ بنواةٍ من رطب. فقال سلمان: تمازحني يا علي، وأنا شيخ كبير، وأنتَ شاب حدث السّن؟ فقال علي: يا سلمان حسبتَ نفسَكَ كبيراً وَرأيتني صغيراً! أنسيتَ «رشت أرثرن» ومن خلّصك هناك من الأسد؟ قال: فلمّا سمع سلمانُ ذلكَ فزع، وقال: أخبرني كيف ذلك؟ فقال علي: إنّك كنتَ واقِفاً في وسط الماء تفزع من الأسد. فعند ذلك، رفعت يديك بالدّعاء، وسألت الله عزَّ وجَلَّ أن ينجيك منه، فاستجيبت دعوتُكَ، وقد كنتُ أنا إذ ذاك أُمُرُّ في تلك الصَّحراء، فأنا ذلك الفارس الذي كان درعه على كتفِهِ، والسَّيْف بيده، فجرَّدتُ السَّيف وضربتُ الأسد فقسمتُه نصفين، وخلّصتُكَ منه. فقال سلمان: إن لذلِكَ علامةً أُخرى، قال: فمدَّ أمير المؤمنين يده وأخرج من كمّه طاقة وردٍ طري، وقال: هذه هديّتك التي أهديتها لذلك الفارس في ذلك المكان. قال: فلمّا رأى سلمان ذلك ازداد تحيُّراً، وإذا بهاتفٍ يناديه: يا شيخ امضِ إلى رسول الله ﷺ، واقصص عليه قِصَّتَكَ. قال: فمضى سلمان رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ وجعل يقصُّ عليه قصَّتَهُ، ويقول: يا رسول الله، إنّي قرأتُ نعتَكَ في الإنجيل، ورسخ حبّك في قلبي، وتركتُ جميع الأديان غير دينكَ، وكنتُ أخفي ذلك من أبي، ولمّا وقف على ذلك منّي أراد قتلي. لكن منعه عن ذلك إشفاقه على أمّي، وكان يدبّر

---

(١) بحار الأنوار: للمجلسي: جـ ٩ ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥.

الحيلة في قتلي. فكان يكلّفني الأعمال الصّعبة ويأمرني بها. ففررتُ منه لذلك إلى أن وقعتُ في بادية «أرثرنه» فنمتُ بها ساعةً، وعرض لي احتلامٌ، ولمّا انتبهتُ سرتُ إلى عينٍ هناكَ، ونزعتُ ثيابي، ودخلتُ الماءَ لأغتسل عن الجنابة، وإذا بأسدٍ قد طلع من ناحيةٍ، وجاء حتّى وقف على ثيابي، ولما رأيتُ ذلكَ فزعتُ منه، وجعلتُ أدعو وأتضرّع، وأسألُ اللَّهَ النَّجاة من الأسد، وإذا أنا بفارس قد طلع، فضربَ الأسد بسيفه، فقدَّه نصفين، فخرجتُ أنا من الماء، وَانكبَبْتُ على ركابه أُقبّلُهُ، وكان الفصل فصل الرَّبيع، والصَّحراء مشتملَةٌ على الورد والرَّياحين، فعمدتُ إلى طاقَةِ وردٍ، وأهديتُها له. ولمّا أخذها منّي غابَ عنّي، فلم أرَ مِنْهُ بعد ذلكَ عيناً ولا أثراً، وقد جاءت على هذه الواقعة بضع وثلاثمائة سنةً، ولم أُقْصِصها على أحد، وقد أخبرني الآن بذلك ابن عمّك علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا سلمان إنَّه ليس بعجبٍ من أخي، فإنّي قدر رأيتُ منه أعجب من ذلك، يا سلمان لمّا أُسْرِيَ بي إلى السَّماء، وبلغتُ سدرة المنتهى تخلَّفَ عنّي جبرئيل، فعرجتُ إلى عرش ربي، فبينا يناجيني الله تعالى، وأنا أناجيه، وإذا أنا بأسد واقف قدَّامي، فنظرتُ وإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا رجعت إلى الأرض دخل عليٌّ عليه السلام، وسلَّمَ عليَّ وهنَّأني بمواهب رَبّي وعناياته لي، ثمَّ جعل يخبرني بجميع ما جرى بيني وبين رَبّي من الكلام. اعلم يا سلمان أنّه ما ابتلِيَ أحدٌ من الأنبياء والأولياء منذ عهد آدم إلى الآن ببلاءٍ إلّا كان علي هو الذي نجّاه من ذلك».

وإلى هذا أشار الشّيخ كاظم الأزري رحمه الله في قصيدتِهِ الهائيَّة حيثُ قال:

واسألِ الأنبياء تنبئْكَ عنه إنَّه سرّها الَّذي نبَّاها
وهو علّامة الملائِكِ فاسألْ روح جبريل عنه كَيف هداها[1]

---

(١) الباب الثاني من كتاب القطرة: للعلامة أحمد رضي الدين الموسوي التبريزي، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

وخلاصة القول: إنّ خير ما قيل في فضائل الإمـام قول الـرسول المعظم صلوات الله عليه وآله: «لو كانت البحار مداداً، والغياض أقلاماً، والسّموات صُحُفاً، والجن والأنس كتّاباً لنفذ المداد وكلّتِ الثّقلانِ أن يكتبوا معشار عشر فضائِلِ إمام يومِ الغدير». وكان القصد من ذكر بعضها للتيمّن والبركة.

الفصل الحادي عشر

زهده وعدله عليه السّلام

لو تصفَّحنا حياة الزُّهَّاد، ودرسنا زهدهم ومواقِفَهم لوجدنا بأنّ علي بن أبي طالب هو سيّد الزّهاد، وأفضلُ العبَّاد بعد رسول ربّ العباد صلوات الله وسلامه عليه وآلِهِ، فقد كان قدوتهم في أعماله وأقواله ولباسه وطعامه. فقد كان يلبس الخشن، ويأكل الجَشَب، وكان نعلاه من ليف، ويرقع قميصه بجلدٍ تارةً وبليف أُخرى، وقد طلّق الدّنيا ثلاثاً. وقد ذكر صاحب كتاب (الكشكول) محمّد بن بهاء الدّين العاملي ثلاثة أبيات نُسِبوا إلى علي زين العابدين عليه السلام

عتبتُ على الدُّنيا فقلتُ إلى متى ... أكابدُ همّاً بؤسه ليس ينجلي
أكلّ شريفٍ من عليّ نجاره ... حرامٌ عليه العيش غير مجلّل
فقالت: نعم، يابن الحسين رميتكُمْ ... بسهمي عناداً منذ طلّقني علي

هذا علي بن أبي طالب، يصوّر لنا الدُّنيا، ويجلوها على حقيقتها حتّى لا ينخدع بها عاقِل، ويصوّر لنا الزُّهّاد الذين ينبع الزّهد من قلوبهم، ويصوّر لنا الرَّاغبين في الدُّنيا، الزّاهدين في الآخرة، وقد عرضَهُمْ على المسرح، فجعلنا نخجل من أنفسنا، لأنّه يصوّر واقِعَنا تصويراً بديعاً، ويعلنُهُ للملأ بأسلوبٍ جزل، وفصاحةٍ قويَّةٍ، حتّى أنَّ المصلِحِينَ فينا والزَّاهدِين منَّا عندما يقرؤون هذا الوصف يجدونَ أنفسهم بعيدةً عمَّا يريده الإمام للمصلحين

والزَّاهدين، ويجعلهم يحاولون أن يتداركوا هذا النَّقص لينهجوا نهج الإمام، ويصبحوا من خرّيجي مدرسته المثاليّة في هذا العالم المادي الصّارخ بالصّراع العنيف على المادة الّتي لا تغني ولا تثمن في اليوم الآخر، اسمعه يقول:

وأُحذِركم الدُّنيا فإنّها منزل قُلْعَةٍ، وليست بدار نُجْعَةٍ. قَدْ تَزَيَّنَتْ بغرورها، وغرَّت بزينتِها، هانت على ربها، فخلط حلالَها بحرامِها، وخيرها بشرّها، وحياتها بموتها، وحُلْوها بِمُرّها، لم يُصْفها الله تعالى لأوليائِهِ، ولم يَضِنَّ بها على أعدائِهِ، خيرها زهيد، وَشرُّها عتيد، وجمعها يَنْفَد، وملكُها يُسْلَب، وعامرها يَخْرب، فما خيرُ دارٍ تُنْقَضُ نقضُ البناء، وعُمُرٍ يغنى فيها فَناء الزّاد، ومدَّة تنقطع انقطاع السّير؟ اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم، واسألوه من أداء حقّه ما سألكم، واسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم. إنَّ الزَّاهِدين في الدُّنيا تبكي قلوبُهُمْ وإن ضحكوا، ويشتدُّ حُزنهم وإن فرحوا، ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتَبِطُوا بما رُزِقوا، قد غابَ عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكُمْ كواذبُ الآمال، فصارت الدُّنيا أملَكَ بكم من الآخرة، والعاجلة أذهبُ بكم من الآجلة، وإنما أنتم إخوان على دين الله. ما فرَّق بينكم إلاَّ خبثُ السَّرائر، وسوء الضَّمائر، فلا تَوَازرون ولا تَناصَحُونَ، ولا تَبادلون، ولا تَوادُّون!! ما بالُكُم تفرحون باليسير من الدُّنيا تملكونه، ولا يحزنُكم الكثير من الآخرة تُحْرَمُونه، ويقلِقُكُم اليسير من الدُّنيا يفوتكم حتَّى يتبيَّنَ ذلكَ في وجوهكم وقلَّة صبركم عمَّا زُوِيَ منها عنكم؟؟! كأنّها دار مقامِكم، وكأنّ متاعها باقٍ عليكم!! وما يمنع أحدكم أن يستقبِلَ أخاهُ بما يخاف من عيبه إلاَّ مخافة أن يستقبِلَهُ بمثله، لقد تصافيتم على رفض الآجِل، وحب العاجِل وصارَ دينُ أحدكم لعقةً على لسانِهِ، صنيعُ مَنْ قد فَرَغَ عن علمه، وأحرز رِضا سيِّده[1].

---

(١) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، جـ١ ص ٢٢١، مطبعة الاستقامة.

وابن أبي طالب الّذي ضرب الرّقم القياسي في الزّهد قد تخلّص من حبائِلِ الدُّنيا وانتصرَ عليها، وهزأ بها ورسم خطّةً له فيها جعلته في نـظَر الزُّهاد قبلتهم وقدوتهم. اسمعه يقول:

إليكِ عنّي يا دنيا، فحبلُكِ على غاربك، قد انسللتُ من مخالبكِ، وأفلتُّ من حبـائِلِكِ، واجتنبتُ الذّهـابَ في مداحِضِـكِ. أين القوم الّذين غررتِهِمْ بمداعبَتِكِ؟ أين الأمم الّذين فتنتِهِمْ بزخارفكِ؟ ها هم رهائن القبور، ومضامين اللّحود؟ واللّهِ لو كنتِ شخصاً مرئياً، وقالِباً حِسيّاً، لأقمت عليكِ حدود اللّهِ في عبادٍ غررتِهِمْ بالأماني، وأمَمٍ ألقيتهم في المهـاوي، وملوكٍ أسلمتِهِم إلى التّلف، وأوردْتِهِمْ موارد البلاء، إذ لا وِرْدَ ولا صَدر. هيهاتَ مَنْ وطِىءَ دحْضَكِ زَلِقَ، ومن رَكِبَ لججَكِ غرِق، وَمَنِ ازوَرَّ عن حبالِكِ وُفّقَ، والسَّالِمِ منكِ لا يبالي إن ضاقَ به مُناخُهُ، والدُّنيا عنده كَيومٍ حان انسلاخه.

أُغْرُبي عنّي، فواللّهِ لا أَزِلُّ لكِ فتستذلّيني، ولا أَسْلَسُ لَكِ فتقوديني. وأيمُ اللّهِ ـ يميناً أستثني فيها بمشيئة الله ـ لأروضَنَّ نفسي رياضةً تَهَشُّ معها إلى القرص إذا قَدَرَتْ عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأَدَعَنَّ مقلتِي كعين ماءٍ نضبَ مَعِينُها، مستفرغة دموعها. أتمتلِىءُ السَّائمة من رعيها فتَبْرَكَ؟ وتشبع الرَّبيضة من عشبها فترْبِضَ؟ ويأكلُ عليّ من زاده فيهجَعَ، قرَّتْ إذاً عينه إذا اقتدى بعد السّنين المتطاولة بالبهيمة الهامِلَةِ والسَّائِمَةِ المَرْعِيَّة!

طوبى لنفسٍ أدَّت إلى ربّها فرضَها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في اللَّيل غمضها، حتّى إذا غلب الكرى عليها افترشَتْ أرضها، وتوسَّدت كفّها، في معشر أسهر عيونهم خـوف معادهم، وتجـافت عن مضاجِعِهِم جنوبُهم، وهمهمَتْ بذكر ربّهم شفاهُهُمْ، وَتقشّعَت بطول استغفارهم ذنوبهم ﴿أولئكَ حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون﴾(١).

---

(١) سورة المجادلة: آية ٢٣. النّهج: شرح محمد عبده، جـ ٣ ص ٨٢ ـ ٨٣.

ومهما طال الـزَّمن وبَعُدَت المسـافة الـزَّمنية بيننـا وبينَ علي بن أبي طالب، فلا الزَّمان بقادرٍ أن يخنق صوته في آذاننا، ولا المكان بماح صوره في أذهانِنا. وأيّ عظةٍ أبلَغُ من هذهِ العِظات؟ وأيّ معلّم أعظم من هـذا المعلم القائِل:

انظروا إلى الدُّنيا نظر الزَّاهدين فيها، الصَّادفين عنها، فإنّها واللّهِ عمّا قليلٍ تُزيل الثاوي السَّاكن، وتَفْجَع المترَفَ الآمِن، لا يرجع ما تولّى منها فأدبر، ولا يُدْرَى ما هو آتٍ منها فينتَظَر، سرورها مشوبٌ بالحزن، وجَلَد الرِّجال فيها إلى الضَّعْف والوَهْن، فلا يغرّنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلّة ما يَصْحَبكم منها.

رَحِمَ الله امرأً تفكّر فاعتبر، واعتبر فأبصر، فكأنَّ ما هُوَ كائن من الدنيا عن قليلٍ لم يكن، وكأنّ ما هو كائِنٌ من الآخرة عمّا قليل لم يزل، وكلّ معدودٍ منقضٍ، وكلّ متوقع آتٍ، وكلّ آتٍ قريبٌ دانٍ[1].

ومهما تفنَّن الكتَّاب وبـرعوا في وصف الـدُّنيا فهم تـلاميذ ابن أبي طالب. فمن نبعه ينهلون، ومن جودة تعبيره الدَّقيق يسكرون. اسمعه يقول:

أمّا بعد: فإني أحذركم الدُّنيا، فإنّها حلوة خضرة، حُفَّت بالشهوات، وتحبَّبت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلَّت بالآمال، وتزيَّنت بالغُـرور، لا تدوم حَبْرَتُها، ولا تؤمَنُ فجعَتُها، غرَّارة ضرَّارة، حائلة زائلة، نافذة بائدة، أكَّالة غوَّالة، لا تعدو إذا تناهت إلى أمنية أهل الرَّغبة فيها والرِّضاء بها، أن تكـون كما قـال الله سبحانـه وتعالى: ﴿**كمـاءٍ أنزلنـاهُ من السَّماء فـاختلَطَ به نبـات الأرض فـأصبح هشيمـاً تـذروه الـرِّيـاح وكـان الله على كـلّ شيءٍ مقتـدِراً**﴾[2] لم يكن امرؤ منها في حبرَةٍ إلاّ أعقبَتْها عبرة.... إلى قوله: كم مِنْ واثق بها فجعته، وذي طمأنينةٍ قد صرعته، وذي أُبَّهةٍ قد جعلته حقيراً، وذي نخوةٍ قد

---

(١) نهج البلاغة: شرح محمّد عبده، جـ ١ ص ٢١٦ وما بعده.

(٢) سورة الكهف: آية ٤٥.

رَّدته ذليلاً، سلطانها دُوَل، وعيشها رَنِق، وعـذبها أجـاج، وحلوها صَبِـرٌ، وغذاؤها سِمام، وأسبابهـا رِمام، حيّهـا بعرض مـوت، وصحيحها بعـرض سُقْمٍ، مُلْكهـا مسلوب، وعزيـزها مغلوب، ومـوفورهـا منكوب، وجـارُهـا محروب، ألستم في مساكِن من كـان قبلكم أطول أعمـاراً، وأبقى آثاراً، وأبعد آمالاً، وأعدَّ عديداً، وأكثف جنوداً، تعبَّدوا للدّنيا أيَّ تعبُّدٍ، وآثروها أيّ إيثار، ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلّغٍ، ولا ظهر قاطع؟! فهل بَلَغَكم أنّ الدُّنيا سخت لهم نفساً بفدية، أو أعانتهم بمعونة، أو أحسنت لهم صُحْبة؟ بل أرهقتهم بالفوادح، وأوهنتهم بالقوارع، وضعضعتهم بالنَّوائب، وعفَّرتهم للمناخر، ووَطِئَتْهم بالمناسم، وأعانت عليهم ريب المنون... إلى قـوله: فاعلموا ـ وأنتم تعلمون ـ بأنكم تاركوها، وظاعنون عنها، واتَّعِظوا فيها بالَّذِين قالوا: ﴿من أشـدُّ منَّا قوَّةُ﴾ حُمِلوا إلى قبورهم، فلا يُدْعَوْنَ رُكْباناً، وأُنْزِلوا الأجداث فلا يُدْعَوْن ضِيفاناً إلى آخـره[1].

هذا هو الواعظ البليغ، الواعظ الّذي لم يعظ أحداً إلاَّ بما اتَّعظ به، فكثير من الوّعاظ يقفون على المنابر، أو يجلسون في المحاضِر، ويعظون النّاس بأشياء لم يتّعِظوا بها، وينهونهم عن أشياءَ لم ينتهوا عنها، ويحرّمون عليهم أشيـاء لم يحـرّمـوهـا على أنفسِهم. وعلي بن أبي طـالـب لا يعظ الآخرين، ولا يدعوا إلى طاعةٍ، ولا ينهى عن معصيةٍ إلاَّ بعد أن يطبّق ذلك عمليّاً. اسمعه يقول: «أيّها النَّاس إنّي والله ما أحثُّكم على طاعَةٍ إلاّ أَسْبِقُكم إليها، ولا أنهاكم عن معصيَةٍ إلاَّ أتناهى قبلكم عنها»[2].

فإذا أراد القارىء أن يطَّلِع على وصف الإمام من قِبَلِ من عاشروهُ وعاشوا معه ودرسوا حياته لوجد في وصفِ ضرار الضّبائي له ما يعبّر عن شخصِيّة نادرةٍ ورجلٍ منقطع النَّظِير في هذا العالَم المادّي، فاسمع ضراراً يصف عليّاً فقال:

---

(١) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، جـ١ ص ١٩٧، مطبعة الاستقامة.

(٢) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، جـ٢ ص ١٠٩، مطبعة الاستقامة.

كان عليٌّ بعيد المدى، شديد القُوَى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجَّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحِش من الدُّنيا وزينتِها، ويأنس إلى اللَّيل ووحدتِهِ، وكان غـزير العبـرةِ، طويـل الفكرة، يعجبه من اللّباس ما قصر، ومن الطّعامِ ما خَشُنَ، وكان كأحدِنا يجيبنا إذا سألناه، وَيُنْبئنا إذا استنبأناهُ، ونحن والله مع تقريبه إيانا، وقربه منا لا نكاد نكلّمُهُ هيبةً له، وهو يعظّم أهلَ الدّين، ويقرّب المسكين، ولا يطمع القويُّ في باطله، ولا ييأس الضَّعيف من عدله، وأشهدُ بالله لقد رأيته في بعض مواقفِهِ، وقد أرخى اللّيل سدوله، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتملمَلُ تململ السَّليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا يا دنيا غرِّي غيري. أبي تعرَّضْتِ؟ أم إليَّ تشوَّقتِ؟ هيهات هيهات! قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها، فعمرك قصير، وعيشُكِ حقير، وَخسرانك كثير، وحظّك قليل، وأهلُكِ ذليل، آه آه من قِلّةِ الزَّاد، وبعد السَّفر، ووحشـة الطَّريق. وقـال ضرار: حزني عليه حزن امرأةٍ ذبح ولدها في حجرها[1].

لقد تأسى علي بمحمّد وموسى وعيسى، لأنَّه من هذا البيت، بيت الرَّحمة، ومن هذه الشّجرة شجرة النبوَّة. أمّا أبناء الدُّنيا فقد ساروا سيرة ابن العاص الّذي بـاع دينه بـولاية مصـر، وَخراجهـا لمن بايـع وتابـع وشايـع السُّلطان.

وقال الأستاذ العقّاد في (عبقرية الإمام): أمّا معيشة عليّ في بيته بين زوجاته وأبنائه، فمعيشة الزّهد والكفاف، وَأوجز ما يقال فيها: أنّه كان يتفق له أن يطحن لنفسه، وأن يأكل الخبز اليابس الّذي يكسره على ركبتيه، وأن يلبس الرّداء الّذي يرعد فيه، مع أنّ أحداً من رعاياه لم يمت عن نصيبٍ أقلَّ من النّصِيب الّذي ماتَ عنه، وهو خليفة المسلمين.

---

(١) أخرجه الدُّولابي في الذّرية الطَّاهرة، وأبو عمر، وصاحب الصَّفوة، ينابيع المودّة: للشيخ القندوزي، جـ ٢ ص ٤١ ـ ٤٢ ط ٢، مكتبة العرفان ـ صيدا.

ومن (مناقب الخوارزمي) قال عمر بن عبد العزيز: ما علِمنا أنّ أحداً كان في هذه الأمة بعد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أزهد من علي بن أبي طالب. قال: حـدَّثنا أبـو النّجيب سعـد بن عبدالله الهمـداني المعروفِ بـالمروزي، قـال: حدَّثنـا بهـذا الحـديث الإمـام الحـافظ سليمـان بن إبـراهيم الأصفهـاني، ورواه سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته وزادَ عليه: ما وضع لبنةً على لبنة، ولا قصبة على قصبة. ص ١١٧ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ المطبعة العلمية في النّجف[١].

ومنـه عن سويـد بن غفلة قال: دخلتُ على علي بن أبي طـالب القصر، فوجدته جالِساً وبين يديه إناء فيه لبن أجد ريح حموضتـه، وفي يده رغيفٌ أرى قشار الشعير في وجهه، وهو يكسره بيده، ويطرحه فيه، فقال: أدن وأصب من طعـامِنا. فقلتُ: إني صـائم، فقال عليه السلام : سمعتُ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من منعـه الصّيام من طعـامٍ يشتهيه كـان حقّاً على اللّهِ تعـالى أن يـطعمـه من طعام الجنّة، ويسقيه من شرابهـا. قال: فقلتُ لفضّـة وهي بقربٍ منـه قائمـة: ويحكِ يا فضة ألا تتَّقين الله في هذا الشّيخ؟ ألا تنخلين هذا الطعام من النّخالة التي فيـه؟ قالت: قـد تقدّم إلينـا ألَّا ننخـل لـه طعـامـاً. قـال: مـا قلت لهـا؟ فأخبرته، فقال عليه السلام : بأبي وأمي من لم ينخل لـه طعام، ولم يشبـع من خبز البرّ ثلاثة أيامٍ حتّى قبضه الله تعالى (المقصود به الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم)[٢].

هـذا هو الإنسـان المثالي، الإنسـان الكـامِـل، خليفـة المسلِمين وأميـر المؤمنين، لم يتأثر ببهرجة الدُّنيا وزخرفها ونعيمها، ولم يتأثّر إلّا بما تـوحيه لـه الشّريعة السَّمحة وصاحبها المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم .

روي عن عدي بن ثابت، قال: أوتي أمير المؤمنين عليه السلام بفالوذج فـأبى أن يأكل منه، فقال: شيءٌ لم يأكل منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أحبُّ أن آكُلَ منه. وكان عليه السلام يجعل جـريش الشّعير في وعـاء ويختم عليه، فقيـل له في ذلـك:

(١) كشف الغمّة: للأربلي، جـ١ ص ١٦٣.
(٢) إرشاد القلوب: للديلمي والغدير وشرح النهج.

فقال عليه السلام : أخاف هذينِ الولدينِ أن يجعلا فيه شيئاً من زيتٍ أو سمن[1].

وروى يوسف بن يعقوب، عن صالحِ بيّاع الأكسية، أنّ جدَّته لقيت عليّاً عليه السلام بالكوفة، ومعه تمرٌ يحمله، فسلّمت عليه وقالت له: أعطِني يا أمير المؤمنين هذا التّمر أحمله عنكَ إلى بيتك، فقال: أبو العيال أحقّ بحمله. قالت: ثم قال لي: ألا تأكلين منه؟ فقلتُ: لا أريد، قالت: فانطلق به إلى منزله، ثم رجع مرتدياً بتلكَ الشّملة، وفيها قشور التمر، فصلّى بالنّاس فيها الجمعة[2].

هذا هو عليٌّ لا يسمح لأي رجل كان أن يحمل عن الآخر أحماله حتّى ولو كان عبداً أو امرأة. إنّ عليّاً رمز العدالة الاجتماعية، فلا استغلالَ ولا استعباد ولا استئثار ولا استرقاق، وهو يطبّق العدالة الاجتماعية بسلوكه، وبأعماله وفي معامَلَتِهِ لنفسه وللآخرين.

وعن جعفر الصّادِق عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام يجلس جلسة العبد، ويأكل أكلة العبد، ويطعم النّاس خبز البرّ واللّحم، ويرجع إلى أهله فيأكل خبز الشّعير بالزّيت أو بالخلّ، ويشتري القميص من الكرابيس السّنبلاني، ويعطي خيرها لغلامه قنبر، فيلبس ردّيها، فإذا جاوز أصابعه وكعبه قطعه. وما وردَ عليه أمران قط كلاهما رضاء لله إلّا أخذ بأشدّهما على بدنه، ولا نزلت برسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم شديدة قطّ إلّا وجّهه فيها ثقة به. ولقد وُليَ قرب خمس سنين، فما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أورث بيضاء ولا صفراء إلّا سبعمائة درهم فضلَتْ عن عطاياه أراد أن يبتاع لأهله بها خادِماً، ولقد كان يعمل عملَ رجلٍ كأنّه ينظر إلى الجنّة والنّار، ولقد أعتق ألف مملوك من ماله الّذي مجلَت فيه يداهُ، ويعرق فيه جبينه التماس وجه الله عزّ وجلّ ورضائه[3].

---

(١) إرشاد القلوب: للديلمي، جـ٢ ص ٩.
(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ٢ ص ٢٠٢.
(٣) ينابيع المودّة، جـ١ ص ١٤٥ للقندوزي.

هذا علي بن أبي طالب، وقد تولّى الخلافة قبله ثلاثة خلفاء، ففي عهد الخليفة الثّالِث أطلق للطبقة الممتازة من العرب العنان، فجرَّت عليه الوبال. وأوّل مشكلة اعترضته قتل الهرمزان من قبلِ عبيدالله بن عمر، فاكتسب رضا آل الخطّاب، وأهل القضيَّة الدّينيَّة، وخالف عمر في إطلاق كبار الصّحابة والذّهاب إلى أيّ مكان يشاؤون بعكس عمر، حيث حبسهم في المدينة طيلة عهده، واستعمل العزل والتَّولية، فقرَّب وولّى أقرباءَهُ وعزل الآخرين، وأطلق لعمّاله العنان في الضّرب والنّفي والحبس، وهو نفسه نهج هذا النّهج في رجلين من أعلامِ أصحاب النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم، ضربَ عمّار بن ياسر حتّى أصابه الفتق، وأمر من أخرج عبدالله بن مسعود من مسجد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى كسر بعض أضلاعه، ولم يسمح لهما بالدّفاع عن أنفسهما، بل يقبل قول عمّاله على علاَّتِهِ(١).

علاوة عن تقريبه آل أبي العاص، ولقد صحَّت فيه فراسة عمر يوم عهده بالشّورى لعثمان، وكأنّي بكَ وقد قلّدتْكَ قريش هذا الأمر، فحملتَ بني أميَّة وبني أبي معيط على رقاب النَّاس، وآثرتهم بالغِنى، فسارت إليكَ عصابة من ذؤبان العرب، فذبحوكَ على فراشِكَ ذبحاً. واللّهِ لئِن فعلها لتفعلنَّ، وإن فعلتَ ليفعلُنَّ، ثمَّ أخذ بناصية عثمان فقال: «إذا كان ذلك فاذكر قولي فإنَّه كائن».

فأوطأ بني أميَّة رقاب النّاس، وأولاهم الولايات، وأقطعَهُمْ القطائع. ولمّا فتحت أرمينيا أخذ الخمس فوهبه لمروان. وأعاد الحكم بن أبي العاص بعد أن سيَّرهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمَّ لم يردَّه أبو بكر وعمر، وأعطى مروان فدكاً، وحمى المراعي حول المدينة كلّها عن مواشي المسلمين كلّهم، إلاّ عن بني أميَّة، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الَّذِي أمر فيه لمروان بمائة ألف من بيت المال. وكذلك قصة زيد بن أرقم صاحب

---

(١) راجع كتاب «الفتنة الكبرى» للدكتور طه حسين تجد الأحداث مفصلة بشكل واسع.

بيت المال، وقصَّة مقتل محمد بن أبي بكر وجماعةٍ من المؤمنين بأمرِهِ بما هـو مشهور ومعروف.

كان هذا عهد الخليفة الثَّالِثِ، حيث انتشرت الأثرة والأنانيّـة والاحتكار، وضرب بمبدأ المساواة والتوحيـد عرض الحـائط، وظهر الإقـطاع والضّيوع في عهـده. فهذا المسعـودي يحدّثنـا أنّه في أيّـام عثمان اقتنى الصّحـابـةُ الضيـاع والمال. فكان لعثمان ـ يوم قُتِلَ ـ عند خازِنِهِ خمسـون ومائـة ألف دينار، وألف ألف درهم، وقيمة ضياعـه في وادي القرى وحنين وغيـرهما مـائة ألف دينـار، وخلّف إبـلاً وخيلاً كثيـرة. وبلغ الثمن الواحـد من متروك الـزُّبيـر بعـد وفـاتِـهِ خمسين ألف دينـار، وخلّف ألف فـرس، وألف أمـة. وكـانت غَلَّة طلحــة من العراق ألف دينارٍ كلّ يومٍ، ومن ناحية السَّراة أكثر من ذلـك. وكان على مـربط عبـد الرّحمن بن عـوف ألف فرس، ولـه ألف بعيـر، وعشـرة آلاف من الغنم، وبلغ الرّبع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمـانين ألفاً، وخلّف زيـد بن ثابت من الـذهب والفضّة مـا كان يكسـر بالفؤوس غيـر ما خلّف من الأمـوال وَالضيـاع، وبنى الـزبير داره بـالبصرة، وبنى أيضـاً بمصر والكـوفة والإسكنـدرية إلى غيـر ذلك.

أي وصل الوضع في عهد عثمان إلى ما وصل إليه الآنَ من جشعٍ وأنانيّة واحتكـار، فـاستلم الحكم علي بن أبي طـالب، ولكن مـا استلمـه حتّى فسـد وفسدت النّفوس، فأراد أن يعود بـه إلى ما كـان عليه في عهـد النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنّ النّفوس لم تعد مهيأةً إلى هذا الحكم، وعلي لم يقبل بغير هذا الحكم، لذلك تمثّل عنصر الشّرّ في أصحاب الجمل ومعاوية. وبدأ الصّراع المرير بين علي ومعاوية، وانضمَّ إلى معاوية كلّ أناني ومادّي ومحتكر، وبدأت المؤامرات تحاك ضّد علي، وبات الأموال تغري مرضى النّفـوس، وعلي يقاوِم ويناضِل، والكثير من أصحابه يطلبون منه أن يـداري ويراعي شعـور الولاة، فيـأنف، ولا يبالي بمن يتركُهُ وينضمُّ إلى صفوف معاوية، ما دامَ لم يُعْصِ الله طرفـة عين، وهـو الذي قـاتل ونـاضَلَ من أجـل ترسيـخ هذا الـدّين في النّفـوس، وتحقيق

المساواة الَّتي أتى بها هـذا الدِّين، فهو لم يذهبْ في خلافته مذهب الملوك الَّذين يصانعون بالأموال، ويصرفونها في مصالح ملكهم وملاذ أنفسهم، وأنه لم يكن من أهلِ الدُّنيا، وإنَّما كان رجلاً متألّهاً صاحب حق، لا يريد باللَّهِ وَرسولِهِ بدلاً.

روى علي بن أبي سيف المدائني أنّ طائفةً من أصحاب علي عليه السلام مشوا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين أعطِ هـذهِ الأموال، وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، واستمل من تخاف خلافه من النّاس وَفراره، وإنّما قالوا له ذلك: لمَّا كان معاوية يصنع في المال، فقال لهم: أتأمرونني أن أطلب النّصر بالجور، لا واللَّهِ لَا أفعل ذلكَ ما طلعت شمس، وما لاح نجم. واللَّهِ لو كان المال لي لـواسيتُ بينهم، فكيفَ وإنَّما هي أموالهم؟ ثم سكتَ طويلاً واجماً، ثم قال؛ الأمر أسرَعُ من ذلك. قالها ثلاثاً(١).

وروى أبو إسحٰق الهمداني أنّ امرأتين أتتا عليّاً عليه السلام، إحداهما من العرب والأخرى من الموالي، فسألتاهُ، فدفع إليهما دراهم وطعاماً بالسَّواء، فقالت إحداهما: إنّي امرأة من العرب، وهذهِ من العجم، فقال: إنّي واللَّهِ لا أجد لبني إسماعِيلَ في هذا الفيء فضلاً على بني إسحٰق(٢).

وروى علي بن محمّد بن أبي يوسف المدائِني عن فضل بن الجعد، قال: آكد الأسباب في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال، فإنّه لم يكن يفضّل شريفاً على مشروف، ولا عربيّاً على عجمي، ولم يصانِع الرُّؤساء وأمراء القبائِل كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحداً على نفسِهِ، وكان معاوية بخلافِ ذلك، فترك النّاسُ عليّاً، والتحقوا بمعاوية. فشكا عليٌّ إلى الأشتر تخاذُلَ أصحابه، وفرار بعضهم إلى معاوية، فقال الأشتر: يا أمير

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٢ ص ٢٠٣ ط ١٩٥٩ م.
(٢) نفس المصدر، جـ ٢ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ ط ١٩٥٩ م.

المؤمنين: إنّـا قاتَلْنـا أهل البصـرة بأهـلِ البَصْرَةِ وأهـل الكوفـة، ورأيُ النّاس واحد، وقد اختلفوا بعد، وَتعـادوا وضَعُفَتِ النّية، وقـلّ العدد، وأنت تـأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحقّ، وتنصف الـوضيع من الشّـريف، فليس للشّريف عندكَ فضل منزلةٍ على الوضيع، فضجّت طـائفةٌ ممّن معـك مِنَ الحقّ إذ عُمّوا بـه، واغتمّوا من العـدل إذ صاروا فيـه، ورأوا صنائـع معاويـة عند أهـل الغناء والشَّـرف، فتاقت أنفس النّـاس إلى الـدُّنيـا، وقـلَّ من ليس للدُّنيـا بصـاحب، وأكثرهم يجتوي الحقّ ويشتري الباطِل، ويؤثر الدُّنيا، فإن تبذل المـال يا أميـر المؤمنين تمل إليكَ أعناق الرّجال، وتصِفُ نصيحتُهم لكَ، وتستخلص ودّهم، صنـع الله لـك يـا أميـر المؤمنين! وكبتَ أعـداءكَ، وفضّ جمعهم، وأوهن كيـدهم، وشتّت أمورهم، إنّـه بما يعملون خبيـر. فقال عليّ عليه السلام: أمّـا مـا ذكرتَ من عملنا وسيرتنا بالعدلِ، فإنّ اللّه عَزَّ وجلّ يقول: ﴿**من عمل صالِحـاً فلنفسـه ومن أساء فعليهـا وما ربُّـكَ بظلَّام للعبيـد**﴾[1] . وأنا من أن أكـون مقصّراً فيما ذكرتَ أخوف.

وأمّـا ما ذكـرتَ من أنَّ الحقّ ثقل عليهم ففـارقونـا لذلـك، فقد علم الله أنهم لم يفارقونـا من جور، ولا لجؤوا إذا فـارقونـا إلى عدل، ولم يلتمِسـوا إلاّ دنيـا زائلة عنهم كأن قـد فارقـوها، وَليسـألنّ يوم القيـامـة، أللدُّنيـا أرادوا أم لله عملوا؟

أمَّا ما ذكرتَ من بذل الأموال واصطناع الرّجـال، فإنّـه لا يسعنا أن نؤتي امـرأً من الفيءِ أكثر من حَقّـهِ، وقد قـالَ الله سبحانـه وتعـالى، وقـولـه الحق: ﴿**وكم من فئـةٍ قَليلةٍ غلبت فئـةً كثيـرة بـإذنِ الله والله مـع الصَّـابـرين**﴾[2]. وقـد بعَثَ الله محمّداً صلّى الله عليه وحده، فكثّره بعد القلّةِ، وأعزّ فئتَهُ بعد الـذّلة، وإن يرد الله أن يولّينا هذا الأمر يذلّل لنا صَعْبُهُ ويسهّل لنا حزنَـهُ، وأنا قـابل من

---

(١) سورة فصلت: آية ٤٦.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٤٩.

رأيك ما كانَ لله عزَّ وجَلّ رضا، وأنتَ من آمن النّاس عندي، وأنصحهم لي، وأوثقهم في نفسي إن شاء الله[1].

لذلك لا يقاس عليّ عليه السلام بأحدٍ من النّاس إلاّ بالرَّسولِ صلى الله عليه وآله وسلم. ومن مثل علي؟ ومن يستطيع أن يحقّق ما يحقّقه؟ وهو القائِل:

واللّهِ لأنْ أبيتَ على حَسَك السَّعدان مُسهَّداً، وأُجَرَّ في الأغلال مصفَّداً، أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالِماً لبعض العباد، وغاصِباً لشيءٍ من الحُطام، وكيف أظلِم أحداً لِنَفْسٍ يُسْرِع إلى البِلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها؟

واللّهِ لقد رأيتُ عَقِيلاً وقد أملقَ حتّى استماحني من بُرِّكُمْ صاعاً، ورأيتُ صِبْيانه شُعْثَ الشُّعور، غُبْرَ الألوان من فقرهم، كأنّما سُوِّدت وجوههم بالعِظْلِم، وعاودني مؤكّداً، وكرّر عليَّ القولَ مردّداً، فأصغيتُ إليه سمعي، فظنّ أني أبيعُه، وأتّبعُ قياده مفارقاً طريقتي، فأحميتُ له حديدة، ثم أدنيتُها من جسمه ليعتبِرَ بها، فضجَّ ضجيج ذي دَنَفٍ من ألمِها، وكاد أن يحترق من مِيْسَمِها. فقلتُ له: ثكلتك الثّواكِل يا عقيل، أتئِنُّ من حديدةٍ أحماها إنسانها لِلَعِبه، وتجرُّني إلى نار سَجَرها جبّارُها لغضبه؟ أتئِنُّ من الأذى ولا أئِنّ من لظى؟! وأعجبُ من ذلك طارقٌ طرقنا بملفوفةٍ في وِعائِها ومعجونة شَنِئْتُها، كأنّما عُجِنَتْ بريقِ حيّة أو قيئِها، فقلتُ: أصلة أم زكاة، أم صدقة؟ فذلك محرَّمٌ علينا أهْلَ البيت، فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنّها هديّة، فقلتُ: هبِلَتْكَ الهَبُول، أعن دينِ الله أتيتني لتخدَعَني؟ أمختَبَطٌ أم ذو جِنَّةٍ، أم تَهْجُر؟ واللّهِ لو أُعْطِيتُ الأقاليم السَّبعة بما تحت أفلاكِها على أن أَعْصِيَ الله في نملةٍ أَسْلُبُها جِلْبَ شعيرةٍ ما فعلتُ. وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادةٍ تَقْضَمُها، ما لعليّ ولنعيمٍ يفنى، ولذّةٍ لا تبقى. نعوذ بالله من سُبَاتِ العقل وَقُبْح الزَّلَل، وبه نستعين[2].

---

(1) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ٢ ص ١٩٨ ط ١٩٥٩ م.

(2) نهج البلاغة: شرح محمّد عبده، جـ٢ ص ٢٤٣ وما بعد، مطبعة الاستقامة.

فمن كانت هذه مواقفِهِ وأفعاله فهل يجوز أن يقارنَ بغيره من الملوك والخلفاء والحكّام والرؤساء؟ هذا هو الخطأ الَّذِي وقع به الكثير ممّن كتبوا عن علي عليه السلام، لأنّهم عاجزون عن تطبيق ذلك، مهما اجتهدوا وسهروا. وكيف يستطيعون؟ وعلي جَمَعَ الصّفات المتضادّة كما يقول صفيّ الدّين الحلّي في شعره:

جُمِعَتْ في صفاتِكَ الأضدادُ فلهذا عزَّت لكَ الأندادُ
زاهِدٌ حاكِمٌ حليم شجاعٌ ناسِكٌ فاتِكٌ فقير جوَّادٌ
شِيَمٌ ما جمعن في مبشرٍ قطّ ولا حاز مثلَهُنَّ العبادُ
خُلُقٌ يخجل النّسِيم من اللُّطفِ وبأسٌ يذوب منه الجمادُ
جلّ معناكَ أن يحيط به الشّعر ويحصي صفاتَهُ النُّقّادُ

فهو صاحب الفضائل المتناقضة الّتي انفرد بها مِنَ المشاركة فيها، فإنّه كان يصوم النّهار ويقوم اللّيل، ويفطر على اليسير من جريش الشّعِير بغير أدام، كما مرَّ معنا. ومن يكن بهذه الحالة يكن ضعيف القوَّة. وأمير المؤمنين عليه السلام كان مَعَ ذلكَ أشدّ النّاس قوَّة، وأنّه قلع بابَ خيبر، فقد عجز عن حمله سبعون نفراً من المسلمين، ورمى به أذرعاً كثيرة، ثمَّ أعادَهُ إلى مكانِهِ بعد أن وضعه جسراً على الخندق. وكان أكثر الوقت في الحروب مباشراً قتلى النّفوس، ومن هذه حاله يكون شديد اللقاء، عبوس الوجه، وأمير المؤمنين عليه السلام كانَ مَعَ ذلكَ رحيماً رقيق القلب، حسن الأخلاق، طلق الوجه، حتّى نسبَهُ بعض المنافقين إلى الدّعابة لشرفِ أخلاقه عليه السلام.

ذكر الشّعبي قال: دخلتُ الرَّحبة بالكوفة ـ وأنا غلام ـ في غلمان، فإذا أنا بعلي عليه السلام قائِماً في صبرتين (ما جمع به الطعام بلا كيل ولا وزن) من ذهبٍ وفضّةٍ، ومعه مِخْفَقَةً. وهو يطرد النّاس بمخفقتِهِ، ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين النّاس، حتّى لم يبقَ مِنْهُ شيء، ثم انصرَفَ، ولم يحمل إلى بيته قليلاً ولا كثيراً. فرجعْتُ إلى أبي فقلتُ له: لقد رأيتُ خير النّاس أو أحمق النّاس. قال: من هو يا بنيَّ؟ قلتُ: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين! رأيتُهُ

يصنَعُ كذا. فقصَصْتُ عليه، فبكى، وقال: يا بنيّ، بل رأيت خير النّاس[1].

هـذا هو الإمـام الّذي اكتفى من دنيـاه بطمـريه، ومن طعـامِهِ بقـرصيه، خليفة المسلمين في العراق وفارس والحجاز واليمن ومصر، يبيع سيفه ليشتري إزاراً بـدرهمين!! عليّ والدُّنيـا في يـده يتصـرَّفُ فيهـا كيف شـاء ومتى شـاء، يكتفي منها بطمرين وقرصين.

لقد أشفق قنبر على عليّ مولاه، فحَدَث ما أدهشَ قنبر. روى محمّد بن فضيل عن هارون بن عنترة عن زاذان، قال: انطلقتُ مع قنبر غلام علي ﷺ فـإذا هـو يقـول: قم يـا أميـر المؤمنين فقـد خبـأتُ لـك خبيئـاً. قـال: ومـا هـو؟ ويحـك! قال: قم معي، فقامَ فانطلَقَ به إلى بيتـه، وإذا بغـرارةٍ مملوءة من جاماتٍ ذهباً وفضّةً، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتُكَ لا تتـرك شيئاً إلاّ قسمتـه، فـادَّخرتُ لـكَ هذا من بيت المـال. فقال عليٌّ ﷺ : ويحـك يا قنبـر! لقـد أحببتَ أن تـدخل بيتي نـاراً عظيمـةً، ثم سلّ سيفـه وضربـه ضـربـاتٍ كثيـرةً، فانتثرت من بين إناء مقطوع نصفه، وآخر ثلثه، ونحو ذلـك، ثمَّ دعا بـالنّاس، فقال: أقسموه بالحصص، ثم قامَ إلى بيتِ المال، فقسَّم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت إبراً ومسال، فقال: وَلتقسموا هـذا، فقالـوا: لا حاجـة لنا فيـه. وقد كان علي ﷺ يأخذ من كلّ عاملٍ ممّا يعمل. فضحك، وقال: ليؤخذَنّ شرَّه مع خير[2].

وروى عبد الرّحمن بن عجلان، قال: كـان علي ﷺ يقسم بينَ النّاس الأبزار والحرف والكمّون، وكذا وكذا.

وروى التّمِيمي قـال: كـان علي ﷺ يكنس بيت المـال كـلّ جمعـة، ويصلّي فيه ركعتين، ويقول: ليشهد لي يوم القيامَة[3].

واستمع أيّها الـطَّالب إلى هذا التّعليـل الّذي يعلّله حـاكم المسلمين في

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ٢ ص ١٩٨ ط ١٩٥٩ م.
(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ٢ ص ١٩٩.
(٣) نفس المصدر، جـ٢ ص ١٩٩.

امتناعه عن تناول الطعام الفاخر، وأين حكّام الأرض من ذلك؟

عن الأحنف بن قيس، قال: دخلتُ على علي كرَّم الله وجهه وقت إفطاره إذا دعا بجراب مختوم فيه سويق الشّعير، قلت له: يا أمير المؤمنين خفت أن يؤخذ منه فختمته فيه؟

قال: لا، ولكنّي خفت أن يليّنه الحسن أو الحسين بسمن أو زيت. قلتُ: هما حرامٌ عليكَ؟ قال: لا، ولكن يجبُ عَلَى الأئمة أن يغتذوا بغذاءِ ضعفاء النّاس وأفقرهم كيلا يشكو الفقير من فقره، ولا يطغي الغنيّ لغناه[1].

وفي كتاب (ذخيرة الملوك) للسيّد علي الهمداني قَدَّسَ الله سرَّهُ، ووهب لنا بركاته وفتوحاتِهِ، أنّ عليّاً كرّم الله وجهه كان معتكِفاً في مسجد الكوفة، جاء أعرابي وقت إفطاره، فأخرج علي من جراب سويق الشّعِير، فأعطاهُ منه شيئاً فلم يأكله الأعرابي، فعقده في طرف عمامته، فجاء إلى دار الحسنين رضي الله عنهما، فأكل معهما، فقال لهما: رأيتُ شيخاً غريباً في المسجد لا يجد غير هذا السُّويق، فترحّمتُ عليه، فأحمل من هذا الطَّعامِ إليه ليأكله، فبكيا وقالا: إنّه أبونا أمير المؤمنين علي يجاهد نَفسَهُ بهذه الرّياضة[2].

فطعام أمير المؤمنين لم يقبله الأعرابي، فكيف يرضى بذلكَ الرُّؤساء من أبناء الدُّنيا؟ كمن قال: واللّهِ ما قاتلتكم لأجلِ الصّلاة والصّيام، وإنّما قاتلتكم لأتأمَّر عليكم.

وهذا عدي بن حاتم الطَّائي يروي لنا قائلاً: رأيتُ عليّاً كرّم الله وجهه، وبين يديه ماء قَراح وكسيرات خبز شعير وملح، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، لتظلّ في النّهار طاوياً مجاهداً، وفي اللّيل ساهِراً مكابداً، ثم هذا فطورك؟ قال: أذهب علل النّفس بالقنوع وإلاّ طلبَتْ فوق ما يكفيها[3].

---

(١) ينابيع المودة: للقندوزي، جـ ١ ص ١٤٦.

(٢) نفس المصدر، ص ١٤٧.

(٣) نفس المصدر، جـ ١ ص ١٤٦.

هذا طعامه الّذي كان يقتاتُ منه، لأنّه ما شبع من طعامٍ قط. أمّا لباسه فلم يكن بأحسن حالاً من طعامه، فقد كان ثوبه مرقوعاً بجلدة تارة، وبليفةٍ أخرى، وكان نعلاه من ليفٍ، ويلبس الكرباس الغليظ، فإذا وجد كمّه طويلاً قطعه. وفي نهج البلاغة من خطبة له عليه السلام قال: «واللّهِ لقد رقعت مدّرعتي هذه حتّى استحييتُ من راقعها». ولقد قال لي قائِلٌ: ألا تنبذها؟ فقلتُ: اعذُبْ عني (عند الصّباح يحمد القوم السّرى).

وروي عن سويد بن غفلة، قال: دخلتُ على أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بويع بالخلافة، وهو جالس على حصير صغير ليسَ في البيت غيره، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ، بيدك بيت المال، ولستُ أرى في بيتِكَ شيئاً ممّا يحتاج إليه البيت، فقال عليه السلام: يابن غفلة، إنّ البيت لا يتأثث في دار النقلة، ولنا دار أمنٍ قد نقلنا إليها خير متاعِنا، وإنّا عن قليلٍ إليها صائرون. وكان عليه السلام إذا أراد أن يكتسي دخل السُّوق، فيشتري الثّوبين، فيخيّر قنبر أجودهما، ويلبس الآخر، ثم يأتي النّجّار، فيمدّ له إحدى كميّه، ويقول له: خذهُ بقدومك ويقول: هذه تخرج في مصلحة أخرى، ويبقى الكمّ الأخرى بحالِها ويقول: هذه نأخذ فيها من السُّوق للحسن والحسين(١).

وخرج عليه السلام يوماً وعليه إزاء مرقوع، فعوتب عليه، فقال: يخشعُ القلب بلبسه، ويقتدي به المؤمن إذا رآه عَلَيَّ(٢).

وخرج يوماً إلى السُّوق ومعه سيفه ليبيعه، فقال: من يشتري منّي هذا السَّيفَ؟ فوالّذي فلقَ الحبَّةَ لطَالَمَا كشفتُ به الكُرَبَ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو كان عندي ثمن إزارٍ لما بعته.

وانظر أيّها الطّالب إلى حرصه الدّقيق لمصلحة المسلمين، وكيف

---

(١) الأنوار النّعمانية: للموسوي، جـ١ باب ١ ص ٥٠.
(٢) كشف الغمة: للأربلي، جـ١ ص ١٧٥.

يحاسبُ نفسه على كلّ صغيرةٍ حساباً عسيراً، ولا يسمَحُ لأحد أن يفرّط في حقّهم مهما كان تافِهاً.

ومن ذلكَ أنّه أتى بزقاقٍ فيها عسلٌ من اليمن، ونزلَ بالحسن ﷺ ضيفٌ، فاشترى خبزاً، وطلقَ من قنبر أدماً ففتَحَ زقّاً وأعطاه منه رطلًا، فلمّا قعد ﷺ ليقسمها، قال: يا قنبر، قد حَدَثَ في الزّق حدث؟ قال: صدقتَ يا أمير المؤمنين، وأخبرهُ فغضب، وقال: عَلَيَّ به، فلمّا حضر هَمَّ بضربه، فأقسم عليه بعمّه جعفر، وكان ﷺ إذا أقسَمَ به عليه سكن، فقال: ما حملَكَ على أن أخذتَ قبل القسمة؟ قال: إنّ لنا فيه حقّاً، فإذا أعطيتَنا رددناه. قال: لا يجوز أن تنتفع بحقّك قبل انتفاع النّاس، لولا أنّي رأيتُ النّبي ﷺ يقبّل ثنيتَكَ لأوجعتُكَ ضرباً. ثم دفع إلى قنبر درهماً وقال: اشترِ به من أجود عسلٍ يوجد. قال الرّاوي: فكأنّي أنظر إلى يد علي على فم الزّق، وقنبر يقلب العسل فيه، ثم شدّه بيدِهِ، وهو يبكي ويقول: اللهمَّ اغفر للحسن فإنّه لم يعلم(١).

وذكر سبط ابن الجوزي في (تذكرته) مرفوعاً بالأسانيد إلى عمرو بن يَحْيَى عن أبيه، قال: أهدِيَ لعلي ﷺ زقاقٌ من عسل وسمن، فرآها قد نقصت، فسأل عنها، فقيل له: بعثت أم كلثوم فأخذت منه في قعب، فبعث إليها بعد أن قوَّم العسل بخمسة دراهم، فأخذها منها، وقال: هذا للمسلمين(٢).

فأعجب بهذه المكارم والأفعال والقضايا الّتي هِيَ غررٌ في جبهات الأيام، والزّهادة التي فاق بها جميع الأنام، والورع الذي حمله على ترك الحلال فضلاً عن الحرام، والعبادة الّتي أوصلته إلى مقام وقف دون كلّ الأقوام.

---

(١) وفي تذكرة سبط ابن الجوزي بهذ المعنى، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ.
(٢) تذكرة سبط ابن الجوزي، ص ١٢٢ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ.

فصاحبُ هذه الأفعال هو رمز العدالة الاجتماعية، ومهما بلغَت الدّول في التقدّم والرّقي في القرن العشرين فإنَّها لم تصِلْ إلى ما خطَّطه عظيم العظماء ذو العقلِ الجبَّار علي بن أبي طالب، فهو نسخة مفردة ليس لها مثيلٌ في الشّرق ولا في الغرب، لا قديماً ولا حديثاً. وكثيراً ما أعلنَ للملأِ قائِلاً: «ما جاع فقير إلاَّ بما مُتّعَ به غني». «وما رأيتُ نعمة موفورة إلاّ وإلى جانبها حَقٌّ مضيَّع»! إنَّها حقيقةٌ نادى بها المصلحون الاجتماعيون والمفكّرون دون أن يطبّقوها. فالوحيد الذي طبَّقها عمليّاً هو علي بن أبي طالب، وبعده ضُرِبَ بها عرض الحائط، وإلى الآن والصّراع مستمر، دون أن يظفروا بتطبيقها الكامِل، حقيقة ظهرت للوجود على يدي هذا البطل، ووضع قانوناً للإنسانية جمعاء، وكان هوَ النّموذج المنشود، والمثل الأعلى للإنسان، ولم يزل إلى الأبد.

هذا عليّ العادِل الزّاهد المنقطع النَّظِير، فهل عرفتَ أيُّها الطّالِب مِنَ الخَلقِ عظيماً يلتقي مع المفكرين بسمو تفكيرهم، ومع الخيّرين بحبّهم العميق للخير، ومع العلماء بعلمهم، ومع الباحثين تثقيفهِمْ، ومع ذوي المودة بموداتهم، ومع الزّهاد بزهدهم، ومع المصلحين بإصلاحهِم، ومع المتألّمين بآلامِهِم، ومع المظلومين بمشاعرهم وتمردهم، ومع الأدباء بأدبهم، ومع الأبطال ببطولاتِهِم، ومع الشُّهداء بشهادتهم، ومع كلّ إنسانيةٍ بما يشرّفها ويرفع من شأنِها، ثمَّ إنّ له في كلّ ذلك فضل القول النَّاتج عن العمل، والتَّضحية المتّصلة بالتَّضحية، والسَّابقة في الزَّمان.

هذا هو عليّ الّذي قال له رسول الله ﷺ: «يا عليُّ إنّ الله زيَّنَكَ بزينةٍ لم يزّين الخلائق بزينَةٍ هي أحبّ إليه منها، الزّهد في الدُّنيا، وجعلكَ لا تنال من الدُّنيا، ولا تنال منكَ شيئاً، ووهبَ لَكَ حبّ المساكين، فرضوا بك إماماً، وَرضيتَ بهم أتباعاً»[1].

هذا هو عليّ الّذي قال به عدوّه الألَدُّ معاوية بن أبي سفيان: لو ملك بيتاً

---

(١) رواه صاحب الفردوس، وينابيع المودة: للقندوزي، جـ٢ ص ٥٦.

من تبر، وبيتاً من تبن لأنْفَذَ تبرَهُ قبل تبنه، وكان يكنس بيت المال ويصلّي فيه ويقولُ: يا صفراء ويا بيضاء غرّي غيري، ولم يخلّف ميراثاً، والدُّنيا كلّها كانت بيدِهِ إلّا الشّام.

وإذا أردتَ أيّها الطّالب أن تطلّع على التّضحية الكبرى الّتي يقوم بها الإمام تجاه البائسين والمحتاجين من أبناء الأمّة الإسلامية، فاستمع إلى ما يرويه لنا صاحب كتاب (إرشاد القلوب) في الجزء الثّانِي ص ١٤ ـ ١٥ ما يلي:

رُوِي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل مكّة، وهو في بعض حوائجه، فوجد أعرابيًّا متعلّقاً بأستار الكعبة، وهو يقول: يا مَنْ لا يحويه مكان، ولا يخلو منه مكان، ولا يكنّه مكان، ارزق الأعرابي بأربعة آلاف درهم. قال: فتقدَّم إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: ما تقولُ يا أعرابي؟ فقال الأعرابي: من أنت؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب. قال: أنتَ واللّهِ حاجتي، قال عليه السلام: سل يا أعرابي، قال: أريد ألف درهم للصّداق، وألف درهم أقضِي بها ديني، وألف درهم أشتري بها داراً، وألف درهم أتعيَّش بها. قال عليه السلام: أنصفْتَ يا أعرابي إذا خرجتَ من مكَّة فسل عن داري بمدينة الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم. فأقام الأعرابي أسبوعاً بمكة. وخرج في طلب أمير المؤمنين إلى المدينة، ونادى من يدلُّني على دار أمير المؤمنين؟ فلقيه الحسين عليه السلام، فقال: أنا أدلُّكَ على دار أمير المؤمنين. فقال الأعرابي: قال: مَنْ أبوك؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام. قال: من أُمُّكَ؟ قالَ: فاطمة الزّهراء سيّدة نساء العالمين، قال: من جدُّكَ؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمّد بن عبدالله بن عبد المطّلب، قال: من جدتك؟ قال: خديجة بنت خويلد. قال: من أخوك؟ قال: حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. قال: لقد أخذت الدُّنيا بطرفيها، امش إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقل له: إنّ الأعرابي صاحب الضّمان بمكة على الباب، فدخل الحسين عليه السلام وقال: يا أبتِ أعرابيٌّ بالباب يزعم أنّه صاحبُ ضمانٍ بمكة، قال: فخرج إليه عليه السلام وطلب سلمان الفارسي رضي الله عنه وقال له: يا سلمان

اعرض الحديقة الَّتي أغرسها لي رسول الله ﷺ على التجّار، فدخل سلمان إلى السّوق، وَعرض الحديقةَ، فباعها باثني عشر ألف درهم، وأحضر المال، وَأحضر الأعرابي، فأعطاهُ أربعة آلاف درهم، وأربعين درهماً لنفقتِهِ، فرفع الخبر إلى فقراءِ المدينة، فاجتمعوا إليه، والدَّراهم مصبوبة بين يديه، فجعل عليه السلام يقبض قبضَةً، ويعطي رجلاً رجلاً حتّى لم يبق له درهم واحد منها، ودخل منزله، فقالت فاطمة عليها السلام: يابن عمّ بعت الحديقة الّتي غرسها رسول الله ﷺ والدي؟ فقال: نعم، بخيرٍ منها عاجلاً وآجلاً. (قالت) له: جزاك الله في مَمْشَاكَ، ثم قالت: أنا جائعة، وابناي جائعان، ولا شكّ أنّك مثلنا، فخرج عليه السلام ليقترض شيئاً ليخرجه عن عياله، فجاء رسول الله ﷺ وقال: «يا فاطمة، أين ابن عمّي؟» فقالت له: خرج يا رسول الله، فقال ﷺ: «هاك هذه الدَّراهم، فإذا جاء ابن عَمّي فقولي له: يبتاع لكم بها طعاماً»، وخرج رسول الله ﷺ، فجاء علي عليه السلام وقال: جاء ابنُ عمّي، فإنّي أجد رائحة طيّبةً، قالت: نعم، وناولته الدَّراهم، وكانت سبعة دراهم سود هجرية، وَذكرت له ما قاله ﷺ: فقال: «قم يا حسن معي»، فأتيا السوق، وإذا هما برجلٍ واقِف، وهو يقول: من يقرض الله الوفيَّ الملي؟ فقال: يا بنيَّ نعطيه الدّراهم؟ قال: إي واللّهِ يا أبت، فأعطاه عليه السلام الدَّراهم، ومضى إلى باب رجلٍ ليقترض منه شيئاً، فلقيه أعرابي ومعه ناقة، فقال: اشتر مني هذه النَّاقة، قال: ليس معي ثمنها. قال: فإني أنظركَ به، قال: بكم يا أعرابي؟ قال: بمائة درهم. قال عليه السلام: خذها يا حسن، ومضى عليه السلام، فلقيه أعرابي آخر، فقال: يا عليّ، أتبيع النّاقة؟ قال له عليه السلام: وما تصنع بها؟ قال: أغزو عليها أوّل غزوةٍ يغزوها ابن عمك ﷺ. قال عليه السلام: إنْ قَبِلَها فهي لكَ بلا ثمن. قال: معي ثمنها، فبكم اشتريتها؟ قال: بمائة درهم. فقال الأعرابي: فلك سبعون ومائة درهم. فقال عليه السلام: خذها يا حسن وسلّم النَّاقة إليه، والمائة للأعرابي الّذي باعنا النّاقة، والسَّبعون لنا نأخذ بها شيئاً. فأخذ الحسن عليه السلام الدّراهم وسلّم النّاقة. قال عليه السلام: فمضيتُ أطلبُ الأعرابي الذي ابتعت منه النَّاقة لأعطيَهُ الثّمن، فرأيت رسولَ اللّه ﷺ في مكان لم أرَهُ فيه

قبل ذلك على قارعة الطَّريق، فلمّا نَظَرَ إليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم تَبَسَّمَ وقال: يا أبا الحسن، أتطلبُ الأعرابيَّ الّذي باعكَ النّاقة لتوفيه ثمنها؟ فقلتُ: إي واللّهِ فداكَ أبي وأمي! فقال: يا أبا الحسن، الذي باعكَ النّاقة جبرئيل عليه السلام، والَّذي اشتراها منكَ ميكائيل، والنَّاقة من نوق الجنّة، والدَّراهم من عند ربّ العالمين الملي الوفي.

وذكر سبط ابن الجوزي في (تذكرته) مرفوعاً بالأسانيد إلى أبي أراكه، قال: جاء سائل إلى علي عليه السلام فقال لبعض ولدهِ: إذهب إلى أمّكَ وقل لها: هات ذاكَ الدَّرهم الذي عندك، فمضى، ثم عاد وقال: قد قالت: خبَّأناه للدقيق، فقال: اذهب وأتني به، فذهب وعاد وهو معه، ودفعه إلى السَّائِل، وَقال: لا يصدق إيمانُ عبدٍ حتّى يكون بما في يد الله أوثقَ منه بما في يديه. فبينا هو يتحدَّث إذ مرَّ به رجل يبيع جملاً، فاشتراه منه بمائة درهم، ثمَّ باعه بمائتَيْنِ، فدفع المائة إلى ولده وقال: اذهَبْ بها إلى أمّكَ وقل لها: هذا ما وعَدَنا الله على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم إخباراً عن ربّه سبحانه: **﴿من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها﴾**[٥].

هذا هو علي العادل الزّاهِد القائِل: «واللّهِ لدنياكم هذه أهونُ في عيني من عراق خنزير في يد مجزوم». والقائل: فلمّا نهضتُ بالأمرِ نكثَتْ طائفة، ومرقت أُخرى، وفسق آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: **﴿تلك الدّار الآخِرَةُ نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتَّقِين﴾**[٢] بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليَتِ الدُّنيا في أعينِهِم، وراقَهم زبرجها. أما والّذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، لولا حضور الحاضِر، وقيام الحجَّةَ بوجود النّاصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة

---

(١) تذكرة سبط ابن الجوزي، ص ١٢٦ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ، المطبعة العلمية في النجف.

(٢) سورة القصص: آية ٨٣.

ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيتُ حبلها على غاربها، ولسقيتُ آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز.

فعليٌّ ضرب أروع الأمثالِ في البطولاتِ المتنوعة بتنوّع ضروب الحياة. فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته، وطهارة وجدانه، وسحر بيانه، وعمق إنسانيته، وحرارة إيمانه، وسموّ روعته، ونصرته للمحروم والمظلوم من الحارم والظالمِ، وتعبّده للحقّ أينما تجلّى له الحقّ. وهذه البطولات مهما تقادم بها العهد لا تزال مصدراً غنيّاً نعود إليه اليوم وفي كلّ يوم، كلّما اشتدَّ بنا الوجد إلى بناء حياةٍ صالحة فاضلة، وإنشاء جيلٍ سامٍ في تفكيره وفي خلقه، وفي شرفه وقيمتِهِ.

وكان عليّ يراقب عمّاله مراقبةً دقيقَةً فلا يسمح لأيّ فردٍ منهم أن يسيء أو يظلم، فإن بدرت من أحدهم بادرة ظلمٍ عزله واستبد به آخر عادلاً، بعد أن يستبرىء من ظلمه.

دخلت سودةُ بنت عمّار الهمدانية على معاوية بعد موتِ علي، فجعل يؤنّبها على تحريضها عليه أيّام صفّين، وآل أمرُهُ إلى أن قال: ما حاجَتُكِ؟ قالت: إنَّ الله مسائِلُكَ عن أمرنا، وما افترضَ عليكَ من حقّنا، ولا يزال يقدم علينا من قبلك، من يسمو بمكانِكَ، ويبطش بقوّةِ سلطانِكَ، فيحصدنا حصيدَ السُّنبل، ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطاة قدم علينا، فقتَلَ رجالنا، وأخذ أموالنا، ولولا الطّاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإن عزلته عنّا شكرناكَ، وإلاّ كفرناك. فقال معاوية: إيّايَ تهددين بقومِكِ يا سودة! لقد هممتُ أن أحملك على قتب أشرس فأردَّكِ إليه، فينفذ فيكِ حكمه، فأطرقت سودةُ ساعةً ثمَّ قالت:

صلّى الإلّه على روح تضمّنها ... قبرٌ فأصبحَ فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً ... فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

فقال معاويةُ: من هذا يا سودة؟ قالت: هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، واللّهِ لقد جئته في رجل كان قد ولاّهُ صدقاتنا، فجار علينا، فصادفته قائماً يصلي، فلمّا رآني انفتَل من صلاته، ثم أقبل عليٌّ برحمةٍ

ورفق ورأفةٍ وتعطّفٍ، وقال: أَلَكِ حاجة؟ قلت: نعم، فأخبرته الخبر، ثم قال: اللهمَّ أنتَ الشاهد عليّ وعليهم، وإني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حَقّكَ، ثم أخرج قطعة جلد، فكتبَ فيها: بسم الله الرّحمن الرّحيم. **﴿قد جاءتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا النّاس أشياءهم، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين﴾**[1] فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدكَ من عملنا حتّى يقدم عليكَ من يقبضه منك والسّلام. ثمَّ دفع الرّقعة إليَّ، فواللّهِ ما ختمها بطين، ولا خذمها، فجئت بالرّقعة إلى صاحبه، فانصرف عنّا معزولاً. فقال معاوية: اكتبوا لها كما تريد، واصرفوها إلى بلدها غير شاكية[2].

وكان شديد الحرص على حقوق المسلمين، فكان يصل إليهم حقَّهم، ولو كان حبة خردل. روي عن عاصم بن كليب، عن أبيه قال: قدم مالٌ من أصبهان، فقسمه سبعة أسباع، ووجد فيه رغيفاً، فقسمه سبعاً، وجعل على كلّ جزءٍ كسرة، ثمَّ أقرع بينَهم أيّهم يعطى أوّلاً[3].

وعن أبي صالح قال: دخلتُ على أم كلثوم بنت علي، فإذا هي تمتَشِط في سترٍ بينها وبيني، فجاء الحسن والحسين، فقالت لهما: ألا تطعمون أبا صالح شيئاً؟ فأخرجوا لي قصعة فيها ماء حبوب. فقلتُ: تطعمون هذا وأنتم أمراء؟ فقالت أم كلثوم: يا أبا صالح إنّ أبي أمير المؤمنين قد أتى بأترج، فأخذ حسين أخي منها أترجّةً، فنزعها من يده، فقسمها بين النّاس[4].

وكذلك قصّة أم كلثوم وأخذها العقد من خازن بيت المسلمين في يوم

---

(١) سورة الأعراف: آية ٨٥.
(٢) كشف الغمة: للأربلي، جـ ١ ص ١٧٣ - ١٧٤.
(٣) أخرجه أحمد في المناقب وكذلك أخرجه القلعي، وينابيع المودة: للقندوزي، جـ ٢ ص ٤٤.
(٤) كذلك نفس المصدر، جـ ٢ ص ٢٤.

عيد، ولو لم يكن عاريةً مردودةً لقطع يدها ، ووبّخ الخازن لهذا التصرف الشّاذ، وأعاد العقد فوراً ممّا جعل القضاة والحكّام يحنون رؤوسهم إعظاماً وإجلالاً لهذا الرّجل الإلّهي.

وهل هناك وصيّة أعظم من الوصيّة التي كان يزوّد بهـا من يستعمله للصّدقات، ليطبّق تعاليمه القيّمة وأوامره العادلة، في صغير الأمور وكبيرها، ودقيقها وجليلها. فاقرأ هذه الوصيّة:

انطلِقْ على تقوى الله وحده لا شريكَ له، ولا تـروّعَنَّ مسلِماً، ولا تجتازنّ عليه كارهاً، ولا تأخذَنَّ منه أكثر من حق اللّهِ في مالِهِ، فإذا قَدِمْتَ على الحيّ فـانزِلْ بمـائِهِم، من غير أن تخـالِط أبيـاتَهم، ثمَّ امض إليهم بالسَّكِينة والوَقار حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليهم، ولا تُخْدِج بالتحيَّة لهم، ثم تقـولَ: عباد الله، أرسلني إليكم وليُّ الله وخليفتـه لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حَقّ فتؤدوه إلى وليّه؟ فإن قال قائِلٌ: لا، فلا تراجعه، وإن أنعم لك منعمٌ فانطلِق معه من غير أن تُخيفه وتُوعِده أو تَعْسِفَه، فخذ ما أعطاك من ذهبٍ أو فِضةٍ، فإن كان له ماشيةٌ أو إبِلٌ فلا تَدْخُلْها إلاَّ بإذنه، فإنَّ أكثرَها له، فإذا أتيتَها فلا تدخل عليها دخول متسلّطٍ عليه ولا عنيفٍ به، ولا تنفِرنَّ بهيمَةً ولا تُفْزِعنَّها ولا تسوءَنَّ صاحبها فيها، واصدع المال صَدْعينِ، ثمَّ خيّره فإذا اختار فـلا تَعَرَّضَنَّ لمـا اختارَهُ، ثمَّ اصدَع الباقي صَدْعين، ثمَّ خيّره، فإذا اختار فلا تَعَرَّضَنَّ لما اختاره، فلا تزال كذلكَ حتّى يبقى مـا فيه وفـاءً لحقّ اللّهِ في مالـه، فـاقْبِض حقّ الله منـه، فـإن استقـالَـكَ فأقِلْهُ، ثم اخْلِطهما، ثمَّ اصنع مثل الّذِي صنعت أوّلاً حتى تأخذ حق الله في ماله. ولا تأخُذَنّ عوداً ولا هَرِمَةً، ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عَوارٍ، ولا تأمَنَّنَّ عليها إلاَّ من تثق بدينِهِ رافِعاً بمال المسلمين حتّى يُـوَصِّلَه إلى وليّهِمْ فيَقْسِمه بينَهُمْ، ولا توكّل بها إلاّ ناصِحاً شفيقـاً وأميناً حفيـظاً، غير مُعَنِّفٍ، ولا مُجْحِفٍ ولا مُلْغِبٍ ولا مُتْعَبٍ، ثمَّ احدُرْ إلينا ما اجتمع عندك، نصيّرْهُ حيث أمر اللّه، فإذا أخذها أمينك فأوْعِزْ إليه ألّا يَحُولَ بين ناقة وبين

فصيلها، ولا يُمَصّر لبنها فَيَضُرَّ ذلك بولدها، ولا يجهَدنَّها ركوباً، وَلْيعدِلْ بين صواحباتها في ذلك وبينَها، وليُرَفِّهْ على اللاّغِب، وَلْيَسْتأنِ بالنَّقِبِ وَالظَّالِع، وَلْيُـرَوِّحْها في السَّـاعات، وليُمْهلهـا عند النّـطاف والأعشاب، حتّى تـأتينـا بإذن الله، بُدُناً مُنْقِيَات، غير مُتْعَبات ولا مجهودات لنَقْسِمَها على كتاب الله وسنةِ نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، فإنَّ ذلك أعظمَ لأجرِكَ، وأقربُ لِرُشْدِكَ، إن شاء الله(1).

هذا موقفه ممّن يتولّى الصَّدقات فهو يعلّمه كيف يقوم بذلـكَ، وإذا سمع بأحدٍ من ولاتِهِ أنّه يستضيف بعض الرّعاة يوجّهه الوجهة الّتي يراهـا مناسبة له.

فهذا عثمان بن حنيف عامله على البصرة، سمع عنه أنـــه دُعِيَ إلى وليمة فلبّى الدَّعوة، فكتب له، أمّا بعد: يابن حُنَيف: فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاكَ إلى مأدُبة فأسرعتَ إليها، تُستطابُ لك الألوان، وتُنْقَل إليك الجِفان! وما ظننتُ أنّك تجيب إلى طعامِ قومٍ عائِلهم مجفو، وغنيُّهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمُهُ من هذا المقضم، فما اشتبه عليك عِلْمه فالْفِظْهُ، وما أيقنت وجوهه فَنَلْ منه.

ألا وإنّ لكلّ مأمومٍ إماماً يقتدِي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بِطِمـريه، ومن طُعمـه بقُرْصيـه، ألا وإنكم لا تقدِرون على ذلك، ولكن أَعينوني بورعٍ واجتهاد، وعِفّةٍ وسَداد، فواللّهِ ما كنزتُ من دنياكم تبراً، ولا ادَّخَرْتُ من غنائِمها وَفْراً، ولا أعددتُ لبالي ثوبي طِمراً. ولا حُزْتُ من أرضِها شبراً، ولا أخذتُ منه إلاّ كقوتِ أتانٍ دَبِرَةٍ، ولهي في عيني أوهى وأهونُ من عَفْصَةٍ مُقِرَةٍ، بلى، كانت في أيدينا فَدَكٌ من كلّ ما أظلّته السَّماء، فشحَّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفـوس قومٍ آخرين. ونعم الحَكَمُ الله! وما أصنَعُ بِفَدْكٍ وغير فدكٍ، والنّفس مظانُّها في غدٍ جَدَثٌ، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارُها، وحُفرةٌ لو زيد في

(1) نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده، جـ ٣ ص ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩، مطبعة الاستقامة.

فُسْحَتِها، وأوسعت يدا حافِرِها لأَضْغَطَها الحجر والمدر، وسدَّ فُرَجَها التُّراب المتراكِم، وإنّما هي نفسي أروِّضها بالتَّقوى لتأتي آمنةً يوم الخوف الأكبر، وتَثْبُت على جوانب المزلَقِ، ولو شئت لاهتديتُ الطَّريق إلى مُصفّي هذا العسل ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلِبَني هوايَ، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحِجاز أو اليَمامة من لا طمع له في القُرْص، ولا عهد له بالشّبَع، أو أبيتَ مبطاناً وحولي بطونٌ غرثَى، وأكباد حَرّى!! أو أكونَ كما قال القائل:

وحسبُكَ داءً أن تبيتَ بِبِطْنةٍ   وحولَكَ أكبادٌ تحِنّ إلى القِدِّ

أأقنَعُ من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشارِكَهم في مكارِهِ الدَّهر؟ أو أكونَ أسوةً لهم في جُشُوبة العيش، فما خُلِقْتُ لِيَشْغَلَني أكلُ الطّيبات كالبهيمة المربوطة همّها عَلَفُها، أو المرسَلَةِ شغلُها تَقَمُّمُها، تكترشُ من أعلافها، وتلهو عمّا يراد بها، أو أترك سُدًى وأُهْمَلَ عابثاً، أو أَجُرَّ حبل الضَّلالة، أو أعتسِفَ طريقَ المتاهَةِ. وكأني بقائِلِكُمْ يقول: «إذا كان هذا قوتَ ابن أبي طالب فقد قعد به الضَّعف عن قتالِ الأقران، ومنازلة الشُّجعان». ألا وإنّ الشَّجرة البريَّة أصلب عوداً، والرَّوائعُ الخضرة أرقُّ جلوداً، والنَّباتات البدوية أقوى وُقُوداً وأبطأ خموداً! وأنا من رسول الله كالصِّنو من الصِّنو، والذّراع من العضد. واللّهِ لو تظاهرت العَرَب على قتالي لَمَا ولَّيتُ عنها، ولو أمكنَتِ الفرصُ من رقابها لسارعتُ إليها. وسأَجْهَدُ في أن أطهّر الأرض من هذا الشّخص المعكوس، والجسم المركوس حتّى تخرُجَ المودةُ من بين حبِّ الحصيد[1]»،

وكان يستنجِدُ به بعض أقربائِهِ ليمدّهم ببعض المال، فلم يظفروا منه بغير الفشل، لأنّه لا يعطيهم إلاّ حقّهم، ولا فرق بينَهم وبين أعجميّ يأتيه من أقصى البلد.

---

(١) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، جـ ٣ ص ٧٨ - ٨٢.

روى هارون بن سعيد، قال: قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام: يا أمير المؤمنين، لو أمرْتَ لي بمعونةٍ أو نفقةٍ! فواللّهِ مالي نفقة إلاَّ أن أبيع دابتي، فقال: لا واللّهِ ما أجد لك شيئاً إلاّ أن تأمر عمَّكَ أن يسرق فيعطيك[1].

وروى بكر بن عيسى، قال: كان علي عليه السلام يقول: يا أهْلَ الكوفة، إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي، ورحلي وغلامي فلان، فأنا خائن. فكانت نفقته تأتيه من غلَّتِهِ بالمدينة بينبُعَ، وكانَ يطعم النّاس منها الخبز واللّحم، ويأكل هو الثَّريد بالزَّيت[2].

وكانت خطّته خطّة الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم، بل عدالة الرَّسول وزهده عدالة علي وزهده. روى النّضر بن منصور، عن عقبة بن علقم، قال: دخلتُ على عليّ عليه السلام، فإذا بين يديه لبن حامض، آذتني حموضته وكِسَرٌ يابسة، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أتأكل مثل هذا، فقال لي: يا أبا الجنوب، كان رسول الله يأكل أيبس من هذا، ويلبس أخْشَنَ من هذا، وأشار إلى ثيابه، فإن أنا لم آخذ به خفت ألاَّ ألحقَ به[3].

وروى محمّد بن فُضَيْل بن غُـزْوان، قال: قيل لعلي عليه السلام: كم تتصدق؟ كم تخرج مالك! ألا تمسك! قال: إنّي واللّهِ لو أعلَمُ أنّ الله تعالى قَبِلَ منّي فرضاً واحداً لأمسكتُ، ولكنّي واللّهِ ما أدري: أقَبِلَ منّي سبحانه شيئاً أم لا؟[4].

وكان عمّاله أحياناً يجدونَـهُ ينشد المستحيل في معامَلَةِ النّاس أثناء جباية الأموال منهم. ففي أسد الغابة بسنده عن رجلٍ من ثقيفِ، قال:

---

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ٢ ص ٢٠٠.
(٢) نفس المصدر، جـ٢ ص ٢٠٠.
(٣) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ٢ ص ٢٠٢.
(٤) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ٢ ص ٢٠٢.

استعملني علي بن أبي طالب على مدرج سابور فقال: لا تضربَنَّ رجلاً سوطاً في جباية درهم، ولا تبيعَنَّ له رزقاً ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابّة يعتملون عليها، ولا تقيمَنَّ رجلاً قائِماً في طلب درهم. قلتُ: يا أمير المؤمنين إذن أرجعُ إليكَ كما ذهبتُ من عندكَ. قال: وَإن رجعتَ، ويحَكَ إنّما أُمِرْنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل[1].

هذا هو علي الصَّريح في مواقِفِهِ، العادِل في أمّتِهِ، فإذا بلغَهُ أنّ عامِلاً يأكل ما تحت يديه من أموالِ العامَّةِ بعث إليه على عجل يقول: «فاتّقِ الله واردُدْ إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنّك إن لم تفعل، ثمَّ أمكنني الله منكَ لأعذرَنّ إلى الله فيك. واللّهِ لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإرادةٍ، حتّى آخذ الحق منهما، وَأُزِيلَ الباطِل عن مظلمتهما».

هذا هو عليّ الّذي يصرّح بأنّ الأرض مُلْكٌ لمن يعمل فيها، وأنّها لا يخربها إلاّ عوز أهلها، ولا يعمّرها إلاّ المفيدون منها، فعمارة الأرض والمكافأة العادلة على العمل هما الأساس السَّليم الّذي ارتأى الإمام علي أن يبني عليه مجتمعاً سليماً. وكان أبغض شيءٍ عليه السّخرة بأيّ شكلٍ من الأشكال، فلا إجبار ولا إكراه، وَكذلكَ منع الاحتكار والاستغلال والغصب. فالإمام يرى أنّ المالَ والأرضَ والخيرات النّاجمة عنها، ليس لأحدٍ فيها نصيب أكثر من سواه إلاّ بجهدٍ وحاجة. ومن أبى هذه الحقيقة فقد خان الشّعب، وهذهِ أعظم خيانة.

وكفل عليٌّ اليتيم والعاجز وهو ما نسمّيه الآن بالضَّمان الاجتماعي، وهذا حقّ للفرد على الجماعة، لا مِنَّةً ولا عطف! ولا بر ولا إحسان.

هذا هو علي الّذِي لا يستطيع أن يقرأ كتابه (النَّهج) حاكِم أو رئيس، لأنّ خطّته تَنَاقض خطَّة علي، ومنهجه يخالف منهج علي، ومأكله لا يتلاءم

---

(١) أعيان الشيعة، جـ ٣ القسم الأول، ص ٧٢.

مع مأكل علي، وملبسه لا يُقَارَنُ بملبس علي.. .. إلى ما هنالِكَ من المتناقضات إذا قارنًا بين الشخصيات الكبرى وشخصية علي.

هذا هو علي الّذي سُئِلَ عن الخير ما هو؟ فقال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكنّ الخير أن يكثر علمك، وأن يعظم حلمك، وأن تباهي النَّاس بعبادة رَبِّكَ، فإن أحسَنْتَ حمدتَ الله، وإن أسأتَ استغفرتَ الله، ولا خير في الدُّنيا إلاّ لرجلين: رجلٍ أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتّوبة، ورجلٍ يسارع في الخيرات.

وهذا نموذج كختامٍ لهذا البحث، ليعرف الحكّام والرؤسَاء مخطَّط علي المرسوم ليطبقه الولاة على الرَّعية، وأيّ حاكِمٍ أو رئيس ينهج هذا النّهج، أو يسلك هذا السُّلوك؟!،

عَهْدُه عليه السلام إلى الأشتر حين ولاَّهُ مصر وأعمالها :

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

هذا ما أمر به عبدُ الله أميرُ المؤمنين مالِكَ بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولاّه مصر، جباية خراجها، وجهاد عدوّها، وَاستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.

أمرَهُ بتقوى اللّهِ، وإيثار طاعته، واتّباع ما أمَرَ به في كتابه: من فرائِضِهِ وسنِنِهِ التي لا يسعد أحدٌ إلاّ باتباعها، ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر اللّهَ سبحانه بقلبه، ويدهِ ولسانِهِ، فإنَّهُ جل اسمه، قد تكفّل بنصرِ مَنْ نصرَهُ، وإعزازِ من أعزّه. وأمرَهُ أن يَكْسِر نفسه من الشّهوات، ويزَعَها عند الجمحات، فإنّ النّفس أمّارة السُّوء إلاّ ما رَحِمَ الله.

ثم اعلم يا مالِك أنّي قد وجَّهتك إلى بلادٍ قد جرت عليها دولٌ قِبَلِكَ من عدْل وجَوْر، وأنّ النّاس ينظرون من أمورك في مثل ما كنتَ تنظر فيه من أمور الولاةِ قبلك، ويقولن فيكَ ما كنتَ تقول فيهم، وإنّما يستدلّ على الصّالحين بما يجري الله لهم على ألسن عبادِهِ، فليكن أحبَّ الذّخائِر إليك ذخيرةً العملُ

الصّـالِحُ، فـامْلِكْ هواكَ وشـحَّ بنفسك عمّـا لا يحِلُّ لـك، فإنّ الشُّـحَّ بـالنّفس الإنصافُ منها فيمـا أحبَّتْ أو كَرِهت، واشْعِـرْ قلبكَ الـرّحمة للرَّعيـة، والمحبّةَ لهم واللّطفَ بـالإحسان إليهم، ولا تكـونَنَّ عليهم سَبعاً ضـاريـاً تغتنِمُ أكلَهُم، فإنّهم صنفانِ: إمّا أخٌ لك في الـدّين، وإمَّا نـظيرٌ لـك في الخَلْق، تفرَط منهم الذّلَل، وتَعرِضُ لهم العِلل، ويُؤْتَى على أيـديهم في العمد والخـطأ، فأعـطِهِم من عفوك وصفحِكَ مثل الَّذِي تُحِبّ أن يعـطِيَكَ الله من عفـوه، فإنّـكَ فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقَك، والله فـوق من ولّاك بما عـرَّفك من كتـابه، وبصّـركَ من سنن نبيّـه ﷺ عليكَ بمـا كتبْنا لَـكَ في عهدنـا هـذا، لا تنصِبَنَّ نفسَـك لحـرب اللّهِ، فإنّـه لا يَدَيْ لَـكَ بنقمتِهِ، ولا غِنى بـكَ عن عفوه ورحمتِـهِ. فلا تنـدَمَنَّ على عَفْوٍ، ولا تبجحَنَّ بعقـوبـة، ولا تُسْـرِعَنَّ إلى بـادرة وجـدْتَ عنهـا مندوحة، ولا تقولَنّ إنّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فأُطَاعُ، فإنّ ذلكَ إدغـالٌ في القلب، وَمَنْهكة للدّين، وتقـرُّبٌ من الفتن، فتعوَّذْ بـاللّهِ من دَرَكِ الشّقاء. وإذا أعجبَـكَ ما أنتَ فيـه من سلطانِكَ، فحـدثَتْ لك بـه أبّهةٍ أو مخيلة، فـانظر إلى عـظم ملك الله فوقك وقدرته منكَ على ما لا تَقْدِرُ عليه من نفسك، فإنّ ذلك مطامِنٌ إليـك مِنْ طِماحِكَ، ويكفّ عنكَ من غَرْبِكَ، ويفيء إليكَ بمـا عَزَبَ من عَقْلِكَ، وإيّـاك ومسـاماةَ اللّهِ في عـظمته، أو التَّشَبّـهَ به في جبـروته، فـإنّ الله يذِلّ كـلّ جبَّار، ويهين كلّ مختالٍ فخور.

أَنْصِفِ اللّهَ وأنصِف النّـاس من نفسك ومن خـاصَّتِـكَ ومن أهْلِكَ، ومَنْ لكَ فيه هوىً من رعيَّتِكَ، فـإنَّك إلَّا تفعَـلْ تَظْلِمْ، ومن ظلم عبـادَ اللَّهِ كان الله خصمه دون عبادِهِ، ومن خاصمَهُ الله أدحض حُجّته، وكان الله حرباً حتّى يَنْـزِعَ ويتوب. وليس شيء أدعى إلى تغييرِ نعمةٍ من إقامةٍ على ظُلْمٍ، فإنّ الله يسمع دعوة المظلومين، وهو للظالمين بمِرْصاد، ومن يكن كذلك فهو رهين هلاك في الدّنيا والآخرة.

وليكن أحبَّ الأمـور إليـكَ أوسَـطُهـا في الحقّ، وأعمُّهـا في العـدل، وأجمعُها للرعيَّة، فإنَّ سخط العامَّة يُجْحِفُ برضا الخاصَّة، وإنّ سخط الخاصَّةِ

يُغْتَفَرُ مع رضا العامَّة، وليس أحد من الرعيَّة أثقل على الوالي مؤونة في الرّضاء، وأقلّ له معونةً في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسألَ بالإلحاف، وأقلّ شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعَفَ صبراً عند مُلِمَّاتِ الأمور من الخاصَّة، وإنّما عمودُ الدّين وجماع المسلمين، والعُدَّة للأعداء أهل العامة من الأمَّةِ، فليكن لهم صفوك، واعمد لأعم الأمور منفعةً، وَخيرها عاقبَة، ولا قوَّة إلاّ بالله.

وليكن أبعدَ رعيَّتِكَ منك وأشنأهم عندك أطلبُهم لعيوبِ النَّاس، فإنّ في النّاس عيوباً الوالي أحَقُّ مَنْ سَتَرَها، فلا تكشفنَّ ما غابَ منكَ، واستر العورة ما استطعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ منكَ، ما تحبّ سَتْرَه من رعيَّتِكَ، وأطلِقْ عن النّاسِ كلّ حِقْدٍ، واقطع عنكَ سَبَبَ كلّ وِتر، واقبل العذر، وادرأ الحدود بالشّبهات، وتغاب عن كل ما لا يَضِحّ لك، ولا تعجُلَنّ إلى تصديق ساعٍ، فإنّ السّاعِيَ غاش، وإن تشبَّه بالنّاصحين.

لا تُدْخِلَنَّ في مشورتك بخيلاً يخذلك عن الفضل، ويَعِدُكَ الفقر، ولا جباناً يُضْعِف عليك الأمور، ولا حريصاً يُزَيّن لكَ الشَّرَهَ بالجَوْر، فإنّ البخل والجَوْر والحرصِ غرائز شتّى يجمعهما سوء الظّن بالله كمونها في الأشرار. أيقن أن شرَّ وزرائِكَ من كانَ للأشرار وزيراً، ومن شَرِكَهُمْ في الآثامِ وقامَ بأمورهم في عبادِ الله، فلا يكونَنَّ لكَ بِطانة تشركهم في أمانَتِكَ كما شركوا في سلطان غيرِكَ فاردوهم وأوردوهم مصارع السُّوء، ولا يعجبنَّك شاهِد ما يحضرونَكَ بِهِ، فإنّهم أعوان الأثمة، وإخوان الظَّلَمة، وعباب كلّ طمع ودغل، وأنتَ واجد منهم خير الخلف ممَّن له مثل أدبهم ونفاذِهِم، ممّن قد تصفّح الأمور، فعرف مساويها بما جَرَى عليه منها، فأولئك أخفّ عليكَ مَؤُونَةً، وأحسنُ لك معونَةً، وأحنى عليكَ عَطْفاً، وأقلّ لغيرك إلفاً، لم يعاون ظالِماً على ظلمه، ولا آثِماً على إثْمِهِ، ولم يكن مع غيرِكَ له سيرة أجحفَتْ بالمسلمين والمعاهدين، فاتَّخِذ أولئِكَ خاصّةً لخلوتِكَ ومَلَئِكَ، ثمّ لِيَكُنْ آثرُهُمْ عندك أقولهم بمُرّ الحقّ، وأحوطهم على الضّعفاءِ بالإنصاف، وأقلّهم لكَ مناظرة فيما يكون منكَ ممّا كره الله لأوليائه واقِعاً ذلكَ مِن هواكَ حيثُ وقع،

فإنّهم يقفونَكَ على الحقّ، ويبصّرونَكَ على ما يعود عليكَ نفعه، وألصَقْ بأهْلِ الورع والصّدق وذوي العقولِ والأحساب، ثمّ رُضْهُمْ على أن لا يطروكَ ولا يبجّحوك بباطل لم تفعله، فإنّ كثرة الإطراء تُحْدِثُ الزَّهوَ وتدني من الغِرّة، والإقرار بذلكَ يوجبُ المقتَ من الله.

لا يكونَنَّ المحسن والمسيء عندكَ بمنزلةٍ سَواءٍ، فإنّ ذلكَ تزهيدٌ لأهلِ الإحسان في الإحسان، وتدريبٌ لأهلِ الإساءةِ على الإساءة، فألزِمْ كلاًّ منهم ما ألزم نفسه أدباً منكَ ينفعْكَ الله به وتنفع به أعوانك.

ثمّ اعلم أنّه ليس شيء أدعى لحسن ظنّ والٍ برعيَّتِهِ مِنْ إحسانه إليهم، وتخفيفه المَؤونات عليهم، وقلّة استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم، فليكُنْ في ذلك أمرٌ يجتمع لك به حُسنُ ظنّكَ برعيَّتِكَ، فإنّ حسن الظّن يقطع عنك نصباً طويلاً، وإنّ من حَسُنَ ظنُّكَ به لمن حسن بلاؤُكَ عنده، وأحقّ من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده. فأعرف هذه المنزلة لك وعليكَ لتزدك بصيرةً في حسن الصّنع، واستكثارِ حسن البلاء عند العامّةِ مع ما يوجب الله بها لكَ في المعاد.

ولا تنقَضْ سنّةً صالحةً عملِ بها صدور هذه الأمة، وَاجتمعَتْ بها الألفة، وصَلَحَتْ عليها الرّعية، ولا تُحْدِثَنَّ سنّةً تضرّ بشيءٍ ممّا مضى من تلك السُّنَن، فيكون الأجر لمن سَنّها والوزر عليك بما نقضت منها.

وأكثِر مدارسة العلماء، ومنافثة الحكماء في تثبيتِ ما صلح عليهِ أهل بلادِكَ، وإقامة ما استقام به النّاس مِنْ قَبْلِكَ، فإنَّ ذلكَ يحقّ الحق ويدفع الباطِل ويكتفي به دليلاً ومثالاً، لأنّ السُّنن الصَّالِحَة هي السبيل إلى طاعة الله.

ثم اعلَمْ أنّ الرَّعية طبقات لا يَصْلُحُ بعضها إلاّ ببعض، ولا غِنىً ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامَّة والخاصّة، ومنها قُضاةُ العدل، ومنها عمّال الإنصاف والرّفق، ومنها أهل الجزية والخَراج من أهل الذِّمَّة وَمُسْلِمة النّاس، ومنها التّجّار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السُّفلى من ذوي الحاجات والمسكنة، وكلٌّ قد سمّى الله سهمه، ووضع على حدّ فريضته في

كتابه أو سنة نبيّه ﷺ، وعهد عندنا محفوظ.

فالجنود بإذن اللّهِ حُصون الرّعيّة، وزين الولاة، وعِزُّ الدّين وسبيل الأمن والخفض، وليس تقوم الرّعية إلاّ بهم، ثمّ لا قِوامَ للجنود إلاّ بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يصلون به إلى جهاد عدوهم ويعتمدون عليه، ويكون من وراء حاجاتهم، ثمَّ لا بقاء لهذينِ الصّنفين إلاّ بالصّنف الثالث من القضاة والعمّال والكتّاب، لما يحكمون مِن الأمور، ويظهرون من الإنصاف، ويجمعون من المنافِع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامّها، ولا قِوام لهم جميعاً إلاّ بالتجّار وذوي الصّناعات فيما يجمعون من مرافقِهم، ويقيمون من أسواقِهِمْ، ويكفونهم مِنَ التّرفق بأيديهم ممّا لا يبلغه رِفْقُ غَيْرِهِمْ، ثمّ الطَبَقَة السُّفلى من أهل الحاجة والمسكنَةَ الّذين يحقّ رِفْدُهُمْ، وفي فيءِ الله لكُلّ سعةً، ولكلّ على الوالي حقّ بقدرِ ما يُصْلِحُه. وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزَمَهُ الله من ذَلِكَ إلاّ بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحقّ، والصّبر فيما خفّ عليه وثَقُلَ. فولّ من جنودِكَ أنصَحَهم في نفسِكَ لله ولرسوله ولإمامِكَ، وأنقاهم جيْباً، وأفضَلَهُمْ حِلماً، وأجمعهم علماً وسياسَةً، ممّن يبطِىء عن الغضب، ويسرع إلى العذر، ويرأف بالضّعفاء، وينبو على الأقوياء، ممّن لا يثيرُهُ العنف، ولا يقعد به الضّعف، ثم ألصِقْ بذوي الأحسابِ وأهلِ البيوتاتِ الصّالحة والسّوابق الحسنَة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسّخاء والسّماحة، فإنّهم جِماع من الكرم، وشعْبٌ من العُرْفِ، يهدون إلى حسن الظّن بالله والإيمان بقدره. ثمَّ تفقّد أمورهم بما يتفقّد الوالد من ولده، ولا يتفاقمنَّ في نفسك شيء قويّتَهُم به، ولا تحقِرَنَّ لُطْفاً تعاهدتم به وإن قَلَّ، فإنّه داعية لهم إلى بذل النّصيحةِ وحسن الظّن بك، فلا تدع تفقُّدَ لطيفِ أمورِهم اتكالاً على جسيمها، فإنَّ لليسير من لطفِكَ موضعاً ينتفعون به، وَللجسيم موقِعاً لا يستغنون عنه.

وليكُنْ آثرُ رؤوس جندك من واساهم في معونته، وَأفضل عليهم في بذله، مِمَّنْ يسعهم ويسع مَنْ وراءَهُمْ من الخلوف من أهلهم حتّى يكون همُّهم همّاً واحداً في جهاد العدوّ، ثم آثِرْ إعلامَهُم ذاتِ نفسِكَ في إيثارهم

والتّكرمة لهم، والإرصاد بالتّوسعة. وحقّقْ ذلكَ بحسن الفعال والأثر والعطف، فـإنَّ عـطفَـكَ عليهم يعـطف قلوبهم عليـك، وإنّ أفضـل قـرّة العيـون للولاة استفاضة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرعيّة، لأنّه لا يظهر مودّتهم إلاّ سلامة صدورهم، ولا تصحّ نصيحتهم إلاّ بحوطتهم على ولاة أمورهم، وقلّة استثقال دولتِهِم، وتـرك استبطاءِ انقـطاعِ مُدّتهم، ثمَّ لا تكلَنَّ جنـودكَ إلى مغنمٍ وزّعتـه بينَهم، بـل أحدِث لهم مـع كلّ مغنمٍ بـدلاً ممّا سـواه، ممّـا أفـاء الله عليهم، تستنصِـرْ بهم ويكون داعيـةً لهم إلى العودة لنصرِ الله ولدينـه، وأخصِصْ أهلَ النجدة في أملهم إلى منتهى غايـة آمالِـك من النَّصيحة بـالبذل، وحُسْنِ الثّنـاء عليهم، ولطيف التعهّد لهم رجـلاً رجلاً، ومـا أبلى في كلّ مشهـدٍ، فإن كثـرة الذّكر منـكَ لحسنِ فعالهم تهـزّ الشّجاع، وتحـرّض النّاكِـل إن شاء الله. ثمَّ لا تـدَعْ أن يكون لـك عليهم عيون من أهـل الأمانـةِ والقول بـالحق عند النّـاس، فيثبتون بلاء كـلّ ذي بلاءٍ منهم ليثق أولئِـكَ بعلمك ببـلائهم، ثم اعرِف لكـلّ امرئٍ منهم ما أبلى، ولا تضيفَنَّ بـلاء امرئٍ إلى غيـره، ولا تقصرَنَّ بـه دون غاية بلائه، وكافِ كلاًّ منهم بما كان منه، واخصُصْه منكَ بهزّهِ، ولا يـدعونّـكَ شرف امرئٍ إلى أن تعظّم من بلائه ما كـان صغيراً، ولا ضَعَـة امرئٍ على أن تُصَغّر من بلائه ما كان عظيماً، ولا يفسدَنَّ امرىء عندك علّة، إن عـرضَتْ لَهُ، ولا بنوة حديث له، قد كانَ له فيها حسن بلاء، فـإنّ العزّة لِلّه يؤتيـه من يشاء، والعاقبة للمتّقين.

وإن استشهِدَ أحدٌ من جنودكَ وأهل النّكاية في عـدوّكَ فأخْلِفـه في عيالـه بما يخلف به الـوصيّ الشّفيق الموثّق بـه، حتّى لا يرى عليهم أثـر فقدِهِ، فـإنّ ذلك يعطف عليك قلوب شيعتِكَ، ويستشعرون به طاعتَكَ، ويسلسلون لركوب معاريض التلف الشّديد في ولايتِكَ.

وقد كانت من رسول الله ﷺ سُنَنٌ في المشركين، ومنّا بعده سُنَنٌ، قد جـرَتْ بنا سُنَن، وأمثـال في الظّالمين، ومن تـوجَّهَ قبلَتَنـا وتسمَّى بديننـا. وقد قال الله لقوم أحبَّ إرشادهم: **﴿يا أيّها الّذين آمنـوا أطيعوا الله وأطيعـوا الرّسُـول وأُولي الأمـر منكم فـإن تنــازعتم في شيءٍ فـردُّوه إلى الله والـرّسـول إن كنتم**

تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً﴾[١] . وقال : : ﴿ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أولي الأمر منهم ، لعَلِمَهُ الذين يستنبطونَهُ منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشّيطان إلاّ قليلاً﴾[٢] .

فالردّ إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرّدّ إلى الرّسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المتفرقة، ونحن أهل رسول الله الّذين نستنبط المحكم من كتابه، ونميّز المتشابه منه، ونعرف النّاسخ ممّا نسخ الله ووضَعَ إصرَهُ.

فسِرْ في عدوّك بمثل ما شهدتَ مِنّا في مثلهم من الأعداء، وواتِرْ إلينا الكتب بالإخبار بكلّ حدث يأتيكَ مِنّا أمرٌ عام والله المستعان.

ثمّ انظُرْ في أمر الأحكام بين النّاس بنيّةٍ صالحة، فإنَّ الحكم في إنصاف المظلوم من الظالِم، والأخذ للضّعيف من القوي، وإقامة حدود الله على سنّتِها ومنهاجها ممّا يصلح عباد الله وبلاده. فاختر للحكم بين النّاس أفضل رعيّتك في نفسك وأنفسِهم للعلم والحلم والورع والسّخاء ممّن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكهُ الخصوم، ولا يتمادى في إثبات الذلّة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهمٍ دون أقصاه، وأوقعهم في الشّبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلّهم تبرّماً بمراجعة الخصوم، وأصبرهم على تكشّفِ الأمور، وأصرمهم عند اتّضاع الحكم، مِمَّنْ لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراق، وَلا يصغى للتّبليغ، فولّ قضاءكَ من كان كذلك، وهم قليل، ثمَّ أكثِر تعاهد قضائِهِ، وافتح له في البذل ما يريح علّته، ويستعين به، وتقلّ معه حاجته إلى النّاس، وأعطه من المنزلة لديْكٍ ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتِكَ، ليأمن بذلك اغتيال الرّجال إيّاه عندك، وأحسن توقيرَهُ في صحبتِك، وقَرّبْه في مجلَسِكَ وامْضِ قضاءُهُ، وأنفِذْ حكمه، واشُدْ عضُدَهُ، واجعل أعوانَهُ خيار مَنْ ترضى من نظرائِهِ من الفقهاء

---

(١) سورة النّساء: آية ٦٢.

(٢) سورة النساء: آية ٨٥.

وأهل الورع والنّصِيحَة لِلَّهِ ولعبادِ الله، ليناظِرهم فيما شُبّه عليه ويلطف عليهم لعلم ما غابَ عنه، ويكونون شهداء على قضائِهِ بين النّاس إن شاء الله. ثمّ حملة الأخبار لأطرافِكَ قضاةً تجتهد فيهم نفسه، لا يختلِفون ولا يتدابرون في حكم الله وسنّةِ رسول اللّهِ ﷺ، فإنّ الاختلاف في الحكم إضاعة العدل، وغرّة في الدّين، وسبَبٌ من الفرقة، وقد بَيَّنَ اللّه ما يأتون وما ينفقون، وأمر بردّ ما لا يعلمون إلى من استودَعَهُ الله علم كتابه، واستحفظه الحكم فيه، فإنّما اختلافُ القضاة في دخول البغي بينَهم، واكتفاء كلّ امرئٍ منهم برأيه دون من فرض الله ولَايتَهُ، ليس يصلح الدّين ولا أهل الدّين على ذلك. ولكن على الحاكم أن يحكم بما عنده من الأثر والسُّنة، فإذا أعياه ذلكَ ردّ الحكم إلى أهله، فإن غاب أهله عنه، ناظِر غيره من فقهاءِ المسلمين، ليس له ترك ذلك إلى غيره، وليسَ لقاضيين من أهل الملّة أن يقيما على اختلافٍ في الحكم دونَ ما رفع ذلكَ إلى وليّ الأمر فيكم، فيكون هو الحاكم بما علّمه الله، ثمّ يجتمعان على حكمه فيما وافقهما أو خالفهما، فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإنّ هذا الدّين قد كان أسيراً بأيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى، وتطلب به الدّنيا. واكتُبْ إلى قضاةِ بلدانِكَ، فليرفعوا إليك كلّ حكمٍ اختلفوا فيه على حقوقه. ثم تصَفَّحْ تلك الأحكام، فما وافق كتابَ الله وسنّة نبيّه، والأثر من إمامك أمضِهِ واحملهم عليه. وما اشتبه عليكَ، فاجمَعْ لَهُ الفقهاء بحضرتك، فناظِرهم فيه، ثم امْضِ ما يجتمع عليه أقاويل الفقهاء بحضرتِكَ من المسلمين، فإنّ كلّ أمرٍ اختلف فيه الرَّعيَّة مردودٌ إلى حكم الإمام، وعلى الإمام الاستعانة بالله والاجتهاد في إقامة الحدود، وجبر الرَّعيَّة على أمرِهِ، ولا قوَّةَ إلّا بالله.

ثم انظر إلى أمور عمَّالِك، واستعملهم اختباراً، ولا تولّهِم أمورَكَ محاباةً وأثرة، فإنّ المحاباة والأثَرَةَ جماع الجور والخيانة، وإدخال الضّرورة على النّاس، وليسَتْ تصلح الأمور بالإدغال، فاصطَفِ لولاية أعمالك أهل الورع والعلم والسّياسة، وتوَخّ منهم أهل التّجربة والحياء من أهل البيوتات الصَّالِحة والقدم في الإسلام، فإنّهم أكرم أخلاقاً، وأصحّ أعراضاً، وأقلّ في المطامع

إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نـظراً من غيرهم، فليكـونوا أعـوانك على مـا تقلّدتَ، ثم أسبغ عليهم في العمالات، ووسّع عليهم في الأرزاق، فـإنّ في ذلـك قـوّةً لهم على استصـلاح أنفسهم، وغِنىً عن تنـاول مـا تحت أيـديهم، وحجّة عليهم إن خالفـوا أمرَكَ، أو ثلمـوا أمانتَـكَ، ثمّ تفقّد أعمـالهم، وابعثِ العيون عليهم من أهل الصّدق والوفاء، فإنّ تعهّدك في السّر أمورهم حدوة لهم على استعمالِ الأمانة والرّفق بالرّعية وتحفّظ من الأعوان، فـإن أحدُ منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعَتْ بها أخبار عيونِكَ اكتفيت بذلك شاهِـداً، فبسطتَّ عليـه العقـوبَةُ في بـدنِهِ، وأخـذتَهُ بمـا أصابَ من عملِهِ، ثمّ نصبتَـهُ بمقامِ المـذلَّة، ووسمته بالخيانة، وقلّدتَهُ عار التّهمة.

وتفقَّدْ ما يصلح أهل الخراج، فإنّ في إصْلاَحِـهِ وصلاحِهِمْ صـلاحاً لمن سواهم، ولا صلاحَ لمن سواهم إلاّ بهم، لأنّ النّاسَ كلّهم عيـال على الخراج وأهله، فليكُنْ نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرِكَ في استجيلاب الخَراج، فإنّ الجلب لا يُدْرَكُ إلاّ بالعمارة، ومن طلب الخَراج بغير عِمارةٍ أخرَبَ البـلاد وأهلك العباد، ولم يستقِمْ له أمره إلاّ قليلاً، فاجمع إليك أهل الخـراج من كلّ بلدانِكَ، وَمُرْهُمْ فليعلموك حال بلادِهم وما فيـه صلاحهم ورخـاء جبايتهم، ثم سَلْ عمّا يرفع إليك أهل العلم به من غيرهم، فإن كانوا شكوا ثِقَـلاً أو علّة من انقطاع شرب أو إحالة أرضٍ اغتمـرها غـرق، أو أجحَفَ بها العـطش، أو آفة خفّفَتْ عنهم ما ترجوا أن يصلُحَ الله به أمرهم. وإن سألوا معونةً على إصلاح ما يقدرون عليه بأموالِهم، فأكفِهِمْ مؤونته، فإنّ في عاقبة كفايتـكَ إياهم صـلاحاً، فلا يثقَلَنَّ عليكَ شيءٌ خفّفتَ به عنهم المؤونات، فـإنّه ذخـرٌ يعودون بـه عليك لعمارة بلادكَ، وتزيين وِلاَيَتِكَ، مع اقتنائِـكَ مودَّتهم وحسن نيّـاتِهِم واستفاضـة الخير، وما يسهّل الله به من جلبهم، فإنّ الخَراج لا يستخرج بالكدّ والأتعاب، مع أنّها عقد تعتمد عليها إن حدث حادِثٌ كنتَ عليهم معتمداً لفضـل قوّتهم، بمـا ذخرت عنهم من الحمـام، والثّقة منهم بمـا عوّدتهم من عـدلِكَ وَرفقِـكَ، ومعـرفتهم فيمـا حـدث من الأمـر الـذي اتّكلت بـه عليهم، فـاحتملوه بـطيب أنفسِهِمْ، فـإنّ العمران محتمـل ما حمَّلتـه، وإنّما يؤتي خـرابُ الأرض لإعـواز

أهلها، وإنّما يُعْـوِذ أهلها لإسـراف الولاة، وَسـوء ظنّهم بالبقـاء، وقلّة انتفاعِهم بالصبر. فـاعمل فيمـا ولّيت عملَ من يحبّ أن يـدَّخِر حسن الثّنـاءِ من الرَّعِيَّـة والمثوبة مِنَ الله، والرّضا من الإمام ولا قوَّةَ إلاّ بالله.

ثم انظر في حال كتَّابك، فاعرف حال كلّ امـرىءٍ منهم فيما يحتـاج إليه منهم، فاجعل لهم منازِل ورُتَباً، فولّ على أمورك خيـرهم، واخصُصْ رسائِلَكَ الّتي تدخل فيها مكائِدك وأسرارك بأجمعهم، لوجـوه صالـح الأدب فيما يصلح للمناظرة في جلائل الأمـور من ذوي الرَّأي والنّصيحـة والذّهن، أطـواهم عنكَ لمكنون الأسرارِ كشحاً ممّن لا تبطره الكرامة، ولا تمحق به الدّلالة، فيجترىء بها عليكَ في خلاء، أو يلتمس إظهارها في بلاء، ولا تقصّر به الغفلة عن إيراد كتب الأطـراف عليك، وإصـدار جوابـاتِكَ على الصَّـواب عنك، وفيمـا يأخـذ ويعـطي منكَ، ولا يضعف عقـداً اعتقده لـك، ولا يعجز عن إطـلاق مـا عُقِـدَ عليْكَ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمـور، فإنَّ الجـاهل بقـدر نفسه يكـون بقـدرِ غيره أجهـل، ووَلّ ما دون ذلـكَ من رسائِلِكَ وجمـاعات كتب خـرجـك ودواوين جنودك قوماً تجتهد نفسـك في اختيارهم، فـإنّها رؤوس أمـرك أجمعها لنفعِـكَ، وأعمّهـا لنفـع رعيَّتِكَ، ثم لا يكُنْ اختيـارك إيَّـاهم على فـراسَتِكَ واستنامتِكَ وحسن الظّن بهم، فإنّ الـرّجال يعـرفون فـراسات الـولاة بتضرّعهم وخـدمتهم، وليس وراءَ ذلكَ من النّصيحـة والأمانـة. ولكِن اختبرهُمْ بمـا وُلُّـوا للصَّالحين قبلك، فاعمِدْ لأحسَنِهِمْ كان في العامَّة أثـراً، وأعرفِهِمْ فيهـا بالنّبـل والأمانة، فإنَّ ذلك دليلٌ على نصيحَتِكَ لِلّه ولمن ولّيتَ أمـره. ثمَّ مُرْهم بحسن الولاية ولين الكلمـة، واجعل لـرأسِ كلّ أمـرٍ من أمورِكَ رأسـاً منهم، لا يقهرُهُ كبيرها، ولا يَتَشَتَّتُ عليه كثيرها، ثمَّ تفقّد ما غابَ عنكَ من حالاتِهِم وأمور من يرد عليك رسله وذوي الحـاجة، وكيف ولايتهم وقبـولهم وليُّهم وحجَّتهم، فإنّ التبـرّم والعزّ والنّخـوة من كثير من الكتـاب إلاّ من عصم الله، وليس للنّاس بُـدّ من طلب حاجاتهم، ومهمـا كان في كتّـابك من عيبٍ فتغـابَيْتَ عنه أَلْـزِمْتَهُ، أو فضل نسبٍ إليك مع مالك عند الله في ذلك من حسنِ الثّواب.

ثمَّ التّجار وذوي الصناعات، فاستـوص وأوصِ بهم خيراً: المقيم منهم

والمضطرب بماله، والمترفّق بيده، فإنَّهم موادٌّ للمنافع وجلاَّبها في البلاد في برّك وبحرك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئِمُ النّاس لمواضعها، ولا يجترئون عليها من بلاد أعدائِكَ من أهل الصّناعات الّتي أجرى الله الرّفق منها على أيديهم، فاحفظ حرمتهم، وآمِن سلبهم، وخُذْ لهم بحقوقهم، فإنّهم سِلْمٌ لا تخاف بائقَتُهُ، وصلح لا تحذر غائلته، أحبّ الأمور إليهم أجمعها للأمن، وأجمعها للسّلطان، فتفقّد أمورهم بحضرتِكَ، وفي حواشي بلادِكَ، واعلم مع ذلك أنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحّاً قبيحاً، واحتكاراً للنافع، وتحكّماً في البياعات، وذلكَ بابُ مضرة للعامّة، وعيبٌ على الولاية، فامنع الاحتكار، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنه، وليكُنِ البيع والشّراء بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعارٍ لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارفٍ حكرة بعد نهيكَ فنِكّلْ وعاقِب في غير إسراف، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعل ذلك.

ثمّ الله الله في الطبقة السُّفلى من الّذين لا حيلةَ لهم، والمساكين والمحتاجين وذوي البؤس والزَّمْنَى، فإنّ في هذه الطَّبقة قانِعاً ومعتزاً، فاحفَظِ الله ما استحفَظَكَ من حقّهِ فيها، واجعل لهم قسماً من غلّات صوافي الإسلام في كلّ بلد، فإنّ للأقصى منهم مثل الّذي للأدنى. وكُلٌّ قد استَرْعيتَ حقّه، فلا يشغلَنَّكَ عنهم نظر، فإنَّكَ لا تعذر بتضييع الصّغير لأحكامك الكثير المهم. فلا تُشْخِصْ همَّكَ عنهم، ولا تُصَعِّر خدَّكَ لهم، وتواضع لله يرفعك الله، وَاخفض جناحَكَ للضّعفاء، واربهم إلى ذلك منكَ حاجة، وتفقَّدْ من أمورهم ما لا يصل إليكَ منهم ممّن تقتحِمُهُ العيون، وتحقّره الرّجال ففرّغ لأولئِكَ ثقتَكَ من أهل الخشية والتّواضع، فليرفع إليكَ أمورهم، ثم اعمَلْ فيهم بالإعذار إلى اللّه يوم تلقاه، فإنَّ هؤلاءِ أحوجُ إلى الإنصاف من غيرهم، وكُلٌّ فأعذِرْ إلى الله في تأديةِ حقّهِ إليه، وتعهَّد أهل اليُتْمِ والزَّمانة والرّقة في السّنّ ممّن لا حيلَةَ له، ولا يَنْصِبُ للمسألة نفسه، فأجرِ لَهُم أرزاقاً، فإنّهم عباد الله، فتقرَّبْ إلى اللّهِ بتخلُّصِهِمْ ووضعهم مواضِعَهم في أقواتهم وحقوقِهِمْ، فإنّ الأعمال تخلص بصدق النّياتِ، ثم إنّه لا تسكن نفوس النَّاس أو بعضهم إلى أنَّك قد قضيتَ حقوقهم بظهر الغيب دون مشافهَتِكَ بالحاجات، وذلكَ على

الـولاة ثقيلٌ، والحقّ كلّه ثقيـل، وقد يخفّفـه اللّهُ على أقـوامٍ طلبـوا العـاقبـة، فصبَّـروا نفوسهم، ووثقـوا بصدق مـوعود اللّهِ لمن صبـر واحتَسَبَ، فَكُنْ منهم واستَعِنْ باللّهِ، واجعَلْ لـذوي الحاجَـاتِ منكَ قسمـاً، تَفَرّغُ لهم فيـه شخصك وذهنَكَ من كلِّ شُغْل، ثمّ تأذَن لهم عليكَ، وتجلس لهم مجلساً تتواضع فيه لله الذي رفعَكَ، وتُقْعِدُ عنهم جندَكَ وأعوانَكَ من أحراسِكَ وشُـرَطِكَ تخفض لهم في مجلسِـكَ ذلك جنـاحين، وتلين لهم كنفكَ في مـراجعَتِـكَ ووجهـكَ حتّى يكلّمـكَ متكلّمهم غير متعتـع، فإنّي سمعتُ رَسـولَ اللّهِ ﷺ يقـول في غيـر موطن: «لن تُقَدَّسَ أمّةٌ لا يؤخذ للضّعيفِ فيها حَقّه من القويِّ غير متعتـع». ثمَّ احتمِـلِ الخـرقَ منهم والعِيَّ، ونَــح عنْـكَ الضِّيق والأنف، يبسط الله عليـكَ أكناف رحمته، ويوجبُ لكَ ثواب أهل طاعتِهِ، فأعطِ ما أعـطيت هنيئاً، وامنـع في إجمال وإعذار، وتـواضع هنـاك، فإنّ الله يحبّ المتواضعين، وليكُنْ أكرم أعوانك عليكَ ألينَهم جانباً وأحسنهم مراجعة، وألطفهم بالضُّعفاء إن شاءَ الله.

ثمَّ إنّ أموراً من أمورِكَ لا بُدَّ لك من مباشرتهـا، مِنها إجـابة عمّـالك مـا يعي عنه كتّابـك، ومنه إصـدار حاجـاتِ النّاس في قِصَصِهِمْ، ومنهـا معرفـة ما يصل إلى الكتّاب والخزّان ممّا تحتَ أيديهم، فلا تتوان فيما هنالِكَ، ولا تغتنم تأخيره، واجعَلْ لكلِّ أمرٍ منها من يناظِر فيه ولاته بتفريغَ لقلبك وهمّكَ، فكلّمـا أمضيتَ أمراً فأمضِـهِ بعد التّـروية ومـراجعة نفسـك، ومشاورة وليِّ ذلـك، بَغير احتشام ولا رأي يكسب به عليك نقيضه، ثم أمض لكلِّ يومٍ عمله، فإنَّ لكلِّ يـوم مــا فيـه ، واجعل لنفسـك فيمـا بينَـكَ وَبين اللّهِ أفضـل تلك المـواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإن كـانت كلّها لِلَّه إذا صحّتْ فيـه النيّة، وسَلِمَتْ منهـا الـرَّعية، وليكُنْ في خـاص ما تخلص لله بـه دينكَ إقـامة فـرائضِهِ التي هي لـه خـاصَّة، فـأعطِ الله من بدنِـكَ في ليلك ونهارك مـا يجب، فـإنّ الله قـد جعـل النّافلة لنبيّه خاصَّةً دون خلقِهِ فقال: ﴿ومن اللَّيل فتهجَّدْ بـه نافلَةً لـكَ عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً﴾(١). فذلك أمرٌ اختصَّ الله به نبيَّهُ وأكرمه بـه، ليس

(١) سورة الإسراء: آية ٨١.

لأحدٍ سواه، وهو لمن سواه تطوُّع، فإنَّه يقول: ﴿ومن تطوَّع خيراً فإنّ الله شاكِر عليم﴾(١). فوفّوْمـا تقرَّبتَ بـه إلى الله وكرمـه، وأدّ فرائِضَـهُ إلى الله كامِـلًا غير مثلوبٍ ولا منقـوص، بالِغـاً ذلك من بـدنِكَ مـا بلَغَ، فـإذا قمتَ في صـلاتِـك بالنَّاس فلا تطولَنَّ، ولا تكونَنَّ منفّراً ولا مضيّعاً، فإنّ في النّاس من به العلّة وله الحـاجـة، وقـد سـألتُ رسـولَ الله ﷺ حين وجَّهني إلى اليمن كيف نصلّي بهم؟ فقال: صلِّ بهم كصلاة أضعفهِم، وكن بالمؤمنين رحيماً.

وبعد هذا، فلا تطوّلَنَّ احتجـابَكَ عن رعيَّتـك، فإنَّ احتجـابَ الولاة عن الرَّعِيّة شَبْعَـةٌ من الضّيق، وقِلَّة علم بالأمـور، والاحتجاب يقـطع عنهم علم ما احتجوا دونه فيَصْغُر عندهم الكبير، ويعظَم الصَّغِيـر، ويقْبُح الحَسُنُ، ويحْسُنُ القبيح، ويشابُ الحق بالباطِل، وإنّما الوالي بشرٌ لا يعرف ما توارى عنه النّاس بـه من الأمور، وليسَتْ على القـولِ سمات يُعْـرَفُ بهـا الصّـدق من الكَـذِب، فتحصَّنْ من الإدخال في الحقوقِ بلينِ الحجاب، فإنّمـا أنتَ أحدُ رجلينِ: إمّـا امرؤ سخت نفسُكَ بالبذلِ في الحقّ، ففيم احتجابُكَ؟ من واجبِ حَقٍ تعطيه؟ أو خُلُقٍ كريم تسديه؟ وإمَّا مبتلَى بالمنع، فما أسرع كفّ النّاس عن مسألَتِـكَ، إذا أيسوا من بَذْلِكَ، مع أنّ أكثر حاجات النّاس إليك ما لا مؤونة عليك فيه مِنْ شكـايةٍ مَـظْلَمَةٍ أو طلب إنصـاف. فانتفِـع بما وصفتُ لـكَ، واقتصِر فيـه على خطّكَ ورشدِكَ إن شاء اللّهِ.

ثمّ إنّ للمملوك خاصَّةً وبطانةً فيهم استئثـار، وتطاوُلٌ، وقلّة إنصـاف في معـاملةٍ فاحسِمْ مـادة أولئِكَ بقـطع أسباب تِلْكَ الأشيـاء، ولا تقطعَنَّ لأحـدٍ من حشَمِكَ، ولا حامَّتك قطيعةً، ولا تعتمدنَّ في اعتقـاد عقدَةٍ تضـرُّ بمن يليها من النّـاس في شِرْبٍ أو عمـلٍ مشتركٍ يحملون مؤونتهم على غيـرهم فيكون مهنـأ ذلك لهم دونَكَ وعيبه عليكَ في الدُّنيا والآخرة، عليكَ بالعدل في حكمـك إذا انتهَتِ الأمور إليك، وألزِمِ الحقَّ من لزمـه من القريب والبعيـد، وكن في ذلكَ

---

(١) سورة البقرة: آية ١٥٣.

صابراً محتسِباً، وافعل ذلكَ بقرابتـكَ حيث وقع، وابتـغ عاقبَتَـهُ بما يثقـل عليه منه، فإنّ مغبَّة ذلك محمودة.

وإن ظنَّتِ الرَّعية بـكَ حيفاً فـأَصْحِرْ لهم بعـذرِكَ، واعدِلْ عنـكَ ظنونهم بإصحارِكَ، فإنَّ تلك رياضة منكَ لنفسـك، ورفقٌ منكَ بـرعيَّتِكَ، وإعـذارٌ تبلغ فيه حاجتَكَ من تقويمهم على الحقّ في خفضٍ وإجمال.

لا تـدفعَنَّ صلحـاً دعـاكَ إليـه عـدوُّك فيـه رِضـاً، فـإنّ في الصّلح دعَـةً لجنـودِكَ، وراحةً من همـومِكَ، وأمنـاً لبـلادِكَ. ولكنَّ الحـذر كـلَّ الحـذر من مقاربة عدوّك في طلب الصّلح، فإنّ العدوَّ ربَّما قارب ليتَغَفَّل، فخـذ بالحـزم، وتحصَّنْ كلّ مخوفٍ تؤتَى منه. وباللَّهِ الثّقة في جميع الأمـور، وإن لَجَّتْ بينَكَ وبين عـدوّكَ قضِيَّة عقـدتَ له بهـا صلحـاً، أو أكسبتـه منكَ ذِمَّـةً، فحط عهدَكَ بالوفاء، وارع ذِمَّتك بـالأمانـة، واجعَلْ نفسـك جُنَّةً دونـه، فإنَّـه ليس شيء من فرائضِ الله جَلّ وعَـزَّ النَّاس أشـدّ عليه اجتمـاعاً في تفـريق أهوائِهِم، وتشتيتِ أديانِهِم من تعظيم الـوفاء بـالعهود. وقـد لَزِمَ ذلـك المشركـون فيما بينَهم دون المسلمين لمـا استـوبئوا من الغـدر والختـر، فـلا تغـرَنَّ بـذِمَّتِـكَ، ولا تخفـر بعهـدك، ولا تختِلَنَّ عدوَّك، فـإنّه لا يجترىء على الله إلاّ جـاهِـلٌ شقي. وقـد جعل الله عهده وذِمَّتـه، أمْناً أفضـاهُ بين العباد بـرحمته، وحـريماً يسكنـون إلى مَنَعَتِهِ، ويستفيضون به إلى جواره، فلا خداع ولا مدالسة ولا إدغال فيه.

فلا يدعونَّكَ ضيق أمرٍ لزمكَ فيه عهدُ اللَّهِ على طلب انفساخِهِ فإنَّ صبرَكَ على ضيقٍ ترجو انفراجه، وفضل عاقبتِهِ خير من عذرٍ تخاف تبِعَتَـهُ، وأن تحيط بكَ من الله طلبة، ولا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك.

وإيَّـاك والدّمـاء وسفكَها بغيـر حلّها، فـإنّـه ليس شيءٌ أدعى لِنَقْمَـةٍ، ولا أعظم لِتَبْعَةٍ، ولا أحرى لزوال نعمةٍ وانقطاع مدَّةٍ في سفك الدّماء بغيـر الحقّ، والله مبتدِىء بالحكم بين العباد فيما يتسافكون من الدّماء، فلا تصونَّنَّ سلطانَكَ بسفـكِ دمٍ حرام، فـإنّ ذلـك يُخْلِقـه ويُـزيلُهُ، فـإيـاكَ والتعـرُّض لسخط الله، فإنّ اللَّهَ قد جعل لوليّ من قُتِـلَ مظلومـاً سُلْطاناً، قـال الله: ﴿ومن قُتِلَ مـظلوماً

فقد جعلنا لوليّه سُلْطاناً فلا يسرف في القتل إنّه كان منصوراً﴾[1] .

ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأنّ فيه قَوَدَ البـدن، فإن ابْتُلِيتَ بخـطأٍ وفرط عليـه سوطُـك أو يدُكَ لعقـوبة، فـإنَّ في الوكـزِ فما فـوقهـا مَقتِلَةً، فلا تطمحَنَّ بكَ نخوة سلطانِكَ على أن تؤدي إلى أهلِ المقتول حقَّهم دية مسلَّمة يتقرّب بها إلى الله زلفى.

إيَّاك والإعجابَ بنفسِكَ والثقة بما يعجبُكَ منها، وحبَّ الإطراء فإنَّ ذلكَ من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسن.

إيَّاك والمنَّ على رعيَّتِكَ بـإحسانِـكَ، أو التَّزيـد فيما كـانَ مِنْ فعلِكَ، أو تعدهم، فتَتْبَعَ بمـوعدك بخُلْفِـكَ، أو التسرُّع إلى الـرَّعية بلسـانِكَ، فـإنَّ المنّ يُبْطل الإحسان، والخُلْف يوجبُ المقتَ، وقد قـال الله جلَّ ثنـاؤه: ﴿كَبُرَ مُقتـاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلوا﴾[2] .

إياك والعجلة بالأمور قبل أوانِها، والتساقط فيهـا عند زمـانها، واللَّجـاجة فيها إذا تنكَّرَتْ، والوهنَ فيها إذا أوضحت، فضع كلّ أمرٍ موضِعَهُ، وأوقِعْ كـلّ عملٍ موقعه.

إيَّاك والاستئثارَبما للنّاس فيه الأسوة، والاعتراض فيما يعنيـك، والتَّغابي عمّا يُعْنَى به ممّا قد وضح لعيون النّـاظرين، فـإنّه مـأخوذٌ منـكَ لغيركَ. وعمّـا قليلٍ تكشف عنك أغطيةُ الأمور، ويبرز الجبَّار بعظمتـه، فينتصف المظلومـون من الظَّالـمين. ثمَّ أَمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وسـورة حدَّتِـكَ، وسَطْوة يـدكَ، وغَرْبَ لسانِك، واحترس كلّ ذلِكَ بكفّ البادرة، وتـأخير السَّـطوةِ، وارفع بصـركَ إلى السَّماء عندما يحضرك منـه حتّى يسكن غضبَكَ، فتملك الاختيـار، ولن تحكم ذلكَ من نفسِكَ حتّى تُكْثِرَ همومَكَ بذكرِ المعادِ إلى ربّك.

ثمّ اعلم أنّه قد جمع ما في هذا العهد من صنوف ما لم آلكَ فيه رشداً،

---

(١) سورة الصف: آية ٤.

(٢) سورة الصَّف: آية ٤.

إن أحبَّ الله إرشادَكَ وتوفيقك، أن تتذكَّر ما كان من كلّ ما شهدتَ مِنّا فتكون ولايتُكَ هذه من حكومةٍ عادلةٍ أو سُنَّةٍ فاضلةٍ، أو أثَرٍ عن نبيِّك صلى الله عليه وآله وسلم، أو فريضةٍ في كتاب الله، فتغتدي بما شاهدتَ ممّا عَمِلْنا به منها، وتجتهد نفسك في اتّباع ما عهدتُ إليكَ في عهدي، واستوثقْتُ من الحجَّة لنفسي لكيلا تكون لَكَ علّة عند تسرّع نفسِكَ إلى هواها، فليس يعصم من السّوء ولا يوفّق للخير إلّا اللَّهَ جَلّ ثناؤه. وقد كان ممَّا عهد إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصايته تخصيصاً على الصَّلاة والزَّكاة وما ملكَتْ أيمانكم. فبذلك أختمُ لك ما عهدتُ ولا حول ولا قوَّةَ إلَّا بالله العلي العظيم.

وأنا أسأل الله سَعَة رحمته، وعظيم مواهبه وقدرته على إعطاء كلّ رغبة أن يوفّقني وإيَّاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حُسْن الثَّناء في العباد. وحسن الأثر في البلاد، وتمام النّعمة وتضعيف الكرامة، وأن يَخْتِمَ لي ولكَ بالسَّعادة والشّهادة، وإنّا إليه راغبون، والسَّلام على رسول الله وعلى آلِهِ الطَّيبين الطّاهرين وسلَّم كثيراً[1].

وخلاصة القول: إنّ الإمام كرَّم الله وجهه ضرب أروع الأمثالِ في تطبيقه للقِيَم الإنسانيَّة، ومنها الزّهد والعدل. فبزهدِهِ علَّم الزُّهَّاد كيف يزهدون، ولقد طلَّق الدُّنيا ثلاثاً، وتخلَّص من حبائِلها، وانتصر عليها، ووصَفها وَصْفَ خبيرٍ بها، عارفٍ بحقيقَتِها، وطبَّق عمِليًّا كلّ شروط الزّهد حتَّى أصبح مضرب الأمثال.

وكذلك كان في عدله منقطع النَّظِير، فهو لا يُجارَى ولا يُبارَى! وكيف لا يكون ذلكَ؟ وهو القائِل:

«واللَّهِ لأَنْ أبيتَ على حَسَكِ السَّعدانِ مسهَّداً، وأُجَرَّ في الأغلالِ

---

(١) تحف العقول عن آل الرّسول: للشيخ الثقة أبو محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، ط ١٣٧٦ هـ من ص ١٢٦ حتّى ص ١٤٩. وهي موجودة في النّهج مع بعض اختلاف وذلك من ص ٩٢ حتّى ص ١٢٢ من الجزء الثالث من النّهج شرح محمّد عبده.

مصفَّداً، أحبُّ إليَّ من أن ألْقَى الله ورسوله يوم القيامة ظالِماً لبعضِ العبادِ، وغاصِباً لِشَيْءٍ من الحطام، وكيف أُظْلِمُ أحداً لنفسٍ يُسْرِعُ إلى البِلَى قفولها، ويطول في الثَّرى حلولها؟!»[1].

فعليٌّ عليه السلام هو المثل الأعلى للإنسانيَّة في جميع المثل والقيم والفضائل، وهو رمز العدالة الاجتماعيَّة في جميع العصور والأزمنة القديمة والحديثة. وكيف لا يكون ذلك؟! وهو القائل:

«واللّهِ لو أُعْطِيتُ الأقاليم السَّبعة بما تحت أفلاكِها على أن أعْصِيَ الله في نملَةٍ أَسْلُبُها جِلْبَ شعيرةٍ ما فعلتُ، وإنَّ دنياكم عندي لأهون من ورقةٍ في فم جرادَةٍ تقضمها. ما لعليّ ولِنَعِيمٍ يفنى، ولذَّةٍ لا تبقى»[2].

لذلك فإنَّ الكتَّاب الَّذين يقارنون عليَّاً بغيره من الخلفاء والملوك والرؤساء فإنَّهم لم يعثروا على واحدٍ منهم يسلك سلوكه، وينهج نهجه، فعليٌّ لا يُجارَى ولا يبارَى. فهو رمز العدالة الاجتماعيَّة والمثل العليا للإنسان. ومهما تطوَّر الإنسان وارتقى في معارفه، فإنّه لم يزل مفتقِراً إلى ما خطَّطه عظيم الإنسانية ومثلها الأعلى، وهو القائل:

«وإنَّ الله سبحانه فرضَ في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقيرٌ إلّا بما مُتِّعَ به غني، والله تعالى سائِلهم عن ذلك»[3].

هذا القول ينادي به المصلحون الاجتماعيون والفلاسفة وكبار المفكِرين دون أن يَصِلوا إلى التَّطبيق العملي كما طَبَّقه الإمام عليه السلام. فهو القدوة المثلى والرّمز الإنساني الخالد قديماً وحديثاً وإلى الأبد.

تمّ الكتاب بحمد اللّه

يونس رمضان

---

(١) النهج: شرح محمّد عبده، جـ ٢ ص ٢٤٣.
(٢) نفس المصدر، جـ ٢ ص ٢٤٥.
(٣) النهج: شرح محمّد عبده، جـ ٣ ص ٢٣١.

مصادر الكتاب

القرآن الكريم	
نهج البلاغة	للإمام علي
شرح نهج البلاغة	لابن أبي الحديد
مرآة الزمان	
مرآة الجنان	لليافعي
شذرات الذهب	ابن عماد الحنبلي
الغدير	الأميني
إرشاد القلوب	الديلمي
كشف اليقين	العلامة الحلي
الأنوار النعمانية ١/ ٤	الجزائري
بحار الأنوار	المجلسي
المناقب	الخوارزمي
ينابيع المودة	القندوزي
مشارق أنوار اليقين	رجب البرسي
أبو طالب مؤمن قريش	الخنيزي
تذكرة الخواص	سبط ابن الجوزي
الإمام علي بن أبي طالب	عبد الفتاح عبد المقصود

تفسير الثعلبي	الثعلبي
خزانة الأدب	البغدادي
تاريخ أبي الفداء	أبو الفداء
فتح الباري	ابن حجر
الإصابة	ابن حجر
السيرة الحلبية	الحلبي
السيرة النبوية	ابن هشام
التاريخ الصغير	البخاري
المواهب اللدنية	القسطلاني
تاريخ الخميس	الديار بكري
كشف الغمة	الأربلي
بلوغ الأرب	شكري الآلوسي
سليم بن قيس	الهلالي
تاريخ الخلفاء	السيوطي
كتاب صفين	المنقري
تاريخ الطبري	الطبري
المنتخب	الطريحي
تاريخ ابن عساكر	ابن عساكر
تظلم الزهراء	القزويني
تمام المتون	الصفدي
الكامل	المبرد
الإمام الصادق والمذاهب الأربعة	أسد حيدر
ما الفوارق بين السنة والشيعة	محمود مهدي
الصواعق المحرقة	ابن حجر
الفصول المهمة	ابن الصباغ المالكي
نور الأبصار	الشبلنجي
عيون أخبار الرضا	الصدوق

تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
علي وليد الكعبة	الأردوبادي
علي والوصية	نجم الدين العسكري
غاية المرام	البحراني
الفضائل	شاذان القمي
شرح المواهب	الزرقاني
المجتبىٰ	لابن دريد
أسباب النزول	الواحدي
قضاء أمير المؤمنين	التستري
الدر المنثور	السيوطي
علي والخلفاء	نجم الدين العسكري
الإرشاد	الشيخ المفيد
ذخائر العقبىٰ	الطبري
من لا يحضره الفقيه	الصدوق
إسعاف الراغبين	محمد الصبان
بشائر الأنام	الكاظمي
مقتل الحسين	الخوارزمي
عيون المعجزات	حسين عبد الوهاب
أعيان الشيعة	محسن الأمين

الفهـرس

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

علمه عليه السلام

الفصل الثامن
قضاؤه عليه السلام

الفصل التاسع

إخباره بالأمور الغيبية

الفصل العاشر
في فضائله وكراماته عليه السلام

الفصل الحادي عشر
في زهده وعدله عليه السلام

